JANUARY—JUNE 1928

يناير الى يونيو سنة ١٩٢٨

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الثاني والسبعون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

VOL, LXXII

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR

فهرس المجلد الثاني والسبعين



تمثال زهرة قورينه

من آيات الفن اليوناني القديم







صورة التمثال من الامام

صورة أخرى لرأس هذا التمثال البديع





تمثال للزهرة يضاهي تمثال زهرة ميلو

مقتطف يناير ١٩٢٨

انظر صفحة ٧٥

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثاني والسبعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٨ — الموافق ٨ رجب سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

عظمة الكون

من كوّن هذا الكون ؟ من سنّ لهُ النواميس التي يجري عليها ؟ ومن يستطيع ان يدرك عظمتهُ ؟ من يستطيع ان يعلم قصدهُ من خلقهِ ؟ كم من ملايين السنين مرَّ منذ كوّن نظامنا الشمسي وجهّزهُ بقوة لا يحدّ العقل مقدارها ، بقوة تمكّن هذا النظام من السير بها والدوران المتوالي ملايين من القرون ؟ ما لنا نحاول ادراك ما يستحيل علينا الوصول اليهِ من اجرام السماء ونحن اعجز من ان ندرك نواميس ما في ارضنا من الكائنات بل ما في بيوتنا من الاحياءِ بل ما في اجسامنا من الاعضاء . كيف يتحول طعامنا الى دم ؟ ان كنت تعلم ذلك فاصنع من الطعام قطرة دم . كيف تنقبض قلوبنا وتنبسط ثانية بعد ثانية مدى الحياة ؟ ان كنت تعلم ذلك فاصنع قلباً ينقبض وينبسط لذاتهِ ولو ساعة واحدة . اي معمل من معامل فورد او كروسلي يستطيع ان يصنع آلة تغتذي من الخبز واللحم وتتحرك دواماً سنة بعد اخرى كما تتحرك قلوبنا . وقس على ذلك افعال المعدة والامعاءِ والكبد والطحال والرئتين والكليتين . . . وما يصدق على جسم الانسان يصدق على اجسام العجماوات كلها حتى النمل والبعوض وما لا يرى منها لصغرهِ . ويصدق ايضاً على انواع النبات والمكروبات . الكون عظيم فلا بدَّ من ان يكون المكوّن أعظم وان تكون قدرتهُ شاملة وعينهُ ترقب مخلوقاتهِ ونحن كلنا عراة لديهِ ظواهرنا وبواطننا

أعظم عظماء العصر

تتوالى القرون وتكرُّ العصور ويصبُّ نهر الحياة في بحار الابدية ملايين من النفوس لا يحفظ من اسمائهم الاَّ عدد قليل ، الواحد منهم بمقام الف بل بمقام الوف. هؤلاءِ هم عظماءُ الزمان من فلاسفة ومعلمين وساسة وقوّاد وروّاد ومستنبطين وكتّاب وشعراءِ . والعمران مدين لهم بما حازهُ من الارتقاء علماً وعملاً فاذا كان ظهورهم خاضعاً لناموس من النواميس الطبيعية فالبحث عنهُ واجب حتى اذا عُرف استطاعت الامم ان تكثر عظماءَها ونوابغها فيزيد بهم تقدمها وارتقاؤها . وهذه هي الغاية القصوى من المباحث الطريفة التي يقوم بها بعض علماءِ النفس في قياس الذكاءِ واختيار النوابغ في حداثتهم على اساس ذلك القياس وتتبّع سيرهم بعد تخرجهم لاثبات صحة الاختيار على ما بيّناهُ في مقالة « مقاييس الذكاءِ » في مقتطف اغسطس الماضي

ولقد شغف الناس من قديم العصور بالبحث عن العظماءِ والمفاضلة بينهم وتدوين سيرهم لان حديث البحث عنهم في زوايا التاريخ حديث شائق يسير فيهِ الباحث والقارئ جنباً الى جنب يتنقلان على اجنحة الفكر والخيال بين عصور التاريخ المتعاقبة وهي تتفتح رويداً رويداً عن ازهار الفكر والعمل التي اثمرت واينعت ثمارها فيما نراهُ في عمراننا الحاضر من العجائب والغرائب

فمن هم عظماءُ العصر الحاضر ? وهل منهم من يخلد اسمهُ في التاريخ لكتاب كتبهُ او لمبدإٍ كشفهُ او لاختراع اخترعهُ او لصورة صورّها او لمملكة بناها فيقرن الى الخالدين في تاريخ العصور ?

لا ريب في ان الجواب عن هذا السؤال صعبٌ ان لم يكن متعذراً لاننا لا نزال مع هؤلاءِ الرجال في غمرات العمران الحاضر لا نعلم حق العلم ما قد يبقى لهم من اثر في رفع بنائهِ . واذا انتخبنا خمسة من كبار المفكرين وطرحنا عليهم هذا السؤال اجاب كلٌّ جواباً قد يختلف عن جواب الآخر . وما ذلك الاَّ لان كلاًّ منهم قد يحسب ناحية من نواحي العمران اكبر شأناً من غيرها . فمنهم من يحسب العلم العملي اعظم ما يمتاز بهِ هذا العصر على غيرهِ من العصور فيجعل اديسن على رأس العظماءِ . ومنهم من يعلي قيادة الجيوش فيختار الماريشال فوش او هندنبرج وهلم جرًّا

رأي اميل لدوغ

وقد اطلعنا على مقالين في هذا الموضوع الاول لاميل لدوغ وهو من نوابغ الكتاب الالمان وقد دعي «كارليل اوربا الجديد» نشرهُ في اثناء الصيف الماضي في جريدة الصندي اكسبرس قال فيهِ: ان الشهرة غير العظمة ولو كان كل شهير عظيماً لكان تشارلي تشابلن اعظم العظماءِ وما ذلك الاَّ لان وسائل المخاطبات واذاعة الاخبار ونشر الدعوى ارتقت ارتقاءً عظيماً يسهل معهُ على اي جمعية من الجمعيات ان تشهر اسم رجل بين ليلة وضحاها. مَنْ مِن قراءِ المقتطف لا يعرف اسم تشبلن وماري بكفورد ولندبرغ ودمبسي. ومع ذلك اي اثر لهؤلاءِ في العمران. اين عظمتهم اذا قيست بالعظمة الخالدة في مباحث مدام كوري ومخترعات اديصن ومذهب اينشطين وكتابات دانزيو وبرنارد شو

وقد كان الناس في العصور القديمة يؤلهون البطل المغوار والقائد الكميّ فكان القوّاد من اشهر مشهوري التاريخ واعظم عظمائهِ. اما اليوم فقد تغيرت اساليب الحروب وصار القائد العام جزءًا صغيراً من نظام متقن الوضع معقد التركيب. من يستطيع اليوم ان يذكر لنا اسماءَ القواد الذين قادوا جيوش الحرب الكبرى الى ساحات الوغى، مع ان اسماءهم كانت على كل الشفاه منذ عشر سنوات قبلما وضعت الحرب اوزارها. بل من يعرف المارشال فوش اذا سار في شوارع باريس مع ان فضل الانتصار في الحرب الاخيرة يرجع الى ذكائهِ ونبوغهِ

ثم انتقل الى رجال السياسة فقال انهُ يعتقد ان اعظم رجال السياسة في هذا العصر هو الاستاذ مازاريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا. فانهُ كان استاذاً حين تصوَّر صورة لشعبهِ وقد استقلّ استقلالاً تامًّا امرهُ الى ابنائهِ يديرون دفة شؤونهِ ويعلون منار آدابهِ ويبرزون مخدرات تاريخهِ من غير سيطرة او رقابة. هذا الاستاذ كان اول من حلم هذا الحلم الخلاّب، وكان اول من وضع طريقة عملية لتحقيقهِ وكان اول من حققهُ. فهو بانٍ من بناة التاريخ، ورجال السياسة البناة قلائل في هذا العصر. ولعل موسوليني احدهم. ولكنهُ لم يصل بعد الى غايتهِ في الرواية التي يمثلها في ايطاليا

وبعد ذلك انتقل الى رجال الفنّ فقال انهُ لا يرى بينهم رجلاً واحداً يصحّ ان يوضع في مصاف العظماءِ الذين تحلى بهم جيد التاريخ في عصورهِ المختلفة كرفائيل وانجلو وده ڤنشي وبيتوڤن وغيرهم. ولكنّ في فئة الكتّاب كاتباً هو في الحقيقة « ڤولتير

القرن العشرين» يريد بهِ جورج برنارد شو الكاتب الانكليزي الارلندي الاصل وقد دعاه مدير جوقة شكسبير التي قدمت القاهرة في نوفمبر الماضي «بشكسبير القرن العشرين»

على ان لدوغ يرى ان العظمة في هذا العصر هي للعلم — العلم النظري والعلم العملي وفي ذلك يرى اينشتين واديصن اعظم عظماء العصر . ويدور حولهما كما تدور السيارات حول الشمس اعلام العلم في مختلف الامم كبوهر ورذرفورد ومدام كوري وماركوني وارهينيوس وپلانك وطمسن وريط وغيرهم

راي لورد اكسفرد

نظر لورد اكسفرد الى المسألة نظر انكليزي فذكر من رجال الادب والتأليف برناردشو مؤلف روايات تمثيلية . هربرت ج . ولز كاتب ومؤلف روايات . توماس هاردي شاعر ومؤلف روايات . رديرد كبلنغ شاعر ومؤلف . السر جورج تريفليان مؤرخ . لورد هلداين مؤلف فلسفي النزعة . السر جيمس بري مؤلف روايات تمثيلية ويحسب من صف برناردشو مع اختلاف في الاسلوب والنزعة الفكرية . السر جيمس فريزر مؤلف وباحث . لورد بلفور مؤلف فلسفي النزعة . روبرت بردجز شاعر العرش البريطاني . ارنولد بنت مؤلف روايات

ولا نعلم لماذا اغضى لورد اكسفرد عن ذكر ييتس الشاعر الارلندي الذي نال جائزة نوبل للاداب منذ بضع سنوات مع ان كثيرين من الذين ذكرهم لم ينالوا هذا الشرف

ثم انتقل الى فئة العلماء فذكر الانقلاب الحديث في قواعد الطبيعيات وبناء المادة وقال ان السر جوزف طمسن والسر ارنست رزرفورد اعظم علماء العالم اثراً في احداث هذا الانقلاب. فالاول اكتشف الكهرب (الالكترون) والثاني وضع قواعد المذهب الجديد في بناء المادة . ومن علماء الانكليز الذين يحسبون في المقام الاول بين علماء العصر السر اوليفر لدج والاستاذ ادنجتون استاذ الرياضيات في جامعة كمبردج وهو من الرياضيين الممتازين ومن اكبر انصار مذهب اينشتين . والاستاذ استُن صاحب المباحث المشهورة في النظائر « ايسوتوب » والاستاذ جينز العالم الفلكي المشهور

وقسم لورد اكسفرد الخطابة الى ثلاثة انواع فقال: ان الخطابة في الكنائس قد انحطت انحطاطاً ظاهراً والوعاظ الذين يجذبون الناس الى سماع عظاتهم صاروا نادرين يستثنى من ذلك «الدّين» رالف انج Inge راعي كنيسة مار بولس بلندن والدكتور هنسن . قال :

وكان لورد فشر امير البحرية الانكليزية من اكثر الناس مواظبة على حضور الوعظ ايام الاحاد وقد روي عنهُ انهُ كان يذهب الى ثلاث كنائس مختلفة في يوم احد واحد لسماع الوعظ. فلو انهُ بُعث حيًّا الآن لكان قلّل الذهاب الى الكنائس لقلّة الوعاظ البارعين

اما الخطابة في المحاكم من نوع خطابة ديموستينوس وشيشرون فقد تغيرت بحكم الطبع لان المحامين في العصور القديمة كانوا يضحون بمصالح موكليهم على مذبح البراعة في الخطابة وصار نجاح كثير من القضايا الكبيرة رهن البحث والتحقيق ودقة التحليل وتقديم الادلة وذكر السوابق لا فصاحة النطق وقوة المعارضة

اما الخطابة في البرلمان فميدان واسع لاصحاب هذه الموهبة . وعندهُ ان هذا النوع من الخطابة قد بلغ اوجه في عصر پت وبرك وفوكس وشريدان

قال : وحين انظر في اسماء الخطباء في مجلس النواب لا ارى رجلاً بلغ الرتبة الاولى بين الخطباء الاّ ونستن تشرشل . اما بلفور وبركنهد فقد انتقلا الى مجلس اللوردات حيث يقل لمعان السيوف في المناقشات السياسية . ومن اغرب الظواهر في برلماننا ألاّ نجد خطيباً من حزب العمال بلغ الرتبة العليا بين الخطباء مع ان المفهوم ان كثيراً من نجاح حزب العمال عائد الى اقناع الجماهير بصحة مبادئهم

اما رجال الاعمال كرجال السياسة والادارة وقواد الجيوش وامراء الاساطيل ومديري البنوك واصحاب الصناعات الكبيرة فاننا لا نجد بينهم اشخاصاً متفوقين بحيث يسيطرون على غيرهم وذلك اذا استثنينا الحاكمين بامرهم في ايطاليا واسبانيا وروسيا . يريد بذلك موسوليني وبريمو ده ريفيرا ولنين. اما لنين فقد توفي وترك الزعامة في روسيا نهباً مقسماً بين المتطالين اليها يستحلون في سبيلهِ كل حرام والظاهر ان الحزب الذي يديرهُ ستالين قابض الآن على مقاليد الامور هناك

نقول : ولو نظر لورد اكسفرد نظرة عالمية في الاجابة عن السؤال الذي وجّه اليهِ لاضاف الى الاسماء التي ذكرها دانزيو وبرندللو الايطاليين ورومان رولان الفرنسوي ونوت همسن النروجي وهوپتمان ومان الالمانيين من رجال الادب. ولذكر بوهر وپلانك ومدام كوري واديصن وماركوني ونوغوشي وبرانلي وارهينيوس وملكان بين رجال العلم. وبرغسن وديوي بين رجال الفلسفة. وفُزْدِك الواعظ الاميركي وبوانكاره وبريان وسعد زغلول بين الخطباء. وفورد وركفلر بين رجال المال والاعمال المتفوقين. ومازاريك ومصطفى كمال بين رجال السياسة البناة

حكاية أمّ عصرية

[كاتبتان من اميرات الكتاب في الغرب والشرق تعالجان في هذا المقال مشكلة من ادق المشكلات الاجتماعية العصرية . ألا وهي مشكلة امرأة من بنات هذا العصر المتنور ، في طبيعتها ذلك الدافع الفطري القوي يدفعها الى السكون في كنف الحب وطلب البهجة والسعادة عن طريق حفظ النوع — ولكنها مع ذلك نزاعة الى الحرية في ظل رجل كريم يحترم لها رأياً ويرعى لها كرامة . فماذا تفعل اذا قلب لها الدهر ظهر المجن فلا هي تنعم بالحب ولا بالكرامة الموفورة ثم يزيد الدهر عنداً وعتواً فيسلبها ولدها الذي غذته بدمها وانفقت في تعليمه « احر اعوام شبابها » — ماذا تفعل . طالع أيها القارىء هذا المقال فان فيه من الشعور الدقيق والقول المحكم ما يشجي النفس ويغذي العقل معاً — المقتطف]

نعتُ الأُمّ بالعصرية قد يحتاجُ الى شيءٍ من الشرح . إذ يقولون : ان المرأة كانت دائماً في صميمها كما هي اليوم . فقد خرج من جنسها النسوي أرقى الامهات وأفضلهنّ وأرشدهنّ وأوعبهنّ لمعنى الامومة المقدسة وواجبها . كما خرجت من الجنس نفسهِ الامهاتُ الجاهلات المهملات الشريرات اللائي كنّ عنصر الغمّ والشقاء والانحدار في حياة أبنائهنّ

وهذا صحيح من حيث الغريزة النسوية الاصلية . على أنّ المرأة تطوّرت في ثقافتها وإدراكها وعواطفها عن طريق تطوُّر العالم ، وأحوالها اليوم غيرها بالامس ليس بمحض اختيارها وهواها بل بحكم الاحوال القاهرة . فبعد ان كانت في الماضي مضطرة إلى السكنى في بيت أبيها أو زوجها تراها الآن وفي مقدورها أن تكون ذات منزلٍ خاص ، وعملٍ خاص ، ومكانةٍ تنالها بفضل جهودها وشخصيتها لا بفضل نسبها وثروة اسرتها . ومن هذه الحالة الجديدة تولّدت افكارٌ جديدة ومسؤوليات جديدة في المرأة العصرية أمّاً وزوجة وعازبة

وتقدّمت الكاتبة الفرنساوية « كوليت » ببطلةٍ من هذا الطراز في روايةٍ صدرت قبل الحرب . وتأثّرتها فئة من الكتاب والكاتبات فوصفوا فتياتٍ ونساءً من اهل الطبقة المتوسطة (bourgeoisie) عانينَ مشقة العراك بين التقليد الموروث

في جماعتهنّ وبين مهماز الحياة يسوقهنّ الى الاستقلال في الشؤون ، والاتكال على النفس ، واستثمار ما لديهنّ من موهبة او مهنة . الاّ انهنّ كنّ المستثنى يومئذٍ بين جمهور الفرنسيات المستسلمات لعادات قومهنّ ، مهما قضى ذلك الاستسلام على آمالهن ومهما ضيّق من جوّ حياتهنّ

اما الآن في الروايات كما في الواقع ، تراهنّ موفورات العدد اولئك الحسان المطلّقات ، والارامل الحديثات السنّ ، والعاشقات المهجورات ، والفتيات الممتازات بثقافتهنّ وجاذبيتهنّ ، اللائي تضطرهنّ رقة الحال في اسرتهنّ إلى الجهاد والعمل منذ خروجهنّ من المدرسة ، لكسب قوتهنّ كالشاب سواء بسواء . وفواجع الكدّ والعناء تظلم حياتهن ،وتذيب مرائرهنّ وسط الحمى الباريسية ، وهنّ بعد في ذلك العمر الذي تشعر فيهِ المرأة بالحاجة الى يدٍ قوية تُدير شؤونها ، وإلى قلب رجلٍ تركنُ اليهِ فيكون لها الملجأ والمعين

في هذا العمر وهذه الحال ، قدّمت لنا الكاتبة الفرنساوية « سيمون ماي » بطلة روايتها المؤثرة المدعوة « صغيري » (Mon petit) لان تلك البطلة ، واسمها آني ، كانت امًّا . وحول نعمة الامومة وشقوة العواطف يدور موضوع هذا الكتاب المفعم ألماً وحياةً وصدقاً

***

ليست آني بالنفس الضعيفة والكائن الغبيّ المغرور . ولا هي تلك « الانثى » المتخنّثة شأن فئة من النسوة الضيقات الادراك الركيكات العواطف في مختلف المراتب . ولا هي من اولئك الطائشات الدعيّات المتخذات كلمة « تحرير المرأة » اداةً لاشباع الاطماع ، والجري وراء الملذات والملاهي من قاعات الرقص والسمر إلى موائد الميسر واللائي يظنهنّ البعض كلّ المرأة العصرية

بل هي كانت طرازاً نبيلاً امثل من نساءِ اليوم . ورغم رقيها الفكريّ والخلقيّ كان يلجّ بها « ظمأ الحب » . لان الحاجة الى عذوبة الحنان والاحتماء في كنف رجل محبّ ذكيّ لا تتلاشى (كما يظن كثيرون) في نفوس النساء الموهوبات ذوات القدرة العقلية والشجاعة الادبية والكرامة الشخصية . بل ، على النقيض ، قد يكنّ اشدّ بنات جنسهنّ شعوراً بتلك الحاجة التي هي نتيجة تكوينهنّ الجسدي ووراثتهنّ النسوية الطويلة

— « بنات جيلي ، تقول آني ، يطمعن في ان يكنَّ اكثر واشرف من ادوات للتوليد »

على ان هذا القول لا يمنعها من ان تكون خير الامهات

وقد بدأت آني حياتها بغلطة فادحة ، وهي الزواج الباكر . . والمرأة التي تنشد في الرجل صديقاً وشريكاً لا سيداً قلَّما استطاعت في سنّ التاسعة عشرة ان تميز بين السيد والطاغية . تزوَّجت دون رغبةٍ بل بمحض عامل « التلاؤم الاجتماعي ». وتلك المرأة الودودة العطوف الصريحة الشجاعة ، حملت الى منزل زوجها مع اثواب العرس العزم الصادق على ان تكون لهُ رفيقةً صالحة ، و« اخاً نسويًّا » مخاصاً . والحب ? كلاَّ لم يكن في قلبها ذرَّةٌ من الحب ، ولكن شيءٌ باهظ من « جوع الحب »

ولو كانت اكبر سنًّا او اوسع خبرة لاستطاعت الوقوف على عيوب هذا الرجل وخشونتهِ قبل الزواج ، ولكانت ادركت انها لن تحتمل الحياة معهُ متغاضية عن عيوبهِ الاَّ اذا احبتهُ او كانت على كثير من الايمان والتقوى . وآني كانت ابنة جيلها في الارتياب الدينيّ كما ان الحب لم يكن يدفعها نحو زوجها

ولم تكدْ تمرّ الايام الاولى على زواجها حتى أَلمّت آني بكلّ ما كان عليها ان تعرفهُ خلال الخطوبة . عرفت خلق زوجها وعرفت انها « لن تحتمل » . وقد زاد في شعورها ذاك ان زوجها لم يكن ينظر اليها كمثيلة وشريكة ، ولم يعاملها معاملة العطف والحنو . كان شغوفاً ولكن بجمالها ولم يتخيَّل ان وراء الهيكل الجسديّ فكراً وقلباً وعواطف. بل انكر ذلك صراحاً وأذلَّها فيما كانت تحسبهُ أنفس ما لديها ، وجاهر — كثيفاً — باحتقارهِ للمرأة التي تزعم انها تطمع في غير الجمال الجسديّ وإرضاء الرجل عن سبيلهِ . وان منتهى ما يجب ان تصل اليهِ من الافكار هو انها اداة للمسرات ووسيلة للتوليد

لم يكن يفتهُ في خشونتهِ وكثافتهِ ، ألمها وحبوط آمالها . فكان يروقهُ ان يُخضع هذه الضحية الممتازة بين « قطيع النساء » والتي كانت أعزَّ نفساً من ان تبثّ الشكوى أو ان تفرّج من كربتها بالبكاء . وانقضت ثمانية شهور وهي تظنُّ ان الوقت والعادة يخفّفان من نكدها وشقوتها ، بيد أنها غدت ثائرة على هذا الرجل متمردة على حكم القدر

ألا ليتها حرَّةٌ تمضي الى باريس فتعمل للارتزاق و لقُوت العقل وإنماء الشخصية إنماءً تعرف انها ذات استعدادٍ لهُ ! بل ليتها فكَّرت في ذلك قبل هذا الزواج

الاخرق ! ليتها فكَّرت ان السعادة أيسر ما تكون في الحياة الزوجية ، ولكن مع الزوج الذي لا يسهل دائماً الاهتداء إليهِ لمن هي ذات نفس كنفسها المتوهجة المشتاقة !

***

هنا يباغتها طارئ غير منتظر . إذ تمرض والدتها وتشرف على الموت . فتسارع إلى خدمتها وتمريضها وتحيطها بجميع مظاهر الحب والحنان . وفي ابان ذلك تدرك حقيقة أليمة وهي أنها في طريق . . . الامومة

فماذا عساها تصنع الآن هذه المرأة ابنة جيلها المثلى بيقظة النفس وشبوب الفكر ورقة القلب ، وفي الوقت نفسه سليلة امهات وجدَّات ضحَّين بحياتهن كلها في سبيل الولد وهنَّ لا يعرفن معنى الشخصية المستقلة ،واستسلمن دون مناقشة لقيد الاستمرار فكنَّ « عبدات للرجل وأسيرات قانون الزواج الذي لا يرحم » ؟

آني المتمردة على ذلك الزواج الممقوت ، تُصبح حيال الامل الجديد إنسانةً متبصرةً وجيعة . تشعر بارتباطها بالكائن الصغير المخبوء بين جوارحها ، الذي أيقظتهُ للحياة دون التماس منهُ ودون علم منها أو رغبة . تشعر بأنها مسؤولة ليس عن حياتهِ الجسدية فقط ، بل عن حياتهِ الادبية خصوصاً . وبأنها هي الوالدة عليها ان تكون للصغير « امًّا » بأصدق معاني الامومة وأنبلها

أتعود إلى زوجها ؟ إذاً سيسيطر ذلك الرجل الفظُّ على الحياة البريئة الجديدة ، ويحيطها بجوٍّ من كثافتهِ وحماقتهِ ، ويطبعهُ بطابعهِ المشؤوم ، وينشئهُ نشأةً لا يدرك عقلهُ المشوَّه السقيم ما فيها من المفاسد والسيئات . سيعدُّ الطفل ليكون نسخة أخرى منهُ . . . إذن ما العمل ؟

أتسعى إلى الطلاق ؟ إنَّ في الطلاق حلاً لقيدها ولكن فيهِ كذلك الحرمان من صغيرها الذي ينتزعهُ منها القانون بقوتهِ القاهرة ليضعهُ تحت رحمة والدهِ ويطلق يدهُ في تربيتهِ وتنشئتهِ .ما الحيلة إذن ؟ واذا بخاطرةٍ تفاجئها : ليس امامها إلاَّ الهرب ! أجل الهرب بهذا البرعم الانساني الذي يجهل زوجها وجوده . الهرب ليكون طفلها لها ولنفسهِ وللحياة الحرَّة الصالحة الجميلة . فتحملُ حلاها وكميةً من النقود ورثتها عن والدتها وتتوجَّه إلى باريس لتضيع بين الالوف فيها والملايين . وفي تلك الحالة الفسيولوجية التي تستدعي الرفق والوقاية وعناية المحبين ، تعيش آني وحدها في

غمٍّ وتقتير ، وتنفق من صحتها وشجاعتها لتضمن لولدها القوت والحرية . . .

***

كنْ كما شئت قويَّ الارادة ثبت الجنان ، ان الدموع سترطب جفنيك غير مرةٍ وانت تساير هذه المرأة في حياتها الباريسية إذ هي تجدُّ في طلب العمل فلا تاقى إلاَّ الخيبة المتكررة والهزيمة اللاجّـة، وإذ هي تبكي يائسة بين جدران غرفتها الحقيرة ،وإذ تقاسي آلام الولادة وحدها في المستشفى دون وجه صديق ينحني عليها ، او نظرة شفيقة تخفف من بلواها . وإذ تعود إلى السعي والجدّ فتراها بائعةً في مكتبةٍ قديمة ، ثم عاملةً في تجليد الكتب بالاشتراك مع صديقة لها . ثمَّ مستشهدةً بالحبّ الوجيع اليائس— الحبّ الاول ! — الذي تغالبهُ وتضحي بهِ لاجل طفلها. ثم عاملةً ليل نهار لتقدم لطفلها حاجتهُ . ثم مهزومةً مرةً اخرى بخداع « صديقتها » التي سلبتها كلَّ ما تملكهُ . وهي التي كانت بالامس من ربات الملاحة والكياسة والاناقة ، تمرُّ اليوم أمام نافذة دكان فتستوقفها هيئتها المنعكسة في مرآةٍ صقيلة قاسية فاذا بها :

« قدٌّ نحيل سقيم يكسوهُ ثوب قاتم في الاصل ولكنهُ بهت بتتابع الاستعمال وإذ تقع عليهِ اشعة الشمس يبدو كالحاً أغبر . وحذاء يظهر التشقق في مختلف نواحيهِ . وبشرة تحدّث عن شعاع المصباح الاخضر الذي ينير المكتب الذي تشتغل الآن فيهِ ، لان ذلك المكتب مظلم حتى في رابعة النهار . لم تكن تنتبه قبل هذه المرة لتبدل هذا الوجه ، وجهها ، حيث دلائل التعب تقضي على محاولة الابتسام .هذا وجه عابس متكمش ، وجه اللاني ينكد عيشهنَّ الغمّ والهمّ في عمل محتوم متواصل. يعملن في الخارج لكسب القوت ، ويقمن في الداخل بكل ما يقتضيهِ المنزل من خـدمة وتدبير وتقتير . ذلك العمل الآليّ الذي لا اختيار فيهِ ولا لذة ، الذي يجعل الذكاء بلادة اذ يلتهم القوى ، ويقضي على الملاحة ، ويحوّل الشباب الى شيخوخة باكرة . . . »

لم يكن لديها حتى ولا الوقت الكافي لمعاشرة ولدها والاشتراك في العابهِ والتمتع بقبلاتهِ . لان ساعات راحتها كانت قليلة لا تقوم بمقتضيات مزاجها واعصابها .ولم يكن الصغير يراها الاَّ منهمكة ، كئيبة ، معرضة عنهُ . هي التي كانت تنتحر انتحاراً لاجلهِ، لانهُ املها الوحيد في العالم وعلاقتها الفردة بالحياة ...

***

في تلك الحالة الـكئيبة — وقد جاز ولدها السنة العاشرة — يفدُ اليها رسول

يخبرها بأن زوجها علم بحالتها ومقرّها وبأن هذا الولد ولده . فيريد ان يستقدمهُ اليهِ ليعنى بتنشئتهِ على ما تقتضيهِ مكانتهُ الاجتماعية وينيلهُ حظهُ من الثروة وعيشة الهناء والرخاء. وعلى ذلك فهو يطالب بولدهِ ويطلب الطلاق منها ليتسنى لهُ الزواج من غيرها

... الا ان القدر اقدر من شجاعة الشجاع ! آني تعلم ذلك لانها رغم جهدها وتضحيتها ، لن تفلح في ان تجعل هذا الولد اكثر من عاملٍ بسيط ، وتصارح نفسها بانها لا يجوز لها ان تسقطهُ من مرتبتهِ وتقضي عليهِ بالفقر والحرمان ... فماذا هي فاعلة تلك الام التي عاشت لولدها أحرَّ أعوام شبابها ؟ اتكابر وتتمنع وتحرم الصغير مما قد يلومها عليهِ في المستقبل ، ويمقتها لاجلهِ ؟ أم تسلّمهُ فتُحرم هي منهُ ولا تراهُ إلاَّ في مواعيد معيَّنة ولحظات معدودة كأنهُ شخص غريب عنها ؟ تفكّر طويلاً وتفكّر كثيراً فتعزّي نفسها بأنها طبعت ولدها بطابعها في عمرٍ يستبقي تأثراته مدى الحياة فلا يتغلب عليها طابع آخر . . . وتدرك ان واجبها المباشر في الاذعان ... فتذعن . . .

وماذا عساها تصنع الآن وقد انتُزع منها الامل الوحيد وانحلَّت الرابطة التي تصلها ببني جنسها ؟ أتنتحر ؟ قد يعمد إلى ذلك بعض أبطالِ الروايات ونفرٌ من مخذولي القدر — أحياناً . ولكن آني انسانة حيَّة ، لا بطلة رواية فحسبُ، وامرأة شجاعة نبيلة رغم الخيبة والانكسار

إنَّ المرأة التي لا تزال شابَّة مليحة ذات قلبٍ رحب الجوانب ، وثاب النزعات وذات ذكاء نادر ونفس كثيرة الخوالج ، طموحاً إلى شرب كأس الحياة والسعادة ، تلك المرأة التي لا عائل لها ، ولا ملجأ ، ولا منزل ، وقد انتُزع منها وحيدها — يبقى لها ما قد يباغتها بهِ الحظّ المجهول

تيّارٌ قويٌّ جديد من بحر الحياة يبتدرها ، فهل في مقدورها ، هي المنفردة الحزينة الشقيَّة ، ان لا تستسلم لهُ طالبة التعزية والمؤاساة ... أو على الاقل النسيان ؟

***

هذا هو الكتاب الحيّ المؤثر الذي شغلت مطالعتهُ ساعات من اسبوعي هذا الواصل بين الخريف والشتاء . فتعرفت فيهِ الى كاتبة شابة بارعة وصفت بحذق وصدق وفنّ طرازاً وجيعاً من نساء اليوم ومظهراً حقّاً من طغيان الاقدار ورأفتها في مدّ الحياة وجزرها . . .

« ميّ »

مركوني يتكلم : فماذا يقول ؟

رأيهُ في حاضر اللاسلكية ومستقبلها

يقال—والعهدة على القائل – ان ماركوني هبَّ الى استنباط التلغراف اللاسلكي لانهُ مُنع من مخاطبة فتاة كان يهواها وهو في التاسعة عشرة من عمرهِ لما كان يطلب العلم في جامعة بولونا، فحاول ان يبتكر طريقة لمخاطبتها من غير ان يخشى واشياً او رقيباً ففاز بامنيتهِ . ولما سئل في ذلك اجاب « اردت ان اتخاطب مع بعض الناس الذين لم تسعني مخاطبتهم الاَّ كذلك » ولم يزد

لله درُّ تلك الفتاة ! انها شرارة الطبيعة التي اضرمت في عقل مركوني نار نبوغهِ الكامن فنفح الحضارة بهذا الاستنباط العجيب وفتح باباً جديداً ولجهُ المستنبطون وراءهُ فحققوا المعجزات .حبذا لو عُرف اسمها، اذاً لخلد في تاريخ العلم، خلود بياتريس موحية الشعر والحكمة الى دانتي ، في تاريخ الآداب

ويقال ايضاً انهُ لما فاز مركوني في نقل اشاراتهِ اللاسلكية من انكلترا الى اميركا في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ نشرت الصحف نبأ هذا العمل العجيب فقوبل بما لا مزيد عليهِ من الريبة حتى ان اديصن نفسهُ قال « لا اصدّق ما يروى »والمخترع ده فرست كان كذلك شديد الشك في صحتهِ مع انهُ كان يعالج مسائل اللاسلكية حينئذٍ . فعاد مركوني ونشر بامضائهِ رسالة موجزة ايّد فيها ما روتهُ الصحف فلما اطلع عليها اديصن قال « اصدّق الآن . ولا اشكُّ في ان مركوني سينجح في توسيع نطاق ابتكارهِ . العمل عظيم ومركوني مستنبط مبدع »

كان هذا منذ ٢٦ سنة . اما الآن فان وزارة التجارة الاميركية تقدر عدد الذين يصغون الى ما يذاع من المحطات اللاسلكية في انحاء العالم بنحو ٩٠ مليون شخص . وقراء المقتطف يعرفون ان التلفون اللاسلكي البعيد المدى صار امراً واقعاً يسير في اثرهِ نقل الصور الفوتغرافية والرؤية عن بعد والرؤية في الظلام ونقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا . ومع ذلك يقول العارفون اننا لانزال في فاتحة عصر جديد تتناول فيه الكهربائية اللاسلكية كلَّ فرع من فروع العمران وكلَّ عمل من اعمال الحياة. فماذا يكنّهُ المستقبل القريب من العجائب والغرائب؟ لا شك ان لماركوني الحقَّ الاول في الكلام.

وقد تكلّم فاقتطفنا ما يلي من كلامهِ نقلاً عن مجلة الستردي ايفننج بوست الاميركية

كانت الغاية الاولى من المباحث اللاسلكية ولا تزال ابتكار طريقة للتخاطب . وقد كانت هذه المخاطبات في البدء مبنيّة على اشارات مورس التلغرافية فكان ما يُعرف الآن بالتلغراف اللاسلكي او الاثيري . ثم ثبت انهُ في الامكان نقل الصوت الانساني على أجنحة الامواج اللاسلكية فتحقق بذلك التلفون اللاسلكي، وتفرع عن التلفون اللاسلكي بناءُ المحطات الكبيرة تذاع منها الخطب والعظات والقصص والاغاني والاخبار والموسيقى وما اليها . ثم تمكن المستنبطون من ابداع ما يمكّن المسافرين على متن باخرة ان يخاطبوا من عرض البحر اصدقاءهم او عملاءهم المقيمين على اليابسة. وتلا ذلك استعمال الاجهزة اللاسلكية لمعرفة اتجاه البواخر والطيارات ولتسيير بعض الآلات عن بعد . وكان نفر منهم يشتغل في ابتكار طريقة لنقل الصور الفوتغرافية ففاز بذلك على اساليب مختلفة وتلا نقلَ الصور نقلُ الرسوم الهندسية وخرائط الظواهر الجوية وصور الكتابة نفسها . واحدث فروع البحث اللاسلكي هو السعي لتحقيق الرؤية عن بعد ونقل القوة الكهربائية من غير اسلاك

ثم تطرق السنيور مركوني الى ذكر تجاربهِ في ابتكار نظام البيم الذي توسعنا في وصفهِ في اجزاء المقتطف السابقة وخلاصتها ان محطات الراديو الاميركية والاوربية تستعمل امواجاً لاسلكية طويلة في نقل الصوت يتراوح طول الموجة منها بين مائتي متر و٦٠٠ متر في المحطات الصغيرة ويبلغ ثلاثة آلاف متر او اكثر في المحطات الكبيرة التي تتولى ادارة المخاطبات اللاسلكية التلفونية والتلغرافية بين اوربا واميركا . وقد كان ميل اصحاب هذه المحطات الى زيادة طول الموجة لزيادة وضوح الرسائل التي تحملها . ولا يخفى ان الآلات التي تبنى لتوليد الكهربائية التي تبعث هذه الامواج في الفضاء كبيرة النفقة وعلى هذا ترى ان دقيقة واحدة من المخاطبات التلفونية اللاسلكية بين انكلترا والولايات المتحدة تكلف ١٥ جنيهاً

قال : خطر لي سنة ١٩١٦ ان اجرّب استخدام الامواج اللاسلكية القصيرة التي يقلُّ طول الموجة منها عن مائة متر فلقيت في هذه التجارب نجاحاً فاق ما كنت اتوقعهُ . ووجدت ان القوة الكهربائية اللازمة لتوليد هذه الامواج واذاعتها في الفضاء صغيرة قليلة النفقة لا تذكر ازاء القوة الكهربائية التي يعتمد عليها في المحطات الكبيرة ونفقاتها الطائلة

وعدت الى مباحث هرتز فوجدت ما يثبت ان الامواج اللاسلكية يمكن عكسها كما تعكس امواج النور فاتجهت الى امتحان ذلك في مباحثي فثبت لي انهُ اذا استخدمنا عواكس تعكس الامواج اللاسلكية لدى صدورها من محطة الارسال استطعنا من ان نوجهها في جهة واحدة كأنها نور مصباح كشاف فيمكن كتمانها عن كل المحطات التي لا تكون في سبيل هذا النور وتزداد بذلك وضوحاً وجلاءً

هذه هي الاركان التي يقوم عليها نظام البيم وعندي انها الاركان التي لا بدَّ ان يقوم عليها كل تقدم جديد في المباحث اللاسلكية وتطبيقها على مقتضيات العمران

وقد رغبت الينا الحكومة الانكليزية في انشاء محطات لهذا النوع من المخاطبات اللاسلكية بين انكلترا وولاياتها الحرَّة في السنتين الماضيتين فحققنا رغبتها والامواج التي نستعملها في المخاطبات بين لندن واستراليا الآن لا يزيد طول الموجة منها على ٢٦ متراً . وقد تمكنّا من ارسال اشارات لاسلكية الى اليابان بقوة كهربائية لا تزيد على خمس كيلو وط او ما يكفي لانارة خمسة مصابيح كهربائية عادية مع ان القوة الكهربائية اللازمة المخاطبات التلفونية اللاسلكية بين اوربا واميركا بالامواج الطويلة لا تقلُّ عن الف كيلو وط . فيتضح لك مما تقدم تفوّق النظام الجديد المبني على استخدام الامواج القصيرة على النظام القديم . والقوة التي نستخدمها في المخاطبات الامبراطورية لا تزيد على ٢٠ كيلو وط ثم تقوَّى ١٠٠ ضعف باستخدام العواكس ، ونستطيع ان نرسل بها من ٢٥٠ كلمة في الدقيقة الى ٣٠٠ كلمة . ولما كانت محطة الاستقبال غير محطة الارسال ففي الامكان ان نرسل ٢٥٠ كلمة وان نستقبل مثلها في دقيقة واحدة

فاذا نظرنا الى السرعة والوضوح وقلة النفقات وجدنا ان نظام البيم يفوق التلغراف السلكي واللاسلكي المبني على استخدام امواج طويلة . اما من جهة كتمان الرسائل فلا يزال التفوق فيه للتلغراف السلكي

هذا بيان موجز للاتجاه الجديد في المباحث اللاسلكية . فماذا ينتظر ان يبنى عليه في المستقبل القريب من المخترعات التي قد يكون لها اثر في العمران ؟

يرى ماركوني ان استعمال نظام البيم في المخاطبات اللاسلكية يؤدي حتماً الى رخص اجورها فيزيد انتشارها . ولا ينتظر ان تحلَّ محلَّ المخاطبات بالتلغراف العادي في بلدان متجاورة في قارة واحدة كبلدان اوربا التي يربط احدها بالآخر شبكة من الاسلاك التلغرافية ولكنها لا بدَّ ان تعمَّ القارات والبلدان المترامية الاطراف القليلة

العمران كاسيا وجنوب اميركا وافريقية حيث يتعذرمدّ الاسلاك التلغرافية من غير نفقات كبيرة . وقد لا تنقضي سنة قبلما نرى تعديلاً جديداً في المخاطبات التلغرافية اللاسلكية يزيد سرعتها زيادة كبيرة . ذلك ان ارسال الصور الفوتغرافية لاسلكيًّا اصبح امراً مطروقاً في الصحافة الاوربية والاميركية فمتى اتقنت وسائل هذا الأرسال صار في الامكان ارسال صورة « رسالة » دفعة واحدة كما ترسل صورة فوتغرافية بدلاً من ان ترسل كلماتها كلمة كلمة . وغني عن البيان ان هذا يزيد سرعة الارسال ويقلل نفقاته . فيصبح حينئذٍ نظام مورس التلغرافي في خبر كان وتصير اجرة التلغرافات تقاس بالسنتمتر المربع لا بالكلمة

ولا بدّ من ان تتقن طرق الرؤية عن بُعْد وهي تختلف عن نقل الصور الفوتغرافية اختلافاً بيّناً لانها تنقل الحوادث كما هي فيستطيع قوم في القاهرة ان يجلسوا في نادٍ ويشاهدوا على لوحةٍ امامهم سباق الخيل في دربي او تتويج ملك من الملوك او ملاكمة بطلين من ابطال الملاكمة وهلمّ جرًّا . وعندي ان صنع آلات صغيرة يستطيع الفرد العاديّ ان يشتريها بقليل من المال ويستعملها في بيتهِ امر غير قريب التحقيق قريباً . على ان شركات السنما قد تشتري آلات كبيرة منها وتقيمها في دور الصور المتحركة فاذا جاء الجمهور ليشاهد الصور المتحركة شاهد حقيقة ما هو جارٍ في مختلف انحاء الارض مشاهدة العين . وبدلاً من ان يرى رواية مثلت وصوّرت في هُليوُدْ باميركا قبل سنة أو سنتين يستطيع ان يرى ما يمثل على مراسح لندن وباريس ونيويورك وبرلين من الروايات المختلفة . ان تاريخ الاستنباط واحد لا يتغير يُكشف المبدأ اولاً ثم يخرج الى حيز العمل ثم تتعهدهُ الايدي والعقول فيتقن فتظهر لهُ فوائد عامة فيقبل اصحاب المعامل على صنعهِ فيرخص ويعمّ

ومن الفوائد الكبيرة التي ينتظرها السنيور مركوني من الراديو القصير الامواج استعمالهُ في معرفة اتجاه البواخر في البحر والطيارات والبلونات في الهواء . وقد أُستعمل مراراً لهذا الغرض قبلاً . فلما طار الطيارون الاميركيون من سان فرنسسكو الى جزائر هوايي في الصيف الماضي كانوا يضبطون اتجاههم وموقعهم بما يرد عليهم من الانباء اللاسلكية من سان فرنسسكو . قال : لست طيّاراً ولا خبرة لي في شؤون الطيران ولكني ارى ان انتظام السفر الجوّي بين اوربا واميركا يتوقف الى حدّ بعيد على اتقان استعمال الراديو لمعرفة مكان الطيارة واتجاهها ومجال البحث في هذا الموضوع متسع جدًّا

وينتظر التوسع في استعمال الراديو لادارة الآلات عن بعدٍ. فقد نجح المسترجون هايزهمند بادارة السفن عن بعْد بواسطة امواج لاسلكية. وثبت انهُ في الامكان ادارة الطيارات والسيارات كذلك . وقد صنع حديثاً احد المستنبطين الاميركيين جهازاً غريباً في بابهِ يتأثر بامواج الصوت على اختلاف قوتها فتدار فيهِ آلات صنعت لتعمل عملاً خاصًّا وبعد ما تم الآلات عملها تبين الآلة بطريقة ميكانيكية ما تمَّ فيها. فمجال الاستنباط والابتكار في هذا الميدان غير محدود. ويراد بالتحكم في ادارة الآلات عن بعْد احداث تأثير خاص في الآلة بواسطة الامواج اللاسلكية فتتحرك الآلة من نفسها حينئذٍ تحت هذا التأثير . ولكن اذا تمَّ نقل القوة الكهربائية من غير اسلاك كما تنقل الموسيقى والصوت البشري الآن صار في ايدينا قوة غير محدودة . والمباحث الآن جارية على قدم وساق في هذا الموضوع وقبل التقدم فيهِ يجب ان يهتمَّ الباحثون باتقان نظام البيم واول ما يجب اتقانهُ هو استنباط عواكس تعكس الامواج الكهربائية في شعاعة متوازية الجانبين فلا تنتشر في كل الانحاء بعد خروجها من مصدرها انتشاراً يضعف قوتها . وقد ثبت ان القوة التي تصدر من مرسل لاسلكي يُفقد اكثرها في السير بالفضاء فلا بدَّ من اتقان وسائل الارسال حتى لا تفقد الامواج اكثر قوتها كذلك . فاذا تمكن الباحثون من حلّ هاتين المسألتين على وجهٍ صحيح صار في الوسع ارسال القوة الكهربائية لاسلكيًّا وحينئذٍ لا يستطاع ارسالها مسافة طويلة لانها حين تنحني حتى تسير مع سطح الارض تفقد كثيراً من قوتها بالاشعاع والانكسار مما يجعلها عديمة النفع

وختم مركوني مقالتهُ بقولهِ ان المشاكل التي امامنا لا تحصى . والفضل في تقدم الراديو هذا التقدم السريع لا يعود الى رجل فرد بل هو نتيجة المباحث التي قام بها مئات من الباحثين والعلماء والمهندسين في انحاء الارض . وانا اعرف مئات والوفاً من هؤلاء الباحثين مكبّون الآن على كشف الحقائق وحلّ المعضلات المرتبطة بالراديو وعليهِ فلا يصحُّ لاحد ان يقول «ان شيئاً في اللاسلكي متعذر او مستحيل»

ان ما تمَّ حتى الآن وسَّع نطاق حواسنا الانسانية الضعيفة . فنحن نتخاطب اليوم على مسافة الوف من الاميال وغداً نرى بعضنا بعضاً رغم الاوقيانوسات والجبال. وهذا نوع من التخاطب لا يحدّهُ حدّ ولا يقيدهُ قيد وبهِ يتم تبادل الافكار والآراء تبادلاً حرًّا فتنتشر حقائق العلم واصول التهذيب . وهو في رأيي افعل قوة في تقريب الشعوب بعضها الى بعض وتوطيد اركان السلام

خمسة في سيارة

[السفر مدرسة الحياة ، والارض كتاب لا يقرأ منهُ المقيم في بلدٍ واحد الاَّ صفحةً واحدة . لان الارتحال يصقل الطبع ويثقف العقل ويهذب النفس ويقيد الخيال بقيود الحقيقة ويطلق الفكر من اغلال التحزب الاجتماعي والتاريخي ويوسع افق النظر الى الحياة والعمران . فاذا كان المسافر ذا نظر نقاد راوياً لحوادث التاريخ وعبرهِ خبيراً بطبائع الشعوب وآدابها ملمًّا باصول العمران ونظمهِ ، وكان ذا قلم بليغ رشيق العبارة سلس الاسلوب جاءت كتاباتهُ عن اسفارهِ من امتع الكتابات والذها وافيدها . وقد اجتمعت هذه الصفات الممتازة لصديقنا الاستاذ سامي الجريديني ويسرُّنا انهُ قد عزم على ان يتحف قراء المقتطف بطائفة من اخبار اسفارهِ جرى في كتابتها على اسلوب جديد في الادب العربي . وهذه مقالتهُ الاولى]

١

كانوا خمسة في سيارة ، ثلاثة رجال وامرأتان

اما راوي الحكاية فمصريٌّ غادر بلدهُ الى فرنسا بغية الترويح عن النفس وحبًّا في التعرف بكل ما يجدُّ في المدنية الاوربية من مليح وقبيح. واما الاربعة الآخرون فانكليزي وزوجتهُ وفرنساوي وزوجتهُ

وليس ما يرويهِ صاحبنا المصري الآن بالحكاية الخيالية بل وقائع حدثت يوماً اثر يوم في رحلةٍ دامت ثلاثة شهور وبعض شهر

فما الذي جمع هؤلاء الخمسة في سيارة وكيف اتفقوا فيما بينهم على هذه الرحلة ؟ الى القارئ الجواب :

كان صاحبنا المصري وحيداً فريداً في « جرينوبل » عاصمة ما كان ملكاً لاولياء العهد ابان المملكة الفرنسية . وليست هذه البلدة مما يحسب لميزة فيها فانها محاطة بالجبال تمنع عنها الهواء في الصيف فيكاد المقيم يختنق لا يشفع فيهِ اختراق نهر الايزر لها من ناحية الى اخرى ولكنها واقعة في قلب جبال الالب فيتخذها السياح مقرًّا ينتشرون منهُ الى ما قرب او بعد من هذه الجبال

وكان ينزل في فندق فخم ربما كان احسن ما بُني في جرينوبل مجهزاً باحدث ما

اوجده طلاب الراحة العصرية من جهاز ولكنه واسع الاطراف مترامي الابعاد قليل السكان فيشعر النازل فيه انه في غابة واسعة مكسوة باحسن الاثاث ويحل فيها النُّدُل والخدم محل السباع او الضباع

فكان حقًّا عليه ان يسعى الى التعرف بمن يفرج عنه كربة الوحدة والانفراد

وكان يجتمع في مساء كل يوم في بهو هذا الفندق نفر من سكان البلدة — ولعلهم من اعيانها — يرقصون، ولم يكن صاحبنا من هواة الرقص فانه يجهل مباديه العصرية فكان الامر اكبر عائق في سبيل تعرفه الى الناس. فكان يحرق الارم غيظاً ويهمّ ان يذهب الى هذه المدارس المعدّة للرقص المتفشية في كل انحاء العالم ولكنه كان خجولا كثير الاعتداد بنفسه فلا هو يرغب في العودة الى التلمذة وتلقي الدروس — حتى دروس الرقص لشدة ما لاقى من هول الامتحان في شتى المدارس التي دخلها . ولا هو يعترف بسهولة بجهله الرقص اذا ما ضمهُ ناد من انديته فكان يحتال الحيلة بعد الاخرى حتى لا يدرك القوم ضعفهُ فيدعي مرة وجع رجله واخرى صداعاً في رأسه او يختبئ ناحية يتحدث الى عجوز تحملق في الراقصين وتؤثر النظر الى ما يعيد اليها ذكرى شبابها على التحدث الى رجل لا ينفعها

وساقهُ طالعهُ مساء يوم الى الجلوس بعيد العشاء الى مائدة منفرداً وحدثته نفسهُ فطلب كاساً من الوسكي فتلعثم الخادم واعتذر قائلاً ان الفندق خلو هذه الليلة من الوسكي الاَّ زجاجة واحدة احتكرها هذا السيد الانكليزي الجالس ههنا امر بها تقيَّد الى حسابه . واشار الى الرجل . وكان الانكليزي ادرك مغزى الكلام فنهض من مقعده واقترب من صديقنا المصري وعرض عليه ما يشاءُ من الوسكي وكأنهُ استأنس برجل يحب الوسكي حبه لهُ فقعد الى جانبه واخذا يتجاذبان شتى الاحاديث واقبلت عليهما زوج الانكليزي سيدة رشيقة القوام بيضاء اللون شقراء ما بقي لها من شعر، فقدم الزوج صاحبنا المصري الى السيدة . فلا تسل عن جزعه حالما ابتدأت موسيقى الرقص بعد راحة وسكون فكان يتظاهر بالاهتمام بحديث تافه ويحتدُّ وينشط للكلام محولاً انظار رفيقيه من الرقص الى موضوع كلامه حيلةً حتى لا يدعو السيدة الى الرقص معهُ — فانهُ ان لم يدعها اخلّ بواجب اللياقة وان دعاها فضح نفسهُ . وكان السيدة فطنت الى الامر فاحبت ان تزيد في عذابه ففاجأته سائلة لماذا لا يرقص وهلاّ يحب الرقص بغت وأُخذ على غرة وقال ان برجلي أَلماً شديداً استعصى علاجه وقد امرني

الطبيب ألاّ اجهدها فسكتت السيدة تأدباً وحسن تربيةٍ فانها لم تشاهد في مشيتهِ عرجاً ولم تلمح في احدى رجليهِ عوجاً

وكان الطقس جميلاً والجو صافياً مما يبشر بصحو وشمس مشرقة في اليوم التالي فقال الانكليزي انا ذاهبون غداً في سيارة من سيارات السياح التابعة لشركة السكة الحديدية الفرنسية المدعوة P.L.M. لنشاهد دير الشارتروز في قمة من قمم جبال الالب معروفة بهذا الاسم فهل تعرف المكان ؟ قال صاحبنا اني اعرف المكان وقد زرتهُ في مثل هذه الايام من السنة الماضية ولكنني اذهب معكما فالبقعة جميلة والنزهة نادرة المثال لا تملّ فاتفق الثلاثة على ان يصبحوا الى مكتب الشركة في الساعة الثامنة من الغد. وكان الغدُ والتقى الثلاثة امام السيارة وهي كبيرة ضخمة تسع ثمانية عشر راكباً اعدتها شركة السكة الحديد فيما بين باريز وليون والبحر المتوسط سبباً تزيدهُ الى اعمال سككها الحديدية . فركب الثلاثة كلٌّ في مكان أُعد لهُ وسارت السيارة بسياحها تخترق الجبال صعوداً في طرق مهدت كأنها طريق سلطاني معبد منذ سنين

وكان مقعد السايح المصري الى جانب سيدة تصحب زوجها ومقعد الانكليزي وزوجهِ في الامام على غير بعد منهُ . وهبت الريح فطارت قبعتهُ عن رأسهِ وهو لا عهد لهُ بلبس هذه القبعات فلم يكن ليحكم وضعها على رأسهِ فصاح واشار الى السايق بالوقوف ولكن الرجل جاره كان في مقعد على مقربة من الباب فاسرع في النزول وجاء لهُ بقبعتهِ فاخذها صاحبنا شاكراً يعقد الخجل لسانهُ . وكانت الحادثة سبباً في الاخذ باسباب الحديث فعرف منهُ انهُ يقطن الفندق نفسهُ في جرينوبل وانهُ رغم كونهِ فرنساويًّا فهذه اول زياراتهِ لدير الشارتروز واشتركت السيدة في الحديث فلما علمت موقع موطن صاحبنا من بلاد الله قالت وانا شرقية مثلك . انني مولودة في باريز ولكنني من ابوين لبنانيين. فجمعتهما رابطة الشرق وقال لها فلنكن عصبة على هؤلاءِ الغربيين فضحك الزوج وقال يا لهذه الدنيا ما اضيقها على رحبها فقد جمعت هذه السيارة على ما اظن نحواً من عشرة اجناس من اقاصي الارض وليس كفرنسا بلد تجمع كل العالم في ضمن حدودها

ووقفت السيارة في محطة من محطات الرحلة فعرّف صاحبنا صديقيهِ الجديدين بصديقيهِ الانكليزيين وجلسوا ولغتهم الافرنسية يتبادلون الكلام . وما كاد يستقر بهم السفر في غاية رحلتهم حتى اصبحوا كأنهم اخوان الصفا من عهد قديم

ذلك ان لهؤلاء الغربيين ادباً وحسن سلوك في المعاشرة يحبّب اليك الجلوس اليهم فتنسى انك غريب عنهم كل هذا الى تحفظ في الحديث فلا يناقشونك في شيء من امور الدين او شؤون السياسة بل يصرفون الكلام كله الى سوى ذلك مما يتعلق بالفنون والعادات والاجتماع لعلمهم ان الدين والسياسة امران يختلف فيهما الناس فلا تصح مناقشتها فيهما لئلا يولد اختلاف النظر والميل نفوراً لا يحمد في رحلة غايتها الترويح عن النفس والتمتع بالطبيعة وعمل الانسان فيها

والطريق الى دير الشارتروز يأخذ على الانسان حواسه وشعوره ويكاد يذهب بعقله . فانك لتخترق الجبال واحداً بعد الآخر صعوداً فتشرف على اودية ملأى بالحراج والغابات وتنظر الى فوق فاذا الشلالات تنحدر وتنساب كالحيات البيضاء .هنا صخر قائم بنفسه اجرد أملس تظنهُ جبلاً قد انقدَّ عما سواهُ من الجبال.وهنا نهر يجري بطيء يسمعك خريراً فيحبّب اليك النعاس ثم ينحدر فجأة شلالاً يروع الناظرين .وهنا غابة حلّقت اشجارها وناطحت السحاب صُفّت واحدة اثر اخرى كأنها بنيان مرصوص والشمس تلوح في كبد السماء ولا تصل اليك لما يحجبها عنك من الحراج والمطر يهطل فلا يبللك الاَّ بعد ان يملأ الاشجار ماءً

هكذا حتى قُدّر فبلغ المطيُّ بنا الدير . وما ادراك ما هذا الدير

ثكنة جمعت مئات الغرف والدهاليز في متسع من الارض عظيم . تدخلهُ من باب موصد دون الذين لا يدفعون رسم الدخول وتمرّ في ميدان مبلط الى باب آخر هو مفتاح الدير فيلقاك رجل من بقايا العمالقة يحمل شارباً يقاس بالذراع فيقف ويأمر الداخلين بالالتفاف حوله والمرور بحيث يشير عليهم ثم يأخذ بسرد تاريخ الدير منذ نشأته الاولى الى حين طردت الحكومة الفرنساوية سنة ١٩٠٤ او ١٩٠٢ كل ما فيه من رهبان والحقتهُ باملاكها وجعلتهُ خالياً خاوياً اثراً حجريًّا بعد مغاور عبادة ومقابر قساوسة احياء

وحكاية هذا الدير غريبة — والعهدة على ذي الشاربين الضخمين — فانهُ حدث منذ بضع مئات من السنين انهُ كان على كرسي الكنيسة في جرينوبل مطران مشهور بالتقوى ولهُ تلامذة ومريدون عديدون . فرأى ذات ليلة كما يرى النائم ان قمراً يحيط بهِ سبعة نجوم قد هبط اليهِ وسجد لهُ وظل ينتقل الى ان وقع على مكان في جبل الشارتروز . فلم يعبأ بالامر وقال اضغاث احلام

وبينا هو في مجالسه اذ قال قائل ان تلميذك القس فلان (وليعذر الاتقياء نسياني اسم هذا القديس واظنهُ برينو) جاءك من بلد بعيد زائراً فامر به يدخل عليهِ. فجلس التلميذ بين يديهِ واستأذنهُ بان يقدم لهُ سبعة من اخوانهِ قدموا معهُ. فلما تكامل العدد قال القس الزعيم انهُ جاء يعرض على معلمهِ ومهذبهِ امراً وهو ان النعمة قد هبطت عليهِ فعزم على ان يؤلف رهبنةً يكون من نظامها كيت وكيت وانهُ يطلب بركة المطران وصلواته

وذكر المطران رؤياهُ وقال هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّاً وامرهم ان يجعلوا مقر رهبنتهم في الموضع من جبل الشارتروز حيث أُلهم في الرؤيا

فانقاد القس للامر وجاء الى ذلك الموقع من الجبل واسس الرهبنة هناك. وانك لترى شعارها حتى الآن سبعة نجوم وقمر

على ان الوحي على قول الكفار لم يحكم الاصابة. فان الدير الذي قام على موقع رؤيا المطران من الجبل لم يلبث في شتاء سنة من السنين ان جُعلَ عاليه سافله من صخرة كأنها جبل قدَّت من جبل آخر تدحرجت عليهِ وطمست معالمه ولم ينج من رهبانه الاَّ القليلون. وهؤلاء جاءوا وبنوا هذا الدير الحالي في مرتفع آخر يبعد كثيراً عن موقع الرؤيا

ولكنَّ المؤمنين يردون قول الكافرين ويقولون ما اخطأ الوحي ولا ضلّ السبيل ولكن المطران خانتهُ الذاكرة فما دلّ على موقع الجبل كما أُوحي اليهِ

فكان اصحابنا الخمسة يسيرون في قافلة يربي عددها على الخمسين وراء هذا الرجل ذي الشاربين. اما السيدة اللبنانية زوج الفرنساوي فما كانت تمر امام حايط رسم عليهِ الصليب او علقت فيهِ صورة للعذرا الاَّ رسمت علامة الصليب بيدها على صدرها. اما الانكليزية فكانت تعجب بكل ما ترى وكان المصري يلتفت ليرى موضع الاعجاب فلا يهتدي اليهِ. اما الانكليزي فكان يسرع في الخطى مقطّباً الجبين حانقاً على الدير واهله لمنعهم التدخين في الغرف فحرم من لذة غليونه. وكان الافرنسي الوحيد الذي يظهر الاهتمام بما في البناء من هندسة متقنة نادرة المثال وما على الواح الزجاج من فن في التصوير

فلما انقضى اجل الزيارة واخذ اصحابنا الخمسة مقعدهم في مكان خارج الدير فوق صخرة تظللها الاشجار انفكت عقدة لسان المصري فقال

ان آية هذا الدير النظام التي كانت عليهِ رهبنة الشارتروز. فهذه رهبنة تنتمي الى

دين لا يفرق بين سيد وخادم ولا يخير الواحد عن الآخر الاَّ بالايمان . فما بالهم جعلوا من الرهبان فرقاً — هذه فرقة تخدم وتلك فرقة لا يجوز لها اطلاق الشارب بل عليها الاكتفاء باطلاق اللحية وتلك تطلق الشارب واللحية . وهؤلاء العامة يدفنون في الدير ولكل ماية منهم او اكثر بقعة واحدة عليها صليب صغير . اما الرئيس او الجنرال فلهُ في مدفنه صليب خاص بهِ . ولذا ترى صلبان الرؤساء اكثر من صلبان الرهبان على ان موتى هؤلاء تزيد على موتى اولئك بكثير

قال الانكليزي . ذلك النظام . انزع الرئيس والمرؤوس من الدنيا ترَ الفوضى والخراب العاجل

المصري — اذاً ليس هناك مساواة حتى تحت الارض

الانكليزي — المساواة ليست في الطبيعة ويجب ألاَّ تكون في البشر . ثم وضع غليونه في فمه واشعلهُ وجلس جلسة فهم الباقون منها انهُ قد شبع من الكلام

قال المصري : اني لا ازال اعجب لهؤلاء الرهبان كيف كانوا يطيقون الحياة في هذا الدير . أنظرتم حجراتهم ؟ ان الواحدة منها لا تزيد على ذراعين في ذراع . فراشه قليل من القش في مزود كمزود البقر لا يرى النور الاَّ من كوة تقاس بالاصبع فاذا صحا من نومه فالى الركوع والعبادة

واغرب الغرائب ان هؤلاء الرهبان كانوا كلهم قوماً مهذبين مثقفين فان الرهبنة لم تقبل في عضويتها الاَّ البارعين في اللاتينية ولم يكن ليسمح بلغة اخرى داخل هذا الدير

قالت السيدة الانكليزية : هو الايمان يفعل العجائب فاذا كانت حبة خردل منهُ تنقل الجبل من موضعهِ فما بالك بما يفعلهُ ايمان هؤلاء

الفرنساوي — انهم كانوا يعتاضون عن هذه الدنيا بطيب خمر الشارتروز فقد تقنوا صنعتهُ واحتكروا سرهُ فتلذذوا بطعمهِ واثروا من بيعهِ

فغضبت زوجه وقالت تالله تفتأ تأخذ الامور هازلاً اني لا احب هذا القول منك فرفع كتفيهِ وضحك وسكت

وضربَ في بوق السيارة فهمَّ القوم بها واخذت تنحدر بهم قافلةً الى جرينوبل في غير الطريق الذي اتوا منهُ . ولكنهُ لا ينقص عن الطريق الاول روعة وجمالاً

فلما بلغوا فندقهم وتناولوا طعام عشائهم انصرف كل الى مخدعه على ان يصبحوا فينظموا رحلتهم الثانية

سامي الجريديني

صروف اللغوي

كان شيخنا هذا رجلاً حصيفاً جيد المنزَعة حسن الرأي ممكّناً له فيما كان يعترضهُ من مسائل اللغة قويًّا على الاحوال التي تجري لهُ من أوضاعها فيما يُعانيهِ من النقل ويزاولهُ من الترجمة على اختلاف مناحيها وكثرة فنونها وعلى أنها لا تزال كل يوم تنبعث من علمٍ وتحتفل من رأيٍ وتمدُّ مدَّ السيل كأنها دنيا عقلية لا يبرح عقلُ الانسان دائباً يخلق فيها ويبنيها من معاني الكون وأسرارهِ فلا الكون ينفد لتتم ولا هي تتم قبل أن ينفد الكون

وثبت شيخنا على ذلك عمرَ دولة من الدول في خمسين سنة ونيف يضرب قلمهُ في السهل والصعب وفي الممكن والممتنع . وإنهُ ليمرُّ في كل ذلك مرًّا لا ينثني ويحذو حذواً لا يختلف كأن الصعب عندهُ نسقُ السهل والممتنع صَوْغُ الممكن فلو قلتُ إنهُ بُني في أصل خلقهِ وتركيبهِ على أن يكون قوة من قوى التحويل لتحقيق المشابهة العقلية بين الشرق والغرب لما أبعدت ، ولو زعمتُ أن ذلك القلم الحي لم يكن الا عِرْقاً في جسم الانسانية لكان عسى

وانتهى شيخنا في العهد الاخير الى أن صار يُعدّ وحدهُ حجة اللغة العربية في دهر من دهورها العاتية لا في الاصول والأقيسة والشواذّ وما يكون من جهة الحفظ والضبط والإتقان ، بل فيما هو أبعد من ذلك وأردُّ بالمنفعة على اللغة وتاريخها وقومها، بل فيما لا تنتهي اليه مَطمعة أحد من علمائها وكتابها وادبائها ، إذ وقع الإجماع على انهُ انفرد في إقامة الدليل العملي على سعة العربية وتصرفها وحسن انقيادها وكفايتها وأنها تؤاتي كل ذي فن على فنهِ وتمادُّ كلَّ عصرٍ بمادتهِ وأنها من دقة التركيب ومطاوعتهِ مع تمام الآلات والادوات بحيث ينزل منها رجل واحد بجهدهِ وعملهِ منزلة الجماعات الكثيرة في اللغات الاخرى كأنها آخر ما انتهت اليهِ الحضارة قبل أن تبدأ الحضارة

ولا يذهبنَّ عنك الفرق بين رجل حافظ والكتابُ أحفظ منهُ وهو من الكتاب خرج والى الكتاب يرجع، وبين رجل يكون ترجماناً من تراجمة العقل الانساني المعنيّ بتأويل الكون وتفسيره والطائرِ بالالفاظ الانسانية على أجنحة العلوم والفنون والمخترعات والمعاني ، فان ذاك ينقل عن الواضع ثم لا يتعدى هذه المنزلة ولا يتجاوز

مُتُون الالفاظ ، وأما هذا فلا يزال يضطرب مع الالفاظ ومعانيها يجاذبها ويدافعها ثم لا يزال يضع يده في النسيج اللغوي يسدّي ويلحم فهو مدفوع الى المسالك الدقيقة من مذاهب الوضع وطرقهِ وأساليب الاخذ والانتزاع ، وهو مقيد أبداً بخاصّ المعنى وخاص اللفظ على التعيين والتحديد لا يجد فسحة من ضيقين ، فان لم يكن مثل هذا في منزلة الواضع فهو في المنزلة بعده ولا ريب

انما اللغوي الاكبر عندي هو هذا الكون ، وما العالم باللغة وفنونها الاّ وسيلة لتهذيب الطريقة تهذيباً عقليًّا فيجب من ثمَّ ان يكون للغوي رأي وعلم وذكاء وبصر ويجب ان يطابق النواميس فلا يتعادى ما بينهُ وبينها لانهُ وسيلة إنطاقها ليس غير. ومن ذلك أرى الدكتور صروف في الغاية فقد كان ينزع في مذهبهِ اللغوي منازع علمية دقيقة تُوزَن وتقاس وتختبر في حينٍ لا تزيغ ولا تهنُ ولا تختلّ ، وتراها تنطلق وهي مقيدة وتتقيد وهي مطلقة ، إذ كان لا يعتدّ اللغة عربيةً للعرب بل عربية للحياة وما تهدمهُ وتبنيهُ وما تُحدثهُ وتنسخهُ فهي على اصولها فيمن قبلنا ولكن فروعها فينا نحن وفيمن يلينا وفيمن بعد هؤلاءِ فلنا ان نتولاها على تلك الاصول وعلى ما يشبهها في الطريقة حين تنتقل الحال ويتغير الرسم ولعلةٍ إن وجبت ولقياس إن جاز . والدكتور بهذا الاعتبار يشتد في التمسك بالقواعد والضوابط ولا يترخص في شيء منها غير انهُ لا يكون كأقوام يرون الفروع من الجذوع قد خرجت فيحسبون الثمرات سبيلُها من الجذوع أيضاً . . . . وان لم تجيء منها فستجيء منها

عرض لي يوماً احد هؤلاءِ اللغويين فانتقد في المقطم قصيدة من القصائد التي رفعتها الى جلالة الملك فؤاد وتمحّل في نقدهِ ودلّل ببعض ما نقلهُ من كتب اللغة فكان فيما تكلم فيهِ لفظا (الأزاهر والورود) فقال انهما ليسا من اللغة ولم يجريا في كتبها ، وكان من ردّي عليهِ أن قلت لهُ ان العرب جمعوا الجمل ستة جموع وجمعوا الناقة سبعة لانها اكرم عليهم منهُ وان لكل حياة صوَرها الدائرة في ألفاظها ، فالزهر والورد عند المولدين والمحدثين اكرم من الجمل والناقة عند العرب او هذان كهذين ثم هما من خاص الالفاظ المولدة فلنا ان نجمعهما على كل صور الجمع التي يسوّغها القياس لان ههنا العلة الموجبة التي لم تكن مع العرب فيهما . فمن الصحيح ان نقول زهور وازهار وازاهر وازاهير الخ فلما لقيت الدكتور بعد نشر هذا الرد هنأني بهِ ثم قال فيما قال : يحسبون ان العرب هم الجمل والناقة وليس غير ما استجمل وما استنوق . . . . أما هذا

الدهر الطويل العريض فليس عندهم شيئاً وهم يستطيعون ان ينكروا على المولّدين الف كلمة ولكن هل في استطاعتهم ان ينكروا على التاريخ الف سنة ؟ فذكرت لهُ الاصل الذي قرره ابو علي الفارسي في العربي الصحيح نفسه من انهُ ليس كل ما يجوز في القياس يجب ان يخرج بهِ سماع فاذا أخذ انسان على طريقة العرب وامَّ مذهبهم فلا يُسأل ما دليلهُ وما سماعهُ وما روايتهُ ولا يجب عليهِ من ذلك شيء. حتى قال ابو علي: لو شاء شاعر او ساجع او متسّع ان يبني بالحاق اللام (١) اسماً وفعلاً وصفة لجاز لهُ ولكان ذلك من كلام العرب وذلك نحو قولك: خَرْجَجٌ أكثرُ من دخالل، وضربَبَ زيدٌ عمراً ومررت برجل ضربْبَبٍ وكرْمَمٍ ونحو ذلك. قال تلميذه ابن جني فقلت لهُ أترتجل اللغة ارتجالاً قال ليس بارتجال لكنهُ مقيسٌ على كلامهم فهو اذاً من كلامهم

وسألني مرة عن وجه الخلاف بين ما يسمونهُ القديم والجديد فقلت لهُ: ان الخلاف ليس على جديد ولا قديم ولكن على ضعف وقوة فان قوماً يكتبون وينظمون ولكن لم تُقسَم الفصاحة والبلاغة على مقدار ما يطيقونهُ من ذلك ولا يتسع الصحيح لآرائهم في اللغة والادب وقد أرادوا ان يسموا كل ذلك من حيث ضاقوا ويطاولوهُ من حيث تقاصروا وينالوهُ من حيث عجزوا فظنوا بالامر ما يظن انسان يمشي على الارض ويعرف انها تدور فيؤوّل ذلك بأنهُ هو يدير الارض على محورها بحركة قدميهِ.... نحن نقول اساليب ركيك فيقولون لا بل جديد، ونقول لغة سقيمة فيقولون بل عصرية، ونقول وجه من الخطأ فيقولون بل نوع من الصواب وهلمَّ جرّا وسحْبا.... ثم قلت لهُ: أفتجد انت الركاكة واللحن والخطأ والغثاثة وإنَّ واخواتها باباً جديداً او امراً مبتدَعا او شيئاً يحتاج الى اسم جديد غير اسمهِ العربي ؟ قال لا وانا معك في هذا وطريقتي في المقتطف ان اللغة في قواعدها عربية ولكن من قواعدها ان لكل مقام مقالاً فنحن نكتب كتابة صحيحة ونريد بها ان ترفع العامة ولا تنزل بالخاصة فنخدم العربية من الجهتين

ثم نشر بعد ذلك في عدد شهر مايو سنة ٩٢٧ مقالاً جعل عنوانهُ (اسلوبنا في الترجمة والتعريب) وابتدأهُ بهذه العبارة: «اللغة جسم حي نامٍ وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون اقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي، ولكن اذا كان النمو مشوَّهاً فلا بد من تقييدهِ وتهذيبهِ». وكل ما نقولهُ نحن هو

(١) زيادة حرف من جنس لام الكلمة والحاقه بها

التقييد والتهذيب واتقاء الشَّوهة أن تُلم باللغة وأساليبها فتترادف على محاسنها بمعائبها وتطمس مفاتنها بمقابحها ، فان هذه المعائب والمقابح اذا هي استجمعت وانساغت في لغة من اللغات لبستها باشكالها فلا تزال تنكّر منها حتى لا تبقي لها وصفاً يعرف. والحسن وحدهُ هو الذي يحُد بالاوصاف والتعاريف وهو الذي يدقّق فيهِ ويبالغ في قياسهِ وتقديرهِ ، فان وقع فيهِ الفضول واختلطت الحدود وضعفت الملاءمة وجرى الوصف ناقصاً وزائداً فقد خرج الى القبح ، وان خرج الى القبح لم يعد الناس يحدُّون لهُ حدًّا او يعبأُون لهُ بقاعدة ووجدوا فيهِ كل الاوصاف الجميلة مقلوبة منكّرة لانهُ هو جمال مقلوب . (فتقييد التشويه وتهذيبهُ) كلتان فيهما الكلام كله او هما المصراعان لهذا الباب . ومن اجل ذلك كنا نعد الدكتور من حجتنا على اصحاب الجديد لانهُ اوسعهم احاطة واكثرهم علماً وامدّهم عملاً ثم لن يدانيهُ احد منهم الاَّ اذا جمع لنفسهِ عمرين وهل في الجديد رجل ذو عمرين . . . ؟

قلنا ان الشيخ كان في المنزلة التي تلي منزلة الواضع وقد دفعتهُ العلوم الى ذلك دفعاً لانهُ مقيد بخاصّ المعنى في كل ما يترجم او يعرب ثم بالخصائص العلمية الدقيقة التي لا تحتمل في أدائها ما تحتمل المعاني الادبية ، وقد تصدّر للكتابة والترجمة منذ شباب هذا العصر ومنذ بدأ الناس يقرأون العلوم الحادثة في الشرق ، فلا جرم لم يكن لغوياً كأبي عمرو وابي زيد والخليل والاصمعي وابي حاتم وابي عبيدة واضرابهم ممن يحملون عن العرب ويؤدون ما حملوهُ ، ولا كان لغوياً في طريقة سيبويه والكسائي والزجاج والاخفش واليزيدي واشباههم ممن ينظرون في اللغة وعللها واقيستها وشواذها ، ولكنهُ لغوي فيما يعمر بين الشرق والغرب يحمل بلسان ويؤدي بلسان غيرهِ ويوافق بين المعاني الجديدة والالفاظ القديمة ويشابك بين خيوط التاريخ في هذه وهذه ويأخذ اللغة للاستعمال لا للحفظ وللتعليم لا للتدوين وللمنفعة لا للمباهاة وللفائدة لا للتنبُّل ، ويترجم وانّ في خيالهِ العالم الواسع الذي ينقل عنهُ بعلمائهِ وادبائهِ وكتبهِ ومجلاتهِ ومصطلحاتهِ ، ويكتب وان لهُ تلك الملكة الدقيقة التي كونتها العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وغيرها ، فلم يكن بدٌّ من ان يبتدع وان تكون لهُ طريقة يوافق فيها ويخالف وقد بسط هو القواعد التي اخذ بها وجرى عليها فكتب فيها مقالاً في مقتطف شهر يوليو لسنة ١٩٠٦ واعاد نشرهُ في عدد شهر مايو لسنة ١٩٢٧ وهو يوافق فيه اكثر العلماء وخاصةً الامام الجاحظ مع ان قاعدة الجاحظ لم تكن يومئذٍ معروفة ولكن

كلا الشيخين حصيف الرأي تامُّ الاداة في عمله قويُّ الحسبة والتدبير فيما يأخذ وما يدع . وخلاصة رأي الدكتور انهُ ينظر في الكلمة الاعجمية فان اصاب لها مرادفاً في العربية يحدّدها ويفي بها فذاك والاَّ امرَّها في كتابتهِ.وهو مقيد بفائدة القارئ وماهو أخف على قارئهِ في المؤونة وأبين لهُ في الدلالة فان كانت اللفظة الاعجمية أوفى وأشبع في الاستعمال عدل اليها .قال: وغني عن البيان اننا التزمنا ان نجاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقد دلالتها بتعريبها كالحامض الكبريتوس والكبريتيك الخ فان لكل من هذه الملحقات والزوائد التي فيها معنىً خاصًّا يدل على تركيب الحامض المراد كما يعلم دارسو الكيمياء . قال فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمى الفرس حماراً لان لكل منهما رأساً وذنباً ....

والجاحظ يقول في مثل ذلك : ان رأيي في هذا الضرب من هذا اللفظ أن اكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها والمادة فيها على ان ألفظ بالشيء العتيد الموجود (يعني اللفظ العلمي الاصطلاحي) وادع التكلف لما عسى ألاّ يسلس ولا يسهل الاَّ بعد الرياضة الطويلة .. ولكل صناعة الفاظ قد جُعلت لاهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم الاَّ بعد ان كانت بينها وبين معاني تلك الصناعة مشاكلات

فأنت ترى الجاحظ لا يمتنع من الالفاظ الاعجمية والعامية كما هي ما دامت المعاني قائمة وقاعدتهُ هي الاخف والادل والافهم والاشبع،وهذا بعينهِ يقول الدكتور فيهِ : « يشترط في حسن التعبير أن يؤدي المعنى المراد الى ذهن السامع باقل ما يكون من الوقت والكلفة والاسراف في القوة العصبية »

وقد كلَّمني بعضهم في خطأ الدكتور من ناحية الالفاظ الاعجمية وإقحامها في كتابتهِ وانهُ يجنح الى ذلك بأوهى سبب . ولا اراهُ خطأً بل انا ارد ذلك الى ما بينتهُ آنفاً من امر الناقل والواضع ولا يعجزنا ان نجد لصنيع الدكتور نصا يقوم بهِ وينهض بحجتهِ فقد قال ابو علي الفارسي : ان العرب اذا اشتقت من الاعجمي خلطت فيهِ .فاذا كان هذا في الاشتقاق وهو لا يكون الاَّ من اصل فكيف بالتعريب . على انهُ لا خلط ولا اضطراب انما هو سبيل الوضع وحكمة الدلالة وان اللغة هكذا تجيءُ ثم يأتي بعد ذلك النحويُّ يقول لماذا ولا ن ....

وقد اعجبني حسن تقسيم الدكتور لقواعدهِ التي بسطها في مقالهِ المستفيض حتى إني لأراهُ باباً جديداً في التقسيم المعروف عند علماء البلاغة واللغة لابتذال الالفاظ

وغرابتها اذ لم يبق عندنا غريب ومبتذل ولا بيننا عرب ومحدثون

بيد ان من تلك القواعد ان الاستاذ يرخص في الالفاظ العامية وهو يجد فسيحها ويقول في ذلك : « اذا أ عدت الفلاح المصري كلمة بذار مرة في الاسبوع او في الشهر سمع كلمة (تقاوي) مائة مرة والف مرة ، فرأينا ان محاولة تغيير لغة العامة في هذه الكلمات وامثالها ضرب من العبث واضاعة للوقت وتضييع للفائدة فجاريناهم فيما نكتبهُ لهم » . وهذا ما كنت اجادلهُ فيهِ ولا اسلم لهُ بشيء منهُ لانهُ اغفل اصلاً اجتماعياً عظيماً فان عامتنا غير منقطعة من العربية الفصحى ولا يزال فيهم ميراثها من القرآن والحديث وكلام العلماء في امور دينهم ، وهذه هي وسائل مزجهم بالفصيح وردهم اليهِ ولا تزال هذه الوسائل تفعل ما تفعلهُ النواميس المحتومة ولولاها لما بقي للفصحى بقية بعد

وقد كان جاء الى مصر من بضع سنين رجل من امريكا هو من تلاميذ الدكتور القدماء فنزح الى ذلك البر فاتجر فأثرى وفشت لهُ نعمة عظيمة . ولما لقيتهُ لقيت في يدهِ صحيفة وضع فيها مسائل في اللغة والنحو وكان أعدها ليسأل عنها وفي اولها هذا السؤال : لماذا يقال فصُح الرجل فصاحة فهو فصيح ثم يقال شعر شعراً فهو شاعر . الم يكن القياس ان يقال شعُر شعارةً فهو شعيرٌ ، والفصاحة والشعر من باب واحد ؟

وهذا السؤال وان كان في ظاهر الرأي لغواً وعبثاً ولكنهُ دقيق في تاريخ اللغة واقيستها ولا محل لبسط الكلام عليهِ في هذا الموضع غير اني أنهيت الخبر للدكتور صرّوف وقلت لهُ ان صاحبك هذا يضع قواعد اللغة في الميزان الذي في حانوتهِ .... وانت كذلك تعالج بعض الالفاظ احياناً ببعض الغازات والحوامض . قلت هذا لاني لم اسلّم لهُ قط فيما كان يراهُ في مثل البذار والتقاوي على انهُ قيّد الكلام بقولهِ (فيما نكتبهُ لهم) وهذا احتراس يدافع عنهُ بقوة كما ترى

ولا يمتري احد في ان هذه النهضة اللغوية التي ادركناها وعملنا فيها لم تكن سوى نمو طبيعي لعمل رجال أفذاذ نظن الدكتور صروف في طليعتهم لانهُ كان اطولهم جهاداً واكثرهم عملاً واظهرهم اثراً وكان المقتطف يجيءُ لها كل شهر كانهُ قطعة زمنية مسلّطة بناموس كناموس النشوء حتى لا لمّ هذا المقتطف ان يكون عصراً من العصور قد خرج في شكل الكتابة . ولقد كاشفني الدكتور في آخر ايامهِ انهُ كان يود لو ختم عملهُ بوضع معجم في اللغة يصلح ان يقال فيهِ انهُ معجم الشعب وفصّل لي طريقتهُ إذ كنت اكلمهُ في كتاب لغوي افتتحتُ العمل فيهِ من زمن ولا يعرف احد من امرهِ خبراً فقال لي

خذ بين طريقتي وطريقتك وامضِ انت في هذا العمل فاني لو وجدت فراغاً لما عدلت بهذا الاثر شيئاً وما كل سهل هو سهل

على ان شيخنا هذا لو قد كان تفرغ للغة وتوفر عليها واجتمع لها بذلك العمر وتلك العلوم والادوات لكان فيها بأُمة من الاشياخ الماضين من لدُنْ ابي عمرو بن العلاء الى الدكتور يعقوب صرُّوف، ولكن لعلَّ الدهر اضيق من ان يتسع او هو اوسع من ان يضيق .... لإمام آخر كأَبي علي الفارسي يفرغ سبعين سنة لفرع واحد من علوم اللغة هو علم القياس والاشتقاق والعلل الصرفية ويجعلهُ همه وسدَمهُ على ما قال تلميذه ابن جنّي : « لا يعتاقهُ عنهُ ولد ولا يعارضهُ فيهِ متجر ولا يسوم بهِ مطلباً ولا يخدم بهِ رئيساً فكأَنهُ انما كان مخلوقاً لهُ »

وكانت للدكتور طريقة جريئة في رد الالفاظ العربية الى اصولها والرجوع بها الى اسباب اخذها واشتقاقها وتصاريفها من لغة الى لغة ،وأعانهُ على ذلك ثقوب فكرهِ وسعة علمهِ ودقة تمييزهِ وميلهُ الغالب عليهِ في تحقيق ناموس النشوء وتبين آثارهِ في هذه المخلوقات المعنوية المسماة بالالفاظ . وكان معجباً بكل ما جاءهُ من هذا الباب ولو كان من خطإٍ لانهُ الى الرأي يقصد وللطريقة يمكّن ومع الخاطر يجري

وهذا باب يحتاج الى التسمُّح والتساهل إذ لا يمكن تحقيقه ولا تتفق الحيطة فيهِ وليس الاَّ ان يتلوَّحَ شيء منهُ ويسنح شيء وتتلامح علة ويعرض سبب . ثم هو في الدكتور من بعض الدلالة على استحكام ملكة الوضع فيهِ ونزوعهِ الى ان يقتاس بقياسهِ ويستخرج من عللهِ .وقد تراهُ يبعد في ذلك فينصب لك الدليل من وراء بضعة آلاف سنة ، وأنا الساعة أُعانتُ ذاكرتي وأُديرها من ههنا وههنا لاجد كلمة قال لي مرة في تاريخها ان العرب اخذوها عن اليونان حين كانت مكة نفسها جارية في حكمهم ، ولكني أُنسيتُ هذه الكلمة إذ لم أرتبطها واذ كنت لا أرى هذا المذهب ولا أُحسن ان اقول فيهِ قولاً واعتدُّ كل ما يقال فيهِ من باب تلفيق الادلة كأَنهُ ذئبُ ذلك الاعرابي الذي يريد ان يجعل في الناس منهُ مثل غرائز الغنم .... فيقول «إلا تَرَهْ تظنهْ»

والدكتور صروف رجل ماليّ في المال وفي اللغة جميعاً فمذهبهُ القصد في الدلالة والقصد في الوقت والقصد في القوة وقد صرفته ثلاثتها عن الشعر وعما كان في حكمهِ من تحبير النثر وتوشيتهِ على أنهُ يحسنهما لو أراد ولو سخَتْ نفسه بالوقت ينفقهُ ولا يتعرَّف قدر ما مضى منهُ في هذه الساعات بل في ساعة الكون الكبرى التي يتعاقب فيها

عقرباً النهار والليل كما كان ينفق البارودي يوماً في بيت او بيتين

وكان شيخنا في آخر مجالسي معهُ قبل وفاته بشهر او نحوهِ اطلعني على كل ما نشرهُ في مجلدات المقتطف من شعرهِ فاعجبت باشياء منهُ واشرت على صديقنا الاستاذ فؤاد صروف ان يعيد نشر قصيدة الرفّاش التي ترجمها الدكتور عن الانجليزية في نسق سلس موشح القوافي والتي يقول فيها صاحبها يصف مخازي المدنية :

مخازٍ توالت فصالت وصارت على اللحم دوداً وفي العظم سوساً

وسألني الدكتور بعد ان فرغت من شعرهِ : في اي طبقة تعدّني من شعرائهم ؟ ففكرت قليلاً ثم قلت لهُ : في طبقة الدكتور صروف . فضحك لها كثيراً

وكانت لهُ آراء في الشعر العربي غيّر بعضها في آخر عهدهِ ومما قالهُ لي مرة : ان الذي يريد ان يخلد ذكرهُ في هذا الشرق فلا ينسى، لا ينبغي لهُ ان يطمع في هذا الاّ اذا بنى هرماً كهرم الجيزة وهي كلمة فلسفية كبيرة تنطوي على شرح طويل يعرفهُ من يعرفهُ

وقد كادت قاعدة القصد التي اومأت اليها تنتهي بهِ في آخر مدتهِ الى القول باسقاط الاعراب بتةً واظن ذلك خاطرا سنح لهُ فأخذ باولهِ وترك ان ينظر في أعقابهِ فزرته مرة في شهر يناير لسنة ١٩٢٧ وكان يصحح تسويدة جواب كتبهُ عن سؤال ورد عليهِ في هل يمكن الرجوع الى اللغة الفصحى في القراءة والتكلم وما الفائدة من ذلك ؟ فلما امرَّ الجوابَ على نظرهِ دفعهُ اليَّ فقرأتهُ فاذا هو يرى ان كل حركة من حركات الاعراب والبناء يتهوّر فيها وقتٌ ما . قال : فاذا قضينا على ابناء العربية ألاّ يتكلموا الاّ كلاماً معرباً نكون قد اضعنا عليهم ثلث الوقت الذي يقضونه في التكلم من غير فائدة تجنى

ولقد جادلته في ذلك ولججت في الخلاف معه وقلت لهُ ان هذه قاعدة مالية ثم انك اغفلت امر العادة وما تيسرهُ ، وفي الكلام ايجاز يقوم مع الاعراب هذا المقام حين لا يكون من الايجاز بدٌّ وفي اللهجات العامية من الحشو ومطّ الصوت وفساد التركيب ما يذهب باكثر من ثلث الوقت ، فأحسبهُ اقتنع وان كنت رأيتهُ لم يقتنع

وانهُ ليحضرني بعد هذا كلام كثير في فضائل الدكتور وآدابهِ وشمائل نفسهِ الزكية ومنزعهِ في الاخلاق الطيبة الكريمة، ولو ذهبت أفصّل لخرجتُ الى الافاضة في فنون مختلفة ولكني اجتزىء من كل ذلك بأنهُ كان يظهر لي دائماً كأنهُ في ظل من محبة الله

مصطفى صادق الرافعي

الدكتور صروف والادب

ينشأ بعض الناس على استعداد متساو للعلم والادب تبينهُ المناسبات وترجحهُ ضرورات النشأة الاولى ، فاذا صادف صاحب ذلك الاستعداد في مبدأ حياتهِ ما يميل بهِ الى ناحية العلم خرج عالماً يستفيد من ميولهِ الادبية صقلاً في العبارة وافتناناً في الذوق والتخيل أو تجني عليهِ تلك الميول فتقعد بهِ في منتصف الطريق بين شأو العالم وشأو الاديب فلا يبلغ النهاية القصوى في مطلب من هذين المطلبين . واذا صادفهُ ما يميل بهِ الى ناحية الادب خرج اديباً يستفيد من ميولهِ العلمية قصداً في التعبير وضبطاً في التفكير واتقاناً في التقسيم والترتيب او تجنى عليهِ تلك الميول ايضاً فتشل خيالهُ وتجفف معين ذوقهِ فلا هو الى التحقيق الذي يبتغى من العلم ولا هو الى الجمال الذي يبتغى من الادب

هل كان الدكتور صروف من اصحاب هذا الاستعداد الشائع بين الملكات العلمية والملكات الادبية؟ او هل كان عالماً بالمصادفة لانهُ لم يكن اديباً بالمصادفة ؟ ان الجواب عن هذا السؤال لا يلقي بالمسئول في حيرة ولا تردد ، فانك تستطيع ان تجيب عنهُ بالنفي وانت آمن كل الامن من السهو او الخطإِ . فانما نشأ الدكتور صروف عالماً لانهُ طبع على ملكات العالم الامين لفكرهِ الحريص على حقيقتهِ ، وانما أفاد الادب فائدتهُ النفيسة من جانب القصد والتحقيق لان الادب في ذلك الزمان كان احوج شيء الى قصد العبارة وتحقيق المعنى ، وكان — ولم يزل في اكثر فروعهِ — كلاماً لا مغزى لهُ ولا روح فيهِ ولا غاية لهُ وراء الالفاظ المرصوفة والجمل المحفوظة والتزويق الذي لا يرضاهُ ذوق الجمال ولا ذوق التمحيص والتدقيق

تقرأ المقال مما كان يكتبهُ «المنشئ البليغ» في العهد الذي بدأ فيهِ صروف حياتهُ الكتابية فلا تخطئ ان تجدهُ معرضاً للزهو بكثرة المترادف والمتوارد والاسجاع والفواصل او معرضاً للغلط في النحو والصرف والركاكة في المفردات والتراكيب ، فهو على أحسنهِ منظومة كأنها عقود الهَمَج تجمع من المحار والصدف كل ما لمع وزها وخلا من النسق والجوهر ، وهو فيما دون ذلك لا لمعة ولا زهو او لا اصداف ولا جواهر! وهذا كل الادب الذي كانوا يعرفونهُ قبل خمسين سنة ، وأكاد اقول انهُ هو كل الادب

الذي يعرفهُ عندنا اناس لا يزالون يُذكَرون بالقاب الكتاب والبلغاء ويحسبون بيننا اذا حسب دعاة الفكر والثقافة !

فما برح بعض « الادباء » في الشرق العربي يطلبون من الادب كل شرط الاَّ شرط القصد و« المناسبة لمقتضى الحال »، ويظنون ان الاديب اذا اجاد التنميق والترصيع ودس في كتابتهِ زهرة هنا ودمعة هناك ونجماً في الحاشية ووجنة او عيناً او غديرة شعر او ابتسامة ثغر في الطوايا .... فلا عليهِ بعد ذلك ان يجيء كلامهُ مطابقاً للغرض او بعيداً منهُ بُعْد النقيض من النقيض، ولا احد يلومهُ على الكذب في الوصف والمخالفة للواقع . مذ كانوا يطلبون من الصورة اللون والورق والاطار ولا يطلبون الشبه الذي هو الصورة كلها في الحقيقة او هو الشيء الذي من أجلهِ تصنع الاصباغ والاوراق والاطر .. !

ونعمت القناعة هذه لولا انها أفلاس الفناء وهم يقولون ان القناعة كنز لا يفنى !

لقيني اديب من هؤلاءِ الادباء فاظهر اعجابهُ ببيت من الشعر رثى بهِ احد الشعراء زعيماً قضى في نحو السبعين ووصف رفاته بانهُ « مثل ريحان الضحى » . فقلت لهُ : او لا ترى ان هذا الرثاء ليس مما يليق بالمرثي ولا يحسن ان يقال الاَّ في بنت غضيرة في ريعان الشباب ؟ قال : أجل ، ولكن اليست الصياغة جميلة .. ؟ قلت هذا كاهداء ثوب الفتاة الى الشيخ الجليل ثم قولك اذا اعترض عليك معترض « نعم ! ولكن الثوب من حرير » واقسم اني ما اقنعت ذلك « الاديب » ولا تركتهُ الاَّ على ذوقهِ الذي استحب ذلك الرثاء

فمن شاء ان يعرف كيف كان الادب في العهد الذي ظهر فيهِ المقتطف فلينزل عن هذه الدرجة بمقدار خمسين سنة وليقس على جهالة هذا الفريق من قراء الادب تلك الجهالة المطبقة التي كانت فاشية يومذاك بين جميع القراء والادباء . فاذا استطاع ان يستجمعها في خيالهِ فقد استطاع ان يعرف فضل صاحب القلم « القاصد » والعبارة القوية والمعنى المحكم بين اناس لم يبصروا من الادب في جيلهم الاَّ الفوضى والخلل والخواء من كل معنى يستطيبه الذوق او يسلّم بهِ الفكر السليم

لقد كان القصد رسالة صروف في عالم الادب وكان هو حاجة ذلك العصر من الاصلاح في الكتابة والثقافة . واكبر به من رسالة وابلغ بهِ من حاجة . فانك اذا

علّمت انساناً ان يعني شيئاً يقولهُ وأن يقول ما يعنيهِ فقد خلقت لهُ فكراً او ارسلت فكرهُ المعطل من سباتهِ ، وقد نفضت عن ذهنه آفة الجمود فاطلقتهُ من حجر وقومته من عوج وهديتهُ من ضلالة . وليست هذه بالرسالة القليلة من اديب منقطع لفنهِ متوفر على اصلاحهِ بل من العالِم الذي لهُ رسالات اخرى ينقطع لها ويتوفر عليها

كان صروف مطبوعاً على القصد والتحقيق لانهُ عالم يقول ما يعلم ويلتزم ما يفهم. واذا كان الادب ممنوًّا بالخلط والضلالة فقصد العلماءهو خير ما يرام لهُوهو طبهُ الذي يأتيهِ من غير داره اذا كانت دارهُ مقفرة من دوائهِ

دخلت على العالم الفقيد يوماً فالفيته مشغولا بالبحث عن كلمة « شهية » يقول انهُ لا يعرفها في لغة العرب بمعنى قابلية الطعام ويحرص على ان يستوثق من معناها قبل ان يبت في استعمالها . وحادثتهُ مرة اخرى في اسلوب اللورد كرومر فقال انهُ يعجب لذلك السياسي الذي لا يزيد فيكلامهِ ولا ينقص . فاذا كانت معلوماتهُ واحصاءاته تذهب بهِ الى هنا (واشار الدكتور الى موضع على المائدة) لم يذهب هو الى هناك (واشار الى موضع آخر جدّ قريب من الاول) فهذه امانة في السياسة وامانة في العبارة تدلان على قدرة ادبية وذهن مستقيم

بهذه الامانة القادرة بدأ الدكتور حياته الكتابية فكان منذ خمسين سنة ونيف يكتب بالاسلوب الذي يجري عليهِ الكتاب المجددون في هذه الايام . فأنت تقرأ فصولهُ الاولى في المقتطف وفصولهُ الاخيرة فيهِ فلا ترى بينهما فرقاً في العناية بالصدق والتحري للاصابة ولا تحسُّ الترقي بعد الترقي الاَّ فيما استزادهُ الفقيد منعلم بمفردات اللغة ومرانة على التحبير وتوسع في الاطلاع . وماذا تقول في فضل كاتب مجدد اكبر من انهُ سبق المجددين الى هذه المزية بعمر كامل ؟ وانهُ كان مجدداً في اختيار الفاظهِ وآرائهِ قبل ان نشعر في جيلنا هذا بالحاجة الى التجديد ؟

على ان صروفاً شارك في الادب بغير القصد والدقة العلمية . فحفظ شعراً كثيراً كان يضعهُ أحسن الوضع في اماكن الاستشهاد من مقالاتهِ الوصفية ، ونظم شعراً كأجمل ما نظم العلماء في الحكمة وسر الوجود . وبين يدي الساعة ابيات لهُ في النيل نظمها قبل عشرين سنة فكانت خيراً من كثير مما يؤثر عن «الشعراء» في ذلك الحين وفيها يقول :

ابا مصر ومصدر نعمتيها لقد شاخ الزمان وانت كهلُ
بنى لك آل فرعون صروحاً عبدت بها ، وانت لذاك اهل
فما نفس رأت نعماً غزارا وخصباً لا يقوم لديه مَحْلُ
وكان الشكر مرمى ناظريها وربٌّ الكون لم يدركهُ عقل
بمشركة اذا شكرت صنيعا عن الادراك صانعه يُجلُّ
فان الفضل يعرفهُ ذووهُ وفضل النيل لا يعلوهُ فضل

ولهُ ابيات نظمها في سر الحياة عندما بلغ الثانية والسبعين يقول فيها :

سبعون حولا لقد مرت وما وجدت نفسي مقراً لها في العالم الفاني

. . . .

فرضان اما فناء والبناء لهُ لغوٌ ، واما بقاء شاءهُ الباني
اما واجسامنا ليست سوى صور مشكلات باشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جثماني
حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني
وللتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
لا بد للعلم من يوم يفوز بما يبيِّن الحقُّ فيهِ خير تبيان

فهذه الابيات وامثالها من نظم العالم الفقيد ابلغ واصدق من اشعار كثيرة حفظت لنا اسماء فلاسفة وحكماء لم نعرف لهم اثراً غيرها ولا سمعنا بهم الاَّ لانهم قائلوها ، فلولم يكن صروف عالماً يذكر بمقامهِ الرفيع في العلم لكان في شعرهِ بقية للذكر والرواية ، ولولم يعلمنا بقصدهِ وتحريهِ كيف نكتب ونؤدي حق الامانة لكانت بحوث المقتطف وتراجمهِ سهماً راجحاً لهُ بين سهوم الادباء والمشاركين في الآداب

فلتكن زهرة الادب منظومة بين اجمل الازهار التي يزدان بها اكليلنا حين نتقدم بهِ راكعين الى ذلك الضريح ، ولتبارك عرائس البلاغة عالماً رفع لها قربان العلم فكان أجدى لها من قرابين عبادها الغافلين ، وكشفها بنورهِ فكان أبين عن جمالها من دخان لا تبين فيهِ نار ولا نور

عباس محمود العقاد

النساء والرجال

وجوه الاختلاف والتشابه بين الفريقين

بحث فلسفي ادبي

١

كان الكاتبان الروسيان الشهيران ، غوركي وتشايكوف يتمشيان في شبه جزيرة القريم ، فالتقيا اتفاقاً بليو تولستوي ، جالساً عند شط البحر ، مطرق الراس ، غائصاً في بحار الافكار ، فجلسا الى جانبيه ، وشرعا يتحدثان في موضوع « النساء » وهو يصغي اليهما صامتاً وقتاً طويلاً . واخيراً رفع رأسه بغتةً وقال : اني انما اقول الحقيقة فيهنَّ حين اكون « رجل هنا ورجل في القبر » . فاقولها واقفز الى نعشي واردُّ غطاءهُ عليَّ ، قائلاً لهنَّ افعلن ما شئتنَّ

وقد سأل الكونت كيزرلنغ ، الكاتبَ الانجليزيَّ الشهير برنارد شو ، ان يكتب فصلاً لكتابهِ في « الزواج » . فابى قائلاً : لايجرؤ رجل على ان يقول الحقيقة في الزواج ما دامت امرأتهُ على قيد الحياة

ومع ذلك نقول : — ١ : ان الكتابات في هذا الموضوع اكثر الكتابات في الدنيا رواجاً واقلها ثقة . أما رواجها فلانها تهمنا مباشرة . واما عدم الثقة بها فلانها ترجمة اصحابها باقلامهم . وكل ترجمة بقلم صاحبها يخالطها كثير من الوهم لانها تكون غالباً صوت انتقام . ولا يرفع ذلك الصوت الاَّ الجنود المدحورون . فاذا كتب رجل فيهنَّ فجراحهُ هي التي تتكلم . ولذلك لا تصلح كتاباته للاسناد . وحين يفوز الرجل في ميدان المرأة ينتهي الامر عادة بالزواج . وبعد ذلك يصمت صمتاً شرعيًّا — اذ لا يتكلم اثنان في وقت واحد — واذا غُلب انصرف الى تأليف الكتب

على انَّ ما يكتبهُ النساء في تحليل خلق الرجال اكبر شأناً من كتابات شوبنهور ونيتشه ووينجر وغيرهم . لان النساء تفهم الطبيعة الانسانية فهماً دقيقاً ، والمرأة في ذلك اكثر حذقاً وتعقلاً من الرجل البطيء الفهم المتردّد الرأي . على انَّ النساء ابرع من ان يعلنَّ انفسهنَّ بالكتابة فيكتفينَ بقول ايوب انهن حفزن اعداءهن للكتابة عنهنَّ . وكل امرئ عادي يعرف موضوعنا من جهةٍ واحدة ، فهو بذلك يعرفهُ نصف معرفة . وقد لا يعرف من ذلك النصف الاَّ نتفاً . وقد تكون معرفتهُ بتلك النتف

معرفة غير تامة . فلنحترس ما استطعنا احتراساً

وسنقسم الطبيعة الانسانية (قسمة مبنية على التحكم) الى الغرائز الاساسية. ونسأل : كيف يختلف النساء عن الرجال في كل منها ؟ فنفترض ان الرجل يولد مجهّزاً ببعض الغرائز — كتحصيل الغذاء والحرب والهرب واللعب — وهي غرائز تتجه الى حفظ الفرد . وغرائز اخرى تتجه الى حفظ الجماعات : كالكلام وحب المدح والالفة والاجتماع : وهناك غرائز تتجه الى حفظ النوع : كالزواج والعناية الوالدية . وفي هذا الباب اقوال لا تزال ميداناً للبحث والجدل نعرض عنها ، إذ ليس لها علاقة حيوية بموضوعنا. فيهمنا ان نعرف هل النساء والرجال مجهزون بهذه الغرائز على اختلافها في الكم والكيف . ونبدأ بالغرائز الجنسية او التناسلية

٢ : حتى البيولوجي العارف بحقائق الطبيعة والحياة تدهشهُ سيادة الانثى وتفوقها في عالم الحيوان . فان الذكر في بعض انواع الحاميات مخلوق صغير يتصل بالانثى كزائدة او كعضو اضافي ، وهو غاية في الصغر اذا قيس بها . ففي دودة البحر المدعوة « بونيلا » تجد الانثى تفوق الذكر حجماً ٩٦ ضعفاً وانثى الفراش اطول من الذكر ١٦ ضعفاً ، واثقل منهُ عشرة اضعاف . وملكة النحل اكبر من اي ذكر من ذكور النحل التي تستميت في طلابها . وسيدة العناكب تفوق الذكر بهذا المقدار حتى انها تأكلهُ في كثير من الاحيان

ولكن ذكور ذوات الفقرات وذوات الثدي تفوق اناثها قوة . فان ارتقاء وظيفة الامومة ، واستبدال النشوء الخارجي بنمو الجنين في الرحم ، التي على الانثى اثقل القيود ، في حين ان الذكر بقيَ حرًّا طليقاً ، وغالباً غير مسئول . فيقتتل في حروب التنازع على القوت التي لا نهاية لها اويزداد قوة وعتوًّا

وللانثى صفة بيولوجية كحاضنة الجنس مباشرة . اما عمل الذكر فثانوي من هذا القبيل . وقد اتفقت الطبيعة والمختبر العلمي على تبيان قلة شأن الذكر ازاءها . وجمع جاك لوب بيوض صفارة البحر ونجم البحر غير الملقحة فاستولدها بعد ما عالجها بالحوامض او القلويات او الاملاح او السكر او الكحول او الاثير او الكلوروفورم او الستركنين ، وغيرها . فكأن كلاًّ من هذه المواد حلَّ محل الذكر بسهولة . فوضح ان الانثى هي الاصل في النوع وان الذكر فرعها . وللذكر شأن ثانوي في عمل التناسل الذي هو مدار الحياة . فيقف في ازمات الولادة جانباً ، عديم النفع ، وقد ادرك انهُ

اداة ثانوية في عمل استمرار النوع وان الانثى الصق منهُ بالحياة من هذا القبيل منها تتدفق مجاري الحياة بلا انقطاع بحيث يكون الخلق عمل جسدها ودمها بنوع خاص . فيبتدئ يفهم لماذا اوجب الاقدمون واصحاب الاديان العظيمة عبادتها

٣ : عمل المرأة خدمة النوع ، وعمل الرجل خدمة المرأة والولد . ولهما اعمال اخرى ، لكنها تحسب ثانوية ازاء هذه . وقد اودعت الطبيعة هذه الاعمال الجوهرية التي يقوم بها الجنسان من غير انتباه خاص ، كلّ ما لهُ قيمة وسعادة في الحياة . لذلك كان عمل الذكر العناية بالذين يعتمدون عليهِ واعداد قوتهم والمخاطرة في سبيل ذلك فهو يهجر البيت في طلاب القوت ، كمندوب الغذاء الخاص كما ان المرأة عماد الطبيعة في حفظ النوع واستمرارهِ ،فغرض الرجل العظيم احراز القوت ، واذا طلب غيرهُ من الاشياء ، او اذا طلب كل الاشياء فلانّ هذه تمثل ثروة تضمن الحصول على الغذاء في اوقات الحاجة . فيحب الذكر الطعام محبة فائقة ، ويسهل استعبادهُ بهذه الوسيلة ، لانهُ اكثر من الانثى شغفاً بالاكل والشرب .ولذلك امتلكت امنا حواء قلب ابينا آدم بتفّاحة . فالنساء يمتلكن الرجال بواسطة المعدة

٤ : وبسبب اقتحام الذكر المخاطر في انتجاع القوت صار محارباً . فالقتال بين الحيوانات يقوم بالمخالب والانياب ، وبين افراد الناس بالمزاحمة الاقتصادية ، وبين الدول بالجيوش والاساطيل والصحف. اما طبيعة الانثى فتجنح الى طلب الملجإِ دون الحرب . وفي بعض انواع الحيوان تخلو الانثى من فطرة القتال . وحين تقاتل مباشرة فانما تقاتل للدفاع عن اولادها .ولكن يغلب انها قليلة الميل الى العنف. ويغلب ان يظهر عنفها حين يستولي عليها اضطراب فسيولوجي . وهي اكثر صبراً من الرجل مع انها اقل منهُ شجاعةً في مواقف الحياة الخطيرة وازماتها الشداد ،فثباتها غير محدود في مصادمات الحياة الصغيرة التي تتجدد كل يوم ولا نهاية لها .فتتحمل المرض ساكنة صابرة ،واما الرجل فلا صبر لهُ على تحمل الامراض لانهُ لم يتعوّد السكينة فيملأُ الدنيا صراخاً . فغريزة الحرب في المرأة نيابية ، اي انها تعتمد على الرجل في الذود عنها وعن ولدها . فهي تسر بالزعيم القوي من الرجال . وفيها عنصر غريب يرقص طرباً لرؤية القوة . وقد يسيطر اعجابها بالقوة على مطالبها الاقتصادية فتتزوج ولو مجنوناً اذا كان شجاعاً . وتعبد الرجل القادر على القيادة . فاذا اتصفت بالتمرُّد في عصرنا فذلك لان الرجال ضعفت فيهم سجايا القوة والاقدام . ولعلّ ذلك ناشيء عن تفشي

الانتظام الممل في الاعمال الصناعية وقلة الابتكار في الاشغال العقلية مما اضعف الاعصاب وجعل الانسان اليف العبودية قليل الشجاعة والاقدام

تفوز المرأة في معاركها ليس بالقتال، ولا بالشجاعة بل بالثبات والمواظبة. ان غريزة المحاربة في الذكر اكثر شدَّة وظهوراً منها في الانثى، ولكنها اقلّ رسوخاً. فانهُ اميل الى المفاوضات مع العدو والتسليم لهُ طمعاً بالصلح ولكن المرأة تفوز بالمواظبة والمثابرة. ان نابليون الذي تمكن من سيادة قارة باسرها عجز عن سيادة امراتهِ. فقال: ان قوة سجيتي مضرب الامثال. ولكنني، في عائلتي، لن ازال ذلك الضعيف العاجز. وقد عرفت سيدات البيت ذلك فيّ ففي اول عاصفة ثارت بيني وبينهنّ فزن عليَّ بمواظبتهنَّ وهنَّ يفعلن بي ما يشأن لاني اتعب من المقاومة.» هذا النغم هو النغم السائد في كل الالحان العائلية. فان الرجل ينكسر غالباً قبل نشوب المعركة. واذا كان النصر حليفهُ فلتبكِ المرأة فيكون بكاؤها كفيلاً بالفوز. ومن اوليات الحرب عند المرأة الحكيمة «اذا فشلتِ فابكي ثم ابكي وابكي»

٥: في الافعال التي تحسب من غرائز العمل — كالزحف والمشي والرماية والقفز والتسلق والجري واللعب — تجد الانثى دون الذكر فيها. فانهُ يميل الى الحركة وقد يتطرف فيها. اما هي فميلها الى السكون الذي يزيد على الحاجة. اي انها اكسل منهُ ويغلب ان يقلّ سعيها كلما زاد نيلها. فهي الجنس الاشد خطراً، لان الكسل يلد التهاون والعَبَث ولكي يكون الانسان فاضلاً وسعيداً وجميلاً يجب ان يكون مشغولاً

٦: اذا كانت المرأة تفوق الرجل في الحب فهو يفوقها كثيراً في الصداقة. الرجال يستطيعون ان يكونوا اصدقاء بعضهم لبعض واما النساء فيقفن عند حد التعارف. ولا يرغبن في الصداقة المجرّدة التي يرغب فيها الرجال فيعسر عليهن تسلية بعضهنَّ بعضاً الا اذا تحدثنَ في الامور الخاصة. وذلك امر طبيعي كما قال لارشوفوكول قديماً: «ان سبب قلة اكتراث اكثريتهنَّ للصداقة هو ضئالتها تجاه الحب الذي سبق فاستهواهنَّ» فالحب كما قال الشاعر امر ثانوي عند الرجال ولكنهُ عندهنَّ هو كل الوجود

٧: من الغرائز ما يصون الافراد، وتفوُّق الرجال في هذه طبيعي وواضح. اما الغرائز التي تصون الجماعات، والتي غرضها حفظ النوع فالتفوق فيها للانثى. فهي اكثر من الرجل حبًّا للعشرة وللاجتماع لكنها لا تسأل عمّا هي افضل الالعاب والتسليات والملاهي وحفلات الطرب، بل عن اي الاجتماعات يحضرها اكثر الناس واشرفهم.

فهي اقل منهُ ميلاً للعزلة . واقل من ذلك ميلاً للنسك . لانها اكثر احتياجاً اليهِ منهُ اليها . ولا ريب في ان سبب ذلك حاجتها الى دفاعهِ وقيادتهِ

٨ : لما كانت اجتماعية بطبعها فهي اكثر منهُ كلاماً وقد شاع بين الناس انها منخل الاسرار . فهي اكثر صراحة لان رائدها العاطفة والشعور. ووجهها ككلامها ينم على ما في فؤادها . لانها لم تتعلم ككبار التجار ألاّ تجعل وجهها مرآة ضميرها في الاحوال المتعاقبة من عسر ويسر ، ومسرة وألم . وبقوّة هذه الليونة في وجهها برعت في ادراك دلائل الفكر والعاطفة في الآخرين. ولذلك كان خداعها اعسر جدًّا من خداع الرجل

٩ : ويتنوع حب المرأة للاجتماع بعاملي الجبن والتقليد ، فيغلب فيها ان تسلّم الزعامة للرجل ، حتى في امر الحب . فان زعامتهُ في هذا الميدان واضحة كل الوضوح. انها عديمة الثقة في ذاتها لان ضعفها الجسدي ، واعتمادها على الرجل اقتصاديًّا ، يثقلان كاهلها ، ويحيدان بها عن مناحي الثورة والمغامرة . فتلوذ بالعادة والقانون ، والاخلاص للتقليد القديم اخلاصاً دينيًّا . وتأخذ بالازياء الحديثة في الملابس والزينة والآراء . فعقلها اكثر تعرضاً من عقل الرجل لاثر الخرافات والخزعبلات التي تحل محل تقدم الفكر تقدماً منظماً . لذلك يعزيها الوسيط بظهور الاشباح ، ويغتذي عقلها بالطقوس والاوهام الجديدة

١٠ : المرأة اقل جرأة من الرجل على تغيير المألوف . فهي تبرز الى العالم شخصيات اقل توغلاً في الجنون، واقل تفوقاً في الذكاء . والتباين بين افرادها اقل منهُ بين افرادهِ .لان اضطرار الرجال الى تغيير المحيط وتنويع البيئة والصنائع والمهن والتجارة آل الى تلبُّسهم بالوف الصوَر . ولكن عمل المرأة في البيت عمل تقليدي قديم ، والتبعات التي ورثتها عن اسلافها ، في كيفية اقتناص القرين وتربية الطفل، تجعل المرأة تجري على سنن واحد ونفسيَّة واحدة. فصيغت النساء في ذلك على مثال واحد، فهنَّ يتشابهنَ في النفس،مع اختلاف الوجوه . ولعلَّ ذلك يعلل سهولة التنقل في الحب على الرجل ، من امرأة الى اخرى . لانهُ انما يتعلَّم بذلك اسماء جديدة ، لا فنًّا جديداً ، حتى انهُ يستعمل كلاماً واحداً بل رسائل واحدة مع مختلف الحبيبات . اما المرأة التي احبت ثمَّ فقدت حبيبها فانها ترى خسارتها لا تعوَّض .لانها قرنت روحها بالصورة الخاصة التي احبتها . وحيثما تتجه فقلبها يتبعها على اجنحة الذاكرة

(عن الانكليزية لول دورانت) حنا خباز

اديصن في الثمانين

يعالج اعقد المسائل التي عالجها في حياته

يتنبأ بوقوع حرب — بحثه في المطاط — سر من اسرار نبوغه

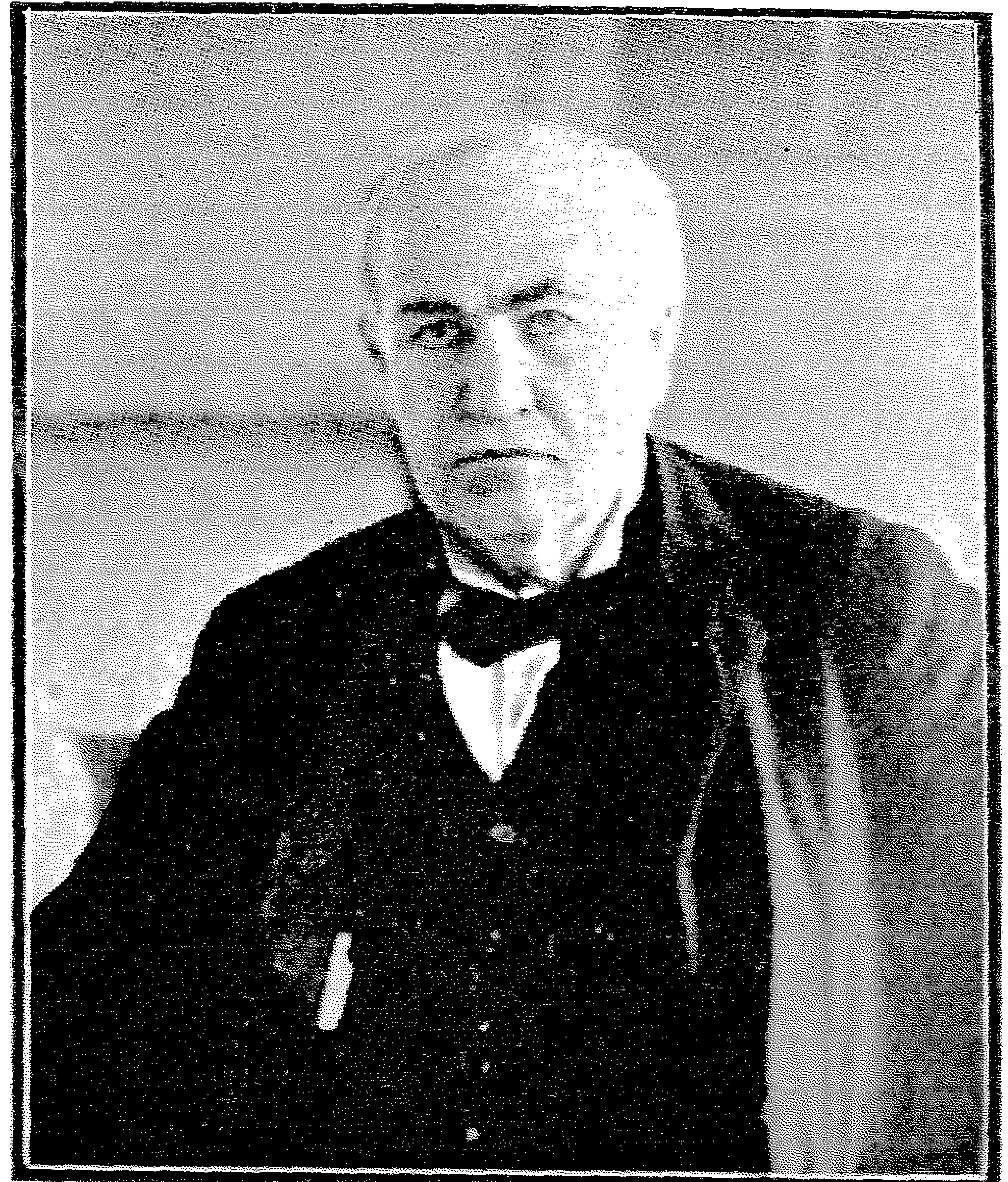
وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الاربعين

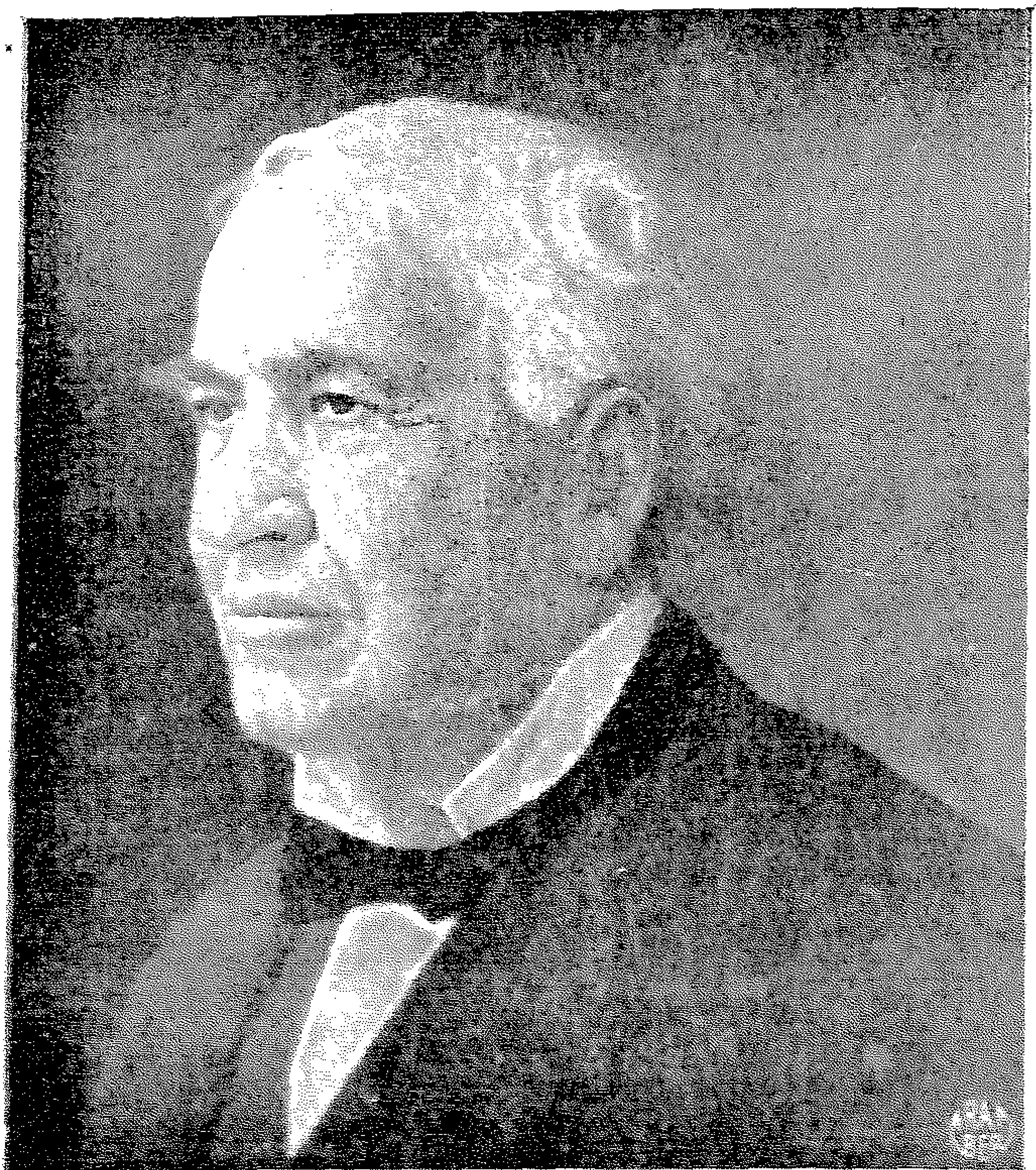
ان اديصن امير المخترعين وساحر الكهربائية لا يقول هذا القول مع انهُ بلغ الثمانين من العمر. فهو يقضي تسع ساعات كل يوم في معمله واربع ساعات أو خمساً في مكتبته يطالع ويبحث في كل ما يتعلق بالمطاط كانهُ لا يزال في شرخ شبابه يستثيرهُ المصباح الكهربائي او الفونغراف او الصور المتحركة التي كشف غوامضها بفكره الثاقب وجلاها للعالم مع مئات غيرها من المستنبطات التي سهّلت امور المعيشة وزادت رفاهة الناس

انقضت خمسون سنة وابناء العالم المتمدن يتساءلون كلّ يوم — « ترى ماذا يعالج اديصن من المشاكل الآن ؟» لان كل اختراع من اختراعاته احدث انقلاباً في الافكار والعادات وطرق المعيشة والعمل

فمن مستنبطاته : الميكروفون والتازيمتر. الاول آلة دقيقة تحس بامواج الصوت الضعيفة القادمة من مكان بعيد او الصادرة من آلة ضعيفة. والثاني يشعر بامواج الحرارة كما يحس الاول بامواج الصوت. ومنها المميوغراف او « البالوظة » وما تفرع عنها من استعمال الورق المغشى بغشاء دقيق من الشمع. الاولى احدثت انقلاباً في الاساليب التجارية. والثانية في لف المأكولات وتوزيعها. ومنها آلة لطحن الاسمنت طحناً دقيقاً واخرى تدعى المرسل الكربوني وقد كانت كبيرة الاثر في نجاح التلفون. واخرى لتوزيع القوة الكهربائية. ومنها الترام الكهربائي والمجافون (مقوي الصوت) وغيرها. فانك اذا اضفت هذه المستنبطات الى مبتكراته المشهورة كالآلة التي استنبطها في حداثته فجعلت ارسال رسائل تلغرافية كثيرة على سلك واحد ممكناً والمصباح الكهربائي والفونغراف والصور المتحركة والبطرية الكهربائية القلوية صحّ لنا ان ندعو هذا العصر منذ خمسين سنة الى اليوم « عصر اديصن »

ما هي العوامل التي توجّه عقل اديصن في جهة خاصة من التفكير والبحث، ومتى اتجهت افكارهُ كيف يعمل على اخراج فكره الى حيّز العمل، وما هو السرّ الذي مكّن





صورتان لاديصن امير المستنبطين

مقتطف يناير ١٩٢٨
امام الصفحة ٤٠

رجلاً واحداً من ان يقلب حضارتنا العملية رأساً على عقب ؟

ظلت هذه المسائل تدور في رأس الكاتب الاميركي فرنك ستوكبردج فلم يرَ بدًّا في الاجابة عنها من الذهاب الى اديصن نفسه . فحدثهُ اديصن في المعضلة الاخيرة التي اخذ يعالجها وهي معضلة صنع الكاوتشوك (المطاط)

قال اديصن : ليس في الولايات المتحدة من المطاط ما يكفي حاجتها اليهِ اكثر من سنة واحدة . وكنت ذات يوم اتحدث مع هنري فورد وهارفي فيرستون (١) فامتدَّ بنا الحديث الى النظر فيما تفعلهُ الامة الاميركية اذا نشبت حرب عامة وانقطعنا عن المصادر التي نستورد منها مطاطنا الخام . وهذه الحرب واقعة لا محالة . فماذا نفعل ؟

اننا لا نستطيع ان نخوض غمار هذه الحرب من غير مطّاط . فكل وسائل المواصلات والانتقال قائمة على استعمالهِ . فقرَّ قرارنا على أنَّ اخطر ما يجب ان ننظر فيهِ هو ايجاد مصدر جديد للمطاط يمكننا من الحصول على مقدار كافٍ منهُ في بلادنا . وهذه هي المسألة التي اعالجها الآن

قال الكاتب : اذاً لا يهمك المطاط من الوجهة التجارية . فقال : كلاَّ انهُ لا يهمني على الاطلاق . وقد اقبلنا على هذا العمل ونحن نعلم كلَّ العلم اننا لا نستطيع ان نزاحم مصادر المطاط الطبيعية في المناطق الاستوائية . فاجور العامل هناك ستة غروش في اليوم . والعامل الاميركي لا يستطيع ويجب ألاَّ نطلب اليه ان يعمل عمل هؤلاء باجور مثل اجورهم . وعلى هذا فليس في الامكان استخراج المطاط في الولايات المتحدة على وجهٍ يمكننا من مزاحمة زراعيهِ في المناطق الاستوائية . يستثنى من ذلك مطاط الجواجول واستخراجهُ مقيد بقيود شديدة ومقدار ما يستخرج منهُ لا يكفينا اذا نشبت الحرب لاننا نحتاج كل سنة الى ٤٠٠ الف طن من المطاط وكلها ترد علينا من الخارج . فاذا انتشر رواق السلام على ممالك الارض فليس علينا خطر من هذا القبيل لان بعض هذه المزارع يخصُّ شركات اميركية فنشتري منها بعض ما نحتاج اليهِ والباقي نشتريهِ من مزارع اخرى وننقلهُ بسفننا ما زالت مسالك البحار حرَّة امامها

فاديصن وفورد وفيرستون يريدون ان يبتكروا طريقة لاستخراج مقدار كافٍ من المطاط تعتمد عليهِ الامة الاميركية اذا نشبت حرب عالمية ومُنعت بواخرها عن استيرادهِ من اسيا واميركا الجنوبية . ويجب ألاَّ تزيد نفقة الرطل الواحد من هذا

(١) صاحب اكبر معامل المطاط في الولايات المتحدة

المطاط الجديد عن ريالين. ولكي يكون ذلك ممكناً يجب ان تستعمل الآلات في استخراجهِ من الاشجار. واستخراجُ المطاط من الاشجار متعذر فيجب ان يُعمد الى نبات آخر تكون مادة المطاط في كل خلاياهُ لا في خلايا الجذع دون غيرها كما هي الحال في اشجارهِ

فقال الكاتب: اذاً لنتوسع في زراعة الجواجول — وهو شجيرات تتخلل مادةُ المطاط كلَّ خلاياها فتقلع الشجيرة في وقت معين فتغسل وتطحن ثم تعالج معالجة كيماوية فيستخرج المطاط منها ويبلغ مقدار المستخرج منهُ نحو عشرة في المائة من وزنها. فلنتوسع اذاً في زراعتها في صحارى كاليفورنيا واريزونا ونيومكسيكو وتكساس

قال اديصن: ان ذلك غير مستطاع لانَّ تطبعها بطبائع الاقاليم الذي تنقل اليهِ يستغرق وقتاً ونحن لا يسعنا ان ننتظر الى حين نشوب الحرب حتى نبدأ بزرعهِ وبعد زرعهِ لا بدَّ من انقضاء خمس سنوات قبل ما يبلغ درجة يمكن عندها استخراج المطاط منهُ. فلا بدَّ من ان نجد نباتاً نستطيع ان نستخرج مطاطاً منهُ بعد مرور سنة فقط على نشوب الحرب. ويجب ان يكون هذا النبات مما يزرع في ارض لا نحتاج اليها في عهد السلم او لا تحتاج الى كثير من العناية قبل استعمالها

قال الكاتب: تريد ان تجد نباتاً يزرع كما تزرع الحنطة ويحصد مثلها؟

فقال اديصن: هذا ما نريد. نريد نباتاً يستطيع الفلاح ان يبذرهُ بآلات كما يبذر الحنطة فينضج في ثمانية اشهر او تسعة ثم يحصد بالآلات ثم يستخرج منهُ المطاط بالآلات ايضاً. ويجب ان يكون مما يستطيع ان يصبر على برد الصقيع اذ ليس في الولايات المتحدة، حتى في الولايات الجنوبية منها، بقعة لا يصيبها الصقيع على مدار السنة

لكني لا اريد ان اتكلم عن اشجار المطاط وشجيراتهِ الاَّ بعد ان ادرس ما استطيع درسهُ من الحقائق التي كشفها العلماء والباحثون عنهُ فابدأُ حيث انتهى غيري. ولكني لا ازال في اول الطريق وقد جمعت لذلك مكتبة وافية وها انا ذا اقضي خمس ساعات كل ليلة في مكتبتي اطالع هذه المؤلفات وادوّن ما يعنُّ لي من الملاحظات واستعين بنفر من كتابي على ترجمة ما يكتب باللغات التي لم اتعلمها

قال الكاتب: ولقيت احد معاوني اديصن فقال لي: انهُ بلغ اديصن في احد ايام الصيف الماضي ان كتاباً جديداً في المطاط طبع ونشر في المانيا فاصدر اوامرهُ في الحال الى وكيلهِ لكي يرسل رسولاً الى المانيا على اول باخرة تبرح نيويورك ليعود بالكتاب فارسل الوكيل تلغرافاً طلب بهِ ارسال الكتاب مع اول باخرة تبرح همبرج

فوصل باسرع مما كان اديصن ينتظر ولم يعرف اديصن ذلك إلا بعد أن نشرت هذه المقالة في مجلة « العلم العام » الاميركية

واستأنف اديصن كلامهُ قائلاً : ولا ازال حتى الآن اطالع هذه المؤلفات واقارن بين محتوياتها مستخلصاً الحقائق الاساسية حتى يسهل اليَّ ان انظر الى الموضوع من كل جهاته نظراً مبنيًّا على المعرفة الصحيحة

وهذا سرٌّ من اسرار نبوغهِ . ان من القصص المشهورة عن اديصن انهُ كان في نشأتهِ الاولى بائع صحف لم يتلقَّ الاَّ قليلاً من مبادىء العلوم في اثناء اشهر ثلاثة قضاها في مدرسة ابتدائية . والحقيقة ان والديْ اديصن كانا على جانب من سعة العيش وان امهُ علمتهُ في البيت تعليما وافياً وثقَّفتهُ باصول البحث والدرس لانها كانت قبل زواجها من ابيهِ معلمة فاضلة . ويقال انهُ طالع كتاب جبون في « انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها » وكتاب هيوم في « تاريخ انكلترا » وكلَّ كتاب علمي امكنهُ الحصول عليهِ عدا « مبادىء نيوتن » قبل بلوغهِ الثانية عشرة من العمر . وانهُ صار بائع صحف في محطات السكة الحديدية لان عملهُ هكذا مكنهُ من الاطلاع على احدث الرسائل التي تطبع وتنشر ولان هذا العمل كان يترك لديهِ متسعاً كبيراً من الوقت للمطالعة في مكتبة دترويت العمومية ، وكان يكسب منهُ مالاً يكفيهِ لشراءِ المواد الكيماوية التي يجرب بها تجاربهُ . وقد قال فيهِ احد معاونيهِ : « لا اعلم رجلاً ارسخ في اصول العلم من اديصن »

وهو يفعل الآن باصناف النباتات التي قد تصلح لاستخراج المطاط كما فعل في البحث عن خيوط الخيزران يوم كان منهمكاً في صنع مصباحهِ الكهربائي . فبثَّ العيون والارصاد في اليابان وجنوب اميركا وغيرها من البلدان التي يزرع فيها الخيزران فبعثوا اليهِ بكل اصنافهِ وكانت نحو ستة آلاف صنف فجرب تجاربهُ فيها كلها حتى تخير افضلها . وقد ارسل معاونيهِ الى انحاءِ اوربا واميركا الشمالية والجنوبية واسيا وافريقيا فجمعوا حتى الآن ٢٥٠ صنفاً من نباتات المطاط ومنها ما يمكن زرعهُ وحصدهُ في سنة واحدة . وهو عاكف على البحث في خصائصها وطبائعها وما يمكن ان تصير اليهِ بالانتخاب الصناعي . هذه صورة جديدة لامير المستنبطين — يقبل وهو في الثمانين على حل معضلة معقدة متشعبة الاطراف ، فيقضي من ١٢ الى ١٤ ساعة كل يوم يبحث وينقب ويمتحن ولسان حالهِ يقول « ساقيم على ذلك الى ان اعرف كل ما يمكن معرفتهُ عن المطاط »

الفيلسوف : او الحكمة البشرية

قصة فلسفية

لفولتير

من الفضول ان يحاول كاتبٌ في هذه الايام ان يزيد القراء علماً بڤولتير . لانهُ اشهر من ان يوصف واعرف من أن يعرّف . وُلدَ هذا النابغة العظيم في باريس سنة ١٦٩٤ . وتلقّى دروسهُ الابتدائية في احدى مدارس الآباءِ اليسوعيين . وشرع ينظم وهو بعد في طور الحداثة . ومع شدّة رغبة ابيهِ في ان يتعلَّم فنَّ المحاماة ظلَّ مكبَّا على مزاولة الكتابة . وقد حوكم غير مرَّة وحُكم عليهِ بالسجن بسبب قصائد الطعن والهجاء التي نظمها . وكثيراً ما نفتهُ الحكومة من فرنسا . فقضى جانباً كبيراً من حياتهِ في الجلاءِ . وظلّ اكثر من نصف قرن حائزاً قصب السبق العقليّ والزعامة الفنيّة في اوربا كلها ومجليًّا في حلبة كتابة الروايات التمثيلية والتواريخ والنبذ ووضع القصص ونظم القصائد الحكمية والهجائية . فكان من اعظم كتاب فرنسا واشهر المفكّرين في العصر الحديث . اما قصصهُ وهي كثيرة العدد ففلسفية المغزى مفرغة في قوالب تاريخية ومنها قصة ممنون الفيلسوف الآتية : —

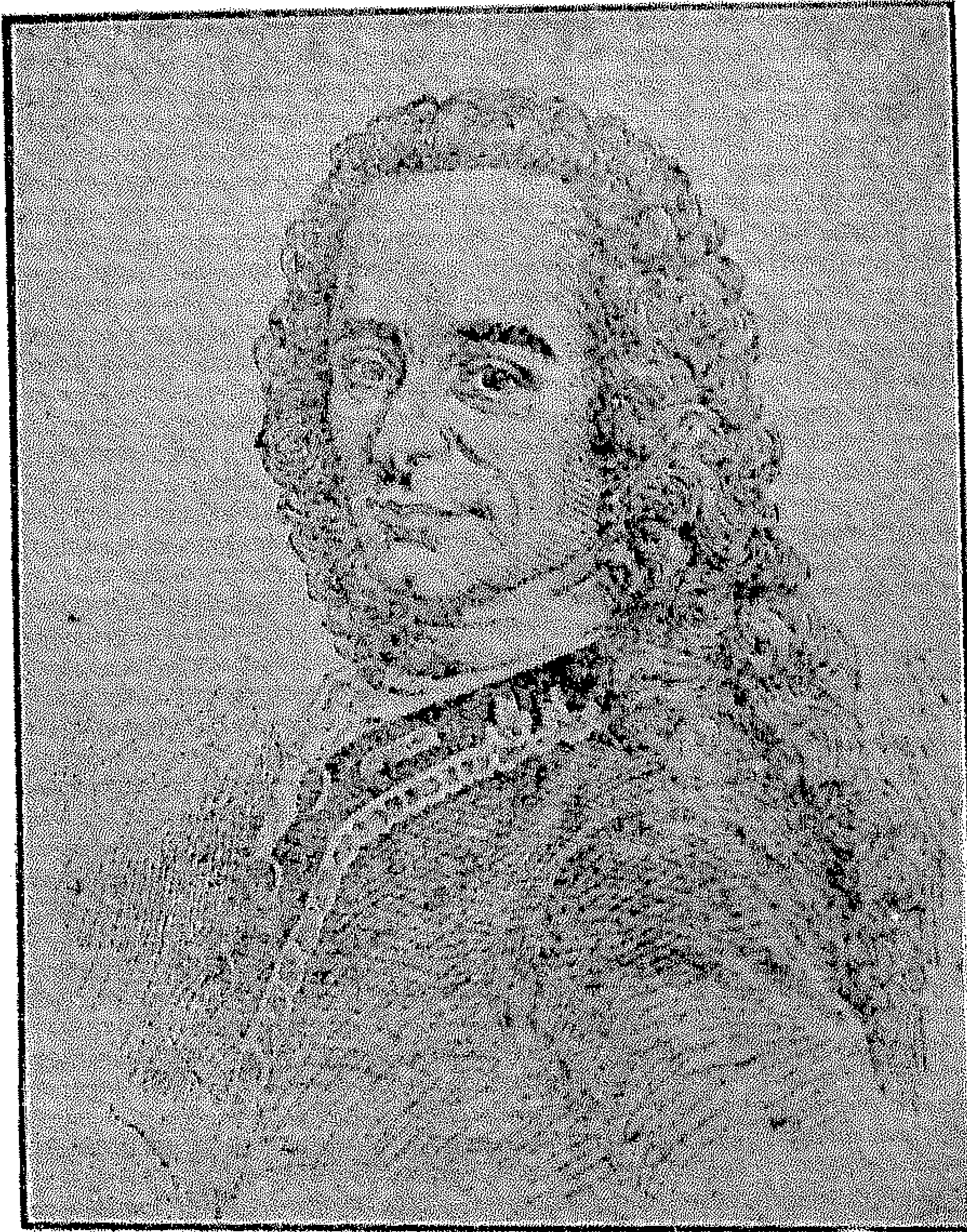
القصة

خطر ببال ممنون ذات يوم ان يصير فيلسوفاً ذائع الصيت مستطير الشهرة. وقلّ من لم يدُرْ في خلدهِ ان يركب مطية هذا العزم الغريب . فقال ممنون في نفسهِ : ليس عليّ ، لكي اصير فيلسوفاً كبيراً وارتع في ظلّ السعادة الوارف ، سوى ان اكبح جماح النفس الامَّارة بالسوء واجرّدها من كلّ ما يهيج عواطفها او يحرّك ساكن شهواتها . وليس اسهل من هذا الامر كما لا يخفى على كلّ ذي بصيرة . واوَّل شيءٍ افعلهُ هو ان اكون دائماً على حذر من الوقوع في شرك الحبّ . وكلما ابصرت عيناي امرأة حسناء اقول لنفسي : هذان الخدَّان الأسيلان الناضران سوف يعروهما التغضُّن والذبول . وهاتان العينان الساحرتان تركد ريحهما بعد الهبوب وتخمد نارهما بعد الشبوب . وهذا الصدر العاجيُّ يصير الى الترهل والاسترخاء وهذا الرأس يكرُّ

صبح المشيب على ليل شعره الدجوجي فلا يترك لعينه من اثر. وهذه القامة الهيفاء التي من دونها الصعدة السمراء في الدقة والاستواء ينيخ عليها الكبر فتعود كالعرجون القديم

« لو فكّر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه »

والشيء الثاني ان الزم خطة الاعتدال ولا اتحوّل عنها قيد شعرة . فأغمض عينيّ واسدّ اذنيّ دون كل من يحاول اغرائي بتناول مسكر يعبث بصحوي او بحضور اجتماع يستخفني فيه الطرب للخروج عن دائرة الادب ، متّعظاً على الدوام بما للافراط ومجاوزة حدود الاعتدال من سوء العاقبة ووخم المرتع ، كالدوار والصداع والغثيان وفقد العقل وخسارة الصحة وضياع الوقت. فلا اتناول من الطعام الاَّ ما يعوّض التلف الطبيعي . اي اني آكل لاعيش لا اعيش لآكل . فارفل



بحلة صحة لا يبلى جديدها وتظلّ افكاري في صفاء لا يشوبهُ كدر ومضاء لا يعتريه كلال . وهذا كلهُ سهل التداول وقريب المنال

ثم قال يجب ان اعنى بتدبير اموري . فمشتهياتي مقصورة على كل ما تمسّ الحاجة اليه ولا يتعدّى حدّ الاعتدال . وثروتي في حرز حريز لانها مودعة عند خازن اموال نينوى . فاعيش والحالة هذه مستقلاً مستغنياً عن الناس وتلك اعظم بركة واكبر نعمة . لن اضطرّ بحكم الضرورة الى الوقوف امام الحاكم . فلا احسد احداً وما من احد

يحسدني . وهذا سهل الى الغاية . لي اصدقاء ساحفظ ودّهم وارعى عهد صداقتهم ولن يقع بيني وبينهم ما يثير عاصفة الخلاف والنزاع . لن انتقد ما يقولون ولا ما يفعلون وهم سيعاملونني بموجب هذه القاعدة . وليس في هذا كله اقلّ صعوبة

ولما فرغ ممنون من وضع الرسم لخطّة فلسفتهِ المزعومة اقفل عليهِ في صوانهِ واطلّ من نافذة غرفتهِ فرأى امرأتين تسيران في الشارع امام بيتهِ .وكانت احداهما عجوزاً على وجهها امارات الهدوءِ والاطمئنان والاخرى صبيَّة جميلة الصورة تلوح على محيَّاها علامات القلق والاضطراب . وهي ممعنة في التنهُّد والبكاءِ . وكان تنهدها وبكاؤها يزيدان جمالها تجلّياً ووضوحاً لعين الناظر اليها .فأثّر ذلك في قلب فيلسوفنا ، لا من جهة حسنها [لانهُ عزم اشدّ العزم على عدم الاكتراث لهذا الامر] بل من جهة الضيقِ الذي رآهُ يشدُّ عليها النطاق ويحمّلها من عبئهِ مالا يطاق . فأسرع من فورهِ نازلاً اليها وكلها محاولاً مؤاساتها بعلاج فلسفتهِ . فقصّت عليهِ ، بابسط اساليب الكلام واشدّها وقعاً وتأثيراً ، ما تعانيهِ من الخسف والضيم من عمٍّ وهميٍّ لها احتال عليها وسلبها ميراثاً وهميًّا واسرف في نكايتها ، مدعية انها تخاف بأسهُ وترهب ما في استطاعتهِ ان يذيقها من مرارة النكال والعذاب . الى ان قالت لهُ : — « أراك رجلاً ذا عقل ثاقب ورأي صائب . فإن تفضّلت بالمجيءِ معي الى بيتي والوقوف على حقيقة احوالي فمن المحقق عندي انك تستطيع انتشالي من الورطة التي انا فيها » وما عتّم ممنون ان صحبها الى بيتها لينظر في امرها فلسفيًّا ويشير عليها بما فيهِ خيرها وصلاحها

ولما وصلا الى بيتها ادخلتهُ الى حجرةٍ حافلةٍ بفاخر الرياش وعابقة بشذا الندّ والعود . فجلسا كلاهما على سرير أنيق متقابلين .وشرعت السيدة تبثّ شكواها وتفيض في تفصيل ظلامتها والفيلسوف يلقي اليها السمع بما لا مزيد عليهِ من العناية والاهتمام . وكانت تتكلم مطرقةً خاشعةً ، تفتح اجفانها من وقت الى آخر لذرف دمعة سخينة او لكي تلاقي عيناها عيني صاحبنا ممنون وتخلبا قلبهُ بسحر بيان يقصر عنهُ ابلغ لسان . وكان الحديث يساق بالطف لهجة وعلى ارقّ اسلوب ويزداد رقة ولطافة كلما تلاقت الاعين ونابت عنِ الالسن . فوجّه ممنون كلّ اهتمامهِ والتفاتهِ الى مسألتها هذه وشعر بأنهُ يزداد ميلاً الى بذل كل ما في وسعهِ لتفريج كرب هذه المرأة الفاضلة المنكودة الحظّ . وكانا في بدء الامر جالسين على الاريكة متقابلين كما سبق الكلام . ولكنّ حرارة الحديث فعلت فيهما فعل جاذبية الاتصال وزحزحتهما عن مجلسهما هذا فأخذا

يتقاربان شيئاً فشيئاً . واسهب ممنون في اخلاص النصيحة لها والمشورة عليها حتى فرغت جعبة الكلام وضاق امامها مجال الحديث

واذ ذاك دخل عليهما الرجل الذي لم يصعب على احد توقُّع مفاجأته لهما وهو العمّ ! باغتهما مدججاً بسلاحهِ وعيناهُ تقدحان شرر الغيظ والغضب وانذرهما بموت محتوم لا مفرَّ منهُ ولا مهرب . اما المرأة ففرَّت افلت من جرارة العيار ولم يخفَ عليها ان عمها لا يتأخر عن العفو بمبلغ معين من المال . واضطرَّ ممنون ان يفتدي نفسهُ بكل ماكان في يدهِ

وقفل الفيلسوف راجعاً الى بيتهِ في صفقة المغبون يجرّ ذيل الارتباك والاستحياء فلقي دعوة من بعض أصدقائهِ الاصفياءِ لتناول العشاء معهم . فقال في نفسهِ : إن لم اقبل هذه الدعوة وبقيت وحدي في بيتي توجهت افكاري كلها الى التأمل في هذا المركب الخشن الشائن الذي أقدمتُ عليهِ ، مدفوعاً بعامل الطيش والرعونة ، فأفقد شهوة الطعام واعرّض صحتي للمرض والاعتلال . فمن الصواب إذن ان أُلبي دعوة اصدقائي واتناول معهم طعاماً لا أتعدّى فيهِ حدود الاعتدال . ومن المحقق عندي ان حلاوة لقائهم والائتناس بهم تنسيني مرارة الحماقة التي ارتكبتها في هذا الصباح . وبناءً عليهِ ذهب الى اصدقائهِ الذين رأوا على وجههِ علامات القلق والاضطراب فالحّوا في وجوب تناولهِ شراباً يبدّدُ سُحُب القلق ويعيد اليهِ اطمئنان النفس وصفاء البال . فقال ممنون الفيلسوف ان قليلاً من الخمر ، مأخوذاً بالرفق والاعتدال ، يفرّح قلب الله والانسان . فتناول القليل وتدرّج منهُ الى الكثير فسكر . وبعد العشاءِ عرضوا عليهِ ان يشاركهم في القمار فأجابهم اليهِ بحجة ان اللعب اليسير بين الاصدقاءِ خير تسلية يقضى بها وقت الفراغ . ولكنهُ خسر كل ماكان معهُ وفوقهُ اربعة اضعافهِ ديناً . ثم شجر بين المقامرين خلاف على امر تحوّل الى نزاع شديد فحمل واحد منهم على ممنون وبادرهُ بضربة على وجههِ قلعت عينهُ وغادرتهُ اعور . ثم حملوهُ الى بيتهِ سكران يشكو خسارة مالهِ وفقد احدى عينيهِ

وفي صباح اليوم التالي ارسل خادمهُ الى خازن اموال نينوى لكي يأتيهُ بقليل من الدراهم ليوفي بها ما عليهِ من الديون لاصدقائهِ . فعاد اليهِ الخادم واخبرهُ بان خازن الاموال اختلس جميع المبالغ المودعة عندهُ واعلن إفلاسهُ وغادر مئات من الذين استودعوهُ اموالهم يتجرعون غصص الضنك والفقر . فانقضَّ هذا الخبر على ممنون

انقضاض الصاعقة لانهُ جاء ضغثاً على إبالة . وما ابطأ ان نهض ووضع عصابة على عينيهِ وانطلق ذاهباً الى قصر الملك ليعرض شكواهُ من ذلك المفلس المحتال . وهناك لقي عدداً كبيراً من السيدات الساحبات ذيول النشوز والطموح. واذا بواحدة منهنَّ عرفتهُ فنظرت اليهِ شزراً وصاحت باعلى صوتها : « يا له من منظر هائل قبيح ! » وانبرت لهُ سيدة اخرى كانت معرفتها لهُ اشدّ واتمّ تحيتهُ قائلاً : — « عم صباحاً ايها السيد ممنون . ارجو ان تكون على خير ما تروم . قل لي ايها السيد ممنون اراك اعور . فكيف كان ذلك »؟ ثم اعرَضتْ عنهُ وذهبت من غير ان تنتظر جواباً عن سؤالها . فلجأ ممنون الى زاوية في ردهة القصر واختبأ فيها ريثما يتاح لهُ ان يجثو عند قدمي الملك . ولما سنحت لهُ هذه الفرصة ومثل بين يدي جلالتهِ كفَّر لهُ وقبَّل الارض ثلث مرات قدامهُ ورفع اليهِ عريضة الشكوى . فشملهُ الملك بعين الرضى والرعاية واحال العريضة على واحد من مرازبتهِ لينظر فيها ويخبرهُ بفحواها . فخلا المرزبان بممنون وقال لهُ كالحاً متجهماً : — « إصغَ اليّ ايها الاعور ! اراك رجلاً هزأة يسخر الناس منهُ ويضحكون عليهِ . ولولم تكن كذلك لم تجسر على رفع عريضتك الى الملك مباشرة من غير ان تعرضها عليّ . ثم انهُ بلغ من قحتك ان تشكو مفلساً اميناً خانتهُ الاقدار وهو مستظلّ بظلّ حمايتي لانهُ ابن اخ لوصيفة سرّيتي . فنصيحتي لك أن ترعوي عن غيّك وتودع هذه الدعوى زوايا النسيان اذا كنت تفضّل العور على العمى »

***

قلنا انهُ رسم لفلسفتهِ خطة يتقي بها الوقوع في شرك الحبّ ويجتنب الافراط في المآكل والمشارب ويتنكب طرق الملاهي ومفسدات الاخلاق والجلوس حول مائدة القمار والاحتراز مما يُفضي الى التخاصم والتحاكم . وفي برهة يسيرة ، لا تزيد على اربع وعشرين ساعة ، علق بحبال امرأة سلبتهُ مالهُ وتمرَّغ في حمأة المسكر وتقمَّص عار القمار واشتبك في شجار اورثهُ الاعورار وانساق الى التقاضي حيث لقي مالا يوصف من الازدراء والاحتقار !!

ففارق قصر الملك ، الى بيتهِ في دهشةٍ ذهبت برشده وحزنٍ ضاق بهِ صدره ويأسٍ خانهُ عليهِ صبرهُ . ولما اقترب من بيتهِ تصدى لهُ بعض رجال الحكومة وحالوا دون دخولهِ اليهِ لانهم كانوا مشغولين بإخراج امتعتهِ لكي تباع ويوفى بثمنها الدين الذي عليهِ لاصدقائهِ. فصفق صفقة الآسف الأوَّاه وسقط مغشيًّا عليهِ تحت شجرة

كبيرة . ولما أفاق من إغمائهِ نظر فرأى تلك المرأة الحسناء التي مكرت بهِ واحتالت عليهِ ، مجتازة من هناك ومعها عمها . وحينما أبصراهُ وشاهدا العصابة على عينهِ قهقها كلاهما ضاحكين عليه ومستهزئين بهِ . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب . وعند ما تصرّم الشفق وأرخى الظلام سدولهُ افترش ممنون بعض الهشيم بجانب بيتهِ واضطجع عليه . فعرتهُ برداء رجفت أعضاءهُ وعقبتها حمى شديدة شوتهُ بنارها . ثم ران على اجفانهِ الكرى واذا بروح سماويّ ظهر لهُ في الحلم

وكان هذا الملك الكريم يتألق كلهُ بنور يبهر الابصار ولهُ ستة أجنحة جميلة . ولكن لم يكن لهُ رأس ولا عجز ولا نظير يشبّهُ بهِ . فسألهُ ممنون : —

— من انت ؟

— ملاكك الصالح الحارس

— رحماك يا ملاكي الطاهر : أعد اليَّ عيني وصحتي ومالي وعقلي

وقص عليه بالتفصيل فقده لهذه الامور الاربعة في يوم واحد فقال لهُ الملك : —

— إنَّ هذه مخاطر ان تتعرّض لها في عالمنا

— اين تقيم ايها الروح الكريم ؟

— في مكان يبعد الف وخمس مئة مليون ميل من الشمس — في كوكب صغير قرب الشعرى اليمانية التي تراها من هنا

— لله ما اجمل هذا الوطن : ومن المحقق انهُ ليس هناك فتيات ينصبن فخاخ المكر والخداع لغبيّ معتوهٍ مثلي ولا اصدقاء خلصاء يختلسون مالهُ ويقلعون عينهُ ولا خزّان اموال يستحلّون الحرام ويدّعون الإفلاس زوراً وبهتاناً ولا مرازبة يسخرون منك وينكرون عليك ما تطلبهُ من العدل والانصاف

— نعم ليس عندنا والحمد لله شيء مما ذكرت . ونحن في مأمن من حبّ النساء وختلهنّ لانهُ ليس لعينهنّ من اثر عندنا . وبمنجاة من الافراط في طعام او شراب لاننا لا نأكل ولا نشرب . ولا خطر علينا من احتيال المفلسين لاننا لا نملك ذهباً ولا فضة . ولا نخاف على عيوننا من الاذى لانهُ ليس لنا أجساد كاجسادكم . ولا نخشى حيف المرازبة وجورهم لاننا كلنا هنالك متساوون ، لا فرق بين الواحد والاخر على الاطلاق

— ولكن كيف تقضون وقتكم يا سيدي وانتم محرومون معاشرة النساء والتمتع بالطعام والشراب ؟

— نقضيه برعاية العوالم الاخرى الموكلين بحراستها . وقد جئتُ الآن لمؤاساتك

— ويلاه ! لماذا لم تأتِ امس وتَحُلْ دون ما ارتكبتهُ من اعمال الخرق والطيش؟

— لاني كنتُ مشغولاً عنك باخيك الاكبر حسن المتشرف بخدمة صاحب الجلالة سلطان الهند . فهو الآن ، من كلّ وجهٍ ، اولى منك بالعطف والمؤاساة . لانهُ بدرت منهُ بادرة نزق وطيش أسخطت السلطان فأمر ان تُسمَل عيناهُ ويزَجَّ في غيابة السجن موثق اليدَين والرجلين . أما انت فعما قليل يتغير مصيرك فتنقل من حال الى حال . نعم لن يرجى ان تستردّ عينك المقلوعة . ولكنك فيما سوى ذلك ستنال قسطك من صفاء العيش ونعيم البال ، إن لم تحاول قط بعد الآن أن تصير فيلسوفاً كاملاً

— اذن تعليل نفسي بهذا الامر ضرب من المحال ؟!

— نعم . ان الحصول على الفلسفة الكاملة مستحيل كاستحالة التماس الكمال في الحكمة والقوّة والقدرة والسعادة . وهذا الكمال الذي تنشدهُ عزيز المنال حتى علينا نحن . وبيننا وبينهُ بون شاسع . نعم انهُ يسهل الحصول عليهِ في عالم واحدٍ فقط . ولكن في العوالم المالئة اطراف الفضاءِ ، ويبلغ عددها مئة الف مليون ، يجري كلّ شيء تدريجاً . فالحكمة والغبطة في الثاني اقلّ منها في العالم الأوّل . وفي الثالث اقلّ منها في الثاني وهلم جرًّا الى الاخير حيث الجميع سواسية في الحماقة والبلاهة

— اذن ليست كرتنا الارضيّة سوى مستشفى لمجانين هذه العوالم التي ذكرتها :

— ليست كذلك تماماً. لكنها اقرب شبهٍ لهُ . اذ إنهُ يجب وضع كل شيء في محلهِ

— إذن لا صحة لقول الشعراء والفلاسفة أن كلّ شيء صائر الى الأصلح والافضل

— لا . ذلك صحيح من حيث النشوء التدريجيّ بالنسبة الى العوالم كلها

فتنهّد ممنون المنكود الحظ وقال : لا اصدّق شيئاً من هذا حتى تردَّ عيني اليّ !!

ترجمة : اسعد خليل داغر

في الشهر القادم

قصة الجرح الخفي

للكاتب المجري كارولي كيسافولدي

انتقال الافكار : أحقيقة ام وهم

تعليل معقول للتلبثي وبيان بعض حوادثهِ الغريبة

للمقتطف رأي مشهور في مسألة مناجاة الارواح وقراءة الافكار يُلخَّص في انهُ لا ينفي مناجاة الارواح او قراءة الافكار نفياً باتّاً ولكنهُ يرتاب في صحتهما لان احد منشئيهِ المرحوم الدكتور صروف لم يقف اثناء مزاولتهِ لهذه المباحث على ما يثبتهما اثباتاً ينفي كل ريب . وكان رحمهُ الله يقول: « ان كلَّ ما اطلعنا عليهِ من هذا القبيل وكلَّما امتحناهُ بانفسنا لم نجد فيهِ ما يخرج عن التخيُّل والخداع او مالا يفسَّر بالاستهواء الذاتي او ببعض النواميس الطبيعية المعروفة او مالا يمكن ردُّهُ الى غيرهِ ممَّا لا يتعذر تفسيرهُ او ما فيه شبهة قوية » . ولكنهُ كان ميَّالاً في اكثر الاحايين الى القول بان بعض الناس يستطيع ان يدرك ما في نفوس غيرهِ بغير الحواس المعروفة وهذا هو التلبثي او انتقال الافكار . فان لادراك ما في نفس الغير بلا واسطة الحواس اثراً في كل انسان بل في العجماوات ايضاً . فان الكلب يفهم احياناً ما يدور في نفس صاحبهِ . فاذا كان لهذه القوة اثر في بعض العقول ولو كان طفيفاً جدًّا فلا يبعد ان يكون قويًّا في غيرها وانهُ يقوى ايضاً بالممارسة . وقد يصير صاحب هذه القوة بارعاً في الاستعانة بالحواس الظاهرة كالاعتماد على النظر في وجوه ممتحنيهِ ولمسهم كأن النظر واللمس ينبهان فيهِ هذه القوة المدركة كما تنبهُ الحواس الظاهرة المشاعر الباطنة

وقد اطلعنا الآن على مقالة في السينتفك اميركان للدكتور ولتر فرنكلن برنس وهو من اشهر الباحثين الاميركيين في المسائل النفسية ذكر فيها حوادث غريبة من قبيل انتقال الافكار مسندة الى نفر من اشهر الباحثين كالدكتور ريشه استاذ الفسيولوجيا بجامعة باريس والاستاذ غلبرت مري استاذ اللغة اليونانية وآدابها بجامعة اكسفرد . والدكتور مرفي احد اساتذة جامعة كولومبيا الذي اخذ يضع البحث في انتقال الافكار على اساس تجريبي ليخلص منهُ الى نتيجة يصحّ الاعتماد عليها فاقتطفنا منها ما يأتي :

١

ذكر الدكتور ريشه استاذ الفسيولوجيا بجامعة باريس ان الوسيطة ليوني قضت يوم ٢ يوليو سنة ١٨٨٨ في معملهِ ولما بلغت حالة استهواءٍ شديد في الساعة الثامنة مساءً سألها السؤال التالي : ماذا حدث للمسيو م. لنغلوى . فقالت انهُ قد حرق نفسهُ.

قال : واين مكان هذا الحرق من جسمهِ . فقالت : في يدهِ اليسرى . على انهُ لم يحرقها بالنار . لا اعرف اسم المادة . ولكن لماذا لا يحترس عند صبها . قال : وما لون هذه المادة . فقالت : ليست حمراء بل سمراء اللون. انهُ حرق يدهُ حرقاً بالغاً وقد تقرحت البشرة

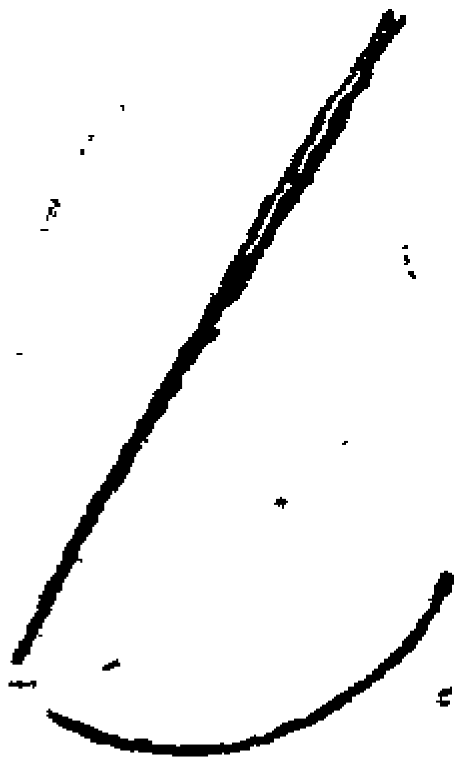
كانت كل كلمة فاهت بها هذه الوسيطة صحيحة بحذافيرها . فالحادثة التي وصفتها كانت قد وقعت قبل اربع ساعات من وصفها لها . على ان الوسيطة كانت قد قضت النهار كلهُ في معمل الاستاذ ريشه فلم يكن في امكانها ان تتصل بخبر الحادثة دع عنك تفاصيلها . وقد اكد الدكتور ريشه انهُ لم يذكر خبر الحرق الذي اصاب المسيو لنغلوى في يدهِ اليسرى لاحد . وقد حدث هذا الحرق من انصباب عنصر البروم وهو اسمر الى الحمرة فاحترقت البشرة وحدث فيها تقرّح

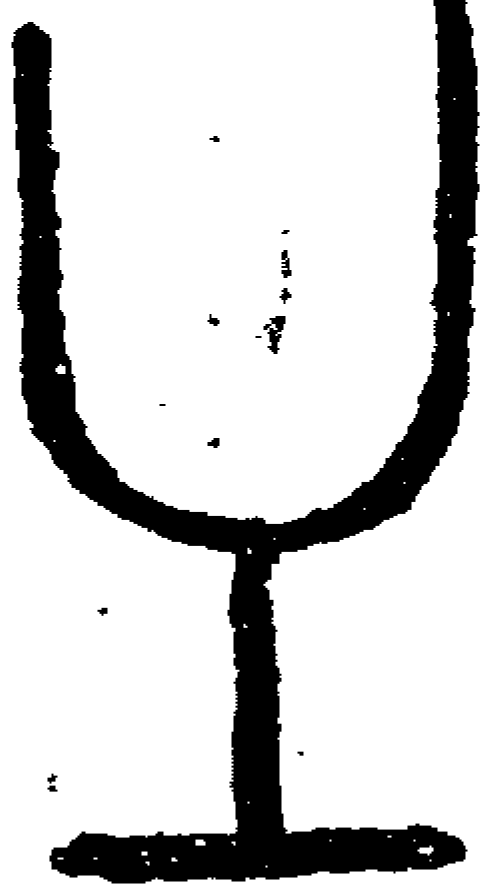
لو كانت هذه الحادثة مفردة في بابها لما تمكن احد من اقناعي بصحتها . بل كنت انسب الى الدكتور ريشه خطأ في روايتها او ضبط وقائعها ولقلت ان خبر الحرق اتصل بالفتاة بعيد وقوع الحادثة وان القصة كلها مزيج من الخداع والانخداع

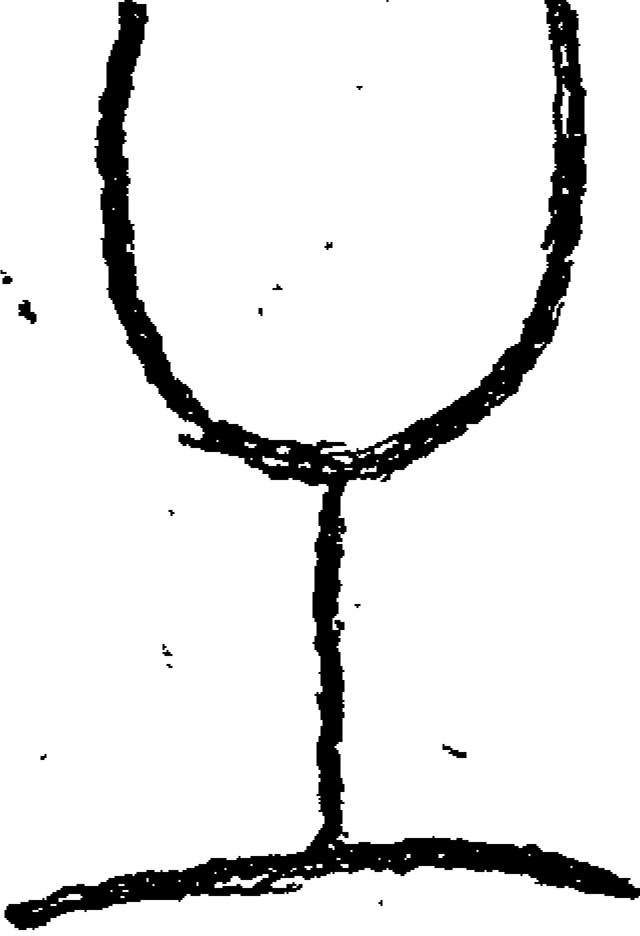
ولكن الحوادث التي من هذا القبيل متعددة وقد قام على تحقيق بعضها نفر من اولي العلم والخبرة ممن يصح الاعتماد على قولهم والثقة في امانتهم . وكثير من هذه قديم. فلدى مراجعة اعمال جمعية المباحث النفسية الانكليزية ثبت لي ان المستر ملكوم جوثري من اقدم الباحثين وابرعهم الذين عنوا بالبحث عن الوسطاء الذين تظهر فيهم قوة التلبثي وقد اطلعتُ في اعمال هذه الجمعية لسنة ١٨٨٣ على وصف لمائة وخمسين تجربة من تجارب تلبثي الصور اي ان العامل يصوّر صورة من غير ان يدع الوسيط يراها ثم يطلب الى الوسيط ان يرسمها على حدة ويقارن بين الصورتين . وقد استخدم في اكثر هذه التجارب وسيطتين والصور التي يراها القارىء في هذا المقال منقولة عن اعمال الجمعية وهي تمثل نتائج سلسلة من التجارب تمت في جلسة واحدة

وسنة ١٨٨٥ جرب المستر جوثري تجارب كثيرة مع فتاتين من بائعات المخازن بلندن واليك وصف بعضها . والوسيطة تدعى رلف . وقد حضر هذه التجارب مس ردمند وسيطة والدكتور هكس رئيس الجمعية المكرسكوبية بلفربول والمستر برتشل سكرتير الجمعية الادبية والفلسفية بلفربول ورجل يدعى المستر جونصن . وكانت الوسيطة في اثناء التجارب معصوبة العينين وظهرها الى الحضور





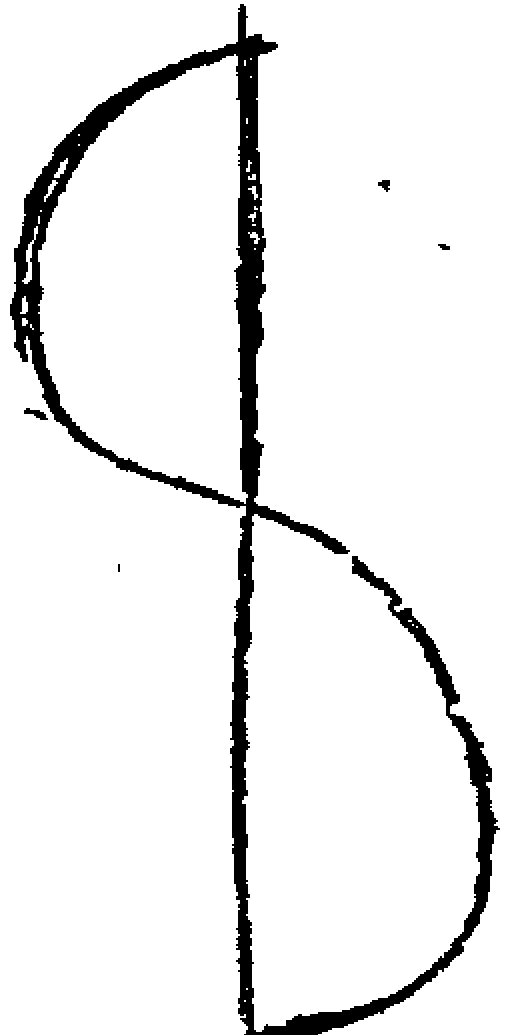




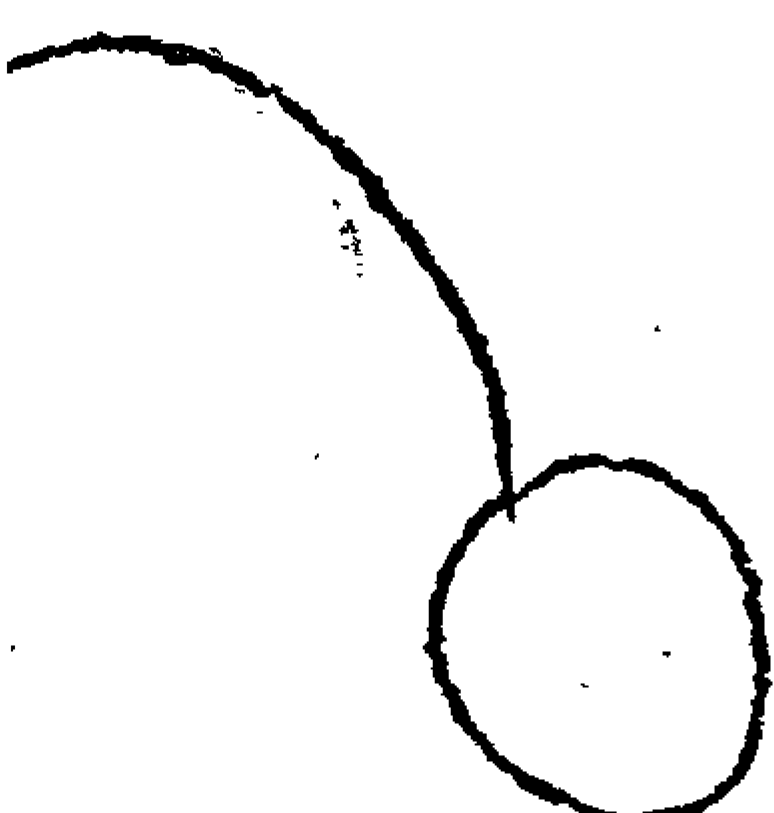




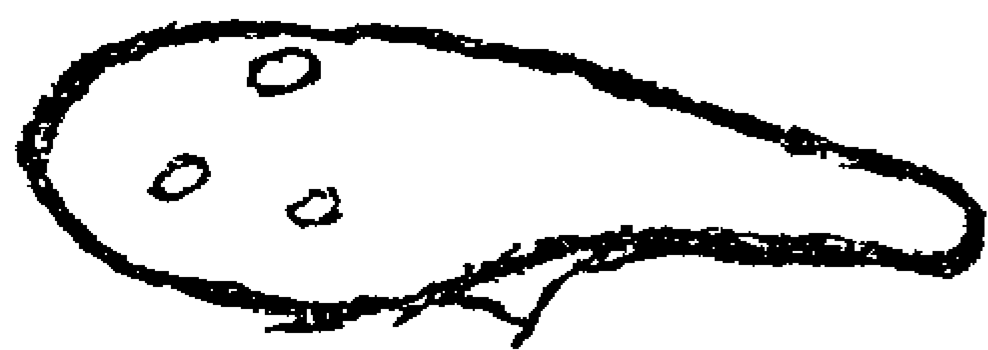












تمثل هذه الصورة الرسوم التي كان يرسمها العامل في التجارب المذكورة صفحة ٥٢ ثم يطلب الى الوسيطة ان ترسمها من غير ان تطلع عليها فالرسم الاول ابتداءً من الشمال هو الرسم الذي وضعهُ العامل وما يليهِ ما رسمتهُ الوسيطة وهكذا دواليك

مقتطف يناير ١٩٢٨

أمام الصفحة ٥٢

التجربة الاولى — وخز كل من الحاضرين يدهُ اليسرى بدبوس . فقالت الوسيطة : هل هو الم وخز هنا (واشارت الى راحة كفها الايسر)

التجربة الثانية — وخز كل من الحاضرين قفاهُ (مؤخر عنقهِ) بدبوس . قالت الوسيطة : هل هو وخز في العنق (ولمست قفاها)

التجربة الثالثة — حمل المستر ج . ساعة ذهبية ملامسة رداءهُ فقالت الوسيطة : انتظر الى شيء اصفر . هل هو مستدير . شيء يشبه البرتقالة ولكنهُ ليس ببرتقالة

التجربة الرابعة — حمل المستر ج. مقصاً مقفلاً من الصلب اللامع. فقالت الوسيطة : هل هو شيء لامع . لقد رأيت لمحة من النور اللامع ولكن لم أرَ الشكل

التجربة الخامسة — استقر رأي الحاضرين على قطعة من الحرير الاخضر الى الزرقة في شكل مربع غير منتظم فقالت الوسيطة : هل هو ازرق. اخضر الى الزرقة. شكلهُ غير محدود

وفي جلسة اخرى جرّب المستر جوثري والمستر جونصن تجارب من هذا القبيل مع فتاتين فكان الرجلان يضمران صورة من الصور الزيتية المشهورة ويكتبان اسمها على ورقة من غير ان يلفظاهُ ثم يطلبان الى الفتاة ان تعرفهُ . فكتبا اسم صورة عنوانها «متأخر» وكانت قد عُرضت قبل ذلك في احد المتاحف فسمتها الفتاة ووصفتها وصفاً دقيقاً . ثم اضمرا وكتبا اسم الصورة الزيتية المشهورة التي صورها ده فنشي وعنوانها « العشاء الاخير » وكان المستر جوثري قد تصور السيد المسيح حاملاً بيدهِ كأساً قد دسَّ فيها يهوذا شيئاً فقالت الوسيطة : «هي صورة تمثل الايام الاخيرة لرجل . يظهر ان هناك رجلا في حالة النزع وحولهُ جمهور غفير . ارى سريراً ورجلاً مائتاً وقربهُ رجل حامل ورقة او شيئاً آخر او هو نفسهُ حاملها »

ثم اضمر صورة « دانتي يلتقي بحبيبتهِ بياتريس » فلم تفلح الوسيطة في استظهارها ثم اضمر صورة « الفرار الى مصر » فسمتها باسمها في اربع دقائق

وسنة ١٨٨٩ جرّب الاستاذ هنري سدجوك وزوجتهُ تجارب الغاية منها امتحان قوة نقل الافكار اذا كانت هذه الافكار ارقاماً . فكان العامل يأخذ من كيس في يدهِ رقعاً عليها ارقام مختلفة ويسأل الوسيطة — وقد كانت منوّمة تنويماً مغنطيسيًّا عن الرقم الذي يتناولهُ . وقد جربت هذه التجارب في اناس مختلفين بعد تنويمهم فلم ينجح منهم سوى اربعة وكان نجاح المس ب . باهراً يستلفت النظر ففي احد الجلسات سُئلت ان تعرف ١٢ رقماً مختلفاً فاصابت في معرفة تسعة منها واخطأت في ثلاثة وما اصابت

في معرفتهِ كانت قولها فيهِ قاطعاً من غير تعثّر او ترديد

وسنة ١٨٩٠ جرّب البارون فون شرنك نوتزغ سلسلة من التجارب لخصها في اعمال جمعية المباحث النفسية ويؤخذ من وصف الاحتياطات التي اتخذها حين القيام بهذهِ التجارب انهُ لم يكن فيها مجال للخداع . وقد كانت من قبيل التجارب الاولى المذكورة والمصوّرة في هذا المقال

ومن العلماء الذين اشتهروا بقوة التلبثي الاستاذ جلبرت مري استاذ اللغة اليونانية وآدابها في جامعة اكسفرد . وقد امتحن ٢٣٦ مرة في ثماني سنواتٍ امتحانات مختلفة اصاب اصابة تامة في ٨٥ منها واصابة غير تامة في ٥٥ منها واخطأ في ٩٦

ومن المسائل التي امتحن بها جملة من رواية تمثيلية لتشيكوف الروسي قالتها ابنة ممثلة وهي «حينما كنت في باريس صعدت بيلون». ودعي السرغلبرت فقال «في روسيا من كتاب دُمْ دُمْ دُمْ (اشارت الى التمهل في الكلام) صعدت ببالون حينما كنت دم دم صعدت ببالون.حينما كنت بباريس صعدت ببالون» ويظهر من ذلك ان الكلام تمثل في ذهنهِ تدريجاً . ثم اختاروا موضوعاً من رواية للروائي دستويفسكي يدور على رجل فقير مات كلبهُ في مطعم . فلما دخل السرغلبرت قال : « ان الناس هزأوا بالمسكين ولكنهم حزنوا وارادوا ان يتلطفوا معهُ »ولم يكن السر غلبرت قد قرأ الرواية

ومما امتحنوهُ بهِ ايضاً قول الملكة فكتوريا وهي ابنة صغيرة « ساكون عاقلة» اذ قيل لها انها ستصير ملكة . فقال «هذا شيء من كتاب بل في صورة حينما قيل للملكة فكتوريا انها ستصير ملكة»فكان جوابهُ قريباً من الحقيقة ولو لم يذكر الكلمة التي قالتها

واقترح احدهم الحادثة التي قُتل بها توماس أبكت في كنيسة كانتربري الكاتدرائية وهي حادثة مشهورة في تاريخ انكلترا . فدخل السر غلبرت وقال . « حادثة فظيعة . شخص قتل في كنيسة . ظننت اولاً حدثت في ثورة البلشفك ولكنني اظن انها قتل توماس أبكت »

وقد ذكرنا في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٥ ما يفعلهُ رجل الماني يدعى للدوغ كهن فانهُ يقرأ ما يكتب في ورقة ولو لم يرَ الكتابة . وقد جرّب اعمالهُ هذه امام جماعة من اكبر علماء الطب والفسيولوجيا والرياضيات . وكانت احدى جلساتهِ امام الاستاذ لكلنش من اكادمية العلوم الفرنسوية والاستاذ ڤاله من اكادمية الطب والدكتور اوستي رئيس المعهد الفلسفي . وغيرها امام الاستاذ ريشه وغيرهِ من اقطاب اكادمية

الطب . فشهدوا لهُ بهذه المقدرة الغريبة . ووصف هذه التجارب واقوال العلماء فيها من اغرب ما يقرأ وقد نشرناها في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٥ فلتراجع هناك

٢

هل يتساوى الناس في مقدرتهم على الشعور بما يجول في افكار الغير واستحضاره ام يتفاوتون في ذلك ؟ والذين تظهر فيهم هذه المقدرة الغريبة الا يجوز ان تكون معرفتهم بما يضمر من قبيل الاتفاق ؟

هذه مسائل دقيقة وللاجابة عنها اجابة علمية مقنعة لا بدَّ من البحث العلمي الدقيق الذي يخضع للقياس والمقارنة . والباحثون الاميركيون سباقون في هذا الميدان . فان ثلاثة من اساتذة جامعة كولومبيا اعلنوا انهم سيجربوا تجربة واسعة النطاق ليصلوا من نتائجها الى معرفة توزيع هذه القوة بين الناس . فاستأجروا محطة من محطات الراديو واذاعوا منها بيان تجربتهم . ذلك انهم يفكرون في رقم او صورة او عمل او الم ويصف احدهم نوع الشيء الذي يفكرون فيه فاذا كان رقماً قال انهُ رقم يتراوح مثلاً بين الواحد والالف واذا كان عملاً قال انهُ من قبيل الاشغال الفكرية او الاعمال الصناعية وهلمَّ جرًّا . ثم طلبوا الى الذين يصغون اليهم ان يكتبوا ما يتراءى لهم ان هؤلاءِ الاساتذة يفكرون فيهِ . فجاءتهم ٢٥٠٠ رسالة شطَّ فيها اكثر كاتبيها عن الحقيقة ولكن اثنين عرفوا اكثر ما أُضمر معرفة حيَّرتهم

وفي جامعة هارڤرد استاذ يدعى ايستربروكس يعنى بهذه المباحث ويجريها على قواعد الامتحان العلمي الدقيق . ومن تجاربهِ ان يُجلس في غرفة احد طلبة الجامعة ويجلس هو في غرفة في جوارها وامامهُ آلة دقيقة الصنع متصلة بآلة في الغرفة الثانية. فاذا ادار الاستاذ الآلة التي امامهُ قطعت من نفسها رزمة من ورق اللعب فينظر الاستاذ الى الورقة التي قطعت الرزمة عندها ويصبُّ فكرهُ عليها . وتكون الآلة قد اعطت اشارة في الغرفة الثانية فيحاول الطالب ان يصرف الورقة التي ينظر اليها استاذهُ ويفكر فيها . وحتى الآن لم تصدر نتائج هذه المباحث ولكنها بوّبت تبويباً علميًّا يظهر منهُ اجابة الذين امتحنوا في معرفة الورقة هل هي حمراءُ او سوداء وهل هي «بستوني» او «ديناري» وهل هي سبعة او عشرة او رجل الخ والمشتغلون بهذه المباحث ينفقون الساعات والايام في استنباط وسائل جديدة للبحث والامتحان حبًّا للعلم وسعياً وراءَ المعرفة

ماذا اطالع في عزلتي

لغليوم الثاني امبراطور المانيا سابقاً

لا يدرك الرجل قيمة الكتب الاَّ حين يُقضى عليهِ بان يمكث في عزلة تمرُّ بهِ الدقائق والساعات كأن الدهر موثق لا يسير ، او حين ينتظر حدوث حادث خطير تدور عليهِ كل آمالهِ . فلما كنت في بوتسدام كانت شؤون الامبراطورية تمنعني من الغوص على لآلئ المعاني في بحار الكتب مع اني تثقفت كواحد من آل هوهنزلورن بآداب الالمان الحديثة تثقيفاً كاملاً . ولما انتظمت في سلك الجيش طالعت كثيراً من الكتب الحربية وتبعاً لارادة والدتي كنت اطالع الكتاب المقدس فكان من الاركان التي بني عليها تثقيف عقلي وتهذيب نفسي

فلما وضعت الحرب اوزارها وجئت الى دورن بدأت ادرك ادراكاً صحيحاً قيمة الصداقة الادبية التي تمكنت اواصرها بيني وبين اصحاب المؤلفات التي اطالعها . فانا مدين لكثير من المؤلفين الراحلين بساعات من السرور الذي لا قرار لهُ كنت اقضيها في مطالعة الكتب التي خلفوها لهدي الناس وتهذيبهم

وكثيراً ما يتعود الطفل ان يلذَّ لهُ نوع خاص من الكتب، يحببهُ اليهِ معلموهُ والقائمون على تهذيبهِ فيبقى هذا النوع من الكتب احب اليهِ من غيرهِ في شبابهِ وكهولتهِ . لذلك احسب كتاب الجنرال فريدرك فون برنهاردي الذي عنوانهُ «السيطرة العالمية وسقوطها» احبَّ كتاب اليّ . وارجو ألاّ يحمل هذا التصريح على غير محملهِ الصحيح او يؤوَّل بما لم يقصد منهُ بعد كل الحوادث التي حدثت وتركتني هنا منفيًّا يخالط الشيب لمتي ويقعدني الحزن والاسى . فان كتاب برنهاردي كان يشوقني منذ صباي وقد قرأت كثيراً من صفحاتهِ الأخاذة مراراً لا بل قرأت بعضها ما يزيد على اثنتي عشرة مرة

اما الروايات فلا اطالعها اذ لا تسبيني وقائعها . لاني ارى ان حوادث الحياة على ما هي في حقيقتها افتن للبّ القاريء من مبتكرات الخيال . اعطني كتاب «سبيل الارادة الى القوة» تأليف نيتشه او كتاب « فلسفة معارك فردرك الكبير» واني قانع بان امكث مع العظماء في ساعات مجدهم وخذلانهم . كذلك لا تشوقني الآداب العصرية وانا من الذين يرون ان عصر الآداب الخالدة قد انقضى . افي العالم اليوم رجل يكتب

كتاباً من طبقة كتاب غروشوس « تاريخ كامل لرومية القديمة » او من طبقة كتاب « بروسيا ضد اوربا » الذي وضعهُ كارل بليبترن ؟

واذا نظرنا الى الآداب الانكليزية التي احترمها احتراماً عظيماً هل نجد بين كتاب الانكليز المعاصرين كاتباً يقدر ان يبني عبارة او يصف خاطراً كما كان يفعل تشارلز دكنز او وليم ثكري ؟ وهل من شاعر بينهم ينظم كبيرون ؟ لا شك ان هذا العصر عصر واقعي ونزعتي الادبية المتفوقة واقعية ، ولكني مع ذلك لا اعرف كاتباً في شعب من الشعوب — اذا استثنينا كاتباً وكاتبين — نستطيع ان نقرنهُ الى اعلام الادب السابقين

هذا كتاب « حياة نبوليون » اطالعهُ الآن لان سيرتهُ تشبه سيرتي من وجوه كثيرة فلما نفي نبوليون قرأ سيرة يوليوس قيصر في منفاهُ . وانا اقرأ سيرة نبوليون . ومن يدري ألاّ يوجد رجل آخر بعد قرنٍ من الزمان يُنفى فيطالع سيرتي وسيرة نبوليون معاً . ولقد تعلمت كثيراً من اللغات الحيّة فاتسع امامي ميدان المطالعة وانا احب الآداب الفرنسوية واؤثر مطالعتها في المساء فتريح اعصابي بعد مطالعة الكتب الالمانية او الانكليزية التي لها مقام خاص عندي . ولديّ تاريخ الحرب الفرنسوية البروسية وهو من اعزّ اصدقائي

قلت : اني لا اطالع روايات على الاطلاق ولكن يجب ان اصحح هذا القول اذ الواقع اني لا اطالع الروايات العصرية فقط . ولكن حين اتنزهُ مشياً على الاقدام اتأبط احد روائيي فرنسا كهيغو او جول فرن وقد اقضي ساعة كل اليوم اطالع كتب دكنز في الاصل الانكليزي . ومن الكتاب المعاصرين الذين تطيب لي مطالعتهم ردْ يردكبلنغ

اما كتب السيَر والترجمات فمن احب الكتب اليّ وعندي ان كتاب السرسدني لي في سيرة « الملك ادورد السابع » افضل ما كتب في سيرة « صانع السلام » . والكتاب الذي يحتوي على رسائل الملكة فكتوريا يلذ لي بنوع خاص لانها جدتي لامي

وارى ان كتب السيَر التي تكتب الآن ليست من المؤلفات الخالدة في هذا النوع من الادب لان اكثرها يُعنى عناية خاصة بالصغائر في حياة المترجَم وهذا كاف لان يقضي عليها . على اني اطالع الجرائد بشغف وهي اعلق بالنفس من اكثر الكتب . ولعل سبب ذلك اهتمامي الخاص بشؤون الامم . ولولا اصدقائي العديدين — اشارة الى كتبهِ — الذين صحبتهم معي الى منفاي لكان بيتي هذا جهنماً لا تقارب ولكني انسى في صحبتهم اني رجل نفي من بلادهِ او ملك قد ثلّ عرشهُ

محاولات لانشاء مجمع لغوي

ووضع دائرة معارف عربية

لنحو خمسين سنة خلت ، في اواخر عهد الخديو اسماعيل ، كثر سواد المشتغلين بالادب والكتابة في الصحف. ونشأ منهم جيل جديد هو جماعة الداعين الى الانفكاك من قيود السجع والمحسنات البديعية وبرقشة الالفاظ . واستبدال هذا اللعب بالعبارة الرصينة المحكمة والتدقيق في تخير اللفظة الصحيحة للمعنى المقصود

وكانت الصحف السياسية وقتذاك حديثة العهد . فكثر استخدام الكلمات السياسية الافرنكية من فرنسوية وايطالية وتركية . وهكذا فعل المترجمون في دوائر الحكومة. وناقلو الكتب المدرسية ومؤلفوها . فاختلط العامي بالمعرب . ودعا المرحوم عبدالله فكري باشا حوالي سنة ١٨٨١ الى انشاء اكاديمية لصيانة اللغة . ولكن الاحوال السياسية واهمها الثورة العرابية منعت من تحقيق غرضهِ

المجمع اللغوي الاول

وبقيت هذه الفكرة نائمة حتى تولى الحكم الخديو عباس سنة ١٨٩٢ ، وفي هذه السنة نشط المستر وليم ويلكوكس المهندس المعروف داعياً الى الكتابة باللغة العامية . فكانت هذه الدعوة من اكبر الاسباب لتأليف المجمع اللغوي العربي الاول الذي هيأ اسبابهُ السيد محمد توفيق البكري

ففي النصف الاخير من سنة ١٨٩٢ اجتمع في دار السيد البكري بالخرنفش حضرات الاساتذة العلماء : الشيخ الشنقيطي الكبير والشيخ محمد عبده والشيخ حمزه فتح الله والشيخ حسن الطويل وحفني بك ناصف والسيد محمد بك بيرم ومحمد بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال ومحمد بك كمال . وتذاكروا في انشاء مجمع يؤدي للغة العربية ما تؤديهِ الاكاديمية الفرنسية للغة الفرنسية . ووضعوا لذلك قانوناً. وولوا السيد البكري الرآسة والسيد محمد بيرم السكرتارية . وعقدوا سبع جلسات كان آخرها جلسة يوم ١٧ فبراير سنة ١٨٩٣

ومما يذكر من اعمال هذا المجمع كنموذج لمباحثهِ انهُ في الجلسة الرابعة التي عقدت مساء ٤ فبراير سنة ١٨٩٣ عرض السيد البكري عشر كلمات عربية ترجمة لعشر

كلمات اجنبية وهي : مرحى لكلمة برافو (ومرحى تقال للرجل اذا اصاب المرمى) ومدره للافوكاتو ، ومسرة للتليفون ، وعم صباحاً لبون جور ، وعم مساء لبون سوار ، وبهو للصالون ، وقفاز للجوانتي ، ونمرة لنمرو ، ووشاح للكوردون . والقى الرئيس (السيد البكري) خطبة في اخلاق المتنبي اخرج فيها من اشعار المتنبي ما يستدل به على اخلاقه . والقى المرحوم محمد بك عثمان جلال تخميسه لقصيدة « بانت سعاد »

وفي الجلسة التالية (الاخيرة) القى السيد البكري خطبة في « الوفاقات والعادات » بحث فيها بعض العادات والاحوال التي اتفق فيها العرب والافرنج المعاصرون كالتهادي بالزهور والرياحين في ايام المواسم والاعياد . ورفع ما على رؤوسهم للتعظيم . واقامة التماثيل والانصاب لمشهوري الرجال . وقصّ اذناب الخيل . وارسال ذيول النساء . والانحناء للسلام . وتصوير الملوك على السكة المضروبة من الدنانير والدراهم . ووضع الرنوك . وانشاء بيوت متاحف الآثار . والاستئذان قبل الدخول . ووضع قائمة باسماء الاطعمة . والمثاقفة . ووجود فرق للفوضويين الخ الخ

والقى محمد بك المويلحي خطبة مسهبة في اغراض المجتمع وعشر كلمات ترجمة لمسميات اجنبية وهي : الطنف للبالكون ، والحرّاقة لمركب التوربيد ، والجديلة للموضة وبطاقة الزيارة للكارت ده فيزيت ، والمربه للكلوب ، والحذاقة لشهادة الدراسة كالبكالوريا ، والمعطف للبالطو او الباردسو ، وحصب الطريق لفرشها بالمكدام ، والشرطي او الجلواز او التؤتور لرجل البوليس ، والمشجب او الشجاب للبورت مانتو (الشماعة)

وتناقلت الصحف اليومية والاسبوعية هذه الكلمات العشرين . فتصدى لنقدها المرحوم جرجي بك زيدان في الهلال (عدد مارس سنة ١٨٩٣) وردّ عليه المرحوم السيد عبدالله نديم في مجلته (الاستاذ) فعاد صاحب الهلال وناقش هذا الرد في مجلته (عدد ابريل سنة ١٨٩٣) . وبعد ثلاث سنوات انشأ المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي مجلة البيان وتناول هذه الالفاظ ومحّصها فزيف اكثرها . وفي خلال مناقشة نديم لزيدان كتب نديم تعليقات وملاحظات على اعمال المجتمع قال فيها ما خلاصته :

يكون المجتمع عاماً في كل ما يتعلق في الفنون العربية . ويقسم الاعضاء بحسب اختصاصهم فقسم للغة ، وثان للتاريخ وتقويم البلدان ، وثالث للترجمة ، ورابع للرياضيات . ويقدّم جوائز لمن يقدم اليه رسالة في فن يعينه او يحقق مطلباً يخصصه . وينشئ قاعة للخطابة ويضع للدخول اليها لسماع المحاضرات رسماً من قرشين الى ستة قروش .

ويصدر مجلة شهرية تتضمن ابحاثهُ ومحاضراتهِ

المجمع اللغوي الثاني

وسنة ١٩٠٧ انشأ خريجو دار العلوم وعلى رأسهم المرحوم حفني ناصف بك « نادي دار العلوم » وابانوا في المادة الثانية من قانونهِ الغرض من انشائهِ وهو (١) التنقيب عن الكتب النافعة والسعي في نشرها . (٢) تنقيح وتصحيح ما تدعو اليهِ الحاجة من الكتب المفيدة (٣) تأليف كتب سهلة فيما لم تدوّن فيهِ مؤلفات قريبة التناول (٤) وضع اسماء عربية للمسميات الحديثة التي ليس لها اسماء عربية معروفة (٥) البحث في الفاظ العامة ورد ما لهُ اصل عربي منها الى اصلهِ والتنبيه على الدخيل منها (٦) الاصطلاح على طريقة لكتابة الالفاظ الاعجمية بلغة عربية (٧) تسهيل فن رسم الحروف (٨) تأليف رسائل في الاداب والاخلاق (٩) محاضرات علمية وادبية

وقرّ رأيهم على ان يبدأوا بتطهير اللغة العربية من ادران العجمة الفاشية فيها . ويبحثوا عن كل الكلمات التي تستعمل بدل الكلمات الاجنبية التي هاجمت العربية من كل ناحية وقبل ان يشرعوا في العمل قال قائلون منهم : ما المانع من ابقاء الاسماء الاعجمية واستعمالها في فصيح الكلام ? وقال آخرون : ان حق التعريب قاصر على العرب الموثوق بعربيتهم وقد انقرضوا الآن ، فلم يبق الاّ اختيار ما يناسب من الفاظ العربية المناسبة من المناسبات المقررة في علم البيان وهي الطريقة التي اتبعها مترجمو الفنون وواضعو العلوم في عصر الدولتين الاموية والعباسية

ولما شجر هذا الخلاف عقد اعضاء النادي ثلاث جلسات متوالية للمناقشة والمساجلة . فخطب المرحوم الشيخ محمد الخضري في جلسة ٣٠ يناير سنة ١٩٠٨ في « اتباع طريقة في تسمية المسميات الحديثة واصطلاحات العلوم والافكار على طريقة التوسع في استعمال الاسماء العربية »

وخطب الاستاذ الشيخ احمد السكندري في جلستي ٣٠ يناير و١٣ فبراير في « منع طريقة التعريب في تسمية المسميات الحديثة واتباع طريقة التوسع في استعمال الالفاظ العربية خصوصاً القليل الاستعمال منها الخفيف على السمع لتقليل الاشتراك ما امكن »

وتعاقب الخطباء في جلستي ١٣ فبراير و٢٠ فبراير. فخطب كل من الاستاذ حبيب غزاله بك الموظف في مصلحة الصحة ، والشيخ احمد سلامة من اساتذة مدارس الحكومة ، والمرحوم احمد فتحي زغلول باشا وكيل وزارة الحقانية ، وسعادة احمد زكي باشا

سكرتير مجلس الوزراء ، واخيراً المرحوم حفني ناصف بك رئيس النادي . ثم صدر قرار اجماعي بتوقيع رئيس النادي هذا نصهُ :

« في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير بعد سماع ما قالهُ جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر نادي دار العلوم ان يكون العمل على النحو الآتي :

« يبحث في اللغة العربية عن اسماء للمسميات الحديثة باي طريق من الطرق الجائزة لغة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعهِ على مناهج اللغة العربية . ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمدهُ المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض

« مصر في ١٩ محرم ١٣٢٦ رئيس النادي : حفني ناصف »

ثم انشأ النادي مجلته «صحيفة دار العلوم» ونشر في احد اعداد السنة الثانية منها (١٩١٠) نبذة قال فيها ما مؤداهُ :

لم ينس القراء ما قام بهِ النادي من وضع مسألة الاسماء للمسميات الحديثة . ثم نظر بعد ذلك في العمل . والطريقة التي سار عليها هي انهُ ينتخب عشرة من الاسماء الاعجمية او العامية فيرسل الى كل من اعضائهِ نسخة ليكتب كلٌّ منهم ما يراهُ مناسباً لذلك الاسم من الكلمات العربية البسيطة او المركبة ثم تعاد هذه الاسماء الى النادي في موعد معين فتبحثها اللجنة العلمية وتختار من الكلمات اقربها مناسبة لمعنى الكلمة الأعجمية أو العامية وتنشرها في صحيفة النادي . فاذا مرّ شهر ولم يبد احدٌ ملاحظة عليها اعتبرت رأياً عاماً لجميع أعضاء النادي حتى تكون لعامة من يشتغلون باللغة العربية

ووالت نشر هذه الكلمات في اعداد المجلة مُردفة بالكلمة العامية او الاجنبية الكلمة المختارة واسباب اختيارها مع الاشارة الى الكلمات التي تخيرها غير اعضاء النادي من كتاب الصحف والمجلات والكتب اوكانت شائعة قبل ان يقرها النادي

ويبلغ عدد الكلمات التي نشرت في السنة الثانية للمجلة ١٥٠ كلمة مع شروح لا بأس بها . وهذه الكلمات في شؤون ومواضيع مختلفة بلا رابطة ولا ترتيب . الا بضع كلمات فيما تتركب منهُ آلة الحرث عرضها الاستاذ عبد الرحمن النوابي على اللجنة وقرأها الاستاذ الشيخ محمد الخضري وقدم تقريراً عنها

وجاء في احد اعداد المجلة : « قد اطلع على هذه الكلمات استاذنا الحافظ حضرة

صاحب الفضيلة الشيخ حمزة فتح الله ،فاقر اكثرها واستعاض بعضها بما هو اليق وقد اتبعت اللجنة كثيراً مما اصلحهُ »

المجمع اللغوي الثالث

وبينما كانت جحيم الحرب العظمى تقذف العالم بالنار ، ورحاها تدور طاحنة — دعا المرحوم اسماعيل بك عاصم نخبة من اهل الادب وصفوة كتاب الصحف الى وليمة صنعها في بيتهِ احتفالاً بانقضاء اربعين سنة على مجلة المقتطف

وفي هذا الجلسة تذاكر الحاضرون في تأليف مجمع لغوي . وكان صاحب الدولة عدلي يكن باشا وزير المعارف يومذاك والاستاذ احمد لطفي السيد مديراً لدار الكتب المصرية . فشجع وزير المعارف الداعين الى هـذا العمل واذن لهم في عقد جلساتهم ولجانهم التحضيرية في دار الكتب

فاجتمع كل من حضرات العلماء والادباء والباحثين : الشيخ سليم البشري . والشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوي . والشيخ عبد الرحمن قراعة . والشيخ محمد بخيت . والشيخ محمد شريف سليم . وحفني ناصف بك . واسماعيل رأفت بك . واحمد لطفي السيد بك . والشيخ احمد السكندري . والاستاذ ذبيح بهروز . والشيخ احمد ابراهيم . والدكتور يعقوب صرُّوف . والدكتور فارس نمر . وعبد الحميد مصطفى باشا . وعبد الحميد فتحي بك . وعثمان فهمي بك . وحلمي عيسى باشا . واحمد زكي باشا . وعاطف بركات بك . والشيخ مصطفى العناني . والسيد محمد علي البيلاوي . وامين واصف بك والشيخ رشيد رضا . واحمد كمال باشا . واحمد تيمور باشا

وعقدوا ٢٤ جلسة كانت اولاها يوم ٢٤ يونيو واخراها يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩١٩ ثم اشتغل فريق من الاعضاء بالحركة الوطنية . وتوقف عقد الجلسات الى يوم ٢٩ دسمبر سنة ١٩٢٥ فعقدت جلسة واحدة انتخب فيها المرحوم عبد الحميد ابو هيف بك مدير دار الكتب سكرتيراً للمجمع والاستاذ محمد الهراوي رئيس كتاب دار الكتب مساعداً لهُ . وقد تولى رآسة المجمع في بدء نشأتهِ الاستاذ البشري شيخ الازهر . ثم اخلفهُ في الرآسة الشيخ ابي الفضل خليفتهُ في المشيخة

وقضى اعضاء المجتمع جلسات عدة في مناقشات في مسألة الترجمة والتعريب فانقسموا فريقين . قال الفريق الاول : بوجوب الترجمة فاذا تعذرت يلجأ الى التعريب . وقال الفريق الثاني : بإدخال الكلمات الافرنكية العلمية بنصها بعد صقلها

ووضعها في اوزان عربية ان تيسر ذلك . ثم وضعوا قانون المجمع . وابانوا في الفصل الاول منهُ رأيهم في مسألة الترجمة والتعريب . فجاء فيهِ ما يؤخذ منهُ :

ان غرض المجمع هوخدمة اللغةالعربية وخصوصاً وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات . ويكلف المجمع لجاناً او افراداً جمع مصطلح كل علم او فن واعداده. ولكل لجنة او فرد ان يطلب من المجمع ان يدعو الى الانضمام اليهِ من يرى دعوته من الاخصائيين. ويعرض ما تم من ذلك على المجمع لبحثهِ وتقرير ما يراهُ ، واذا تم جزء صالح للنشر جاز نشرهُ على حدة قبل اتمام المعجم

وللمجمع ان يزيد في اللغة للضرورة . ويراعي في الزيادة دفع الحرج ، فيستبدل بالكلمة العامية او الاعجمية التي لم تعرب قبل غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها . فاذا لم يهتد المجمع الى كلة عربية اقرّ الكلمة العامية ، او عرب الكلمة الاعجمية مع مراعاة المادة الثالثة (الزيادة للضرورة ومراعاة دفع الحرج)

ويكون وضع الكلمات بطريق المجاز او الاشتقاقاو النحت او غير ذلك مما لم يقع اجماع على منعهِ . ويفضل الاخذ من الكلمات المهجورة وتذكر الكلمات في المعجم بمعانيها القديمة ويضاف اليها استعمالها في المعاني الجديدة التي يقرها المجمع .وينبه على ماكان من وضع المجمع

وتقرر ان يؤلف المجمع من ثمانية وعشرين عضواً منهم ثلاثة يعرف احدهم اللغة العبرية والثاني الفارسية والثالث السريانية زيادة على معرفة كل منهم اللغة العربيـة . وللمجمع ان ينتخب اعضاء مراسلين يكون لهم حق حضور الجلسات ولكن لا يكون لهم اصوات في القرارات

والف لجنة لتحضير العمل ، وخمس لجان للبحث اللغوي

وقدمت اليهِ رسائل ومباحث عدة ضمها الى مجموعة اعمالهِ ، نذكر منها :

(١) رسالة في مصطلحات علوم الفلسفة الحديثة لامين بك واصف

(٢) رسالة في تسمية العناصر الكيماوية باسماء عربية للشيخ محمد سليم شريف

(٣) مذكرة في الترجمة والتعريب للدكتور يعقوب صروف

(٤) رد على مذكرة الدكتور صروف للشيخ احمد السكندري

(٥) مذكرة في التعريب والترجمة للشيخ شريف .وفيها اسماء اجزاء المحراث

(٦) « « « وتفسير كلمة «ضرورة» الواردة في القانون للشيخ احمد ابراهيم

(٧) رسالة من لجنة الصناعة والتجارة في اسماء اجزاء المحرات
(٨) « في لغة التمثيل والمسرح لاسماعيل عبد المنعم افندي

المجمع اللغوي الرابع

وفي سنة ١٩٢٣ دعا صاحب العطوفة ادريس راغب بك فئة صغيرة من اللغويين والباحثين الى جلسة عقدها في داره بشارع الحلوني (عابدين) للمذاكرة في انشاء مجمع لغوي . وكان ممن حضروا هذه الجلسة الاستاذ محمد مسعود بك فاقترح توسيع دائرة الدعوة لتشمل الكثيرين ممن يرتجى الخير من بحثهم وتنقيبهم . فاجيب الاقتراح ووضع قانون المجمع ولائحته الادارية . والف مجلس الادارة وعين ادريس راغب بك رئيساً للمجمع وعبد الفتاح عباده افندي سكرتيراً له

وظل هذا المجمع ينعقد في دار رئيسه اسبوعيًّا . ثم كلما دعت الحاجة الى انعقاده. وكان اهم ما قام به انهُ الف ١٤ لجنة للاتفاق على مسميات لمصطلحات العلوم والفنون.

وقد نُصَّ في جدول اللجان على ان للجنة اللغة ثلاثة اعمال وهي (الاول) ان تستخرج من المعجمات والكتب (في حدود المادة ٣١ من قانون المجمع) الالفاظ العربية المقابلة للالفاظ العامية أو الاجنبية المستعملة الآن في غير الفروع المعينة لها اللجان الاخرى (الثاني) ان يرجع اليها أعضاء اللجان الاخرى في تمحيص الكلمات عند الحاجة واستشارتها في ذلك (الثالث) ان تتناول الكلمات التي تضعها كل لجنة فتفحص عنها وتعلق عليها ملاحظاتها اللغوية والفنية ثم ترفعها مع تقريرها الى هيئة المجمع العامة للنظر والبت فيها

وتوزع عشرون من الاعضاء اجزاء قاموس لسان العرب العشرين ليستخرج كلٌّ منهم من الجزء الذي تسلمهُ الالفاظ العربية التي تقابل الالفاظ العامية اوالافرنكية التي تدور على اسلات الالسنة واسنة الاقلام . وقد قام بعض الافراد والجماعات بما تصدوا لهُ . ورتبت اعمالهم وتقاريرهم في سلات المجمع ولكن لم يعلن للجمهور شيء منها

المجمع الخامس المنتظر

واخيراً فكّر صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف في تأليف هيئة تشرف على حركة الترجمة العلمية وما تحتاج اليهِ من المصطلحات . وطلب من سكرتيره البرلماني الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري وضع تقرير في هذا الصدد فكتب تقريراً مسهباً فصّل فيهِ حالة اللغة العربية من ايام الجاهلية حتى الآن وما ادخل اليها من اسماء

اشياء لم يكن للقوم بها عهد ومصطلحات للعلوم والفنون اخذوها عن اليونان والفرس. ثم أتى باخبار المجامع العلمية واللجان والمساعي الفردية التي بذلت لتخير الالفاظ العربية الصحيحة بدلاً من العامي والدخيل والاجنبي واقترح في آخر تقريره انشاء مجمع لغوي يختار اكثر اعضائه من موظفي الحكومة وتجري عليهم مكافآت مالية. ويبدأ هذا المجمع عمله بوضع فهرس لدائرة معارف يؤلف من قاموس مدرسي ثم تدون المادة العلمية للدائرة بمعاونة مترجمين اخصائيين

واقترح الاستاذ احمد لطفي السيد بك مدير الجامعة ان يرأس المجمعَ العتيد كبيرٌ من موظفي الحكومة. ويُختار الاعضاء ممن لهم اثر ظاهر يدل على ميلهم لخدمة العلم او اللغة مقابل مكافأة سنوية قدرها مائة جنيه ومكافأة عن كل جلسة قدرها ثلاثة جنيهات. ويكون اختصاص المجمع: وضع معجم لغوي يفي بحاجة الوقت الحاضر. واجراء مسابقة في التأليف والترجمة. وفحص ما يقدم اليه من المؤلفات في العلوم والآداب ورفضها او اجازتها ومكافأة اصحابها

واقترح الاستاذ حافظ عوض بك صاحب جريدة كوكب الشرق ان يؤلف المجمع من خمسين عضواً او ستين تتبعهم هيئة من المترجمين لا يقلُّ عدد افرادها عن العشرين. ويقصر اختيار الاعضاء على من لهُ اثر معروف في عالم التأليف في الفرع الذي يختار لهُ. ويحسن ان يكون الاعضاء من اهل اليسار او ممن تكون لهم وظيفة عملها قليل وراتبها كبير او ما شابه ذلك ليسهل انقطاعهم للعلم وانصرافهم اليه

واقترح الدكتور محمد شرف الطبيب ألاّ يقتصر المجمع على المشتغلين بالادب واللغة بل يكون معهم جماعة من المهندسين والاطباء وعلماء الزراعة والصناعة والمتضلعين من اللغات السامية كالعبرية والارامية والسريانية والحبشية وبعض المستشرقين. « ولتسهيل التفاهم بين اهل البلاد المختلفة المتكلمة بالعربية وتوحيد المسميات ينبغي الاتصال بالمنتديات اللغوية في دمشق وبغداد والقدس اتصالاً وثيقاً واختيار اعضاء من اهلها يمثلون بلادهم »

وبعد فلا جدال في ان المباحثات والمساجلات والآراء التي ابديت منذ خمس وثلاثين سنة الى الآن سواء في موضوع الترجمة والتعريب او طريقة تأليف المجمع المنشود او وضع دائرة المعارف اصبحت كافية لتنفيذ هذه الاغراض خدمةً للغة العربية واهلها

توفيق حبيب

كيف وزعت جوائز نوبل

منذ انشائها

الالمان يفوزون باكثرها ويتلوهم الفرنسويون

جمع الفرد نوبل الكيماوي الاسوجي ثروة طائلة من صنع الديناميت وقبل وفاته سنة ١٨٩٦ وقف اكثر ثروتهِ على تأسيس خمس جوائز سنوية قدرها نحواربعين الف جنيه يكافأ بها النوابغ في المباحث الكيماوية والطبيعية والطبية والادب الكمالي النزعة والسعي الى توطيد اركان السلام من غير نظر الى جنسية الباحثين او دينهم . ووزعت هذه الجوائز للمرة الاولى في ١٠ دسمبر سنة ١٩٠١ بعد انقضاء خمس سنوات على وفاة منشئها . فنال جائزة الآداب سلي برودوم الفرنسوي ، وجائزة الطبيعيات الاستاذ رنتجن ، وجائزة الكيمياء ڤانت هُف ، وجائزة الطب الدكتور بهرنغ

وقد وزعت هذه الجوائز منذ انشائها الى الآن ٢٧ مرة على ١٤١ رجلاً واربع سيدات . نالها منهم ٢٤ للطب والفسيولوجيا و٣٣ للطبيعيات و٢٣ للكيمياء و٢٦ للآداب و٢٨ للسعي الى توطيد السلام . وقد فاز الالمان بثلاثين جائزة منها اكثرها في الكيمياء والطبيعيات . والفرنسويون باربع وعشرين جائزة منها . والانكليز باحدى وعشرين والاسوجيون بتسع . والاميركيون بثمانٍ . والسويسريون بسبع . والدنماركيون بستٍ والهولنديون بستٍ ايضاً . وكل من نروج وبلجيكا والنمسا وايطاليا باربع . واسبانيا بثلاث وبولونيا باثنتين . وروسيا بجائزة واحدة

اما جوائز الآداب فقد فازت كل من الامبراطورية البريطانية وفرنسا والمانيا باربع منها وكل من اسبانيا والدنمارك واسوج ونروج وبولونيا بجائزتين . واما جوائز السلام ففازت فرنسا باكثرها تليها سويسرا والولايات المتحدة الاميركية

وقد فازت السيدات بخمس جوائز منها اثنتان فازت بهما مدام كوري احداها في الطبيعيات والاخرى في الكيمياء . وفازت الكاتبة الاسوجية سلمى لجرلوف بجائزة الآداب . ومنحت سيدة (لم نطلع على اسمها) جائزة السلام . وقد منحت جائزة الآداب عن سنة ١٩٢٦ للكاتبة الايطالية غراتزيا ديلده

اكبر الرحلات الجوية الحديثة

١

رحلة البلون نورج من رومية الى الاسكا
مارًّا فوق القطب الشمالي

تمهيد

كثيراً ما تكون الحقيقة اغرب من مبتكرات الخيال واية قصة خيالية اكثر غرابة من حكاية تقدم الطيران في القرن العشرين ، آلة تكاد تكون اداة لهو وتسلية اكثر منها مطية للنقل والانتقال استنبطها الاخوان ريط الاميركيان سنة ١٩٠٣ فلم يستطيعا ان يبقيا بها في الجوّ اكثر من بضع ثوان ، لم ينقض عليها ربع قرن حتى ارتقت وتنوعت فصارت سرعة بعض الطيارات تقارب ٣٠٠ ميل في الساعة وفي امكان بعضها ان تبقى نحو خمسين ساعة في الجوّ او ان تحلق الى اربعين الف قدم او اكثر. وازدادت الثقة في امكان الاعتماد عليها فاتخذها الابطال من الروّاد مطية لهم يجتازون بها المسافات الشاسعة هازئين بالصحاري والبحار ومفازات الجليد. وتناولتها الشركات التجارية تزاحم بها وسائل النقل من قطارات وسفن. وتاريخ ارتقاء العمران انما هو تاريخ رجال الهمة والاقدام الذين لا تقعدهم المصاعب عن المضي في جهادهم نحو اغراضهم العليا ، ولا يبطرهم النجاح فيلهون بفوز سابق عن احراز فوز جديد لانهم ينظرون الى كل انتصار يحرزونهُ في ميدان الابتكار والعمل نظرهم الى درجات السلم يرتقي الانسان عليها الى ما هو فوقها

ولقد كان تاريخ السنتين الماضيتين حافلاً بحديث الطيارين واخبار جرأتهم واقدامهم ، فمنهم من اجتاز المحيط الاتلنتيكي في مرحلة واحدة ، ومنهم من طار الى القطب الشمالي ، ومنهم طار بطيارات تجارية من لندن الى دهلي بالهند ، ومنهم من اجتاز جنوب المحيط الاتلنتيكي من افريقيا الى البرازيل او طار من لندن الى استراليا ثم آب الى لندن او اجتاز المحيط الهادئ من سان فرنسيسكو الى جزائر هواي ، وهم في كل ذلك مقدمة لجيوش العمران تغزو مملكة الجوّ وتخضع عناصرها لمطالب الانسان

وقد سبق لنا فنشرنا في المقتطف وصف اشهر الرحلات الجوية التي وقفنا عليها ،

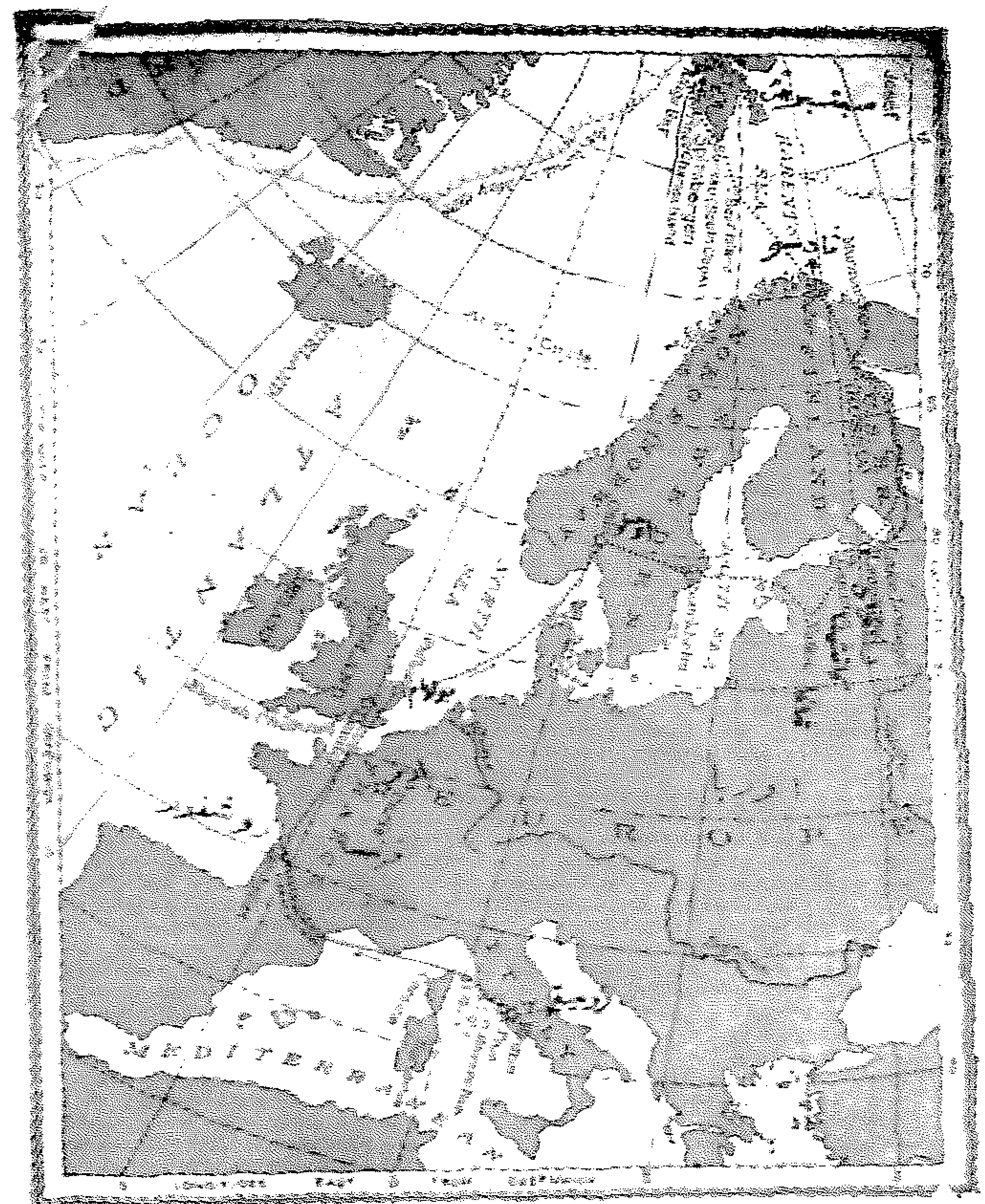
منها رحلة امندصن الجوية الاولى الى منطقة القطب الشمالي ، ورحلة الكومندر برد الاميركي الى القطب الشمالي وايابهُ منهُ ، ورحلة لندبرغ من نيويورك الى باريس وغيرها مما اعدنا نشرهُ في كتاب « الروَّاد » الذي كان لهُ في نفوس جمهور القراء واهل الفضل أجمل أثر وابلغ وقع . وقد رأينا ان ننقل الى قراء المقتطف هذه السنة وصف بعض الرحلات الجوية الاخرى التي تمت في السنوات الاخيرة وما تعرَّض لهُ اصحابها من المخاطر والمهالك وكيف صبروا عليها يحدوهم الامل بفتح جديد ويدفعهم الاقدام والجرأة والتفاني في سبيل الاكتشاف. لذلك كانت كتاباتهم والكتابات عنهم من امثل ما تنشرهُ المجلات لقرائها لانهُ يحوي كثيراً من الحقائق العلمية مفرغة في قالب روائي واقعي يسترعي انتباههم ويستثير شغفهم بمطالعتها . فنبدأ برحلة البلون نروج من رومية الى الاسكا مارًّا فوق القطب الشمالي والرحلة من قلم واضع رسوم البلون وربانهِ في اثناء الرحلة الجنرال اومبرتو نوبلي الايطالي

الطيارة او البلون

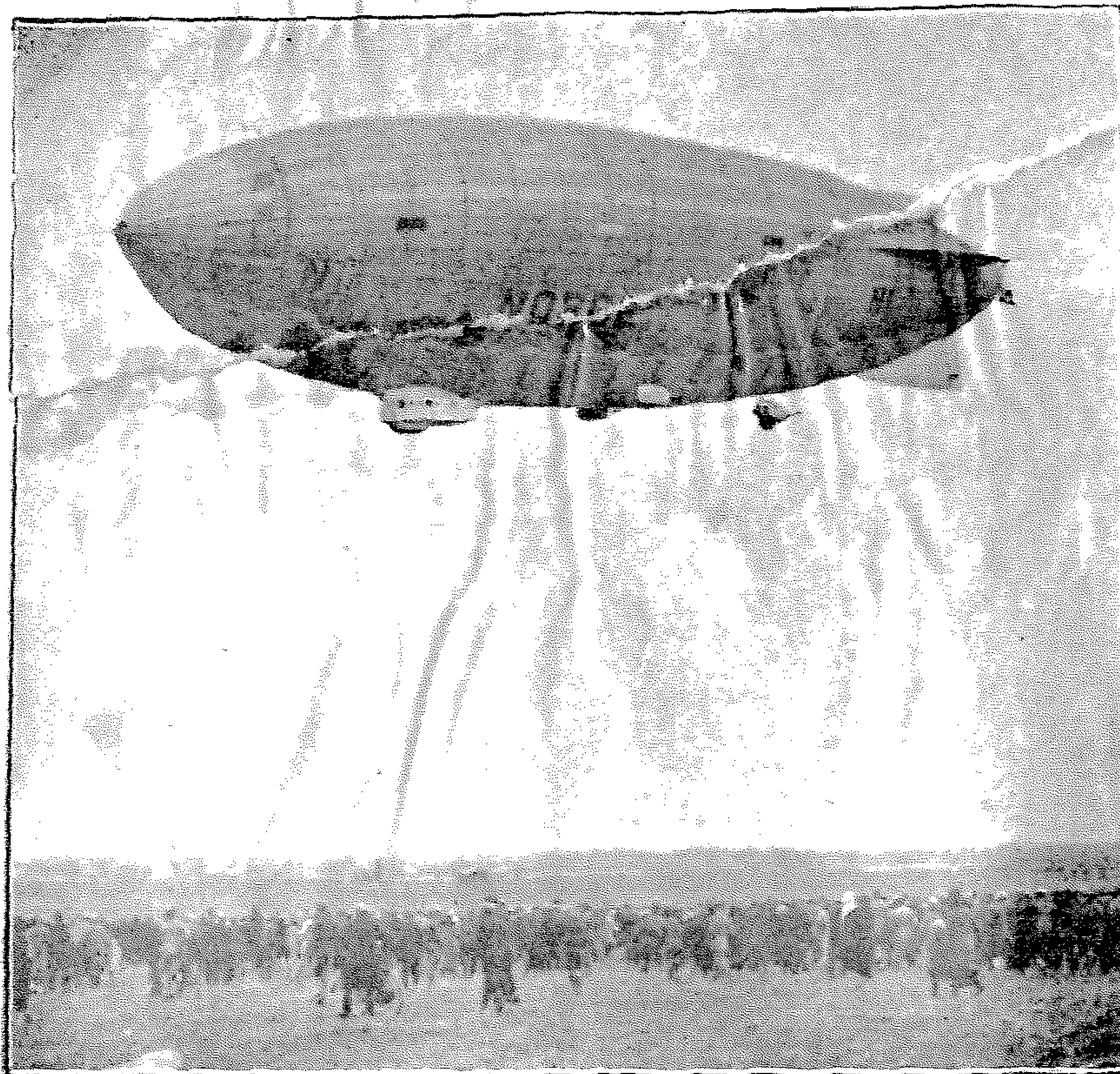
قال الجنرال نوبلي :

في مايو سنة ١٩٢٥ كان العالم المتمدن ينتظر على احرّ من الجمر اخبار الرحلة الجوية التي قام بها امندصن وصحبهُ الى القطب الشمالي على متن طيارتين فكان ذلك باعثاً لي على التأمل في مسألة ارتياد الاصقاع الشمالية بالطيارات والبلونات . وبعد التأمل وجدت ان مفازات الجليد في الاصقاع المتجمدة الشمالية غير منبسطة انبساط الرمل في الصحراء فكثيراً ما تنشز منها قطع تكون بالطيارات افتك من انياب الاسد بفريستهِ . فثبت لي ان نزول طيارة على سطح مفازة من الجليد امر حافل بالخطر . واذا سلمنا ان ذلك في الامكان فاستئناف الطيران من الامور المتعذرة لان هذه المفازات الجليدية دائمة التحرك تتبع في حركتها الانواء والرياح . وعلى الضدّ من ذلك وجدت ان الطيران بالبلون الى المناطق التي حول القطب اصلح جدًّا من الطيران بالطيارات لانهُ في امكاننا ان نبطئ سير البلون ونقترب من سطح الارض من غير ان نحط عليها فنستطيع ان ندوّن الارصاد ونصف الارض التي نمرّ فوقها . وهذا متعذر في الطيارة

وعليهِ خطر لي ان اعدّ بعثة ايطالية لارتياد الاصقاع القطبية الشمالية تكون مطيتها بلون وفي يونيو سنة ١٩٢٥ كنت قد وضعت بيان هذه البعثة وغرضها وبرنامج رحلتها



مسير البلون نروج من رومية الى سبتسبرجن



البلون نروج

ومن جملة ما وضعتهُ نصب عيوننا استكشاف المناطق التي حول القطب لا مجرَّد السبق اليهِ والاوبة منهُ . وكنت قد عزمت أن نجعل قاعدة أعمالنا جزيرة سبتسبرجن نطير منها الى جهات سيبيريا والبحار المتجمدة شمالها وإلى القطب الشمالي

وانا كذلك طلب اليَّ الكابتن روالد امندصن ان نلتقي فالتقينا وبسط امامي رأيهُ في استخدام بلون لاجتياز المنطقة المتجمدة الشمالية من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب . وكان قد خطر لهُ هذا الرأي على حدة على اني كنتُ اسبق منهُ اليهِ، ولكننا اتفقنا واخذت على عاتقي اعداد كل المعدات الفنية اللازمة لهذه الرحلة، وقد تمَّ اعدادها كلها في ايطاليا تحت اشرافي

البلون نورج

وقع اختياري على البلون N1 من بلونات البحرية الايطالية وهو من نوع البلونات المرنة بُني سنة ١٩٢٣ وطار للمرة الاولى في مارس سنة ١٩٢٤ يسير بقوة ثلاث آلات قوة كلّ منها ٢٥٠ حصاناً واحدة منها كافية لتسيير البلون بسرعة ٣٧ الى ٢٣ ميلاً في الساعة ويسع ١٨٥٠٠ متر مكعب من الهدروجين او نحو ٦٥٠ الف قدم مكعبة وطولهُ ٣٤٨ قدماً وعلوهُ ٧٩ قدماً وعرضهُ ٦٢ قدماً ومقدار ما تسعهُ احواضهُ من البنزين نحو سبعة اطنان ونصف تكفي لان تسيّرهُ مسافة ٤٣٥٠ ميلاً بسرعة ٥٠ ميلاً في الساعة وهو متوسط سرعتهِ

ثم ازلنا من هذا البلون كلَّ ما بني فيهِ لتوفير اسباب الراحة والرفاهة على قبطانهِ وضباطهِ وذلك لكي نتمكن من زيادة ما يحملهُ من البنزين ومواد الغذاء وغيرها مما يلزم لنا في رحلتنا الطويلة . ولما فعلنا ذلك صار في امكاننا تحميلهُ حملاً يبلغ احدى عشر طناً نحو سبعة اطنان منها وقود

وادخلنا عليهِ اصلاحات من شأنها ان تحفظ كثيراً من اجزائهِ من اثر البرد الشديد والجليد الذي قد يتكوَّن عليها في الاصقاع المتجمدة .وقوَّينا مقدَّمهُ حتى يسهل ربطهُ الى الابراج التي اعددناها خصوصاً لذلك . وبعثنا برجالنا الى مختلف المدن الاوربية التي نوينا النزول فيها ليقيموا هذه الابراج ثم اطلقنا عليهِ اسم « نورج » تكريماً لاشتراك نادي الطيران النروجي معنا في اعداد معدات الرحلة المالية . وقد اشتركت الحكومة الايطالية في هذه النفقات بنحو ثلثها ودفع المستر الزورث الاميركي

وهو احد رجال الرحلة نحو سدسها وجُمع الباقي ببيع امتياز الاخبار والصور لبعض الجرائد وشركات السينما

انتقاد الرحلة

وقبلما تمت معدات الرحلة اخذت الصحف توجه الينا سهام الانتقاد المر لاننا جعلنا مطيتنا بلوناً صغيراً اذا قيس بالبلون الذي كان الالمان ينوون بناءه لاستكشاف الاصقاع القطبية واننا بذلك نعرض رجال البعثة للخطر الشديد وغالوا في الانتقاد حتى اتهمونا بان الاستعداد الذي كان جارياً على قدم وساق انما كان ليوهم الناس وان القيام بالرحلة المذكورة لن يتمّ . فلم يفتّ ذلك في عضدنا . فاني اخبرت كل عضو من اعضاء البعثة عن المخاطر التي قد تتعرض لها وان كفة النجاح في هذه الرحلة توازي كفة الفشل فابدى كلٌّ منهم رغبتهُ في المغامرة والاقدام عليها رغبةً في العلم والاكتشاف

وكنا قد اتفقنا مع امندصن وصحبهِ على ان نلتقي بهم في سبتسبرجن وعلى هذا فقد تعين علينا ان نطير بالبلون من رومية الى سبتسبرجن فاخترنا لذلك الطيران من رومية الى بولهام شرق انكلترا اولاً ثم منها الى اوسلو عاصمة نروج ثم الى لننغراد ففادسو بشمال نروج فخليج الملك بجزيرة سبتسبرجن

من رومية الى انكلترا

في الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين من صباح ١٠ ابريل سنة ١٩٢٦ اصدرتُ الاوامر للقيام من مطار رومية وكنت مشغولاً بداخل البلون فلم اتمكن من توديع زوجتي وابنتي اللتين كانتا في ميدان الطيران مع اقارب رجال البعثة

ولما حلقنا في الجوّ حمنا فوق المدينة الخالدة لتحيتها فمررنا فوق الكرينيال والكابيتول والفاتيكان وقد قيل لي ان اجراس كل الكنائس كانت تقرع في تلك الساعة وداعاً لنا وان راهباً ركع وصلى حينما رآنا مارين فوقهُ

كان الجوّ صافياً والبحر رهواً فمررنا فوق الشاطىء الايطالي وكانت تصلنا رسائل الوداع اللاسلكية من مختلف الهيئات والاندية من حين الى آخر. وارسلنا من البلون رسالة الى ملك ايطاليا واخرى الى موسوليني وكان على متن بارجة في طريقهِ الى طرابلس الغرب

بعيد الغروب وصلنا الى الشاطىء الفرنسي وكانت الريح تهب من ورائنا فتدفعنا معها الى الامام . ولكن الانباء الجوية الواردة علينا كانت تشير الى عاصفة امامنا. ولما

وصلنا بلدة روشفور رأينا مطارها مناراً وابواب مرفإِ البلونات الجوي فيها مفتحة على مصاريعها والرجال مستعدين لاستقبالنا وابرق الينا مدير المطار يقول : ان كلّ شيء على قدم الاستعداد لاستقبالنا الاّ ان هبوب ريح يمنعنا من الدخول الى المرفإِ فعزمنا للحال ان نستمر في سيرنا الى لندن

ولم نكد نغادر روشفور حتى هبت علينا ريح شديدة خفضت سرعتنا الى بضعة كيلو مترات في الساعة ،واستمرت تهبُّ وتشتد في هبوبها حتى بلغت اقصى شدتها عند الفجر فكانت ساعات الليل ملاًى بالمصاعب والوجل لاننا عرفنا انهُ اذا زاد هبوب الريح نفد ما معنا من البنزين فنصبح حينئذٍ كريشة في مهب الريح تتقاذفنا العاصفة وقد تدفعنا الى فوق المحيط الاتلنتيكي وهناك الويل الاكبر

وكان قد انقضى عليَّ يومان قبل ما برحنا رومية لم انل نصيباً من الراحة فبلغت درجة الاعياء على اني جمعت ما بقي فيَّ من قوة حين رأيت العاصفة قد اخذت بتلابيبنا حتى ابقى مسيطراً على تسيير البلون بدلاً من ان نترك الامر للرياح تلعب بنا كما تشاء

ولما اجتزنا لندن اخذت الريح تسكن وفي الساعة الثالثة والدقيقة العشرين بعد ظهر اليوم التالي لقيامنا من رومية وصلنا الى بولهام في جوّ لا بأس بهِ ولم نتمكن من انزال البلون الى الارض وربطهِ الى البرج الذي اقيم هناك قبل الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين اي بعد ما انقضى علينا نحو ٣٢ ساعة ونصف ساعة في الجوّ اجتزنا في اثنائها ١٤٠٠ ميل . وبعد ما اخذنا نصيباً من الراحة فحصنا محركات البلون وسائر اجزائهِ وملأنا احواضهُ بالبنزين والزيت وساعدنا رجال المطار في كل ذلك مساعدة نذكرها لهم بالشكر الجزيل

من انكلترا الى نروج الى روسيا

في الساعة الحادية عشرة من مساء ١٣ ابريل قمنا من بولهام ووجهتنا اوسلو عاصمة نروج . فلم يحدث لنا في هذا الجانب من الرحلة ما يستلفت النظر لولا انتشار الضباب فوق البحر الشمالي فلم نتمكن ضبط الطريق الذين كنا سائرين فيهِ بضع ساعات فانحرفنا قليلاً الى شواطيء الدنمارك

وصلنا الى اوسلو في الساعة الاولى بعد ظهر اليوم التالي اي بعد مسيرة ١٣ ساعة من بولهام وكانت المدينة مغمورة بشمس الربيع فكان منظرها من اجمل المناظر التي

رأيناها وكان مشهد الوف الناس المحتشدين في شوارعها وعلى سطوح منازلها لاستقبالنا من اوقع المشاهد في النفس

قضينا بعد الظهر في اوسلو وفي الليل قمنا منها رغم انتشار ضباب كثيف منعنا من مشاهدة جمال الطبيعة في تلك البلاد فاجتزنا نروج واسوج وبحر البلطيق من غير ان نرى معالمها ولما صرنا فوق روسيا كان الضباب قد انقشع فاتجهنا قليلاً الى الجنوب الى بلدة فلكا على حدود استونيا ولثفيا ومنها اتجهنا الى كاتشينا من ضواحي لننغراد الجنوبية فوصلناها في الهزيع الاول من الليل والمسافة بين بولهام وكاتشينا ١٧٠٠ ميل او اكثر قليلاً من المسافة بين رومية ولندن

وبعدما ادخلنا البلون الى المرفأ سرنا الى القصر الامبراطوري . وكنت حين بدأت اعد معدات الرحلة في رومية قد اعلنت الحكومة البلشفية اننا نصل لننغراد في ١٥ ابريل فلما وصلناها في الميعاد المضروب هزتني هذه الدقة واستخفني السرور

في اثناء اقامتنا في روسيا تبارى رجال الحكومة العلماء ورجال الطيران في اكرامنا ومساعدتنا وكانت المساعدة التي نلناها من رجال الطيران والجيش على اكبر جانب من الفائدة وما من طالب طلبتهُ الاّ ووافقت الحكومة عليهِ ونفذتهُ في الحال . فامدتنا مصلحة الظواهر الجوية ومصلحة الراديو بانباءِ الجوّ وتقلباتهِ . وكان يتألب علينا المهتمون بشؤون الطيران لرؤية بلوننا ومعداتنا وبعضهم اجتاز مسافات شاسعة لهذا الغرض. واقامت لنا اكادمية العلوم بلننغراد مأدبة فاخرة خطب فيها الاستاذ رنين قائلاً :

« ان العمل الذي اخذتموهُ على عواتقكم وهو اختراق المنطقة القطبية واستكشافها يثير المخاوف ويستثير الهمم في وقت واحد ويحملنا على ان نحني رءوسنا احتراماً امام اقدامكم وشجاعتكم . ان مهندسي الطيران ادرى الناس بالمصاعب التي تحول دون تحقيق الغرض الكبير الذي تصديتم لهُ ، ولا يسعنا ان نمحي من مخيلاتنا صورة المخاطر العظيمة التي قد تتعرضون لها فوق مفازات الجليد في منطقة لم يردها رائد حتى الآن . لذلك لا نستطيع ان نقف غير معجبين بعملكم ننتظر بفارغ صبر اخبار وصولكم سالمين »

ان هذه الاقوال وامثالها تدلّ دلالة واضحة على ما خالط الخبيرين الروسيين من المخاوف على بعثتنا . وامتدت بنا الاقامة في روسيا الى اوائل مايو لان البعثة التي تقدمتنا الى سبتسبرجن لاعداد المعدات فيها لاستقبال البلون على ما يكفل سلامتهُ لم تصل الى مقرها قبل ٢٥ ابريل فابرقتُ الى مديرها احثهُ على الاسراع في انجاز اعمالهِ



الجزال نوبلي — الطيار ده بنيدو — السنيور موسوليني

مقتطف يناير ١٩٢٨
امام الصفحة ٧٢

من روسيا الى سبتسبرجن

وفي اوائل مايو ، وقد بدأت حرارة الربيع تدبُّ في الارض والهواء جاءتنا الانباءُ بان كلَّ شيءٍ في خليج الملك مستعدٌّ لاستقبالنا فقمنا من كاتشينا في صباح اليوم الخامس من مايو في الساعة التاسعة والنصف صباحاً ووجهتنا ڤادسو بشمال نروج

كانت الريح تهبُّ شديدة فاتجهنا الى لننغراد عاصمة الامبراطورية الروسية سابقاً وسرنا فوق نهر النيڤا وكانت البواخر الراسية فيهِ تنفخ في صفّاراتها تحيةً لنا . واجتزنا بحيرة لادوغا والريح تهبُّ في وجوهنا فتعيقنا عن التقدم نحو هدفنا وآلات البلون تهتز وترتج كانها تعطلت عن العمل حتى بلغ بنا الخوف انها ستقف عن الحركة . وبعد ما قضينا سبع ساعات على هذا المنوال سكنت الريح فاكملنا باقي رحلتنا الى ڤادسو من غير حادث ما . وكانت البلاد التي مررنا فوقها خالية من المشاهد التي تحرك النفس لان اكثرها مستنقعات وبطاح مكسوة بالثلج وبعض الحراج

غربت الشمس في تلك الليلة نحو الساعة العاشرة ولكن الظلام بين منتصف الليل والفجر لم يحلك كثيراً . وفي الساعة الثانية والنصف صباحاً ذرَّ قرن الغزالة من الشمال ولم تغرب عنا قبل بلوغنا بلدة تلر بالاسكا في ١٤ مايو

كان الجوّ بارداً فبلغت درجة الحرارة حينئذٍ ١٦ درجة فوق الصفر بميزان فارنهيت او نحو ٩ درجات تحت الصفر بميزان سنتغراد . وفي الساعة الرابعة والدقيقة الاربعين توقف احد محركات البلون عن الدوران فاستأنفنا رحلتنا تدفعنا الى الامام قوة محركين . وفي الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين وصلنا الى ڤادسو بعد طيران ٢٠ ساعة من لننغراد . وڤادسو هذه قرية نروجية صغيرة على شاطىء البحر فهبطنا حتى تمكنا من ربط البلون بالبرج الذي اقامهُ رجالنا هناك ووجدنا ان لدينا من البنزين اكثر مما نحتاج اليهِ للوصول الى خليج الملك فتزودنا منهُ مقداراً استعداداً للطوارىء . وبرحنا ڤادسو في الساعة الثالثة بعد الظهر متجهين الى سبتسبرجن مارين فوق بحر بارنتس المخيف . وكان الجوّ غائماً وذرى الامواج يعلوها الزبد والريح تهبّ في اعتدال . ولقينا في طريقنا مطراً وثلجاً

وفي الساعة الثانية والدقيقة العشرين من صباح اليوم الثاني لمحنا جبال سبتسبرجن عند الافق فسرنا اليها فبلغناها في الساعة السادسة صباحاً بعد مسير نحو ١٥ ساعة من ڤادسو فاستقبلنا فيها الكابتن امندسن والمستر الزورث الاميركي وصحبهما ورجال بعثتنا

احدث المكتشفات الاثرية

في قورينه بطرابلس الغرب

اختلف الكتاب واصحاب الرأي في فوائد النظام الفاشستي واضرارهِ ولكنهم اجمعوا على ان السنيور موسوليني مبدع هذا النظام خدم الامة الايطالية اكبر خدمة ببثهِ الهمة والنشاط في نفوس ابنائها وايقاظهِ روح الاقدام والمغامرة في صدورهم. ومما يذكر لهُ بالشكر عنايتهُ بالمباحث الاثرية في مختلف انحاء ايطاليا ومستعمراتها، رغم الاعمال السياسية والادارية التي تستغرق وقتهُ وانتباههُ. فقد ذكرنا في مقتطف اغسطس الماضي عنايتهُ بالنقب عن كنوز هركولانيوم التي دمرت وطمرت لما ثار بركان يزوف سنة ٧٩ ب م واهتمامهُ بالنقب في مدينة رومية نفسها عن آثارها الفخمة. وقد جاءتنا المجلات الاوربية والاميركية حافلة باخبار المكتشفات الاثرية في جزيرة صقلية وجزائر لمنوس ورودس وكريت وطرابلس الغرب في لبدة و(لبتوس ماغنا) وقورينه. فعناية ايطاليا بالآثار القديمة والنقب عنها الآن تضاهي عناية انكلترا والولايات المتحدة وقد تفوقها. وقد اطلعنا على مقالة للاستاذ كارلو انتي احد مديري البحث في قورينه نشرها في «مجلة اخبار لندن المصوَّرة» وصف فيها المباحث الاثرية الخارجة هناك فاقتطفنا منها ما يلي:

الآثار في لبدة شرق مدينة طرابلس الغرب رومانية واما الآثار في قورينه شرق بنغازي فيونانية قديمة ولها مقام كبير من الوجه الفني والتاريخي لذلك عني وزير المستعمرات الايطالية وحاكم مقاطعة قورينه اليونانية بطرابلس الغرب بالنقب عن آثار هذه المدينة القديمة نقباً وافياً يجلو آثارها الفنية والتاريخية لعلماء التاريخ ومحبي الفنون. وما يعلَّق على آثارها من الشأن الكبير عائد الى انها من المدن اليونانية التي انشأها اليونان في القرن السابع قبل الميلاد (سنة ٦٣١ — ق. م) فزهت وازدهرت طوال ١٣ قرناً من غير انقطاع حتى جاء العرب فدمروها. ولم يقم على انقاضها مدن اخرى يعبث ابناؤها بآثارها النفيسة المطمورة تحت اطباق الثرى فبقيت سليمة من السرقة والعبث. وما بني عليها حديثاً من المباني قد امرت الحكومة الايطالية بنقلهِ الى مكان آخر ليكون عمل النقب كاملاً

وقد جاءت الآثار التي وجدت فيها اولاً سنة ١٩١٣ ثم سنة ١٩٢٣ مصداقاً لما كان ينتظره المؤرخون وعلماء الآثار . فقد وجد في حماماتها عشرات من التماثيل البديعة بينها تمثال مشهور « لزهرة قورينه » هو معروض الآن في متحف ترمي برومية ومنها تمثال فاخر للاسكندر الكبير معروض في متحف بنغازي على مقربة من قورينه . وقد عثر على كتابات طويلة في الحمامات البزنطية تحتوي على حقائق كثيرة عن تاريخ قورينه وعبادات اليونان

فلما تسلم السنيور موسوليني مقاليد الامور في ايطاليا سنة ١٩٢٥ عني بتجديد المباحث الاثرية في هذه البقعة وندب لذلك لجنة من علماء التاريخ والآثار المختصين بينهم الاستاذ پرنيه من اساتذة جامعة فلورنسا والاستاذ كارلو انتي من اساتذة جامعة پادوى والاستاذ اوليفيريو من مصلحة الآثار في مقاطعة قورينة . ويعاون هؤلاء الاساتذة نفر كبير من الكتّاب والمهندسين والمصورين والبنائين والرسّامين وجمهور غفير من العمال الوطنيين . وغاية الحكومة الايطالية ان تكشف الانقاض عن المدينة رويداً رويداً وتعيد بناءها على ما كانت عليهِ من الفخامة والعظمة

العمل كبير متشعب وقد لا يتمهُ جيل واحد من الاثريين . فالمدينة يحيط بها سور طولهُ اكثر من كيلومترين وفيها معبد لابلون يضاهي افخم معابد اليونان في فخامتهِ وجمالهِ وهناك معابد اخرى كثيرة وضواحٍ للسكن تحتوي على انقاض مشاهد وملعب وقصر امبراطوري . وحول المدينة بقعة تمتدُّ الى ثلاثين كيلومتراً فيها كثير من الآثار النفيسة ولم يكشف من هذه الكنوز المطمورة سوى جانب قليل من معبد ابلون ومعبد اجورا. وقد بذل الباحثون جهدهم في السنوات الثلاث الاخيرة للكشف عن معبد ابلون الذي كان مقرّ العبادة في قورينه

ومن الطبيعي ان يعثر الباحثون على كثير من التماثيل الفاخرة في هذا المعبد .ومما عثروا عليهِ تمثال صغير من الحديد اثبت ان اليونان حاولوا في اوائل عهدهم استعمال الحديد لصنع التماثيل وتمثال رخامي مشوّه من القرن السادس ق.م ورأس من البرونز لخطيب فاز في مناقشة علنية من القرن الخامس ق . م ووجدوا كثيراً من التماثيل التي نقلها الرومان عن اصول يونانية مفقودة وهي ذات شأن تاريخي كبير لانها السبيل الوحيد الى معرفة درجة الرقي الفني عند قدماء اليونان . وبين هذه التماثيل تمثال بديع لامرأة تدعى اغريبينا يمثلها اصدق تمثيل وعلى وجهها امارات الحزن والشقاء

الراحلون

من شعراء العصر

— ١ —

هل من ذاكرٍ اولئك الراحلين ، كانوا اعلام الشرق ، وملوك الكلام ، وأئمة الادب العربي ، خلّف بعضهم من الاثر المحمود : ما لا يفضله ما بأيدينا اليوم من الآثار الحديثة ، وعاند الدهر آخرين ، فلم يُبقِ لهم سوى : اقوال مبعثرة ، في صحف نُشرت وطويت ، واظنها قرئت ونسيت

عرفت من اولئك الرجال كثيرين ، وما زلت اذكر ما علمته من اخبارهم ، وما لم أتعمد حفظهُ من اشعارهم ، وهم ثلاث فرق : « الفصحاء » وهم من جروا في شعرهم على سنة العرب ، وانصرفوا الى تخير الالفاظ ، ووضعها في مكانها ، فلا يستطيع غيرهم تبديلها مما هو خير منها ، وبذلك كانت اشعارهم لغوية ، قد يجد سواهم فيها ، ما لا يلذّ لهُ استماعهُ . و« البلغاء » : وهم من قصدوا الى تصيّد المعاني ، في اودية الخيال ، ورغبوا عن حديث الرسوم والاطلال ، الى ما شهدوا من جديد اعقبهُ جديد . « والظرفاء » : وهم من قصروا اشعارهم على ما يروق اهل الظرف ، من غزل ، ومداعبة ، ومراسلة ، وحكاية ، في لفظ رقيق ، يفهمهُ خاصة الناس ، وعامتهم ، واكثر هؤلاء بعيدون عن المديح ، لا يشغلهم الاّ ما هم فيهِ من لذة العيش ، او نكد الحياة

***

اما من عرفت من « الفصحاء » ، فكانوا اربعة : السيد محمد توفيق البكري ، شفاه الله ، وهو الآن في حكم الراحلين ، يعيش منذ اعوام طوال في احد المستشفيات بالاقطار السورية ، والمرحوم يحيى السلاوي بك ، والمرحوم الشيخ احمد مفتاح ، والمرحوم محمود باشا سامي البارودي ، هؤلاء من انا ذاكرهم اليوم ، في رسالتي الاولى ، وسأذكر في الثانية البلغاء ، وفي الثالثة الظرفاء ، كل ذلك بما يفيد ويروق من الايجاز ، إن شاء الله

السيد محمد توفيق البكري

عرفتهُ في سنة ١٩٠٢ عند الاستاذ العلاّمة الدكتور فارس نمر ، وكانت ادارة

المقطم في ذلك الحين ، بين شارعي الساحة وعبد العزيز ، كان متوقد الذكاء ، حاضر البديهة ، قوي الحجة ، حلو الفكاهة ، وكان مجلسهُ حافلاً برجال الادب والسياسة ، وكان لاشتغاله بالسياسة كثير الخصوم ، وقد حاربهُ اهل الدسائس بما حسبوهُ ذاهباً بكرامتهِ ، فلم يفلحوا ، وعفا عن اكثرهم

ومن آثارهِ : « فحول البلاغة » و « صهاريج اللؤلؤ » . واذكر من شعرهِ ابياتاً من قصيدة مدح بها المرحوم السلطان عبدالحميد الثاني، من سلاطين آل عثمان، والابيات:

اما ويمين الله ، حلفة مقسمٍ لقد قمت بالاسلام عن كل مسلمِ
فلولاك بعد الله ، امست ديارهُ بأيدي الاعادي مثل نهب مقسّمِ
لقد سرَّ هذا النصر قبراً بطيبةٍ وبيتاً ثوى عند الحطيم وزمزمِ
فحيَّ اميـر المؤمنين وملكهُ ثناء البرايا من فصيح واعجمِ

ولم يسلم بعض شعرهِ من كلمات : تؤذي السمع ، وقد علق بخاطري بيت من ذلك الشعر ، هو قوله :

اصبح وادي الصَّـرخَـدِ عجلانَ كالسيف الصّـدى

وانا لا اعرف ما هو الصرخد ، ولم ابحث عنهُ في المعجمات ، لاني لا اريد ان اعرفهُ ، واقسم بالله : لو سمع اللفظة طفل ، لفزع وبكى، حاسباً ان الصرخد شيء من امثال (الغول) و (البُعبُع)

ومن لطائفهِ : ان الكاتب المعروف ، المرحوم ابراهيم المويلحي بك، زارهُ في ذات يوم ، فقال لهُ السيد توفيق : ان مولانا الخديوي سيسافر في هذه الايام، ليفتح خزان اسوان ، فماذا اعددت لهُ يا ابا خليل ؟ قال: اعددت لهُ تاريخاً بديعاً ، سأنشرهُ تحت رسمهِ ، قال: وما هو ؟ قال : (يفتح الخزان عباس) ، قال البكري : هذا شطر من الشعر ، ولستَ يا ابراهيم شاعراً ، وانا شاعر ، فأنا احق بهِ منك ، أتبيعهُ بعشرين جنيهاً ، قال ابراهيم : لا ابيعهُ الاَّ بمائة جنيه ، لا تسويف في دفعها ، فضحك البكري وقال : كيف صدّقت اني رغبت في الشراء ، هذا الشطر لا يصلح لان يكون تاريخاً ، لانهُ منبئٌ بما سيكون ، فخير لهُ ان يضاف الى احد الحضور

ومن الجليّ : ان البكري لم يُـرد بنقدهِ الاَّ ان يمازح صديقهُ ، وهكذا كان لطيف المزاح ، كما كان شديداً متيناً في نقدهِ الجدّي ، اذكر انهُ انتقد قصيدة لي ،

قرأتها في مجلسهِ ، فجعلها في نظري من احقر الكلام ، ثم ارضاني ، بان استنشدني غيرها ، واظهر اعجابهُ ، وللسيد البكري من الاحاديث والاخبار ،مالا يستطاع حصره في مثل هذا المقال

المرحوم يحيي السلاوي بك

هو ابو النصر يحيى السلاوي ،الشاعر العربي الفصيح ،صاحب « عكاظ الادب »، هاجر من مصر الى فروق ، بعد الثورة العرابية ، وعرفتهُ في سنة ١٨٩٧ ، وكان عضواً في مجلس المعارف العلمي ، الذي كان معروفاً باسم (معارف أنجمن) ، وكان يجيد اللغة التركية ، تعلّمها بعد هجرتهِ ، الى ان عُدّ من اوائل كتّابها ، واذا كان في شعرهِ العربي،لا يفضل امثال البكري والبارودي واحمد مفتاح ،فهم كذلك لا يفضلونهُ ، أذكر لهُ في وصف الشجاع هذين البيتين من قصيدة لهُ ، قال رحمهُ الله :

بها كل مرهوب الكفاح غضنفرٍ شديد القوى عَبْل أظافرهُ حُمرُ
اذا مدّ يوم الروع للسيف كفهُ تقاعس عنهُ الموت وانخذل الدهرُ

وكان في حديثهِ كمن يخطب ، لا يتكلم بغير العربية ، الفصحى ، وكان جريئاً في الحق ، وهذا ما اضرَّ بهِ في سني حياتهِ بفروق ، هجا جواسيس السلطان عبد الحميد الثاني ، بهذه الابيات :

قد سعدتم سعادة الأبدِ يا وجوه الكلاب في البلدِ
ما عسى بعد ان ينازعكم في صحاف الالوان من أحدِ
إنما العيش للكلاب اذا ظلّ عيش الاسود في نكدِ

فكاد السلطان ينفيهِ ، لولا شفاعة البعض من المقربين ، وما زال السلاوي يكافح الايام ، ويجهر بما لا يجوز الجهر بهِ في زمانهِ ومكانهِ ، الى ان نُفي ومات في منفاهُ ، وكانت مجموعة اشعارهِ ضخمة ، لكنها لم تطبع ، ولا يدري احد لها خبراً

المرحوم الشيخ احمد مفتاح

العالم اللغوي ، والشاعر الناثر ،صاحب (مفتاح الافكار) و(رفع الاثام عن اسماء الضرغام) ، وهو استاذي ، واستاذ كثيرين ، من رجال الفضل في مصر ، كفضيلة الاستاذ عبد العزيز جاويش ، وفضيلة الاستاذ مصطفى عناني ، احد صاحبي (الوسيط : في الادب العربي وتاريخه)

كان كالبلبل ، يعشق الرياض ، فيصدح بما يطرب ويرقص، من شعر اتصل روحهُ بمثل ما قال النابغة الذبياني :

طفلة ، شثْنةُ المخاخل ، بيضا ء ، لعوب ، لذيذة في العناقِ
ضربت صدرها اليَّ ، وقالت : يا عديًّا ، لقد وقتكَ الاواقي

وهذا الشعر ، عدا لفظهِ الخالب ، وسحرهِ الغالب ، لا يكتب منثوراً ، الاَّ كما جاءَ منظوماً ، وهكذا جاءَت آيات احمد مفتاح

كان يزورني واخي المرحوم ولي الدين يكن ،في منزلنا (بمنيل الروضة) فنجلس الى شاطىء النيل ، بين ماء وزرع ، نتطارح ونتساجل، ومما اسمعنا من شعرهِ ،قصيدة هنأ بها صديقاً لهُ ، أُنعم عليهِ برتبة ، اذكر منها مطلعها وبيتاً في التهنئة أما المطلع فهو :

طرق الخيال: مُعرّسين عُجالا والليل ، شمّر للسرى إذيالا

واما بيت التهنئة ، فقولهُ :

هي رتبة ، ستكون سلّم غيرها وكذاك بدر التم ، كان هلالا

ومما اذكرهُ لهُ :

قرعت نبع الليالي ، وهي جامحة يزجى لي الويلَ ،منها البؤس والحربُ
والحُرُّ يزداد بالايام تجربة كما يصفّى بنار الصائغِ الذهبُ

وكان على خصاصته مبسوط اليد ، ذا عفة واباء ،زارهُ في ذات يوم رجل بائس، طلب اليهِ ان ينظم لهُ أبياتاً يمدح بها احد الامراء ، فأملى عليهِ عشرة ابيات ، أخذها الرجل وانصرف ، ثم عاد اليهِ بعد يومين ، ودلائل السرور بادية عليهِ ، فحيي الاستاذ وقال لهُ : أعطاني الامير فوق ما أمّلت ، هذه خمسون من الجنيهات ، يكفيني نصفها، ولك النصف الآخر ، وهو بعض ما يجزى بهِ شعرك ، فغضب الاستاذ ، وقال : اني اتقاضى من الحكومة عشرين ، وليس لك من عائدة ، وانت عائل ، وانا موحد في هذه الدار ، فلا تظلم نفسك ، خذ ما وهبك الامير ، واذا نفدَ مالك ، فاني معينك على قدر المستطاع

ومات الاستاذ في دارهِ، وما درى جيرانهُ بموته الاَّ بعد ثلاثة أيام ، هكذا يموت الشاعر في الشرق ، ولا يعلم بموتهِ احد ، ولم يطبع الاستاذ ديوانه ، فليس لهُ سوى ما نشر في الصحف ، وهو قصائد معدودة من الصعب جمعها

المرحوم محمود باشا سامي البارودي

رب السيف والقلم ، الشاعر الساحر ، بقوة بيانهِ ، المعروف ، بالفاظهِ المختارة ، وقوافيه المتينة ، واسلوبهِ العربي ، كل ذلك في سهولة وانسجام ، لا نظير لها وهو القائل:

ردّى التحية ، يا مهاة الاجرعِ ، وصلي بحبلك ، حبل من لم يقطعِ
وترفقي بمتيم ، علقتْ بهِ نار الصبابة ، فهو دامي الأضلعِ

والقصيدة مطوّلة . والقائل :

ما اطول الليل على الساهرِ أما لهـذا الليل من آخر

ومن هذه القصيدة قوله :

أسمع في قلبي : دبيب المنى ، وألمح الشبهة : في خاطري

لهُ ديوان قيم مطبوع ، ولهُ (مختارات البارودي) ، واظنها طُبعت قبل ديوانه، عرفتهُ بعد عودتهِ من منفاهُ ، وكنت ازورهُ كلما استطعت ، لاقتبس من فضلهِ ، ولكونهِ صهر أسرتنا ، وكان زواره كثيرين ، والكل مستفيد بعلمهِ

جاءهُ في ذات يوم : الشاعر المجيد احمد شوقي بك ، فاسمعهُ قصيدة عامرة الابيات، فاظهر البارودي اعجابهُ بها ، ولما جاء شوقي الى قولهِ :

عنّت بنا أصلا ، تفري بنا اسلاً مهزوزة دلـلاً ، مشروعة تيها

قال البارودي : لماذا قلت (دللاً) يا شوقي ، قال لم أجد سواها ، قال ضع مكانها (شكلاً) ، فالمعنى واحد ، ولـكن شتان ما بين اللفظين ، فامتثل شوقي شاكراً ، وكان البيت :

عنّت بنا اصلاً تفري بنا اسلاً مهزوزة شكلاً ، مشروعة تيها

وللبارودي تاريخ عظيم ، غير مجهول ، يعلمهُ من قرأوا ديوانه ، ومن عاشروه ، أما اخبارهُ الادبية ، فلا يستطاع حصرها

هذا ما تيسر لي ذكرهُ بالايجاز ، من اخبار من عرفتهم ، من فصحاء الشعراء الراحلين ، والفصل التالي في اخبار البلغاء

حلوان

يوسف حمدي يكن

التباين الخلقى

امراض النفس — خور العزيمة والبخل

بسطت في مقالي السابق فضل التربية في تقويم النفوس المنحطة التي تشب على الشرور وبيّنت ما لها من قوة جذابة للتحلي بالكمالات والفضائل . وربما يكون من المفيد في المستقبل تبيان شأنها في انهاض الامم وتكوين الحضارات في مقال على حدة

وقد يحار الباحثون — وهذا اثر التربية وفعلها في النفس مما دل دلالة كافية على المرونة النفسية الفطرية للتطبع حسب تباين الطوارىء والمؤثرات الخلقية — في تعليل تطرف فلاسفة الاخلاق فيما تطوحوا فيهِ من المبادئ ومنهم ريبو Ribot القائل : « ان السجية الحقة لن تكون الاّ فطرية » ولوبون Lebon القائل : « قلما تقوى التربية على تحويل الشعور . اذ الشعور عبارة عن تراكم صفات متوارثة على طول الزمن من جد لاب لابن لحفيد الى ان تنتهي بمولود يظهر على سجايا خاصة هيهات للتربية ان تزعزع من اصولها او تهد من اركانها او تمحو اثرها »

اذ من البديهي ان في هذه الآراء من التطرف ما لا يحتمل التسليم بهِ لمخالفتهِ للواقع واقل ما فيهِ نكران فضل التربية في تطهير الاخلاق مما يكون فيها من ادران . بل فيها نكران واضح لما ينجم من النقائص والمفاسد عن الوسط المنحط الملوث بالجرائم والآثام التي تصاب بها النفس بصرف النظر عن منشإِها حتى لو كان شريفاً راقياً

واضحى من البديهيات التسليم بأن الوسط الفاسد قطعة من الجحيم يحرق بلظاهُ نسيج الغرائز الشريفة الموروثة وغير الموروثة و يشلّ ارادتها بما يثيرهُ في الروح من الشهوات المنحطة التي تبعد المرء عن طريق الاعتدال والاستقامة وتميت ضميره وتدفعهُ الى الاستخفاف بمراجعة العقل واستشارتهِ قبل الاقدام على اي عمل كان مهما كانت مغبتهُ . وتذهب عنهُ نضارة الحياء فيقدم على النقائص والمزريات بلا خجل ولا وجل ولا رادع وحين ذلك تتعرض ارادتهُ للاصابة بامراض شتى تسمى بالامراض النفسية تتسمم بها الى ان تموت .

والامراض النفسية كثيرة نذكر هنا منها ماكان شديد الاثر في الانحطاط الذي اصاب الشرق وكان من اهم اسباب سقوطهِ وفقدانهِ لحريتهِ وانطفاء جذوة ذكاء ابنائهِ

الذي يرجع الى تألقهِ تمدين العالم الانساني وخروجهِ من طورهِ المادي الهمجي الى طور الفكر والابتداع والاكتشاف والعمل فنقتصر على ذكر مرضين : خور العزيمة والبخل

خوَر العزيمة

خور العزيمة ضعف يصيب الارادة مباشرة فيقعدها عن واجبها ويصرفها عن الذود عن حقها والتمسك بحريتها وكرامتها اذا هددتها المطامع من قبل الطغاة الذين لا يعبأون بالشرائع والانظمة ولا يخشون الله في تعسفهم واضطهادهم للناس وما لهم من حق في الحياة الكريمة. والمصابون بهذا المرض يستهدفون الى الاستسلام لارادة الغير التي لا تتفق ومصالح المجموع فيفتك المرض بمصدر الحكم من الباهم ويصيب النفس في مركزها العصبي المعد للتقدير والتكييف واعطاء الاشياء حقها وخاصة ما كان لهُ علاقة بتهذيب النفس وتخلقها بالفضائل والمحامد التي تبث في النفس معاني الرجولية الصحيحة . ولم يقتصر هذا المرض في الشرق على هذه العواقب المنهكة للصفات بل كان فيهِ سبباً لتفشي الرياء والكذب والوشاية وهي مناقص شائنة لا زلنا نراها سائدة في بلاد كثيرة شرقية بعد ان هاجرت بلاد الغرب من زمان بعيد فعبقت اخلاق رجالهِ عبق الازهار والرياحين

وكما يصيب هذا المرض الافراد يصيب الحكومات التي تتغلب فيها كلمة الفرد على كلمة المجموع وحين ذلك يكون من اهم اعراضهِ القيام بالحكم بواسطة نفر استعاضوا العلم والمقدرة بالرياء والزلفى وتقديم المصلحة الفردية على المصلحة العمومية . فتنقلب السياسة المدبرة للحكم شر منقلب وتصبح سياسة هدم وتخريب بدلاً من ان تكون سياسة انشاء اهم اغراضها فائدة الجمهور وتدبير شؤونهِ فيهجر هذا الوسطَ الموبوء العلم والعلماء والفكر والمفكرون والحرية والاحرار لكثرة الضغط عليهم ويبقى فيها المضللون يفسدون فيها وتنفسح امامهم منافذ واسعة للانتقام من منتقدي اعمالهم الجائرة وخيانتهم امانة واجباتهم الحكومية. ويكون العهد عهد مفاسد تنخر من هيكل الوطن ومرافقهِ واموالهِ ما ينخرهُ السوس في البذور فتسقط كرامة الامة وهيبتها ويطمع فيها كل طامع

هذا ما نراهُ يجزع حالاً بالشرق وكان جزاء وفاقاً لخائري العزيمة من رجالهِ وجزاءً كذلك وفاقاً لكل حكم قام على المصلحة الفردية دون المصلحة القومية ، وهو هو الذي يعالج الشرقيون الآن الخروج من ويلاتهِ بكل ما يملكون

كل هذه الويلات كانت عواقب ذلك المرض الذي اصاب رجال الشرق في عزائمهم . اما لو انهم يربّون ارادتهم على الثبات والمضاء في حقوقها والتمسك بها والاقدام على اعمالها

غير هيابة لما يعترضها من العوارض والمطامع وتعامت كيف تتلافاها وتحتقرها وتذللها بحنكة ودهاء وذكاء فان نصيبهم لا شك يكون القبض على ناصية الامور يكللها السبق في مضمار التزاحم لا فرق بين الفرد او الحكومة ويكون لهم منه الشرف الذي لا يقدر

هذا وفي تقوية العزيمة فوائد جمة اهمها انضاج النفس . ومتى تم للنفس نضوجها فانها تستقي مادتها من ينبوع لا ينضب لهُ نبع ولا ينقطع لهُ جريان بحيث لو انعدم منها شيء من غير طائل تجددت قوى اكثر غزارة واوفر تدفقاً من الاولى الى ان تصيب هدفها وتنال مطلبها فتهنأ وتستريح

ولا غرو فمتى تقوت الارادة لدى فرد تساوت في نظر صاحبها الامور كلها صغيرها وكبيرها ، سهلها وصعبها ، حقيرها ونفيسها ولا يخيفهُ من عواقبها شيء مهما عظم وخطر بل يملي عليها ارادتهُ املاء الجندي الظافر على عدوهِ المقهور الذي يلقي بين يديهِ سلاح الامان والتسليم لشروطهِ ورغباتهِ ولقد صدق الحكيم القائل :

لا يرتقي شعب بغير عزائم والفلك لا تجري بغير شراع

البخل

ان السعادة التي نرجوها لحياتنا ننالها بشيئين : العلم النافع والعمل الصالح . فواجب الشبيبة ان تسعى الى هذا الخير وتفقه ان سعادتها رهن وضعها هاتين الوسيلتين نصب عيونها وتذكر ان الدنيا التي تعيش فيها دار فكر وعمل وكدح تحتاج الى نشاط ويقظة وان المال الذي ابتكرهُ الانسان جاء ليكون سبب الهناءة لصاحبهِ وسبيلاً الى المصلحة العامة . فهو قوة لازمة لخير البشر يسعى اليهِ الانسان بمواهبهِ وبالعمل الشريف ليعيش بكرامة وشرف ويسد حاجته وحاجة اولاده واهلهِ ويعاون بهِ اخوانهُ في الانسانية وبهذا يحسن التصرف فيهِ . اما اذا أساء التصرف فيهِ فانهُ ينقلب الى النقيض ويصبح من اكبر اسباب الشرور والالم . هذا وبالارض التي نعيش عليها خيرات وافرة بباطنها وظاهرها لا تعد ولا تحصى اعدت كلها متاعاً للانسان متى كد وسعى وعمل معتمداً على حرفتهِ او مهنتهِ او علمهِ الذي يضيء امامه طريق العيش اضاءة نور النهار للعين المبصرة

فالمال وسيلة ترمي الى غاية ، هي سد حاجات الفرد وحاجات المجموع . هي الاستعانة بهِ على محاربة الشرور التي ابتكرتها الجهالة او البطالة أو الخرافة او الجريمة او التي أوجدتها الطبيعة فتخفف آلامها المادية والادبية وغايتهُ اعداد وسائل الهناءة البشرية والتكمل الانساني بجميع مستلزماتهما ومقتضياتهما وتمهيد اسباب التمدن والحضارة في

العالم بتشييد منارات العلم والصناعة في انحائهِ وتربية النفوس على ان تتضامن بعضها مع بعض في السراء والضراء وترتبط باواصر الاخاء وتتعامل بالرفق والرحمة والحسنى وصفاء النية والامانة وتتعاون حتى تكافح الاحقاد وتمحو العداوات وتستأصل جذورها والفاقات والامراض وتخفف من وطأتها وتسهل الحياة اجمالاً للنوع الانساني

فهذه الغايات السامية لا يعرفها الاَّ الممتازون الكرماء من بني الانسان اصحاب الارواح النبيلة التي تقوم بالاعمال الجيدة حبًّا للمصلحة العامة ولخير الانسان

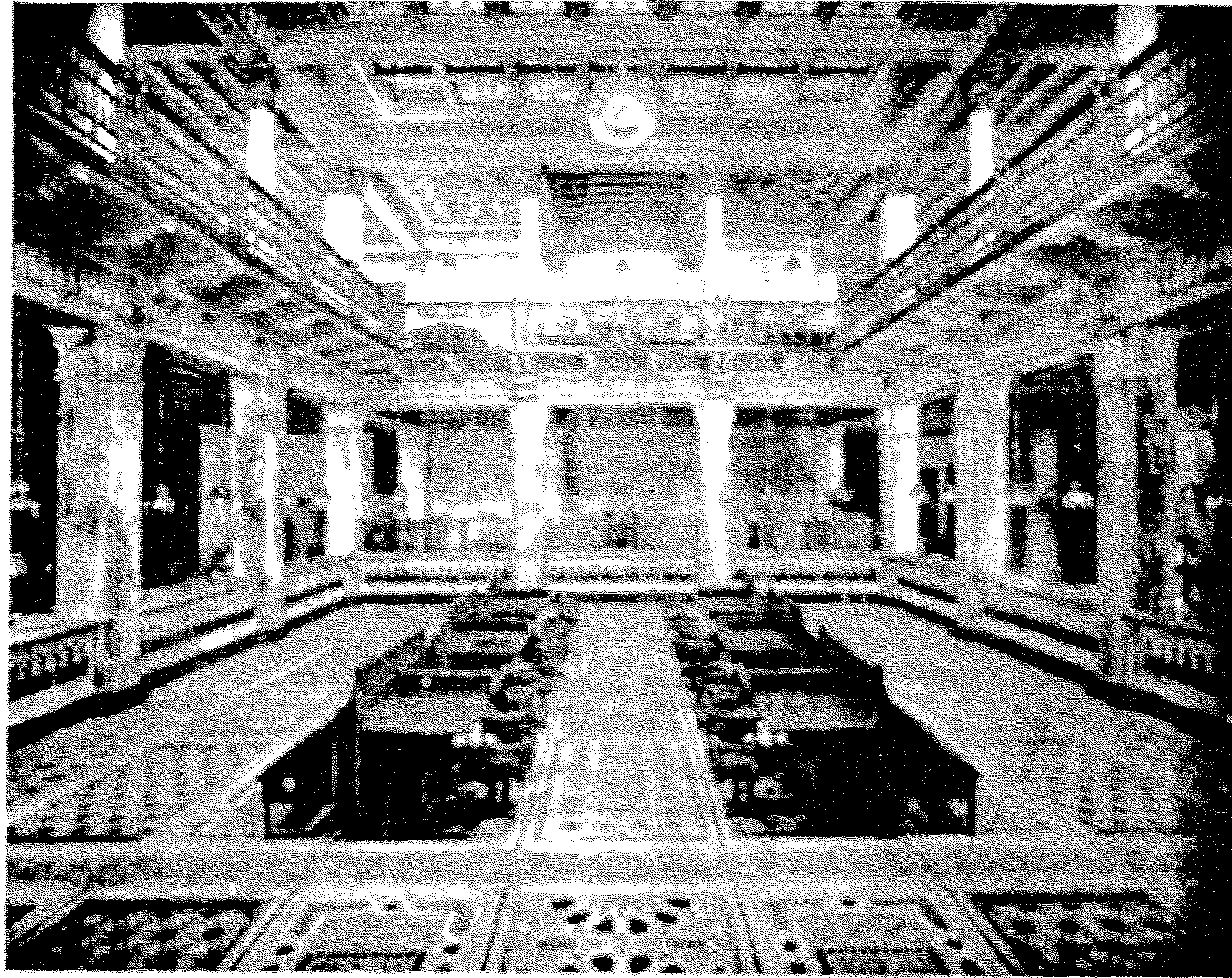
اما البخلاء فانهم يجهلونها جهلاً تامًّا لان نفوسهم مصابة بمرض ابعد في نتائجهِ من خوَر العزيمة وهذا المرض يدفعهم الى التلذذ بالحرمان من تلك الخيرات التي اعدها الله متاعاً حلالاً للاحياء حرماناً يشمل ذواتهم ويتعداهم الى غيرهم من ابنائهم واهليهم ومعارفهم والناس كل بحسب ما يحتاج اليهِ

فالبخل مرض قتال يحبب الى النفس التلذذ بالحرمان تلذذها بجمع كنوز الارض وتكديسها واعتقالها في مكان ضيق لا تصل اليهِ يد انسان . ولا يتناولها اخذ ولا عطاء ولا يتمتع بها صاحبها ولا يدع غيرهُ يتمتع بها ، ويضع هذا المرض على عين المصاب بهِ غمامة لا تجعلهُ تبصر عناية الله من ايجادها النعم على الارض بل تدفعهُ الى معارضتهِ في مشيئته بان يقبض عليها ويحرم نفسهُ والناس منها . هذا ومن اخطر اعراض ذلك المرض قلب الغاية لتكون وسيلة والوسيلة لتكون غاية . فان المال وسيلة ترمي الى الغايات السامية التي اسهبنا الكلام عليها . وبالمال واحسان التصرف فيهِ انقلبت الارض في بلاد الغرب واميركا غير الارض وازينت واخذت زخرفاً بديعاً من صروح جميلة ومتنزهات وطرقات واسعة ممهدة منسقة تظللها الاشجار من جوانبها وتعمّها دور التربية والتعليم ودور الصناعات والمتاجر والمستشفيات المجانية ودور العجزة والشيوخ واليتامى والاطفال المعوزين

وباعمالهم المجيدة علمنا رجال المال سواء في اميركا او اوربا قوة المال في الذهاب بالحضارات الى الامام وترقية التربية وتعميمها وانضاج العقول الى اعلى المراتب وتخفيف مصائب الانسانية بما يدعو الى تسجيل الفخر الابدي لهؤلاء الاساتذة الذين بهرونا باخلاقهم المتينة ومداركهم الواسعة التي تعمل للخير العام واملوا علينا دروساً في العظمة تنال بالمبرات

فهل لبخلاء الشرق ان يتأثروا بشيءٍ من تلك الاعمال

عثمان مرتضى



بهو بنك مصر كما تراهُ من الدور الارضي

باب الزراعة والاقتصاد

دستور مصر الاقتصادي

اقوال وآراء لطلعت حرب بك

مقتطفة من مجموعة خطبه

﴿ ١ — سياستنا المالية ﴾ ان لكل بلد في العالم سياسة مالية يجب ان يسير عليها ، واستقلالاً اقتصاديًّا يجب ان يعمل على الحصول عليهِ والاستمرار فيهِ . والمهيمن على هذه السياسة وهذا الاستقلال الاقتصاديين في كل بلد من بلاد العالم هو بنكها الوطني الذي يحصل على امتياز اصدار البنكنوت ويكون فوق البنوك يشرف عليها ولا يزاحمها في اعمالها ، وظيفتهُ مساعدة البنوك بان يخصم اوراقها ويقرضها على قراطيسها متى احتاجت الى المال ويفرج الازمات ويتدارك بقدر الطاقة حدوثها وهو ميزان الحركة التجارية والسوق المالية وبارومتر وفرة المال المعد للاعمال وندرتهِ ويحدد سعر الفائدة في البلاد بحسب ذلك ويخزن الذهب العين الى يوم الحاجة اليهِ يحفظهُ في البلاد فلا يخرج منها الاَّ بقدر ولضرورة تحسين سعر كامبيو البلاد او لضرورة قصوى تقتضيها مصلحة البلاد

وهو المهيمن الاعلى على الثقة والاعتمادات المالية فيها وبالجملة هو بنك البنوك لهُ وظيفة واعمال خاصة غير مزاحمة البنوك واليهِ تنتهي جميع العمليات المالية في البلاد — هذا البنك الوطني المسيطر على السياسة المالية لكل بلد ضمنت كل حكومة عدم تسلط اي يد اجنبية عليهِ . وهذه هي وظيفة البنك الاهلي في مصر الذي كان يجب ان يكون أهليًّا بكل معاني الكلمة . اهليًّا في رأس مالهِ اهليًّا في ادارتهِ كما هو الحال في جميع بلاد الدنيا العاملة على حفظ استقلالها الاقتصادي . اما في مصر فان الاسهم جعلت لحاملها وأصبحنا لا ندري ولا هو يدري في يد من هي الآن او بعد ساعة ومعلوم ان حملة الاسهم هم اصحاب الرأي الاعلى ولهم الحكم في تسيير اعمال شركتهم وهو في مصر يزاحم البنوك الموجودة فيها في اعمالها وقد كان لهُ العذر في عدم تغيير خطتهِ لانهُ لم يكن في البلاد بنوك اهلية ليكون بنكها ولا يمكن ان يكون بنكاً لبنوك اجنبية قد لا تتفق

في الغالب مصلحتها مع مصلحته فاذا ابطل اعمال البنوك العادية لا يستفيد هو ولا تستفيد البلاد شيئاً بل الذي يستفيد هو البنوك الاجنبية المزاحمة الاخرى فضلاً عن ان ربحهُ من البنكنوت المتداول في البلاد كان لحد سنة ١٩١٤ قليلاً لعدم التعود كثيراً عليها فلم يكن في الامكان مطالبته بان يعدل عن الاعمال الاخرى الاَّ اذا وجد لهُ ربح يعادل ما يخسرهُ من الاعمال المذكورة

هذا الربح لا يكون الاَّ اذا وجدت بنوك اهلية برؤوس اموال اهلية تستعمل البنك الاهلي كبنك البنوك فيربح من معاملتها ويترك لها اعمال البنوك العادية ويعامل الافراد بواسطتها فيؤدي وظيفة بنك البنوك الحقيقية

لهذا اردنا ان يكون لنا بجانب البنك الاهلي بنك مصر نتدارك فيهِ ما فات لدى تأسيس البنك الاول . ولا اظن ان البنك الاهلي يرفض اتفاقاً يحصل بين شركتنا وبينهُ على الاساس السابق يكون فاتحة خير لها وللبلاد خصوصاً وقد اصبح تداول البنكنوت شائعاً في مصر واصبح لهُ من ربحهِ المال الكثير . على ان لا شيء يمنعنا — بل هو الواجب المفروض علينا — من ان نجعل البنك الاهلي اهليًّا بالفعل بحصر اسهمهِ او معظمها في يدنا نحن المصريين مهما قال ذوو الغرض . . . ما دمنا وطدنا العزم على السير للامام باخلاص وعزيمة لا تكل

﴿ ٢ — خطة بنك مصر ﴾ غاية ما نقولهُ إننا اردنا ان يكون للبنك سياسة خاصة وصبغة اهلية متى تحققت لا نعبأ على يد من تنفذ . فاننا نولي وظائف البنك للاكفأ مهما كانت جنسيتهُ وديانتهُ . ونحن مستعدون للاستفادة من خبرة ومعلومات اي اجنبي كمستشار فني او كموظف لا كحاكم ولا مسيطر يحول مجرى سياسة البنك الى غير ما ارادهُ اصحاب الاموال وتقتضيهِ مصلحة البلاد . وإن كان الرجال الصالحون للاعمال المالية بمصر قليلين فليس الذنب عليها ، ولذلك ظروف معلومة ، لن تحول دون البدء في خلق الجيل الذي يصلح . فمن لم تخرجهُ المدرسة فالعمل كفيل بايجادهِ . والوظيفة تخلق العضو

قيل لنابليون حينما وضع نظام بنك فرنسا الحالي : انهُ ليس في فرنسا رجال ماليون خبيرون باعمال البنوك ، فقال لهم : هذه طائفة يجب خلقها . وقد خلقت واصبحت فرنسا بعد قرن يضرب المثل بخبرة رجالها الماليين وعلمهم

فلماذا لا يصدق على مصر ما صدق على غيرها ؟

في البلاد اموال كثيرة مخزونة ومعطلة كما قلنا ، وظيفتها في الاصل التداول بين الناس ولها في كل حركة بركة وفي كل دورة ربح لرابح ففي خزنها وقوف هـذه الحركة وضياع لهذا الربح والفائدة التي تعود على البلاد من زيادة ارباح بنيها فضلاً عن تعرض هذا المال للضياع بالسرقة او الحريق او ما أشبه . وفي البلاد ودائع وامانات كثيرة ... لو استثمرت في الشؤون المصرية وسوعدت بها التجارة والصناعة والزراعة المصرية لزادت الثروة المصرية اضعافاً مضاعفة ، ولكان ذلك عاملاً قويًّا على إصلاح حالنا الاقتصادية وايجاد الكفاءة المالية التي هي الاساس المتين للرقي المطلوب . وهذا ما سيجعله بنك مصر نصب عينيه فهو يشجع المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود عليهِ وعلى البلاد بالربح العظيم . ويساعد على ايجاد الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية ، وشركات النقل بالبر والبحر، وشركات التأمين بانواعها ويتعهدها حتى تنمو وتقوى ويشتد ساعدها . وبالجملة يعمل على ان يكون لمصر صوت في شؤونها المالية ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها . ومن فوائده انهُ لا يتأثر بالاشاعات المكذوبة فلا يقفل بابهُ عن الناس لاقل إشارة ترد اليهِ من الخارج بسبب او بلا سبب فتحذو حذوهُ بقية البنوك لانهُ بنك البلد واعلم بما يجري فيهِ

﴿ ٣ — بنك مصر والمضاربة ﴾ لن يشتغل بنك مصر على الاطلاق في المضاربة لنفسهِ ، ولن يساعد الغير عليها . ولن يقرض الاموال المودعة لديهِ لآجال طويلة ، فلذلك بنوك اخرى خصيصة بهِ

نريد ان يفهم الكل ان بنك مصر ليس جمعية خيرية ، ولا ملجأ للعاطلين، ولكنهُ محل تجارة يعمل عملاً تجارياً على مبادئ واصول قويمة لن يحيد عنها ان شاء الله تعالى

وسيعمل على بث روح العمل والتعاون والتضامن والنظام في الشبيبة وانماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم والحث على وضع اساس التربية الاقتصادية العملية في البلاد وجعل تعليم الحساب والنظام الحسابي اساساً في مناهج التعليم فيها

﴿ ٤ — القناصل وسياستنا الاقتصادية ﴾ إننا نعلم ان إنماء ثروة البلاد وتحقيق استقلالها الاقتصادي على اساس برنامج قومي واسع الاطراف انما تقوم بهِ الطبقات العاملة في البلاد تعاونها حكومة دستورية رشيدة . ونعلم ايضاً ان العمل على تحقيق هذا الاستقلال واجب مفروض على كل مصري ، وهـذا الواجب اساسهُ في الحياة الفردية والحياة العامة التوسيع في الايراد والتوفير من النفقات حتى يفيض من الايراد

ما تتكوَّن بهِ ثروة فردية او ثروة عمومية . لهذا نحن لا نطلب الى حضرات القناصل ان يقوموا بما هو مفروض على بقية الافراد والجماعات العاملة من الامة المصرية ولكننا نطلب اليهم ان يعملوا كما كان يعمل اسلافهم من الاجداد الغابرين . نطلب اليهم ان يزدادوا معرفة باحوال بلادنا الاقتصادية بحيث لا يكون ابتعادهم عن مصر سبباً في عدم تعرف شؤونها الاقتصادية . ثم نطلب اليهم ان يدرس كل منهم في جهتهِ احوالها الاقتصادية من جميع الوجوه وان يتفهم ما تنتج وما يصلح من إنتاجها لبلادنا وما تحتاج اليهِ من منتوجاتنا ويرشد عن طرق الانتفاع من التبادل التجاري بين البلدين . وان يتفهم طرائق كل قوم يعيش بين ظهرانيهم في الانتاج والتوزيع ويرشدنا عن الجديد من هذه الاساليب ارشاداً يصح ان يكون محل التجربة للانتفاع بهِ في بلادنا او يبقى قائماً في ذاتهِ فان من الاساليب ما لا ترى في تطبيقهِ اليوم نفعاً وقد ترى في اقتباسهِ في الغد فائدة

بهذا العمل الذي يجمع بين تفهم الحالة الاقتصادية في مصر والارشاد عنها في الخارج وتفهم الحالة الاقتصادية في الخارج وارشاد مصر عنها وتسهيل الانتقال والاتصال بين مصر والخارج . بهذا العمل تقومون ايها السادة القناصل فوق ما هو مفروض عليكم بصفتكم مصريين بواجب الوظيفة الجليلة فتعملون على مثال الاجداد في توفير اسباب السعادة والرفاهية للبلاد ويكون لكم شرف الاشتراك في بناء الاستقلال الاقتصادي إن لم يكن لجيلنا الحاضر ولاولادنا فللاحفاد

﴿ ٥ — غاية التعليم ﴾ الامريكيون لا يعلمون ابناءهم ليملأوا ادمغتهم بالعلم ويخرجوهم من المدارس والجامعات ادوات اعمال كما يخرجون الاجزاء المتشابهة للآلة الواحدة من مصانع الفولاذ والحديد . كلا . انما هم يعلمونهم ليفتقوا اذهانهم وليتخذوا التعليم ومعاهد التعليم فرصة لتربية الاخلاق وتعويد المتعلمين على النظام وعلى ضبط النفس بالنفس من غير خشية العقاب وعلى الابتكار والاستقلال الشخصي مع احترام حرية الغير . وبالجملة على اخراج رجال قادرين ان يقودوا انفسهم ويقودوا الغير ويعملوا لا نفسهم ويعملوا للخير العام

﴿ ٦ — بنك مصر واللغة العربية ﴾ هذا اول بنك قومي مصري تأسس باموال مصرية بحتة . وبادارة مصرية محضة . وقررنا ان تكون المراسلات فيهِ وبينهُ وبين عملائهِ باللغة العربية . وان تكون حساباتهُ باللغة العربية . فهزأ بنا الهازئون وقالوا

« ان المحاسبة من واردات الغرب . وانها فن من فنونهِ غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة من لغات الغرب» ولكننا اهملنا استهزاءهم واجرينا مراسلاتنا وكتبنا وتقاريرنا باللغة العربية . واني أؤكد لحضراتكم — ولي صلة متينة ببنك مصر وبادارتهِ منذاليوم الاول من انشائهِ — اننا ما وجدنا اية صعوبة في تعريب معنى من معاني هـذا الفن او في تعريب اصطلاح من اصطلاحاتهِ . وكان مما ساعدنا على سهولة التطبيق في العمل أن كانت قد انشئت قبيل الحرب مدرستان للتجارة تكونت فيهما طائفة من الشبان تلقوا العلم فيها باللغة العربية فسهل قيادهم في حياة البنك العملية

سوق القطن

بعد صدور التقارير الرسمية

كان أظهر ما وقع في سوق القطن في الاسبوعين الاولين من شهر دسمبر الماضي خمسة امور هامة لها دلالة كبيرة على اتجاه سير السوق في المستقبل. واول هذه الامور ان الكساد المستحوذ على تجارة المغزولات والمنسوجات القطنية ليس ناجماً عن كثرة المخزون من المصنوعات القطنية عند التجار وفي الاسواق ولا عن قلة الطلب عليها بل عن غلاء القطن الخام بالاسعار التي كان يباع بها في شهري سبتمبر واكتوبر حتى باسعارهِ الحالية واحجام المستهلكين عن دفعها بعد ما يضاعفها اصحاب المغازل والانوال بحجة غلاء اجور العمال وسواها لاسيما ان الناس باتوا يدركون الآن ان ارتفاع اسعار القطن الخام لا مسوغ لهُ في الوقت الحاضر ويعلمون ان الموجود منهُ يزيد على مقطوعية العالم كثيراً علاوة على ان الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لا تساعد على رفع اسعارهِ وهم يرون امامهم اسعار الحرير تعود الى مستواها قبل الحرب وان الحرير الصناعي صار يغنيهم برخصهِ واتقان صنعهِ ومتانتهِ بعض الغنى عن المصنوعات القطنية حتى عن الحرير نفسه ايضاً

والامر الثاني هو ان سوق العقود ظهرت من صغار المضاربين والمتطفلين عليها ان لم يكونوا كلهم فجلهم فلم يعد الذعر يستحوذ عليها كما كان يقع قبلاً لايسر سبب او عند ذيوع اقل اشاعة لما كان هؤلاء المتطفلون يهرعون الى تصفية مراكزهم درءًا للخسارة او جنياً للربح فيزحمون السوق ويحدثون فيها هرجاً ومرجاً يفضيان الى تقلقلها وتدليها .

والظاهر ان هذا العامل قد زال كلهُ او الجانب الاكبر منهُ من السوق الآن ولاسيما من بورصتي نيويورك والاسكندرية فاستقرت الحالة فيهما بعض الاستقرار رغماً من العوامل العديدة التي عملت على معاكستها وخصوصاً في الاسبوع الذي آخرهُ ١٤ دسمبر الحالي مما لو اتفق بعضهُ للسوق قبل هذه الايام لارتجت منهُ اشد ارتجاج وتدهورت اشنع تدهور . ونحن لا نذكر انهُ مرَّ على سوق القطن من ابتداء محصوله الحالي اسبوع سادتها فيهِ السكينة والهدوء وانحطاط العزيمة كما سادتها في الاسبوع المذكور ولا يبعد ان تكون هذه السكينة توطئة لوثبة تنهض بالسوق او مقدمة لاستقرارها على قرار وطيد

والامر الثالث ان سوق القطن اخذت تعود الى مجاريها الطبيعية وتسير بمقتضى سنة العرض والطلب بعدما ارتفع عنها كابوس المضاربة

والامر الرابع وهو الاغرب ان بورصة نيويورك اعتمدت في ثباتها في ايام من الاسبوع المتقدم ذكرهُ على ثبات بورصة لفربول مما يدل على ما وصلت اليهِ الحالة في بورصة نيويورك من الضعف والوهن اللذين خلفتهما فيها المضاربة بعد ما خفت سورتها وخمدت جذوتها نوعاً

والامر الخامس ان بورصة الاسكندرية كان جل اعتمادها في ثباتها وتمسك الاسعار فيها في الايام الاخيرة من ذلك الاسبوع على بورصة لفربول لا على بورصة نيويورك خلافاً للمألوف في السنة الحالية والسنوات الماضية

وقد هبطت اسعار القطن المصري من آخر شهر سبتمبر الى ١٥ دسمبر ٧٥ غرشاً القنطار فيكون القطر قد خسر في هذين الشهرين مالا يقل عن ½ ٤ مليون جنيه من جرَّاء تطفل صغار المضاربين على السوق والنضال القائم بين حزبي الصعود والنزول علاوة على ان التقلقل الذي حلَّ بالسوق والتقلبات السريعة التي انتابتها حملت تجار البضاعة الحاضرة على الاحجام عن شراء القطن فبات زرَّاعهُ من جراء ذلك ومن تشديد البنوك في ضيق شديد واضطر بعضهم الى بيع قطنهم باسعار تنقص ريالاً الى ثلاثة ريالات عن سعر سوق البضاعة الحاضرة فازدادت بذلك الخسارة اضعافاً

« باحث صغير »

—o:o—

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

كيف تحتفظين

بشبابك الغض وصحتك الجيّدة وقوامك المعتدل

الطعام — الرياضة — الحمامات الباردة — البشاشة — الرقص — النوم

بينا نحن منهمكون في اعداد حديث تجد فيه قارئات المقتطف لذة وفائدة اطلعنا على مقال مسهب في جريدة الصندي اكسبرس يحتوي على اراء طائفة من اشهر سيدات الانكليز في «كيف يحتفظنَ بصحتهن وشبابهن» فرأينا ان نلخص آراءهنّ فيما يلي :

اللايدي مندل

لا اخرج من بيتي في الصباح قبل القيام بالتمارين الرياضية المبنية على الطريقة الاسوجية وقد انقضى عليّ اربعون سنة لا افوّت يوماً القيامَ بهذه التمارين بين حمّام الصباح وتناول الفطور . اني لا اجدُ مسرّةً خاصة في هذه التمارين ولكن بعد القيام بها اشعر باني قمتَ بما يجب عليّ نحو جسدي فاسرُّ

وعندي ان اهم الامور في حفظ الصحة الاحتفاظ بدورة الدم حتى تكون نشيطة وطبيعية لان ضعف الدورة الدموية يسبب امراضاً كثيراً عن طريق مباشر وغير مباشر. كذلك الاكل فوق الشبع من اكبر اسباب الامراض. وانا لا آكل الاّ مقداراً قليلاً جدًّا من اللحم والاطعمة النشوية . لا شك في ان السير على نظام غذائي كهذا يتعبني في بعض الاحيان ولكن اجد جزائي في صحة جيدة وهذا يكفيني

اللايدي كونارد

اكثر الامراض سببها النهم وعندي اننا يجب ألاَّ نتناول اكثر من طعامين في اليوم . فاذا كانت السيدة من اصحاب الاعمال لا بد لها من تناول الفطور . واذا لم تكن من اصحاب الاعمال فلتكتفِ بكاس من الماء حتى الغداءِ والراجح ان اكثر الناس يأكلون فوق حاجتهم الى الاكل

اني امشي كل يوم ما استطيع وما يسمح لي بهِ الوقت في الهواء الطلق وآكل واشرب أقل ما يمكن . وحينما اشعر بتوعك في صحتي اتوقف عن تناول كل طعام مدة ثلاثة ايام . وهذا يشفيني من غير ريب

اتناول كثيراً من البرتقال واشير على كل أحد ان يفعل ذلك لان البرتقال من أفيد المآكل المعروفة وكثيراً ما يهمل مع الاسف

البرنسس تروبتسكوي

حالة الجسم هي صورة لحالة العقل والنفس وعليهِ جعلت همي منذ زمن الاَّ افكر الاَّ بالامور السارة .فاذا كانت النفس في حالة سرور وبهجة بقي الجسد متمتعاً بالصحة التامة . ولا اريد بذلك ان ادعو الى الخمول والكسل ونبذ القواعد الصحية المعروفة والتعرض للامراض باهمالها .ولكن لكلٍّ غاية ولذة في الحياة فاذا شغلنا نفوسنا بتحقيق هذه الغايات ابقينا عقولنا مبتهجة ونتج عن ذلك ان اجسادنا تبقى متمتعة بنعيم الصحة

اني لا اتناول طعاماً خاصًّا ولا اعنى عناية خاصة بالرياضة الجسدية بل اعمل كل ما اراهُ امامي ، ورائدي البشاشة والابتسام

اللايدي رايتشل ستيوارت

لا اعنى عناية خاصة بصحتي ولكن بعض اصدقائي يرون ان الاحتفاظ بصحتي الجيدة سببهُ ولعي بممارسة الزلاق Skating

المس تالوله بانكد

العمل (تريد التمثيل لانها ممثلة مشهورة) يشغل كلَّ وقتي لانَّ التمثيل مرتين كلَّ يوم وستة ايام في الاسبوع لا يترك لي متسعاً من الوقت لعمل آخر . على اني احب السباحة واسبح كل ما سنحت لي الفرصة

واعتقد ان المشي من انفع انواع الرياضة ولذلك لا استعمل سيارتي الاَّ للسفر الطويل وامشي حين اريد قضاء حاجاتي في المدينة

واذا اضطرت سيدة ان تسهر ليلة او ليلتين متواليتين الى ما بعد منتصف الليل فلتعوض ذلك بالتزام جانب الراحة والنوم اذا امكن بعد تناول الشاي وقبل تناول طعام العشاء فان هذه الراحة تعدّها للسهرة التالية

مسز ليونل تنسن

للصحة الجيدة قاعدتان — الرياضة والطعام . وانا اقوم بممارسة التمارين الرياضية كل صباح كانها فروض دينية واتناول بيضاً ولبناً وزيت زيتون كلّ صباح

الرقص رياضة مفيدة ولكني لا اشير بهِ لانهُ يكون غالباً في دور مقفلة حيث الهواء فاسد ولو كان الرقص في الهواء الطلق لفضلتهُ على اكثر انواع الرياضة البدنية

واعتقد ان ضعف صحة النساء عائد الى تفشي عادة الميل الى النحافة بينهنّ . واني اشكر الله لان التطرف في هذه العادة آخذ في الزوال

مسز ولفر اشلي

اعمل كل النهار وارقص متى سنحت لي الفرصة . والرقص لا يفيد كثيراً متى كان داخل الغرف المقفلة لانحباس الهواء فيها ولكن ما زال جوُّ انكلترا لا يسمح بالرقص في الفضاء « فلندر ما يكون » . وعندي ان الرقص افضل انواع الرياضة البدنية على الاطلاق اذ يحفظ الجسم ليناً نشيطاً والثغر باسماً والوجه بشوشاً

اني لا آكل لحماً على الاطلاق ولا اشرب خمراً ولكني لا اشير على كل سيدة ان تتبعني اذ يجب على كل سيدة ان تبحث بحثاً دقيقاً عما يتفق مع مزاجها من المآكل وما لا يتفق فتتناول الاول وتصدف عن الثاني

مسز روزيتا فوربس الرحالة

اغطس في حمام ماء بارد كلّ صباح مهما كان الجوُّ بارداً . ولا اتغطى في ليالي الشتاء باكثر من شرشفين خفيفين ولا ادخّن اكثر من اربع سجاير في اليوم ولا اشتغل على الاطلاق بعد تناول طعام العشاء واشرب كثيراً من الماء كلَّ يوم بين طعام وطعام ولكن لا اتناول اكلاً ما بين طعام وطعام . واكثر رياضتي البدنية من نوع المشي والرقص

الوقاية من الحمى التيفودية والباراتيفودية

يحسن بنا ان نسرد اولاً مصادر المرض وكيفية انتشارهِ لكي نتفهم جيداً طرق الوقاية منهُ فنقول :

مصادر المرض — كل مصاب بهذه الحمى هو مصدر لانتشارها فان مكروبات هذا المرض تفرز من الجسم مع البراز والبول . واشد الاصابات خطراً على المجموع هي الاصابات الخفيفة التي لا تظهر فيها اعراض المرض جيداً ولا تلزم المريض ان يلتزم الفراش خصوصاً في هذه الايام التي انتشر فيها التطعيم الواقي ضد هذا المرض فان بعض المطعمين يصاب بحمى خفيفة جداً مع اسهال او قيء يُظَنّ انهما مسببان عن برد او طعام فاسد مع انهما في الحقيقة اعراض حمى تيفودية خفيفة في شخص مطعم بالطعم الواقي فشخص مثل هذا خطر على البيئة التي يروح ويجيء فيها اذ لا تؤخذ ضده الاحتياطات التي تؤخذ عادة ضد كل مريض بهذه الحمى

حاملو الميكروبات — اما انهم اشخاص لا تظهر عليهم اي اعراض مرضية ولكنهم يفرزون باستمرار المكروبات المرضية مع برازهم او بولهم او انهم ناقهون من هذه الحمى يستمرون في افراز هذه المكروبات اوقاتاً مختلفة بعد شفائهم

كيفية انتشار المرض — انتقال العدوى مباشرة من المريض الى الاصحاء ليس عاملاً كبيراً في انتشار هذه الحمى اذا اتخذت الاحتياطات العادية التي يجب اتخاذها كما سنبين ذلك فيما يلي

اما اهم طرق انتقال العدوى فهي : ١ً الماء والثلج والمثلجات ٢ً اللبن ٣ً الخضراوات والسلطات التي تؤكل بدون طبخ ٤ً بعض الاسماك الصدفية ٥ً الذباب وهو عامل مهم في نقل المكروبات من المفرزات التي تحتوي على مكروبات المرض الى الطعام

كيفية الوقاية — طرق الوقاية اما عمومية او خصوصية . اما الطرق العمومية فيجب اتخاذها بواسطة الهيئات الصحية المشرفة على صحة المدينة وتتكون من عزل المريض وتطهير غرفته وسريره وملابسه ومفرزاته ومراقبة المخالطين له مدة كافية مع تلقيحهم بالطعم الواقي

وكذلك يجب على المصالح الصحية مراقبة مياه الشرب بعد ترشيحها مع فحصها فحصاً بكتريولوجياً كلّ يوم او كل بضعة ايام ومراقبة المرشحات نفسها . ويجب ان تصان منابع المياه (حيث تؤخذ المياه للترشيح) من اتصالها بالاقذار والمواد البرازية . كذلك تجب مراقبة الالبان والخضراوات والاسماك الصدفية فاذا أُشتبه في ان احدها مصدر العدوى اتخذت ضده الاحتياطات الضرورية مع اصدار الامر بعدم بيعه للجمهور خصوصاً الاسماك الصدفية اذا امكن . وتجب محاربة الذباب وقتله في اماكن تفريخه وان توضع

على المطابخ واماكن الاكل الستائر اللازمة لمنع دخوله اليها . كذلك يجب التفتيش عن حاملي الميكروبات وعزلهم مع محاولة تطهيرهم من عدواهم اذا أمكن

ومن اهم الاشياء التي يجب على الحكومة او البلديات النظر فيه انشاء مرشحات عمومية في البلاد كي يتمكن الاهالي من استعمال مياه نظيفة وانشاء مجارٍ عمومية توصل بها جميع المساكن

اما الاحتياطات الخصوصية فتتلخص في التلقيح الواقي ضد الحمى التيفودية ويحسن ان يطعم كل شخص اذا امكن وكذلك يجب على ارباب العائلات ان يغلوا اللبن قبل شربهِ وألاَّ يأكلوا الخضراوات والفواكه الاَّ مطبوخة جيداً وان يحتاطوا في منازلهم ضد الذباب والغبار

أما غرفة المريض فيجب الاعتناء بنظافتها اعتناءً تامًّا وان تؤخذ كل الاحتياطات حتى لا يدخلها الذباب وان تطهر مفرزات المريض حين افرازها باضافة الحامض الفينيك النقي او محلول الجير

وعلى الممرضة ان تعتني بنظافة ايديها وتطهيرها دائماً وألاَّ يدخل غرفة المريض الاَّ الاطباء والممرضات واذا فُرض واراد احد الاقارب مشاهدة المريض فيحسن بهِ ان يلبس جلباباً نظيفاً يخلعهُ حين الخروج وان يطهر يديهِ جيداً بغسلها بمحلول الليسول والماء والصابون

ويجب على الذين يعتنون بتحضير الطعام ألاَّ يخالطوا المريض او يدخلوا غرفتهُ بتاتاً

وحين يدخل المريض في دور النقاهة وقبل ان يسمح لهُ بمخالطة الاصحاء يجب فحص مفرزاتهِ فحصاً بكتيريولوجياً جملة مرات حتى يثبت خلوها من المكروبات المعدية

مصر الدكتور جورج قصيري

بلانش شوري

براهين قاطعة على الذكاء الشرقي

نشرنا في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٤٥٢ مقالة موجزة عن نبوغ الآنسة بلانش شوري في الضرب على البيانو والقاء القطع الروائية التمثيلية وذكرنا فوزها بالجائزة المالية الكبرى التي منحت في مباراة موسيقية اقيمت بمدينة سان بولو وامتها

المتباريات من كل انحاء البرازيل . وقد اطلعنا الآن في جريدة سورية من البرازيل على بيان ما نالتهُ هذه الفتاة النابغة من المكانة والشهرة في الاندية الموسيقية ولدى رجال الحكومة فاقتطفنا منهُ ما يلي . قالت الجريدة :

كل يوم تأتينا الحوادث المحلية ببرهان جديد على نبوغ الفتاة اللطيفة بلانش شوبري كريمة الدكتور نجيب شوبري في عالم الموسيقى والالقاء بلغات متعددة . فلم تكد الصحف البرازيلية والايطالية تصمت من فوزها الاخير ونيلها الجائزة الاولى بالضرب على البيانو بين مئات الفتيات واذا بصحف عاصمة الاتحاد تنشر رسالة جديدة تضمنت كلمة جهيزة وقطعت قول كل خطيب وناقد . والرسالة بعث بها الى النابغة التي لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها الطيب الاثر الدكتور كرلوس دي كمبوس حاكم الولاية السابق الذي استأثرت بهِ رحمة الله من شهرين . ولبست الامة البرازيلية عليهِ الحداد لكونه جمع بين عظمة الحاكم ودهاء السياسي ونبوغ الخطيب وتضلع الكاتب وتفنن الموسيقي . نعم لقد كان رحمهُ الله موسيقيًّا من الطبقة الاولى وقد وضع قطعتين للاوبرا نالا تحبيذ الناقدين من كبار متفنني الافرنج . ولذلك اهتمت الصحف البرازيلية لرسالتهِ التي ارسلها الى بلانش شوبري وعلقت عليها الفصول الطوال . ونحن بدورنا ننقل الرسالة لان فيها ما يمسُّ الشرقيين ويتناول نبوغهم لاسيما والكتاب من نابغة في الموسيقى قال :

ايتها الانسة بلانش شوبري

مع اذكى تحياتي اعلنك استلام رسالتك التي بعثت بها اليَّ بتاريخ ٢٩ الجاري وفيها تقبلين دعوتي لتعزفي وتلقي في قصر الحكومة ولذلك ارجوك ان تسرعي ما امكن وتحددي اليوم الذي تتمكن فيهِ من استقبالك لنطرىء من جديد ذكاء ونبوغ المتفننة البرازيلية الساحرة والممتازة في الموسيقى والالقاء وأني لك بكل اعتبار

كرلوس دي كمبوس

وبمجرد تلاوة هذه الرسالة يدرك المطالع الذكي المستوى الرفيع الذي بلغتهُ بلانش شوبري في عالم الموسيقى بحيث اصبحت موضوع فخر البرازيليين وحكامهم

وقد بلغ من اهتمام صحف عاصمة البرازيل ومجلاتها الكبيرة بالنابغة بلانش شوبري ان الكاتب والشاعر الطائر الشهرة الدكتور الفرد موريرا مدير مجلتي الالستراسون برازيليرا والبارا تودوس نشر في الاخيرة رسوماً متعددة لها . والجميل في ان المجلة

وجهت نداءً للنابغة المذكورة كي تلبي دعوة ساكني عاصمة الاتحاد لتلقي وتعزف في أعظم مسارح العاصمة ليتاح للاهالي اطراء مناقبها . وهكذا فعلت جمعية «استثمار الفن» في مدينة كمبيناس المؤلفة من اوجه عائلات الولاية وانبلها . ولعمر الحق انهُ لو ظلت بلانش شويري سائرة على هذا المنهج لاصبحت معبودة البرازيليين وكعبة آمالهم في عالم الفن والموسيقى

[المقتطف] وقد نشرت الجريدة التي نقلنا عنها ما تقدم صورة بالزنكوغراف لرسالة الحاكم وتوقيعهِ عليها

اثنتان وثلاثون مضغة

يقال ان غلادستون الشهير كان يمضغ كل لقمة اثنتين وثلاثين مضغة . وقد عمّر غلادستون الى التسعين ورأس الوزارة البريطانية لما كان في الثمانين . وما من رجل مصاب بمعدتهِ يستطيع ذلك

لقد منحتنا الطبيعة اسناناً واضراساً لمضغ الطعام فاذا مضغنا طعامنا مضغاً كافياً هان هضمهُ في المعدة . لان المضغ يحوّل الطعام الى كتلة ليّنة يسهل على المفرزات المعدية ان تخترقها وتفعل بها وتعدها حتى تهضم نهائيًّا في الامعاء

فقلة المضغ تؤدي الى سوء الهضم وهذا قد يصير مزمناً فيحدث تمدداً في المعدة وهو من اصعب الادواء على الشفاء

تطرية اليدين في الجو البارد

خذي ثلاث ملاعق سفرة من الغليسرين
وملعقة سفرة من الكولونيا
وملعقة سفرة من عصير الليمون
وملعقة سفرة من ماء الورد

وامزجيها معاً فيكون لديك زجاجة عادية الحجم يفيد استعمال ما فيها في تطرية اليدين « القشبتين » المتشققتين او الذراعين اللذين خشنهما التعرض للهواء البارد . وقد يستعمل للوجه ايضاً ولكن يغلب استعمالهُ لليدين والذراعين

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخاز على المطولة

النساء والتعليم الالزامي

محاربة الامية وتقليل العاطلات

لا يخفى ان للقطر المصري بصفة خاصة وللاقطار الاسلامية بصفة عامة مشكلة نسوية تسترعي الانتباه وتدعو الى تفكير عميق هي مشكلة اجتماعية ذات مظاهر اقتصادية وتؤثر في مجموع الشعب تأثيراً واضحاً بل شديداً . وذلك لان الحجاب يمنع المرأة عن اكمال تعليمها وتهذيبها وان كان لا يمنع تعليمها بتاتاً فهو قيد والتربية والتعليم لا يعرفان القيود والحواجز بل ان الرجل الذي يتعلم ويتهذب ثم لا يكثر من الاسفار والاختلاط بطبقات الناس لا يعد كامل التهذيب واسع دائرة التجارب فاذا قرن التعليم بالسفور النسوي واحيطا بسياج من الاخلاق الفاضلة في كل الاوساط والبيئات كان من ذلك نعمة كبرى لمجموع نساء الامة وبالتالي لجمهور الامة ذكوراً واناثاً . واذا بقيت نساء مصر مقصورات في الخدور بعيدات عن نور العلم والعرفان وليس لجميعهن عائل يعولهن او مصدر شريف يحصلن منهُ على مادة الحياة فسوف يزداد ذلك القدر البائس منهن وهن اللاتي « لسن ذوات يسار من جهة وليس لهن صناعة شريفة من جهة اخرى » وستواجه الحكومة والامة بعد زمن ليس بالبعيد مشكلة العاطلات من النساء اللاتي فقدن العائل والمعين ولم تحل ايديهن بحلية العمل الحر الشريف. ويزيد في تفاقم الحال كثرة الطلاق وانحلال الروابط الزوجية لاسباب مختلفة

وفي مقدور وزارة المعارف شيء من اصلاح هذه الحال الموجودة الآن بشكل غير واضح لانظار العموم والتي لا بدَّ ان تتطور بعد ذاك تطوراً لهُ نتائجهُ السيئة الخطيرة واليك البيان : —

نص الدستور المصري على وجوب نشر التعليم العام بين ذكور المصريين واناثهم وجدَّت الحكومة منذ بضع سنوات في انشاء المدارس الالزامية في القرى والدساكر والمدن الكبرى وعما قليل يزيد المتعلمون وتقل الامية. ألا يكون من الاصوب والادنى الى العدالة والمروءة والحالة هذه ان تفكر وزارة المعارف تفكيراً جديًّا في احلال السيدات محل الرجال في القيام بمهمة التعليم في المدارس الاولية بل والمدارس الابتدائية في بعض الحالات ؟ اذا قيل ان عدد المعلمات قليل قلنا ليكن ما تعدونهُ من مدارس المعلمين خاصًّا باعداد المعلمات والمعلمات ارخص اجوراً من المعلمين والمعلمون اقدر على الانصراف لمهام اخرى من المعلمات والمرأة بطبيعتها وبما نشأت عليهِ من الحنو والصبر والرقة اقدر على سياسة الاطفال من الرجل فهي اولى منهُ بولايتهم واذا قيل ان مدارس البنات اقل من ان تغذي مدارس المعلمات بما يلزمها من الطالبات قلنا وماذا يمنع من اكثار مدارس البنات بين اولية وابتدائية لتغذى مدارس المعلمات فتخرج هذه كل عام خير معينات على التربية والتهذيب وافضل هاديات الى سبل الخير والرشاد؟

حسين لبيب ناظر مدرسة النحاسين

زلّة مؤلف قديم

في كتاب منشور بين الناس

كتاب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز من مؤلفات الامير يحيى بن حمزه العلوي اليمني المولود سنة ٦٦٩ والمتوفى سنة ٧٤٩ قد فرغ من تأليفهِ سنة ٧٢٨ وطبع بمطبعة المقتطف سنة ١٩١٤ م على نفقة دار الكتب المصرية وقد باشر تصحيحهُ العلامة المفضال الشيخ سيد علي المرصفي احد ادباء مصر الافذاذ فلدار الكتب المصرية فضل النشر لهذا الكتاب القيم بين الناس وقد انتفعوا بهِ كما انتفعوا بصنويه: اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعلم المحققين عبد القادر الجرجاني — بيد اني عثرت على زلة في صفحة رقم ١٣٨ من الجزء الاول عند بيان الشواهد على اسرار الفصاحة وعجائب البلاغة فذكرت آية سورة الاعراف هكذا : «ان ربكم الله الذي خلق السموات

والارض (وما بينهما) في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبهُ حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرهِ ألا لهُ الخلق والامر تبارك الله رب العالمين »

بزيادة (وما بينهما) الموضوعة بين قوسين وحسبت اول وهلة انها زيدت من قلم الناسخ او تحريف الطابع ولكني رأيت المؤلف — سامحهُ الله وعفا عنهُ — يدلل على ما في الآية الكريمة وما اشتملت عليهِ من عذوبة الفاظ ، وسلاسة تراكيب ، ونظام عجيب ، وتأليف انيق ، واسلوب بديع ، وغير ذلك من مواقع الفصاحة والبلاغة الى ان قال في صفحة رقم ١٤١ قوله : (وما بينهما) يشير بهِ الى مهاب الريح وتصاريفها من اجل اصدار الزروع وتحريك السفن وجري السحاب لارسال الامطار وطلوع الشمس والقمر من اجل الاضاءة والانارة للعالمين ، والنجوم للاهتداء في ظلمات البر والبحر — وهكذا استطرد المؤلف في الشرح والتبيان وذكر العلل والنكت البلاغية باسهاب الى ان قال في صفحة رقم ١٥١ : صرح بلفظ السماء والارض وابهم الامر في خلق ما وراءها بقولهِ : (وما بينهما) اراد ايضاحه وبيانهُ الخ . . . .

فترى ان قلم المؤلف قد طغى في ذكر الآية الكريمة بزيادة (وما بينهما) عليها كما طغى بالتبعية في شرح الآية والإسهاب في بلاغتها من صفحة ١٣٨ لغاية صفحة ١٥٣ فكل ما سطرهُ القلم في هذه الصفحات غير مستقيم وكل الاعتراضات والاجابات ليست في محلها لانها بنيت على غير أساس صحيح

ومع تعثر القلم وطغيانه فالكتاب لهُ قدره الكبير وشأنه العظيم ، ولا ينقص من قيمتهِ ولا يضعف من شأن مؤلفهِ ما قد يقع فيهِ من مثل ذلك فكثيراً ما تخون الذاكرة والانسان معرض للنسيان والخطل — وقد قال المؤلف في مقدمة كتابهِ :

« لا أسلم نفسي من خطأ وزلل ، ولا أعصم قولي عن وهم وخطل ، فالفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته »

ولم أقصد — علم الله — بكتابة ما قد كتبت ونشره بين القراء للتشهير بأحد او انتقاص لإنسان أو إظهار فضل ، إن اريد الاّ الاصلاح ما استطعت اليهِ سبيلا ولتنبه دار الكتب المصرية على هامش الكتاب عند إعادة طبعهِ بما يفيد ما قد ذكرنا والله وحده المنفرد بالكمال

محمد نصر العادلي (دبلوم عال)
والمدرس بمدارس وزارة الاوقاف

مكتبة المقتطف

الثورة الفرنسية ونابوليون

تأليف الدكتور محمد صبري — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة — صفحاته ٣٠٤ قطع وسط مزدان بصور كثيرة

هذا كتاب مدرسيّ موجز في تاريخ الثورة الفرنسية ونابوليون « وايجاز الحوادث الكبرى ايجازاً علميًّا شاملاً من ادق واجبات المؤرخ لان الايجاز يقتضي الالمام بالحوادث ووزن كل دقيق وجليل فيها ثم اداءَها في اقرب لفظ الى ابعد معنى ، وما الايجاز الاَّ قطعة من عقل المؤرخ وشخصيتهِ ومقياس يبين عن ذكائهِ وذوقهِ وخبرتهِ»

وقد ابان هذا الموجز عن ذكاءِ الدكتور صبري وذوقهِ وخبرتهِ. فانك اذا نظرت الى ترتيب الكتاب وسياق الحوادث فيهِ عرفت ان المؤلف ملمّ باشهر ما كتب عن الثورة الفرنسية الماماً مكنهُ من ترتيب موادهِ وسياقها على اسلوب يقرّب تناولها تناولاً منتظماً للقراءِ بوجهٍ عام وللطلبة بوجهٍ خاص

لا تذكر الثورة الفرنسية مرة الا ويقوم شبح الموت في مخيلتنا فنراهُ مخيماً فوق شوارع باريس وتتمثل امامنا صورة المقصلة تقطع عليها اعناق الابرياء وترن في آذاننا اصوات البائسين ونرى صور الجماهير امام الباستيل تدك حصونهُ ثم امام قصور النبلاء والاشراف تقود اصحابها صاغرين . فما هي اذاً حسنات الثورة الفرنسية التي خلدت من اجلها في بطون التاريخ ؟

اقرأ هذا الموجز تعرف ان الثورة الفرنسية اصلاح اجتماعي سياسي حدث في فرنسا في اواخر القرن الثامن عشر فقلب النظام القديم وما ينطوي تحتهُ من خلل في ادارة البلاد وتشويش في النظام الاقتصادي السائد فيها وفقد للمساواة القانونية بين طبقات الشعب المختلفة . ولكن الثورة تقلبت على وجوه مختلفة وتداولتها ايدٍ مختلفة قبلما تمَّ لها قلب هذا النظام واقامة نظام جديد على انقاضهِ وحديث ذلك من امتع احاديث التاريخ واعلقها بالنفس ولا سيما حديث نبوليون اشهر رجل في التاريخ. وقد نجح الدكتور صبري في تقديمهِ للقراء في كتابهِ هذا فعسى ان يقبلوا عليهِ لانهُ جدير بذلك

المعارك الفاصلة في التاريخ

تأليف حنا خباز — نشرته ادارة الهلال بمصر — صفحاته ٢١٦ قطع وسط

كم من معركة اصطلت نارها بين عنصرين مختلفين من عناصر البشر او بين مدنيتين متناقضتين من مدنيات التاريخ او بين اصحاب مذهبين متعارضين من مذاهب السياسة او الاقتصاد فكان الفوز النهائي في تلك المعارك حدًّا من حدود التاريخ خُذل عندهُ عنصر وتسوَّد آخر كما في معركة متوروس او ضعفت مدنية وزهت اخرى كما في معركة ماراثون او كُبتت فكرة وانتشرت فكرة اخرى كما في معركة سراتوغا

هذه هي المعارك الفاصلة في التاريخ وقد ذكر منها المؤلف عشرين معركة اولها معركة ماراثون وآخرها المعارك النهائية في الحرب الكبرى

نذكر اننا لما درسنا التاريخ القديم ووصلنا الى معركة ماراثون التي فاز فيها اليونان على الفرس وقف الاستاذ هنيهة ليمكن في عقول تلاميذه نتائج تلك المعركة التي كان لها اثر كبير في التاريخ فذكر اهم هذه النتائج وهي اندحار الاستبداد الشرقي الممثل في نظام الحكم الفارسي امام قواعد الحكم الدمقراطي في دويلات اليونان وقال انهُ لو فاز الفرس في ماراثون لسيطر حكامهم على ابناءِ اليونان كما سيطروا على ابناء الفرس ولما كنا شهدنا في بلاد اليونان نهضة فنية فكرية لا تزال الى الآن المثال المحتذى في قواعد الفن واساليب التفكير

كذلك يقال في معركة متوروس التي اندحر فيها هسدروبال اخو هنيبال فكانت بدء فوز رومية على قرطاجنة وسيطرتها على العالم المعروف حينئذٍ. فان الاستاذ برستد المؤرخ الاميركي المشهور يقول في احد كتبهِ التاريخية ان النزاع بين رومية وقرطاجنة لم يكن نزاعاً بين مدينتين قويتين كل منهما تسعى الى السيطرة على الاخرى والانفراد بالسيادة في البلدان المجاورة للبحر الابيض المتوسط بل كان نزاعاً بين عنصرين كبيرين من البشر هما العنصر المعروف بالهندي الاوربي والعنصر الساميّ وما كانت رومية وقرطاجنة سوى مقدمتي هذين الجيشين الكبيرين المصطفين للقتال على جانبي البحر الابيض المتوسط فالفوز في معركة متوروس لم يكن فوزاً لرومية فقط بل فوزاً للعنصر الهندي الاوربي على العنصر السامي. وقد قيل ان هنيبال صاح لما رأى رأس اخيهِ هسدروبال يتدحرج امامهُ « قرطاجنة اني اشهد انخذالك »

وما يقال في معركة ماراثون ومعركة متوروس يقال ايضاً في معارك التاريخ الفاصلة كمعركة تورس وتحطيم الاسطول الاسباني ومعركتي طرف الغار وواترلو ومعركة سراتوجا في الحرب الاميركية الاهلية ومعارك الحرب الكبرى الاخيرة مع اختلاف قليل في البسط والتعليل . وقد فصَّل الاستاذ خباز كل هذا في كتابهِ الممتع فنشكر لهُ عنايتهُ بتأليفهِ ولادارة الهلال عنايتها بطبعهِ ونشرهِ

عصر المأمون

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي بك — المجلد الثاني — صفحاته ٤٣٩ قطع كبير

بين ايدينا الآن المجلد الثاني من كتاب عصر المأمون —(راجع مقتطف نوفمبر ١٩٢٧ باب التقريظ والانتقاد) وهو لا يقل عن سابقهِ في دقة البحث وحسن الترتيب وجودة الطبع . وقد اشعنا فيهِ نظرنا فألفيناهُ — كما يدل عليهِ عنوانهُ — ملحقاً للكتاب الاول والثاني من المجلد الاول ، فهو عبارة عن آثار أدبية من نثر ونظم للعصر الاموي ثم للعصر العباسي ، وقد عُني مؤلفهُ عناية خاصة بذكر جملة صالحة من آثار كاتب خاص وشاعر خاص لتمثيل عصرها فاتخذ من عبد الحميد الكاتب وعمر ابن ابي ربيعة مثالاً امويًّا . وذكر جملة من الغزل الاباحي واكثر من شعر زعيم هذا النوع عمر بن أبي ربيعة كما ذكر انواع الغزل واكثر من شعر زعيم كل نوع منها . ثم ذكر طائفة من كتاب هذا العصر وشعرائهِ والمختار من آثارهم ليكون تصويرهُ للحياة الادبية في عصر بني امية صادقاً

ثم سلك هذا السبيل في العصر العباسيّ ، اذ اتخذ الربيع محمد بن الليث وبشار بن برد مثالاً عباسيًّا . وذكر كثيرين من كتاب هذا العصر وشعرائهِ كما ذكر نبذة تاريخية لحياة كل شاعر او كاتب من الذين اورد لهم شيئاً من آثارهم الصالحة. والكتاب مطبوع طبعاً حسناً مع ضبط مفرداتهِ وشرح الغامض من كلماتهِ

وعلى الجملة فهذا المجلد مجموعة ادبية قيمة نشكر لحضرة الدكتور حسن اختيارهِ لموادها وجمال ترتيبها ودقتهُ في ضبط كلماتها وتفسير غريبها ، وعنايتهُ التامة بطبعها في مطبعة دار الكتب المصرية التي اصبحت مضرب المثل بجودة الطبع واتقانهِ

رحلة الاندلس

تأليف محمد لبيب البتنوني بك — صفحاته ١٦٠ قطع المقتطف — مزدان بالصور

ذكرنا في غير مكان من هذا الجزء ان السفر مدرسة الحياة لان الارتحال من بلد الى بلد يثقف العقل ويهذب النفس ويقيد الخيال الجامح بقيود الحقيقة الواقعة لذلك كانت كتب الرحلات من امتع الكتب واوقعها في النفس لان كاتبيها يسردون لك في اسلوب روائي شائق حوادث التاريخ وعبره ويصفون عادات الامم ونظمها ومشاهد الطبيعة والعمران بين رياض وغياض وانهار وجبال ومبانٍ وقصور ومكاتب وجوامع وكنائس مما يمثل للقارئ حقيقة الحال في البلاد التي تصدى الكتاب لوصفها . ومن هذا القبيل رحلة البتانوني بك الى الاندلس . ومجال القول في الاندلس ذا سعة لانَّ فيها آثار عمران مجيد قديم كان للعرب اكبر يدٍ في اعلاء شأنهِ وقد اجاد المؤلف في وصفهِ وتحقيقهِ فنشكر لهُ عنايتهُ بالرحلة الى بلد قلما يرحل اليهِ طلاب النزهة والفائدة مع انهُ من اجمل بلدان الله قاطبة ولهُ تاريخ مجيد يسرُّ النفس ويثقف العقل

تفسير القرآن الحكيم

الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء من اشهر علماء الاسلام الذين يعوَّل على ما يكتبون في الشريعة الاسلامية لانهُ عالم في هذا الباب متضلع منهُ ولقد اصدر الجزء الاول من تفسير القرآن الحكيم الذي فسر بهِ القرآن على انهُ هداية للبشر في كل زمان ومكان وتوسع في ايراد المأثور من التفسير عن الرسوم والسلف الصالح . وهو تفسير يناسب روح العصر كتب بلغة سهلة سلسة يسهل على العامي فهمها ويرضى عنها المتعلم ولقد ضمنهُ فضيلة السيد رشيد تفسير المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذي نقلهُ عنهُ اثناء درسهِ عليهِ في الازهر الشريف وزاد عليهِ زيادات جوهرية عظيمة الفائدة. وكان قد صدر من هذا التفسير سبعة اجزاء قبل الجزء الاول ولذلك اشتد الشوق اليهِ وهو يقع في ٥٢٠ صفحة بالقطع المتوسط وفيهِ فهرس مطول على الحروف الهجائية ليسهل على المراجع الوصول الى بغيتهِ وثمنهُ ٢٠ قرشاً ويطلب من مكتبة المنار بشارع زين العابدين رقم ٦٣ بمصر

البستان

وهو معجم لغوي

عُرف العالم اللغويّ الجليل الشيخ عبدالله البستاني اللبناني بغزارة علمهِ وسعة اطلاعهِ في فقه اللغة العربية وحفظ مفرداتها ومعرفة غريبها ، فرغب اليهِ قيمو مطبعة بيروت الاميركانية في وضع معجم لغويّ يكون عوناً لكل كاتب وأديب وهو عمل شاق مجهد لمن يتصدى لهُ جليل النفع عظيم الفائدة لمن يجدهُ ميسّراً بين يديهِ . وقد قام بهذا العمل الجليل ووضع معجمهِ اللغويّ وسماهُ (البستان) . وبين ايدينا الآن المجلد الاوّل منهُ وقد راعى في ترتيبهِ اول حرف من الكلمة كترتيب (محيط المحيط واقرب الموارد) متوخياً فيهِ ضبط الكلمة المراد تفسيرها مع الدقة في ايراد معناها بعبارة موجزة سلسة وضبط ما يجب ضبطهُ . وتسهيلاً لتناولهِ جعلت كل كلمة يراد تفسيرها في اول سطر جديد وطبعت بحرف اسود تمييزاً لها عن شرحها . وهو يقع في ١٣٨١ صفحة من الحجم الكبير مبتدئاً بباب الهمزة ومنتهياً بباب الصاد . وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جيّد بالمطبعة الاميركانية ببيروت فنحثُّ الادباء على اقتنائهِ. وقد ارجأنا التوسع في الكلام عليهِ الى حين صدور المجلد الثاني الذي يحتوي على مقدمة المؤلف والخطة التي سار عليها في تأليف معجمهِ النفيس

سيرة عمر بن عبد العزيز

وضع هذه السيرة ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم (٢١٤ هـ) رواية ابنه ابي عبد الله محمد (٢٦٨ هـ) على ما رواهُ الامام مالك بن أنس واصحابهِ وقد عني حضرة الاديب الفاضل السيد احمد عبيد صاحب المكتبة العربية بمصر ودمشق الشام بطبعها عناية فائقة فضبط الآيات القرآنية وراجع عدة اصول مما جعلها ممتازة بالاتقان وختمها بثلاثة فهارس ابجدية للاماكن والبلدان والكتب والرجال والنساء والقبائل وهي تقع في نحو مائتي صفحة بقطع المقتطف

نزهة الطرف في قراءة الكف

كتاب صغير الحجم مصور يشرح شرحاً وافياً اسرار الكف وما تدل عليهِ خطوطها وعلاماتها من حوادث المرء ماضيهِ وحاضرهِ ومستقبلهِ باسلوب سهل العبارة وهو من وضع القانوني حنا اسعد المحامي وعنيت بنشره مكتبة العرب بالفجالة بمصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) البهق

ادفو . ألا يوجد من الادوية ما هو ناجع لمرض البهاق وما هي الحكمة من انهُ يأتي في الشتاء وينعدم في الصيف ؟

ج . البَهَق في المعجم بياض رقيق في ظاهر البشرة ولعلهُ المرض المعروف علميًّا باللوكودرميا Lucodermia وهو مرض جلديّ يزيل المادة الملونة من البشرة فتعلوها بقع بيضاء وقد تتجمع هذه البقع وتتصل بعضها ببعض فيصير الجسم ابيض . وقد نشر الدكتور استقن طبيب مستشفى بور سعيد وصفاً لحادثة من هذا القبيل في مجلة اللانست الطبية . وهذا المرض مجهول السبب والعلاج

(٢) التشخيص الطبي

ومنهُ . رجل يشعر بضعف عام في كل اجزاء جسمهِ حتى ليشعر احياناً ان رأسهُ خفيف جدًّا ولا يمكن لجسمهِ ان يحملهُ والحال انهُ لا يسعل ابداً في كل ادوار هذا المرض فكيف تعللون ذلك

ج . تشخيص الامراض من اصعب فروع الطبّ ولكي يتمكن الطبيب من تشخيص مرض غير واضح الاعراض يلزم لهُ ان يفحص العليل فحصاً مدققاً ويطلع على تاريخهِ وتاريخ اسرتهِ ودقائق الاصابة حتى يستدلّ على ما يمكنهُ من تشخيص المرض تشخيصاً صحيحاً . وقد أرينا ما ذكرتموهُ من الاعراض التي يشعر بها صديقكم لطبيب فقال انهُ لا يستطيع ان يحكم على أي مرض من الامراض يصيب الرجل المذكور وعليهِ نشير عليكم ان تأخذوا في ذلك رأي طبيب قريب منكم لانهُ يستطيع حينئذٍ ان يفحص المريض فحصاً دقيقاً ليعرف علتهُ ويشير عليكم

باقضل الطرق لعلاجها

(٣) الكوليرا

ومنهُ . بماذا تسمّون المرض الذي يبتدىء بقيء واسهال شديدين ثم تسقط درجة الحرارة او يبرد جسم المريض جدًّا ثم يفارق الحياة بعد ثلاثة أيام او أربعة من الاصابة

ج . يغلب انهُ الكوليرا او تسمم ناتج عن اكل طعام فاسد مسموم

(٤) خلاصة في التدرن الرئوي

القاهرة . نرجو ان تكتبوا مقالة عن احدث علاج طبي للسل وهل يمكن ان يقوم اي طبيب مصري بهذا العلاج فان هذا الداء الوبيل اخذ يفتك بالناس وذعر منهُ العباد حتى رأينا وزارة الاوقاف تنشيء الخطب المنبرية حاثة على الوقاية منهُ . واذا لم يتيسر لكم تحرير المقال فتكرموا بالكتابة بشيء من الاسهاب على أحدث الطرق العلمية لعلاج التدرن الرئوي في باب المسائل ولكم الفضل

ج . اسباب التدرن الرئوي . السبب المباشر هو الاصابة بباشلس التدرّن اما من بصاق المرضى او من لبن البقر المصابة بالتدرن . اما الاسباب التي تعدّ الجسم للاصابة بهذه المكروبات فهي ضعف الصحة ضعفاً عاماً يسببهُ الاجهاد والبرد وعدم التعرض لاشعة الشمس في الهواء الطلق . واولاد المصابين معرّضون للاصابة بالسل لانهم يولدون وينشأون في بيئة تكثر فيها مكروبات السل فيكون تعرضهم لها اكثر من تعرض غيرهم

الوقاية . أهم وسائل الوقاية من السل هي ما يأتي : (١) عدم الاختلاط مع المصابين (٢) تطهير بصاق المصابين فيجب على كل مصاب ان يبصق في مبصقة خاصة فيها أحد المطهرات ويجب ايضاً غسل مناديل المريض وفراشهِ وملابسهِ على حدةٍ وتعقيمها حين غسلها ويجب تطهير حجرتهُ بعد وفاتهِ (٣) اغلاء اللبن او بسترتهُ قبل شربهِ (٤) تقوية الجسم بالغذاء الجيد والرياضة الكافية في الهواء الطلق والتعرض لنور الشمس وعدم التعرض للامراض المضعفة للجسم وخصوصاً النزلات الشعبية والرئوية

العلاج. لم يكشف حتى الآن علاج نوعي ناجع للسل ويعتمد الاطباء على الغذاء الجيد والهواء الطلق الجاف والتعرض لاشعة الشمس واستعمال الادوية التي تقوي الجسم بوجهٍ عام مع وصف الادوية اللازمة للمضاعفات اذا حصلت ومخففات السعال اذا ضاق بهِ المريض ذرعاً

وقد جرّب الاطباء الحقن بالتوبركلين ولكن لم تثبت لهُ فائدة عامة وقد كثرت في الآونة الاخيرة الاعلانات عن ادوية

تشفي من السلّ ولكن لم تثبت فائدة احداها ثبوتاً علميًّا وعمليًّا

(٥) اعمال النائم

الاسكندرية . من الناس من ينهض وهو نائم ويتمم بعض الاعمال التي كان يعملها قبلما نام ثم اذا استيقظ كان خالي الذهن من انهُ هو الذي اتمها وهو نائم . وقد بلغني ان رجلاً صيدلانيًّا كان يترك صيدليتهُ في المساء وآنيتها غير مغسولة وبعض ادويتها في غير اماكنها ثم يأتي في الصباح فيجد الآنية مغسولة والادوية في اماكنها وهو لا يدري مَن فعل ذلك في غيبتهِ . وسأل الحارس عن ذلك فقال لهُ انك انت تأتي ليلاً وتدخل الصيدلية وتغسل آنيتها فلم يصدقهُ . وفي ذات ليلة اتى ليلاً وفتح الصيدلية على جاري عادتهِ فاقفلها الحارس وراءهُ وتركهُ فيها الى الصباح واستيقظ حينئذٍ فصدَّق ما قالهُ لهُ الحارس . فكيف تعللون ذلك

ج . هذه الحالة تعرف بالسمنمبولزم اي المشي في النوم (من سمنوس نوم وامبولو امشي) وهي اضطراب في النوم سببهُ زيادة او نقصان في فعل مراكز التعقّل والحركة في الدماغ حينما تكون المراكز المتسلطة على الوعي مستغرقة في النوم. والظاهر ان فعل مراكز التعقل والحركة في هذا الصيدلاني يزيد او يكون منتبهاً حينما تكون المراكز العصبية المتسلطة على وعيهِ نائمة فيفعل ما يفعل وهو غير شاعر بهِ . والمصابون بهذا الداء او الخلل قد يعملون اعمالاً كثيرة يعجزون عن عملها وهم مستيقظون فيمشون على الجدران العالية ويقطعون الانهار العميقة وهم مغمضو العيون لا يبصرون شيئاً

(٦) الآثار المصرية

اسوان. المعلوم ان طائفة من انفس الجداول الاثرية واهم السجلات التاريخية محفوظ في عواصم اوربا فهل اخذتهُ الدول من مصر هبةً وهل يمكن استردادهُ لان البلاد المصرية احق بهِ

ج. ان اكثر ما وصل الى اوربا من الآثار المصرية التي من هذا القبيل ابتاعهُ الاوربيون من الفلاحين او من الذين يفتشون عن الآثار في هذا القطر . وما وصل اليها وما هو محفوظ في متاحفها والمتحف المصري قليل جدًّا بالنسبة الى ما اتلفهُ سكان هذا القطر منذ الف وخمس مائة سنة الى الآن . اما ردُّهُ الى مصر فليس في الامكان الاَّ اذا شاء اصحابهُ ان يردّوهُ كرماً منهم ولكن لا ضرر من وجودهِ في متاحف اوربا لان الاوربيين يعتنون بحفظهِ وهم الذين عرفوا قيمتهُ وكشفوا معناهُ ولولاهم لطمست آثار مصر ابد الدهر

(٧) لعثمة اللسان

اسيوط . احد معارفي متلعثم اللسان يتكلم بصعوبة شديدة ويكاد كلامهُ لا يفهم مطلقاً . وقد اشير عليهِ ان يتكلم متمهلا فهل يستفيد من ذلك وما سبب هذه اللعثمة ولماذا خصَّ البعض بها دون سواهم

ج . اللعثمة خلل في النطق وراثي او مكتسب قلما يظهر قبل السنة الرابعة او الخامسة ولكنهُ قد يظهر بعد ذلك كثيراً على اثر الحمى او غيرها من الآفات وسببهُ القريب في الحنجرة وقد تشترك الرئتان معها فيهِ وهذه الآفة تقبل الشفاء وقد تشفى من نفسها من غير علاج وتقلُّ بالتقدُّم في السن غالباً واذا عقد المصاب نيتهُ على اصلاح نطقهِ فكثيراً ما ينجح . ولا بدَّ من ان يعوّد نفسهُ على التنفُّس المنتظم واخراج الصوت من الصدر . والتمهُّل في الكلام مفيد ولا بدَّ من الاعتماد على رأي طبيب مجرَّب

(٨) قدم الورد

لبنان . هل الورد نبات قديم وهل ذكر في اشعار الجاهلية من العرب

ج . عُرف الورد من قديم الزمان وكان عند اليونان والرومان رمزاً الى الصبا والجمال وكانوا يخصونهُ بمعبوداتهم افروديتي واروس واورورا ورأيناهُ منقوشاً على مبانيهم القديمة في بعلبك وغيرها . وقد اعتنى المصريون بزرعهِ من ايام الفراعنة وخصصوهُ للمعبود هورس وكان عندهم رمزاً الى الرزانة والامانة

وهو مذكور في زهرية عنترة العبسي وزهرية مقري الوحش وكلاهما من الجاهلية قال الاول

والورد بين مبهَّج ومفوَّجٍ
ومبهرج ومرهَّج ومجلَّلِ
يزهو باحمر كالعقيق واصفرٍ
كالزعفران وابيض كالسنجلِ

وقال الثاني

والورد يحكي بالغصون مجامراً
نارٌ على ماء الحيا لم تخمدِ
وكذلك النسرين اصبح باسماً
في ثغرهِ تبرٌ برائحةٍ ندي

فذكرا انواع الورد الاحمر والاصفر والابيض دلالة على انها كانت كثيرة في حدائقهم او انهم رأوها في الشام او في العراق

(٩) التمدن في الشرق

ومنهُ . هل استفاد الشرق من التمدُّن وما الدليل على ذلك

ج . يظهر انكم تريدون بالتمدُّن اساليب التمدُّن الاوربي الحديث مثل العلوم الطبيعية والميكانيكية والمباحث الجديدة في اصل الامراض والوقاية منها والاساليب الجديدة للاعمال كالتلغراف والتلفون والسكك

الحديدية وآلات الحياكة والحدادة والنجارة وما اشبه فان كان هذا هو مرادكم فلا شك ان نوع الانسان يستفيد من اجتناء ثمرات العلم والعمل سواء كان في الشرق او في الغرب . وان كنتم تشيرون الى ما يصحب الاوربيين من إباحة السكر وبعض ضروب الخلاعة فهذه ليست من التمدُّن الاوربي ولا من لوازمهِ ولكنها شرور نامية في كل مكان وقد تكون اينع في اوربا منها في غيرها كما ان الاعشاب تجود في التربة المعدَّة للزرع الجيد اكثر مما تجود في الارض البائرة . واما اذا اردتم التمدن بمعناهُ المطلق كمقا بل للتوحش فلا شبهة في ان الشرق والغرب والشمال والجنوب تستفيد من اخذ التمدن وترك التوحش . هذا اذا لم يقع اختلاف في معنى الفائدة فاذا قال قوم ان كثرة الوفيات افيد من قلتها لانها تقلل السكان فتقل المزاحمة على المعيشة . وان ترك المرضى بلا علاج افيد من معالجتهم لان المعالجة تطيل الآجال فيزيد السكان وتزيد المزاحمة . وان انتشار العلوم والفنون يزيد مطامع الانسان فتكثر مشاغلهُ وتقل راحتهُ فيكون الجهل افيد من العلم — اذا قال قوم كذلك فلا جدال معهم لانهم يفهمون بالفائدة غير ما يفهمهُ اصحاب التمدن الاوربي

(١٠) ضرورة الملح للجسم

بيروت . هل الملح لازم للجسم وما هو المقدار اللازم منهُ

ج . الملح لازم للجسم واكثر ما يحتاج اليهِ الجسم من الملح تتناولهُ مع الطعام وخصوصاً في اللحوم التي نأكلها . اما مقدار ما يجب ان نتناولهُ من الملح العادي فيتوقف على نوع المآكل التي يأكلها الانسان عادة . فاذا كان اكثر طعامهِ من قبيل الفاكهة والمسكَّرات وجب ان يتناول مقداراً من الملح اكبر من المقدار الذي يجب ان يتناولهُ متى كان اكثر طعامهِ من قبيل اللحوم والمواد البروتينية

(١١) تقوية الدم

ومنهُ . ما هو افيد شيء لتقوية الدم وتكثيرهِ

ج . الغذاء الجيد الكافي والاقامة في مكان طيب الهواء مطلقهِ والرياضة المعتدلة واخذ بعض الادوية المقوية كمركبات الحديد وقلة الشغل العقلي

(١٢) نمو الجسم بعد البلوغ

ومنهُ . هل ينمو الجسم طولاً بعد البلوغ

ج . نعم وقد يستمرُّ نموهُ الى نحو السنة الخامسة والعشرين

باب الأخبار العلمية

مقتطف يناير ١٩٢٨

اجتمع لدينا في هذا الجزء من المقتطف طائفة مختارة من المقالات لاشهر الكتاب والعلماء في الشرق والغرب نذكر منها مقالة [لاديصن] تدور على مباحثه الجديدة في استخراج المطاط من نبات كالبرسيم صفحة ٤٠ . ومقالة [لماركوني] اشهر المشتغلين بمسائل اللاسلكية وتطبيقها تكلم فيها على احدث المباحث اللاسلكية ومستقبلها صفحة ١٢ . ومقالة [لغليوم الثاني] امبراطور المانيا سابقاً عنوانها ماذا اطالع في عزلتي صفحة ٥٦ . ومقالة [للورد اكسفرد] و [لاميل لدوغ] كارليل اوربا الجديد عنوانها اعظم عظماء العصر صفحة ٢ . وكلام [للدكتور برنس] رئيس جمعية المباحث النفسية الاميركية سابقاً موضوعهُ انتقال الافكار : وهم ام حقيقة صفحة ٥١ . ووصف لرحلة البلون نروج من رومية الى الاسكا مارًّا فوق القطب الشمالي بقلم ربانهِ [الجنرال نوبلي] صفحة ٦٧ . ووصف لتمثالٍ جديد للزهرة يضاهي تمثال زهرة ميلو للاستاذ [كارلوانتي] احد مديري البحث الاثري في قورينه بطرابلس الغرب صفحة ٧٤ . وقصة فلسفية كاملة [لفولتير] عنوانها الفيلسوف نقلها الى العربية الاستاذ اسعد خليل داغر صفحة ٤٤ . وبحث ادبي فلسفي في وجوه الاختلاف والشبه بين الرجال والنساء للدكتور [ول دورانت] مؤلف تاريخ الفلسفة نقلهُ الى العربية حنا افندي خباز صفحة ٣٥ . وخلاصة التقدم الذي اصاب فروع العلم في العام الماضي لجماعة من علماء اميركا

هذا بعض ما نقلناهُ لقراء المقتطف من مآثر العلماء والكتاب الغربيين . وقد عنينا بان لا تكون محتويات المقتطف من مآثر كتابنا في الشرق اقل من محتوياتهِ السابقة الذكر قدراً او قيمة . فيجد القارئ في هذا الجزء كلمة حكيمة للمرحوم [الدكتور صروف] عنوانها عظمة الكون وقد صدَّرنا بها مقتطف هذا الشهر ثم مقالتين عن صرُّوف اللغوي وصرُّوف الاديب الاولى للاستاذ [مصطفى صادق الرافعي] صفحة ٢٣ . والثانية للاستاذ [عباس محمود العقاد] صفحة ٣٦ . ومنها مقالة للآنسة

[مي] في موضوع يلامس كلَّ قلب ويشغل كل عقل الا وهو موضوع الامهات المصريات وما يلاقينِ بعضهن من انواع العذاب والشقاء صفحة ٦ . ومنها مقالة للاستاذ [سامي الجريديني] المحامي يصف فيها بعض رحلاته في اوربا باسلوب ادبي جديد صفحة ١٥ . ومنها مقالة عن تاريخ المجامع اللغوية في مصر الحديثة للاستاذ [توفيق حبيب] صفحة ٥٨ . ومقالة في التباين الخلقي وامراض النفس لسعادة [عثمان مرتضى باشا] صفحة ٨١ . وكلام [لحمدي يكن بك] عن نوادر بعض شعراء مصر الراحلين كالبارودي والسلاوي ومفتاح وغيرهم . ومقالة جمعنا فيها طائفة مختارة من اقوال [طلعت بك حرب] مقتطفة من مجموعة خطبهِ .وكلام للاستاذ [حسين لبيب] ناظر مدرسة النحاسين على تعليم البنات الالزامي في مصر . ومقالة عن سوق القطن بعد صدور تقريري الحكومتين المصرية والاميركية

وابواب المقتطف كعادتها تتناول شؤون المرأة وتدبير المنزل . ومسائل الزراعة والاقتصاد ووصف المطبوعات العصرية ونقدها ومسائل القراء واجوبتها واحدث الانباء العلمية والعمرانية

وقد خصَّصنا لهذا الجزء وللاجزاء التي تتلوهُ غلافاً يماثل غلاف ارقى المجلات الاوربية والاميركية وطبعناهُ باربعة الوان فعسى ان يحسن في نظر القراء . ولم ندخر وسعاً في جعل مباحث المقتطف مما يجمع بين اللذة والفائدة العلمية والعملية

العلم والعمران في العام الماضي

الطب والعلاج

اعلن نوغوشي العالم الياباني في اثناء العام الماضي انهُ كشف مكروب التراخوما وتلاهُ الدكتور سمول من اطباء مدينة فلادلفيا فاعلن انهُ كشف نوعاً من الاجسام الدقيقة تسبب الحمى الروماتزمية . ولم يؤيَّد حتى الآن احد الاكتشافين

وثبت للدكتور هويتايكر احد اطباء بوسطن ان عدم انقباض المرارة سبب في تكوين الحصى فيها وعقبهُ باحث ياباني فارتأى ان عدم وجود بعض انواع الفيتامين في الطعام يساعد على تكوين الحصى في المرارة والكليتين وغيرها من اعضاء الجسم . وقد توسع الباحثون في درس طبائع فيتامين (هـ) (E) وعلاقته بالعقم وتمثيل المواد الحديدية في الجسم . وتقدمت المباحث في فوائد الاشعة التي فوق البنفسجي وتطبيقها فقد ثبت انهُ اذا تعرضت امٌ مرضع لهذه الاشعة ظهر الفيتامين المضاد للكساح في لبنها وانهُ اذا عرّضت انواع مختلفة كبعض الحبوب

والشعير وغيرها لهذه الاشعة ظهر فيها هذا الفيتامين

وقد اكتشف بعض الباحثين ان الاكريفلافين وهو احد اصباغ قطران الفحم الحجري علاج نوعي لحمى مالطة. وصُنع مضاد للتسمم في حالات « بنت الحمرة » يقال انهُ مفيد جدًّا. ويرجح ان يصنع مضاد للتسمم من قبيلهِ لمكروب حمى النفاس ومكروب الحصبة

الظواهر الجوية

تقدم علم الظواهر الجوية تقدماً بيّناً في تطبيق المبادئ المعروفة على مطالب العمران كالانباءِ بالعواصف والفيضانات وغيرها. واجلُّ خدمة قام بها المشتغلون بهذه المباحث في السنة الماضية تنبيههم الى فيضان المسسبي قبل حدوثهِ ببضعة شهور مما ادى الى خلاص الوف الناس من الموت غرقاً. وقد صار في الامكان اذاعة نتائج المباحث الجوية بالراديو الى البواخر والطيارات فتنجو بها من عواصف ثائرة او بحارٍ هائجة او رياح شديدة الهبوب

الطيران

كان التقدم في الطيران من اظهر ظواهر العام الماضي. فقد بنت شركة بكارد الاميركية اقوى محرك هوائي بُني حتى الآن قوتهُ ١٣٠٠ حصان ويبرَّد بالهواءِ. وقد صنع نوع من المحركات في اميركا لا يزيد وزن المحرك منها على ٧٥٠ رطلاً وقوتهُ ٥٢٠ حصاناً. وبنيت محركات اخرى تستمر ٥٤ ساعة في دورانها او اكثر وكثرت الطلبات على مصانع الطيارات حتى لم يكن في امكانها ان تلبيها كلها. وفي الولايات المتحدة الآن معملان للطيارات يصنع كل معمل منها ثلاث طيارات كلَّ يوم. واكثر اجزاءِ الطيارات قد ارتقى واتقن ولا بدَّ ان نرى قريباً كلَّ محركات الطيارات تبرَّد بالهواءِ واكثر الطيارات تبنى كلها من المعدن وطيارات تجارية كبيرة تسيرها محركات كثيرة ويصير الطيران في الليل امراً عاديًّا فينام المسافر في سريركاسرة السكة الحديدية

المخاطبات والمواصلات

ان سنة ١٩٢٧ ستخلد في تاريخ العلم لانها السنة التي تحققت فيها الرؤية عن بُعْد. ولا بدَّ من انقضاءِ زمن تتقن في خلالهِ آلاتها حتى يمكن التوسع في صنعها وبيعها والربح منها

ويجب الاَّ ننسى انهُ في بدء العام الماضي في ٨ يناير فتحت المخاطبات التلفونية اللاسلكية بين لندن ونيويورك فعم التوسع في استعمالها انكلترا والولايات المتحدة وكندا ومستعمراتها النائية

الزراعة

لم يكشف في المباحث الزراعية

اكتشاف يستلفت النظر ولكن التقدم اصاب اكثر فروعها على السواء . فقد اتقنت الوسائل في تسميد التربة وثبت على ان النباتات تستفيد فائدة كبيرة اذا استطاعت ان تمتصّ اكسيد الكربون الثاني من جذورها فضلا من امتصاصه باوراقها من الهواء. وقد استحدثت انواع جديدة من الخضراوات والفواكه بالانتخاب الصناعي

هندسة البناء

اكبر الاعمال الهندسية التي تمت في سنة ١٩٢٧ كانت اكمال نفق موفات بولاية كولورادو الاميركية وطولهُ ستة اميال واكمال نفق هُلند الذي بني تحت نهر الهدصن بين نيويورك ونيوجرزي للسيارات وطولهُ ميلان. وقد تم بناء كبري مضيق كاركينز بكليفورنيا وهو قائم على قنطرتين اتساع كل منها ١١٠٠ قدم ووضعت رسوم كثير من الكباري الضخمة في الولايات المتحدة وبدئ العمل في بعضها . واكمل بناء بيت لتوليد القوة الكهربائية بالماء المنحدر من خزانات مصل شولس الاميركية والآلات التي اقيمت فيها تولد ١٩٠ الف حصان

الهندسة الكهربائية

اتقنت المستنبطات الكهربائية الآلية وتنوعت وحلَّ لحم عوارض الصلب في المباني الجديدة بواسطة نور القوس الكهربائي محل استعمال المسامير لربطها بعضها ببعض واتقنت الوسائل لنقل القوة الكهربائية باسلاك الى اكثر من ٥٠٠ ميل

التصوير الفوتغرافي

من الآراء المشهورة ان اللونين الاحمر والاصفر يظهران في الالواح الفوتغرافية قاتمين وان اللون الازرق يظهر مفتوحاً وعليهِ كان يظن ان طفلاً ازرق العينين اشقر الشعر يظهر في صورة فتوغرافية ولون شعرهِ قاتم ولون عينيهِ مفتوح. ولكن الباحثين في معامل كوداك صنعوا فلماً شديد الاحساس باللون الاحمر والاصفر فقوّضت دعائم الرأي السابق

وقد اتقنت السنما الناطقة وصنعت آلات فوتغرافية تصور من يقف امامها اذا رمى قطعة نقود في شقّ خاص فيها وتنوعت الآلات الفوتغرافية وتنوعت اغراضها فمنها ما يستعملهُ مديرو البنوك لتصوير التحاويل الكبيرة ومنها ما يستعملهُ اصحاب الدور التي تحتوي على نفائس ثمينة لتصوير السارقين

علم النفس والخلق

تقدمت المباحث في قياس الذكاء تقدماً بيّناً ووضعت لذلك مسائل دقيقة وقدّم الاستاذ سبيرمن الانكليزي ادلة على ان في النفس الانسانية قوة ذكاء

اساسية هي الاساس الذي يقوم عليها تفوق المواهب المختلفة وعليهِ فالمتفوق في ناحية من نواحي الفكر يرجح انهُ يتفوق في غيرها اذا انصرف اليها . واتسع البحث في درس الحيوانات من الوجهة النفسية ومقارنتها بالانسان

الطبيعيات

وضع الاستاذ شرويدينغر السويسري مذهباً جديداً في بناء الجوهر الفرد ملخصهُ ان الكهارب التي تدور حول البروتون ليست سوى نظام دقيق من الامواج مثل النور واشعة اكس. فاذا صح هذا المذهب وجب ان تُثبت التجارب انكسار الكهارب وانتشارها متى اصابت سطح بلورة كما تنكسر اشعة اكس وتنتشر . ويظهر ان بعض التجارب قد ايّد هذا الرأي

ويرتأي السر ارنست رذرفورد ان نواة الجوهر الفرد التي تدور حولها الكهارب في عنصر من العناصر المشعة هي بدورها نظام شمسيّ مؤلف من نواة كالشمس وحولها سيارات تدور حولها . وان هذه السيارات هي جواهر من الهليوم في حالة غير طبيعية

الجغرافية

كان الطيران من اميركا الى اوربا وما اتصل بهِ من تدوين الارصاد الجوية وكشف الطرق لانشاء الخطوط الجوية التجارية في المستقبل اكبر الاعمال الجغرافية التي تمت سنة ١٩٢٧

الفلك

كشفت اربع مذنبات جديدة ورصد كسوف الشمس الكلي الذي حدث في ٢٩ يونيو الماضي وظهر كليًّا في بلاد الانكليز . وثبت للاستاذين نيكلصن وپتي ان حرارة سطح القمر تهبط الى بضع درجات تحت درجة الهواء السائل حينما يخسف خسوفاً كليًّا . وتأيدت مباحث كوبلنتز ولمپلاند ومنزل في ان حرارة الاماكن الدافئة على سطح المريخ فوق درجة الصفر . وصُوّرت الزهرة والمريخ والمشتري وزحل صوراً بالفوتغرافيا الملوّنة فظهرت حقائق جديدة عن الجوّ الذي يحيط بكل من هذه السيارات . وانشئت تلسكوبات كبيرة في جنوب افريقيا وجامعات يايل وهارفرد ومشيغن ينتظر ان تعود على المباحث الفلكية بفوائد جمة

علم المعادن

اتقن صنع مزيج معدني من الالومنيوم صلب كالفولاذ وخفيف كالالومنيوم وهو الآن عماد صانعي الطيارات المعدنية . وصُنعت امزجة معدنية جديدة من الصلب لا يفعل بها الصدأ . وقد استعملت اشعة اكس لمعرفة بناء المعادن

الكيمياء

تقدمت المباحث الكيماوية تقدماً باهراً في صنع كثير من المركبات الهيدروكوبونية الغازية والسائلة والجامدة من المثاين والبرافين . واتسعت المباحث التي غايتها تركيب المطاط تركيباً كيماويًّا واكتشف أحد الباحثين انهُ يستطاع استحضار مستحلب من المطاط ثم طلاء الآنية بهِ بطريقة الترسيب الكهربائي. واستعمل غاز الاثيلين والبروبيلين للتخدير في العمليات الجراحية محلّ الاثير واستخدم غاز الاثيلين لانضاج الاثمار بعد جنيها فجّة . واتسعت صناعة الحرير الصناعي من خلات السلولوس

تأبين الدكتور صروف

في الارجنتين

جاءتنا جريدة الاتحاد اللبناني التي تصدر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين طافحة باخبار الاحتفال التأبيني الجليل الذي أقامتهُ الجالية السورية لتكريم ذكرى المرحوم الدكتور صروف واشتركت فيهِ جمعية الشبيبة اللبنانية والنادي السوري اللبناني وجمعية الشبيبة الحمصية وفرع بونس ايرس لجمعية الملجإِ الصحي التدرني وجمعية سيدات المستشفى السوري اللبناني وجمعية الاتحاد اللبناني وجمعية سيدات اعمال الرحمة . وتمثلت فيهِ أكبر الصحف العربية والارجنتينية وحضرهُ نخبة ابناء الجالية السورية اللبنانية فغصّ بهو النادي السوري اللبناني بكبار القوم وكانت صورة المرحوم الدكتور صروف قد أُقيمت في صدر النادي مجللة بالسواد وكان البهو عارياً عن كل زينة حداداً على الفقيد

وخطب في هذه الحفلة السيد مسعود ابي سليمان رئيس جمعية الشبيبة اللبنانية ومحرر جريدة الاتحاد اللبناني وتلاهُ الدكتور يوسف سلام فخطب بالنيابة عن النادي السوري وعقبهُ التاجر المشهور فؤاد افندي حداد وكيل المقتطف بالارجنتين فاميركو عقاد فالقى خطبة بليغة باللغة الاسبانية فنايف افندي رشيد بالنيابة عن الملجأ التدرني وقد خطب بالعربية فميشيل قزما بالاسبانية نائباً عن جمعية الشبيبة الحمصية فبطرس افندي الزغبي فألقى قصيدة عصماء كانت مسك الختام

في باريس

وجانا من حضرة النطاسي البارع الدكتور يوسف حريز نزيل باريس انهُ اقام في دارهِ حفلة بسيطة لتكريم ذكرى الدكتور صروف حضرها لفيف من سيدات وسادة سوريين يقدرون الفقيد حق قدرهِ وخطب فيهم الدكتور حريز خطبة وانشد قصيدة حبّذا لو اتسع المجال

لنشرها . والى القارىء فقرة من الخطبة قال :

« نقل العرب عن اليونان في القرنين التاسع والعاشر معظم ما وصلت اليهِ ايديهم من معارف القوم ولم تكن هذه المعارف والعلوم سوى خلاصة ما اتَّصل بالاغريق من معارف الشرق دانيهِ وقاصيهِ ودام هذا النقل منذ اوائل الدولة الاموية واشتدَّ ساعدهُ في صدر الدولة العباسية حتى اخنى على بغداد ما اخنى على لبد

«وجاءَت اوربا فنقلت عن العرب في القرن الثاني عشر على الاخص وكانت خلاصة هذا النقل عمدة ما يدرس في جامعاتها الكبرى حتى ان الرئيس ابن سينا —وترون رسمهُ في بهو هذه العيادة بقلم جبران خليل جبران — ترجم الى لغات اوربا خمساً وثلاثين مرة ودُرِّس عدة قرون دون انقطاع كما اثبت ذلك في اطروحتي الطبية وموضوعها « اثر الطب العربي في تطور الطب الافرنسي »

«واقبل ما يُدعى بالنهضة الجديدة في اوربا فكان المقتطف صلة غير منقطعة منذ اكثر من نصف قرن بين علوم الغرب واميركا وبين العالم العربي

«فاذا كان حنين بن اسحاق في مقدمة مترجمي الكتب اليونانية الى العربية في الجيل التاسع ببغداد وكان جيرار الكرماني صنوهُ في نقل معارف العرب الى اللاتينية في القرن الثاني عشر في طليطلة فان الدكتور يعقوب صروف كان في طليعة من عرَّب وترجم العلوم الحديثة من لغات اوربا في اواخر القرن التاسع عشر وفي صدر القرن العشرين وكذا فعل أندادهُ الاطباء زلزل وشبلي وشميل وامين أبو خاطر وسواهم

«هو في عداد الافذاذ القلائل الذين اهتموا بنشر المعارف في الشرق فاذا كنا نكرمهُ ونخلد ذكرهُ فتكريم أصحاب الجدّ واجب والاعتراف بجميل أصحاب الاعمال فرض مقدس

«ولما كان اجتماع صروف بابن سينا وبالشيخ ابراهيم اليازجي لا مندوحة عنهُ في عالم الارواح رأيت ان اترك للراحل الكريم دقيقة يُلقي في غضونها خطبة خرساء بحضور ابن سينا »

(وهنا فُتحت عارضتا حاجزٍ كانتا مضمومتين فظهر آخر رسم للدكتور صروف في المقتطف وقد كبرتهُ ريشة رسام باريسي ماهر والقى الرسم خطبتهُ الخرساء مدة دقيقة)

وقد بعثنا بالخطب التي جاءَتنا من الارجنتين وبخطبة الدكتور حريز وقصيدتهِ الى لجنة التأبين مكررين شكرنا لجميع الذين عنوا بتكريم ذكرى فقيدنا الكريم آملين

ان يكون تكريمهم باعثاً لشبان الشرق على العناية بالعلم ونشره بين الناس هدى لهم

بيت داروِن مزار وطني

اشار السر ارثر كيث في خطبة الرآسة التي القاها في مجمع تقدم العلوم البريطاني الى وجوب جمع مبلغ من المال لشراء بيت داروِن بدوْن في مقاطعة كنت والعناية بحفظهِ. فلما اطلع الدكتورجورج بكستون برون على كلام السر ارثر ابرق اليهِ يعرض على مجمع تقدم العلوم ان يشتري هذه الدار بمالهِ ويجعلها ملكاً للامة الانكليزية ويعهد الى مجلس الادارة بمجمع تقدم العلوم البريطاني في حفظها لتكون مزاراً لابناء الانكليز . وقد بلغت قيمة هذه الهبة نحو ١٥ الف جنيه يدفع جانب منها لشراء الدار ويوقف الجانب الاخر عليها فينفق من ريعهِ على حفظها . وقد ارتأى السر ارثر ان يخصَّص جانب من هذا الريع لجائزة علمية توهب مرة كل سنتين لاحدالباحثين المتفوقين في العلوم البيولوجية

الاب لويس شيخو

فُجِع العالم العربي في ٧ دسمبر الماضي بوفاة علَم من اعلامهِ الاب لويس شيخو اليسوعي عن ٦٨ سنة قضى معظمها في خدمة العلم والادب والبحث في خزائن العرب عن المخطوطات النفيسة وتمحيصها ونشرها والتعليق عليها . فان في الكتب الكثيرة التي عني بتأليفها او جمعها وطبعها ومقالاتهِ الممتعة التي نشرها في مجلتهِ المشرق المفيدة من دلائل البحث والتحقيق وآثار العناء الشديد ما يبقي لهُ اطيب ذكر بين الكتاب الذين خدموا العربية وابناءها ويجعل وفاتهُ خسارةعامة على العالم العربي

ومن اشهر كتبهِ التي الفها او جمعها وطبعها مجاني الادب في ١٠ اجزاء. الاداب العربية في عهد الجاهلية . تاريخ شعراء النصرانية وآدابهم في عهد الجاهلية . الآداب العربية في القرن التاسع عشر. تاريخ بيروت وآثارها . علم الادب في ٤ اجزاء . عدا ٢٥ مجلداً من المشرق عني بكتابة اكثر مقالاتها

بعض مشهوري الانكليز

نشرنا امام الصفحة الثانية من هذا الجزء صفحة تحتوي على صور ١٥ رجلاً من مشهوري الانكليز ومنهم العالم اينشتين ولم يتسع لدينا المجال لكتابة اسمائهم هناك فنذكرها اتماماً للفائدة . وهم من اليمين الى اليسار

الصف الاول : ونستن تشرشل . لورد بركنهد . «الدين» انج . الصف

الثاني : توماس هاردي . رديرد كبلنغ . السر جيمس بري . الصف الثالث. الاستاذ ادنجتون اللورد بلفور . العالم اينشتين . الصف الرابع . السر جيمس فريزر . اللورد هلداين . هربرت ج . ولز . الصف الخامس . لويد جورج . روبرت بردجز برنارد شو

هبات علمية

عرض المستر ركفلر الابن على حكومة فلسطين ان يهبها ٤٠٠ الف جنيه لتشييد متحف في القدس اذا كانت الحكومة تقدم الارض التي يشيّد عليها . ومن الشروط التي يشترطها ان يكون المتحف للآثار فقط (الاركيولوجيا). ويقال ان الحكومة قبلت هبتهُ وشروطهُ وينتظر ان تشتري ارضاً في كرم الشيخ قرب بوابة هيرودس خارج سور المدينة الى الشرق منها . وبعد بناء المتحف يبقى من الهبة ما يكفي ريعهُ للانفاق على حفظ المتحف والعناية بهِ

ومنح وقف المستر ركفلر ايضاً مليون ريال اميركي لجامعة بيروت الاميركية لتنفق على اعمال التعليم والتهذيب

كوكب ومذنب جديدان

كشف الاستاذ شواسمن والدكتور وخمن من المتصلين بمرصد برنجدورف بالدنمارك كوكباً جديداً في الساعة الحادية عشرة من مساء ١٨ نوفمبر الماضي . والكوكب في برج الثور على مقربة من صورة الجبار تسع درجات الى الشرق من الدبران وهو من القدر العاشر

واكتشفا ايضاً مذنباً جديداً في ١٥ نوفمبر من القدر الرابع عشر

الاخبار العلمية

ضاق نطاق هذا الجزء من المقتطف عن ان يسع كل الاخبار العلمية التي اقتطفناها من اشهر المجلات الاوربية والاميركية لاننا نشرنا فيهِ مقالة « العلم والعمران في العام الماضي » وهي خلاصة طيبة لتقدم فروع العلم باقلام نخبة من علماء اميركا . فوعدنا بسائر الاخبار الى الجزء القادم ان شاء الله

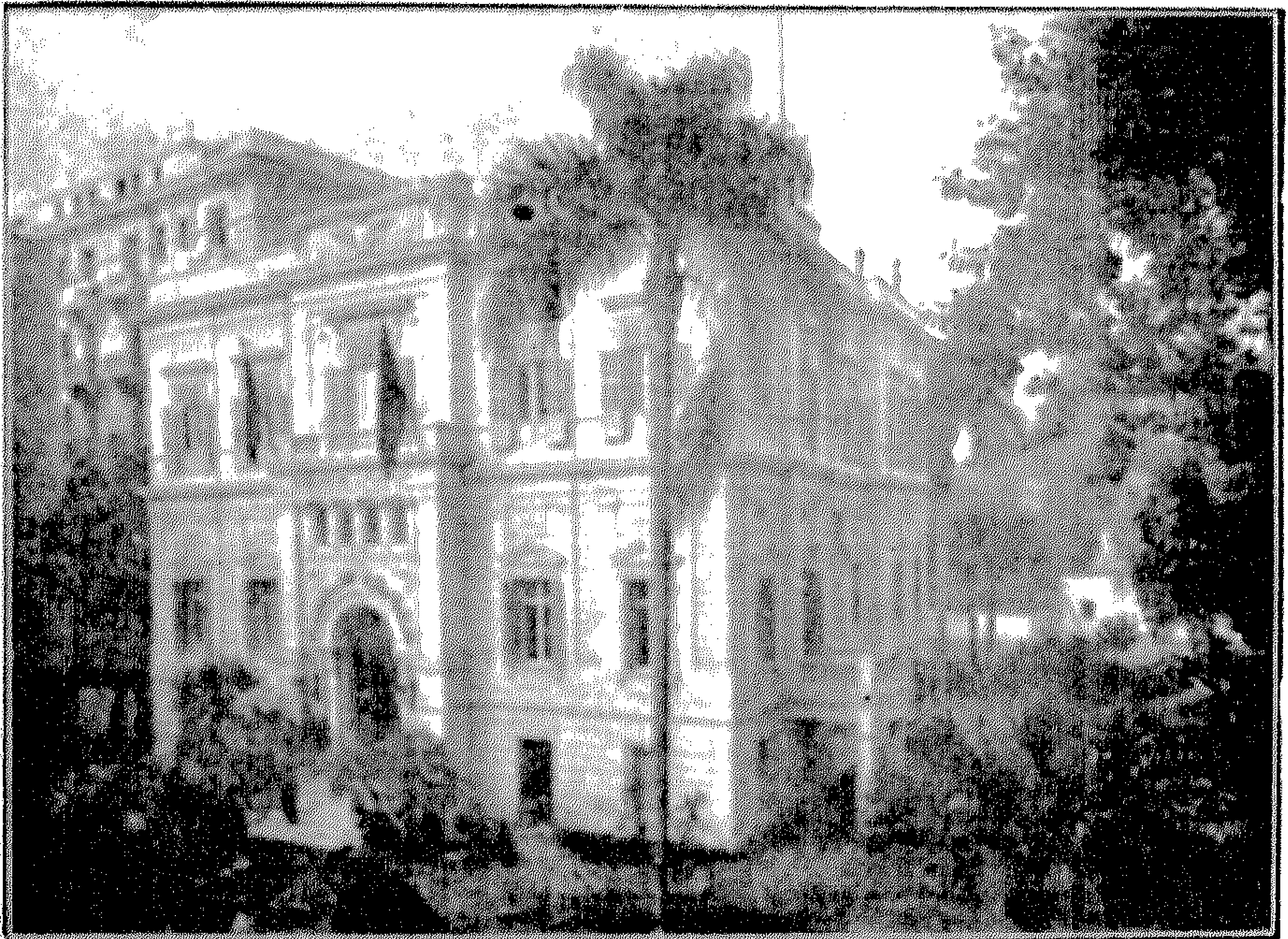
صورة الغلاف

ترمز الصورة التي طبعناها على غلاف هذا العدد الى الانسان يتأمل كواكب السماء متسائلاً عن وجود الاحياء فيها . والجرم الكبير الذي امامهُ هو المريخ اقرب السيَّارات الينا ويرى بعض العلماء انهُ مأهول . وقد فُصّلت اراؤهم في « بسائط علم الفلك » حين الكلام على المريخ

الجزء الاول من المجلد الثاني والسبعين

صفحة

صورة « وراء الاهرام » للمسيو جون رالف ابتاعتها وزارة المعارف العمومية



سراي جمعية محبي الفنون الجميلة التي اقيم فيها معرض ١٩٢٨

مقتطف فبراير ١٩٢٨ — انظر صفحة ١٨٧

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني والسبعين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨ — الموافق ٩ شعبان سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

سر الوجود

ما هي الحياة ? اين كان الاحياء قبلما وُلدوا والى اين يمضون بعد ما يموتون ? وما هي الحكمة في هذا الخلق ? لماذا يولد مائة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ? ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الاَّ اثنان من اولادها اشدهما وتثمر الشجرة الوفاً من الأثمار قبلما يتفق لاحدى بذورها ان تنبت وتخلف نسلاً ? وعلى مَ تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان ? يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كلَّ حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام . يقول لك انَّ قوى الطبيعة ومكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحلها وتركبها وتجعلها غذاءً للنبات فينمو بها ويصير غذاءً للحيوان . وكلما سقطت ورقة اقبلت عليها المكروبات فحللتها واعادتها الى التراب غذاء لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلَّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاءً للنبات . . . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر حسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الاصلح للبقاء . والانسان غير مستثنى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيرهِ . يولد معرَّضاً للآفات الطبيعية فتغلب عليهِ او يغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً . وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ . وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزءٌ من اجزاء الرقي . هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين فهل كشفت الغطاء عن سر الوجود وازاحت الستار عن معنى الحياة ?

آلات كالاحياء

غرائب المستنبطات الحديثة

تأخذنا الدهشة وتستولي علينا الحيرة حين نقف امام آلة من آلات الطباعة الحديثة وقد وضعت لفة من الورق كالبرميل على كل من جانبيها ، فتدار الآلة بالكهربائية ، فينفكّ الورق من نفسهِ ويجري بين اساطين الآلة صاعداً نازلاً جارياً ملتفاً وتنهال الصحف من الآلة كالماء الجاري مطبوعة مقصوصة مطوية عشرين الفاً اوثلاثين في الساعة. ولا يشعر المرءُ بحركة المطبعة الا من صوتها لان دوران اساطينها اسرع من ان تتبينهُ العين . مع ذلك نحسب آلة من هذا القبيل امراً عاديًّا لاننا الفناها واعتدنا القراءة عنها ورؤية صورها وصور امثالها من الآلات التي تغزل او تنسج او تصهر او تسبك او تنقل او ترفع او تقطع ، فكأنها كلها احياء عاقلة تماثل الاحياء العاقلة ذكاءً وارادة وتفوقهم قوة ومضاءً ودقة في اعمالها

كل هذا والآلة المذكورة وماهومن قبيلها لا تعمل عملاً يحتاج الى التعقل والاختيار. فما قول القارىء بآلة تستطيع ربة البيت ان تديرها بالتلفون فتأمرها ان تطفىء النار تحت قدر الطعام فتفعل او آلة اخرى تحسب حسابات رياضية معقدة في خمس دقائق اذا حاول رياضي بارع حسابها استغرقت اسبوعاً من وقتهِ او اكثر . اوآلة اخرى صنعت في شكل الحنجرة تنفخ بها الهواء بمنفاخ فتنطلق منها الفاظ الاحرف المختلفة وما يتركب منها .حقاً ان الانسان ابدع في السيطرة على عناصرالطبيعة والنفوذ الى مكامن اسرارها بل هو في صنع هذه الآلات الدقيقة العاقلة تقريباً مبدع ايّ مبدع ، لايجاريهِ في ابداعهِ الا الكيماويّ الذي سلب الطبيعة اسرار التركيب والخلق وجاراها في صنع المواد الآلية ولا بدَّ يوماً من ان ينتزع منها سرَّ الحياة كما ترى في مقال آخر في هذا الجزء ، فيحرز الفوز الذي يدنيهِ من عروش الآلهة

وقد اطلعنا في مجلة العلم العام الاميركية على اوصاف آلتين من هذا القبيل فاقتطفنا منها ما يلي :

التلفكسُ Televox

المستنبط رجل اميركي من مهندسي شركة وستنهوس الكهربائية يدعى ونزلي .

والاستنباط الذي اطلق عليهِ اسم التلفكس عبارة عن آلة لاسلكية للاستقبال اكثر تعقيداً من الآلات العادية تحتوي في داخلها على محطات كهربائية صغيرة كلٌّ منها تتأثر بصوت يختلف طول امواجهِ وقوتها عن الصوت الذي تتأثر بهِ المحطة الاخرى . فاذا تأثرت احدى هذه المحطات بالصوت الذي يلائمها فعلت فعلاً خاصًّا أُعدت لهُ من تلقاءِ نفسها كأنْ تقفل المفتاح الكهربائي الذي يحمي الوجاق الذي يطبخ عليهِ الطعام

وهذه الآلة ليست متصلة بالتلفون بل صنعت لها يد كهربائية واذن كهربائية من قبيل سماعة تلفون شديدة الاحساس بالاصوات المختلفة . فاذا قرع جرس التلفون ارتفعت اليد الكهربائية الى سماعتهِ وقربتها من اذن الآلة فتصغي الى الاصوات التي تحدث فيها . فاذا كانت امواج الاصوات من طول معيَّن وقوة معينة تأثرت بها احدى المحطات الكهربائية الصغيرة التي في داخلها وفعلت الفعل الذي أُعدت لهُ . ومع ان الآلة اعدت حتى تتأثر بالصوت البشري اذا اختلفت قوتهُ ، فلسهولة ادارتها صنعت لها اربع اشارات صوتية مختلفة

ولبيان عمل هذه الآلة افرض ان زوجتك في بيت صديقة لها وان في بيتك آلة من هذا القبيل . فتطلب زوجتك نمرة التلفون الذي في بيتك وحالما يقرع الجرس فيهِ ترفع يد التلفكس الكهربائية سماعة التلفون فتحدث في رفعها صوتاً خاصًّا يدل زوجتك على انها متصلة بدارها . عندئذٍ تُحدث الزوجة بآلة خاصة اشارة صوتية خاصة من قوة معينة كأن معناها « هالو . استعد للعمل » فتجيبها الآلة بصوت آخر مؤداهُ « اني مستعد — ماذا تأمرين » . فتحدث حينئذٍ اشارة صوتية مؤلفة من صوتين كأنهما اشارتا تلغراف يفهم منهما التلفكس « افتح الزرّ الكهربائي الذي يشعل النار تحت قدر الطعام حتى يكون الطعام جاهزاً للعشاء » فيفعل ويجيبها باشارة مؤداها انهُ فعل . وهكذا تستطيع زوجتك ان تأمر هذه الآلة بسلسلة من الاشارات الصوتية فتفعل ما هي معدة لهُ من الافعال الكهربائية وبذلك تستغني عن الخادم في البيت يقوم بهذه الاعمال في اثناء غيابها

وقد صُنعت ثلاثة آلات من هذا القبيل لدائرة من دوائر الحكومة في وشنطن وأُقيمت حرَّاساً في احواض الماءِ التي توزع منها المياهُ على المدينة . فيستطيع القائم على ادارة هذه الاحواض ان يعرف مستوى الماءِ فيها معرفة دقيقة بمخاطبة الآلات المذكورة على الاسلوب المتقدم

الانتغراف Integraph

مستنبط هذه الآلة الغريبة الدكتور ڤانيڤر بُش استاذ علم نقل القوة الكهربائية في معهد مستشوستس الصناعي بمدينة بوسطن وقد عاونهُ فيهِ نفر من مساعديهِ

وصفها المستنبط بقولهِ: « هي آلة لجمع الارقام بلغت الغاية القصوى في صنعها» فان الآلات العادية التي من هذا القبيل تتناول الارقام والكميات الرياضية المحدودة ولكن هذه الآلة تتناول الكميات الرياضية غير المحدودة التي يطلق عليها اسم « المتغيرات » variables وقيمة هذا التغير تختلف باختلاف غيرها من المتغيرات التي تتصل بها وتعتمد عليها . فانك مثلاً اذا نقلت سلَّماً من الخشب ملقيًّا على جدار من الجدران تغيرت المسافة بين رأس السلم وسطح الارض والمسافة بين اسفل السلم والجدار وكلتا القيمتين متغيرتان وتغير الواحدة رهن تغير الاخرى . وقد كان هم الرياضيين ان يبتكروا طرقاً رياضية للتوحيد بين هذه الكمّيات المتغيرة ومن هنا نشأ حساب التمام والتفاضل . فقد يطلب الى مهندس مثلاً ان يحسب معدل الارتفاع او الانخفاض في مستوى نهر من الانهر فيبتدئ اولاً بمسح الروافد ودرجة انحدار الارض التي تجري فيها ومقدار المطر الذي يقع في الاراضي التي تخترقها وغير ذلك من الاحوال المتغيرة التي لا بدَّ من معرفتها ثم يوحّد بينها ويستخرج منها نتيجة واحدة . وبعض هذه المسائل الهندسية شديدة التعقيد لا يستطيع المهندس ان يحلّها في اقلّ من شهر وقد يتعذر حلها عليهِ بالطرق الرياضية المعروفة

ومن الغريب ان عقل «الانتغراف» الكهربائي ليس اكثر ولا اقل من مقياس او «متر» كهربائي كالمقياس الذي يقيس مقدار ما يُستعمل من القوة الكهربائية لانارة دارك يأخذ الرياضي المعادلات الرياضية المختلفة التي ترمز الى الحقائق المختلفة التي يُطلب توحيدها ليستخرج منها نتيجة واحدة يرمي اليها فيضع رسماً بيانيًّا لكل منها ويدخل كلاً من هذه الرسوم في مكان خاص من الآلة الواحد بعد الآخر . فتمر ابر خاصة في الآلة على الخطوط المنحنية التي على الرسوم فتختلف القوة الكهربائية في الآلة قوة وضعفاً باختلاف المنحنيات التي تمرُّ عليها ابرها . فيكون مقدار القوة التي يدوّنها المقياس الكهربائي لمجموع هذه الرسوم هو العدد الموحّد للكميات المختلفة والجواب المطلوب للمسألة المعقدة . والمقياس متصل بمحرك يحرك قلماً فبدلاً من ان يعطيك نتيجة المسألة ارقاماً يرسمها لك رسماً بيانيًّا وهو ما يطلبهُ المهندس في الغالب

المجرم القديم

تعليل آخر لجريمته

الفجيعة العظمى في الحياة هي النضال مع قوى لا يستطيع الانسان ان يسيطر عليها فيرى نفسه مع الحياة في جلاد عنيف هي تدفعه في غماره وهي هي التي تنزع منه ثمرات الفوز المبين . تثير في صدره نزعة شديدة الى الابداع والابتكار او ميلا قوياً الى السيادة والسلطان او توقاً غلاباً الى التنعم في ظل الحب فيقف قواه على تحقيق مطالبها العليا . وحين يشعر ان غصن النصر يكاد يلتوي بين يديه تديله من غضبها وجورها ضربة اثر ضربة . فاما ان تظهر عجزه عن الابداع او تقوض صرح المجد الذي بنته له في موج من المنايا على اركانٍ من الاسل او تقلب له نعيم الحب جحيما يتقلب فيه على نيران الغيرة اللاذعة او الشرف المسلوب. وفي المقال التالي وصف بليغ لفجيعة رجل من اعلام التاريخ رنا الى الخلود عن طريق الابداع الفني فلما تبين له عجزه لجأ الى الحب فصدف عنه حبيبه فاراد ان ينتقم من الحياة وابنائها فجعل هيكل افسس المشهورطعمة لنيران لا تبقي على عجائب الفن ولا تذر

من الأوليات التي نحفظها عن ظهر قلب منذ حداثتنا ان عجائب الدنيا القديمة سبع : (١) أهرام مصر . (٢) حدائق بابل المعلقة . (٣) تمثال جوبتر الأولمبي . (٤)منارة الاسكندرية . (٥) تمثال رودس .(٦) هيكل ارتميس في أفسس. (٧) مدفن الملك موزل

وإذا استثنينا أهرام مصر ، شعار هذا الوادي الخالد ، فان أيدي الحدثان قد عملتْ في تلك العجائب القديمة فلم يبقَ من شهرتها الذائعة إلاّ الأخربة الدارسة . وقلَّما تفرَّغنا لبحث الاسباب الطبيعية أو الزمنية التي أودتْ بكلّ من هاتيك العجائب. على أنَّ لاحداها — هيكل افسس — شهرةً مزدوجة بأن تاريخ دماره غير خافٍ عنا . ومفادهُ ان ذلك الهيكل المشاد لعبادة الالهة ارتميس المعروفة باسم ديانا ، أحرقهُ مجنونٌ يُدعى ايرستراتس ، شاء ان يكون كبعض الغزاةِ الفاتحين الذين يخلّدون أسماءهم بما يهدمون من أثرٍ عظيم . وقد جاء بفعلته الشنعاء سنة ٣٦٥ قبل الميلاد في نفس الليلة التي وُلد فيها اسكندر المكدوني . وكان من حنق أهالي افسس انهم أصدروا أمراً يحرم التلفُّظ باسمه أو الالماع إلى ذكرهِ ، على أن يكون الاعدامُ جزاء

مخالفة هذا الامر . وكذلك استُعمل اسم ايستراتس فيما بعد في جميع اللغات للدلالة على الخامل الاحمق الذي يأتي الأمر المنكر للحصول على شهرة ولو شائنة

***

بيد ان الشعراء أحياناً يرحمون . فتحركت الشفقةُ في قلب الشاعر الالماني رينر وأنشأ حول هذه الحقبة التاريخية رواية تمثيلية كان ايستراتس بطلها التعس المقهور

في ذلك العهد ، أي حوالي منتصف القرن الرابع قبل المسيح ، كانت بلادُ الاغريق في اوج الخطر والعظمة . بل كأنما هي بما انتهت اليهِ خلقت حاسّة العظمة نفسَها التي تجيشُ الآن في صدورنا كلّما ذُكرت إغريقيا وتاريخها المجيد . فاذا كان هذا مبلغ العظمة فينا بعد كرّ العصور ، فكيف بهِ في نفوس الاغريق وهم « يحيون » عظمتهم ويخلقونها يوماً بعد يوم في ترنح الكبرياء وشهوة المنافسة والتفوّق ؟

يذكر التاريخ في هذا الباب ، ان القائد تمستوكليس قضى ليلتهُ ساهراً معذّباً إذ بلغهُ انّ زميلهُ القائد الاثيني ملتيادس تغلّب على الفرس وعاد منهم بالغنائم والسلائب ، فقال كلمتهُ المأثورة : « إنّ الغار الذي تكلّل بهِ ملتيادس يقصي النوم عني ! » . وفي هذه الكلمة بعض الدلالة على ما كان في القوم من حبّ المنافسة والتفوّق بعضهم على بعض

كلُّ مظهر عظيم من قدرة الشعب كان يخلّد في قصيدةٍ رائعة ويسجّل في تحفةٍ فنيّة ممتازة . وبهذهِ الوسيلة تعلّم الرجالُ كيف ينقلبون أبطالاً ، وشاء الابطال أن يصيروا آلهة . والبلاد فوق جمال موقعها وصفاءِ سمائها ، تضيءُ بنورٍ أسنى من نور شمسها وأنقى . ألا وهو نور الحياة الجديدة والجمال الفتّان الذي خُلق حديثاً على يدِ الاغريق . وأثينا بين الاقطار الاغريقية مركزُ المجدِ وقمّةُ الخلودِ ، لأنها هي التي جاءت بالعبقرية ، والبرثنون ، والديمقراطية ، والحكمة . وعلى كرسيها الديمقراطي يحكم رجل سعيد مجيد ، هو بريكليس

ومن ضفة البحر المقابلة ينهض في أفسس رجلٌ آخر ، هو ايستراتس ، ليمثل الشقاء حيال السعادة ، والخيبة ازاء الانتصار

***

بدلاً من ان يرى الشاعرُ الالماني في ذلك المجرم مجنوناً أخرق ، شاء ان يخلق منهُ

المظهر الآخر من العظمة المخذولة ، فيأتي بشخص تاريخي خالد في مذلته وانحداره يقدم لكل منا ولو لمحة سريعة من شخصيته في احوال خاصة . إذ من ذا الذي لم يذق مرارة الخيبة وعقم الجهود ، ولو مرة واحدة في حياته ؟ قرأ الشاعر في ذلك الشقاء السحيق فاخرج منه لباب الحياة . وما مقدرة الفنان إلا في كونه يرى من جوانب النفس وسرائر الضمير ما لا يلمحه الآخرون ، فيعمد إلى وسائله الخاصة ليرينا تلك الخفايا بعينه ويحملنا على اكتناهها بادراكه واستعداده. فينال منا موافقة سريعة مقرونة بشيء من الدهشة . ولئن سهل ذلك في الحوادث القديمة اكثر منه في الحوادث الجديدة الشائعة ، فذلك لا ينفي ان الفن واحد وسحره متشابه في القديم والجديد على السواء

فايرستراتس في هذه الرواية ذو مزاج فني قوي صادق في شذوذه وتلهفه وتوجعه ، حري بالاهتمام والرحمة لانه جبار بانفعاله وطمعه ، قزم بعمله وانتاجه . يطمع في نحت التماثيل الرائعة وإبداع آيات الجمال . فلا يفلح في ان يكون اكثر من عامل ضئيل يصنع النصب السخيفة المعنى والتماثيل الصغيرة للاوثان والمعبودات .فكيف يحتمل هذه الضعة وهذا العجز ، وهو عائش في ظل هيكل أرتميس العظيم ؟

شاد بايونيوس تلك المعجزة المرمرية تجاه البحر في مدينة أفسس فكان ذلك الهيكل موضع الاعجاب والحسد من العالم الاغريقي و« البربري » جميعاً . فالاعاجم كالاثينيين والاسبارطيين يقصدون اليه ، ووفود الحجاج تتهافت عليه من كل صوب للعبادة الدينية والحاسة الفنية معاً. أما هو ، ايرستراتس ، فيزداد شعوراً بعقمه وقحطه إذ يجلس في ظل تلك الجدران المحدثة عن خلود العبقرية ، ويحدج في الافاريز الشاهقة مفكراً بان الفنان القديم وضع من هذه الرؤيا الفخمة الحجر الاخير في صرح مجده

حول الهيكل تنبض الحياة الغنية المتنوعة . هو ذا اليوم المعين لتكريم ارتميس . فالشعب يهتف رافعاً التوسلات وفروض العبادة إلى الالهة . والسفن تفرغ في المرفأ المحصحص هناك وفود العابدين والقادمين من سراقشطه.والمواكب المؤلفة من الكهان ورؤوس الاغريق والشبان والشابات تخرج من الهيكل في عزيف وترنيم ، وكأن فيها يتمثل العالم الاغريقي بدينه الجزل السعيد وعبادته للجمال المحسوس . وفي هذا المرح

العام ، ايرستراتس وحده شقيٌّ مفجوع . وإذا بوالدته الكفيفة التي يحبّها تخرج من منزلها الحقير وتأتي اليه لتؤاسيه وتطيب خاطره . فيجيبها في حرقة وانتحاب :

— « لقد قدتني صغيراً إلى هنا أمام الهيكل وقلت لي باكية : « ألا فليتملكك يا بني ، حبُّ الشهرة الطائرة لتكون خليقاً بابيك الذي هرق دمه في سبيل المجد والعظمة ! ألا فلتقدك شهوة الشهرة الذائعة ، يا بنيَّ ! » . إذ ذاك طويت ركبتيَّ أمام مذبح أرتميس ، وهمست شفتاي الغضّتان بصلاةٍ حارَّة فقلت : أنيليني الشهرة ، ايتها الالهة العظيمة ! »

عادت والدته إلى المنزل الحقير متعثّرة في حزنها وخيبتها . فخرج عليه حين ذاك ايجيزيا تاجر تماثيل ارتميس ينتهره ويدعوه إلى العمل الذليل المملول . فلم يسمعه ايرستراتس . ولا هو سمع صوت الفتاة الايونية التي تهواه ، كليسيا سليلة بايونيوس الجميلة ، مع انه كان يبادلها الحبَّ . غير انَّ شهوة المجد الجائعة في نفسه جعلته قاسياً شرساً ، واوصدت قلبه دون كلّ عاطفةٍ رقيقة حلوة . في حين كليسيا لا تعرف من الحياة إلاَّ الحب ومسالكه ، وحاجتها الى المرح والهناء لا تدرك معنى الغم والجهاد . فهي الشباب كل الشباب الذي يتوق الى التمتّع بعيده العابر السريع الزوال . فتخاطبه قائلة :

— « سماعاً يا ايرستراتس ! إنما نحن آثمون إذا استسلمنا للكدر والاسف في هذا النور الصافي . هيّا نغنم اللذات في هذا النسيم العليل وهذه الضحوة الفاترة ! ولا نطمعنَّ حتى ولا بابدال حظنا بحظ باني الهيكل نفسه : لانه هو قضى ومضى ، أما نحن فمن ابناء الحياة ! »

— « كلاَّ ، كلاَّ ، يجيب ايرستراتس ، لسنا من ابناء الحياة ولا نحن باحياء لاننا لم نتفوَّق على احد . الحياة فوز وانتصار وإلاَّ فموت امرّ من الموت . أبناء الحياة هم فيدياس النحات المثّال وهيروس الشاعر وسائر افذاذ العبقرية . اولئك يظلون احياء يرتعون في شباب إلهي وجمال لايذبل حتى يوم تدرس آثارهم وتذرُّ الرياح الاربع ثراهم . اما نحن فكأننا لم نولد ، ويا ليتنا ما ولدنا ! »

ايرستراتس الشقي يدرك شأن الرسالة من العظماء الى بني الانسان ، يدرك شأنها الخطير في حياتهم ولاسيا بعد مماتهم . هم الذين نظموا في خيالهم عالماً كاملياً جميلاً ثم حققوه بفنونهم واعمالهم — فلاسفة كانوا ، أم ساسة ، ام قواداً ، ام فنانين أم شعراء ،

فصارت الصور التي اوجدوها في عالم المحسوس جزءًا نفيساً من الثروة العامة. بل لولا ما جاء بهِ إبداعهم لمرّت الاجيالُ والاحقابُ والدنيا اقل غنىً ورفعةً وجمالاً، ولتوالت الشعوبُ وليس بينها وبين الانعام كبير فرقٍ. تلك هي الرسالة التي تطبع العظماء بطابع المجد ويظهر ان كلّ الغاية مما تكنّهُ الازمنة وتبديهِ الامكنة ان يكون غذاءً لمجدهم ووسيلة لتشعُّع عبقريتهم ... وهذه فجيعة ايرستراتس: لانهُ مع ادراكهِ ذاك لا يستطيع ان يكون «عظيماً»! عقلهُ ومخيلتهُ وعواطفهُ تصخب بعناصر الابداع فلا تأتي يدهُ بغير الفنّ المشوّه الزريّ ...

***

ولكن ها هي ذي فرصةٌ سانحة! إذ ان مدينة أفسس عزمت على استبدال تمثال ارتميس الخشبيّ المحطم بآخر من المرمر تزين بهِ صرح الهيكل، وعهدت بهذه المهمة إلى ايرستراتس صانع التماثيل الوضيعة. وانما اختارتهُ لذلك لانهُ من أبناءِ أفسس ولانهُ ألف صنع تماثيل الآلهة

رعدةُ الفنّ والابتكار تنتابُ ايرستراتس: مباركةٌ أنتِ يا أرتميس، فقد أصغيت إلى توسُّل الطفل الذي عاش عند اعتابكِ! وقد آن الاوان ليعرفهُ الناس خلاَّقاً!

فاحتبس في مخدعهِ مبالغاً في تجريد نفسهِ من المسرات، معرضاً عن كليسيا وعن أحاديث الغرام، ساهراً ليلةً بعد ليلة في التخيُّل والقياس والجهاد والعناء. يحاول ويجرّب وينحت ويبني ويهدم، ثم يبني من جديد ولكنهُ لا يجني غير الفشل. في خاطرهِ تتجسَّم الصورة وتعظم الهيئة، ولكن هيهات لليد ان تطيع العقل المبدع...

وعلى ذلك تنصرمُ الليالي وتمرُّ الايام، فيتذمر الشعبُ ويعمدُ إلى فتح مسابقة بين ايرستراتس فنَّان مدينة أفسس وفنانٍ اثينيّ دعوهُ اليهم، ألا وهو بركسيتيلس العظيم

قدم بركسيتيلس على ظهر سفينة أثينية فهرع الشعب الى لقائهِ وسارت امامهُ قيان أيونيا عازفات على القيثارات، منشدات اناشيد الترحيب والفرح، مبديات جمالهنَّ وكأنهُ يتهيَّأ للتجلّي أمام كلٍ من يقدرهُ. ومشى في الموكب الحافل الكهنة والشيوخ والفتيان، ودخل الفنَّان دخولَ الفاتح الظافر. وكأنما هو في اتجاهه نحو الهيكل المتألّق في الافقِ البهيّ، يحملُ معهُ عظمة أثينا ويلمعيتها، ويلقي على جدران أرتميس ومضاتٍ من ضياءِ البرثنون العالي تحيةً من فيدياس وترافقهُ أناشيد صوفوكليس في جلبة بهيجة من تغريد الاطيار بين أغصان الزيتون المقدسة

وشتان بين ايرستراتس وهذا الذي جاء ينافسهُ ! فبركسيتيلس يحب الحياة السائغة خالصة من الغمّ والنكد ، وما الحياة عندهُ سوى التمتّع باللحظة العابرة ، وإذا عمل فشأن من يلهو ويلعبُ ولا يعنيهِ شيء من منزلة المجد والخلود . بخلقهِ ذاك جاز الهوّة القائمة بين ايرستراتس وحبيبتهِ فتلاقى الاثينيُّ وكليسيا على معنى الحياة وتفاهما على لذاذة الحبّ . ذلك التعس القاصر ينقلبُ عدوًّا للحياة بسبب الفنّ الذي يعصاهُ ، وهذا السعيد الظافر يخلقُ الالاهات من مشهد الفتيات وما الالاهات عندهُ إلاّ هنّ ، وفي ملامحهنّ الساحرة تمتزجُ الالوهية بالانسانية ويتوحّد الفن والحياة . . .

***

الجمالُ هو الجسر الواصلُ بين الارض والسماء . ففي أثينا نحت بركسيتيلس تمثال افروديت الاهة الجمال فما كان ناسخاً إلاّ جمال غادةٍ أثينية . وهنا في افسس سيستوحي جمال ارتميس من جمال بناتها

لمح بركسيتيلس الفتاة كليسيا أمام الهيكل ، بينا غادات أفسس ينشدن حولهُ ، فلمعت عيناهُ ببريق الالهام . أليست هذه أرتميس بعينها تُعلن نفسها لفنانها ؟ وهذا الشباب الباهر الزائل ، وتلك اللحظات الزاخرة بنعم الحب التي جحدها ايرستراتس ، سيجني منها بركسيتيلس خير ما يُجنى ويخلدها في المرمر الامين . فكيف لا تميل كليسيا إلى الاثينيّ وتهواهُ ، هي التي ذاقت مرارة الهجرانِ والهوان ؟ وفي الوقت نفسه كيف لا تزكو الفجيعة في نفس ايرستراتس المقهور رجلاً وفنّاناً جميعاً ؟

إنهُ يحاول مرةً اخرى ليعرف فشلاً جديداً . في حين أتمّ الاثينيُّ تمثاله البديع المجسّم شباب كليسيا وجمالها بعد ان زانها بخيالهِ وألّهها بفنهِ . فعرضها في معملهِ للمتفرجين . ومضى ايرستراتس ضحية الارق والجهد العقيم ، يندبُ الحبّ الذي لم ينعم بهِ والمجد الفارّ منهُ ، ويمزقهُ شيطان الحسد والكراهة لهذا الغريب الذي سلبهُ كل شيءٍ لاهياً جزلاً . وحيال التمثال الرائع شعر بانهيار احلامهِ واطماعهِ وآمالهِ . شعر بضآلة شخصيتهِ العاجزة . فحمل ازميل اليوناني الملقى بقرب التمثال وانقلب راجعاً الى بيتهِ وفي نَفَسٍ واحد حطم التماثيل المشوّهة وقطع الرخام العصية التي جرّب فيها فنّهُ وحظّهُ ولهفتهُ . . .

وإذ غادر منزله وقعت عيناهُ على كليسيا تبكي حبيبها الذي فرغ من عملهِ المجيد

هنا فأثينا تناديهِ لمجدٍ جديد ، والاثينيات الفاتنات يدعونهُ لغرام جديد . فيقول لها ايرستراتس :

— « بهذا الازميل حطمت تماثيلي ، نخيبتي مطبقة ولمنافسي جميع أكاليل الظفر. فعودي أنتِ إليَّ ياكليسيا ، يامتعة اللحظةِ العابرة ! أنيليني العيد البهيج السريع الذي لم اعبأ بهِ قبل اليوم ! أتقيمين على عهد من يمضي دون اسف ولا التفات ، ولن يذكرك مرة بعد الفراق ؟ »

— « إني احبهُ ، تجيب كليسيا ، وسأبقى في حبي امينة »

فيهتف ايرستراتس : « ايها العالم الجميل ، أتكون بحذافيرك مخلوقاً لمتعةِ ذلك الرجل ؟ ألا تنيلني حتى ولا الفتات المتساقط من مائدتهِ ؟ ولا الزهرة الذابلة المتناثرة من اكليلهِ ؟ أبهذا الظلم إذن توزّع الآلهةُ عطاياها ، وأنا الأحمق الابلد أثقُ برحمتها وعدلها ؟ »

***

أطبق اليأسُ على الرجل وتمّت الفجيعةُ ولا مجال بعدُ في قلبهِ للتلهّف والاسى. وإذ يخيم الظلام يرتفعُ من احشاء الليل ضرام ودخان يلتهم الهيكل العظيم ، وامامهُ ايرستراتس مشوّش الشعر ، زائغ البصر ، يحمل جذوة متقدة وهو يصيح صيحة المجنون في نشوة القنوط . انهُ قاصرٌ دون اي شيء ولكنهُ قضى على كل شيء . فلا هيكل بعد اليوم ولا تماثيل ، ولا أعمدة فخمة ولا آثار هناك خالدة !

أيسجن ويحكم عليهِ بالموت ويحذف اسمهُ من سجلّ ابناء البشر ؟ أجل ! على ان الموت خيرٌ من الحياة التي خدعتهُ . ولئن قضتِ الاقدارُ عليهِ فلقد قضى هو على سواهُ . فالفتاةُ التي علقت بهوى غيرهِ تلقي بنفسها في البحر ، والهيكلُ الذي لم يطبع بطابعهِ لن تقوم لهُ بعد اليوم قائمة ، وباطلاً كان مجيء بركسيتيلس وباطلاً كان عملهُ وحبهُ ووحيهُ !

كذلك هدم روح الشر والحسد والعجز والكراهة معجزة العالم القديم . ولكن يشفع بايرستراتس ، في نظر الشاعر الالماني ، عذابهُ ويأسهُ واستشهاده الطويل . فهو مظهر آخر ومظهر صادق صميم من توق الانسانية المتفجّعة وعبقريتها المجاهدة المندحرة . . .

« مي »

اسرار الحياة على لوح المكرسكوب

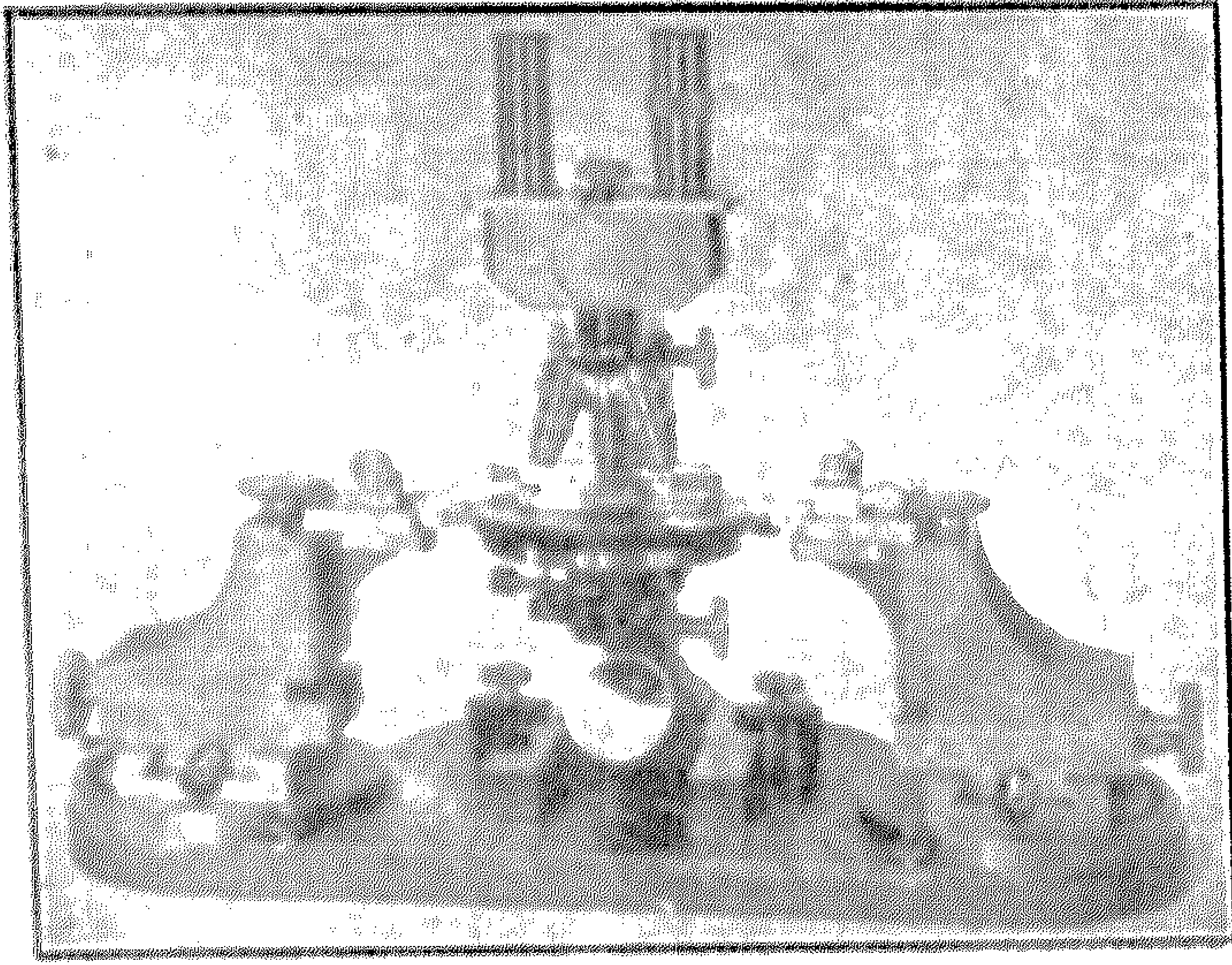
علم « تشريح الخلايا » احدث علوم الحياة [١]

البروتوبلازم ملازم للحياة . وكل الاحياء من ادناها الى اعلاها ، من المكروبات الى الانسان نفسهِ ، مبنية من جواهر هذه المادة العجيبة . ففي البروتوبلازم تظهر الافعال التي يمتاز بها الاحياء على غير الاحياء . حتى صفاتنا التي نمتاز بها عن الاحياء الاخرى قائمة في بناء البروتوبلازم الكيماوي والطبيعي

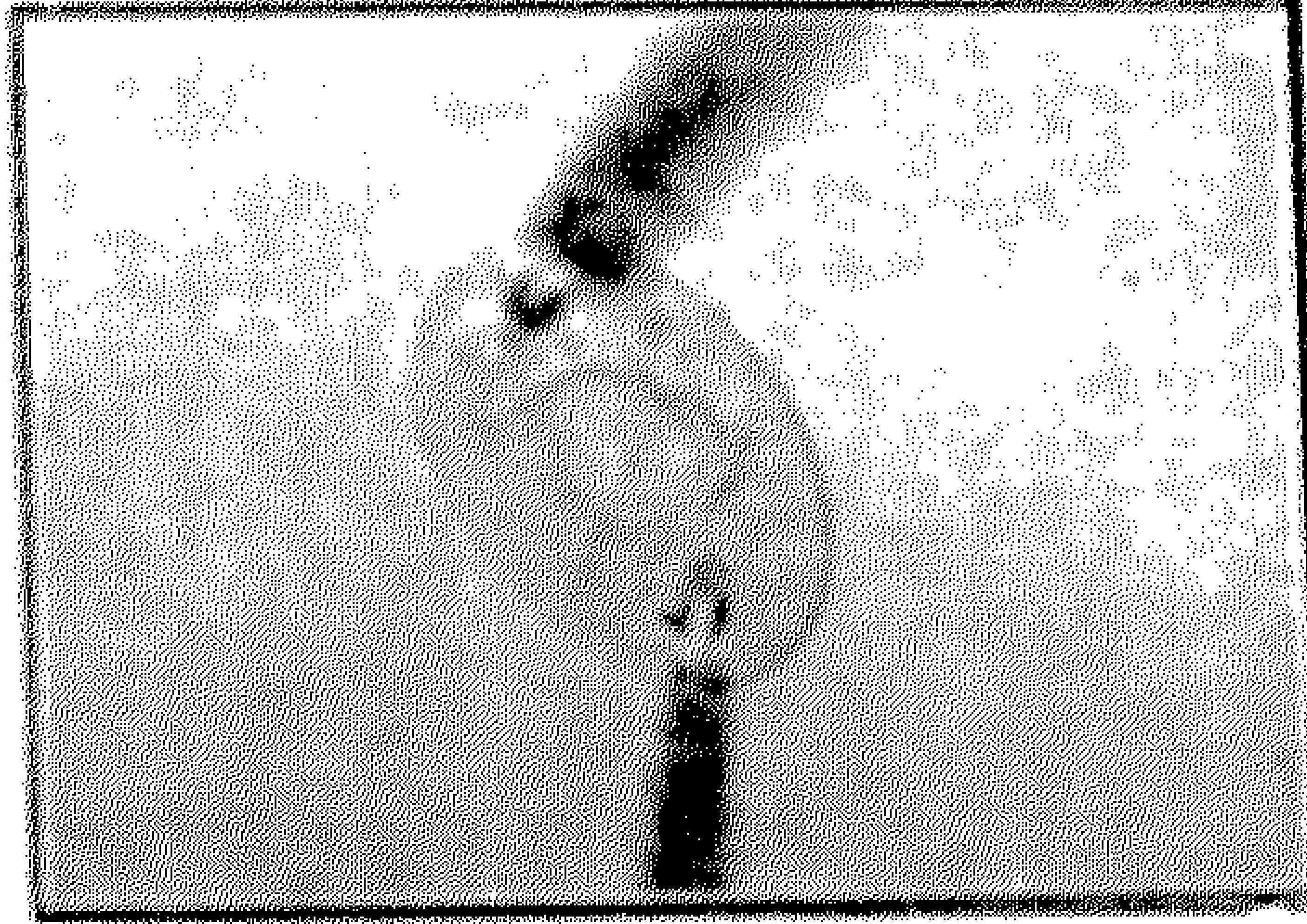
اذا نظرنا اليهِ نظراً سطحيًّا وجدناهُ مادة هلامية تكاد تكون شفافة تشبهُ زلال البيض سواءٌ كان في اوراق زهرة من الورد او في خلايا دماغ بشري . على انهُ لا ريب في ان هناك فروقاً اساسية بين جواهر هذه المادة التي تقوم بهـا الحياة وتميز الاحياء بعضها عن بعض . لماذا تنمو خلية الفرخة (البيضة) ديكاً وخلية السنديان سنديانة ؟ ولماذا تنفق خلايا الاوراق طـوال حياتها في صنع الغذاء وخلايا الجذوع في نقل الغذاء من الاوراق الى الجذور وخلايا الجذور في امتصاص الماء والاملاح من التراب ؟ ان سبب ذلك نوع البروتوبلازم الذي تتكون منهُ هذه الخلايا . نعم ان للبيئة والوراثة شأناً في تحديد هذا العمل ولكنهُ صغير لا يكاد يذكر ازاء شأن التركيب الكيماوي والطبيعي . فمسائل الولادة والنمو والتناسل والوراثة والتصرف والصحة والمرض — بل قل مسائل الحياة كلها — ليست الاَّ مظاهر مختلفة لبناء البروتوبلازم الكيماوي والطبيعي

والبحث في الخلايا الحية تعتورهُ مصاعب جمة . اولها واهمها هو حفظ المادة التي يراد تناولها بالدرس والبحث حيةً طبيعيةً في تصرفها . لانهُ متى وضعنا طائفة من الخلايا الحية في انبوب الكيماوي واضفنا الى هـذا الانبوب احدى المواد الكيماوية اللازمة لتسهيل البحث ، وتناولناها بآلات حادة او قاطعة تغيَّـر تصرف هذه الخلايا الطبيعي فيصبح غير طبيعي ونضحي وفي ايدينا مادة حية ولكنها لا تتصرف كما تتصرف في حالتها الطبيعية . وبذلك يمتاز علم الفلك على العلوم البيولوجية . لان الفلكي لا يمسُّ الجرم الذي يدرسهُ ويبحث فيهِ . ولكن رغماً عن هذه الصعوبة الكبيرة التي تعيق

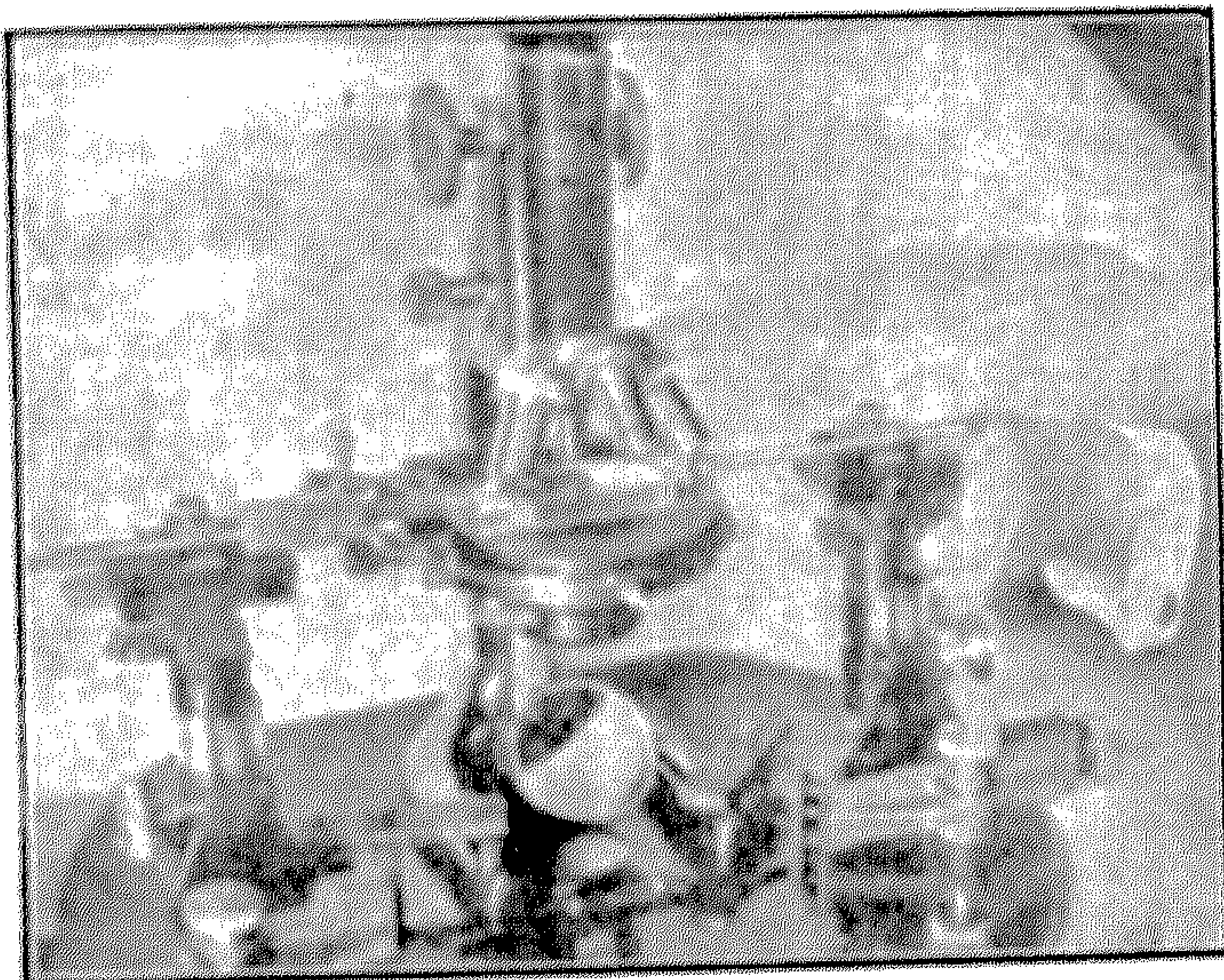
(١) عن السينتفك اميركان للدكتور سيفرتز استاذ علم النبات في جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة



المكرسكوب المستعمل لدرس كهربائية البروتوبلازم وترى الاسلاك الكهربائية على جانبيه



كرية دم حمراء مكبرة وقد غرزت فيها ابرتان



المكرسكوب المستعمل لتشريح الخلايا وترى الابر على جانبيه

البيولوجيين عن البحث ، لقد تمكن جمهورهم من الفوز بمعرفة حقائق كثيرة دقيقة عن بناء البروتوبلازم الطبيعي والكيماوي

***

ولا بدَّ في درس الخلايا الدقيقة والمادة الحية التي تتكون منها من الاعتماد على آلات دقيقة وعدسيات تستطيع تكبير جواهر الاجسام التي تحت النظر الى حدٍّ بعيد بحيث يتمكن الباحث من بلوغ درجة بعيدة من الدقة في عمله . وبين هذه الآلات آلة تمكن الباحث من تشريح الخلايا الحيّة بابر معدنية دقيقة وهو ينظر اليها بمكرسكوب قوي او من استفرادها بامتصاصها بانبوب زجاجي دقيق . وقد نتج عن هذه المباحث نتائج على جانب كبير من الشأن يصح عندها ان يطلق على هذا النوع من البحث اسم «علم» وقد دعاها العالم بترفي «مكريرجي» Micrurgy وهي لفظة مبنية من «ميكرو» ومعناها «صغير» و «ارغون» ومعناها «عمل» . وتاريخ هذا العلم الحديث يلخص فيما يأتي:

رأى الطبيب باربر ان لا مندوحة لهُ عن استنباط طريقة لاستفراد مكروب واحد من المكروبات التي يتناولها بالبحث المكرسكوبي فابتكر طريقة لاستعمال انبوبة دقيقة جدًّا من الزجاج لتحقيق غايته . وطريقة استعمال هذه الانبوبة هي ان يأخذ مجموعة من المكروبات ويبسطها على لوح المكرسكوب فتكبَّر فيرى المكروبات منشورة امامهُ فيمدّ انبوبتهُ الدقيقة فيمتص بها قليلاً من السائل الذي تسبح فيهِ المكروبات فيعزل مكروباً واحداً ويزرعهُ على حدة في مزدرع جديد

وجاء بعدهُ من قال انهُ اذا كان في الامكان استعمال انبوبة دقيقة لاستفراد مكروب واحد فلا بدّ ان يكون في الامكان استعمال ابر معدنية دقيقة لتشريح خلية من الخلايا على لوح المكرسكوب ليستطيع الباحث ان يتناول دقائقها بالبحث الدقيق . وتعهدت الايدي آلة باربر فارتقت وتنوعت وتعقدت وصارت الآن آلة علم جديد من علوم الحياة . وفائدة هذه الآلة وهذا الاسلوب في درس بناء الخلايا تماثل فائدة المكرسكوب في بدئهِ في درس انسجة الجسم ومعرفة طرق بنائها

***

تشرّح الخلية الدقيقة سواء كانت بيضة نجم البحر او كرية من كريات الدم الحمراء او ذرة من ذرات اللبن او جنين فرخة في بدء تكونهِ كما يشرح الجسم البشري ولكن

على لوحة المكرسكوب لان هذه الخلايا دقيقة جدًّا قد لا يزيد طول احداها على ستة اجزاءٍ من ألف جزء من البوصة وقد يبلغ احياناً في صغرهِ ودقتهِ ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف جزءٍ من البوصة وهو قطر الكرية من كريات الدم الحمراء . فانا اذا رصفنا مليوناً ونصف مليون من هذه الكريات احداها الى جانب الاخرى غطت مساحة لا تزيد على مساحة ظفر السبابة

اما الفوائد التي تجنى من هذه المباحث فجمة منها معرفة وظائف الاجزاء الدقيقة التي تتألف منها الخلية . ففي نواة احد الحيوانات التي من نوع البروتوزوى والحيوان منها خلية واحدة — نواة اخرى صغيرة (Nucleolus) . اما النواة الكبيرة فعرفت وظائفها من قبل واما الصغرى فلم تعرف الاَّ حديثاً باستخدام اساليب هذا العلم الجديد . ذلك ان الطبيب تايلر نزع هذه النواة الصغيرة بابرة دقيقة جدًّا ولاحظ تصرف الخلية بعد ما نزعت منها فعرف انها تعيش بدونها بضعة ايام ثم تموت . ولكي يثبت ان نزع هذه النواة هو سبب الموت لا تشريحها بالابرة الدقيقة نزع النواة يوماً او اكثر من يوم ثم اعادها فدبَّ دبيب الحياة من جديد في الخلية التي كانت قد اشرفت على الموت ونمت وتكاثرت . هذا مثل واحد على الحقائق الجديدة التي كشفها اصحاب هذا العلم الحديث في تشريح الخلايا وفسيولوجيتها

على ان اصحاب هذه المباحث يعنون بالاكثر في درس صفات البروتوبلازم الطبيعية امثال لزوجتهِ ومرونتهِ وقوتهِ على المد وتركيبهِ ووجود الاغشية حول الخلايا واثرها في حياتها وحيويتها

ومن المسائل التي تناولها الباحثون كثافة البروتوبلازم في اجزاء الخلية في ادوار مختلفة من حياتها . فثبت لهم ان اجزاء الخلية تختلف كثافة حين تستعدُّ للانقسام وان الاختلاف في لزوجة المادة الحية ومرونتها لهُ علاقة حيوية باعمال الخلية في اثناء نموها وانقسامها

تؤخذ كرية من كريات الدم الحمراء مثلاً وتوضع على لوحة المكرسكوب — او في الحقيقة تعلق في نقطة ماءٍ تتدلى من سقف صندوق زجاجي صغير يوضع على لوحة المكرسكوب — ثم تغرز فيها ابرتان وتشدان فتمغط الكرية حتى يصير قطرها اربعة اضعاف قطرها الطبيعي . ثم تشرَّح وتنتزع نواتها منها وتعالج كما عولجت الخلية قبلاً اي تغرز فيها ابرتان ثم تشدان فتمغط النواة . وقد ثبت ان البروتوبلازم

الذي تتكون منهُ نوى هذه الخلايا هو اكثر انواع البروتوبلازم مرونة ولزوجة اذ في الامكان مغط نواةٍ قطرها ستة اجزاء من عشرة آلاف جزء من البوصة فيصير طولها اربعة عشر جزءًا من الف جزء من البوصة اي تمغط النواة حتى يصير قطرها نحو ٢٤ ضعف قطرها الطبيعي . ومتى ازيلت الابر التي شدّت بها الخلية او النواة حتى تمغطها تعود الى حجمها الطبيعي

وقد أُبتدعت طريقة اخرى لمعرفة مرونة البروتوبلازم . ذلك انهم يأتون بغبار النكل الدقيق ويأخذون ذرة منهُ على طرف ابرة مغشاة بالجلاتين . ثم تدخل هذه الابرة وعلى طرفها ذرة من هذا الغبار في جسم خلية وتترك فيهِ . ثم يؤتى بقطعة من المغناطيس المكهرب وتوصل بتيار كهربائي فتصبح قطعة الحديد مغناطيساً قويًّا يجذب ذرة النيكل فتسير مسافة في جسم الخلية بقوة انجذابها الى المغنطيس وتقاس هذه المسافة بآلة دقيقة . ثمَّ يوقف سير التيار الكهربائي فتعود ذرة النكل الى مكانها الاول . وهكذا تقاس نسبة المرونة في انواع البروتوبلازم المختلفة بعضها الى بعض

***

هذا آخر ما بلغهُ العلم الحديث في تشريح الخلايا ودرس طبائع مادتها الحية وخواصها فما هي الفائدة العملية التي قد تنجم عن هذه المباحث النظرية ؟

لقد اثبتنا غير مرة في هذه المجلة ان العلم يُطلَب لذاتهِ اولاً ثم تطبّق حقائقهُ ومبادئهُ على مقتضيات الحياة والعمران وان تاريخ ارتقاء العلوم ابان ان اكثر المكتشفات العظيمة لم تجنَ منها فائدة عملية ما في بدء عهدها ثم صارت اساساً لاعظم ما نراهُ في عصرنا من مقومات العمران . وضربنا لذلك المثلَ بمباحث العالم فاراداي الاولى في طبائع الكهربائية وتحقيق قواعدها ونواميسها وكيف صارت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اساساً للتلغراف والتلفون السلكيين واللاسلكيين والمصباح الكهربائي ووسائل النقل والانتقال والركن الاكبر الذي قامت عليهِ النهضة الصناعية في انحاءِ العالم المتمدن

وهذا العلم الحديث لا يشذّ عما سبقهُ من العلوم ، مع انهُ قد يفوقها في ان نواحي الاستفادة منهُ ظاهرة لكلّ عين تنظر الى ما وراء الظواهر . وعلى ذلك نضرب المثل التالي :

اذا نظرنا الى البروتوبلازم بالمكرسكوب وجدناهُ شبيهاً بمستحلب انما يختلف عن

المستحلبات في انهُ لزج مرن وهي سائلة غير لزجة ولا مرنة. ولكن من المواد البروتينية ما هو هلامي القوام يشبهُ البروتوبلازم في مرونتهِ فهل المواد البروتينية في البروتوبلازم مقرُّ هذه الصفة الملازمة للمادة الحية ؟ واللبن مستحلب ايضاً اذا نظر اليهِ بالمكرسكوب ولكنهُ اذا تخثر صار مرناً كالهلام ولم يظهر ادنى اثر لمحتوياتهِ الدهنية في عمل التخثر هذا لان المواد البروتينية فيهِ اي الكاسين هي التي تتخثر

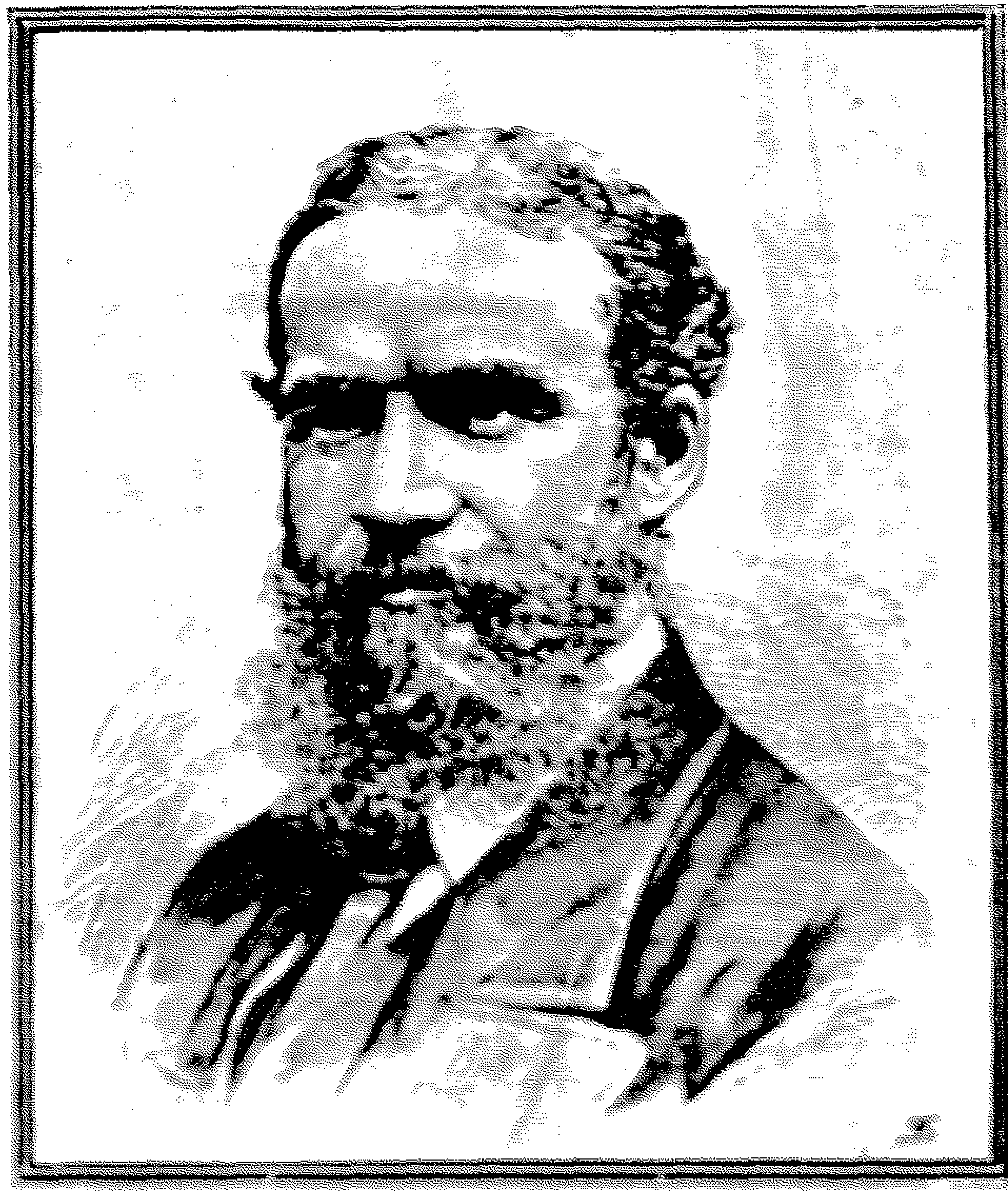
والبروتوبلازم يبلغ في كثير من الاحيان درجة بعيدة من المرونة. وهذه صفة من صفات المواد الهلامية لا تشاركها فيها السوائل والمذوبات الآلية المخففة. فيظهر من ذلك ان البروتوبلازم مادة هلامية لا مجرَّد مستحلب عادي. وانهُ من حيث مرونتهُ مادة هلامية بروتينية وان في هذه الحقائق يجب ان نبحث عن اغمض اسرار الحياة

والبحث في مرونة البروتوبلازم ادَّى بالباحثين الى معرفة كثير من خصائص كريات الدم الحمراءِ. ذلك انهُ ثبت لهم ان كريات الدم الحمراء غير المرنة اي التي لا تقبل المغط كما تقدم هي في الغالب كريات مريضة. وقد يبنى على هذه الحقيقة اساليب جديدة لامتحان صحة الناس بامتحان كريات دمهم الحمراءِ من هذا القبيل

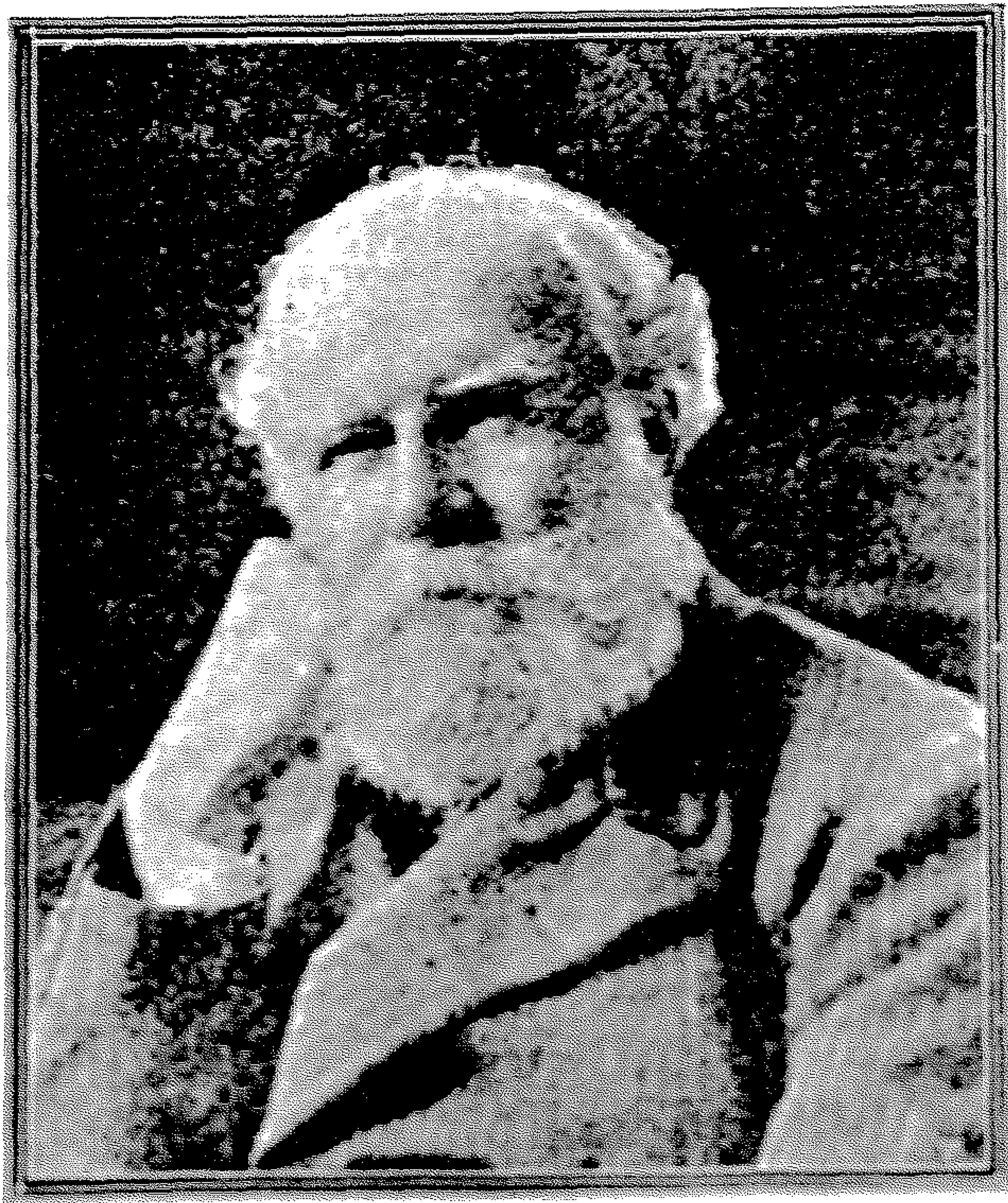
ومن المعروف ان لعنصري البوتاسيوم والصوديوم اثر كبير في المباحث البيولوجية الطبية. وان عنصر البوتاسيوم كثير في النوامي السرطانية ومقدارهُ فيها مقياس للاطباء يقيسون بهِ قوة السرطان في الجرذان. وعليهِ اخذ الطبيبان تشمبرز ورزنكوف يجربان تجارب دقيقة في حقن الخلايا الحية باملاح واصباغ مختلفة لمعرفة اثرها في حيوية البروتوبلازم وتركيبهِ. فمباحث من هذا القبيل مهما كانت نظرية في البدءِ لا بدَّ ان يبنى عليها ما هو عمليّ فيما بعد

اضف الى ما تقدم المباحث الدقيقة التي يقوم بها العلماء لمعرفة العلاقة بين الكهربائية والحياة على وجه دقيق يتضح لك ان البحث في صفات البروتوبلازم الطبيعية لا بدَّ ان يؤدي الى توسيع نطاق المعرفة عن طبيعة المادة الحية وفلسفة افعالها في احوال مختلفة من الصحة والمرض. وعلى اساس هذه الحقائق فقط يستطيع الاطباءُ ابتكار طرق طبيعية وافية لمعالجة الامراض وشفائها

قال ڤيبر العالم الفسيولوجي النمسوي الشهير: «ان مسائل الحياة هي مسائل البروتوبلازم» وهذا القول شعار ودستور لاصحاب هذا العلم الجديد



السر جون لُبك



اللورد أفبري

مقتطف فبراير سنة ١٩٢٨
امام الصفحة ١٣٧

كلب يتعلم القراءة

وحقائق عن تعليم الحيوان

كان لورد افبري من كبار الماليين . لكن اشتغاله بالمال لم يمنعه من الاشتغال بالعلم ولاسيما المباحث العلمية الكثيرة التجارب التي تسلي المشتغل بها كالبحث عن طبائع النمل والنحل . وما يلي خلاصة مقالة له من هذا القبيل نقلها الى القراء لما تحتوي عليه من الحقائق العلمية مفرغة في قالب شائق

اتى بقطعتين متساويتين من الكرتون (المقوَّى) طول كلٍّ منهما ٢٥ سنتمتراً وعرْضها سبعة سنتمترات وطبع على واحدة منهما كلمة طعام بالانكليزية « food » بحروف كبيرة ولم يطبع على الثانية شيئاً ووضع الاولى على صحفة فيها قليل من الخبز واللبن. والثانية على صحفة فارغة واتى بكلب أليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جعد وهي مشهورة بشدة نباهتها وسمح لهُ ان يرفع القطعة عن الصحفة التي فيها الخبز واللبن ويأكل ما فيها وكرر لهُ ذلك مراراً حتى شبع . ثم اعاد ذلك مدة عشرة ايام متوالية فصار الكلب يميز بين القطعة التي عليها الكتابة والقطعة الخالية منها . وبعد ذلك طرح القطعتين على الارض وامرهُ ان يأتي بهما فصار اذا جاءهُ بالقطعة التي عليها الكتابة يعطيهِ لقمة من الخبز واذا جاءهُ بالاخرى يطرحها ولا يعطيهِ شيئاً واستمرَّ على ذلك شهراً من الزمان فصار الكلب يميز بين هاتين القطعتين تمييزاً واضحاً

واتى بقطع كثيرة من الكرتون طبع على واحدة منها كلمة «خارج» وعلى الثانية كلمة «شاي » وعلى الثالثة كلمة «عظم» وعلى الرابعة كلمة «ماء» وعلى قطع اخرى كلمات اخرى لا يهمّ الكلب امرها وابقى بينها قطعاً بيضاء لا كتابة عليها فتعلم الكلب بعد زمن قصير ان يميز بينها ويأتيهُ بالقطعة المطلوبة منها فاذا جاع اتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة «طعام» واذا عطش اتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة « ماء » واذا اشار اليهِ بالخروج من البيت اتاهُ حالاً بالقطعة التي عليها كلمة « خارج » واسرع بها الى باب البيت

وكان يغير لهُ اوضاع هذه القطع واماكنها حتى لا يهتدي اليها من وضعها بل من شكل الكتابة التي عليها . ثم خاف ان يكون اهتداؤهُ اليها من رائحتها فطبع كلمة طعام على قطع كثيرة وكذلك كلمة شاي وهلمَّ جرًّا وكان اذا جاءهُ بقطعة عليها كلمة طعام

يأخذها منهُ ويضع قطعة غيرها بين القطع فيهتدي اليها ويأتيهِ بها فيأخذها منهُ ويضع غيرها وهلمّ جرًّا حتى لقد يبدل لهُ ١٨ قطعة فلا يتعذر عليهِ الاهتداءُ اليها دلالة على انهُ كان يميزها برسم الكتابة التي عليها لا بشيءٍ آخر. وكان يضع قطعة عليها كلمة «ماء» في غرفة يمر بها مرات عديدة كل يوم وكان الكلب يتبعهُ دائماً في خروجهِ ودخولهِ ويمرُّ بهذه القطعة فلا يلتفت اليها الاَّ حينما يعطش فيلتقطها ويأتيهِ بها

وكان يخطىءُ احياناً ولكنَّ خطأهُ قليل جدًّا. طلب منهُ مرةً ان يجلب لهُ القطعة التي عليها كلمة طعام مراراً كثيرة فاتى بها ثمانين مرةً واتى بالقطعة التي عليها كلمة شاي ٣١ مرةً وكان مع هاتين القطعتين عشر قطع اخرى فاتى باثنتين منها مرة واحدة وكان على واحدة منها كلمة تقرب من كلمة طعام وهي كلمة باب door والمشابهة كبيرة بينها وبين كلمة طعام food فلم يخطىء اكثر مما يخطىءُ ولد عمرهُ ست سنوات

وانحرفت صحتهُ ذات يوم وكان واحد يتغدّى مع اللورد افبري واراد ان يمتحنهُ امامهُ فاشار اليهِ ليأتيهُ بالقطعة التي عليها كلمة طعام فلم يفعل فلجَّ عليهِ فاتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة «بيت» فانتهرهُ موبخاً فعاد واتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة شاي فسكب لهُ فنجان شاي فلم يشرب منهُ مع انهُ كان مغرماً بشربهِ وهي المرة الواحدة التي ابى فيها شربهُ

وكان عند اللورد افبري كلبة من الكلاب الكبيرة كانت ترى هذا الكلب يجلب القطع ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تفعل فعلهُ مع انها رأتهُ يفعل ذلك مراراً لا تحصى

ثم اراد ان يرى هل تميز الكلاب الالوان بعضها عن بعض فاتى بست قطع من الكرتون ولوَّن اثنتين منها باللون الاصفر واثنتين بالازرق واثنتين بالبرتقالي وجعل يمسك قطعة منها بيدهِ ويشير اليهِ ليأتيهُ بالقطعة الملوَّنة مثلها وكان اذا جاءهُ بالقطعة المطلوبة يطعمهُ شيئاً يستطيبهُ واذا جاءهُ بقطعة غيرها يأخذها منهُ ولا يطعمهُ شيئاً ويأمرهُ ان يأتي بغيرها . واستمرَّ على ذلك ثلاثة اشهر فلم يدرك الكلب التمييز بين هذه الالوان الثلاثة فظن ان سبب ذلك خلل في باصرتهِ لانَّ من الناس من لا يميز بين بعض الالوان ويقال لهذا الخلل العمى اللوني . فامتحنهُ في تمييز الاعداد فرسم على لوحة خطًّا واحداً وعلى لوحة اخرى خطين وعلى لوحة ثالثة ثلاثة وحاول تعليمهُ الفرق بينها واستمرَّ على ذلك عشرة اسابيع فلم يفلح . ولكنهُ لا يحسب ان تجاربهُ تدل دلالةً قاطعة على ان الكلب لا يمكن ان يميز بين الواحد والاثنين والثلاثة فان

العالم لروي استدلَّ على ان الغراب يعد الى حد الاربعة وذلك انهُ اراد ان يصيد غراباً من قُترة وكان الغراب حذراً لا يدنو منها ما دام احد فيها فادخل اليها رجلين ثم أخرج رجلاً منهما فلم يدنُ الغراب منها كأنهُ علم ان واحداً من الاثنين لا يزال فيها . ثم ادخل اليها ثلاثة رجال واخرج اثنين منهم فلم يدن الغراب منها ايضاً كأنهُ ميّز انهُ لا يزال فيها واحد . فادخل اليها ستة رجال ثم اخرج خمسة منهم فضاع الحساب على الغراب وحسب ان الرجال خرجوا كلهم من القُترة فدنا منها

ورأى لتشنبرجان العندليب يميز العدد الى الثلاثة ايضاً مثل بعض المتوحشين فانهُ يغذّيهِ بثلاث دودات كل يوم يطرح لهُ الدودة الاولى فيلتقطها ويذهب يأكلها ثم يعود فيطرح الدودة الثانية فيفعل كما فعل اولاً . ويعود اليهِ فيطرح لهُ دودة ثالثة فيذهب ولا يعود الاَّ في اليوم التالي

وقال اللورد افبري انهُ كان اذا وجد بيضتين في عش واخذ واحدة منهما عرف الطائر ذلك وترك عشهُ ولكن اذا كان في العش اربع بيضات واخذ واحدة منها فالغالب ان الطائر لا يدرك ذلك فلا يترك عشهُ

ثم ذكر لورد افبري بعض التجارب التي اجراها ليعرف بها مدارك النمل والنحل فقال انهُ افرغ جهدهُ ليعلم هل كان النمل يسمع الاصوات المختلفة كصوت الزمارة والصفارة فلم يظهر انه يسمع شيئاً منها . فحاول ان يعلم هل كان يدعو بعضه بعضاً بصوت لا يسمعهُ فنصب امام قرية من قراهُ ستة اعمدة صغيرة من الخشب ارتفاع كل منها نحو اربعة سنتمترات ووضع على رأس ثلاثة منها قليلاً من العسل ووضع عليهِ بعض النمل فجعل يأكل منهُ حالاً ولو سمح لهُ ان ينزل ويعود الى قريته لاهتدى كثير من النمل الى العسل ولكنهُ لم يسمح لهُ بذلك بل رفعه بيدهِ ووضعه حيث لا يمكنهُ الرجوع الى قريتهِ ووضع غيرهُ بدلاً منهُ واستمرَّ على ذلك اربع ساعات وقال : انهُ لو كان النمل ينادي بعضهُ بعضاً لنادت هذه النملات غيرها ليأتين ويأكلنَ معها ولكنها لم تفعل بدليل انهُ لم يصعد على هذه الاعمدة الثلاثة الاَّ سبع نملات وصعدت على الاعمدة الاخرى التي لا عسل عليها سبع نملات اخرى فصعودها عليها من باب الاتفاق وهي تسعى في طلب رزقها لا بنداءٍ خاص من اخواتها . ثم ترك بعض النمل يأكل العسل ويرجع ادراجهُ الى قريتهِ فلم تمضِ مدة طويلة حتى اجتمع على العسل ٤٣ نملة . وكرر هذه التجربة مراراً عديدة فكانت النتيجة واحدة

وظهر لهُ من تجربة اخرى ان النمل اذا اراد ان يعرب عن مرادهِ لغيره لم يعرب عنهُ بالكلام بل بوسائط اخرى فانهُ كشف قرية من قرى النمل الصناعية للشمس فخرج النمل منها وتفرَّق ثم ظلَّل جانباً منها حتى اظلم فاهتدى اليهِ بعض النمل وعاد يفتش عن غيرهِ ويأْتي بهِ اليهِ وكانت النملة المهتدية تقبض على اختها وتحملها على ظهرها وتذهب بها الى ذلك المكان المظلم ثم تعود وتأْتي بغيرها . فالنمل جمهوري اشتراكي تسعى كل نملة منهُ الى اشراك غيرها فيما تجدهُ من المنافع ولكنهُ لا يستطيع التعبير عن مرادهِ بالكلام ولا بالاشارة فيلتجأُ الى هذه الواسطة . اما استدراج النمل بعضهُ بعضاً اذا اكتشف طعاماً فالمرشد فيهِ الرائحة لا الكلام

وعاد من التجارب في النمل الى التجارب في النحل لما هو مشهور من ان النحل يسمع وانهُ اذا طار خشرم منهُ زعقوا لهُ وقرعوا النحاس ونحوهُ لكي يجتمع ويعود الى خليتهِ فاتى بصندوق موسيقي ووضعهُ في حديقة فيها خلايا النحل وادارهُ ووضع عليهِ قليلاً من العسل حتى يسمع النحل صوت الموسيقى وهو يأْكل العسل فيحسب ان بينهما علاقة واستمرَّ على ذلك عشرة ايام ثم رفع الصندوق ووضعهُ في مكان مرتفع يطلُّ على الحديقة فلم تهتد اليهِ نحلة من النحل مع ان صوتهُ كان يملأ الحديقة. ثم اعادهُ الى الحديقة فاهتدى النحل اليهِ حالاً . وبعد تجارب كثيرة من هذا القبيل استنتج ان النحل لا يسمع مطلقاً فلا يستطيع ان يهتدي الى العسل من صوت الصندوق او انهُ يسمع ولكن المدة التي سمع فيها الصوت الموسيقي غير كافية لتجعلهُ يعلّق وجود النحل بهِ واثباتاً لامر من هذين الامرين وضع العسل على الصندوق الموسيقي وعلى لوح من الزجاج ووضع الصندوق واللوح في الحديقة على بعدين متساويين من المكان الذي كان يضع الصندوق اولاً فيهِ وبعد نصف ساعة رأى على العسل الذي على الصندوق كثيراً من النحل واما العسل الذي على لوح الزجاج فلم يهتدِ النحل اليهِ . وكرَّر هذه التجربة فوجد النحل يذهب الى العسل الذي فوق الصندوق لا الى العسل الذي فوق لوح الزجاج ولكنهُ رأى ان النحل يهتدي الى الصندوق سواءٌ كانت الآلة الموسيقية دائرة او غير دائرة اي سواء خرج منهُ صوت او لم يخرج فلم يكن ارشادهُ اليهِ بالصوت . ولعلَّ شكل الصندوق هو الذي هدى النحل الى العسل

ومن رأي بعض العلماء ان النمل والنحل يسمعان الاصوات العالية جدًّا التي لا يسمعها الانسان وانهُ ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل

اي الرجال المهذب

للدكتور بطلر
رئيس جامعة كولومبيا بنيويورك

الدكتور بطلر من اكبر المفكرين الاميركيين في هذا العصر وقد كان استاذاً للفلسفة في جامعة كولومبيا قبل ان يصير رئيساً لها . والاستاذ خولي ناقل هذه المقالة استاذ لعلم التعلم والتهذيب في جامعة بيروت الاميركية ومن كتاب العربية المجيدين . والموضوع جدير بالنظر والتأمل فنلفت انظار القراء الى هذا المقال النفيس

قام كومينيس البوهيمي منذ مائتين وخمسين سنة وطلب ان تنشأ مدرسة كلية في لندن يجتمع فيها رجال العلم من كل صوب ويؤلفون كتاباً يضمنونهُ مجموع حكمة البشر وعلومهم على اسلوب يلائم حاجات الناس في الحاضر والمستقبل . وكان مشروعهُ هذا جذّاباً لاهل القرن السابع عشر ولا غرو فقد كان معتقدهم اذ ذاك ان العلوم ليست الا كمية من الحقائق او المحفوظات ينبغي على المتعلم استيعابها

ولا يزال هذا المعتقد شائعاً بين اهل هذا الزمن . فكم من مرة يستدلُّ على تهذيب فلان بعدد ما يعرفهُ من اللغات او بتعدد العلوم التي تلقاها في المدرسة وبمقدار ما وعاهُ من الحقائق في ذاكرتهِ ثم يظهر بالاختبار ان مثل هذا الاستدلال باطل وان للتهذيب الحقيقي مظاهر اخرى ابعد مرمى وافضل عائدة

فما هو التهذيب إذَن؟ هل هو ان يعرف الانسان احوال الطبيعة معرفة تامة منظمة؟ فان كان كذلك فكل عالم من المتقدمين والمتأخرين يكون في مصاف غير المهذبين . او التهذيب ان يكون للانسان ميل خاص للنظر في بدائع الفنون والآداب ويقضي ايامهُ بالتلذذ التصوري كانهُ في عالم الخيال لا الاعمال ؟ فان كان كذلك فكثيرون من اهل العلم والعمل ممن قادوا افكار معاصريهم وشخّصوا المبدأ الكمالي في زمانهم واظهروا اسمى الصفات العقلية والادبية يعدون من جملة غير المهذبين

ومعلوم ان حشد المعارف يحدق بنا الآن من كل جهة ويذهلنا بوجوه اختلافهِ ومراميهِ وعلى كلّ ان يتنحى عن الكثير ويختار القليل . فما احرج الموقف وما اصعب الاختيار وما اكثر الذين لا يحسنون التروي فيعون من المعارف ما لا يجرُّون منهُ مغنما

ولا يدفعون بهِ مغرماً فكأنهم يكتفون بقول الناس عنهم فلان عالم حافظ لا يفوتهُ شاذ ولا ضرب من تخريجات الكلام مع ان واحدهم لا يملك من حطام الدنيا شيئاً يذكر ولا يمكنهُ استخدام محفوظاتهِ التي يتنافس بها مع رجال الزمان الطالبين الرزق من ابوابهِ الناحتين الخير من معادنهِ

وعليهِ فمبدأ التعلم لحشد المعارف واعتبار كميتها بصرف النظر عن امكان استخدامها والانتفاع بها يسقط من نفسهِ فلنبحث عن مبدإٍ آخر في وجهة اخرى

ان المتأمل في حقائق الحياة المحلل ماجرياتها يرى ان المعارف والفواعل اجمالاً لا ترد على وتيرة واحدة ولا تؤثر في العقل تأثيراً واحداً وهي سنة الله في خلقهِ بها تحفظ الموازنة بين افراد الهيئة الاجتماعية ويحصل التعاضد والتعاون وتقسيم الاعمال لاختلاف المبادىء والمشارب والافكار والمساعي والنيات

انظر الى آلة نفيسة ترَ ان اجزاءها لا يصح التبادل بينها لان ثمَّ حاجات ورغائب لا تسدُّ ولا تنال بانابة هذا الجزءِ عن ذاك. ومثل ذلك اوجه التمدُّن العلمية والادبية والفنية والنظامية والدينية فمع انها تشتبك بعضها ببعض اشتباكاً وتظهر كأنها غير مستقلة بعضها عن بعض فهي بالحقيقة مستقلة بمعنى انهُ لا يمكن لاحدها ان ينوب مناب الآخر او ان يقوم مقامهُ فينبغي ان يكون لكلٍّ من هذه الاوجه الخمسة علاقة ما في كل تعليم غايتهُ التهذيب . وهذا التعليم متى انتهى الى التثقيف لا يقاس بالفاظٍ وتعبيرات علمية او ادبية او فنية او دينية بل بما ينتجهُ من الصفات في عقل المدرَّب وسلوكهِ. والى هذه الصفات ينظر المستدلُّ على حسنِ التهذيب لا الى ظواهر المعرفة ومقدار موعيات الذاكرة او محفوظات الذهن . وتوصلاً الى ذلك اذكر خمسة ادلة لحسن التهذيب

اتقان استعمال اللغة الوطنية

وهذا امر حديث في عالم التهذيب لان اللغات الاوربية الحديثة لم تعتبر من وسائل التهذيب الاَّ بعد ما انتقض حصر وسائط التعليم باللغة اللاتينية عند نهاية الاعصر المتوسطة . ففي سنة ١٥٤٩ عضد جاك دي بلاي درس اللغة الافرنسية بتصريحهِ «انها ليست مفتقرة كما يظن الكثيرون» ووضع ملكستر بعدهُ بقليل كتاباً في التعليم اضطر ان يبين فيهِ سبب وضعهِ في الانكليزية عوضاً عن اللاتينية — كأن التأليف ينبغي ان يظل محصوراً في اللاتينية

وهكذا كانت الحال في اللغة الالمانية وبقي اثرٌ منها ايضاً حتى قام الامبراطور غليوم الثاني وصرّح لجمع برلين المدرسي سنة ١٨٩٠ ان التدريس مفتقر الى اساس وطني وان اساس كل الدروس يجب ان يكون الالمانية كما انهُ يجب على المعلمين ان يمرنوا الصغار ويربوهم لينشأُوا المانيين لا روماً ولا روماناً وان الالمانية يلزم ان تكون المركز الذي يدور حولهُ كل فرع من فروع التعلم وان بروجرام مدارس الحكومة ينبغي ان ينقّح تنقيحاً يجعل لدرس الالمانية وآدابها المحل الاول

فاذا كان اول دليل عند العالم الاوربي على حسن التهذيب جودة استعمال اللغة الوطنية فان درجة شباننا وطلبة مدارسنا من التهذيب الحقيقي واكثرهم قاصرٌ عن التعبير عن افكارهِ بلغتهِ تعبيراً تامًّا مفهوماً فانهُ اذا اراد احدهم ان يذكر حادثة تاريخية او يشرح مسألة علمية او يصف منظراً رائعاً تعذَّر عليهِ استعمال اللغة التي ينطق بها لانها غير فصيحة ولم يجد في محفوظاتهِ من الالفاظ والتراكيب ما يفي بالغرض المطلوب

واذا شاء احدهم ترجمة مقالة ما فانهُ يلاقي الامرَّين في التفتيش عن الفاظ واوضاع علمية لغوية تطابق المقصود اذ ليس لهُ ان يشتق صيغة جديدة لما يعرض امامهُ من الالفاظ العلمية الجديدة في اللغات الاوربية الحية او ان يسوق كلمة لغير معناها الحرفي المنقول عن سادتهِ العرب فكان القواعد وجدت قبل الالفاظ وكأن الانكليزية مثلاً او الافرنسية انسب من العربية واقدر على اشتقاق الكلمات او كان اللغة غير خاضعة لناموس النمو شأن الصلد الاصم او كأن في لغة العصور الخوالي ما يسد كل عوز في لغة العصر الحالي ويقوم بكل مطلب

فاليكم ايها اللغويون ارفع صوتي الضعيف واقول لا تضيقوا على الكتَّاب والطلبة الاحداث ولا تسدوا باب التعريب بل تسامحوا في اوضاع الكلمات واقبلوا من المعرّب ما كان سهلاً منسجماً واعلموا ان مفردات اللغة واصطلاحاتها متى تداولتها اقلام الكتاب وتنازعتها عوامل الاستعمال عاش منها جانب وهلك جانب طبقاً لناموس بقاء الانسب المسلط على عالمي النبات والحيوان

حسن السلوك

الا ترى انهُ يستحيل على الشخص ان يكون حسن السلوك في كل زمان ومكان ما لم يكن مقتنعاً في نفسهِ بفضل هذا الخلق وجمالهِ . فحسن السلوك إذن مظهرٌ لما

انطوت عليهِ النفس واستحسنهُ العقل فان كان مصنَّعاً فحكمهُ حكم غشاء خارجي يمزقهُ اقل مسٍّ لانانية صاحبهِ. ولا يكون الانسان حسن السلوك ما لم يكن في نفسهِ ترفّع واحترام يقودانهِ الى احترام غيرهِ وخير محك لانسانية الشخص سلوكهُ مع من دونهُ لان سلوكهُ مع المساوين لهُ او مع من هم فوقهُ مكيَّف باغراض شتى يصعب معها معرفة الحقيقي من المزيّف

وليكن معلوماً انهُ بقدر ما نظهر لاخواننا من الاحترام والمراعاة والتلطف يحكم علينا فيما اذا كان سلوكنا هذا عرضاً مفارقاً او خلقاً ناشئاً عن حسن تربية مغروساً في افكارنا مثمراً في افعالنا. قال الفيلسوف كنت منذ قرن ونيف ان الانسان يحيا بنفسهِ لنفسهِ لا ليكون آلة تحركها ارادة هذا او اميال ذاك وعليهِ فاعمالهُ سواء كانت مختصة بهِ وحدهُ او متعلقة بغيرهِ من الاحياء العاقلة ينبغي ان تعتبر صادرة من حي مطالب لهُ من الحقوق الاجتماعية ما لغيرهِ. وبديهي ان حسن السلوك مبني على ادراك هذه الحقيقة وكل تهذيب يقصر عن غرس المبدإِ الادبي في الانسان ولا يحملهُ على السلوك الحسن الناشيءِ عنهُ فهو حقير في ذاتهِ ناقص في مرماهُ

قوة التروي والتعود عليهِ

قال الكاتب: كثيراً ما عيرنا نحن المحدثين وبالاخص الاميركيين باننا مُغفلو ملكة التروي وخصائصها السامية وذلك ناشيءٌ عن اشغالنا الشاغلة ومناحينا المتعددة واعدامنا الابعاد والوقت بالبخار والكهربائية. نرى العالم باسرهِ قريباً منا وماجرياتهُ ترد الينا بواسطة الجرائد اليومية فيطير فكرنا من منيلا الى بكين ومن بكين الى الترنسفال ومن الترنسفال الى هفانا. تمزقنا العواطف المتضاربة وتشغل افكارنا تصوُّرات شتى تتبع بعضها بعضاً بسرعة غريبة نقصر معها عن التروي في اية حقيقة كانت من الحقائق العظمى. هذا ما يوجههُ الينا المنتقدون وحقيق ما هو

قال سقراط: ان الحياة بدون النظر الداخلي وفحص النفس لا تعتبر حياة — الحياة التي لا ترى علل ما جرى لها في الماضي ولا تعين غاية لها في المستقبل الحياة التي لا غرض لها ولا تدرك ما يمر بها باطناً او ظاهراً هذه الحياة هي حياة حيوان لا حياة انسان. وهنا تظهر المقابلة بين العقل المهذب والعقل غير المهذب. لصاحب العقل المهذب فطنة وتروٍ واعتبارات خاصة تحملهُ ابداً على العمل في الحالات الجديدة التي ينشرها

لديهِ سجلُّ الزمان مقتنعاً بصحة ما يعمل لا يقلع عنهُ الاَّ اذا ظهرت لديهِ ادلة اوضح واكمل تحملهُ على ذلك. لصاحب العقل المهذب اقيسة من الحقائق والحكمة والاختبار البشري يقيس بها كل امرٍ جديد يطرأُ عليهِ وهذه الاقيسة لا تكتسب الاَّ بحسن التأمل والتروي. اما العقل غير المهذب ففريسة للتخيلات الطيارة وضحية للتعاليم الملبَّسة

وما اصدق ما قالهُ رنان: ان اول شرط لارتقاء العقل هو ان يكون لهُ حرية. وعنى بحرية العقل عتقهُ من سلطة ما لا يعقل واطلاقهُ ليختار المعقول المطبق على المبادىء القويمة اذ لا بدَّ لكل رجل مهذب من جملة مبادىء يعتصم بها ويدرج تقدمهُ عليها. ولا مشاحة ان درس الفلسفة هو الذي يرقي قوة التروي في الانسان الى ان يصبح عادة بحكم الاعادة ومثل ذلك درس آداب اللغة والنظامات السياسية والعلوم الطبيعية من وجه فلسفي. واعلم انك متى اخذت تسأل كيف «كيف» «ولماذا» فانت على طريق العلم والفلسفة ومبدأ التروي. والرجل الحقيقي التهذيب يسأل هذين السؤالين على الدوام وتكون النتيجة انهُ يمارس التروي والتبصر في اقوالهِ وافعالهِ

قوة النمو

من العقول ما يرقى الى درجة معينة ثم يتبلور مجازاً او يجمد ويأبى النمو فيما بعد فيعيش صاحبهُ وكأن عقلهُ في عالم الغيبوبة لا يعمل من الاعمال الاَّ ما يبقيهِ حيث هو لا حركة ولا تقدُّم ولا قوة جديدة. ولا دافع على الدرس المتواصل والتعليم الذاتي اللذين هما ركنا التهذيب ومجلسا نموهِ

ولا مراء ان العقل النامي المرتقي مدى الحياة هو غاية في الجمال ومدعاة لاعجاب الناس. وهذا ما رفع المستر غلادستون الى مناصبهِ العديدة واحلَّهُ اخيراً المكانة الاولى عند امتهِ وجعلهَ مثلاً للشبان محبي الرفعة والجاه وهو مثال ما يفعلهُ كل عقل مدرَّب يصاحبهُ سعة النظر ورحابة الصدر وعمق التروي وبعد المرمى أعمار التهذيب ومظاهر نموهِ

ثم انهُ من الضروري لهذا النمو ان يكون للانسان غرض عام لان التضييق العقلي والادبي يضاد النمو فهو والنمو في حرب مستمرة. ولا ينكر ان جانباً من التهذيب الحالي هو غير التهذيب الصحيح لانهُ يجعل النمو صعباً ان لم نقل مستحيلاً. وهذا ما يعترض بهِ على بعض مديري المدارس الاجنبية في بيروت وغيرها وهو انهم يسوقون تعاليمهم وذرائع تهذيبهم للطلبة في وجهة لا تفسح للعقل مجالاً للتروي ولا تعوّدهُ ارجاع

المعلولات الى علاتها والاستفهام عن الغامض « بكيف » « ولماذا »

ومن اعداء النمو ايضاً التفرغ الباكر في الحياة لعلم ما فانهُ يحدد مجال المعرفة والمصلحة ويقود الانسان الى التقصير عن ادراك نسبة مصلحتهِ الخاصة الى مصالح غيرهِ. قال الاسقف سبولد في خطاب لهُ: ان الحياة مجلس قوة يرتقي فيهِ الانسان الى درجة الادراك الذاتي ومنها الى درجة معرفة عالم الحق والنظام والمحبة حيث يبطل العمل الناشئ عن الغريزة المحضة ويتسلَّط العقل والضمير على افعال الانسان وتصرفاتهِ. ثم متى ترقّى هذا التسلط تعمداً واختياراً فذلك هو التهذيب والتربية

المقدرة على العمل

لقد فات الزمان حينما كانت الغاية الكمالية من التهذيب الانسحاب من العالم ومتاعبهِ للاعتزال والتعمق في التأملات والتخيلات الفارغة واليوم لا يعتبر الرجل حقيقي التهذيب ما لم ينتظم في سلك العمل ويبرهن عن درجة معارفهِ بتشغيل ذهنهِ ولسانهِ ويدهِ ويسعى في تحسين الهيئة التي تضمهُ ثم يترك العالم ارقى مما لقيهُ. فالعمل ثمرة العلم ودليل على حيوية التهذيب. اعمل يا من تدعي العلم وبسط المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات. اعمل ايَّ عمل شئت على شرط ان تتقنهُ وتنفع بهِ. عبّر عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تتحسس العمل تحسساً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيء منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لا يمد لذلك يداً ويقضي الايام حيث هو. والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيرهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالفيلسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل. وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقي التهذيب مهما اتسعت معارفهُ بل يكون اشبه شيء بمتحف الآثار يبدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ

دلائل حسن التهذيب

والتغيُّر في اساليب التعليم

تعليق على مقالة الدكتور بطلر ورجاء الى ناقلها

امام علماء التعليم والتهذيب في هذا العصر مشكلة عظيمة هي اعداد الفتيان والفتيات للاقبال على مشاكل الحياة التي تتبدل كلَّ يوم اقبال واثق بالنفس مصمم على الفوز. وذلك لان الحضارة سائرة في طريق التغيُّر سيراً حثيثاً — ففي الافكار تنبهٌ وتبدُّل وفي الاخلاق والعادات ثورة وانقلاب وفي امور المعيشة ووسائل العمران الآلية تقدّم وارتقاء وفي جميع فروع العلم وابواب البحث اكباب على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى . ترى في الطبيعيات والكيمياء والفلك والرياضيات مذاهب جديدة لبناء المادة وطبيعة النور وتعليل الجاذبية وسكنى السيارات. وفي العلوم العملية مستنبطات جديدة تطوّق الارض بامواج خفية وتنقل على اجنحتها الصور والاصوات . وفي المباحث التاريخية والاثرية مكتشفات خطيرة لا بدَّ ان يكون لها أثر كبير في احقاق الحق وتصحيح ما ذهب اليه الكتاب الاقدمون في اصل الانسان ومهد الحضارة وما اليهما . وفي الآراء الدينية انقلاب ظاهر على رأسه نفر من ابناء الكنيسة يرمون الى جعل التعليم الديني عصريًّا حتى يستمدّ قوتهُ وتأثيرهُ من ملاءمته لاساليب التفكير الحديث. فالامور التي على طالب العلم والتهذيب ان يتعلمها كثرت وتعقدت . واذا شئنا ان نعدّهُ ليسير مع غيره في مضمار الحياة والعمران وجب علينا ان نعلمهُ ليواجه المشاكل الجديدة بطرق جديدة من التفكير والعمل. وهذا منشأُ المشكلة التي يواجهها علماء التعليم

ولذلك عنينا بنشر مقالة الدكتور بطلر مع انهُ انقضى على كتابته لها نحو ربع قرن حين كان استاذاً للفلسفة في جامعة كولومبيا. فاننا وجدنا فيها كثيراً من الحقائق والمبادئ التي لم تخلق جدتها . تُرى هل تغيرت آراؤهُ في دلائل حسن التهذيب بما حدث في اساليب الحضارة وطرق التفكير والبحث واركان الاخلاق والعادات من انقلاب وتغيير؟

اننا نتقدم بهذا السؤال الى الاستاذ بولس الخولي استاذ علم التعليم والتهذيب في جامعة بيروت الاميركية احد خريجي جامعة كولمبيا الممتازين راجين منه الاَّ يضنّ على قراء المقتطف بمقال في هذا الموضوع العصري الخطير

خمسة في سيارة

٢

جرينوبل بلدٌ افرنسي محافظ على التقاليد الافرنسية . لا يعبأ بالاجانب الاَّ قليلاً وذلك من ناحية السياح الذين يقصدون الى التصعيد في جبال الالب ومن ناحية التلامذة الذين يأمون جامعتهُ

والصبغة الافرنسية غالبة على امرها في جميع ابواب الحياة الاجتماعية . فحبُّ التوفير ظاهر على كل اعمال الناس . والتقاليد التجارية العتيقة لا تزال سائدة في المصانع والحوانيت الاَّ ماكان منها خاصًّا بلبس النساءِ . والقهوات تملأُ شوارع البلد ولا تمتلئُ بالناس الاَّ القليل منها . وما يسمونهُ بمعدات الراحة العصرية من محلات لغسل الايدي او اماكن للمراحيض لا وجود لهُ الاَّ على حالة قذرة فيرى المسافر وكأَنهُ يعيش في عصر اجداده في الريف

على ان لهذا البلد شهرة واسعة في الهندسة الكهربائية ومدرستهُ في هذا الفن في مقدمة المدارس الاوربية . اما الفندق الذي حطَّ بهِ الرحال اصدقاؤنا الخمسة فلا غبار عليهِ وكانت غرفة المصري منهم رحبة نظيفة ولكنهُ لم يمتع بالنوم ليلهُ من شرما كان يسمع من الجلبة والضوضاء في الغرفتين المجاورتين لغرفتهِ اليمنى منهما واليسرى على السواء

فكأَن الحرية التي اعتاد الغربي الاستمتاع بها قد مدت جذورها حتى جاوزت الحد

فواحدهم اذا حلَّ فندقاً ظنهُ ملكاً لآبائهِ واجدادهِ فيتصرف فيهِ تصرف المالك فيذهل عن جيرانه عند ما يدخل غرفته — والفاصل بينهُ وبينهم جدار من ورق او خشب لا يغني عن السمع شيئاً — فيغنيّ تارةً ويضرب الارض بحذائهِ تارة اخرى ويمزح مع خادم الغرفة مرةً او يداعب زوجه مرة ثانية

فلم تكن هذه الحال مما يطمئن اليها صاحبنا المصري ولم تكن لهُ من جرأَة الاوربيين والاميركيين ما يجعلهُ ينهر جاره ان اصمتْ وماكان لهُ من الاهتمام بحقهِ ما يحدو بهِ الى الشكوى الى مدير الفندق

وهذه نتيجة محتمة — او منطقية على قولهم — لتربيتهِ . فكأَنَّ الغاية العظمى من تهذيب الاولاد وتربيتهم في البلاد التي اصطلح الناس ان يدعوها بالشرق الادنى —

وعند المتكلمين بالعربية على التخصيص — هي ان يكون خاضعاً خجولاً قانعاً متكلاً على القضاء والقدر

فالطفل منهم يصبح ويمسي بين انتهار الام وتوبيخ الاب ان هو ماشى الطبيعة التي اوجدته فقفز ولعب وصاح وكسّر او سأل واستفهم . ولا تزيد تعاليم ابويه له عن قولها هذا عيب. قف استح . قبّل يدي جدك . لا تجاوب من هو اكبر منك سنّاً . فيكبر المسكين بين دافع الطبيعة الحرة وبين دافع التربية السقيمة خجولاً حائراً ويصير رجلاً متردداً مستعبداً او في نفسه قابلية العبودية للاشخاص وللتعاليم وللمبادىء. وليس هذا مما يؤهله لخوض معترك الحياة الشاق ودفع الناس بالمنكب حيث لا يجدي الدفع بالتي هي احسن

فلما اصبح الصباح واجتمع برفقائه رأى شكواه شكواهم ولكنه وجدهم ضاحكين للامر عابثين به فسكت ولم يبدِ اعتراضاً . وتقدم الرفيق الافرنسي باقتراح قال : ها نحن خمسة اتفقنا على السياحة فيما بعد او قرب من هذه الجبال وما وراءها فما بالنا لا نكتري سيارة نستمتع بها كيفما نشاء فنذهب ونجيء حيثما نريد غير مقيدين بتلك السيارة الضخمة وبمواعيدها وبما تجمع من الراكبين . فاستحسن الجميع رأيه واجمعوا ان يكونوا في سيارة واحدة . وكان امراً مقضيًّا — فسميت هذه الرحلة (خمسة في سيارة) تخليداً لهذا الرأي الثاقب

وتصدرت السيدتان السيارة : الانكليزية الى اليمين والافرنسية اللبنانية الى الشمال وصاحبنا المصري على الرغم منه بينهما وقعد الزوجان مواجهين . وهذا ادب جمّ وفضل لا تجده الاّ في معاشر الفرنجة . فايثار الغريب على القريب لا يكون الاّ فيمن رقّ مزاجه وارتقت نفسه

وسارت السيارة تنهب الارض ما كان سهلاً منها وتتئد فيما ارتفع او انحدر قاصدة الى ما اتفق الخمسة على زيارته — قمة من قمم جبال الالب ترتفع الى اكثر من ألفي متر عن سطح البحر

وكان الجوّ صحواً والشمس مشرقة وجمال الطبيعة يأخذ بمجامع القلوب وكأن السفر طربوا لروعة ما رأوا فساد عليهم السكون موجهين كل قواهم الى رؤية ما حولهم. فمن جبال شامخة مكسوة ثلجاً الى جبال تنحدر من تلك فتغطيها الاشجار الباسقة الى سهول خضراء ترغي فيها الابقار والاغنام وخرير الماء المتصبب من الشلالات يعير الطبيعة موسيقى لا بأس بها حينما تمتنع العصافير عن التغريد . وظلت السيارة في تصعيدها

حتى آذنت الشمس بالظهر او كادت وكان الركب قد بلغ قمة فيها محطة هي خان صغير يشرب فيهِ السائح او يأكل او ينام . فشرب القوم واخذوا يمرحون على رأس الجبل ويلعبون كأنهم اطفال — ذلك ان سحر الطبيعة ينسي الانسان مدنية المدن نسياناً مؤقتاً فيعدو بهِ طبعه الغريزي الى عصر طفولتهِ لاعباً مسروراً ذاهلاً عن كل ما في الوجود من بؤس وشقاء

وكان اسرَّ ما سرَّ صاحبنا المصري بقعة متحيزة مكاناً منفرداً من تلك القمة بيضاء من غير سوءٍ — هي الثلج الذي سمع بهِ ونظرهُ عن بعد على قمم الجبال ولكنهُ لم يكن قد لمسهُ عن قرب قط . فسار اليهِ ووقف الى جانبهِ وجاس يأخذ منهُ بيده كما يلتقط الولد حليةً وعاد بقطعة منهُ الى رفاقه يقول لهم انها اول مرة لهُ في حياتهُ رأى فيها الثلج عيناً لعين ولمسهُ يداً ليد—فضحك القوم وهنأوهُ بفوزهِ المبين . ثم عادوا الى السيارة تنحدر بهم الى قرية تنتسب الى القديس چوليان على ان يتناولوا فيها غذاءهم

ومرّوا بنفق يخترق جبلاً وهو النفق الذي مرَّ من فوقه — ولم يكن بعد نفقاً— نابوليون غازياً ايطاليا وجلسوا في مكان يدعى « مطعم نابليون » فرأوا هناك جمعاً لا يحصى من السياح في سياراتهم وكلهم جالس في هذا المكان لان رجل نابوليون وطأته

وليس في الدنيا كاسم نابوليون سحر يأخذ على الناس عقولهم وعواطفهم !

فقد يتخشّع الناس لذكر نبي او رسول بفعل الدين وبحكم التربية اما هذا الكورسيكي الذي يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فليس ابناً لاله ولا رسولاً يتلقى الوحي من السماء . ولكن اعمالهُ تفوق طاقة البشر فتراهم لا يملون من تقديس كل أثر من آثاره عسكرياً كان ام مدنياً كأن العبقرية تأبى الاّ ان تفرض على الناس ما لها عليهم من حق الاجلال والتعظيم

وكان اشد الناس اطناباً بنبوليون صاحبنا الانجليزي . فانهُ انتزع غليونهُ من فمهِ وقال ما تمنيت في حياتي الاّ امراً واحداً هو ان اكون قد ولدت في زمن هذا الرجل العظيم وسيان عندي اكنتُ انكليزياً محارباً او انكليزياً مصافياً فان نخر خصومته ليست باقل من نخر اطاعتهِ ولا انقم على بلادي شيئاً نقمتي على حكومة تلك الايام تجور عليهِ اسيراً في جزيرة القديسة هيلانة

وارادت السيدة اللبنانية الاصل ان تتفلسف فقالت ولكنهُ يتم الاطفال وأيم النساء بحروبه ثم عاد بفرنسا في النهاية اصغر مما كانت عليهِ في البداية

لانكليزي — عفوكِ أيتها السيدة المحترمة. فان يكن نابوليون امات الالوف حرباً

فذلك خير من ان يميتهم الوباء والفقر والعبودية . ورب موت خير من الف حياة . ان هذا الرجل حطّم قيود اوربا العتيقة وطهّر دمها الفاسد المتجمد فسرى في شرايينها سرياناً جديداً حارًّا كانت نتيجتهُ اوربا الحديثة وما هي عليه الآن من حرية ونظام

السيدة — أليس من سبيل الى هذه الحضارة الاَّ الحرب ؟

زوجها — وهل من سبيل الى تصحيح جسم مكسّر الاَّ بعملية جراحية ؟

الانكليزي — ليست الحرب معشوقتنا نحبها لذاتها ولكنها ضرورة من ضرورات النفس الحية دعي عنكِ الضرورة الاقتصادية والاجتماعية — فحب الحرب في الناس غريزة كغريزة الحركة في الاطفال فكما ان الطفل الذي لا يتحرك لا يعيش كذلك الرجل اذا فقد الخاصة الحيوية التي تجعلهُ مقداماً مقاوماً فاتكاً فقد اضاع كيانه

ما بالنا نعمى عن الامور فلا نراها كما هي — أليست الشعوب التي حاربت وغلبت هي الشعوب التي مدّنت وعمّرت؟ وهل تقدم الكون بالصوم والصلاة ام بالجلاد والكفاح حتى اسمى مبادىء الدين السلمية اخذها البشر وحاربوا لاجلها وسفكوا الدماء انهاراً

ذلك ان الانسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة . والطبيعة شاملة جامعة لكل شيء متناقض فلا تسير امورها الاَّ بمساعدة الوقت والقوة والحيلة فاذا بعد الانسان عن هذه القاعدة سقط ومرّ المارّون وراءهُ بارجلهم على جسدهِ لا يرحمون

السيدة الانكليزية — اما كان خيراً وأبقى للجنس البشري ان يتعاون ويتضامن لا ان يتخاصم ويتطاحن ؟

المصري — يشير برأسه موافقاً

الانكليزي — التعاون والتضامن وما اليهما من الاقوال التي اظهرها الناس في هذا الزمن ليسا الاَّ مظهراً من مظاهر القوة او الحيلة . اذا اشتد الرجل وقوي ورأى امامهُ آخر ضعيفاً فانهُ لا يعاونهُ ولا يتضامن معهُ في احوال الحياة المادية منها والادبية . واما اذا رأى حزاءهُ رجلاً مثلهُ قويًّا دفعتهُ المصلحة الى التضامن والتعاون

اجعلي كلّ الناس اقوياء تجعليهم كلهم متضامنين متعاونين . والويل للضعيف — هذه آية الطبيعة الذهبية

فاذا ما جاءت الرسل والانبياء وقالوا لنا غير هذا صدقناهم باقوالنا وكذبناهم باعمالنا

يقول رسل السلام : ان الحرب مضر بالغالب وبالمغلوب . نعم . ولكن الامر ليس امر حكم عقل بل حكم عواطف . والشعوب تسير بعواطفها اولاً ووراء بطونها ثانياً .

واما العقل فالبشرية حديثة العهد بهِ . وما ادرانا ألاّ يكون الحرب سلماً يتسلقه هذا الشعب مرةً الى القمة ثم يهبط ويتسلقهُ شعب آخر

السيدتان معاً — ان الرجال وحوش ضارية

الافرنسي — بل حمام واغنام اذا حكمتنّ انتنّ أيتها السيدات

هذا واذا بالسيارة تهرول في مضيق معرج من واد هناك فكانت تميل بالرفقاء مرة الى الشمال فيميل صاحبنا المصري من غير سوء على جارتهِ اللبنانية ثم ترتد مائلة الى اليمين فيميل صاحبنا على السيدة الانكليزية . وليخجل كل ظنان اثيم — فانهُ ان كان الاصطدام بجسم سيدة خيراً من الاصطدام بخشب السيارة وجلدها فان تربية الجميع وعلو اخلاقهم ماكانت تدع سبيلاً فيما بينهم لغير الاحترام الفائق والود الصافي

وظل الحال على هذا المنوال نحواً من نصف ساعة وحانت من الجالسين الاربعة التفاتة الى رفيقهم المصري فرأوهُ اصفر الوجه ممتقع اللون . فسألوهُ السبب فقال لا شيء — ثم اضطرب ووضع يدهُ تارة الى رأس معدتهِ واخرى الى رأسه وقال اني اشعر كأني في البحر وقد اعتراني الدوار

وسمع السائق ذلك فقال هو دوار الجبال . فهل اصابك . ان كثيرين يصابون في الجبال بدوار كدوار البحر حذوك النعل بالنعل . فاشددْ عزمك قليلا فقد وصلنا الى المطعم او هو على قاب قوسين منا

واهتم الرفقاء كلهم بامر المصري فاعطتهُ احدى السيدتين ملحاً يتنشقهُ واعطتهُ الاخرى ماء كولونيا يمسح بهِ جبينهُ . أما هو فكان يذوب خجلاً وشكراً في ظاهرهِ ويلعن ساعتهُ في باطنه ويقول لماذا أُصاب انا دون الناس بهذا الدوار دوار الجبال . ولقد كنت اظن الامر مقتصراً على البحار فاذا بي انا انا في البحر والجبل مرض في البحر ومرض في الجبل كأنهُ قدّر لنا سكان السهول ان نعيش عيشة الهدوء والخمول فنظهر بمظهر الضعف امام هؤلاء الغربيين رجالهم ونسائهم

وجاء الفرج فوقفت السيارة ونزل السفر الى مطعم يأكلون ويشربون. اما اللحوم فكان طعمها فاخراً واما النبيذ فلم يقدم عليهِ صاحبنا المصري الاَّ مكرهاً مدفوعاً بعاملين عامل مجاراة الرفقاء وعامل الاستشفاء من الدوار . وفعل النبيذ فعلهُ فذهب عن المصري مرضهُ وسرّي عن الانكليزي فلم يعد يشير الى الدنيا اشارة الحانق الاَّ تلميحاً مفضلاً الوسكي على كل ما يحتسي

سامي الجريديني

انشودة

لجبران خليل جبران

نقلا عن كتاب « رمل وزبد »

ماذا تقول الساقية

سرت في الوادي وقد جاء الصباح
معلناً سرَّ وجودٍ لا يزولْ
فإذا ساقيةٌ بين البطاح
تتغنى وتنادي وتقولْ —

ما الحياةُ ؟
بالهناءْ ؟
انما العيشُ نزوعٌ ومرامْ
ما المماتْ ؟
بالفناءْ ؟
انما الموتُ قنوطٌ وسقامْ

ما الحكيمْ ؟
بالكلامْ ؟
بل بسرٍ ينطوي تحت الكلامْ
ما العظيمْ ؟
بالمقامْ ؟
انما المجدُ لمن يأبى المقامْ
ما النبيلْ ؟
بالجدودْ ؟
كم نبيلٍ كان من قتلى الجدودْ

ما النسبْ ؟
بالقيودْ ؟
قد يكون القيد أسنى من عسجدْ
ما النعيمْ ؟
بالشهواتْ ؟
إنما الجنةُ بالقلب السليمْ
ما الجحيمْ ؟
بالعذابْ ؟
إنما القلبُ الخلي سقرُ الجحيمْ
ما العقارْ ؟
بالنضارْ ؟
كم شريدٍ كان أغنى الأغنياءْ
ما التبرْ ؟
بالكنزْ ؟
ثروةُ الدنيا رغيفٌ ورداءْ
ما الجمالْ ؟
بالوجوهْ ؟
إنما الحسنُ شعاعٌ للقلوبْ
ما الكمالْ ؟
للبريهْ ؟
ربّ نقصٍ كان في بعض الذنوبْ

—•—

هذا ما قالته تلك الساقيهْ
لصخورٍ عن يمينٍ ويسارْ
ربّما قالته تلك الساقيهْ
كان من أسرار هاتيك البحارْ

جبران خليل جبران

الدكتور صروف والتجديد في اللغة العربية

١ً مدخل البحث

بلغت اللغة العربية في الخمسين سنة الاخيرة مبلغاً ، لا يقاربهُ في تقدمها ورقيها الاّ عصر العباسيين ، ذلك العهد الذي نشطت فيهِ لغتنا المبينة حتى ادهشت جميع العلماء في جميع الديار وفي جميع الاحقاب

وكل من وقف على هذه البرهة الاخيرة من تاريخ لساننا يعجب من وصولهِ الى درجة لم يكن يحلم بها آباؤنا قبل نصف قرن ، فالى من يُنسب هذا الرقي ؟

اننا لا ننكر ان هناك عوامل توافرت فتضافرت على دفع لساننا الشريف الى هذا التقدم ، فمنها الرجال ، ومنها المدارس ، ومنها الديار ، ومنها المطبوعات (من جرائد وكتب ومجلات) ونحن لا نريد ان نبخس كل فريق حظه من التكاتف والتحالف للبلوغ الى هذه النتيجة العظمى ، نتيجة الحياة السعيدة ، بل نختصر الكلام ونقول : ان اعظم من سعى الى انهاض لغتنا الضادية من حضيض الخمول هو محمد علي ، جد الاسرة الملكية ، اذن مصر هي ام النهضة الحديثة ، ورأس الديار العربية اللسان في السير بهذا الانبعاث ، انبعاث العرب وآدابهم وحياتهم القومية الجديدة ، ثم يأتي ارباب المدارس ومنشئوها ، ولاسيما اصحاب مدرستي الاميركيين واليسوعيين في بيروت ، والمدارس المصرية الإميرية والاجنبية في ديار وادي النيل

٢ المقتطف او صروف محيي العربية ومنشّطها

لقد تغلغلت هذه الحقيقة في قلب التاريخ ، حتى اصبح نزعها منهُ بمثابة نزع حياتهِ منهُ ، او القضاء على حركتهِ النابضة فيهِ ، وهو امر مستحيل ، وكنا قد أشرنا الى ذلك في ختام مقالٍ لنا ادرج في « الكتاب الذهبي » ص ١٣٩ وهذا حرفهُ :

« . . . لان العرب اذا نهضوا اليوم يدعون بحقوقهم ، وينتسبون الى قوميتهم ، ويفاخرون بحضارتهم ، وعمرانهم ومدنيتهم القديمة ، ويساجلون ابناء الغرب في اخلاقهم الفطرية ، والمكتسبة العالية ، ويباهون اهل العصر بصفاتهم الشرقية ، ويبارون بشعرائهم ، وادبائهم ، وكتّابهم في معالجة المواضيع الحديثة ، والمعاني العصرية ، فاكثر ذلك راجع الى المقتطف

« فهو هو الذي اشرق شمس الحقائق على بلادنا العربية ، هو هو الذي بدأ فنادى بنزع القيود القديمة العقيمة التي تمنع العربي من الجري وراء الغربيّ العدّاءِ ساعياً طليقاً ، هو هو من اول المنادين بازالة طريقة الكتابة القديمة العقيمة ، إقبالاً على الموضوع المنشود اقبال هاجم او متهجّم ، لا اقبال متملق أو مماسح

« ولذا ترى كتابنا اليوم غير كتابنا بالامس ، وشعراءنا في هذا القرن غير شعرائنا الموتى الهامدين في العصور السابقة ، وبهذا القدر كفاية للمتدبر . » اه

ولم يكن لنا متسع في ذلك الموقف لنطيل الكلام فيما كان يختلج في صدرنا ، ونحن في موقف « العرس » وهو غير موقف « التثبت » . اما اليوم — وقد وقفنا الوقفة الاولى في الأمس — فيحق لنا ان نقف الوقفة الثانية ، فنقول :

الدكتور يعقوب صروف اغنى لغتنا المبينة الفاظاً ، وتعابير او افكاراً ، وتصانيف لم تكن معهودة في سابق العهد وكل ذلك بقدر وافٍ لا ينكر ، ونحن نورد اثبات كل حقيقة قائمة بنفسها على حدةٍ ، لكي لا نرمى بالمبالغة أو الغلو

٣ً الفاظ المقتطف

لما أُنشيء المقتطف ، كان الكتاب يروون الكلم الاعجمية بصور عديدة ، شنيعة ، متنوعة ، حتى انك ما كنت تتمكن من ان تهتدي الى حقيقتها مهما بالغت في التنقيب عن اصلها ام صورتها الاصلية ، وان دفعتهم الحاجة الى ذكرها ثانية ، نسوا ما كانوا قد ذكروهُ واوردوها بصورة ثانية غير الصورة الاولى ، وهكذا يفعلون في التصحيف والمسخ كلما زادوها ذكراً او إشارة. وكنت قد جمعت مثل هذه الحروف المشوهة عدداً جماً يضحك الثكلى ، ثم عدلت عن متابعة البحث ، لما رأيت من وفرة تلك الكلم وصورها الشنيعة الممقوتة بحيث كرهت الامر أشد الكراهية

على ان مجرد القول لا يكفي في هذا الموضوع ، بل لا بد من ايراد شيء ولو كان شاهداً واحداً ليكون للقارىء مقياساً او معياراً لبحثهِ او تحقيقه ، ولهذا اذكر لك لفظة واحدة في نهاية البساطة ادعاماً لرأيي

هذه الكلمة الافرنجية Gazette التي نسميها اليوم صحيفة او جريدة ، فاول ما جاء ذكرها في المنشورات كان بصورة غازَتّة (بتشديد التاء التي تلي الزاي) ثم خفّفت فقالوا غازتة (كجالسة) ثم غازيتة (بزيادة الياء قبل التاء) ، وغزتّة

وغزَتَة وغزَيْتة ، ثم قلبوا الغين جيماً في جميع هـذه الروايات الست وجعلها اهل العراق كافاً فارسية فصارت الروايات ثماني عشرة ! ثم نخموا تاءها المثناة فجعلوها طاءً فتضاعفت الروايات وبلغت ستًّا وثلاثين ! ولعل هناك غيرها لم نطلع عليها ، او لم نعثر عليها ، اولم نقرأها او لم نسمعها . فانت ترى من هذا كلهِ ، ومن ذاك التسامح أو التساهل ما يشوّه محاسن لغتنا ويقبح الاشتغال بها ، ويزيدها الفاظاً بروايات عجيبة غريبة ونحن في مندوحة عنها اذ غايتنا تخفيف اعباء اللغة والاحتفاظ بما يفيدنا ونبذ كل ما يضرنا باي وجهٍ كان

ما ذكرناهُ من اختلاف الروايات هو لكلمة واحدة يكاد الناس جميعهم يعرفونها الى عهدنا هذا ، فما القول في الالفاظ الاعجمية الطويلة الاهجئة ، الغريبة الحروف ، الشنيعة الصور ، المعوجَّة الاوزان ، المخالفة لاوضاع يعرب ؟ — ذلك يطول الخوض في عبابهِ ، لان الاقدمين منا جروا في هذا المضمار عينهِ ، فصُحّفت الكلمة الواحدة تصحيفات لم تمرّ في خلد بشرٍ

اما المقتطف فلهُ هذه المزية العظمى التي خدم بها لغتنا وخدمنا نحن المنتمين اليها خدمةً لا تقدر وهي : انهُ اذا وضع كلة غريبة لاول مرة ، ذكرها ثم اذا أعاد ذكرها مراراً مهما كان عددها بالمئات ، تابع كتابتها على وجهها الاول ، وقد بقي مواظباً على خطتهِ المذكورة حتى آخر جزءٍ برز في حياتهِ . وهناك عمل آخر وهو انهُ اذا ذكر لفظة غريبة لاول مرة شرحها شرحاً وافياً على اصول العلم الحديث يغنينا عن مطالعة مثلهِ في سائر الكتب الافرنجية ، لان علاّمتنا لم يكن يتوخى في كل ما يكتبهُ الاَّ اصدق الآراء وخير الروايات واقبلها للعقل السليم الخالي من الغرض ، ولا يفرغ اللفظة الاَّ في قالب عربي او يكاد ، بحيث يسهل حفظها على ابن عدنان ، حتى ليظنها عربية النجار

ولو جمع اللغوي العصري جميع ما ورد من هذه الحروف الغريبة الوضع والمعنى التي ذكرها المقتطف (وان قلت الدكتور يعقوب صروف فانك لا تخطيء لان للفظين المختلفين معنىً واحداً) لقام بين يديك مصنف بديع يصغر في جنبهِ كل ما كتب عندنا ، بل كل ما كتب عند واحد من ابناءِ الغرب ، مهما كان متبحراً في العلم والعرفان

ولا بد انك تطالبني بشاهد على حدّ ما فعلتُ في صدر هذا الفصل فاقول : اني لا اذكر لك من هذا القبيل الاَّ كلة واحدة هي فصفور ، فانهُ ذكرها منذ السنة الاولى

بهذه الصورة وحافظ عليها الى آخر يوم من حياته ، إنْ تكلماً كما سمعته ينطق بها مراراً وان كتابةً ، كما تشاهدها مدونة في آخر ما خطته يده ذاكراً هذه الكلمة ، وكذلك قل عن شرحها . اما الغير فذكروها على مناحٍ متعددة ، منها : فسفور ، وفوسفور ، وفوصفور ، وقصفر ، وفسفر الى غيرها ، لكن اليوم غلبت صورة فصفور (كعصفور العربية الوزن) سائر الصور ، وكتب لها البقاء ، مع ان البستاني قيّدها في محيط محيطه بالوجه الذي ذكره في مادة (ف س ف ر) اي الفسفور . فكان على الناس ان يتبعوا البستاني لانهُ لغويٌّ ، وما كان عليهم ان يهتدوا بنور صرُّوف لانهُ عالم فيلسوف لم يتخصص للغة كما تخصص البستاني لها ، لكن تبع الكل « صرُّوفاً » ونعم ما فعلوا . وازيد على ذلك فاقول : لو كان الفقيد اتخذ رواية غير رواية «الفصفور» التي اشتهرت ، لكانت هي المتبعة دون غيرها ، الاَّ ان حسن ذوق صاحب المقتطف هو الذي جذب اليه تخير احسن الروايات فجذب وراءهُ ارباب الاذواق السليمة والاقلام المحققة ، فنعم التعريب ونعم المتبع والمتبع

وكنت اود ان اذكر هنا الفاظاً جمة من هذا القالب ، لكن ذلك كلهُ لا يزيد الموضوع شيئاً طريفاً

ومما يفتخر به كل عربي غيور على لغته انهُ وضع الفاظاً عربية لا تحصى في جميع فروع العرفان ، وهذه الفروع متوافرة في المقتطف اذ عالجت كل علم وكل فن وكل صناعة ، ولم تهمل مبحثاً من المباحث ، كما انهُ احيا الفاظاً كانت مدفونة في زوايا المهارق فجلاها لنا

اما الالفاظ التي هي من وضع المقتطف فكثيرة لا يخلو منها مجلد ، وانما انا اذكر هنا بعض ما شاع منها مع ما يقابلها في الفرنسية تفادياً من الشرح واقتصاداً في الوقت فمن ذلك

الاحافير — Fossiles الرقص البداوي Pavane او Padovana وقد قال الفقيد في اصل هذا الحرف (المقتطف المجلد ٦٦ : صفحة ١) نوع من الرقص ، يقال إنهُ منسوب الى پادُوَى ، بلد في ايطاليا . فان كان ذلك صحيحاً فتكون الكلمة العربية معرَّبة ، ولكننا نظن انها اصلية ، نسبة الى البدو او البادية اه . قلنا : والعوام من العراقيين ، ولا سيما النصارى منهم ينسبون الى البدو : بدّاوي (بتشديد الدال يليها الف) فلا يبعد في ان الافرنج سمعوا العوام ينطقون بها فاخذوها ، والافرنج لا ينقلون الكلم الاَّ عن العوام ، حتى انهم يفعلون ذلك في اعلام المدن ، ولا يعتبرون

ما ورد منها في الكتب الفصيحة . حجر الفتيلة Asbeste . الصحافة Presse . علم النفس Psychologie . علم الوجدان وبالانكليزية Consciousness . المثال الاعلى Idéal . السكَّيْت ، كلمة عامية تفيد بعوض البرداء لانهُ لا يطنّ اذا طار بل يبقى ساكتاً ، فرضي بان تدخل في اللغة الفصيحة لحاجتنا اليها ، وهو الذي يسميه عوام فلسطين ولاسيما في انحاء جبل الكرمل « الهسهس » . واهل العراق « ابو فلس » وبلسان العلم انوفيلس Anopheles . الاستهواء Suggestion . مناجاة الارواح Spiritisme . تنازع البقاء وهي بالفرنسية La lutte pour la vie وبالانكليزية Struggle for life الاَّ ان العربية افصح مما وضع لها في اللغتين واوضح وهي من ابدع ما جاء في لساننا ، ولا جرم انه يكتب لها الخلود الى ابد الدهر . ولو لم يضع صروف الاَّ هذه الكلمة لكفاهُ وقوفاً على اسرار اللغات الدخيلة وخفايا لساننا المبين المتين . مذهب النشوء والارتقاء Transformisme . مذهب التطور Evolutionisme . الداروِنية Darwinisme . التنويم Mesmérisme . المغناطيسية Magnétisme . التعضية : « تحويل الغذاء حتى يصير من جنس العُضْو الذي يدخلهُ » (المقتطف ٦٦ : ٥٢) Assimilation . السرَب Tunnel . الوسيط Médium . الطهارة (الملاية) Drap de lit القطيفة (البطانيـة) Couverture de laine . علم الاحداث الجوية Météoreolog[ie] . التدويد : « ادخال سلكٍ من الحديد ، او عود دقيق في النخر حيث الدود ، وقتل الدود بهِ » (المقتطف ٦٦ : ١٠٣) . اللاسلكي Télégraphie sans fil . علم الاحياء Biologie

ولا بد من الوقوف الى حدّ في ايراد هذه الالفاظ فاقف هنا وانا لم اذكر منها الاَّ ما ورد في بعض صفحات من تلك المجلة الجليلة القدر ، وانتقل الآن إلى سرد بعض الكلم التي اخرجها من مدفنها اللغويّ وذكرها في مقتطفهِ ولم يكن احد قد سبقهُ الى اتخاذها . من ذلك : كثير من اسماء صور الكواكب وعدة الفاظ فلكية . ومنها اللِّيم Citron وقال عنهُ هو الليمون الصغير المعروف في مصر باسم بنزهر (المقتطف ٦٦ : ٥٣) زيت كبد الحوت (زيت السمك) (٦٦ : ٥٤) الكِلَّة (الناموسيـة) Moustiquaire . الرُبع Quandrant . السدْس Sextant . الشهوات وهي التي عرفها بعض المعاصرين او المحدثين باسم العواطف Passions مع ان العواطف هي Inclinations والشواعر هي المعروفة عند الغربيين

باسم Sentiments (راجع المقتطف ٦٦ : ١٠٤) . خصَّ كلمة المستشفى بما يسميهِ الفرنسيون Hôpital وخص بيمارستان او مارستان بما يعرف عندهم بلفظ Maison d'aliénés . الكساح على ما في المقتطف (٦٦ : ١٢١) « مرض اكثر ما يصيب الفقراء وصغار الحيوانات فيختل نموّ العظام حينما يبتدئ الولد يمشي ، او حينما يبتدئ ظهور اسنانهِ ، فتنتفخ اطرافها ويتوقف نموّها وتلتوي الاضلاع الى غير ذلك من الاعراض المميزة لهذا المرض » Rachitisme . سغالة (بلاد في افريقية) Mozumbique . المدرَّج Amphithéatre . الكحول Alcool هذه الكلمة دافع عنها فقيدنا مراراً عديدة وتمسك بهذه الصورة دون غيرها من جميع الروايات التي ابرزها العصريون لابناء لغتنا . فقد قال احدهم يجب علينا ان نقول « الغول » وقال آخرون بل لنقل « الكؤول » ، وفريق « الالكحول » وجماعة « الكحل » ، اما المقتطف فقد تشبث « بالكحول » ولم يخرج عنها . واتفق لهُ ان كتب عن هذا الوجه مراراً وآخر مرة تكلم عنها ، كان في سنة ١٩٢٥ في ٦٦ : ٢٠٩ جواباً على مقترح وهذا نصهُ :

« ليس من السهل الغاء كلمة كثر استعمالها ، ووضع كلمة اخرى بدلاً منها . ولو كانت الثانية (مانار المركبة من ماء ونار وكان قد عرضها المقترح على المقتطف بدلاً من الكحول) إصح من الاولى واخف لفظاً . ومن الاقوال المأثورة : الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور . ثم ان لكلمة الكحول مزيةً على غيرها : انها شائعة في كل اللغات الاوربية التي يقرأ ابناؤنا كتبها العلمية والصناعية . ومصلحتنا تقضي علينا ان نسير في الطريق الاقرب والاسهل لاقتباس العلوم والصنائع من الاوربيين ، والاَّ بقينا منحطين عنهم ، وقضي علينا . ومن ذلك اقتباسنا كلماتهم كما فعلوا هم لما كانوا دون العرب في الفلك والكيمياء ، فاقتبسوا منهم كثيراً من الكلمات اليونانية » انتهى

على ان صورة الكلمة « الكحول » التي وردت عند السلف هي « الكُحـُل » ، لكن اراد الدكتور الفقيد ان يخصص « الكحل » بما لطف ودق من الاثمد علاجاً للعين ، واما الكحول ، وزان دخول ، فخصهُ بما لطف من روح الخمر وهكذا سهَّل على القراء تمييز لفظةٍ عن لفظةٍ خوف اللبس (راجع ما كتبهُ احد الادباء في مجلة المشرق البيروتية ٢ : ٣٠٧ في الحاشية ففيها مجزأة للباحث) اما ان الكحل عنى الذائب او السائل فما لا شك فيهِ جاءَ في لسان العرب في مادة (ب ر م) : البرَم : الكحل

المذاب . واما اعتراض البعض ان الكحول بالواو لم يرد في كلامهم فهذا لا يمنع الاصطلاح . هذه كلمة البخل فانها وردت بصورة بخول ايضاً والمراد بها المفرد (راجع تاج العروس في مادة ب خ ل) ، فاذا كانت كلمة البخل وليس فيها معنى ثانٍ جاءت بصورة بخول ، فلماذا لا يجوز لنا ان نقول « كحول » ونحن نريد لها معنى يختلف عن معنى الصيغة الاولى ؟ ذلك عمل واجب القيام بهِ تيسيراً لتوجيه الافكار الى المعنى المطلوب وهو امر لا مناص منهُ ، بل لا بدَّ منهُ

ما قلناهُ الى الآن كافٍ لاظهار فضل صروف في احياء الالفاظ الميتة او المدفونة او المنسية او ما تريد أن تسميها وفي خلق أو وضع الفاظ تقوم بحاجات عصرنا . ولو أردنا لامتدَّ بنا النَفَس الى ما نملأ جزءًا من اجزاء المقتطف، لذلك اجتزأنا بما تقدم لنأتِ الآن على ذكر التعابير او الافكار او الخواطر التي أتى بها المقتطف وقلب بها العربية ظهراً لبطن

٤ً تجديد أفكار كتّابنا

كان الكاتب عندنا قبل خمسين سنة ، اذا كتب في موضوع ، صدَّر كلامهُ بمقدمة طويلة عريضة ، وختمهُ بمؤخرةٍ أطول من ذنب الطاووس . في المقدمة يقول معتذراً انهُ ليس من فرسان ذلك الميدان ، وانهُ يقرُّ بجهلهِ وضعفهِ وعجزهِ وهو مع ذلك يقدم على معالجة الموضوع متكلاً على عونهِ تعالى حامداً اياهُ . الى غير هذه الاقوال التي ألفها الجميع وأصبحت حصناً حصيناً ، يبنى حول كل بحث من أي نوع كان، حتى انهُ كان يستحيل على الباحث ان يجاوزهُ الى ما وراءهُ او الى ما يحيط بهِ ، وما كان يتصور انهُ يتسلق جدرانهُ المنيعة . وكان نصيب من يخالف هذا التقليد من أشدّ الناس مروقاً من الدين ، وان كان الكاتب لا يتعرض لهُ بكامة ، لكن هكذا كانت الافكار يومئذٍ ، وهذا ما يرى فيما أُلّف وصُنّف ونقل الى لغتنا قبل بروز المقتطف. وأما الخاتمة فلا بد من ان تكون « والله أعلم » او « وهو الهادي الى سواء السبيل » أو « وعلى الله الاتكال في المبدأ والمآل » الى امثالها

أما صروفنا فقد ظهر منذ ان قبض على عنان قلمهِ بمظهر خالف كل من تقدمهُ ، فكان يهجم على الموضوع هجوم الاسد الضرغام على فريستهِ ولا يتركهُ الاَّ من بعد ان يوفيهُ حقهُ من البحث ، او ارجع وقُلْ : كما يفترس الليث فريستهُ فلا يبقي منها

ولا يذر . اذن لم يكن لمقالات صروف مقدمة ولا مؤخرة ، محتذياً بذلك اسلوب الغربيين الاقصر والاوفى بالمقصود ، فكان اسلوبهم مثالاً اعلى لهُ يقتدي بهِ لانهُ يؤدي الى المطلوب بلا عناءٍ ولا لغوب

. ومن خصائص اسلوبهِ ايضاً انهُ يتخذ للتعبير عن فكرهِ اسهل الالفاظ، واقربها الى الادراك ، وامنعها تركيباً ، وأعظمها إمتاعاً لسامعها ، بينما كنت ترى من تقدمهُ يتحذلق فيما يضع ، ويتقعر فيما ينطق بهِ ، ويتبقّر فيما يلتمس لهُ من البحث ، فيتطلب لهُ أعوص الكلم واعصاها على الافهام ، لكي يقال عنهُ انهُ يُحسن العربية ومطّلع على غوامضها وشواردها ،وانهُ غواص في اللغة يهوي الى قعر بحرها ليلتمس لهُ ما يريد من اللآلئ لينظم بها حلى افكارهِ . أما فقيدنا فقد أبان في عدة مواطن من مقتطفهِ ، ولاسيما في المجلدات الاولى منهُ : ان العلم نعلّمهُ من يجهلهُ ، فاذا كان الامر كذلك ، فلا يحسن بنا ان نتخذ لساناً يجهلهُ لئلاَّ يجتمع جهلان : جهل العلم وجهل اللسان ، بل يجب ان نكلم الناس ابسط الكلام وأسمحهُ لكي لا تجتمع ظلمتان ظلمة فوق ظلمة ، ظلمة العلم وظلمة اللغة . فاذا دخلت حجرة مظلمة واردت ان ترى ما فيها ، اتزيل ظلماتها بسدّ ما فيها من النوافذ والابواب ، ام تفتحها وتأخذ بيدك ضياء لتبدّد بهِ مالا تستطيع النوافذ والابواب ان تلاشيهُ بانوارها ؟ — فالاولى صفة الكتّاب المتحذلقين ، والثانية صفة ماكان يكتبهُ صروف ليعلم الناس ماكانوا يجهلونهُ من المباحث او ليبوح بماكان مدفوناً في صدرهِ الكريم او مودعاً فيهِ من عظائم الاسرار ، وجلائل الحكم

قام عليهِ في بدءِ الامر عدة كتبة ، واخذوا يسخرون من اسلوبهِ ومن الفاظهِ ومن تعبيراته ، لكن ذلك كلهُ لم يزعزعهُ قيد شعرة ، بل ثابر على خطتهِ هذه ، الى آخر نسمة من حياتهِ . فاضطروا الى ان يعدلوا عن منهجهم ويحتذوا بامامنا ويجاروهُ في كل امرٍ توخاهُ هو ، لعلمهم ان الحق يعلو ولا يعلى عليهِ ، ولان الحق واحد لا يتعدَّد ، ولان الناس يتبعون الاوضح من الطرق ، والاسهل عليهم للسعي فيهِ بلا عنت ولا كلفة ، واليوم ترى النشء الغضّ كلهُ جارياً على هذا المنحى لا يلوي الى ذات اليمين ولا إلى ذات الشمال كما لا يلوي وجههُ الى ورائهِ

هذا من جهة الاسلوب وانتقاء الالفاظ والهجوم على الموضوع هجوم ليث ضرغام

على فريستهِ . بقي هناك التعبيرات الجديدة التي نقلها من لغات الغربيين الى لغتنا . فهذا امر يطول عليَّ ايرادهُ او تبيانهُ او شرحهُ ، لانك تتحقق ذلك بنفسك ، اذا ما طالعت نقلهُ لـكتاب « سر النجاح » في طبعتيهِ الاولى والثانية . فانك ترى فيهِ من محدث التعبير ما لا عهد لاجدادنا بهِ . وحينما أقول لك طالع « سرّ النجاح » فليس معناهُ لا تطالع المقتطف ولا سائر كتبهِ ومستخرجاتهِ ومقالاتهِ ، فهذه كلها من فكر واحد ومن منتج واحدٍ وان شئت فقل : ان تلك الجداول والانهار كلها من ينبوع واحد هو دماغ المفكر العظيم ، وان أبيتَ الاَّ ذكر شواهد على ما اقول ، آخذ الجزء الاول من المجلد الاخير (الحادي والسبعين) وهو جزء يوليو (تموز) من هذه السنة ١٩٢٧ آخر جزء صدر في ايام حياتهِ وفي نظرهِ فاعرض عليك قولهُ من التعابير الغربية النزعة :

« وأحاديث المجالس تدور على جرأتهم واقدامهم » (ص ١) بمعنى تجري : —

وفيها : « والجو يعجُّ بطياراتهم وضجيج محركاتها » فالفكر والتعبير والاسلوب وكل ما فيهِ جديد حديث

وفيها : ... « يعيدان الى الذهن ما دوَّنهُ التاريخ في طياتهِ عن عصور الارتياد الذهبية » فقولهُ طيات التاريخ . ووصفهُ للعصور بالذهبية ، كل ذلك من وضع ابناء الغرب ، وهو من أحسن التعبير وابينهِ للمطلوب

وفيها : ... « في اقتحام الاصقاع المتجمدة حول قطبي الارض والانتصار عليها » تراهُ يتكلم عن الاصقاع المتجمدة ، مع ان السلف لم يتكلم عنها ، واذا رأيت بعضهم يفصح عنها قال : الاصقاع الجامدة ، لانهم لم يقولوا في لسانهم « تجمد » لـكنهُ رأى في « تفعل » ما لم يرهُ في وزن « فعل » اذ وجد في التجمد جمداً على جمد على جمد الى ما لا حدَّ لهُ فقال ما قال فاين هذا من فعل جمد الذي لا يؤدي هذا المعنى . اذاً اراد ان يؤدي المعنى الناشىء من تراكم الجمد بعضهُ على بعض مدة قرون وقرون فقال تجمد ولم يخف من ان يستخف بهِ احد لانهُ حاول تصوير معنى ناشىء من مباحث العلم لم يكن يعرفهُ سلفنا

وفيها : « كان الطيران في مهدهِ » تعبير بديع ، شفَّاف ، وصَّاف ، كشَّاف ، فهل يمكنك ان تصوغ هذا المعنى وتفرغهُ في غير هذا القالب المأخوذ من ابناء الغرب ؟

وفي هذه الصفحة غير هذه التعبيرات وكلها افرنجية القوام ،عربية اللباس، يدركها القارئ من غير ان ينعم النظر فيها ، بل عند مجرد سماعهِ اياها . وان حاولت ان تفرغها بقالب غير هذا القالب الذي ابدعهُ لك «محيي لغتنا » ضحك منك القارىء بل استغرق في الضحك ، لا بل ربما استخرط في البكاء

٥ً اغنى صرُّوف لغتنا وجدّدها بتصانيفهِ المتعددة

لو قلت لك ان الدكتور يعقوب صروف هو اكبر كاتب او مؤلف وجد في العربية منذ ان وجدت الى يومنا هذا ، لأكبرت الامر وانكرتهُ وقلت عني : هـذا رجل مبالغ او مُغال في كلامهِ ، ان لم يكن كاذباً فيما يدّعيهِ — وان قلت لك ان صرُّوفنا وضع اكثر من ٨٥٠٠ « كتاب » ، لقلتَ : هذا الكذب الصريح الذي لا ريب فيهِ فأنّى تأفك ؟ — لكن دعنا نتفاهم

« الكتاب » في لغتنا كل ما كتب صغيراً كان او كبيراً . فالتوراة — وهي ضخمة — « كتاب » — والرسالة التي تكتبها الى صديقك وهي في اسطر او سطور — « كتاب » فكتاب فعال بمعنى منقول . فالكتاب مكتوب ، والفراش مفروش، واللباس ملبوس ، اي ان كلاًّ من هذه الاشياءِ معدّ لان يكون ما وصف بهِ اي ان الفراش معدٌّ لان يفرش، واللباس معد لان يلبس، على حدّ قولهم : مأكول ومشروب وملبوس اي ما يؤكل وما يشرب وما يلبس لا انهُ أكل وشرب ولبس فاذا كانت الصحيفة تسمى «كتاباً » (راجع لسان العرب في مادة ك ت ب — ص ١٩٣ س او ما يليهِ) فما قولك في المقالة والنبذة والرسالة في العلم اليس كل منها « كتاباً » ؟ واكثر ما جاء في كلام الاقدمين ان فلاناً صنف العدد الفلاني من التصانيف او من « الكتب » فمعناهُ كذا من الرسائل او من النبذ وعندنا من قولهم هذا : «كتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب النخل وكتاب الابل وكتاب السلاح وكتاب الريح الى غيرها فكلها رسائل صغيرة قد تقع في صفحة من المقتطف او في بضع صفحات

وان قلنا ان من المصنفين من كتب مئات وهي ضخمة كالطبريّ مثلاً والسيوطي والجاحظ الى غيرهم قلنا : لو جمعتم ما صنفوا لما جاء نصف ما ألفهُ صروف . فالمقتطف يقع في سبعين مجلداً ضخماً واذا سمينا كل مقالة« كتاباً » تقدَّم منها لا اقلَّ من ثمانية آلاف وخمسمائة كتاب . فهل من مؤلف كتَبَ هذا العدد

ولعلك تقول : ليس كل ما جاء في مجلتهِ هو لهُ، بل بعضهُ ، قلنا : وهذا الذي عددناهُ اذ حسبنا ان لهُ عشر مقالات او عشرة كتب في كل جزء من الاجزاء الاثني عشر عن كل سنة فيكون المجموع ما ذكرناهُ او دون المجموع الحقيقي. وهو وان لم يكتب بنفسهِ سائر المقالات فانهُ كثيراً ما صححها بقلمهِ وقلبها ظهراً لبطن او حرَّر عبارتها او زاد عليها او حذف منها او اعاد كتابتها بنفسهِ من اولها الى آخرها

هذا من جهة ما يتعلق بالمقتطف ، لكن للعلامة الاستاذ الاكبر كتبٌ استخرجها من الانكليزية الى العربية وكتب وضعها من غير ترجمة او نقلٍ ، بل صنّفها مباشرة ونحن نذكر لك ما وقفنا على اسماء بعضهِ من معرّبٍ ومؤلفٍ :

الكيمياء (وهو كتاب ضخم في الكيمياء العصرية) من باثولوجية واقراباذينية

علم السموم (التكسكولوجية)

سرّ النجاح . والطبعة الثانية تكاد تكون من وضعهِ لا من ترجمتهِ

الحرب المقدّسة

الحكمة الالهية ، وكتاب الظواهر الجوية (او المتيورولوجية)

وعرّب مشتركاً مع رصيفهِ « سير الابطال والعظماء » و« مشاهير العلماء »

ولهُ قصص وروايات بديعة محكمة السبك ، بديعة الوضع، ادبية المرمى ، جديرة بان يطالعها الذكور والاناث فينتفع بها كل امرئ . ولهُ مقالات عديدة ضافية الذيل في جريدة (المقطم) ولهُ مثلها في (اللطائف) وفي (دائرة المعارف) التي اصدرها المعلم بطرس البستاني ،منها ما ذيلها باسمهِ ومنها ما لم يذيلهُ او ذيلهُ بحرفي ي.ص .

ولهُ مقالات بديعة في جميع العلوم والفنون والصناعات من ادناها الى ارقاها فكان صدرهُ « مَعْلَمة » حية واودع هذه المعارف كلها « المقتطف » وهو من المجلات العالميَّة التي لا يستغنى عنها ولا يصحُّ ان تخلو منهُ خزانة عامة او خاصة، علمية اوصناعية، رياضية او تعليمية ، لان من المحال ان يكتب كاتب في موضوع الاَّ ويرى في هذا المورِد الماء الذي ينقع عطشهُ

هذه قطرة من بحر والاَّ فالموضوع اوسع من ان يحيط بهِ قلمي الضعيف ، ومن اراد التوسع فليطالع صفحات المقتطف او اجزاءً منهُ يجد ضالتهُ المنشودة

بغداد فهمي الجابريّ

الجرح الخفي

لكارولي كسفالودي

[كارولي كسفالودي واخوهُ الكسندر من حملة لواء الادب المجري" [الهنغاري"] في اواخر القرن الماضي . وقد اشتهر كارولي على الخصوص بتأليف الروايات التمثيلية. ولكنهُ في حياتهِ القصيرة المحفوفة بالمخاطر ، ضرب بسهم كبير في وضع الاقاصيص الغربية . وكان ، كما وصفهُ ناقدٌ مجريٌّ : — « عبْرَ اسفارٍ مفطوراً على الإيغال في اودية الخيال بظرفٍ وكياسةٍ وحسن تناول » . ومع كونهِ من كتّاب الطبقة العالية استطاع ان يبثّ في اقاصيصهِ روح الحقيقة او الامر الواقع فتبدو كأنها مكتوبة للجيل الحاضر . وقصة « الجرح الخفيّ » تستوفي اشهر الشروط التي يلحُّ اشدّ النقّاد تدقيقاً في وجوب مراعاتها عند تأليف الاقصوصة. وتتضمن علاوة على ذلك صفة الحيوية التي لا يعبّر عنها ولا بدَّ منها في كل فنٍّ بغضّ النظر عن القواعد والآراء]

القصة

بكَّر رجل ذات يوم في المجيء الى جراحيٍّ مشهور قبل استيقاظهِ من نومهِ . ووقف في باب بيتهِ وكلّم الخادم لاجّاً في طلب إيقاظ سيدهِ لانهُ قادم لامرٍ ذي شأنٍ يستدعي أقصى ما يستطاع من الإسراع في العمل . فلما افاق الجراحيّ وعلم بما كان هبّ من فورهِ ولبس ثيابهُ وامر الخادم بإدخال الزائر

وكان على وجه هذا الزائر لوائح الانتماء الى نخبة رجال الهيئة الاجتماعية .واصفرار وجههِ وهياج اعصابهِ دلاّ على معاناتهِ لألمٍ جسديٍّ شديد . وقد عصب يدهُ اليمنى وشدّها بملاقٍ الى صدرهِ ومع شدة ضبطهِ لملامحهِ وصبرهِ على ما يساورهُ من الوجع كانت شفتاهُ تنطلقان من وقت الى آخر بأنينٍ عميقٍ ينمُّ على لذع الالم الفادح

فلما استقبلهُ الجراحيّ هشّ بهِ وبشّ وقال لهُ :

— تفضّل اجلس وقل لي ما خطبك

— لم اذق لذة النوم منذ اسبوع . وفي يدي اليمنى وجع لا ادري سببهُ . فقد يكون ناشئاً عن السرطان او عن داءٍ آخر عضال . وقد كان بادئهُ ذي بدءٍ خفيف

الوطأة سهل الاحتمال . واخيراً اشتدّ لفحهُ ولذعهُ حتى اصبح لا يطاق . وهو آخذٌ كل ساعة في الاشتداد والازدياد وبالغٌ في تعذيبهِ لي وتبريحهِ بي حدًّا يتعذّر احتمالهُ. فجئتُ الى المدينة لكي استشيرك فيهِ واستعينك على تدارك خطبهِ وتلافيهِ . واذا اضطررتُ الى مكابدتهِ ساعة اخرى كان الجنون ايسر ما اصاب بهِ وانتهي اليهِ . فارجو ان تعالجهُ بكاوٍ او ان تستأصلهُ او تفعل شيئاً آخر يريحني منهُ

فسكّن الجراحيُّ اضطرابهُ وقال لهُ ان الخطب سهل وقد لا تمسّ الحاجة الى اجراء عملية جراحية . فاعترضهُ الرجل بقولهِ :

— لا لا . لا بدّ من العملية . وانما جئت اليك لاستئصال العضو المصاب والاستراحة من هذا العذاب

ثم خلّص يدهُ من العلاق ورفعها متألماً واستتلى كلامهُ :

— لا يأخذنَّك اقلُّ عجب اذا لم ترَ جرحاً ظاهراً في يدي . فان حالتي هذه غريبة في بابها وخارجة عن قياس الحوادث المألوفة

فقال لهُ الجراحيُّ انهُ ليس من عادتهِ ان يعجب مما هو غريب ونادر . وبعدما انعم نظرهُ في اليد لم يسعهُ اخفاءُ دهشتهِ وتعجبهِ لانهُ لم يجد فيها اقلّ حاجةٍ الى طبٍّ او علاج ولم يكن بينها وبين اليد الاخرى اقلّ فرق في شيءٍ على الاطلاق . ومع ذلك كانت معاناة صاحبها لاشدّ الآلام ظاهرة باجلى بيان . فسألهُ الجراحيُّ : —

— أين موضع الالم ؟

فمدّ الرجل يدهُ نحو الجراحيّ واشار الى بقعة صغيرة مستديرة بين الوريدَين الكبيرين . ولكنهُ ، لما جسّها الجراحيّ بطرف بنانهِ وبما لا مزيد عليهِ من الرفق والاحتراس ، انتزعها منهُ ونابت دموعهُ عن لسانهِ ببيان الالم الشديد الذي شعر بهِ من هذه اللمسة الخفيفة . فقال الجراحيُّ :

— ان هذا من اغرب الامور . لاني لا ارى في يدك شيئاً يدل على ما تشكوهُ

— ولا انا . لكنَّ الألم يسومني ما لا يطاق من اللذع . واني افضل الموت عليهِ

فتناول الجراحيّ المجهر (المكرسكوب) وفحص بهِ اليد كلها فحصاً مدققاً وقاس درجة حرارة الرجل ثم هزّ رأسهُ وقال :

— ان الجلد والشرايين في احسن حالة صحية . ولا اثر للالتهاب او الورم . واليد كلها سالمة من الاعتلال

— ولكن الاحمرار ظاهر في البقعة

— أين ؟

فرسم الرجل على ظاهر يدهِ دائرة صغيرة في حجم المليم وقال :

— هنا

واذ ذاك رفع الطبيب نظرهُ اليهِ وقد حدثتهُ نفسهُ بانهُ يعالج رجلاً مصاباً بعقلهِ لا بيدهِ . فقال لهُ :

— يجب ان تقيم بضعة ايام في المدينة وسابذل جهدي في إسعافك بما تمس الحاجة اليهِ من العلاج

— ليس في وسعي ان انتظر دقيقة واحدة ولا يخطرنَّ ببالك يا حضرة الطبيب اني مأخوذ بعارض جنون او وهم . ولكنَّ هذا الجرح الخفيَّ يذيقني امرّ الالم . فاروم ان تجرّد مبضعك وتسلّطهُ على هذه البقعة ليقطع اللحم حتى العظم

— لستُ بفاعل هذا

— ولماذا ؟

— لانهُ ليس في يدك اقلُّ شيءٍ يدعو اليهِ وهي مثل يدي في الصحة والسلامة

فاخرج الرجل من جيبهِ ورقة نقود بقيمة ألف فلورين ووضعها على المائدة وقال :

— اظنك تخالني مجنوناً او مخادعاً . ولكنني لستُ كذلك . واني أكلّمك بكمال التعقل والجدّ والاهتمام . والامر جلل وذو بال . وها انا مستعدّ لدفع هذا المبلغ للتخلص منهُ . فارجو ان تعجل في اجراء العملية

— لستُ بمستعمل مبضعي في عضو صحيح سليم ولو أُعطيت مال قارون

ولماذا ؟

— لانهُ ينافي سنة ضميري ويخالف آداب صناعتي ويدعو الناس كافة الى الحكم عليك بالعته والبله وعليّ بعرة الانتفاع بضعفك وجهلك او على الاقل بجهلي تشخيص جرح غير موجود

— اذن اتولى انا بنفسي اجراء هذه العملية وان تكن يدي اليسرى لا تطاوعني كما اريد . وغاية ما ارجوهُ ان تعنى بمعالجة الجرح بعد فراغي من شقهِ

فدهش الجراحيُّ اذ رآهُ جادًّا كلَّ الجدّ فيما قالهُ وقد خلع سترتهُ وحسر كمّ

قميصهِ واخرج سكيناً من جيبهِ واحدث بهِ جرحاً عميقاً في يده قبلما تمكن الجراحي من منعهِ عنهُ . فاوجس خوفاً من قطعهِ وريداً او شرياناً وصاح بهِ من فورهِ :—

— قف . قف . اذا كنت مصرًّا على اجراءِ العملية فانا اعملها

ولما أكمل استعداده لاجرائها نصح للرجل ان يحوّل وجههُ الى الجهة المقابلة لان من عادة الناس في الغالب ان ينزعجوا من رؤية دمائهم نازفة فقال لهُ :

— لا حاجة الى ذلك . وعليَّ ان اوجه نظري اليك لاحدد لك محلّ القطع

وتحمّل الم العملية بجلد منقطع النظير غير مبدٍ شيئاً من علامات التوجع ولا ظهر على يدهِ اثر الارتعاد والارتعاش . ولما فرغ الجراحيّ من قطع البقعة المحدودة تنفس الرجل الصعداء كمن يلقي عن كاهلهِ عبئاً ثقيل الحمل . وسألهُ الجراحيّ :

— هل تشعر الآن بشيءٍ من الالم ? فاجابهُ باسماً متهللاً :

— كلاَّ يا سيدي . وكأني بالالم قد استؤصلت شأفتهُ او أُقتلع من جذورهِ . وكأن الهياج الذي احدثهُ القطع نسيم عليل بليل يهبُّ على الجسوم بعد لفح السموم . وارجو ان تطلق للدم عنان النزف لازداد ارتياحاً وانتعاشاً

وبعد ما فرغ الجراح من لأم جرحهِ وضمدهِ لاحت على محياهُ علامات الاغتباط والاطمئنان وشكر للطبيب عنايتهُ واهتمامهُ وانطلق بعدما اخبرهُ باسم الفندق المقيم فيهِ حيث عادهُ يوماً بعد يوم وسنحت لهُ فرصة سبرغورهِ ومعرفة ما خفي عليهِ من احوالهِ فعظم شأنه في عينيهِ لانه رآهُ من صفوة اهل الريف وذوي الوجاهة والكرامة وعلى جانب عظيم من تثقيف العقل وتهذيب النفس ومن اسرة عريقة في الحسب والنسب . وبعدما التأم جرحهُ على الوجه المروم رجع الى بلدهِ

لكنه بعد ثلثة اسابيع جاء الى الجراحيّ ويدهُ معصوبة ومشدودة الى صدرهِ وهو يشكو عذاباً صَعَداً من ألم مبرّح في يدهِ — في البقعة نفسها حيث تألم قبل اجراء لعملية الجراحية . وكان وجهه اصفر كالشمع والعرق البارد يقطر من جبهتهِ . فجلس على الكرسيّ جلوس المعيي المنهوك ومد يدهُ اليمنى الى الطبيب . فصرخ هـذا مأخوذاً حيرة ودهشة لا مزيد عليها :

— ماذا اعتراك ? فاجابهُ بصوت يقطعهُ الانين :

— يظهر انك لم تبلغ في القطع الى العمق المطلوب . ولذلك لم يلبث الالم ان

أعاد كرَّتهُ عليَّ وهو بالغ في الأشتداد مبلغاً يشب عن طوق الوصف. فارجو ان تعيد اجراء العملية بلا اقل ابطاء

ففحص الجراحيُّ الموضع الذي اجرى العملية فيهِ فاذا بالجرح ملتئم كل الالتئام وهو مغطى بجلد جديد والاوردة كلها في انتظام تام والنبض جارٍ في حركتهِ على ما يرام وليس للحمَّى من اثر. ومع ذلك كان الرجل مصاباً برعشةٍ ترج اعضاءهُ رجًّا. وتلك حالة لم يسبق للجراحيّ ولا لغيرهِ من الاطباء أن شاهدوا لها مثيلاً على الإطلاق. ولم يكن ثمَّ مندوحة عن إعادة العملية. فتمَّت كما في المرة الاولى وانقطع الالم وشعر صاحبنا براحة التخلص منهُ ولكنهُ لم يبتسم هذه المرة. وعندما شكر الطبيب وودَّعهُ كان وجههُ مغشيًّا بسحابة الحزن والكآبة. وقال وهو منطلق:

— لا تعجب ان رأيتني راجعاً اليك بعد شهر

— خلِّ عنك الاهتمام بهذا الامر

— انهُ محقق عندي كتحقيق وجود الله في السماء. فالى اللقاء

وعرض الجراحيُّ هذه الحادثة على كثيرين من زملائهِ فبحثوا فيها بحثاً مطولاً ولكنهم انتهوا منهُ كما ابتدأوا من غير ان يظفروا للغزها بحلٍّ واضح صريح

***

وانقضى شهر على ذهاب الرجل ولم يعد. ثم مرت بضعة اسابيع. وعوضاً عن مجيئهِ بنفسهِ جاء منهُ كتاب الى الجراحي هذه ترجمتهُ:

«عزيزي الدكتور: لا اروم ان تبقى في اقل ريب من جهة جهد البلاء الذي أعانيهِ ولا يهمني ان يظل سرّه في صدري ويدفن في قبري. واود ان اطلعك على تاريخ دائي الدفين فقد عاودني الآن ثلث مرات ولست بعازم على مواصلة الجهاد والكفاح كلما انتقض الجرح بعد الالتئام وجرعني غصص الاوجاع والآلام. وقد تمكنت الآن من كتابة هذه الرسالة اليك بان وضعت على محلّ الالم جذوة نار شديدة الاستعار من باب ازالة المرّ بالامرّ اوعملاً بالمثل القائل « ان الحديد بالحديد يفلح »

« كنتُ الى عهد غير بعيد راتعاً في ظلّ السعادة وناعماً برغد العيش وصفاءِ البال لا يعوزني شيءٌ مما تطمح اليهِ نفس رجل في سنّ الخامسة والثلثين. ومنذ سنة عملتُ بمقتضى سنة الزواج ، بعد ما اطعتُ داعي العشق والغرام فاقترنت بسيدة كانت آية في

الحسن والجمال ، مستوفية قسطها من التثقيف والتهذيب . وكانت قبل اقتراني بها خليلة لسيدة نبيلة (كونتس) مجاورة لي . فأشرب قلبهـا محبتي والتعلق بي . وقضينا ستة الاشهر الاولى في غبطة ومسرة كانتا كلَّ يوم في نمو وازدياد . وكانت كلما ذهبتُ الى المدينة لقضاء بعض الحاجات ، تقطع مسافة طويلة ، ماشيةً على قدميها ، لتلاقيني في اثناء رجوعي . وكانت لي اطوع من بناني ، تأتمر بأمري وتنتهي بنهيي بلا اعتراض ولا سؤال ، دائبةً على الدوام في عمل كل ما يريحني ويسرّني

« وفي إبان هذه السعادة التامة خطر لي — ولا اعلم كيف خطر لي — ان سلوكها هذا كلهُ تكلُّف وتصنُّع . وكثيراً ما يبلغ من شدة حماقة الانسان أن يجلب على نفسهِ النكد والشقاء في اثناء تمتُّعهِ بكمال الصفاء والهناء . فقد كان عندها مائدة صغيرة للخياطة ولها درج كانت دائماً تحرص اشدَّ الحرص على حفظهِ مقفلاً . فلم تتركهُ قطُّ مفتوحاً ولا ابقت مفتاحهُ فيهِ . وهـذا الامر رابني وهاج فيَّ الغيظ والحنق . وجدَّ بي اهتمام شديد لمعرفة السرّ الذي حاولت كتمانهُ عني . وأخذتني غيرة سلبتني عقلي ولم تبقِ على رشادي . فشككتُ في صدق نظراتها الخالصة وقبلاتهـا الحارَّة وكلماتها الحلوة وعددتُ هذه كلها قناعاً تسدلهُ على ما وراءهُ من ضروب المكر والخداع

« وفي ذات يوم جاءت السيدة النبيلة تدعوها الى زيارتها وقضاء النهار في قصرها فوعدتها اني اذهب اليها بعد الظهر لاعود بها . وما كادت المركبة تخرج بهما من فناء داري حتى عمدت الى الدرج وشرعت اعالج فتحهُ . واخيراً تمكنتُ من ذلك باستعمال واحد من المفاتيح الكثيرة التي عندي . وبين الاشياء المختلفة التي فيهِ عثرت على رزمة رسائل عشق وغرام مربوطة بسلك بنفسجيّ !!

« فلم امهل ريثما افكّر في الامر لارى هل يسوغ لي الاطلاع على اسرار زوجتي في ايام حداثتها ! واستكدّني عاملٌ خفيٌّ في التحري لعلَّ هذه الرسائل تتعلق بزوجتي بعد اقترانها بي . فنشرتها وتلوتها الواحدة بعد الاخرى . وكانت اشأم ساعة في حياتي كلها ! لاني وقفتُ على افظع خيانة اقترفتها امرأة ضدَّ رجل . وكان كاتب هذه الرسائل من أعزّ اصدقائي الاصفياء : أما نسق الكتابة واسلوب الكلام ومغزاه ومعناهُ فما لا يطاوعني القلم على ذكره ولو بأخفى وجوه التلميح . وليس في طاقتي ان اشير الى شدة إلحاحهِ عليها في كتمان الامر عني ولا الى تعريضهِ بي وازدرائهِ لي . وكلُّ

منها مكتوبة بعد زواجها . فقد زعمتُ اني كنتُ سعيداً والآن تجرَّعتُ دفعة كأس شقائي حتى الثمالة . ولما فرغت من تلاوتها طويتها وارجعتها الى الدرج وأقفلتهُ

« وكنتُ قد توقَّعتُ انها تعود في المساء وحدها اذا تأخرتُ عن الذهاب اليها وهكذا كان . ولما بلغت بها المركبة الى بوابة بيتي قفزَت منها خارجة لملاقاتي وعانقتني وأمعنَت في تقبيلي مبالغة في اظهار شوقها وولوعها . أما انا فكظمت غيظي ولم أبح بشيء مما في صدري . وتناولنا العشاء معاً وقضينا جانباً من الوقت في السمر كجاري العادة . وعندما حان وقت النوم دخل كلٌّ منا مخدعهُ . وكنت قد عقدت عزمي على امرٍ بإصرار مجنونٍ مسلوبِ الرشاد وعنادِ مغيظٍ محنق ما بعده من عناد . ولما انتصف الليل طرقت مخدعها متسللاً ونظرت اليها وهي راقدة في حضن الدعة والاطمئنان ووجهها طافح بنور البراءة من كل منقصة ومذمَّة . فقلت في نفسي لله من رياء الطبيعة ونفاقها ! فقد اخفت خطيئة الخيانة وراء هذا الوجه الصبيح الصريح. وكان سمّ السخط والضغينة وحب الانتقام قد فعل بي فعله وتمكن من جوارحي كلها . فقبضت بيدي اليمنى على عنقها وضغطتهُ بكل قوتي . ففتحت عينيها ونظرت اليَّ حائرة مشدوهة . ثم أغمضتهما واسلمت الروح . لم تحرّك اقلَّ ساكن في الدفاع عن نفسها . بل ماتت بهدوء وسكون كأنها في حلم . لم تفه بكلمة تبرُّم او تظلم من اغتيالي لها . ولكن قطرة دم نضَّت من شفتيها وسقطت على يدي — في البقعة التي عرفتها . ولم انتبه لها إلاَّ في الصباح . وكان الاحتفال بدفنها بسيطاً الى الغاية . فقد كنت مقيماً في ضيعة حيث لا مراقبة صحية من قبل الحكومة وليس من يداخلهُ اقل ريب في الامر لان المرأة كانت زوجتي ولم يكن لها انسباء ولا اصدقاء فلم اضطرَّ الى الاجابة عن اسئلة من هذا القبيل . ولزيادة الاحتراس اذعت نعيَّها بعد الفراغ من دفنها لأُكفى مؤونة العنت والانزعاج من بعض الفضوليين

«لم اشعر حينئذٍ باقلّ وخزٍ من قبل تبكيت الضمير . نعم اني قسوت عليها قسوة وحشية ولكنها استحقت ذلك جزاء خيانتها . لم ابغضها . ولم يصعب عليَّ نسيانها . وما من قاتل اقدم على ارتكاب جريمة القتل وكان اقسى مني قلباً واقل شعوراً !!

«وبعد الفراغ من دفنها رجعت الى البيت واذا بالسيدة النبيلة قادمة في مركبتها وهي في اشدّ حالات الدهش والذهول وتوشك ان تغيب عن الصواب من جراء مفاجأة

النعي لها على غير توقع ولا انتظار . وعندما كلمتني محاولة تعزيتي لم افقه لكلامها معنى ولا اعرته شيئاً من الاهتمام لاني بالحقيقة لم اكن في حاجة الى التعزية . ثم تناولت يدي برفق ولطف وقالت انها تودُّ ان تفضي اليَّ بسرٍ وترجو ان احرص على كتمانهِ ولا احاول الانتفاع بهِ. وهو انها كانت قد ائتمنت زوجتي على رزمة رسائل لم يمكنها حفظها في بيتها . والآن ترجو ان اردَّها اليها . فشعرت بقشعريرة رعب وذعر انتفضت بها « كما انتفض العصفور بللهُ القطر » . لكنني تكلفت الجلد وسألتها عن محتويات هذه الرسائل . فراعها هذا السؤال واجابت عنهُ بقولها :

« كانت زوجتك اوفى امرأة عرفتها في حياتي. فلم تسألني قط عن موضوع هذه الرسائل وزادت على ذلك وعدها لي بعدم محاولتها الاطلاع عليها

— هل تعلمين اين وضعت رسائلك ؟

— اقفلت عليها في درج مائدة الخياطة وهي مربوطة بسلك بنفسجي . فلا يصعب عليك ان تجدها . وعددها ثلاثون

فذهبت بها الى الغرفة حيث مائدة الخياطة . وفتحت الدرج واخرجت الرزمة منه وناولتها اياها قائلاً : -

« هل هذه رسائلك ؟ »

« فاخذتها بلهفة لا مزيد عليها وانا مطرق لا اجسر ان ارفع عينيَّ اليها مخافة ان ترى فيهما ما يطلعها على سر قلقي واضطرابي . وما عتّمت ان ودعتني وذهبت

« وبعد اسبوع من وفاة زوجتي هاج بيدي الم شديد في البقعة حيث سقطت قطرة الدم في تلك الليلة الهائلة . وكان من ذلك ما كان مما لا يخفى عليك . لا اجهل ان هذا كان من قبيل الاستهواء . ولكنني لست بقادر على اجتنابهِ والتخلص منهُ . وهو عقاب عادل استحقهُ جزاء تسرُّعي وقساوتي وإقدامي على سفك دم طاهر زكي. ولست بعد الآن بعازم على مقاومتهِ ومحاولة النجاة منهُ . لاني ذاهب اليها وسأبذل جهدي في حملها على الصفح عني . ومن المحقق عندي انها تحيب سؤلي هذا وانها ستحبني كما احبتني في حياتها

« ومن صميم فؤادي اشكر لك أيها الجراحي الفاضل عنايتك بي وعطفك عليَّ »

ترجمة : أسعد خليل داغر

النساء والرجال

وجوه الشبه والاختلاف بين الفريقين

٢

١١ : يظهر حب المرأة للاجتماع في شوقها الشديد للاستحسان الاجتماعي — الرأي العام . فلرأي الجيران عندها وزن ليس عند الرجل مثلهُ لان هذا الشعور الاجتماعي يشغل من حياتها ما لا يملؤهُ الحب والامومة فهي تفوق الرجل غروراً وزهواً بفضلها وجمالها فتقضى كل يوم نصف ساعة على الاقل في ذرّ مسحوق « البودرة » على انفها .ويبلغ حبها للبلاغة في بيانها حدود الهذر وميلها الى التقليد في اعمالها حدّ المبالغة وهي اكثر من زوجها هياماً بالارتفاع في الدوائر الاجتماعية بل ان تطلعها الى المقام الاجتماعي يثير اكثر من نصف الرياح التي تسوق شراعهُ . ولذلك هي راضية برضوخها لمن فوقها ، فخورة بسيادتها من دونها وللاسباب نفسها هي اكثر ادباً ، واعمق شعوراً ، وابلغ لطفاً ، لان شعورها الاجتماعي ممتزج بامومتها ورقتها ، ولا ريب في ان لطفها واستعدادها لمؤاساة الضعيف يرجحان غرورها

١٢ : وبالنتيجة ان اتصاف قلب المرأة وعقلها بهذه الصفات يجعلها اكثر تديناً. فتحملها شدة عاطفتها على الاسراع في تلبية الحث الشديد الذي توجههُ الديانة الى الاحساس والشعور .وهي اكثر من الرجل شعوراً بالنكبات التي تفاجئ الحياة وتترعها حزناً واسى . وشوقها لاستئناف العلاقة الحبية مع الحبيب الذي فقدتهُ يقنعها بصحة الخلود . فتظل الطبيعة لغزاً مقدساً لها .(ولعلها في عجزها الوضيع هـذا ، عن فهم الاسرار ، اكثر التصاقاً بالطبيعة من علمنا الميكانيكي) .فهي بحسب فطرتها تتعبد حيث يجدُّ الرجل في البحث العلمي . ولما كانت ضعيفة في بناء جسمها فمن الطبيعي ان ترنو الى حماية من يحميها .واذ يحيّر العالم عقلها تلتمس الهداية السموية بالصلاة .ولما كانت تخاف الوحدة وتميل الى الاجتماع فهي تملأ جوّها بالارواح العلوية التي تؤنسها في وحدتها وتساعدها في حاجتها وضعفها .وهي اول من يرحب بصور جديدة من الايمان وآخر من ينبذ الصور القديمة .قد يحمل اليأسُ الرجلَ على الانتحار ، اما المرأة فبعد فقدها كل رجاء تجد قوة وسلوى في الله

١٣ : هذه هي غرائز الرجل والمرأة الاساسية.على انهُ لا يجوز الظن انها لا تتحول

بالاختبار ولا تصقل بالتهذيب . فكلا الجنسين ارتقى ارتقاءً عقليًّا على اسس هذه القوى والغرائز . فكيف يختلف هذا البناء العقلي السامي في الجنسين ؟ الجواب ، انهُ في الرجال اوسع واعلى ، لانهم خرجوا ، في خلال القرون المتوالية ، من وطن التقليد الى عالم التجديد. واضطرتهم طبيعة الامر ان يواجهوا احوالاً جديدة وعوامل جديدة لا تلائمها الغرائز التقليدية القديمة . فبالضرورة ارتقت قابليتهم المرنة المؤدية الى النجاح الذي يثير ذكاء العقل ويذكيه . على انهُ يمكن اتخاذ الغريزة دليلاً في بعض الاحوال الخاصة فاذا كانت الحالة التي يواجهها الانسان من النوع التقليدي ، كالحالات التي صادفتها الانسانية قروناً متوالية ، كانت الغريزة كافية كدليل للتصرف ، وحينئذٍ تبرهن ارجحيتها على افعال الفكر المتردد . الى عهدنا هذا كانت مساعي المرأة مقتصرة على وجود الزوج وتربية الولد. ولا يزال ذلك السعي يشغل جانباً كبيراً من وجودها . هذه هي القضايا القديمة التي قابلتها كل امرأة الى ابعد ما تبلغ الذاكرة ولاجل هذه المواقف شاءت الطبيعة غرائز تطابقها . وتلك الغرائز هي هادمة احياناً ، ولكنها على العموم مفيدة ومعقولة

١٤ : فمن ثم كانت المرأة تفوق الرجل في وحدة الغريزة وكمالها ودقتها . والرجل اكثر انتقاداً وارتياباً وتلوناً بصبغة الفكر المتردد فاضاع القوة التي تمنحهُ اياها غرائزهُ ليُحلَّ محلها ليناً يمكنهُ من مجاراة احوالهِ الجديدة . ففقد بذلك دقة العمل الغريزي واندفاعهُ وسرعة تلبيتهِ للموقف الذي يقتضيهِ . فهو حائر ضائع في حضرة المرأة ، لانها دائماً اكثر منهُ امتلاكاً لطبعها ، وهي عملية لا نظرية ، لانها ابرع من الرجل في رسم الخطط ، واسرع في تطبيقها ، متى كانت المسألة الحالية لها علاقة بالقرين ، او الابقاء على حبيب، او انشاء بيت . فما من رجل تحت الثلاثين يشابه امرأة في العشرين في فن الحب اللطيف .اذ توجد اشياء تعرفها المرأة قبل ان تولد ، فكانها انتقلت اليها مع جراثيم الوراثة . ولا يحصل الرجل على معرفة تلك الاشياء بغير الاختبار الصعب . فالمراة ترى اكثر مما تقدر ان تصوغ . والرجل يصوغ اكثرمما يرى . المرأة تفكر فوراً ، وتكذب عفواً ، وهي اسبق من الرجل الى اختلاق الاعتذار وفي المآزق الحرجة هي التي تبسط الواقع برابطة جأش

١٥ : وبما انها مجهزة منذ ولادتها بما تستدعيهِ مهام الحياة ، اكثر من الرجل ، كانت اسرع منهُ في بلوغ طور الرشاد ، فاقصر منهُ صبوة ولذلك حكم بعضهم بانحطاط

جنسها — لان الصبوة تطول على قياس ارتقاء النوع، وذلك من قضايا علم البيولوجيا — ولكنهُ حكم يلزم اطراحهُ لانهُ اذا صح كان الفيل والسلحفاة ارقى ما ابدع الخلاق . فللعقل صبوة كما للجسد، وتختلف مدة الصبوة العقلية في مختلف الاشخاص. فبعضهم يرشد باكراً ، وبعضهم آجلاً ، وآخر لا يرشد مدى الحياة بل يموت قاصراً كما عاش قاصراً . والظاهر ان صبوتنا الانسانية مديدة ، اذ يزداد عجزنا في عالم يزداد تعقيداً وبعداً عن استعدادنا الفطري ووسائلنا الموروثة . وقليل هم الرجال الذين يبلغون رشادهم العقلي في يومنا هذا قبل انتصاف حياتهم . ولكن المرأة ، بالنظر الى بساطة حياتها ، وقربها الى الفطرة ، ترشد باكراً جسداً وعقلاً . فتقتبس آداب الاجتماع عن رضاء وهي اسرع تعلماً في المدرسة من فتى في سنها . وقد برهنت حديثاً عن تفوقها ، في كلية ردكليف، على اقطاب الطلاب في جامعة هارفرد. على ان هذه السرعة في الارتقاء تميل الى الوقوف باسرع مما في الذكور . فلا تتقدم الانثى عما كانت يوم ولادتها بقدر تقدُّم الذكر المكافح المختبر . فهي تلوذ بالتليد وهو يقتنص الطارف . هي عضو المحافظة ومقره ، وهو مندوب التنوع ومناديه . هي جذور شجرة الانسانية وجذعها ، فتتشبث بالتربة التي منها تستمد نموها وتنبت ، فروعها في محيطها الترابي واغصانها في محيطها الجوي

١٦ : والجانب الآخر من محافظة المرأة سببهُ ان مهامها عائلية ومحيطها الغالب هو بيتها . فهي عميقة كالطبيعة ، تحدّ جدرانُ غرفتها فكرَها وعاطفتها فغرائزها تميل بها الى المحافظة على التقاليد كما يميل الخبير الى الميدان الذي يتفوق فيهِ على غيرهِ . وهي كذلك اقل ميلاً من الرجل الى التحقيق والامتحان في المسائل العقلية والادبية

واذا دفعت بها دوافع الشباب والحماسة الى ولوج ابواب الاصلاح السياسي ، ونشر لواء محبتها على الانسانية ، فانها تصدف عن هذه التجارب حالما تجد قريناً اميناً وتخرج بهِ شيئاً فشيئاً من دائرتها العالمية الواسعة الى دائرة المحبة العائلية ، الضيقة النطاق

وحسناً تفعل ، لان المرأة تعلم ، دون اعنات للفكر ، ان الاصلاح الوحيد الصحيح يبدأ في العائلة . فحين تحوّل غيرتها التائهة الى العناية باولادها تكون نائبة الجنس في البدء بهذا الاصلاح لان طبيعتها قليلة العبء بالدول والشرائع . وشغفها موقوف على العائلة والولد فاذا افلحت في حفظ هذين فسيان عندها الحكومات والاسر المالكة. فتسخر ممن يعنون باصلاح القوانين والنظم الاساسية . واذا لاح لنا الآن ان الطبيعة خائبة في حفظ العائلة والولد فذلك لان المرأة تناست احكام الطبيعة . ولكن الطبيعة لا تندحر طويلاً

١٧ : تُولد النساء مجهزات بالذكاء والفطنة . اما بعض الرجال فيحصلونهما بالجد والاجتهاد والبعض الآخر برغم على الاتصاف بهما . فقد اصبحت حياة الرجال بعد الانقلاب الكبير الذي احدثتهُ الثورة الصناعية مجموعة من التبعات والمسؤوليات التي اقبلوا عليها او اقبلت عليهم من غير انتظار او استعداد . فرزح كثيرون منهم تحت ضغطها الشديد وفاز البعض الآخر بإذكاء نار العقل والذكاء الى درجة بعيدة تستنفد كل قواهم العصبية . لذلك ترى بين الرجال كثيرين من النوابغ والمجانين . ولما اخذت الصناعة تجذب النساء اليها وتنظمهنَّ في سلكها اخذت النساء تتطور كما تطوَّر الرجل من قبل من الوجهة العقلية . ولكن رغماً عن تغيرهنَّ وتطوُّرهن ما زلنَ محافظات على بعض الفوارق العقلية التي يمتزنَ بها على الرجال

والظاهر ان المرأة تلقى عناءً شديداً في ادراك الحقائق والمبادىء المجردة . لكن لها عيناً حادة تدرك الحقائق الواقعية وذاكرة قوية لحفظها . على انها غير بارعة في التعميم والتعليل المبتكر اذ تضيع نفسها وتعمى عن مقصدها لعنايتها بالتفاصيل . فهي اكثر اكتراثاً للشخصيات منها للافعال والاشياء . واذا جادلتْ في موضوع وقفت في جوابها موقفاً شخصيًّا ودافعت عن رأيها من وجهتها الخاصة . وذلك لانهُ قُسم لها من مهد العمران ان تعنى بالاشخاص — الزوج والولد . واما الرجل فقد حتم عليهِ ان يخوض معامع التجارة والصناعة ويصطدم بالعوامل والافعال الطبيعية والاجتماعية فضلاً عن احتكاكهِ بالنساءِ والاولاد . وعليهِ ترى انهُ من السهل على الرجل ان يعنى بكتاب يذيع مبدأً فلسفيًّا مجرداً واما كتاب المرأة فيجب ان يكون قصة . فانها لا تزال تلبس المبادىء اثواب الاشخاص فيسهل عليها ان تتصور الآلهة تدير اعمال الكون وتطور الاجتماع في حين يتعذر عليها ان تدرك انقلاباً اجتماعيًّا او اقتصاديًّا تكوّنهُ عوامل خاصة وتدفعهُ الى الامام

يرتاح خاطر الرجال ، من دارسي الفوارق العقلية بين الجنسين، الى قلة ما ابرزن من آثار الذكاء والنبوغ . فانهُ حتى في الفن الذي لا يخلو من علاقة بالجمال ، وحتى في الموسيقى الفعالة في الشعور ، كان منتوج المرأة اقل مما دلت عليهِ جهودها وفرصها. فالنساء اكثر عزفاً للآلات الموسيقية ، ولكن الرجال اكثر تأليفاً في فنها . ومتى اعترف الرجل للمرأة بمزية عقلية او فنية كان ذلك مقدمة لاستلابها اياها بقولهِ « انها عقلية رجل » . قال شوبنهور بوجود حرب بين الفطنة والامومة . فاذا صدقناهُ نتج

عن ذلك ان ما من امرأة تتفوّق عقلاً الا اذا شذت ، شذوذ شوبنهور عن مستوى اقرانهِ . فقد دخلت جورج ساند لفائف الرجال . ورأى سبنسر ان جورج اليوت أقوى من أن تذوب نفسهُ الصلدة

واسباب عدم رسوخ النساء في الذكاء والنبوغ مركبة يتعذرحصرها ووصفها. وقد نكون متحاملين عليهنّ في تحديدنا ، ناسين ان في الامومة فطرة ذكاء كما في السياسة او الادب او الحرب . فلا يبنى الحكم بالمساواة في النبوغ على القابلية لعمل كل شيء بحذق واحد، بل يبنى على القابلية لاتمام الاعمال اتماماً مقروناً بالصلاحية والملاءمة لكل جنس ولكل جيل. فاننا ميالون لانتقاص النبوغ في جيلنا متى قسناهُ بنبوغ القرون الماضية التي يحبوها تغاغلها في التاريخ بشيء من الروعة . ونرغب ، في عصرنا الحاضر ، في طلب الحكمة في نفس الميادين التي ازدهرت فيها سابقاً. مع انهُ قد تكون امثال العقول التي نبغت قديماً في الادب والفن ،غارقة اليوم في بحر الصناعة البعيد الغور والاطراف. فان الجهود لتجديد العالم الطبيعي تستغرق كل قوتنا وتستنفد كل جهدنا . عندنا علماء كبار،ومخترعون اعاظم،فلا تتوقعوا معهم ظهور افلاطون وشكسبير وليوناردو وبتهوفن

١٨ : ولعلَّ تفوُّق الرجال على النساء نبوغاً سببهُ ان النبوغ يتجلَّى عادة في الاقلية المتعلمة في كل من الجنسين . فلا تصح المقابلة حتى يتناسب عدد المتعلمين العلوم العالية في الفريقين . وقد يكنّ في عوز للاستعداد الحيوي الطبيعي الذي يستلزمهُ الاشتغال بالفنّ . او انهنّ اقل منهم موهبة في حاسة الجمال التي تهيب بالنفس الى التجديد الروحي. فتخسر المرأة شيئاً من عبقريتها لرغبتها في ان تمتلك ، لا ان تمتلك. ولذا فهي توحي الفن اكثر مما تستثمرهُ . ولربما لم تجد في الرجل المتكبّر الخشن من الجمال ما يثيرها للابتكار والابداع . وكيف تتطلب الجمال وهو مجسّم فيها

١٩ : بقيت مسألة واحدة ، وهي : أإرثيّة هذه الفوارق ام طارئة ؟ هنا يعسر الحكم ، لاننا في ميدان تنازع العلم ، وارتياب الفلسفة في المعرفة وفي انتاج الفروض. وقد يغامر الانسان بالتسليم بانهُ مع اقتران هذه الفوارق ماليًّا واجتماعيًّا بمختلف المزايا الراسخة في البنية والوظيفة ، فهي بالاكثر ارثية اجتماعيًّا وطارئة فرديًّا . وتتوقف الى حدّ بعيدٍ ، على التصورات التي يصوغها الرجال فيهنّ احتفاظاً بمنفعتهم واقتناعهم ، تحملهم عليها الوف من عوامل البيئة . وقد قالت احدى المعلمات محتجة : — يشجّع الفتيان على انماء الشخصية الفردية ويربون تربية تعدهم للاستقلال

في الفكر وفي العمل . ولكنّ الفتيات يؤمرنَ بالطاعة والاعتماد على الغير ، والتمايز بينهنّ وبينهم . ويحملن على الشعور ان التطرف في الاستقلال في الفكر وفي العمل هو تقهقر في سيرهنّ ، وغير لائق ولا نسائي . اما الفتى فقد نشأ على الشعور بان نجاحه في الحياة متوقف على فوزه في الابتكار »

على ان النساء ابرزنَ في ثلاثة أجيال في كل ميادين العمل والعلم من صفات الرجال العقلية والادبية ما يحمل كل فيلسوف ادبي في العالم المسيحي على ندْب ترجل الجنس الذي كان فيما سلف الجنس الاضعف والالطف . فقد اثبتت جماعات المحاميات والطبيبات والحاكمات قابلية النساء في دائرتهنّ الضيقة على انهنّ يستطعنَ مزاحمة الرجال في الفنون والاعمال التي سبق فرسخت اقدامهم فيها . وقد خرّجت الكليات منهنّ جماعات لا يقدم رجل على التزوج بهنّ ، لان تفوقهن العقلي يسقط صف الرجال في الزعامة والادارة ، وقد كان ذلك من موروثات الزواج الماضي وضحاياه . فلما خلفت المعاملُ البيوتَ والمخازنُ الحقول ، وعملت فيها الانثى جنباً الى جنبٍ مع الذكر ، ضاقت ثغرة الفرق بينهما

فالنتيجة المعقولة لهذا الانقلاب السريع ان النساء اذا اخترن ان يعشن على قدم المساواة التامة بالرجل في وظائفه زاحمنهُ وفزنَ بالمساواة التامة بهِ عقليًّا وادبيًّا . بل ربما فقنهُ عقلاً . ولكن لا بدَّ ان يظهرنَ من التعقل ما يثبت لهنَّ ان تقليد الرجال عهد وينقضي وان الرجال لا يستحقون شرف هذا التقليد وان السعادة كالجمال والكمال تستقر في ادراك غرضِ الحياة وتحقيقهِ . وستطلب القائمات بحركة تحريرهنّ ان يكنّ نساء كوامل لا رجالاً غير كاملين . فيجعلن الامومة فنًّا يعتمد على الذكاءِ والاستعداد . ومن يعلم فقد يجعلن الامومة اعظم الفنون وارقاها ؟

وقد اوقفتهن حريتهنّ الحديثة ، تجاه مسائل لا تقل عن مسألة استعبادهنّ تعقيداً وخطراً . وفي هذا الموقف ما من رجل يتمكن من اسعافهنّ . لان عقل الرجل اكثر ميكانيكية وخشونة من ان يفهم بلطف وشعور حراجة التطور الذي يشوّش حياة المرأة وعقلها . فعقل المرأة وحدهُ هو الذي يخوض هذا المعمعان الجديد . وقد تفوز فيهِ . فان الهمة التي مكنتها من احراز الحرية ستهبُّ لمصادمة ما ولَّدتهُ تلك الحرية من المشاكل . ولا بدّ ان تكشف السبيل لمقارنة اشعة الجمال والهمة التي سطعت منها الى اليوم باللطف اللائق الذي يزدهر في الحب الملوكي والامومة الكاملة

مترجمة عن الانكليزية حنا خباز

آراء واقوال لعظماء العصر

هرمن برنشتين من اشهر الصحافيين الاميركيين في مقابلة العظماء ومحادثتهم وقد نشر في مجلة «الانترنشونال بوك رفيو» الاميركية مقالا شائقاً ضمنه كثيراً من آراء العظماء الذين قابلهم ومنهم برنارد شو وتولستوي وبرغسن وهيفلوك الس . فاقتطفنا منه ما يلي :

قال الكاتب : قضيت خمس عشرة سنة مندوباً خاصًّا لصحف مختلفة قابلت في اثنائها اشهر مشهوري عصري وحادثتهم. وبعض هؤلاء المشهورين كان من الذين ترفعهم الصدف الى اوج الشهرة فيضفو ثوب مجدهم على حقيقتهم ثم تنقضي ايام قلائل فيهبطون من مقامهم الرفيع كانهم نجم من النجوم المتغيرة تراها وقد سطع نورها في الفضاء ثم لا تلبث ان يضعف نورها رويداً رويداً حتى تتلاشى او تنحط الى كواكب القدر السادس عشر او ما دونهُ فلا ترى الاَّ بالتلسكوب لصغرها. ومن هؤلاء المشهورين افراد اجتزت الوف الاميال لاقابل احدهم واتحدث اليهِ لان تفوّقهم في الفن او العلم او الادارة يصيب العمران من اصولهِ ويبقى اثرهُ في الحضارة مئات من السنين بعد موتهم

وقد اتيح لي ان اجتمع بكل رجل — تقريباً — لهُ اثر في افكار الناس او يد في تسيير حوادث التاريخ في هذا العصر . لقيتهم في معاملهم ومكاتبهم وبيوتهم فاخذتني نشوة السرور لان من هذه الاماكن تسطع انوار الفكر وتنبثق مبادئ العمل فتهتدي بها الانسانية وتجري بمقتضاها

قابلت متشنيكوف فبسط لي اكثر المذاهب العلمية العصرية. وتحدثت الى تولستوي في اصول الدين وقواعد الفن واجتمعت ببرغسن فلخص امامي احدث الآراء الفلسفية ورأيهُ في « النشوء المبدع » على وجهٍ خاص . وحدثني الكونت ويت عن السياسة العالمية بوجهٍ عام وسياسة روسيا الخارجية بوجهٍ خاص ورودان عن الفن وهيفلوك الس عن حقوق النساء ومكسيميليان هاردن عن التوسع الاستعماري في المانيا والبابا بنديكتوس عن سياسة الفاتيكان ازاء السلم والحرب ونوردو وزانغول عن الصهيونية وتروتسكي عن البلشفية واللورد روبرت سسل عن احرار بريطانيا والمركيز اوكوما عن البلشفية في اليابان وبرنارد شو عن كل ما يشغل ذهن المتعلم في هذا العصر

اثرهم في نفسي

وقد سألني كثيرون من معارفي واصدقائي عما كان يخالجني من الشعور حين الاجتماع بهؤلاء النوابغ وجوابي عن هذا السؤال: ان الاجتماع ببعضهم مثير للفكر كانهُ سوط يلهبهُ ويحملهُ على التفكير والابداع. والاجتماع بالبعض الآخر مطمئن للنفس كانك امام الشمس حين غروبها تنير الفضاء والارض بنور ضعيف والنهار على وشك الزوال. وهذا الشعور الاخير تملكني في حضرة تولستوي. ولما كنت في معمل احد العلماء نسيت الارض وما عليها لما حملني العالِم معهُ على اجنحة الخيال والحقيقة فرأينا في معمله رأي العين وتصورنا بمخيلتنا عجائب الحياة واسرارها. واراني احد الكتاب ان الحياة مشهد تمثيل هزلي مقامهُ فيها مقام الماجن. ان بين هؤلاء رجالاً تتفجر منهم مبادىء الثورة فينقلونها الى ابناء عصرهم كانها قوة من قوى الكهربائية تستعمل لنسف الجبال وهم الدينامو الذي يولدها والاسلاك التي تنقلها. ومنهم من هو رسول سلام او زعيم مذهب تشاؤمٍ يبذر بذورهُ فيما يلقيهِ من الخطب او ينشرهُ من الكتابات

تولستوي

زرت الكونت ليو تولستوي الحكيم الروسي الشهير في يونيو سنة ١٩٠٨ فقال لي: « ان مدرسة الادب الحديثة في روسيا بل وفي غيرها من البلدان قائمة على الدعوى الفارغة والانحطاط الفني والادبي. قال: حين اقرأ بوشكين ارى في كل سطر من سطورهِ جمالاً ودعة هما سرُّ عظمتهِ. وحين اطالع ما يكتبهُ الكتاب الانكليز والاميركان المحدثون اقارن رغماً عني بينهم وبين دكنز وثاكري واخرج من المقارنة بما لا يرضي فريق المحدثين

« انك لا تجد عدواً لمبدإ الارستقراطية في الفن اكبر مني ولكن لا بدَّ من القول بانهُ حين اقبلت جماعة الارستقراطيين على تعضيد الفن ورعايتهِ عُني المتفننون بان تكون آثارهم الفنية مما يحرز مقاماً في عيون هؤلاء الارستقراطيين المثقفين ولكن حين صار الجمهور ملجأ المتفننين في فنونهم اجتهدوا ان يبدعوا ما يقبل عليهِ الجمهور فزالت تلك الصفات الممتازة التي تجعل الاثر الفني خالداً مدى العصور

برنارد شو

وزرت برنارد شو في لندن فقال لي حين الكلام على المطالعة وفوائدها:

«يجب ان نعنى عناية خاصة بالكتب التي نسلمها للراشدين من ابنائنا لاننا اذا سلمناهم كتباً لا يصح لهم الاطلاع عليها فسدوا . واما الاطفال فليس ما يمنع ان يقرأوا كلّ شيء الى السنة السادسة عشرة من عمرهم . واما متى اجتازوا السنة السادسة عشرة فيجب ان تبذل عناية خاصة في اختيار الكتب التي يطالعونها

رأيه في التعليم والمدارس .

«اننا نقترف اكبر الجنايات ضدّ اولادنا بتربيتهم كما نربيهم الآن لان نظام المدارس الحالي نظام فاسد . ان شوارع المدن الكبيرة وشوارع القرى الصغيرة يجب ان تكون المدارس التي ينال فيها اولادنا نصيباً من التعليم والتهذيب . وعليهِ يجب ان تكون جميلة بكل ما في الجمال من معاني التثقيف . فالشوارع هي مدرسة الحياة الحقيقية . ويحق للاولاد ان يمنحوا كفاية من المال ليتعلموا قيمتهُ ووجوه الفائدة من انفاقهِ . فاذا لم يكن اهلوهم في سعة من العيش فلتمنحهم الحكومة هذا المال فهو خير من الاموال الطائلة التي تمنحها معاشات للعجزة والمتقدمين في السن

فقلت : ولكن كيف يستطيع هؤلاءِ الشيوخ ان يعيشوا متى تجاوزوا سنًّا لا يستطيعون معهُ العمل والارتزاق

فقال وبسمة تعلو ثغرهُ : اذا اصبح الشيوخ غير قادرين على العمل فليقتلوا . ان المشكلة العظيمة التي نواجهها هي مشكلة تنشئة الصغار وتعليمهم لا العناية بالكبار العاجزين . والوالدون في هذا العصر يرون ان تربية الصغار شرٌّ لا مندوحة عنهُ لانهم يريدون ان يكونوا احراراً يسعون وراء ما يسرّهم وعليهِ تراهم يبعثون بهم الى المدارس . هنالك يجد الاطفال اشخاصاً يقال لهم « معلمون » وكأنهم قطعُ سيَّارة صنعت كلها في معمل واحد فيسلّمونهم كتباً لا تفيدهم شيئاً في تثقيف العقل او تهذيب النفس تدعى « كتب مدرسية» وكذلك يترك هؤلاءِ الاطفال في عناية رجال ونساء لا يعلمون ان يديروا امورهم الخاصة فكيف بهم في ادارة شؤون تلاميذهم

رأيه في الدين

ثم ابدى رأيهُ في الدين فقال : هذا كل ما اعلم — ان الرجال الذين لا دين لهم هم رجال استولى عليهم الضعف الادبي وفي الغالب الضعف الجسدي ايضاً . لا بدَّ للحضارة من الدين مهما اختلفت الآراء في تسمية القوة الازلية التي تدير هذا الكون . سمها قوة الحياة او روح العالم او الدافع الحيوي او النشوء المبدع . او سمها ما شئت فان

الحياة من غير الدين تصبح سلسلة متتابعة من الحوادث لا معنى لها ولا رابط بين حلقاتها . قد استطيع ان اتصوّر « خلاصاً ، روحيًّا » من غير اله ٍ ولكني لا استطيع ان اتصوّره ُ من غير دين وتدين

برغسن

وقابلت برغسن في باريس سنة ١٩١٢ فقال : « الاميركيون قوم يقدمون الطرق العملية في الحياة على كل شيء آخر وهم يطلبون نظاماً معينة للتصرف والاداب يتخذونها قاعدة ويجرون عليها . ومن الغريب ان يهمل الفلاسفة المحدثون هذه النزعة القوية في شعب حيّ نشيط. لقد وضع ليبنتز وغيرهُ من الفلاسفة نظاماً ادبية ولكنها بنيت على قواعد عامة يصعب تطبيقها على كل حوادث الحياة اليومية تطبيقاً دقيقاً. حتى « كانت » كان يحوطهُ كثير من الابهام في كتاباتهِ بل في آية مؤلفاتهِ « نقد العقل المجرد » فقد قال : « اعمل دائماً ما يصح ان يكون ناموساً عامًّا » وهذه قاعدة يصعب تطبيقها كلَّ يوم . كيف نطبقها على ما يشجر بين المتمولين والعمال من خلاف . كلٌّ من الفريقين يعمل ما يودّ ان يراهُ قانوناً شاملاً لانظمة الاجتماع فكيف نعرف أي الفريقين على صواب وايهما على خطأ

خلود العقل

« لقد تناولت في مباحثي امراض العقل والذاكرة بالدرس والتحليل . وبحثت في حوادث كثيرة رأيت فيها علاقة واضحة بين العقل والذاكرة . وقد خرجت من هذه المباحث بانهُ من الخطأ ان نحسب عمل العقل وعمل الدماغ واحداً . فجانب صغير من اعمال العقل يقوم بهِ الدماغ حتى كأنَّ العقل بلاد شاسعة الارجاء والدماغ احدى ولاياتها . العمل الذي يقوم بهِ العقل اكثر اتساعاً وشمولاً من العمل الذي يقوم بهِ الدماغ

« ان موت الدماغ امر مرجح . ولكن قد ثبت لي ان العقل يبقى حيًّا بعد موت الدماغ . وعليهِ استنتجت على ان العقل يبقى حيًّا بعد موت الجسد . ولا استطيع ان أبتَّ الآن في ان العقل خالد ولكن يرجح لي انهُ كذلك

ذكاء الرجال والنساء

«ولم اجد في كل مباحثي ان الرجل يتفوق على المرأة عقلاً وذكاءً . فان المجال لم

ينفسح بعد امام النساءِ للاشتغال بالمباحث الفلسفية والابداع فيها . ولما كنت التي محاضراتي على الشبان والشابات جربت تجارب مختلفة لمعرفة الفرق بين الفريقين من حيث توقد الذكاءِ فكنت اعطي نفراً من الشابات والشبان موضوعاً فلسفيًّا واحداً للكتابة ولدى فحص هذه الكتابات كان يتعذر عليَّ ان اعرف ايها كتبتهُ شابة وايها كتبهُ شاب . وعليهِ اعتقد ان لا فرق بينها ولا اجد مانعاً ما يمنع السيدات من ان تضع مؤلفات فلسفية من طبقة مؤلفات الرجال

« وقد وجدت فروقاً واضحة في المستوى العقلي بين الاجناس المختلفة — البيض والصفر والسود . ولكني لم اجد فرقاً ما من هذا القبيل بين الامم المختلفة التي تنتمي الى الجنس الابيض . والامم تقتبس الصفات التي تتصف بها الشعوب التي تخالطها وعلى هذا ترى ان الفروق الشعبية بين الامم المختلفة قائمة في الغالب على العادة وطريقة التعليم والتهذيب . ومن الاغاليط الفادحة ان يُحسب سبب كثير من هذه الفروق عائداً الى الطبع البشري مع انهُ في الغالب تطبع ناتج عن العادة والاقتباس

هفلوك السى

وسألت هيفلوك إلس عن رأيهِ فيما للنساءِ من الاثر في الفن الحديث والادب الحديث فقال : ارى ان رواية واحدة من الطبقة العليا تكتبها امرأة افعل من كل الوسائل السياسية وغير السياسية التي تتخذها جمعيات النساءِ لرفع منزلتهنَّ في الدوائر الاجتماعية والسياسية . ولكني ارى نساءً كثيرات تنصرف الى معالجة الفنون على اختلافها مع اني لا ارى لهن شأناً في ذلك . انهنَّ بذلك ينفقن حياتهنَّ عبثاً لاني ارى انهُ ليس للنساءِ استعداد خاصٌ للابداع في الفنون مع ان بعضهنَّ كتب روايات لا بأس بها . ولكنَّ امامهنَّ مجالاً متسعاً يستطعن ان يبرزن فيهِ ويُظهرن اسمى ما وهبنهُ من السجايا — اريد الاصلاح الاجتماعي وعمل الخير بفروعها المختلفة . وهذا العمل اكبر شأناً وابعد اثراً في المجتمع من معالجة الفنون . ومهما قيل في الفن فهو من الكماليات

قال المكاتب : اتحسب ان آيات الفن الكبرى امور كمالية

كلاَّ : لا اذهب الى هذا الحدّ البعيد في قولي و لكني اذا وضعت في احدى كفتي الميزان بيتاً يرعاهُ ملاك الصحة والسعادة وفي الكفة الاخرى رواية لا بأس بها لرجح الاول والثاني

يوم الذكر

بعد عام

طاب يوم الذكر، والذكر خلودٌ بعد عام العمر، والعمر عقام
هو عام في مدى يوم يعود وهو يوم فيه للدهر تمام

وهو يوم سبقت طلعتَهُ زُمَرُ الايام في ركب البشير
شاديات ترتجى غدوته من وراء الغيب، والغيب ضمير

وهو يومٌ باسمٌ في مهدهِ لا كأيام الفناء الباكيات
ناشئ من بين أمسه أو غدهِ بين آمال الهوى والذكريات

أرسلي الطرف مليًّا تنظري اثراً خلف خطاه كالضياء
وانظري ثَمّ طويلاً تبصري أملاً يشرق في غير انتهاء

مرّ عامٌ منذ كان الملتقى اول العهد. لدى الوادي هناك ؟!
منذ وافى، فتعالى، فارتقى بيننا الحب الى ذاك السماك

مر عام منذ سرنا حيث سرنا لا نبالي ما أتى او سوف يأتي؟
منذ ما كنا غريبين فصرنا كلّ شيء، انا في الدنيا وانتِ

مرّ عام؟ عجباً ايّ عجبْ! خلتُها خلسةَ غافٍ اسرعا
ثمّ عام؟ اي وربي بل حقبْ خلتُنا عشنا مدى الدهر معا

وكأنْ لم نكُ في يوم مضى مُفرديْ قلبٍ ولا مفترقيْنْ
ليس يُقضى لا ولا كان انقضى قبل ميثاق الهوى طرفةُ عين

عجباً للعام من اوصافهِ نعمةُ الفوت، وتعميرُ البقاء
ساحرٌ يجمع في اعطافهِ كلّ ما تحويه ارض وسماء

قبلاتٌ كلَّ يوم وعناقْ ووداع كل يوم ولقاء
واشتياقٌ كلما حان الفراقْ وعهود كلما جنَّ المساء

وعتابٌ كلَّ يوم وخصامْ جائرُ الحكم كثير العللِ
نرتمي فيهِ بأهوال جسام ! بين سُخريٍّ (١) المنى والقبل

وعلى توقيع انغام الرجاء نبعث القلبين حبًّا ، وخصاما !
عبث الطفلين في مهد الصفاء كلما راعتهما الضجة ناما

وحياة بين روض وغديرْ وحياة بين ألفاف كُتابْ
هذه او تلك يحويها العبيرْ ويروّى سرحها ماء الشباب

لا ظلام الليل يثنيك ولا لفحةُ القيظ ولا اليوم المطير
في دلالٍ منك موفور الحلى وكلالٍ منك كالظبي البهير

خبّريني كم من العمر يدوم ذلك الطفل الذي اكمل عاما
خبريني أنت . انّي لزعيم أن يدوم الدهرَ لا يسلو دواما

خبّريني . لا . فما يغني الخبرْ ، أسعيد في هواهُ وبصير ؟ !
جَلّ ان يُلتقي الى غير القدر نبأ اليوم وانباء المصير

فامض يا غيبُ بكفيك الزمامْ حيث تمضي ، وتمهّلْ وارفقِ
ولدينا لك يا غيبُ كلام كل عام بعد عام نلتقي

وغداً ندعوك ان جاء غدُ بلسان الحمد ، او ... ماذا نقول ؟
موعد يمضي ويتلو موعد ورجائي منك حال لا تحول

عباس محمود العقاد

(١) السخري والسخرية بمعنى واحد

نظرة الى النهضة الفنية في مصر

معرض القاهرة لسنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨

اجمال تاريخي

معرض القاهرة او الصالون ، او معرض الصور — عمل فني دعا اليهِ مجتمع الاصلاح القبطي بالقاهرة في سنة ١٩١٨ وكان يرمى بهِ الى تحقيق غرض من اغراضهِ وهو تنشيط الاقباط المشتغلين بالاداب والفنون

ودعا سكرتير المجتمع فريقاً من شبان القبط الرسامين والمصورين بين محترفين وهواة . وعرض عليهم الرأي فوافقوهُ وقرروا ان يكون المعرض مصريًّا يشترك فيهِ الاقباط والمسلمون والرجال والنساء معاً . والفت لجنة فرعية للسيدات تحت رياسة السيدة قرينة الاستاذ مرقس حنا بك المحامي (مرقس حنا باشا وزير الخارجية المصرية الآن) . وفتح هذا المعرض لاول مرة في شتاء سنة ١٩١٩ في غرف جامعة المحبة القبطية بشارع الفجالة . ومع ان الاحوال لم تكن ملائمة حينئذٍ لاشتغال الرأي العام بالحركة السياسية فان الاقبال على المعرض كان عظيماً . وافسحت بعض الصحف اعمدتها لوصف الصور ونقد المصورين

ثم اتفق فريق من العارضين على تأليف جمعية صغيرة لنشر الفن وتشجيعهِ واقامة معارض سنوية . وفتح الاستاذ فؤاد عبد الملك غرف معهدهِ الفني الواسعة في شارع بولاق (شارع الملك فؤاد الآن) لاقامة المعرض الثاني . وتألفت لجنة فنية لاختيار الصور المطلوب عرضها . واباحت عرض لوحات الفنيين الاجانب من هواة ومحترفين . وتنقّل المعرض من دار الى دار . ودب الخلاف بين بعض القائمين بهِ . وبات المشروع مهدداً بالفشل لولا ما كان يلقاهُ من عطف كبار الوطنيين

جمعية محبي الفنون الجميلة

ثم رأى الاستاذ فؤاد عبد الملك ان خير وسيلة لصيانة المعرض وتثبيت دعائمه هي انشاء جمعية قوية ترعاهُ وتنشطهُ . وكان في مقدمة من لبي دعوته الى هذه الجمعية الاستاذ محمد محمود خليل بك المحامي . وهو استاذ قانوني سريّ من كبار هواة الفنون الجميلة والعارفين بدقائقها . وبمساعيها الفت جمعية الفنون سنة ١٩٢٣ وابانت عن مقصدها في المادة الثانية من قانونها ، وهذا نصها :

« المادة الثانية — اغراض الجمعية هي تشجيع الفنون اي الرسم والحفر والتصوير والهندسة المعارية والتطبيق العملي للفن على وجه العموم وترقية الذوق الفني وذلك باقامة معارض والقاء محاضرات او بأية طريقة اخرى »

والف مجلس ادارة الجمعية الاول من سمو الامير يوسف كمال رئيساً ، ومحمد محب باشا (وزير المالية يومئذٍ) والمسيو اميل ميريل نائبين للرئيس ، ومحمد محمود خليل بك سكرتيراً عامًّا ، ويوسف قطاوي باشا اميناً للصندوق ، وفؤاد عبد الملك افندي والمسيو شارل بُجلين سكرتيرين ، واثني عشر عضواً من الاجانب والوطنيين . واضيف اليهم اخيراً ثمانية فاصبحوا عشرين . وتنحى معالي محب باشا عن العضوية لضيق وقته

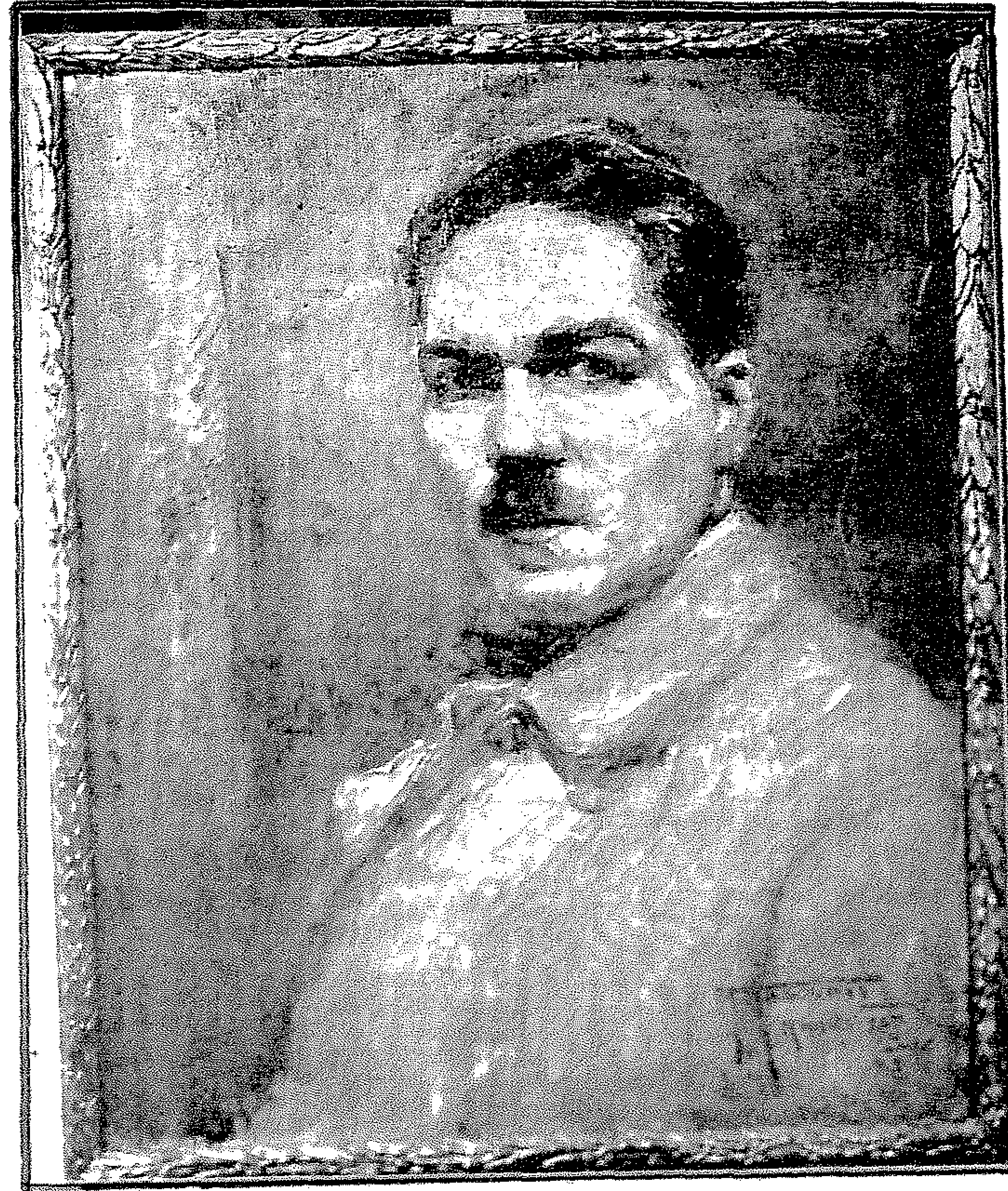
ثم الفت لجنة من السيدات من سمو الاميرة سميحة حسين رئيسة ، وحرم عزت شكري بك ومدام جيار وكيلتين للرئيسة ، وحرم محمود رياض باشا امينة للصندوق ، ومدام واصف غالي باشا وكيلة لامينةالصندوق ، وكل من مدام لاكو والآنسةفردوس شتا سكرتيرتين ، واربعة عشر عضواً من السيدات الوطنيات والاجنبيات

وشجعت الحكومة المصرية هذه الجمعية فاباحت لها اقامة معرضها في عمارة فندق سافوى (حيث مصلحة الاحصاء الآن) وابتاعت بعض المعروضات . واخيراً قررت اعانة الجمعية بمبلغ سنوي. وادركت بعض الحكومات الاجنبية مقام هذه الجمعية وما بلغهُ معرضها من الرقي . فرأينا في السنوات الماضية معرض الكتب الفرنسوي ومعرض الصور والزخارف البلجيكي ومعرض الطباعة الايطالي

وبعد ما كانت الجمعية تنتقل بمعرضها من دار الى اخرى ومن حي الى ثانٍ توفقت الى استئجار سراي المرحوم تكران باشا (من املاك آل صيدناوي الآن) في شارع نوبار وهي سراي فخمة ذات ثلاثة أدوار واسعة الجوانب كثيرة الحجر وتحيط بها حديقة غناء مترامية الاطراف . في هذه السراي اقامت الجمعية معرضها الجديد ، فافتتحهُ صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول يوم ١٩ دسمبر الماضي وبقي مفتوحاً حتى ١٩ يناير . ويعقبهُ معرض فرنسوي فمعارض وحفلات فنية اخرى

معرض سنة ١٩٢٨

يبلغ عدد اللوحات والقطع المزخرفة المعروضة حوالي ٨٠٠ قطعة . وقد ظهرت علامات النشاط والجد في عدد غير قليل منها . ودخلت عناصر جديدة بين جماعة العارضين . والمعرض بجملتهِ اكثر اتقاناً مما سبقهُ . ولكن تقدم الاكثرية المطلقة



صورة الأستاذ محمد حسن بريشته . وهو من رجال
بعثة الحكومة الفنية برومية



صورة « على شاطئ النيل » للمسيو بي مارتن
ابتاعها حضرة صاحب الجلالة الملك

مقتطف فبراير ١٩٢٨ امام الصفحة ١٨٩



صورة « امرأة » للمسيو جين رالـ
ابتاعها حضرة صاحب الجلالة الملك



صورة « المنديل الاخضر » لمحمود سعيد بك
ابتاعتها وزارة المعارف العموميه

مقتطف فبراير ١٩٢٨ امام الصفحة ١٨٩

من العارضين لا يزال نسبيًّا . ولقد كان لبعضهم شخصية بدأوا يمتازون بها ويعرفون فتركوها وارادوا احتذاء غيرهم فاضاعوا شخصيتهم ولم يحسنوا التقليد . وكبَّر البعض لوحاتهم وضخموها تقليداً كذلك . ففقدوا ما رموا اليهِ من ابتكار وفن . وطلب البعض مبالغ طائلة ثمناً لصورهم غير مراعين حالة البلاد وتقديرها للفن. فكان الاقبال على الشراء والاقتناءِ ضعيفاً جدًّا لولا ما امر جلالة الملك بشرائهِ ونقلهِ الى السرايات الملكية وما ابتاعتهُ الحكومة تنشيطاً للمحترفين والهواة

المحترفون المصريون الاربعة

هم الاساتذة الافندية: محمد حسن ويوسف كامل وراغب عياد واحمد صبري اعضاء بعثة الحكومة المصرية الذين يكملون دراستهم في فن الرسم والتصوير في اوربا . ويقيم الثلاثة الاول في روما والرابع في باريس . وقد خصصت ادارة المعرض لمعروضاتهم الغرفة الكبرى بالدور الاوسط ومدخلها

ولا ريب في ان محمد افندي حسن اقوى رسام مصري . لهُ طريقة معروفة يعمل لترقيتها . وقد ارسل الى المعرض ١٠ لوحات أُنتخب منها للعرض ست وهي : صورة القديس جيروم، الرقيق ، الحب المقدس، صورتا امرأة ، صورة رجل. وامتاز يوسف افندي كامل بوفرة الانتاج فارسل الى المعرض ١٢٠ لوحة أُنتخب منها للعرض خمسون لوحة بينها كثير من المنقولات والمنسوخات عن لوحات معروفة في معارض ايطاليا . وقدم راغب افندي عياد ١٢ لوحة . وكان الاستاذ راغب عياد من الشخصيات البارزة في عالم التصوير المصري . ولكنهُ اخذ يغيرها منذ سافر الى روما

والغالب على الاساتذة الثلاثة اساليب الفن الايطالي وقد تأثروا بها وبدت على معروضاتهم كلها آثار الارتقاء في كل شيءٍ

واما احمد افندي صبري فمصور معروف. يشتغل في باريس (تابعاً لوزارة الاشغال) في دراسة الزخرفة . ولكنهُ يأبى الاَّ وان يشتغل بالتصوير . وقد ارسل الى المعرض ١٠ لوحات عرض ثلاث منها

الدور الاعلى

خصصتهُ ادارة المعرض للفنيين والهواة والمصريين والاجانب فوضعت لوحات كل جماعة من الاجانب في غرفة . وجمعت في بعض الغرف فريقين او اكثر تبعاً لقلة معروضاتهم او اتساع الغرف

ومن المصريين الذين امتازوا بالدقة والشخصية البارزة مع الاختلاف في الطبقة والذوق ، محمود بك سعيد . وهو من الهواة المعدودين . وقد عرض في هذه السنة صورة فافيت ، والجزيرة السعيدة ، وقهوة بلدية ، والمنديل. ودقة الصنعة ظاهرة في كل واحدة من هذه اللوحات

وعرضت الآنسة إيمي نمر سبع لوحات تمثل جماعة من اليهود والمسرح وغيرها . وقد اشتهرت الآنسة نمر بتصوير بساطة المتدينين وسذاجتهم

وامتاز من طلبة مدرسة المعلمين الطالبان حامد سعيد وشفيق رزق سليمان . وقدم مصطفى بك محرم مختار ١٥ لوحة أشهرها ساقية قديمة بروض الفرج والكوبري الاحمر ومدفن عربي . ومن المعروضات ما ينمّ على الاجتهاد والمزاولة للهواة انطون غزالي واحمد مختار وفؤاد يعقوب نخله وغيرهم من الناشئين

وازدانت غرفة المصورين الفرنسويين بصور الاساتذة بيسى وبريفال وكولون وبي مارتن . ولكل منهم مقامهُ وذوقهُ المعروف

وظهرت في غرفة الاتراك قوة المرأة التركية وتقدمها في الفن . ويكفينا للدلالة على هذا التقدم صور جامع هركه وحوض كشك بغداد وقصور طوب قبو للآنسة صبيحة رشدي . وبوبوك هانم والفلاحة التركية الصغيرة للآنسة سوزان عدلي

وامتلأت غرفة الانكليز بمعروضات الاستاذ ستيوارت من مائية وغيرها . وصور الاستاذ ستيوارت معروفة بالبساطة وخفة الروح . ومما يلفت النظر الى جانبها رسم على العاج للمس برونتون . وصور مائية للمس بولتن . وصورة كبيرة تمثل غرفة انتظار في مستوصف للمس ماكنتوش

وشحنت اعمال النمسويين والالمان والبروسيين في غرفة واحدة. فرأينا فيها صور المقطم وشارع في القاهرة وغروب الشمس لجون رالف النمسوي . والموسيقيين المتجولين والناياتي لبرنار كولمان الالماني . وصورتين نسائيتين لسبرلنج الروسي

وابدع ما في غرفة الايطاليين بلا نزاع صور الاستاذ كاميلو اينوشانتي مدير الفنون بوزارة المعارف . ولهُ خمس صور نذكر منها صور نبيل في عهد لويس الثالث عشر ، ورقصة اسبانيولية ، والثغر القاني . ثم معروضات كارلو ميتسو واجملها مناظر بلدية مصرية . وثم معروضات الكفاليري سبيرو سكرفلي. وقد امتاز بتصوير الجوامع والاحياء الوطنية والعمارات القديمة . هذا وصور الرسامين اليونانيين فنية لا غبار عليها

ولكل واحد من اصحابها شخصية . ولكنها متوسطة تنقصها الروح العصرية

وعرضت في الغرفة المتوسطة بالدور الاعلى قطع من خزف صنعت في مصنع السيدة هدى شعراوي . ولا تزال تنقصها الالوان . وعرضت فيها كذلك تماثيل كاريكاتورية لانطون افندي حجار . وهي متقنة ولكن لا تتجلى فيها الروح الفنية التي تجلت في تماثيل يوروفيتش الروسي التي عرضت في السنة الماضية

فاذا انتهى الزائر من تفقد الدور الاعلى واراد النزول شاهد على السلم لوحات عدة لهواة ومحترفين مختلفين . ورأى كذلك سجاجيد من صنع مشغل الاتحاد النسائي الذي ترأسهُ السيدة هدى شعراوي

فاذا وصل الى الدور الاسفل ، وجد نفسهُ وسط غرف يصح ان تكون كل واحدة منها معرضاً قائماً بذاته . ففيها سجاجيد مختلفة واكلمة من صنع مدارس اسيوط وبني سويف اعجب بها جلالة الملك فاشترى بعضها

ولاول مرة رأينا في المعرض غرفة خاصة لتصميمات طلبة مدرسة الهندسة المصرية . ومع حداثة عهد الطلبة بهذا العمل فان في بعضها ما يدل على روح فنية

وخصصت غرفة لمصنوعات مدرسة الزخارف بالحمزاوي احتوت على كثير من المصنوعات الجلدية والخشبية والفضية . ونثرت هنا وهناك فترينات ملئت بمعروضات مدارس الفنون والصنائع . من علب مطعمة بالصدف والسن . ونحاس مكفت بالفضة . واثاث وخزف منقوش

وغصت الغرفة الوسطى بمعروضات الآنسة ماينين الفرنسوية من معادن وجلود مشغولة ورسم على المينا . وزاحمتها معروضات الآنستين المصريتين كريمتي عزت بك من اشغال يدوية بمساعدة الآلات الصغيرة مما يقطع بهِ الوقت ويساعد على تزيين المنازل والكسب بعمل هين شريف

وكان للتصوير بالحوامض مجال في المعرض فهناك قطع للآنستين فيون ودافا والمسيو بونللا . ثم صور على النحاس والمشمع والخشب لاحمد مختار

ولا تزال السيدة جرده استرلند تزين المعرض بخزفها الذي تزينهُ بلباقة ومهارة . وقد نال اقبالاً عظيماً من هواة التحف العصرية

وعرض الاستاذ فيكتور واختر المجلد الالماني الفني قطعاً بديعة من مصنوعات استوقفت انظار محبي الكتب والطباعة والعارفين بدقة الفن ويمتاز الاستاذ واختر بالنقش البارز على الجلد

توفيق حبيب

اكبر الرحلات الجوية الحديثة

١

رحلة البلون نورج من رومية الى الاسكا

ماراً فوق القطب الشمالي

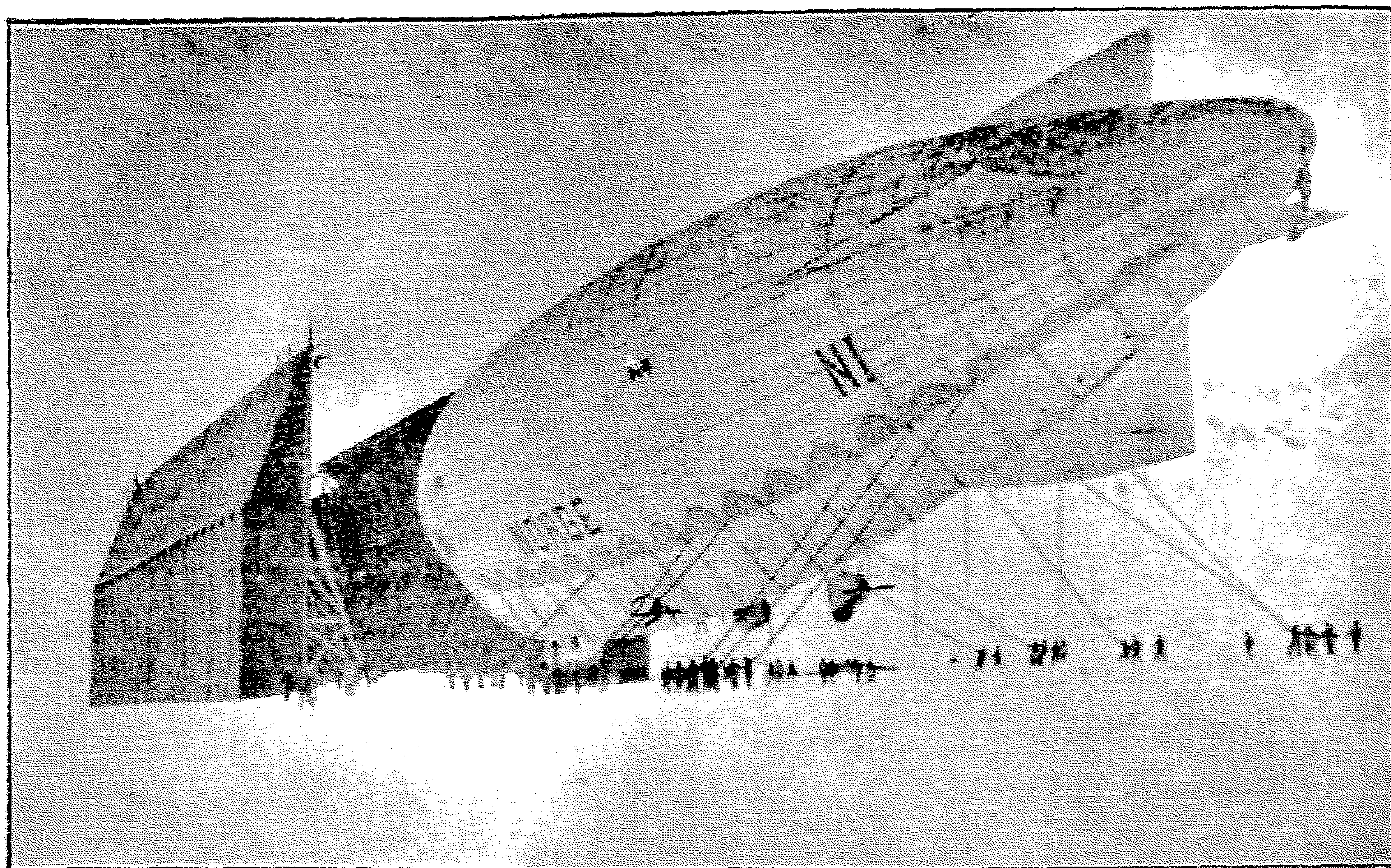
— تتمة الرحلة —

مكثنا ثلاثة ايام في سبتسبرجن اعددنا في اثنائها معدات البلون للمرحلة الاخيرة من رحلتنا الطويلة وفي مساء ١٠ مايو سنة ١٩٢٦ كان البلون وكل رجال البعثة على اهبّة السفر. وكنا قد وضعنا في الاحواض سبعة اطنان من البنزين و٨٠٠ رطل من الزيت تكفي لاجتياز ٤٣٠٠ ميل في جوّ هادئ اذا كان متوسط سرعتنا ٥٠ ميلاً في الساعة. واخذنا ايضاً الف ومائة رطل من الطعام تكفي ١٦ شخصاً خمسين يوماً وكان اكثره من الشوكولاته واللحم المقدّد واللبن والمربّى والبن والمكسّرات. واعددنا ايضاً كل ما يحتاج اليه روّاد القطبين من المعدات كالخيم والمزالج واكياس الفرو والبنادق وما اليها حتى اذا حدث لنا ما حملنا على النزول في الاصقاع المتجمدة النائية كان لنا ما يمكننا من الرجوع الى اليابسة والعمران سالمين

وكنا قد ضربنا الساعة الاولى من صباح يوم ١١ مايو موعداً لقيام البلون من سبتسبرجن ولكن ريحاً شرقية هبّت فجعلت اخراج البلون من مرفئهِ على شيء من الخطر فاضطررنا ان نتأخر بضع ساعات عن ميعادنا المضروب

وفي الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين من ١١ مايو — وقت غرينتش — اخذ البلون يرتفع بنا عن الارض فحيانا الرفاق الباقون تحية هزّت اعطافنا ولما صرنا على مائة قدم من سطح الارض اسرعنا حركة المحركات واتجهنا الى القطب ونحن نرتفع في الجو رويداً رويداً حتى بلغنا ارتفاع ١٣٥٠ قدماً عن سطح البحر

كان الهواءُ معتدلاً والجوّ صافياً والشمس ساطعة تنعكس اشعتها الذهبية على قمم سبتسبرجن المغطاة بالثلج فاخذتني نشوة السرور بعد ما قضيت ليلي متعباً حزيناً وجرى الدم في عروقي بعد ما كاد البرد القارس يجمدهُ. ولما استوينا في الجوّ سار البلون بنا يقطع ستين ميلاً في الساعة ووجهتهُ القطب الشمالي



البلون نورج يدخل الى مرفإه ويلاحظ عدد الرجال الذين يتولون هذا العمل

مقتطف فبراير ١٩٢٨
امام الصفحة ١٩٢

لما برحنا سبتسبرجن كنت ثابت العقيدة اننا لن نجد صعوبة ما في اجتياز المسافة الى القطب وهي ثمانمائة ميل لانهُ لم يكن يحتمل ان يتجهم الجوّ بعد صفائهِ في اثناء طيراننا وهو لا يستغرق اكثر من ست عشرة ساعة

ولكن ماذا يقع لنا بعد اجتياز القطب الى الاصقاع المتجمدة وراءهُ؟ ايبقى الجوّ صافياً مصافياً ام تهب الرياح وتثور العواصف فتتقاذفنا وتتلاعب بنا كما تشاءُ؟ انحظى برؤية سلسلة الجبال التي ظنّ الكومندر پيري انهُ رآها عند الافق حين بلغ القطب الشمالي؟ اين يتسنى لنا النزول الى الارض ومتى؟ وماذا يكون مصيرنا بعد نزولنا؟ هذه هي المسائل التي كانت تدور في عقل كلّ منا لكننا تركناها للقدر يجيب عنها الجواب الوافي في المستقبل القريب

بعد مسيرة ساعتين من خليج الملك بسبتسبرجن نظرنا الى البحر تحتنا فرأينا قطع الجليد الطافية منثورة هنا وهناك ثم لما اقتربنا قليلاً الى القطب تماسكت اجزاء الجليد حتى تغطى بها سطح البحر وكنا اولاً نرى في الجليد بقعاً من الماءِ ثم زالت كلها واصبح الجليد غطاءً واحداً يغشى سطح البحر تخترقهُ الحزون والاودية الضيقة. وكنا قبل الاقتراب من هذا الغطاء الجليدي نرى من حين الى آخر بعض الاسماك في الماءِ ثم رأينا آثار بعض الدببة القطبية على الجليد ولكن لما بلغنا الدرجة ٨٤ من العرض الشمالي لم نرَ اثراً ما للاحياءِ وامتدت امامنا مفازات الجليد الى الافق قائمة باردة جرداءَ

وفي الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين توقف المحرّك الايسر عن العمل لان الجليد تكوّن في بعض الانابيب فسدّها فجفَّ المحرّك من البنزين فاصلحنا الامر في الحال بعدما بذلنا جهداً كبيراً

ولما دوّنا الارصاد الجوية في الساعة التاسعة والربع مساءً ثبت لنا اننا كنا على ارتفاع ١٦٥٠ قدماً وسرعتنا ٣٧ ميلاً بريًّا بسبب ريح كانت تهب في وجهنا فنزلنا الى علو ٥٠٠ قدم آملين ان تكون الريح اخف هبوباً هناك ثم ارتفعنا الى علو ١٣٢٥ قدماً ولكن عبثاً ضاع جهدنا في الهبوط والصعود . لان الغيوم اخذت تتلبد عند الافق ولم يمضِ ربع ساعة الاَّ والجوّ مكفهر والسماء تنذر بعاصفة شديدة قريبة الهبوب وهبطت درجة الحرارة الى ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

وفي الساعة العاشرة والدقيقة السابعة اقتربنا من الدرجة ٨٨ من العرض الشمالي

اي لم يبق بيننا وبين القطب سوى درجتين . وكان الجوّ لحسن الحظ صافياً ولكن لم نلبث بضع دقائق حتى اخذ الثلج في السقوط

وفي الساعة العاشرة والنصف اكتنفنا ضباب كثيف فتقلص بعض ما فيهِ من بخار مائي على قطع البلون المعدنية ولشدة البرد لم يلبث ان تحوّل جليداً ثم زاد تكون الجليد فغطى غشاء البلون الخارجي وهو من النسيج المتين وغشى الواح السلولويد التي وضعت على النوافذ فلم نتمكن من رؤية ما في الخارج . فارتفعنا الى علو ٢١٣٠ قدماً فلم تتحسن الاحوال الجوية فارتفعنا ايضاً الى علو ٣١٦٠ قدماً الى ما فوق الضباب

وفي الساعة الحادية عشرة والربع كنا لا نزال على درجة ونصف درجة من القطب ولكن الضباب كان لا يزال كثيفاً . على انهُ لم تمضِ عشرون دقيقة حتى اخذ الضباب ينقشع وصار في امكاننا ان نلقي نظرة على البحر المتجمد تحتنا . على ان غيوماً مرتفعة كانت تحجب عنا وجه الشمس . ولما دوّنا الارصاد في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين مساءً — اي ربع ساعة قبل منتصف الليل — كنا على ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر ودرجة الحرارة ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

ها نحن نقترب رويداً رويداً من القطب وتحقيق الغاية التي قضيت اشهراً اشقى واجهد في سبيل تحقيقها على قاب قوسين منا او ادنى . شعرت ان الفرح يستخفني فناديتِ احد رجالي — السانذريني — وعهدت اليهِ في ان يفتح الصندوق الذي حفظنا فيهِ علمنا الايطالي وان يربطهُ برمح مثقل من احد طرفيهِ حتى اذا رميناهُ فوق الجليد غرز في الارض

القطب

في الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين من صباح ١٢ مايو ثبت لنا من رصد الشمس اننا فوق الدرجة تسعين من العرض الشمالي اي فوق القطب الشمالي تماماً

نزلنا بالبلون الى علو ٧٠٠ قدم وخفضنا حركة المحركات وتقدم امندصن فرمى العلم النروجي اولاً وتلاهُ الزورث فرمى العلم الاميركي . ثم جاءَ دوري فنشرت العلم الايطالي ولما مددت يدي من النافذة لارميهُ اصابهُ الهواء فاختلج وخفق في يدي كانهُ كائنٌ حيٌّ . رميتهُ فنزل متئداً ولكنهُ علق باحد الحبال فعدوت وخلصتهُ فنزل الى الارض لفة واحدة ولكنهُ لم يكد يستقر هناك حتى نفخ فيهِ الهواء فتموج . تبعتهُ بنظري لان فيهِ معقد آمالنا وهو علم قديم خفق مدة سنتين من مقدم « النورج » تحت

سماء ايطاليا . وكان موسوليني قد اهدى الينا الصندوق الذي حفظناه فيهِ . وبعد رمي العلم الايطالي اتبعتهُ بالعلم الخاص بمدينة رومية ثم بوثيقة مكتوبة على الرق من قبل الجمعية الجغرافية الملكية الايطالية ثم بشارة نادي الطيران الايطالي ثم بالعلم الخاص بعمالنا وفي النهاية بعلم اهدتهُ اليَّ الجمعية الفاشستية في بلدة غروتي دي كاسترو

ولما انتهينا من ذلك اسرعنا حركة المحركات واتجهنا الى ما يلي القطب من المجاهل وارسلت من متن البلون رسالة لاسلكية الى السنيور موسوليني انبأتهُ فيها اننا بلغنا القطب سالمين

انقشع الضباب ولكن السماء ما زالت ملبدة بالغيوم والارض تحتنا سهل واسع من الجليد تخترقهُ الحزون وتنتشر منهُ القطع الجليدية المحدَّدة كانياب الليث وكل ذلك لا اثر فيهِ للحياة . فوق هـذا السهل القاتم الحزين سرنا سبع ساعات ونصف ساعة لا تطالعنا شمس ولا يؤنس وحدتنا وحش او طير . وفي الساعة التاسعة اخذ الضباب يتلبد من جديد وكان كثيفاً يحجب عنا رؤية البحر المتجمد تحتنا الاَّ في فترات قليلة . فارتفعنا الى علو ٣٠٠٠ قدم وسرنا بالبلون فوقهُ وكان نور الشمس يلقي ظل البلون على الضباب كأنهُ بحر من القطن المندوف وكأن الطبيعة نفسها كانت تحاول حينئذٍ ان تحجب عن ابصارنا تلك المنطقة العاصية التي لم يرُدْها انسان من قبل

لم نلبث طويلاً حتى اخذ الجليد يتكون على كل اجزاء البلون الخارجية لانهُ رغماً عن ارتفاعنا كنا كثيراً ما نمرُّ في الضباب فيتقلص بخارهُ المائي على اجزاء البلون فيبرد فيصير جليداً . ورغماً عن الخطر الذي كان يحيق بنا من تكوّن قطع الجليد لم يسعنا الاَّ الاعجاب بروعة المنظر وجمالهِ . ان الجليد يغطي كل جزءٍ من اجزاء البلون الخارجية والاسلاك والبوصلة الشمسية والقوارب الصغيرة المدلاّة ومبردات المحركات والممرّ بين المحرك الايسر والمحرك الايمن وتتدلى منها كلها قطع من الجليد كانت ماءً متقطراً فاصابها البرد وهي تتقطر فجمدت

ولما كانت سرعة البلون تقارب خمسين ميلاً في الساعة كان ضغط الريح على جوانبهِ كافياً لان يحطم بعض هذه القطع الجليدية ويدفعها في الفضاء فيصيب بعضها غشاء البلون وفي الساعة الثانية بعد الظهر انطلقت احدى هذه القطع الجليدية كالرصاص فاصابت الغشاء واحدثت فيهِ خرقاً كبيراً ، فخالجنا الخوف بان تندفع قطعة اخرى تمزق الغشاء الخارجي ثم تمزق الاكياس التي تحتوي على الهدروجين

ولم نلبث ان اضطررنا ان نهبط بالبلون لان الضباب اخذ يرتفع وصار متعذراً علينا ان نطير فوقهُ فسرنا بضع ساعات لا نرى ما تحتنا ولا ما امامنا وكنا من حين الى آخر نلتقي بهبّة من الثلج المتساقط . ولما هبطنا الى الف قدم فوق سطح البحر صار في امكاننا ان نرى سطح البحر المتجمد . وبقينا كذلك الى ان وصلنا الى شواطىء الاسكا طائرين تحت ملاءة من الضباب على ارتفاع يتراوح بين ٧٠٠ قدم والف قدم عن سطح البحر

كان اليوم الثاني من مبارحتنا لسبتسبرجن حافلاً بالقلق والخطر لانهُ ثبت لي انهُ اذا انطلقت احدى القطع الجليدية ومزقت الغشاء الخارجي ثم الاكياس التي تحتوي على الهدروجين لم تتمكن من البقاء في الجوّ فنضطر الى النزول على سطح البحر المتجمد مع ما في ذلك من الخطر وحينئذٍ يتعرض الايطاليون من رجال البعثة لمخاطر جمة لانهم لم يتعودوا السير البطيء الطويل فوق الجليد كرجال امندصن النروجيين

فلما اعلن الضابط الواقف في برج المراقبة انهُ يرى امامهُ ارضاً يابسة استولى عليَّ الفرح واستخفني السرور وادركت للمرة الاولى في حياتي ادراكاً صحيحاً ما شعر بهِ كولمبوس ورجالهُ حين رأوا اليابسة بعد سفرهم الشاق الطويل عبر الاوقيانوس الاتلنتيكي

وهذه الارض التي اكتحلت عيوننا بمرآها عند الافق هي ارض اميركا ؟

العالم الجديد

في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من صباح اليوم الثالث وصلنا الى شواطىء الاسكا . فاتجهنا الى اليمين وسرنا محاذين للشاطىء عازمين ان نبقى سائرين حتى نعثر على قرية من قرى الاسكيمو على مضيق بيرنغ (وهو المضيق الذي يفصل بين قارتي اميركا الشمالية واسيا) وبعد مرور ساعة شاهدنا في احدى القرى رجال الاسكيمو ينظرون الينا وقد اخذتهم الحيرة . ترى ماذا قالوا عن هذا الطائر الغريب قادماً اليهم من الاصقاع الشمالية يهدر هديراً ؟ لقد بلغني فيما بعدُ انهُ حين وصولنا الى تلر حيث نزلنا الى الارض عدا احد اطفال الاسكيمو الى ابيهِ وقال لهُ : « لماذا لا تتناول بندقيتك وتصطادها » ذلك لانهُ ظن « النورج » قمة طائرة . وظن بعضهم ان البلون حوت كبير واعتقد شيوخهم انهُ الشيطان بنفسهِ جاء مجسماً

وبعد ما سرنا نحو عشرين دقيقة وصلنا الى بلدة واينريت وهي محطة لصيد

حيوان الرنة . فلو شئنا لكنا نزلنا الى الارض هنا واذعنا الانباء بان رحلة النورج القطبية قد تمت على خير ما تتم هذه الرحلات . ولكن الشعور بالخطر كان قد زال ، والفرح بالنجاح كان قد استخفنا لمغامرة اخرى فقررنا ان نواصل السير الى « نوم » رغماً عن ان رجالنا القائمين على مراقبة المحركات وادارتها كان قد انقضى عليهم يومان وليلتان لم يأخذ الكرى بمعاقد اجفانهم

كنا قد اجتزنا ٢١٠٠ ميل من سبتسبرجن الى واينريت فظهر لنا ان المسافة الباقية وهي ٦٢٠ ميلاً ليست شيئاً يحسب لهُ حساب . ولكن لا استطيع ان اتبسط في وصف هذه المرحلة الاخيرة من رحلتنا لما تنازعها من خطر ، اذ كلما حاولت ان اعود اليها بذاكرتي ارتجف هولاً واسى

ذلك انا لما وصلنا الى مضيق بيرنغ لقينا فوقهُ زوبعة عنيفة لم نعلم بها مقدماً لان آلتنا اللاسلكية كانت قد تحطمت في اليوم السابق . وقبل ذلك هبت لنا ريح شرقية توسمنا في هبوبها خيراً لانها كانت تهب في الجهة التي كنا قاصدين اليها . ثم دخلنا في حجاب من الضباب الكثيف فسرنا ساعات متوالية لا نرى شيئاً ونحن في كل دقيقة عرضة للاصطدام باكمة او جبل وبقينا كذلك تتقاذفنا الطبيعة الثائرة آناً فوق مفازات الجليد الاسيوية وآناً فوق مياه مضيق بيرنغ المتلاطمة الامواج ثم فوق جليد الاسكا الى الساعة الثانية والنصف من صباح ١٤ مايو . وفي كثير من الاحوال نجونا بعجيبة من الاصطدام بالجبال

وفي الساعة الثانية والنصف اكتشفنا الطريق المؤدي الى نوم فسرنا محاذين للشاطىء تحت الضباب معتقدين اننا لا بدَّ واصلون الى نوم ان لم يحدث ما ليس في الحسبان

شعرت ان الاعياء قد اخذ مني كلَّ مأخذ لانهُ كان قد انقضى عليَّ ثلاثة ايام منذ ما برحنا سبتسبرجن لم انل نصيباً من الراحة وكانت الساعات العشرون الاخيرة حافلة بكل ما يقلق البال ويستدعي اليقظة والانتباه لكثرة المخاطر التي تعرضنا لها . فاقنعني بعض رجالنا حينئذٍ ان اجلس في كرسي كنا قد اخذناهُ معنا فجلست وقد استولت علي غيبوبة . ولم اكد اجلس حتى ناداني لارسن قائلاً : لقد اقتربنا من نوم . ولا بدَّ ان نصلها بعد نصف ساعة

ولكني بقيت في الكرسي الى الساعة الرابعة والنصف صباحاً فقمت من الكرسي

حينئذٍ اترنح كالسكران لأني لم انل نصيباً كافياً من الراحة. كان البرد شديداً والبحر تحتنا قاتماً ثائراً والجو فوقنا اغبر اذكن متلبداً في جهتهِ الشمالية بغيوم سوداء والبلون تتقاذفهُ الرياح كأنهُ كرة الصولجان .

فناديت الساندريني «اعدَّ الحبال للنزول الى الارض» حاسباً اننا اقتربنا من نوم وفيما كان ينفذ هذا الامر وزنت في عقلي المصاعب الجمة التي تعرض للنزول هناك . كان اصحاب الامر في نوم ينتظروننا اذ وصلهم تلغراف من سبتسبرجن بقيامنا وكانوا قد اعدوا كل ما يلزم لنزول البلون سالماً الى الارض ولكن النزول محفوف بالخطر لاسيما والريح تهب والرجال غير متمرنين على حركات البلون حين نزولهِ الى الارض

وكان الجوّ يزداد تجهماً والسماء تلبداً بالغيوم والارض تحتنا صورة بليغة للاقفار والعقم وكانت « نوم » لا تزال بعيدة عنا . ذلك ورجال البعثة قد اخذ منهم الاعياء كلَّ مأخذ فرأيت من الجنون ان نستمر في رحلتنا غير عابئين بالعناصر الثائرة

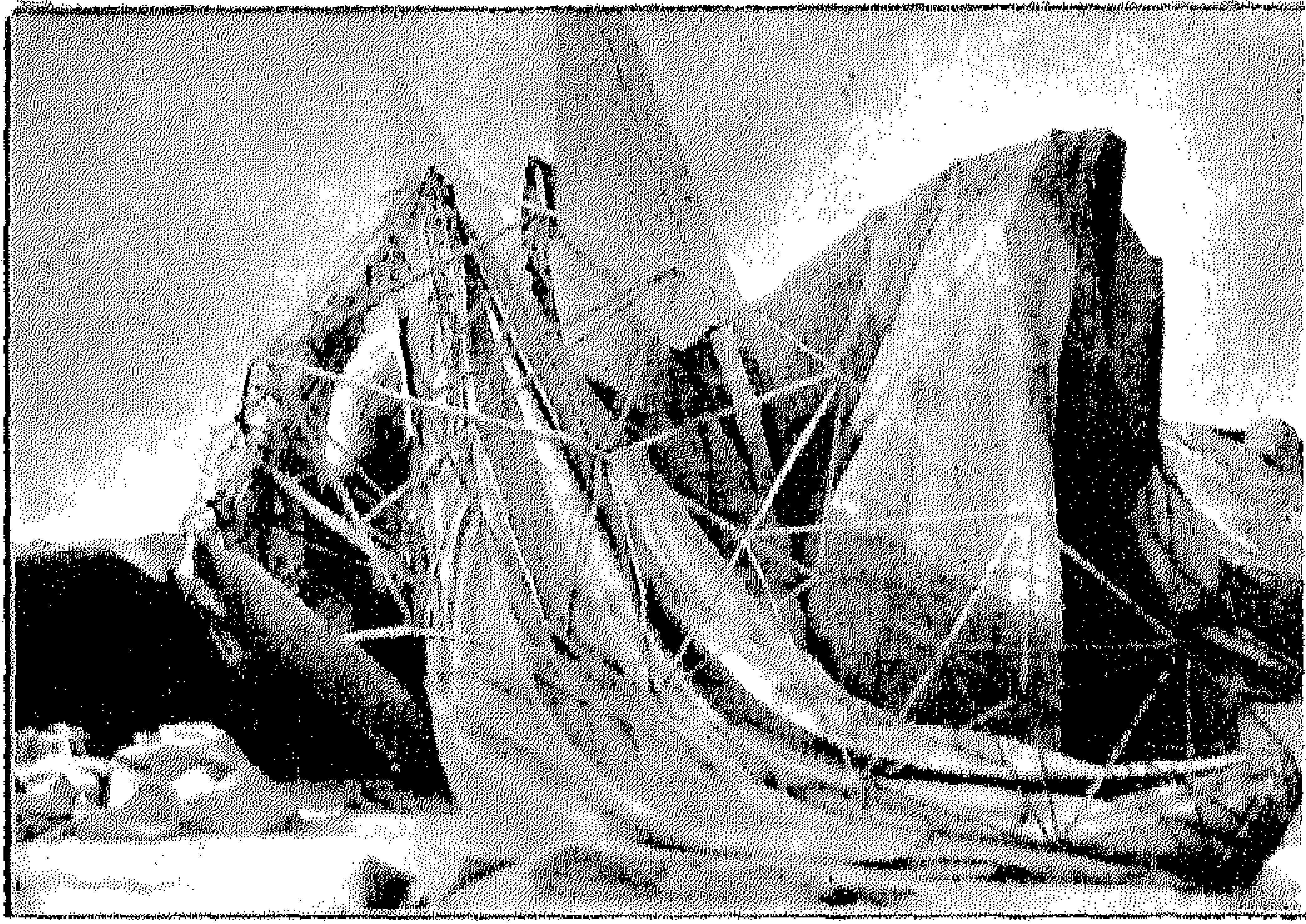
كانت دقيقة حافلة بالخطر لاننا اذا تأخرنا عن الوصول الى قرار حازم فقد نتعرض للاصطدام والموت فيتحول فوزنا الباهر الى مأساة مفجعة . لذلك قرّرت ان النزول الى الارض في الحال امرٌ لا مفرَّ منهُ قبل ان تفقدنا العاصفة السيطرة على تسيير البلون

وهكذا كان . نزلنا الى الارض سالمين في بلدة تلر بالاسكا وعدد سكانها ٥٥ نفساً كلهم من الاسكيمو بعد ما اجتزنا في ثلاثة ايام وثلاث ليال ٣٣٠٠ ميل برّي وكان لا يزال معنا ٩٠٠ رطل من البنزين وكان السماء ثارت علينا لتمنعنا من اخضاع عناصرها والتقدم الى الامام ولكن الارض حنت علينا حنو الام الرؤوم واستقبلتنا ابلغ استقبال

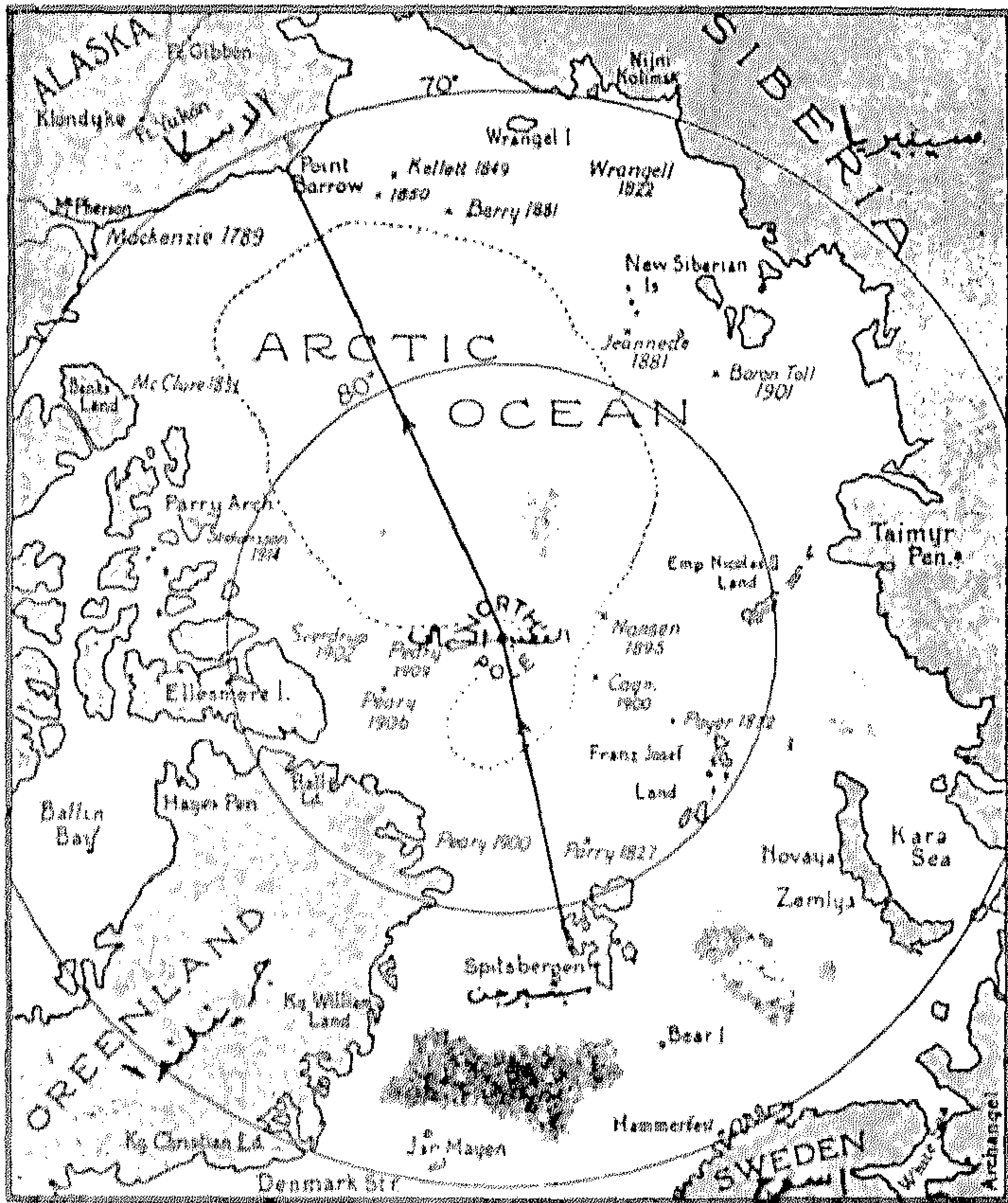
على ان العاصفة بقيت ثائرة فداخلني الخوف على البلون ان تقذفهُ العاصفة فتحطمهُ وتفكك اوصاله فبدأنا للحال في تفكيكهِ نحن فافرغنا ما فيهِ من الهدروجين ونزعنا آلاتهِ ومحركاتهِ ونقلناها الى احد البيوت القريبة

رجل واحد من كل رجال البعثة كان قد راقب هذا البلون يوجد من العدم وتعوّد ان يحسبهُ كائناً حيًّا ، ثم سار فيهِ يُقاوم العناصر صابراً مقداماً في رحلة طولها ٨٥٠٠ ميل. ما كان اقساني حينئذٍ وانا اديل من الجبار بضربة قاضية في ساعة نصره المبين !

وهكذا انتهت رحلتنا القطبية الجوية



البلون نورج بعد افراغ الهدروجين منه بالاسكا



الخط الذي طار فوقه البلون نورج من سبتسبرجن الى شاطيء الاسكا

امام الصفحة ١٩٨

احدث المكتشفات الاثرية

آيات من الفن السوميري (الشمري) القديم

وفقت البعثة التي اوفدها المتحف البريطاني وجامعة فيلادلفيا ومتحفها الى العراق للتنقيب في اطلال اور الكلدانيين (مسقط رأس ابرهيم الخليل) الى العثور على كنوز وتحف لا تثمن ولا مثيل لها في تاريخ الجزيرة التي بين النهرين يرجع تاريخها الى ٣٥٠٠ ق . م

ففي اوائل شهر نوفمبر الماضي عثرت هذه البعثة على قبر الامير مسكلام دج أو «بطل البلاد الامجد» ووجدت فيهِ كثيراً من ادوات الذهب والفضة ولم تكد تنتهي من تدوين هذه اللقية حتى عثرت على قبر آخر لا يقل عن الاول قيمة بل قد يفوقهُ شأناً . وكان هذا القبر مدفوناً تحت ردم يبلغ طولهُ ٤٠ قدماً وعرضهُ ١٧ قدماً فاستغرق رفعه وقتاً طويلاً ووجدوا في اثناء الحفر آثاراً كثيرة لها شأن من الوجهة التاريخية ولكنها لم تكن تستوقف النظر. على ان القدر خبأ لهم الى اليوم الاخير من ايام الحفر ما لم تقع العين على مثلهِ من كنوز ثمينة وتحف نادرة وآثار بديعة تبهر الابصار بروائها ودقة صنعها وجمال شكلها ونقوشها البديعة ومعظمها من الذهب والفضة الخالصين

فانهُ بينما كان العمال يعملون في بئر القبر ويزيلون التراب من جدارهِ الايمن وقع نظرهم على ابدع ما رأتهُ عين اذ رأوا امامهم اربعة ادوات من الذهب البراق اثنان منها عاطلان من النقوش والاثنان الآخران مضلعان على طولها وقد غطيا بالنقوش البديعة وتعد هذه الادوات مع الادوات التي وجدت في قبر الامير مسكلام ابدع ما عثر عليهِ حتى الآن من الاشغال الذهبية في العراق وقد وجدت موضوعة معاً وهي تكاد تكون محجوبة عن الانظار وراء كومة من الفناجين والزهريات المصنوعة من الفضة وعلى مقربة منها خمس عشرة كأساً من الفضة نضدت كل خمس منها الواحدة في داخل الاخرى وكاسان نضدتا كذلك واريق تقدمة وقارورة غريبة الشكل وعلى مقربة منها ادوات اخرى مثلها مصنوعة من النحاس بدلا من الفضة . وكانت جميع هذه الآثار مكدسة قرب صندوق كبير لم يعثر فيهِ على شيءٍ ما والمحتمل انهُ كان يحتوي على ملابس ولكن لم يرَ لها اثر ما

وعثر في المكان نفسه على طاقم للزينة من الذهب وصندوق مصنوع بهيئة نصف دائرة غطاؤه منزل باللازورد وصدف اللؤلؤ تنزيلاً متقناً يمثل اسداً رابضاً على فريسته وقد مزج فيه اللون الابيض باللون الاحمر على ارض زرقاء مزجاً بديعاً يستوقف الانظار بدقته ولا يقل عن اجمل انواع الفسيفساء بهاءً ورواءً . وهذا الصندوق أبدع ما عثر عليه من هذه الصنعة حتى الآن . ووُجد على مقربة منهُ طائفة من الازاميل ومنشاراً من الذهب وفأسان من النحاس مثبتان باسورة من الذهب وسوقها من الفضة وقد شدت بمناطق من الذهب

وعثر بجوار المنشار الذهبي على لوحة للعب منزلة تنزيلاً بديعاً ووجد عليها طاقمان من حجارة اللعب أحدهما مصنوع من صدف اللؤلؤ وقد نقشت عليه رسوم حيوانات نقشاً غاية في الاتقان وطاقمان من النرد (الزهر) الذي كان يستعمل في لعب هذه اللعبة أحدهما مصنوع من صدف اللؤلؤ المنزل باللازورد والاخر من اللازورد المنزل بالذهب

ومن اغرب ما وجد في هذا المدفن ولم يعثر على مثله في مدفن آخر قانون مؤلف من اثني عشر وتراً ومركبة وقد صنع كلاهما من الخشب الذي كان محاطاً في الحالتين بحواش من التنزيل البديع وقد حفظت هذه الحواشي القانونَ بشكله على الارض فتيسر بذلك اخذ صور فوتغرافية ورسوم قياسية يستطاع بواسطتها اعادتهُ الى ما كان عليه في الاصل . وكان قائم القانون متوجاً بالذهب ومشدوداً باربطة من الذهب ومفاتيح اوتاره مصنوعة من النحاس ورؤوسها من الذهب وكان (صندوق الصوت) مزيناً بالفسيفساء ومقدمهُ مملوءًا بصفوف من قطع صدف اللؤلؤ رسمت عليها مناظر مثيولوجية وهو ينتهي برأس عجل من الذهب صنع شعرهُ ولحيتهُ الطويلة من اللازورد

أما المركبة فابهى من القانون وأحفل منهُ زينة تحيط بها من جميع اطرافها حواش من التنزيل البديع المماثل للفسيفساء وقد زين طرفها الاعلى برؤوس اثني عشر أسداً وثوراً من الذهب لها لبد من اللازورد وصدف اللؤلؤ وركز في قائمها الامامي رؤوس نمورة من الفضة وثبت في جارورها رأسا اسدين من الفضة . وكان يجر هذه المركبة حماران كما هو ثابت من بقاياهما على جانبي العريش لان الخيل لم تكن معروفة في الجزيرة الاَّ بعد ١٥٠٠ سنة من ذلك التاريخ. وقد صنع الطوقان اللذان يشد بهما الحماران الى المركبة من النحاس وعلى رأس العريش حلقة للسرعين من الفضة يعلوها تمثال حمار من الفضة ايضاً وهو اصدق رسم عثر عليه حتى الآن يمثل الحقيقة تماماً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجاز على المطولة

نسخة خطيّة ثمينة من كتاب

السحر الحلال من ابداع الجلال

ليوسف رزق الله غنيمه افندي وزير مالية العراق الحالي

ذكر جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ : ٢٧٤ هذا الكتاب كما يأتي : محمد بن قنصوه بن صادق من تلاميذ السيوطي له : السحر الحلال من ابداع الجلال . خمس مقامات في الادب والحديث والشعر في المكتب الهندي في لندن . اه

لم يزد صاحب تاريخ آداب اللغة العربية على هذا القول حرفاً ولم يذكر سنة ولادة المؤلف الاّ انه جعله في العصر العثماني وهذا العصر يمتد بموجب تقسيم زيدان نفسه من سنة ٩٢٣ — ١٢١٣ هـ . لا بل ذكر ان ابن قنصوه بعد عائشة الباعونية الصالحية التي قال عنها انها نبغت بمصر نحو سنة ٩٣٠ هجرية

واذ كنت قد وقفت على نسخة خطٍّ ثمينة من هذا الكتاب وددت ان أعرفها لمحبي الآداب العربية . وقد وجدت هذه المخطوطة بين الهدايا النفيسة التي أهداها آل شوكت باشا الى مكتبة السلام ببغداد (١) في ١٠ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠ وقد وضعت على هذا

(١) مكتبة السلام هي الخزانة التي سعت لتأسيسها ببغداد سنة ١٩١٩ المسز مريل فوربس Mrs. Murial Forbes وعاونتها في هذا المشروع لجنة من العراقيين والبريطانيين وكان كاتب هذه السطور عضواً فيها وأمين صندوقها الشرفي . وتولى رئاستها بعد سفر المسز فوربس زوجها المستر

الكتاب رقم ٩٠٠٨ عندما نسقت كنوز الخزانة المذكورة

أما المخطوطة التي هي موضوع بحثنا فطولها ٣١ س وعرضها ٢١ س مجلدة تجليداً شرقياً متقناً وعلى وجهي الجلد نقوش منها ملونة ومنها مذهبة وفي أول صفحة من الكتاب نقش بديع منمنم . أرضه زرقاء وفيه نقوش خضراء وحاشياته كلها محلاة بالذهب وقد كتب اسم الكتاب بحروف مذهبة وفي وسط تلك المنمنمات بياض على شكل مثمن كتب فيه بخطٍ بديع ما يأتي : « تأليف الجناب العالي البارعي الفاضلي العلاّمة شاعر عصره ووحيد دهره وأبدع زمانه الفقير الى الله تعالى الراجي عفو ربهِ وغفرانه »

ويلي هذه الكتابة سطر مستقيم خص باسم المؤلف وفي هامش الصفحة دائرتان بينهما نقش على شكل القلب وجميعها منمنمة ملونة يجمعها خط أزرق وفي الصفحة نفسها كتابة هذا نصها : من كتب العبد الفقير الى غفران القدير شيخ (كذا) محمد ابن المولى كمال الدين أذاقهما ربهما لذة اليقين آمين . اشتريته في جامع السلطان محمد خان بقسطنطينية ثمن (مَمْحُوّ) سنة ١٠٩٤

لا يذكر في الكتاب عدد الصفحات ولم أحاول عدها لانه ضخم يناهز سمك صفحاته خمسة سنتمترات وفي كل صفحة ١٣ سطراً خطه حسن جلي وكله مضبوط بالشكل الكامل .

نقرأ في آخره : تمّ الديوان بحمد الله وعونه في سابع ذي القعدة سنة خمس عشرة وتسعماية كتبه في أوقات متفرقة الفقير الى الله تعالى أبو الفضل محمد بن عبد الوهاب الاعرج السنموطي الخ . . . وجاء في مقدمة الكتاب . . . وبعد فقد سألني بعض الاخوان من الاذكياء الفضلاء الاعيان المتقنين علم اللغة والتصريف والنحو والبديع والمعاني والبيان من لا أستطيع له مخالفة أن أختصر له ديواني المسمَّى [بابداع الجلال في السحر الحلال] وأسميه السحر الحلال من ابداع الجلال وأن أجعل له مقدمات ما سبقت اليها ولا عثر أحد من قبلي عليها . . .

يقسم الكتاب الى خمس مقدمات الاولى في فضل العقل وما ورد في شرفه من النقل والثانية في علوم الادب وما ورد فيها من القول المنتخب والثالثة فيما روت الصحابة

فوربس فالمستر نورتن فالمس جرترود لوثيان بل وبقيت برئاستها حتى سنة ١٩٢٤ ونظراً الى ما كانت تتطلب هذه الخزانة من النفقات لتكون في مصاف الخزائن المهمة قررت اللجنة ايداعها وزارة المعارف فسمتها هذه الوزارة « المكتبة العامة » ولا تزال موجودة وفيها بضعة ألوف من الكتب المطبوعة والمخطوطة . ووزارة المعارف مجتهدة في توسيعها

من الحديث وخرجت منه القديم بالحديث والرابعة في نبذة مما انتخبته من بعض القصايد والمقاطيع الحسان التي هي فى جيد الزمان كفرائد الدرر وقلائد العقيان والخامسة في بعض قصايد مبدعة ومعارضتي لها بقصايد بديعة مخترعة

وفيه خمسة أبواب الباب الاول من السحر الحلال فى القصايد الباب الثاني في الموشحات والمخمسات الباب الثالث في الالغاز والمطارحات الباب الرابع في المراثي الباب الخامس في المقاطيع

فالكتاب نفيس بمواضيعه قد جمع القصائد الحسان وناصع البيان وضمَّ بين دفتيه البدائع والطرف واللطائف والنكت وغرر الاقوال وبدائع الأمثال من نوابغ الشعراء وأمراء الكلام وصاغة القريض وروّاض القوافي

لننقل بعض ما جاء في هذا الكتاب مثالاً من محتوياته. ورد في مقدمة الاحاديث حديث وهو : روى الاوزاعي عن الزبيري برفع الحديث أن أبا بكر دخل على النبي صلى اللّه عليه وسلّم وعند أهله جاريتان يتغنيان بدفين ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم مستتر بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف النبي صلى اللّه عليه وسلّم عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » .

واليك أمثلة من قصائده أولاً أبيات مستلّة من قصيدة مدح بها قانصوه الغوري في مستهل ربيع الاول سنة ٩٠٩ هجرية لما خطبت مشايخ الاسلام بجامع الغوري :

مطلعها : لا وشهد اللقا وسهد الصدود ما نهودي من غير ذات نهود
ومنها : ملكه كالسماء وهو كبدر فيه يسري يانجم من جنود
ومنها : من كهذا الغوري الملك شـد يد فهمه ثاقب برأي سديد
ومنها : أنا حرّ لكنّ لفظي رقيق والاحرار من جوده كالعبيد
ومنها : حبذا الجامع بناه فريد مخاصاً فيه للحميد المجيد

وقال يمدح الغوري بقصيدة أخرى في ٢٨ رمضان سنة ٩٠٩ هجرية :

الأشرف الغوري الذي لجلاله رأس الملوك من المهابة يطرق

ونظم قصيدة يهنيء قانصوه الغوري عن نصره بالقبّة المعظّمة التي أنشأها تجاه جامعه جاء في مطلعها :

حبذا القبة العظيمة من قد أصبحت كالسماء ترى للانام

وله قصائد في مدح القاضوي محمود بن أجا كاتب الاسرار الشريفة وفي تهنئته يحيي

نجل الاتابكي أزبك وشرف الدين كاتب المماليك وبمديح الشيخ بدر الدين بن جمعة الحنفي وشيخ الاسلام قاضي قضاة مصر والشام شهاب الدين احمد بن فـ فور وغيرهم

ان النسخة التي ألمع اليها زيدان الموجودة في المكتب الهندي بلندن والاصح في خزانة المكتب الهندي Library of the India Office قد رأينا ذكرها ووضعها في قائمة اوتو لوت Otto Lott لسنة ١٨٧٧ رقمها في الخزانة ٢٨٧٣ طولها ½١٢ عقدة وعرضها ½٧ عقدة وفي الصفحة ٢١ سطراً وتاريخها أوائل القرن العاشر وربما كانت بتاريخ نسخة مكتبة السلام

خلاصة البحث

ان كتاب سحر الحلال هو من تأليف محمد بن قنصوه بن صادق كما ذكره زيدان أو كما جاء في نسخة مكتبة السلام الناصر محمد بن قانصوه بن صادق أو كما جاء في قائمة اوتو لوت في نسخة خزانة المكتب الهندي الصادق محمد بن قانصوه بن صادق وهو ليس خمس مقامات كما ذكر جرجي زيدان بل هو خمس مقدمات وخمسة أقسام كما وصفته في هذه المقالة

ان جرجي زيدان لم يذكر أن كتاب السحر الحلال من ابداع الجلال مختصر كتاب [أبدع الجلال في السحر الحلال] كما هو ظاهر من قول المؤلف في مقدمته التي نقلناها في هذه المقالة ولم يقف صاحبُ الآداب العربية على المطول المذكور للمؤلف نفسه

وان كنا لا نعلم سنة وفاة محمد بن قنصوه الا انه اشتهر في عهد الجراكسة الذين سادوا مصر من سنة ٨٧٤ — ٩٢٣ هجرية . وكان آخرهم قانصوه الغوري الذي امتدحه شاعرنا بالقصائد التي ألمعنا اليها . وكان من حقه أن يُذكر في كتاب زيدان في آخر العصر المغولي وقبل عائلة الباعونية الصالحية وقبل العصر العثماني ولا سيما وان كتابه الآخر المسمى « مراتع الالباب » من « مرابع الآداب » كما جاء في كتاب زيدان وقال ان نسخة منه في المتحف البريطاني واسمه في نسخة المتحف البريطاني على ما رأينا [مراتع الالباب في مرابع الآداب] والنسخة مرقومة ٣٤٧ جاء فيها انه ألف الكتاب في عام ثمان وتسعين بعد الثمانمائة. وهو شاب فيكون أول كتاب كتبه وهو شاب سنة ٨٩٨ هجرية ونسخة السحر الحلال من ابداع الجلال في مكتبة السلام تاريخها ٩١٥ ولم نعرف عن المؤلف شيئاً بعد هذا التاريخ . فلماذا نذكره اذاً في العصر العثماني ؟

بغداد يوسف رزق الله غنيمه

الالفاظ الفنية والعامية

حضرة الفاضل الاستاذ محرر المقتطف الاغر

بعد التحية والاحترام : لمناسبة ما قاله الاديب الرافعي في مقالته البليغة (صروف اللغوي) بمقتطف يناير عن كلمتيْ بذار وتقاوي أقول اني كنت راجعت علامتنا الاكبر المرحوم الدكتور صروف فقلت: ان كلمة تقاوي ليست من الكلمات العامية بل هي من الكلمات الفنية الزراعية التي تلازمت واستقرت مع معانيها في نفوس الزراع فمن العبث محاولة استبدالها بغيرها وان من مقوّمات رأينا هذا كلاماً للجاحظ ذكرته له « سيأتي نصه بعد » وكلاماً لعلامتنا ذاته في كتاب خاص ذكّرته به وقد قال لي فيه ما معناه :(لا تتعب نفسك في البحث في كتب اللغة عن الفاظ تجعلها بديلا من اصطلاحات أهل الفلاحة فان في هذه غناء وان كبار الكتاب باوروبا يفتخرون بمعرفة تعبيرات واصطلاحات اهل الفنون)

وفهمتُ حين ذاك انه اقتنع بقولي وقد سألني رحمه الله اين اطلعت على كلام الجاحظ فاجبتهُ اني قرأته في مقالة لأديبنا الرافعي بمجلة البيان موضوعها مصير اللغة وأذكر هنا الآن بعض ما قاله فيها ويليه كلام الجاحظ

(وهذا الجاحظ عالم كتاب هذه الامة وفرد بلغائها تتصفح كتبه فتعثر بالشيء من اسماء الادوات ومصطلحات الفنون وبعض ذلك لا سبيل الى فهمه ومعرفة مدلوله إلا بالرجوع اليه في الفارسية والهندية والرومية ونحوها والا ان اتفق للباحث ان يعثر على بيانه وتفسيره في بعض الموسوعات العربية او كتب الفنون وكان دأب هذا البليغ ألاّ يتوقف عند اللفظة المحدثة يقلبها ويشققها ولا يتردد عند الكلمة الدخيلة ينظر فيها ويحققها وهو قد نص على ذلك في موضع من كتابه الحيوان فقال بعد ان ساق الفاظاً من مصطلحات الزنادقة كالساتر والغامر والبطلان وغيرها وانكر غرابة الدلالة فيها وانها مهجورة عند أهل دعوته وملته وعند العوام والجمهور « ان رأيي في هذا الضرب من هذا اللفظ ان اكون مادمت في المعاني التي هي عبارتها والمادة فيها ان اللفظ بالشيء التيد الموجود وادع التكلف لما عسى ألاّ يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة وأرى ان اللفظ بألفاظ المتكلمين مادمت خائضاً في صناعة الكلام مع خاص اهل الكلام فان ذلك افهم عندي واخف لمؤونتهم علي . ولكل صناعة الفاظ

قد جعلت لاهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بضاعتهم الا بعد أن كانت بينها وبين معاني تلك الصناعة مشاكلات . وقبيح بالمتكلم ان يفتقر الى الفاظ المتكلمين في خطبة او رسالة او في مخاطبة العوام والجار او في مخاطبة أهله أو عبده وامَتِهِ او في حديثه اذا حدّث او خبره اذا اخبر وكذلك من الخطأ ان يجلب الفاظ الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل » اه من مجلة البيان السنة الثانية ص ٤١٣ و ٤١٤

وبعد فان مثل كلمة بذار الكلمات التي نقلها من احد موسوعات اللغة واقرها المجمع اللغوي الثاني او نادي دار العلوم — اسماء لاجزاء المحراث ونُشرت في صحيفة دار العلوم والكلمات التي نقلها كذلك تصحيح كتاب الزراعة المصرية لاسيما وان بعضها وضع في غير مواضعهِ لعدم معرفة ناقلها بدقائق المعانى الزراعية

ان لي في موضوع الالفاظ الزراعيـة بحثاً وافياً تصفحت في سبيله كثيراً من مؤلفات علمائنا الاقدمين في الزراعة والنبات والجغرافيا ومن قواميس اللغة وموسوعات الادب وقد نشرت كلمة عنه في مقتطف يناير سنة ١٩١٩ قلت فيها :

«لأهل الفلاحة كسائر أهل الفنون الاخرى الفاظ اصطلاحية واسماء للآلات التي يستعملونها قد استقرت في عرفهم استقرار المعارف الفنية في نفوسهم حتى صارت عندهم كأنها جزء من الفن ذاته مثال ذلك لفظ تقاوي ودمس وقصّابية ولواطة . فهذه الالفاظ وامثالها وأُسميها بالالفاظ الفنية قد فضّلت مجاراة اهل الفن في استعمالها ورأيتُ الاكتفاء بها فيما بينهم دون أهل الادب عن الكلفة التي لا داعي لها ولا فائدة منها في استخراج الالفاظ القاموسية او التكلف في حمـل اهل الفلاحة وطلاّبها على احلالها محل تلك الالفاظ التي قامت معانيهـا في نفوسهم قيام معاني الفن ذاته فيها . آثرتُ ذلك لا (لان مميزات اللغات ليست قائمة بما فيها من الاسماء والافعال بل بما فيها من حروف المعاني واساليب التصريف والاشتقاق وتركيب الجمل اي بصرفها ونحوها وبيانها » الخ فقط كما قال العلامة الدكتور صروف في المقتطف الاغر بل لان « لكل صناعة الفاظا قامت معانيها عند اهل الصناعات فمن الخطإِ ان نجلب الفاظ الأعراب او العوام ونستعملها بدلا منها فان لكل مقام مقالا ولكل صناعة شكلاً » كما قال الامام الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان

ولا يقتضي ذلك كما قد يتوهم البعض تفضيل الالفاظ الاعجمية أو العامية على ما يمكن وجوده من الالفاظ الفصحى أو اشتقاقه او نحته حسب اصول اللغة اسماء المسميات المستحدثة بل يُقتصر على الالفاظ الفنية التي رسخت في عرف اهل الفن من قديم رسوخ قواعده فيه فنفضّل مثلا الفاظ القصابية واللواطة والبشامة والبسخة والسلاح من الالفاظ الفنية المتداولة على الفاظ الجر والمسحاة والمجنب والدَّجر والعيان من الفاظ القاموس كما نفضّل أيضاً الفاظ الحرّاثة والدرّاسة من الالفاظ التي اشتقها العارفون باللغة واستعملوها اسماء للآلات الحديثة وتقول العامة في مقابلها : وابور الحرث ومكنة الدراس

ولا يحسبنَّ الذين يذهبون غير هذا المذهب اني انما ذهبتُ اليه ايثاراً للاسهل وتجنباً للصعوبة التي يعانيها كتاب الفنون في استخراج الالفاظ الفنية والتعبيرات الصحيحة من مظانها في كتب الفنون واسفار اللغة فاني قد جمعت في مذكراتي منها ما يغني بعضه في هذا الموضوع كل الغناء

واقول لبيان شدة حرصي على ايجاد التعبيرات الصحيحة الموافقة لذوق اللغة والفن معاً ان لي شيئاً من الاثر في تصحيح بعض الالفاظ التي استعملها بعض مشهوري الكتاب الزراعيين بمساعدة بعض كبار الادباء في غير ما وضعت له خطأ منهم غير مقصود . فمن ذلك : لفظة الدّالية للشادوف والصواب المنزفة (يراجع المخصّص) ولفظ بذر بدل لفظ تقاوي والصواب الزّريعة فان البذر في اللغة هو الحب المزروع . والتقاوي اعم من ذلك فانها تتناول كل ما يتكاثر به النبات سواء أكان حباً او برعماً او غصناً الخ والزّريعة كل ما زرع فيصح ان تكون مرادفة للفظ التقاوي

واستخرجت من كتب اللغة والزراعة الفاظاً وجُملاً اصح وأخصر مما يستعمله جمهور الكتاب الزراعيين . منها : روافع الماء بدل قولهم : الآلات الرافعة للمياه . خصال الارض او طبائع الارض بدل قولهم : الصفات الطبيعية للارض . النزّ بدل قولهم : الماء الارضي أو ماء تحت التربة أو الماء الارضي القريب . الغمر بدل قولهم : الماء الارضي البعيد

بل أحدثتُ الفاظاً بطريقة الاشتقاق والوضع منها : الثّرية بدل قولهم : طبقة تحت التُّربة فالثّرية من الثرى وهو التراب النديّ وكذلك تراب تحت الارض كما نقول : التربة من التراب الناشف وكذلك تراب وجه الارض . وحيوية الارض بدل قولهم : الصفات الحيوية للارض الخ

وخصّصت كثيراً من الالفاظ بمعانيها المطابقة لها تماما كما يقتضيه فقه اللغة فَفَرَّقْتُ بين لفظ غَمِقَة وصفاً للارض المرطوبة رطوبة مضرة ولفظ غَدِقة وصفاً للارض النديّة بماء الري

هذا قليل من كثير مما توفقتُ اليه ولعلّ فيه دلالة على عدم التفريط في واجب اللغة فيطمئن بذلك اساتذتنا الغيورون على استقلالها ورونقها

وبعد ، فمن رأيي ان لابد لمن يعاني هذا الموضوع معاناة موفّقة ان يكون بصيراً بالقدر الكافي من اللغة والفن معاً لا أن ينضم عارفٌ باللغة وحدها الى عارف بالفن وحده ليكمل احدهما نقص الآخر فان هذا أشبه شيء بحالة الاعمى والمقعد وما ابعدها حالة عن الكمال الذي نرجوه في هذا الموضوع الهام . والنية ان اعود الى تفصيل القول فيه في اول فرصة تسنح

احمد الالفي

تحقيق جغرافي لارتفاع واحة جالو

حضرة الفاضل رئيس تحرير المقتطف حفظه الله

قرأت في كتاب الرواد وصف الرحلة التي قام بها احمد بك حسنين في الصحراء الكبرى فجاء في صفحة ١٦٥ من الكتاب نفسه انه وجد بعد الرصد ان واحة جالو ارتفاعها من البحر مقدار ستين متراً على انه يلاحظ ان وولف الرحال الالماني الذي سبقه الى زيارة هذه الواحة سنة ١٨٧٩ وجد وقتئذٍ ان ارتفاعها على ارتفاع سطح البحر فتكون قد زادت ارتفاعاً عما كانت عليه بستين متراً . ويعلل حضرة الرحالة المصري ذلك بان الرمال قد تراكمت مدى الأيام فسببت هذا الارتفاع

إلا انني أرى ان احد الرحالتين قد يكون مخطئاً في حسابه اذ لو سمعنا ان واحة جالو سنة ١٨٧٩ كان مستواها ومستوى البحر واحداً ثم تراكمت عليها حتى بلغت ستين متراً من الارتفاع لوجب ألاّ يبقى أثر المنازل فيها اصلا ثم انني اعرف بعض الناس له فيها عقارات قد ورثها من ابيه وهي باقية كما هي منذ سنين طوال فحبذا لو تفضل احمد بك حسنين فأنار لنا غامض هذا الأمر على صفحات المقتطف خدمة للعلم والمتعلمين وله ولكم جزيل الشكر .

علي اسعد الجربي

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

حماية الطفل وحريته

نظرة في احوال الاطفال في الماضي والحاضر

من اهم ما اعتور وجه التاريخ البشري من الحوادث حادث بلوغ الطفل ما يصبو اليهِ من حرية واذا عدنا ببصرنا القهقرى الى ماضي الانسانية وجدنا ان تاريخ الاطفال كلهُ عبارة عن مأساة كبيرة في مختلف عصور التاريخ سواءٌ كانوا اعضاءً في جسم الاسرة او القبيلة او المجتمع

ومركز الطفل في الهيئات الاجتماعية في البلاد المتوحشة او التي لا تزال على الفطرة كان ولا يزال محفوفاً بالاخطار. كيف لا وعندهم يضحى بالفرد في سبيل المجموع اذا كانت التضحية بهِ تجلب خيراً او تمنع شرًّا . والضعيف عندهم هو المعرض للخطر وعلى نسبة الضعف يكون الهوان والشقاء . ولما كان ارتقاء الجنس البشري من حالة الهمجية الاولى الى حالة الرقي الحاضر قد تمَّ بعد مضي زمن طويل لذلك طال أمد شقاء الاطفال قبل ان نعموا بنعمة الحرية التي سبقها وصول الانسان الى حالة الرقي والتمدن الحاضر. نعم طال امد شقاء الاطفال واستمر قتلهم او اعدامهم اولاً لمجرد القتل ثم لاسباب او معاذير او مبررات استمدت من حكم العادات او التقاليد الدينية او الاحوال الاقتصادية. الا ترى الى بعض المتوحشين كيف انهم كانوا يعدمون كل توأمين كما هو الحال في استراليا الوسطى والى آخرين يقتلون اضعف التوأمين كما هي عادة الكفرة اي متوحشي افريقية الحديثة. وكان غيرهم لا يقتل من الاطفال الاَّ مشوهي الخلقة. وتختلف

المعاذير التي يعتذر بها ولاة الامور في كل قبيلة عن مسلكهم هذا القاسي نحو الاطفال وفي اختلاف تلك المعاذير وتفاهتها وتعددها ما يملأ الصحف الكثيرة بكل ما هو ممل وسخيف فقد كان ولا يزال البعض من المتوحشين يقتلون الاطفال لانهم ولدوا في يوم نحس على زعمهم او لانهم ولدوا باسنانهم او عطسوا عند خروجهم من بطون امهاتهم او بدا منهم او ظهر عليهم او شوهد فيهم اي امر غير طبيعي او غير مألوف . وقد كان الاناث اسوأ حظاً واكثر عرضة للخطر وادنى الى ارضاء شهوة القتل من الذكور في تلك العصور الملطخة بدماء الابرياء من الاطفال . وارتقت هيئات اجتماعية عن هذه الحالة فقررت لكل اسرة عدداً من الافراد لا تتجاوزه فاذا تجاوزته قتل الزائد من عداد اطفالها واذا لم تصل الى العدد المطلوب فالاطفال في مأمن من الخطر. قال احد الكتّاب وهو R. L. Stevensen انهُ قد جرت العادة والعرف في جزيرة (وايتو بو) بالسماح لكل اسرة بطفلين اثنين اما في جزيرة (نيكوفيتو) فيسمح للاسرة الواحدة بطفل واحد وان اهل هاتين الجزيرتين اكثر طوائف الناس مواظبة على قتل الاطفال واعظمهم حبًّا لهم ولقد كان قتل الاطفال في عصور الانسان الاولى العلاج الوحيد الظاهر لمقاومة المجاعات او تخفيف وطأتها

واذا كانت حياة الاطفال رخيصة بهذا المقدار فليس عجيباً ان تنشأ فلسفة تقضي بأن تتسامى حقوق الوالد على اولاده الى الدرجة البالغة وتقرر بان يكون الابناء تابعين للآباء في كل امر ولا سلطة ولا حرية لهم امام ما يقررهُ آباؤهم في قليل او كثير . ألا ترى الى قول (كنفوشيوس سنة ٤٨٠ ق . م) : « ان نعمة الحياة انما استمدها المولود من والديهِ فوجب ان تكون حقوقهما عليهِ اسمى من سائر الحقوق» . فبسبب هذه الفلسفة ورواج مثل هذه التعاليم وبث هذه المباديء في النفوس صارت حياة الاطفال في الصين لا تساوي شروى نقير وكان قتل الاطفال فيها عملاً قائماً على ساق وقدم لم يصدّ احد تيارهُ حتى سنة ١٦٥٩ م اذ صدر أمر ملكي بحظر ذلك القتل او تقييدهِ وتلتهُ اوامر اخرى ولكنها كانت حبراً على ورق اوكان أثرها قليلاً لان قتل الاطفال ظل رائج السوق في بلاد الصين وكان قتل البنات اكثر واعم الى وقت قريب. وكانت اليابان أبر من الصين باولادها واطفالها ولكن الاستاذ (جودرخ) ذكر انهُ منذ الحرب الروسية اليابانية التي وقعت بين سنتي ١٩٠٤ و١٩٠٥ م زادت اعباء الضرائب على كاهل الشعب فقامت سوق مذابح الاطفال الاناث في اليابان على

قدم وساق . اما الهند فان الخاص والعام يعرف ان الاطفال كانوا ولا يزالون فيها اشقى البرايا فهم يقتلون ويشقون بما لا فائدة من الخوض فيه. وكذلك معلوم ان بني اسرائيل ساموا اطفالهم خسفاً ومسألة تقديم سيدنا ابراهيم ولده اسماعيل قرباناً الى الله تدل اولاً وقبل كل شيء ان غفران خطية الاب مقدمة على استمتاع الابن بحياته . على ان بني اسرائيل لم يحذوا حذو نبيهم ابراهيم بل اقلعوا عن تضحية الابناء مسترشدين باقوال الناصحين اذ يقول أحدهم : «كيف اتقدم بين يدي مولاي الرب ؟ هل اضحى بابني البكر من اجل خطيئتي واضيع ثمرة بدني في سبيل اخطاء روحي ؟ اعلم يا ابن آدم ان الله سبحانهُ وتعالى قد جعل لك سبيل الخير واضحاً والله لا يسألك الاّ ان تكون نصير العدالة وحليف الاستقامة وحبيب الرحمة وان تلين جانبك له عز وجل »

اما اليونان فبالرغم من بلوغها قمة المجد في العلوم والآداب والفنون الجميلة والفلسفة فان ايدي ابنائها كغيرهم كانت ملطخة بدماء اطفالها الابرياء فقد كانت شفقتهم كما يقول الاستاذ (ماهافي) قهرية غير مستمرة ولا تعدو الاصدقاء واعضاء الاسرة ولم يكن في طبعهم مروءة او رحمة بالنسبة للاعداء او العبيد المساكين وشفقتهم بالنسبة لافراد اسرتهم كانت مع ذلك لا تشمل اطفالهم المولودين حديثاً . وفي مدى الف سنة لا نرى من اليونان من يظهر ادنى شفقة او تألم من تعريض الاطفال يومياً للموت والهلاك فكأن قلوب اليونان كانت نحو الاطفال والضعفاء كالحجارة او اشد قسوة .ولم يسلم من هذا الجمود وتلك القسوة مثل افلاطون نفسه.وكان موضوع الهزوء والسخرية ومثار الضحك واللهو في القرن الرابع قبل الميلاد في بلاد اليونان طفلاً يتألم او يموت جوعاً او في حال النزع كما أن مسألة تعريض الاطفال للموت كان موضوع الروايات الهزلية والمحور الذي يدور عليه حديثها وكان الاطفال الاناث اشقى من الذكور لان الفقير والغني على السواء كان ينفر منهن ولا يلقين منهُ صدراً رحباً

اما مسلك رومية نحو الاطفال فانهُ موضوع اكثر تعقداً واتجاهاً الى ناحية الخير والبر وذلك لان تأسيس امة قوية استلزم اعتناق مبدأ ان الاطفال ذخر الامة وعمادها ومع ان سلطة الاب الروماني على اولاده كانت اول امرها واسعة النطاق فان ولاة الامور للغرض المتقدم ضيقوها ووضعوا لها قيوداً وفي الاساطير ان (روملوس) سن القوانين الكفيلة بحسن تربية الاطفال وخصوصاً اذا كانوا ذكوراً وانهُ يجب المحافظة

على حياتهم والعناية بهم حتى يبلغوا السنة الثالثة الاَّ اذا كانوا عرجاً او مشوهي الخلقة ومع ذلك فان الوالد الذي يرزق ولداً مشوهاً او اعرج كان يمنع من تعريضهِ للموت الاَّ اذا اقرَّهُ على رأيهِ خمسة من جيرانهِ ونحن نعلم ان رومية بعد فتوحاتها العظيمة سقطت من شاهق مجدها العسكري ومنعتها الحربية الى ادنى درك من الانغماس في الملذات والمفاسد ففشا الفسق وعم الزنا والتسرى واتخاذ الخليلات والحظايا فأدى هذا الى تدهور الاخلاق وانحطاط الآداب وقلل النسل وحل رباط الزوجية واجتث اصول النخوة من رجال الامة لذلك شرع (اوغسطوس) في السنة الرابعة للميلاد شرائعهُ الآيلة الى منع المفاسد ودرء اخطار الانحلال الاخلاقي ورغَّب الناس في الزواج والتناسل ورفع شأن الابوة لا باعادة السلطة المطلقة على الاولاد بل بما يكسبهُ الاب من الحقوق بسبب وجود اولاد او نسل لهُ فالاشخاص العديمو الولد كانوا يحرمون من الميراث ويمنح الاولوية في اشغال المناصب الاميرية لذوي الاولاد والعيال حسب كثرتهم وأُعفي الآباء والامهات من الضرائب اذا بلغ اولادهم ثلاثة او اكثر (البقية في الجزء التالي)

حسين لبيب

ناظر مدرسة النحاسين

فوائد الضحك والابتهاج

يحكى عن وليم فاندربلت المثري الاميركي الشهير انهُ قصد القسطنطينية يوماً، فنمي اليهِ ان كوكليس الممثل الهزلي معرّج هناك، فبعث اليهِ يسألهُ ان يتكرم عليهِ بزيارة في يختهِ الراسي في البوسفور. فلبى كوكليس الدعوة ومثَّل بحضرة مضيفهِ وحاشيتهِ ثلاثة ادوار كان لها وقع عميق في نفوسهم

ثم انهُ بعد بضعة ايام تناول الممثل من المليونير رسالة هذا نصها: انك قد اذرفت الدموع من مآقينا وجعلت الضحك ملء افواهنا، وحيث ان الفلاسفة قد اجمعوا على ان الافترار خير من الاستعبار فقد رأينا ان نكافئك على الوجه التالي

٦٠٠ دولار مقابل ابكائنا ست مرات

٢٤٠٠ مقابل اضحاكنا اثنتي عشرة مرة

٣٠٠٠

فتفضل باشعارنا بوصول صك المبلغ المرسل في طيه

وقد قال تاليراند : ليس شيء كالمزاح مروّحاً عن النفس . ونعم المثل القائل : اضحك تسمن. فلو عرف الناس مبلغ تأثير الضحك في الصحة ومدى الحياة، لاضمحلت حالاً علائم الحزن البادية في وجوههم ولأُصيب الاطباء بنقص كبير في عدد مرضاهم

فالضحك من خصائص الانسان ومميزاته وقد منحهُ لما لهُ فيهِ من النفع العميم ، اذ انهُ فضلاً عن اللذة النفسانية التي ترافقهُ ، يمرّن الاعضاء الداخلية فيفيد الرئتين والحجاب الحاجز والكبد والمعدة وسواها . وقد قال الدكتور جرين : ان الضحك يزيد نشاط الدم في الاوعية الدموية وتأثيرهُ ينالها كلها من اكبرها الى اصغرها. ناهيك بهِ زائداً للتنفس قوّة والعيون ضياءً والصدر اتساعاً والجسم حرارة ونشاطاً ، طارداً فاسد الهواء من بين خلايا الرئتين ، رادًّا الانسان الى صحتهِ ورفاهيتهِ

ومما يؤثر عن الدكتور اوليفر وندل هولمز قولهُ : ان السرور هو دواء الله فينبغي لكل امرىءٍ ان يتعالج بهِ ، فالارتياب والاضطراب والاكتئاب وكل صداعٍ يلمّ بالحياة يجب ان يزال بزيت الابتهاج . وكان ايضاً يقول : اذا اضطررتم للاستطباب فعليكم بالطبيب الجذل الطباع الباسم المحيا ، لانَّ بشاشة الطبيب انجع في العليل من ادويتهِ وعقاقيرهِ . وكثيراً ما كان الدكتور مارشل هول يصف السرور علاجاً لمرضاهُ معلناً انهُ افضل من جميع عقاقير الصيادلة . فما اصدقَ المثل القائل : القلب الفرح دواء ناجع

وهاكم مصداقاً لذلك شهادة مجلة طبية طارت شهرتها في انحاء العالم ، وهي مجلة اللانست الانكليزية التي بحثت قيمة السرور بحثاً علميًّا دقيقاً فأثبتت ان لهُ أثراً فعالاً في المرضى والضعفاء ، وأنَّ خلّتين اثنتين تنجمان عنهُ ، اولاهما انهُ يجعل الشفاء في حيّز الامكان ، وثانيتهما انهُ يساعد المريض على متابعة الحياة بالرغم من استعصاء دائه

ولذلك كان على اعظم جانب من الاهمية حسب رأيها ان يفتح المرضى قلوبهم للحبور ويملّكوهُ أعنّة نفوسهم ، لانهُ لما كانت القوة المسيطرة على الحركة الفكرية هي التي تشارف اعمال الجسم كافة ، اصبح من اللازم انّ العوامل العقلية بتأثيرها في الجهاز العصبي تفعل فعلها في انحاء الجسد ان خيراً او شرًّا . فلا غروَ اذا كان الحزن والامتعاض والضجر تثير ثائر الامراض والاوصاب ، ولا عجب اذا كان الجذل والانبساط والرجاء فضلاً عن تغلبها على الآلام تبعث في كيان الانسان قوة ونشاطاً

فالهمُّ والرّيب والتخوُّف هي ألدُّ اعداء الحياء البشرية ، والنفس المنقبضة الكئيبة المنحصرة بذاتها الفاقدة الثقة بمقدرتها وفائدتها ، هذه النفس لا خير يرجى لها ولا نعمى . فخليق بالانسان ان يناوئ كلَّ ما من شأنه ان يُذلّ نفسه ويشجيها مناوأته لمن يبغي قتله والقضاء عليه . فما لا شكَّ فيه انهُ في استطاعة النفس اذا طابت ان تزيد الجثمان قوة وجمالاً ، كما انها اذا اكتأبت أذوته نصباً واعتلالاً . ولئن جاز ان يقال ان العقل السليم في الجسم السليم فقد صحَّ الحاق ذلك القول بان الجسم السليم صنيعة العقل السليم . بل العقل والجسم صنوان متآخيان متصافيان ما زال الواحد منهما يشارك الآخر في سرَّائه وضرَّائه

وقد كان شافاس الجرَّاح الشهير يعتقد انهُ ينبغي للوالدين ان يعوّدوا من المهد اولادهم الاغتباط والحبور . فكان يقول لهم : احملوا اولادكم على التهلُّل والضحك ملء افواههم ، لانَّ الضحك الناشيء من اعماق النفس يقوّي الصدر ويجري الدماء في الشرايين ، ولست أعني تهاتفهم وفتورهم فيه بل اقصد استغراقهم وإمعانهم بحيث تتجاوب في انحاء المنزل أصداء قهقهتهم ، وفائدة ذلك لا تقتصر على اولادكم بل تتناول جميع من يسمعونهم مطلقةً نفوسهم من عقال الهم والكآبة ، إذ انَّ السرور ينتشر فعلهُ بسرعة فائقة ولا يستطيع احد مقاومة عدواه

وكان الملوك في سالف الازمان يستحضرون اليهم ارباب المجون ويجالسونهم على موائد طعامهم ويستصحبونهم في ملاهيهم ومساليهم مغدقين عليهم آلاءهم السابغة . ويروى عن هوفلاند طبيب ملك بروسيا انهُ حمل سيده على إحياء عادة مجالستهم على الخوان والاستئناس بفكاهاتهم ، لعلمه ان الضحك افضل التوابل واطيبها وابعدها في اعماق النفس قراراً

وقد كان سانفور يقول : ان كل يوم لا يضحك المرء فيه يخسره كأنهُ لم يكن ابداً . ويحكى عن لورنس سترن الكاتب الهزلي الشهير انهُ قال : اني اقاوم بالابتهاج ما بي من العاهات والامراض ، وقد تأكد لي ان الانسان كلما ابتسم ابتسامة او ضحك ضحكة اضاف شيئاً الى مدى حياته

— عن الانكليزية لماردن —

—o:o—

باب الزراعة والاقتصاد

طرائق التسافد في الدواجن (١)

هي وسائل غايتها تناسل الماشية على ان يضمن بذلك الاحتفاظ بصفاتها او تجويد هذه الصفات او ظهور صفات جديدة في الانسال

للتسافد طرائق خمس وهي : الانتخاب والاصطفاء والتهجين والتبغيل والتخليط (إسفاد الهجين للهجين) . فاذا كان الذكر والانثى من نوع واحد ورسّ (عرق) واحد فوسيلة الضراب المستعملة تسمى الانتخاب Selection مثالهُ حمْل حصان عربي على سفاد فرس عربية . اما اذا كانا من نوع ورس واسرة واحدة كأن يكون الذكر خال الانثى او ابن عمها فهو الاصطفاء Consanguinite واذا كان الذكر والانثى من نوع واحد لكن كلاًّ منهما ينتسب الى رس (عرق) فطريقة الضراب هي التهجين Croisement مثاله حمْل حصان عربي على سفاد فرس انكليزية او بالعكس والولد الذي ينتج عن هذا الشكل من السفاد يسمى الهجين او المقرف Métis فاذا جعلت الهجين ينزو على هجين فعملك هو التخليط او إسفاد الهجين للهجين Métissage واذا كان الذكر من نوع حيواني والانثى من نوع آخر فطريقة السفاد هي التبغيل Hybridation والحاصل هو البغل «او النغل» Hybride مثاله سفاد الحصان للأتان

الانتخاب

هو حمل حيوانين من رس واحد على السفاد على ان يكونا منتخبين بدقة فتنتقل الى نسلها اجود الصفات المرغوب في نقلها الى ذلك النسل . ويمكن بالانتخاب ان يبلغ الانسان بعض غايات منها اولاً : الاحتفاظ بالعرق نقيًّا في صفاته وذلك بألاَّ تنتخب للضراب الاَّ الحيوانات التي تحوي كل صفات العرق الجيدة . ثانياً : تنقية عرق لوّثهُ التهجين وذلك بألاَّ تنتخب للضراب حيوانات فيها من صفات العرق الاجنبي . واذا حصل (بسبب الوراثة المسماة الرجوع الى الاصل) حيوان يحتوي على بعض صفات ذلك العرق الاجنبي وجب منعهُ عن الضراب لكي لا يلوث العرق المراد تنقيتهُ.

(١) عن «كتاب الدواجن» للامير مصطفى الشهابي وهو مخطوط لم يطبع بعد

ثالثاً : تجويد صفات العرق . فاذا كان من صفات العرق ان تكون حيواناتهُ عالية مثلاً وكان يُراد تزييد العلو فيها فانهُ لا ينتخب للسفاد الا الحيوانات الاكثر ارتفاعاً . وهكذا في باقي الصفات فان الانتخاب يجودها على توالي الانسال

والاساس الذي يقوم الانتخاب عليهِ هي معرفة صفات العرق وخصائصهِ كل المعرفة فتنتخب للسفاد الحيوانات التي فيها اعظم مقدار من هذه الصفات والخصائص وتعزل تلك التي في بنائها نقص . ويجب ان يكون ثم تناسق في خصائص الابوين واشكالها . فاذا اسفدت حصاناً ذا ظهر محدب لفرس مقعر فالابن لا يكون ظهرهُ بين بين . بل يكون لهُ ظهر احد الابوين او ظهر الاب غالباً . فيجب اذن في الانتخاب ان تتحرى وجود الخصائص والاشكال المتماثلة في الابوين حتى تظهر على اتمها في النسل

كتب الانساب : يوجد لدى وزارات الزراعة في الحكومات الكبيرة سفر لكل عرق شهير من ماشية البلاد تقيد فيهِ كل الاسر المهمة التي تنتسب الى ذلك العرق مع كل فرد يمت بنسبهِ الى تلك الاسرة ويدعى هذا الكتاب « كتاب النسب » والانكليز اول من دونوا خيلهم الاصلية وماشيتهم الشهيرة في كتب الانساب واطلقوا على هذه الكتب اسماء تستعمل في كثير من اللغات الاوربية وهي Stud-Book « كتاب نسب الخيل » وHerd-Book « كتاب نسب البقر » . لنفرض ان الحكومة صحت ارادتها على اتخاذ كتاب للخيل العربية الاصلية في بلاد الشام مثلاً فعليها بان تتقدم الى عمالها في الاطراف بان يحملوا كل من لديهِ حصان (او فرس) من العرق العربي مما يصلح للتسافد على عرضهِ امام لجنة قوامها اكبر العلماء بصفات الخيل العربية وخصائصها ومزاياها وبعد ان تفحص اللجنة ذلك الحصان وتنظر في اسرتهِ تحكم إما بتدوينهِ في كتاب النسب الخاص بالخيل العربية او برفضهِ ومتى تم عمل اللجنة يصبح قوام الامر ألاّ يدون في ذلك الكتاب بعدئذٍ الاّ الافراد المتحدرة من الحيوانات المدونة فيهِ سابقاً . هكذا تحفظ انساب الخيل الاصلية ويكف كل صاحب ذوق وخبرة عن جعل فرسهِ يسفدها غيرُ فحلٍ مسجل في كتاب نسب الخيل . يتضح مما ذكرت ان كتب الانساب هي من خير الوسائل التي يرجع اليها في الانتخاب وانها تدعو الى تجويد النسل وترسيخ الصفات المستحبة ما دامت الغاية منها عزل العروق الصافية حتى لا تختلط بالتسافد مع غيرها . واظن ان من اهم اعمال الحكومة اليوم ان توجد كتابين : الاول للخيل العربية . والثاني للابقار البلدية ، هذا بعد ان تعين اللجنةُ التي تُكلّف

هذا العمل الصفات التي يجب ان يتحلى بها الفرد المنسوب الى كلّ من هذين العرقين

يستنتج مما ذكر في الانتخاب ان هذه الوسيلة من ابسط الوسائل وانفعها في تجويد رسوس الخيل والماشية . فالانسان لا يحتاج معها الى شراء فحول اجنبية ونقلها الى بلادهِ بل يقتصر عملهُ على تعهد الحيوانات البلدية واطعامها علفاً كافياً وانتخاب اجودها للسفاد . ومن الطبيعي ان عمل الانتخاب بطيء اي ان النسل لا يجود الاّ بعد المثابرة على اتباع قواعد الانتخاب عشرات من السنين لكن هذه القواعد البسيطة تؤدي الى جودة النسل دائماً

الاصطفاء

هو تسافد حيوانات من اسرة واحدة كسفاد الاب للبنت والاخ للاخت . والعم والخال لابنة الاخ ولابنة الاخت . وابن العم لابنة العم او بالعكس الخ . وتكون اشكال الابوين وخصائصها متماثلة في هذا النوع من الضراب ولهذا يكون تأثير الوراثة في النسل على أشده فتزداد تلك الاشكال والخصائص رسوخاً في ذلك النسل . ومعناهُ انهُ اذا كان في الابوين صفات جيدة فانها تبدو في الابن على شكل اجود . وكذا اذا كان الابوان مبتليين بمرض ينتقل بالوراثة فان هذا المرض يكون في الابن اشد منهُ فيهما . ويستنتج من ذلك ان الاصطفاء هو من احسن وسائل الضراب بشريطة ان يكون المتسافدان لا غبار عليهما من حيث جودة أشكالهما وخصائصهما وخلوهما من العيوب والامراض . ويمكن الدوام على اتباع طريقة الاصطفاء في بضعة انسال او اكثر . ولا يُكف عن اتباعها الاّ اذا ظهر في أحد الانسال عيب او مرض يخشى من انتقالهِ . وفي هذه الحال يكون من اللازم ان يُجلب للسفاد فحل من اسرة اخرى او قطيع آخر . وقد ورد في كتب الماشية ان الانكليزيين بكويل Bakewel وكولنغ Colling الشهيرين بتربية الماشية كانا عمدا الى طريقة الاصطفاء فجودا النسل بها واوجدا في قليل من السنين فحولاً ذاع صيتها واستفاضت شهرتها وكانت من اكبر العوامل في تجويد الماشية في بلاد الانكليز

التهجين

التهجين هو طريقة الإنتاج التي تتسافد فيها حيوانات من نوع واحد ولكن من عرقين مختلفين كإسفاد الحصان العربي لفرس غير عربية او الثور البلدي لبقرة من عرق « العكش » او تيس من المعزى البلدية لعنزة من المعزى الجبلية الخ . واذا كان

الاب من عرق كريم والام من عرق خسيس يراد تجويده سُمّي حاصل الضراب هجيناً ، وفي عكس ذلك فهو يتسمى مقرفاً

ويُعرَّف الهجين او المقرف باسم مركب من عرقي الابوين على ان يأتي اسم عرق الاب قبل عرق الام فيقال : حصان انكليزي عربي اذا كان الاب ينتسب الى الرس الانكليزي والام الى الرس العربي ؟ وبقرة بلدية عكش اذا كان ابوها ثوراً من الرس البلدي وامها بقرة من الرس العكش وهكذا

والتهجين على اشكال منها : تهجين النسل الاول والتهجين المستمر والتهجين المتتالي

(التتمة في الجزء التالي) الامير مصطفى الشهابي

مناطق الارض المصرية وخصائصها

الوجه البحري او الدلتا

وهو ثلاثة اقسام : جنوبي وشمالي ومتوسط بينهما

الارض الجنوبية

تشمل مديريتي القليوبية والمنوفية وجنوبي الغربية والجزء الجنوبي الغربي من مديريتي الدقهلية والشرقية ومركز كوم حماده بحيرة او بالاحرى من القاهرة الى خط الميزانية الثامن وهو يمر بكوم حماده بحيرة فكفر الزيات فطنطا فزفتى غربية فميت غمر دقهلية فالزقازيق شرقية .

وارض هذا القسم الجنوبي اذكى الاراضي خصباً وزرعاً واقطاناً كان الزرع او حبوباً او بقولاً او مرعى او بساتين

كذلك هو اوفرها عمراناً واجودها ماشية ولعلو ارضها عن ترعها لا تروى بالراحة الاَّ في فصل الفيضان النيلي وتكثر فيه الآبار العذبة الماء بنوعيها ارتوازي ومعين

الارض المتوسطة

وهي التي تلي الارض الجنوبية شمالاً من خط الميزانية الثامن الآنف الذكر الى خطها الخامس الذي يمر بالدلنجات فايتاي البارود بحيرة ثم الى دسوق فكفر الشيخ فطلخا غربية فالمنصورة فالسنبلاوين دقهلية فكفر صقر فابوكبير ففاقوس شرقية فتشمل اواسط مديريات البحيرة والغربية والدقهلية والشرقية

وهذا القسم اقل من القسم السابق عمراناً وخصباً وريعاً وافضل ما يجود فيهِ القطن ثم الحبوب وسائر الزروع وماء الآبار فيهِ دونهُ في ذاك

ولا يزال بعض اراضي هذا القسم المتوسط بحاجة الى تحسين وسائل الري والصرف

الارض الشمالية

وتعرف بالارض البحرية وهي التي تلي الارض المتوسطة وتشمل شمالي البحيرة والغربية والدقهلية والشمال الشرقي من الشرقية واكثرها ذو ملوحة ورطوبة ولذلك لا بد من الصرف الصناعي فيها

وتقسم الى قسمين : الاول اقل ملوحة ورطوبة من الثاني ويمتد من خط الميزانية الخامس الآنف الذكر الى خطها الثالث الذي يمر بمتوسط المسافة بين ايتاي البارود ودمنهور بحيرة متجهاً الى فوّه ومنها الى بلقاس فشربين غربية ثم يتجه الى دكرنس دقهلية فالصالحية شرقية . والثاني من هذا الخط الثالث الى البحر الابيض المتوسط ويعرف بارض البراري والجزء البحري منها وهو الذي تحت خط الميزانية ٥٠ر١م الى البحر اكثرهُ من الارض الموات الكثيفة الملوحة الكثيرة الرطوبة ومنها السباخات والبحيرات المجاورة للبحر

وحيث تحسن وسائل الري والصرف والفلاحة في الارض الشمالية بقسميها تنتج افخر الاقطان وتجود زراعة الارز لاسيما في مناطقهِ المشهورة بهِ والتي لفلاحيها اتم خبرة في زراعتهِ لا يساميهم غيرهم فيها . كذلك تجود زراعة البرسيم ثم الشعير وتكثر مواشي اللبن لتوافر المراعي الخضراء وتصلح خصوصاً في القسم الاول زراعة القمح والذرة. والآبار في قسميها لاسيما في الاعالي المجاورة للارض المتوسطة

واختصت الارض البراري بزراعة السماد ومن اشهر الجهات التي يزرع فيها وادي الطميلات بمركز الزقازيق شرقية المشهور بتفتيش الوادي التابع لوزارة الاوقاف

وفي البراري توجد الشركات العقارية لاصلاح الاطيان وتحسينها وبيعها بالتقسيط للفلاحين واكثرها الآن في الغربية والبحيرة ثم في الدقهلية ولذلك كثرت في هذه البراري لاسيما في براري الاولى منها الانشاءات العمومية كالترع والمصارف والطرق الزراعية والحديدية والاسواق ونقط البوليس فزاد عمرانها وتحسنت احوال سكانها عن قبلُ وعن امثالهم في الجهات المحرومة من هذه الشركات كبراري مديرية الشرقية مثلا

وتحتاج ارض البراري الى زراعة الارز بدورتها الزراعية في فترات متقاربة كل ٣

سنين مرة اذا كانت جيدة الصرف والى زراعته بها زراعة متوالية وهذا في القسم الادنى منها ولكن اباحة زراعته تابعة لمقدار ماء النيل كثرة او قلة فتوسع زراعتهُ او تضيق حسبما تحددها وزارة الاشغال تبعاً لذلك

ومما لاحظتهُ ان ما يراعى في تحديد زراعته احياناً ليست حاجة الاطيان وحدها بل وموقعها من الترع الرئيسية التي تنتفع منها ولذلك قد تحرم من زراعة الارز ارض تحتاج اليها اكثر من ارض اخرى ابيحت فيها زراعته. فلملافاة ذلك يجب ان تكيَّف الترع حسبما تقتضيه احوال الارض

وعلى اثر اشتداد شكوى فلاحي بعض مناطق الارز من خطر زراعته في اراضيهم سنتين متواليتين نشرت الاقتراح الآتي في المقطم :

ان مناطق الارز الحقيقية اما اولية او ثانوية فالاولية قسمان : احدهما اكثر ملوحة وانخفاضاً وادنى للسبَّاحات والبحر الابيض والارز فيه اهم مزروعات الدورة الزراعية شأناً وربحاً فاذا ابطلت زراعتهُ فيها سنة واحدة زادت ملوحة الارض وخسر زراعها خسارة لا تعوض ولذلك فان الحكومة لا تحظر زرعه هناك ولو شحت مياهُ النيل كما حصل سنة ١٩١٤ مثلاً لاسيما وان لا بد من المحافظة على هذا المحصول الغذائي وتقاويه وان البعض من ارض هذا القسم يروى من فرعي النيل الشرقي والغربي واكثر ماتهما في الصيف من الماء الارضي

وثاني القسمين من مناطق الارز الاولية يلي الاول جنوباً ويقل عنهُ ملوحة وانخفاضاً واذا اهملت زراعة الارز فيه سنة يمكن (بضرر محتمل ولو بصعوبة) الاستمرار في استغلال ارضه بالمزروعات الاخرى وتخفيف ملوحتها بتنييلها في فصل الفيضان وحينئذٍ يجب تقصير المناوبات النيلية فيها ما امكن ولكن اذا ابطلت زراعة الارز فيها سنتين متواليتين اصاب الارض واصحابها ضرر بليغ وهذا القسم ضعف الاول مساحة ومساحتهما معاً نحو ٢٥٠ الف فدان

والذي اراهُ ان يُقسم هذا القسم الثاني من حيث التصريح بزراعة الارز الى نصفين فاذا شح النيل يصرح لنصف منها بالتناوب بينهما مع القسم الاول وبذلك لا يزيد ما يصرح بزراعته مع شح النيل عن ٧٥ الف فدان تقريباً وتظل مناطق الارز الاولية حافظة لكيانها واذاً لا تقل زراعته في الارض الواحدة من القسم الثاني عن مرة في كل ٣ سنين ولا يحرم منهُ مالك اكثر من سنة واحدة

اما مناطق الارز الثانوية فتكون اباحة زرعه فيها تابعة لحالة النيل من التوسط والعلو ويجب ان يراعى في الاباحة التناوب بين اقسامها اذا قصرت عن شمولها

هذا هو العلاج الوقتي وهناك علاج آخر هو ان تعتني الحكومة بتحسين المصارف في ارض البراري وتمكين الزراع من تنييل ارضهم بماء الفيضان كما ينبغي واذاً تقل حاجة الكثير منها الى زراعة الارز الصيفي زراعة متقاربة وبالتالي يقل ضرر الازمات المائية ويتوفر الماء لتلطيف مناوبات القطن الصيفية

وفي بعض جهات البراري تتداخل وتتجاور الارض المستجدة والارض الموات فليست مناطقها منفصلة بعضها عن بعض تماماً في كل الجهات

وسكان الجهات الشمالية خصوصاً براريها وبالاخص الارض المستجدة اقل من الكفاية لزرع اراضيها الزراعية كما ينبغي ولذلك ففي هذه البراري متسع عظيم لمن يريد الهجرة والتوسع من اهل الجهات الجنوبية التي اكتظت بسكانها

وقد شاهدت بعض الآثار الفرعونية في بعض جهات من البراري مع انها لا تكون الاَّ مع عمران وفير وخصب كثير فعجبت كيف كان ذلك وارضها الزراعية كما نرى انخفاضاً وملوحة وسألت فافادني احد المهندسين المطلعين بما يأتي :

كانت هذه المنطقة الشمالية عالية عن البحر الابيض وتعرف بارض الزعفران لتفوّق خصوبتها على غيرها لان مياه النيل كانت تركبها في كل فيضان ولو واطياً فكانت تزرع دواماً بخلاف ارض الوجه القبلي الذي كان لا يركبها الاَّ الفيضانات العالية لعدم وجود اعمال هندسية لذلك حين ذاك

ثم حصل زلزال عظيم سببهُ بركان ڤيزوڤ بايطاليا فارتفعت شواطئ البحر الابيض عندها وهبطت بالطبع في البر الآخر تجاه القطر المصري وهبطت معها الارض الزراعية ايضاً فطغى عليها ماء البحر الى ان وصل الى برما غربية اي الى خط الميزانية السابع تقريباً ثم بتكرار الفيضانات بعد ذلك وتوالي الري والصرف والزراعة اصلح كثير مما كان تلف الخ

وقد سألت المهندس الذي افادني بذلك عن المصدر الذي عرفهُ منهُ فاجابني انهُ لا يتذكرهُ وسألت عالم العلماء المغفور لهُ الدكتور صرُّوف صاحب المقتطف فاجابني انهُ يظن انهُ قد يكون كتاب المستر ولكوكس المهندس الانكليزي الاشهر وقد حالت منيتهُ رحمهُ الله دون تحقيق ذلك

احمد الالفي

مكتبة المقتطف

اصول علم النفس

اثرهُ في التربية والتعليم

تأليف الاستاذ امين مرسي قنديل — الجزء الاول الطبعة الثانية — طبع بالمطبعة العربية بمصر — صفحاته ٣٣٤ قطع المقتطف

حضرنا مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم بجامعة تورنتو سنة ١٩٢٤ وكان رئيس قسم السيكولوجيا فيهِ الاستاذ وليم مكدوغل استاذ هذا العلم في جامعة هارفرد فالقى خطبة ممتعة لا نزال نذكر مطلعها لما كان لهُ من الوقع في نفوس الحاضرين لانهُ كان بمثابة تصريح علمي بانشاء دولة علمية مستقلة بين دول العلوم المختلفة . قال الاستاذ مكدوغل :

« نحن المشتغلين في مختلف الابحاث النفسية يسرُّنا ان العلم الذي نشتغل بهِ يرتقي ارتقاءً سريعاً ويمدُّ نفوذهُ الى كل عمل من اعمال الناس . فانشاء فرع السيكولوجيا (علم النفس) في مجمع تقدم العلوم البريطاني وتقدمهُ من اكبر الادلة على ان زملاءنا في سائر فروع العلم الطبيعي يعترفون بمقام علم النفس بين العلوم »

ولا يخفى ان لعلم النفس فائدة عملية واثراً فعالاً في علم التعليم وفنون الطب والصناعة ومختلف العلوم الاجتماعية لان النجاح في كل هذه المباحث والاعمال يقتضي علماً بالطبيعة البشرية

فسرَّنا والحالة هذه ان يقوم منا باحث محقق يدرس هذا العلم درساً دقيقاً في جامعات اوربا ثم يعهد اليهِ في تدريسهِ بمدرسة المعلمين العليا فيضع فيهِ كتاباً نفيساً قدَّم فيهِ « حقائق هذا العلم القديم والحديث في قالب يجعلها سائغة لمن لم يتذوقها من قبل » وقد وقف فصل الكتاب الاول على تمهيد بيَّن فيهِ ماهية علم النفس وما يتناولهُ اصحابهُ من الموضوعات وطريقتهم في البحث والابواب المختلفة التي قسم اليها البحث السيكولوجي وفصَّل كلَّ ذلك احسن تفصيل مستشهداً باقوال المشهورين من علماء النفس في مختلف البلدان

فتحنا اتفاقاً صفحة ١٢١ فاذا عنوانها « الرنح او المخيخ » فاستغربنا وجود لفظة الرنح لان لفظة المخيخ مشهورة بين كتاب العربية وتشير الى جزء خاص من الدماغ ففتحنا لفظة « رنح » في القاموس فوجدنا معناها ما يلي :

الرنح الدوار ونحو العصفور من دماغ الرأس بائن منهُ . وهو لا يؤدي المعنى المقصود من لفظة Cerebellum تأدية دقيقة ولا لفظة مخيخ بمعناها القاموسي تؤديهِ ايضاً ولكنها تُؤثر على لفظة الرنح لانها اقدم استعمالاً واكثر شيوعاً . وزد على ذلك انهُ يتبادر الى الذهن عن ذكر لفظة « الرنح » معنى الترنح من السكر وهذا يشوّش على العقل ادراك المعنى المقصود

وهذه الملاحظة لا تحطُّ من قيمة الكتاب فهو من انفس الكتب العربية التي وضعت في هذا العلم ولعلهُ الكتاب العصري الوحيد الذي استوفى هذه المباحث وعسى ان يتعهد الاستاذ كتابهُ بالتنقيح واعادة الطبع مرة كل سنتين لان المباحث السيكولوجية تتقدم تقدماً سريعاً ويتسع نطاقها سنة بعد اخرى

كتاب البقول

وهو يبحث في زرع الخضر في اقاليم بلاد الشام ونظائرها

تأليف الامير مصطفى الشهابي — عضو المجمع العلمي المصري بدمشق الشام — مدير املاك دولة سورية — طبع بدمشق الشام بالمطبعة الحديثة صفحاته ٢١٣

الامير مصطفى الشهابي معروف لدى قراء المقتطف بمقالاتهِ الزراعية الممتعة نذكر منها على سبيل الاشارة « زراعة القطن في سورية » . « تقدم العلوم الزراعية » . « اوصاف الخيل العراب » . ولهُ ايضاً مؤلفات زراعية جمعت اوفى طائفة من الحقائق النظرية والعملية عن احوال الزراعة في اقاليم بلاد الشام ونظائرها اشهرها « الزراعة العملية الحديثة » « والاشجار والانجم المثمرة »

افتتحنا هذا الكتاب فاذا المؤلف في مقدمتهِ شاعر بليغ حيث يقول :

« من اجمل ساعات عمري واسعدها تلك التي كنت ازرع فيها بيديَّ البقول والازهار والرياحين واشجار التزيين في المدارس الزراعية او في حديقة بيتي على صغرها . والذ بقلة اكلتها هي التي كنت اتتبع حياتها منذ إنتاش بزرتها الى حين جنيها . ولم اجد ما يروّح القلب ويريح المنهمك في الاعمال العقلية مثل اعتزال المدينة وضوضائها ومحادثة بسطاء

الاكارين في الارض والخيل والماشية ومختلف الزروع . ان حب الفلاحة وما فيها من الخير للبلاد حملني على متابعة التأليف في العلوم والفنون الزراعية وهذا الكتاب «كتاب البقول » هو الحلقة الرابعة من سلسلة الابحاث الزراعية التي اخذت على نفسي التصنيف بها . ولعل الاقدار تسمح لي باضافة حلقات اخرى اليها »

ولكنهُ مع ذلك رجل عملي يفضل زرع البقول والرياحين والازهار على نظم القصائد في اوصافها وهل من شعر ابلغ من شعر العمل !

قسم كتابهُ الى قسمين الاول جاء فيهِ على القواعد العامة التي لا بدَّ من معرفتها حتى توفى الزروع حقها من العناية. واهم موضوعات هذا القسم : تقسيم البقول وفوائدها. اشكال بساتين البقول . الادوات والآلات اللازمة للبستاني (مزدان بصور كثيرة) الاتربة وخواصها . المصلحات والاسمدة . تسميد ارض الخضر . الاسقاء (او الري) تكاثر البقول . انتخاب البزور وابتياعها . غرس النباتات في مستقرها . تعاقب البقول في الارض

ووقف القسم الثاني على الحقائق الخاصة بزرع كل نوع من البقول وقد ذكر منها عشرين نوعاً قسمها الى ثلاثة اقسام الثمرية كالطماطم والباذنجان والخيار والفاصوليا. والورقية او العشبية او الخضراء وهي التي تؤكل اجزاؤها الخضراء كاوراقها او سوقها المائية او ازهارها كالهليون والقنبيط . والعسقولية وهي التي تتضخم سوقها او جذورها او اصولها الارضية كالبصل واللفت والبطاطس والجزر . واضاف على هذه الاقسام الثلاثة ملحقاً في البقول التي تنبتها الطبيعة كالكمأ والعكوب والخبازى

فالكتاب مفيد لكل صاحب بيت حول بيتهِ قطعة ارض يريد ان يستثمرها فائدتهُ لاصحاب البساتين لانهُ يبين لهم الاصول العلمية والقواعد العملية لزراعة البقول وهذا النوع من المؤلفات من اهم ما نحتاج اليهِ الآن . وسنعود الى الاقتطاف من فوائدهِ في اجزاءِ المقتطف القادمة وننشرها في باب الزراعة والاقتصاد

رمل وزبد

وصفنا هذا الكتاب بما يستحقهُ في نظرنا حين ظهورهِ بالانكليزية في يناير ١٩٢٧ وذكرنا لمحة من تاريخ مؤلفهِ الشاعر المصور جبران خليل جبران ونقلنا طائفة من اقوالهِ وحكمهِ . وقد عني الآن بنقلهِ الى العربية الارشمندريت انطونيوس بشير

منشئ مجلة الخالدات العربية باميركا وطبعهُ يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

قال المترجم في وصف الكتاب : ليس هذا الكتاب رواية او قصة يكفي ان يمرّ بها القارىء ليدرك فحواها ويفهم الحقيقة المنطوية عليها ولكنهُ مجموعة آيات وحكم في فنّ وفلسفة وشعر وجمال فلا تترك عبارة من عباراتهِ قبل ان تقف على الحقيقة التي وراءها ، وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها اليك . فان جاءت مثبتة لما بين يديك فاقتبلها واحتفظ بها . وان جاءت غريبةً عما عرفتهُ والفتهُ ، فلا ترفضها بل ضعها في دائرة من ذاكرتك ثم عُدْ اليها بعد حين متذكراً ان الذين اضطهدوا غاليليو واحتقروا آراءهُ الغريبة ما كانوا ليضطهدوهُ لو عاد وعادوا الى الحياة اليوم

وقد نشرنا بين مقالات هذا الجزء انشودة للمؤلف مكتوبة بخط يدهِ فيها خلاصة لفلسفتهِ الروحانية . والكتاب مزدان بصور رمزية بديعة من تصوير المؤلف حبذا لو بذلت العناية باتقان حفرها وطبعها لان صور جبران جزء مكمل لجميع كتاباتهِ

كتاب الاغاني

لابي الفرج الاصفهاني

لم يكن هذا الكتاب الجليل القدر بمجهول فنحاول تعريفه لانهُ من امهات كتب الادب العربي المعدودة . وما من كاتب او أديب او شاعر او خطيب الاَّ وكان لهُ ينبوعاً يغترف منهُ وعوناً ونعم العون . ولذا وقع اختيار حضرة السري السيد علي راتب على اعادة طبعهِ بمطبعة دار الكتب المصرية احسن وقع لدى المتأدبين وقد تكفل حضرتهُ بنفقات طبعه وتبرع بنسخهِ لدار الكتب . وقد شكرتهُ الدار على هذه الاريحية بخطاب بعث بهِ اليهِ وزير المعارف ورئيس المجلس الاعلى للدار . وذُكر الخطاب بصدر الجزء الاول الذي ظهر حديثاً في احسن حلة مشرقة زادتهُ جمالاً الى جماله واهدتهُ الينا دار الكتب ضمن مطبوعات اخرى كتبنا عن احدها في هذا العدد

وقد تولى مصححو القسم الادبي بها ضبطه وتصحيحه وشرح غريبهِ بما هو جدير بمنزلتهِ عند اهل العلم والادب . وأُدخل فيهِ من التحسينات زيادة عن الطبعتين السابقتين ما زادهُ حسناً وجمالاً كترقيمهِ وضبط الاعلام واسماء الاماكن والبلدان وما ورد فيهِ من الكلمات الغريبة مع شرحها شرحاً يغني القارىء عن الكشف في معاجم

اللغة وكتب الادب وبيان ما ورد فيهِ من الالفاظ الاصطلاحية أو الدخيلة كالاسماء المولدة او المعرَّبة مما لا يوجد في كتب اللغة التي تقتصر على ذكر الالفاظ العربية الفصيحة : كاسماء الاطعمة وغيرها من المعاني المحدثة في عهد الامويين أو العباسيين فمن بعدهم

وقد صدَّرهُ حضرة الكاتب الاديب احمد زكي العدوي افندي رئيس قسم التصحيح بدار الكتب بمقدمة نفيسة بيَّن فيها كل ما لهُ صلة بموضوع الكتاب كصناعة الغناء وترجمة ابي الفرج وما قالهُ اهل العلم والادب في الثناء على كتابه أو نقدهِ ومن اختصرهُ منهم وكتب الاغاني المؤلفة قبلهُ والمسماة باسمهِ والكلمات الاصطلاحية الواردة فيهِ وبيان النسخ التي روجع عليها مع تمييز كل نسخة برمز خاص والطريقة التي اتبعت في تصحيحهِ وختمها بذكر المصادر التي استعان بها في التصحيح ومن اشتغل معهُ من رجال العلم والادب

واتماماً للفائدة وتعميماً للنفع قد وضعت لهذا الجزء فهارس أبجدية وافية للاعلام مع ذكر المناسبة التي ورد لها الاسم كاسماء الشعراء ورجال السند واسماء المغنين ورواة الالحان واسماء القبائل والامم والبلدان واسماء الكتب الواردة فيهِ وقوافي الابيات وايام العرب وغيرها مع افراد فهرس خاص للموضوعات الواردة في الكتاب

ولم يتبع في ترتيب هذه الفهارس حذف صدور الكنى من اسماء الاعلام ولفظ ذو وذات كما هي عادة واضعي الفهارس للكتب العربية بل روعي في الترتيب صدور هذه الكنى ووضعها في الحرف الذي تبتدىء بهِ فمثلاً وضع لفظ « ابو القاسم » و « ام بكر » وما شابهها في حرف الالف كما وضع اسم « ذو الاصبع العدواني » مثلاً في حرف الذال و « بنو امية » مثلاً في حرف الباء كوضع نفر يعدُّ على الاصابع من المستشرقين الذين قاموا بعمل فهارس للكتب العربية

اما طريقتنا في ترتيب عمل فهارسنا فعلى الرأي الاول الذي يعتبر اول الاسم دون المبالاة بأل التعريف وبألفاظ : الاب والابن والام والبنت لانهُ اسهل في المراجعة واصبح معروفاً الآن لكل باحث

وبالجملة فهذا الجزء مستكمل كل وسائل الجودة والحسن والاتقان في الطبع والورق والتصحيح . وكنا نود لو وُضعت في هامش كل صفحة من هذا الجزء بجانب السطر الخامس والعاشر والخامس عشر الخ الاعداد ٥ و١٠ و١٥ الخ للوقوف بلمحة بصر

على الالفاظ المذكورة في الفهارس لمن أراد ان يجدها في الكتاب . وهو يطلب من دار الكتب المصرية بسعر ٢٠ قرشاً للافراد و١٨ قرشا لباعة الكتب

فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية

اهدت الينا دار الكتب المصرية الجزء الثالث من فهرس كتبها العربية لغاية آخر مايو سنة ١٩٢٦ وهو القسم الاول من فهرس آداب اللغة العربية مرتباً ترتيباً هجائيًّا . وتسهيلا للباحث ذكر مع اسم الكتاب ومؤلفهِ بيان ما يشتمل عليهِ من الموضوعات ونوعه ان كان مخطوطاً او مطبوعاً وعدد النسخ المحفوظة منهُ . وهذا الجزء كسابقيهِ في الحجم واتقان الطبع وجودة الورق وقد طبع بمطبعتها . وثمنهُ خمسة قروش صاغ

الدليل العام

للقطر المصري والخارج

اصبحت الكتب التي من قبيل الدليل العام من ضروريات الحياة العملية لا يستغني عنها احدٌ من الذين يزاولون التجارة او الزراعة او الصناعة او المقاولات او السمسرة او الاعمال المالية او الحكومية — فكل هؤلاء تقتضي اعمالهم ان يكون امامهم سفر يرشدهم الى الاشخاص والامكنة ويدلهم على القوانين والحقائق المنوعة التي لا بدَّ لهم من العلم بها باسرع ما يستطاع وليس من الغلو في شيءٍ ان نقول ان هذه الكتب من وسائل النجاح والربح والاقتصاد في الوقت والمال لانها كالمرايا المصقولة تريك كل ما تريد الوقوف عليهِ في الحال اذا كانت البيانات والعنوانات والحقائق التي تتضمنها صحيحة

والدليل العام الذي بين ايدينا الآن يحقق هذه الشروط ولو شئنا ان نذكر الموضوعات التي عالجها اوفى معالجة ضاق نطاق المقتطف عنها لان فهرسهُ الاجمالي يستغرق ١٤ صفحة من القطع الكبير بحرف دقيق . فكل ما يطلبهُ رجل العمل العصري من اسماء موظفي الحكومة وعنواناتهم ونمر تلفوناتهم وصناديق بريدهم ومن اسماء التجار والزراع والاطباء والمحامين والاعيان والعمد والشركات المختلفة يجدهُ بين دفتي هذا السفر النفيس . وهو فوق ذلك مزدان بكثير من الصور نخص بالذكر منها صورة ملونة لحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول . وقد طبع بمطبعة المقتطف والمقطم ويطلب من الشركة المصرية للمطبوعات والاعلانات ٣٣ شارع قصر النيل بمصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) عاكسات مركوني

مصر . طالعنا مقالكم النفيس عن آراء ماركوني ومباحثه اللاسلكية فلم ندرك المقصود من العواكس التي يستعملها ولا اوصافها الحقيقية . هل هي مرايا تعكس الامواج اللاسلكية كما تعكس النور ؟ فنرجو ان توضحوا لنا ذلك في المقتطف القادم

ج . المقصود من العواكس التي يستعملها ماركوني في نظامه اللاسلكي تقوية الامواج اللاسلكية وعكسها حتى يستطاع توجيهها شعاعة واحدة في جهة خاصة . فاذا شئنا ان نوجه النور من مصباح الى جهة واحدة وضعنا حوله مرآة مقعرة فتنعكس عنها اشعة النور التي تقع عليها من المصباح وتتجه الى الامام . فاذا اديرت المرآة اتجه النور دائماً الى امام المرآة كما ترى في مصابيح السيارات الكشافة . كذلك اذا استعمل عاكس مقعر يستطيع عكس الامواج اللاسلكية حول آلة لاسلكية مرسلة صار في الامكان توجيه الامواج اللاسلكية شعاعة واحدة في جهة واحدة وهذه الشعاعة تنفرج كلما بعدت عن العاكس المقعر فيصير شكلها مثلثاً تقريباً فيضيع شيء من قوتها بالانتشار . ويتلافى هذا الامر بجعل جداري العاكس متوازيين فيقل انفراج الشعاعة حين انبعاثها منهُ

اما اوصاف العاكس المستعمل في نظام مركوني فقد اشرنا اليها غير مرة في المقتطف لذلك ضربنا عنها صفحاً في المقال الاخيرة . وقد كان العاكس اولاً من صفائح المعدن ثم ابدل بآخر مؤلف من اسلاك دقيقة ممدودة بين اعمدة تعتمد عليها لانهُ اقل مقاومة للريح عند هبوبها من صفائح

المعدن . ويحيط العاكس بالمحطة المرسلة كانهُ حرف U الانكليزي. وللآلة المستقبلة جهاز يحيط بها كالعاكس الذي يحيط بالمحطة المرسلة ولكن عملهُ في هذه جمع الامواج الذائعة في الفضاء ولذلك اطلقنا عليهِ اسم «جامع» لانهُ ادلُّ من لفظة عاكس على عملهِ مع انهما في البناء واحد

(٢) انكليزية مركوني

ومنهُ . هل يعرف مركوني اللغة الانكليزية

ج . نعم ويتكلمها كاحد ابنائها بل هو من ابنائها لان امهُ ارلندية

(٣) عمره وعلمه

ومنهُ . كم عمرهُ الآن وهل هو من علماء الكهربائية اللاسلكية ام من هواتها

ج. ولد سنة ١٨٧٤ في بولونا بايطاليا فهو الآن في الثالثة والخمسين من عمرهِ . وهو عالم كبير من علماء الكهربائية اللاسلكية ويقول احد الكتاب الاميركيين الذين قابلوهُ وتحدثوا اليهِ انهُ يجيبك عن المسائل المرتبطة باللاسلكية اجابة خبير واثق مما يقول من غير تعثر او تردد

(٤) الكرم والبخل

المنصورة. هل الكرم والبخل طبيعيان في النوع الانساني او هما من الطوارىء التي طرأت على نوع الانسان

ج . يولد بعض الناس وهم اميل الى الكرم منهم الى البخل ثم يقوى فيهم هذا او يضعف بحسب التربية واحوال المعيشة. فمبدأ الكرم والبخل فطري الآن في نوع الانسان ولكنهُ يقوى او يضعف بالاكتساب ، والارجح انهُ في الاصل مكتسب مثل غيرهِ من الغرائز التي كانت افعالاً فعلها نوع الانسان ثم رسخت فيهِ بالوراثة

(٥) أينقلب الهواء ماء

ومنها . كيف ينقلب الهواء ماء

ج . الهواء لا ينقلب ماء وانما البخار الذي في الهواء تجتمع دقائقهُ بعضها مع بعض بسبب البرودة فتصير نقط ماء . والبخار غير الهواء لان الهواء مزيج من غاز الاكسجين وغاز النتروجين وغازات اخرى توجد فيهِ بمقادير قليلة . اما البخار فماء متبخر والماء مركب من الاكسجين والهدروجين

(٦) المقتطف وصحة الاحلام

ومنها . أرى المقتطف لا يسلم بصحة الاحلام وهكذا كل العلماء الطبيعيين ولكني أرى من الجهة الاخرى ان كل الناس تقريباً يسلمون بصحة الاحلام لانهُ قد ثبت لهم بالاختبار انها صحيحة في الغالب وانا منهم

ج . نعم يوجد من الناس من يعتقد بصحة الاحلام ويوجد منهم من يعتقد انهُ يطير من بيت الى آخر. ولكن اعتقاد الانسان ليس دليلاً على صحة ما يعتقد بهِ.

والعلماءُ المحققون لا ينكرون صحة الاحلام لاستحالة صحتها بل لان صحتها لم تثبت لهم بالامتحان . فان ثبتت بالامتحان سلموا بصحتها صاغرين . وهذه كيفية الامتحان: أن يكتب الانسان كل حلم يحلمهُ حسبما يتذكرهُ في الصباح ويُري الكتابة لبعض اصدقائهِ ويشهدهم عليها ثم يودعها عند احد منهم وكلما صدق حلم منها يكتب كيفية الحادثة التي أثبتت صدقهُ ويحفظها عند صديقهِ المذكور . وفي آخر السنة يقارن الاحلام كاحلامها ودونها ووصفها بالحوادث التي يظن انها جاءت مصداقاً لاحلامهِ فاذا لم يجد للاحلام التي صدقت تعليلاً معقولاً طبيعيًّا ووجد ان كثرتها تنفي ردها الى قواعد الاتفاق حق لهُ ان يقول بصدق الاحلام حينئذٍ

(٧) كروية الارض

بوسطن . من اول من قال بكروية الارض

ج . لا يعلم ذلك بالتحقيق ولكن انا كسيمندر الفيلسوف اليوناني الذي نشأ في اواخر القرن السابع ق . م . كان يعرف ان القمر يدور حول الارض وفيثاغورس الذي نشأ بعدهُ بقليل كان يعرف ان الارض غير ثابتة بل متحركة في الخلاء وذلك يقتضي انهما كانا يعرفان ان الارض مستديرة او قريبة من الاستدارة . وثبت ذلك من قول انا كساغورس الذي قال ان خسوف القمر حادث من توسط الارض بينهُ وبين الشمس ووقوع ظل الارض على القمر . ولما كان ظلها مستديراً فلا بدَّ من انهُ كان يحكم باستدارتها . ونشأ انا كساغوراس في القرن الخامس ق . م

(٨) عدد كريات الدم

الكويت . كيف عرف العلماءُ ان المليمتر المكعب من دم الانسان فيهِ خمسة ملايين كرية من الكريات الحمراء

ج . عرفوا ذلك بالنظر فيخفف الدم بمقدار معلوم من سائل يمتزج بهِ وينظر الى نقطة معلومة المساحة منهُ ويعدّ ما فيها من الكريات . مثال ذلك لنفرض اننا خففنا درهماً من الدم بالف درهم من الماء . ثم اخذنا نقطة صغيرة منهُ على رأس دبوس ووضعناها على لوح المكرسكوب فشغلت مساحة طولها مليمتر وعرضها مليمتر . والغالب ان الناظر بالمكرسكوب لا يرى الاَّ جزءًا صغيراً من هذه النقطة ولنفرض ان طول الجزء الذي يراهُ عشر ملمتر وعرضهُ عشر ملمتر وعمقهُ كذلك . ولنفرض اننا رأينا فيهِ خمس كريات حمراء ففي الملمتر المكعب كلهِ الذي على لوح المكرسكوب خمسة آلاف كرية . وهذا الدم ممزوج بالماء كما تقدم فالملمتر المكعب منهُ ليس فيهِ من الدم الحقيقي سوى جزء من الف جزء ففي الملمتر المكعب من الدم خمسة آلاف

الف كرية اي خمسة ملايين

ولا يخفى انهُ يجب تكرار الامتحان والمشاهدة في نقط كثيرة واخذ متوسط ما يرى فيها لان الكريات قد تكون مجتمعة في بعضها اكثر من اجتماعها في البعض الآخر وهكذا يزال احتمال وقوع الخطإِ

(٩) الحنان والرضاعة

ومنهُ . يقال انهُ اذا وجدت امرأة حنون على طفل وارضعتهُ من ثديها فالقدرة الالهيَّة توجد لبناً كافياً لرضاعتهِ فما تعليل ذلك

ج لا شبهة في أن القدرة الالهيَّة هي العلة الاولى لكل المعلولات لكننا نحن ابناء آدم يعنينا في أعمالنا العلل الثانوية . فاذا رمى زيد صحفة على الارض فانكسرت قلنا زيد كسر الصحفة ولم نقل الله كسرها . واذا اجتهد عمرو في حرث اطيانهِ وزرعها وريها حتى استغلَّ من الفدان الواحد عشرة قناطير من القطن قلنا استغلَّ عمرو من أرضهِ عشرة قناطير قطن باجتهادهِ ولم نقل بقدرة الله ولم ننفِ ان الله تعالى هو العلة الاولى . وعلى هذا السبيل نقول ان المرأة التي يسهل افراز اللبن من ثدييها اذا رأت طفلاً وأرادت أن ترضعهُ قد درَّ لبنها بفعل عصبي . أي ان شفقتها حركت اعصابها المتسلطة على الغدد اللبنيَّة فأفرزت هذه لبنها لكن ذلك مشروط بان تكون قادرة على افرازهِ والاَّ ما درَّت شيئاً مهما رغبت في ارضاع الطفل . وكثيراً ما يبكي الطفل وينتحب وأمهُ تحاول ارضاعهُ وتودُّ ان تشبعهُ ولو بمهجة قلبها ولكن ثدييها لا يلبيان طلبها لان ليس فيهما لبن . فالحنان وحدهُ لا يفيد شيئاً من هذا القبيل . والظاهر ان قدرة الله لا تريد ان تغير النواميس التي سنتها لهذا الكون

(١٠) الاسبيرين

دمشق . ما رأيكم في استعمال اقراص الاسبيرين لازالة الم الصداع من غير استشارة طبيب

ج . كنا قبل الاطلاع على جوابكم نطالع مجلة هيجيا الصحية التي تصدرها الجمعية الطبية الاميركية فاذا فيها سؤال كسؤالكم وقد اجاب محرر هيجيا عن هذا السؤال باقتباس جملة من كتاب اصدرتهُ الجمعية الطبية الاميركية عنوانهُ « العقاقير الجديدة وغير الرسمية » وهي : ان استعمال الجمهور للاسبيرين في حالات الصداع من غير ارشاد او ضابط ادى في كثير من الاحيان الى حدوث حوادث تسمم خطرة واهم اعراض التسمم استسقاء الشفتين واللسان والجفون والانف وكل الوجه بوجه عام . ومن الاعراض الدوار والازرقاق . وبعض الناس معرض اكثر من بعض للاصابة بهذه الاعراض بعد تناول أقراص الاسبيرين

باب الأخبار العلمية

صورة الغلاف

ليس بين كنوز القياصرة والاكاسرة ما يضاهي التحف التي امتازت بها دار الآثار المصرية واشهرها تابوت توت عنخ أمون المصنوع من الذهب الوهّاج الذي يقدر ثمن ذهبهِ فقط بستين الف جنيه أما قيمتهُ التاريخية والفنية فتفوق كل حدّ وهو يمثل الملك بثيابهِ وملامح وجههِ كأن نقاشاً مثل فيدياس من مهرة نقاشي اليونان قصد أن يمثله تمثيلا . ولم يكتفِ الصانع المصري بذلك بل صنع للملك رأساً آخر من الذهب وأحاط العنق بنقوش بديعة وهو المرسوم على غلاف المقتطف هذا الشهر . وتقدر قيمة الذهب الذي فيهِ بخمسة آلاف جنيه وهو منزل بالحجارة الكريمة والزجاج الملوَّن . فالقطع الزرقاء من اللازورد والفيروز والقطع الحمراء والبنية من العقيق والعيون والحواجب والجفون من اللازورد والبؤبؤين من السبج . وقد نشرنا على جانبي الصورة ختم الملك بالكتابة الهيروغليفية ويجب ان يقرأ أفقيًّا من رأس المقتطف الى كعبهِ منتهياً عند الخط الملامس للختم

وقد نقل لنا هذه الصورة عن « اخبار لندن المصوَّر » حسين افندي فوزي مصوّر اللطائف المصورة الخاص

كيف قتل ارخميدس

نقل شيشرون وليفيوس انهُ لما افتتح القائد مرسلوس الروماني مدينة سراقسطة بصقلية سنة ٢١٢ ق . م . دخل احد جنودهِ داراً في الضواحي فوجد رجلاً متقدماً في السن فامره بالخروج اولاً وثانياً وثالثاً ولكن الرجل لم ينتبه لهُ لانهُ كان مشغولاً برسم رسوم هندسية على التراب في فناء بيتهِ فغضب الجندي وضرب الرجل ضربة كانت القاضية عليهِ . هكذا ، قيل ، ان العالم ارخميدس لقيَ حتفهُ على يد جندي جاهل

ولكن ظهر الآن ان ارخميدس لم يلق حتفهُ على الوجه المذكور في هذه القصة . ذلك ان يوسف نبوليون ويواكيم مورات قاما بكثير من اعمال الحفر والنقب في بومباي وهركولانيوم حين كان الفرنسيون حكاماً لايطاليا في ايام نبوليون وجمع اولهما مجموعة نادرة من التحف

النفيسة بينها قطعة من الفسيفساء آلت بعد موته وموت جيروم بونابرت الى نبيل الماني من ڤيزبادن . وقد شهد اشهر علماء الآثار بقدم هذه القطعة وذهبوا الى ان تاريخها يعود الى عهد الامبراطورية الرومانية الاول

على هذه الفسيفساء رسمت اربعة طيور كأنها حجال كل طائر منها على زاوية من الزوايا الاربع وبين كل من الطائرين كأس تمتدّ منها ورقتان تتجهان الى العصفورين اللذين على جانبي الكأس . وداخل هذا كله صورة جندي روماني يتقدم الى الامام مصلتاً سيفاً ويشير بيده اليسرى الى الباب كانهُ يقول للجالس امامهُ « اغرب من وجهي» وامامهُ رجل ملتح جالس في كرسي فاخر ماسك بيديه جانبي آلة Abacus (وهو اسم يطلق على آلة استعملها فيثاغورس لجدول للضرب وعلى جانبها خصص جزء منها لرسم الرسوم الهندسية فوق طبقة من الرمل او التراب الدقيق) . ينظر العالم الى الجندي نظرة استغراب لاقدامه على التهجم عليه في مكتبه . وكأن تلك الصورة تمثل ارخميدس في الدقيقة الاخيرة من حياته قبلما اهوى عليه الجندي بسيفه . فارخميدس لقي حتفهُ جالساً الى مكتبه يشتغل بحل قضية رياضية لا واقفاً امام بيته يرسم رسوماً هندسية كما جاء في كتابات شيشرون وليفيوس . وهذا دليل آخر على فائدة المباحث الاثرية في تحقيق المسائل التاريخية التي فشا فيها الوهم أو عدم التدقيق

حناجر صناعية واصل النطق

شهدنا في صيف سنة ١٩٢٤ مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم في جامعة تورنتو بكندا برئاسة السر دافيد بروس الطبيب المشهور وحضرنا اشهر الخطب العلمية التي ألقيت فيه . ومنها خطبة للسر رتشرد بايجت لانزال نذكر تفاصيلها لما تخللها من التجارب المبتكرة التي ترسخ في الذهن . ذلك ان السر رتشرد وضع امامهُ على المائدة قطعاً من الكرتون (المقوَّى) تشبهُ الحناجر البشرية ووصل كلاًّ منها بانبوب من المطاط متصل بدوره بمنفاخ كانت تنفخ به ابنتهُ فكان اذا نفخت المس بايجت في هذه الحناجر المختلفة بواسطة المنفاخ انطلق منها اصوات كثيرة الشبه بما نلفظهُ من حروف العلة الاوربية كل منها على انفراد . ثم جرَّب ان يجعل بعض هذه الحناجر يتلفظ بالحروف الصحيحة كلها او بعضها ففاز بذلك فوزاً يتراوح بين الشك واليقين . على انهُ تمكن من حمل حناجره الكرتونية على ان تلفظ حرف الراء (R) كما يلفظهُ الانكليز خفيفاً ثم جاء بحنجرة اخرى ونفخ

فيها بالمنفاخ فلفظت حرف (الراءِ) كما يلفظهُ الاميركيون مفخماً في خنة كأ نهُ صادر من الانف . فدوى المكان بالتصفيق لان الفرق بين اللفظين كان واضحاً كل الوضوح

وقد اطلعنا مؤخراً على مقالة للسر رتشرد يصف بها تقدم مباحثهِ الطريفة في هذا الموضوع . ولا يخفى ان الفوز في صنع حنجرة صناعية تتلفظ بالحروف والمقاطع والجمل في جلاءٍ ووضوح فوز صناعي كبير ولاسيما اذا قرن بالانسان الميكانيكي الذي وصفناه في صدر هذا الجزء

وهو يرى ان النطق البشري يتكون من عملين مختلفين الاول الزفير او اخراج الهواءِ من الصدر عن طريق الحنجرة والاوتار الصوتية . والثاني التلفظ وهو قائم على تغيير شكل الحنجرة وما اليها من ادوات النطق حتى يتكيف بها الهواءُ المزفور فيتحول الفاظاً . فالزفير لغة العواطف وتشترك فيهِ الحيوانات وأسلاف الانسان وبهِ تعرب عن خوفها وغضبها وسرورها والمها وحبها وغير ذلك . اما التلفظ فلغة العقل وبهِ تنقل افكارنا

وقد يحدث التلفظ من غير احداث اهتزاز في الاوتار الصوتية التي في الحنجرة وهو الهمس . فاذا جمعنا بين زفر الهواءِ الذي يحدث اهتزازاً في الاوتار الصوتية وتغيير شكل الحنجرة والحلق بتحريك اللسان واللهاة والشفتين تكون لدينا النطق المسموع ويمتاز عن الهمس او الاصوات بانهُ اسهل على السمع وينقل الى السامعين ما توحيهُ العواطف والعقل معاً عما في الفاظهِ من معنى وما في طرق التلفظ من غنة وعلى هذا بُنيت فنون الغناءِ التي بلغت درجة عليا من الاتقان

مطهر جديد عجيب

صنع الدكتور ڤيدر ليونارد والدكتور وليم ڤيرد من اساتذة مدرسة الهيجين بجامعة جونز هبكنز الاميركية مطهراً جديداً يفتك باكثر انواع البكتيريا والمكروبات مقاومة لفعل المطهرات في ١٥ ثانية . ومن خواصهِ ايضاً انهُ لا يضرُّ بالانسجة الحيّة . والعنصر الفعال في هذا المطهر الغريب مركب كيماوي يدعى هكسلرزورسينول وهو لا يضر بالانسان ولكن فعلهُ يفوق فعل الحامض الفنيك سبعين ضعفاً

هل تحسُّ الحشرات بالالم

لبعض الحشرات اعضاءٌ دقيقة للحس تحسُّ بها كثيراً من الظواهر الطبيعية التي لا تؤثر في اعصابنا فالنمل مثلاً يرى الاشعة التي فوق البنفسجي في الطيف الشمسي ونحن لا نراها . واعضاءُ اللمس في بعض

الحشرات العمياء التي تقطن الكهوف تفوق حدّ التصور في دقتها وشدة احساسها حتى لقد ارتأى بعض العلماء ان للحشرات لغة مبنية على اللمس لدقة هذه الحاسة فيها

وعلى الضدّ من ذلك اثبت نفر كبير من علماء السيكولوجيا ان الحشرات لا تحسّ بالالم على ما نفهمهُ

فقد اراد اوغست فورل العالم الفرنسوي المدقق ان يثبت ان النحل تهتدي الى الازهار بالنظر فاخذ بعضاً منها وقصّ بمقص حاد مقدم الرأس في كل منها الاّ عينيها ولوامسها واجزاء الفم. ولما اطلقها انطلقت رأساً الى الازهار وجربت عبثاً ان تمتصّ اريها لاستئصال اجزاء الفم منها غير شاعرة بالالم الذي ينجم عادة عن استئصال عضو من الاعضاء او بضعه

وقد ثبت ثبوتاً لا تعتورهُ شبهة ما ان الحشرة المعروفة بذبابة التين لا تحسّ بالالم. فقد اخذها احد العلماء وقطع مؤخر جسمها من وسطها ومع ذلك بقيت حيّة تتناول طعامها على جاري عادتها رغماً عن ان هذا الطعام كان يمرُّ في فمها وصدرها ثم يقع الى الارض فكأنها لا تشعر ان جزءاً من جسمها قد انفصل عنها

وقد جرّبت مثل هذه التجارب في كثير من الزنابير والنمل فبقيت تتناول طعامها لا تشعر بما حصل

والظاهر ان كثيراً من هذه الحشرات لا تشعر بشيء من الالم اذا افترستها حشرات او حيوانات اخرى بدليل ان بعض العلماء لاحظوا هذه الحشرات وهي تتناول طعامها غير عابئة بحيوان آخر هجم عليها وجعل يفترسها مبتدئاً باحد اطرافها

المطاط من الفحم

الفحم مصدر من مصادر الغرائب الصناعية والكيماوية. ان حرقهُ في الآلات البخارية احدث الثورة الصناعية ولما نظر اليهِ الكيماويون جعلوهُ مصدراً لازهى الالوان اذا استقطروا منهُ الاصباغ الصناعية. وفي الحقبة الاخيرة فاز بعضهم باستقطار الغازولين وزيوت التزييت منهُ.

وقد جاءَت الانباء من المانيا ان العلماءَ في احدى الشركات الكيماوية فيها استنبطوا طريقة تجارية لاستخراج المطاط الصناعي منهُ تمكنهم من بيعهِ بالاسعار الجارية في اسواق المطاط. وهذا الخبر لاشكَّ فيهِ من وجهتهِ العلمية ولكن الريبة تحيط بهِ من وجهتهِ التجارية. فثمن الرطل من المطاط الطبيعي نحو غرشين ونصف غرش وحتى الآن لم يتمكن العلماء الكيماويون من ابتكار طريقة لتركيب المطاط الصناعي بحيث يباري المطاط الطبيعي. والسبب الذي يحمل بعض الخبراء

على الارتياب في دعوى الشركة الالمانية هو ان هذه الشركة نفسها ادعت مثل هذه الدعوى من ١٥ سنة فلم تتحقق دعواها

ولكن المباحث الكيماوية في تركيب المواد العضوية من الفحم ارتقت في المانيا بعد الحرب ارتقاءً كبيراً. فطريقة برغيوس الالمانية في صنع البترول من الفحم بامرار الهدروجين عليهِ نجحت نجاحاً حمل شركة الستندرد اويل الاميركية على استثمار جانب من اموالها فيها. ولعلهم تغلبوا الآن على بعض المصاعب التي حالت دون تحقيق امنيتهم في صنع المطاط منذ ١٥ سنة

تعليم الكلاب

في مقالة من مقالات هذا الجزء خلاصة سلسلة من التجارب قام بها اللورد اڤبري اثبت فيها ان تعليم الكلاب فهم معاني الكلمات المكتوبة في حيز الامكان. وقد اطلعنا الآن على مقالة في مجلة العلم العام الاميركية جاء فيها ان كلباً المانياً اصيلا أُمتحن في جامعة كولومبيا فثبت لممتحنيهِ وكلهم من علماء السيكولوجيا ان ذكاءه يفوق كثيراً ما يعرف عن ذكاء الكلاب ومع ان عمرهُ خمس سنوات جاز امتحاناً لا يجوزهُ عادة الا ولد في الثامنة. ويوكد صاحبهُ انهُ تعلم معنى ٣٠٠ كلمة مختلفة في ٤ سنوات

ومن الاوامر التي وجهها اليهِ الدكتور وردن مدير قسم سيكولوجية الحيوانات ما يأتي : اذهب الى المائدة. ضع رأسك عليها. ضع احدى رجليك على رأسك وهو عليها. الآن يؤذن لك ان تقفز الى المائدة. قف الآن. انظر من النافذة. ادر رأسك الى الجهة الثانية. اذهب الى السيدة التي في الزاوية الخ. فنفَّذ هذه الاوامر بدقة ادهشت الاستاذ الممتحن

عيد لينيوس

في ١٠ يناير الماضي كان قد انقضى مائة وخمسون سنة على وفاة لينيوس العالم النباتي الاسوجي الشهير. ولد في ٢٣ مايو سنة ١٧٠٧ في جنوب اسوج وتلقى علومهُ في جامعة لند وجامعة أُپسالا ورحل رحلة الى بلاد لپلاندا الاسوجية سنة ١٨٢٢ استغرقت خمسة اشهر ثم سافر الى هولندا فقضى فيها ثلاث سنوات زار في اثنائها انكلترا وفرنسا ثم عاد الى استوكهلم حيث مارس الطب ثلاث سنوات. وفي سنة ١٧٤١ عين استاذاً للتاريخ الطبيعي في جامعة اپسالا فبقي في هذا المنصب الى وفاتهِ سنة ١٧٧٨

نظام مركوني اللاسلكي

اصبحت لندن الآن متصلة لاسلكيًّا بريودي جانيرو عاصمة البرازيل وبونس

ايرس عاصمة الارجنتين والنظام التي تجري بهِ المخاطبات بينها هو نظام مركوني الذي فصلناهُ في مقالة خاصة في مقتطف ينساير الماضي. وقد بلغ عدد الكلمات التي نقلت بين انكلترا وكندا واستراليا وجنوب افريقيا والهند نحو ثمانمائة الف كلمة في اسبوع واحد من شهر دسمبر الماضي وينتظر الآن ان يقل عدد الكلمات في المخاطبات مع نيويورك وريودي جانيرو وبونس ايرس عن ذلك. وقريباً تتصل لندن باليابان والشرق الادنى والاقصى بهذا النظام العجيب

لندبرغ

منح المعهد السمثصوني الكولونل لندبرغ مدالية لنغلي للطيران «اعترافاً باقدامهِ وفوزهِ بالطيران من نيويورك الى باريس وحده في مرحلة واحدة في ٢٠ و٢١ مايو سنة ١٩٢٦»

أُنشئت هذه المدالية سنة ١٩٠٩ تكريماً لذكر الاستاذ صموئيل بيربونت لنغلي اول رجل صنع آلة للطيران اثقل من الهواء. وقد منحت حتى الآن الى الاخوين وابر واورڤيل ريط وجان كرتس وجوستاف ايفل. وقد وعد لندبرغ ان يهدي طيارتهُ «روح سانت لويس» التي طار بها الى باريس الى المعهد السمثصوني لتضم الى مجموعة الطيارات التاريخية التي فيهِ

الكواكب السائلة

من احدث الاراء الفلكية رأي للاستاذ جينز رئيس الجمعية الفلكية الانكليزية مؤداهُ ان اكثر الكواكب سائلة في الغالب وهذا يختلف اختلافاً بيناً عن الرأي السائد بين العلماء وهو ان الكواكب لشدة حموها كرات من الغاز اللطيف. ولكن الاستاذ جينز يتخذ من النجوم المزدوجة وكثرتها في الفضاء دليلاً يؤيد بهِ رأيهُ. فكل من النجوم المزدوجة نجمان يدور احدهما حول الآخر او يدوران حول مركز واحد وهو الاكثر. وقد ذهب العلماء الى ان اصل كل نجم مزدوج جرم واحد انقسم الى نجمين وصارا يدوران كما تقدم. فيقول الاستاذ جينز اذا كانت الكواكب كرات من الغاز اللطيف تعذر حصول هذا الانقسام ولكنهُ يكون سهلاً اذا كان الكوكب الاصلي سائلاً كما يحدث لنقطة زيت طافية على قليل من الخلّ فانك اذا قرَّبت منها طرف مسواك دقيق امكنك ان تجذب جزءًا منها حتى ينفصل عن الآخر كما تنقسم الاميبا الى اثنتين

نقل الصور الملونة بالتلغراف

ادعى الدكتور كارولس احد سكان مدينة درسدن منذ سنتين انهُ استنبط

طريقة للرؤية عن بعد . وقد جاء في انباء المانيا والنمسا الاخيرة انهُ استنبط طريقة تمكنهُ من نقل كل انواع الصور ملونةً على اسلاك التلغراف ويفضّل الا تكون خضراء او زرقاء او بنفسجية وأن مصلحة التلغراف النمساوية تجري الآن على اسلوبهِ هذا في نقل الصور سواء كانت صور اشخاص او تحاويل مالية او رسوماً هندسية او غيرها . ويجب ألاّ يزيد حجم الصورة عن ٧ ½ بوصة طولاً و٤ بوصات عرضاً وألاّ يقل عن اربع بوصات طولاً وبوصة ونصف بوصة عرضاً . وتتقاضى عن نقل اصغر صورة مسموح بنقلها بين ڤينا وبرلين ٣٨ غرشاً صاغاً يضاف الى ذلك عشرة غروش على كل بوصة مربعة ونصف بوصة اضافية. ويخصم ٢٥ في المائة من الاجرة اذا نقلت الصور في ساعات الليل بين الساعة التاسعة مساءً والثامنة صباحاً

النور وانقباض العضلات

اثبت الدكتور لباي مدير المعهد الفسيولوجي بڤينا ان النور يؤثر في العضلات تأثيراً مباشراً يجعلها تنقبض من غير توسط الاعصاب . وارتأى الدكتور زواردميكر الفسيولوجي الهولندي احد اساتذة جامعة اوترخت ان سبب دقة القلب وانقباض عضلاتهِ وتمددها هو اشعاع قوة خفية من عنصر البوتاسيوم الذي يوجد في دم الانسان وعضلات قلبهِ . واثبت رأيهُ بان فصل قلب حيوان عن جسمهِ وعرضهُ لاشعة الراديوم وغيرهِ من العناصر المشعة فبقي القلب يضرب تحت تأثير هذه الاشعة

آلة تصوير غريبة

صنع البارون شيبا الياباني مدير معهد مباحث الطيران باليابان آلة تصوير فوتغرافي تستطيع ان تصور الفي صورة متعاقبة في ثانية واحدة . فاذا اردنا عرض هذه الصور بالسرعة التي تعرض بها الصور المتحركة عادة استغرق عرضها نحو عشرين دقيقة . وفائدتها قائمة في تصوير الافعال الطبيعية التي تتعذر مراقبتها لسرعتها ثم متى عرضت ظهرت بطيئة وصار في امكان العلماء ان يتناولوها بالدرس والتحليل الدقيقين

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يجتمع مجمع تقدم العلوم البريطاني في غلاسجو في الاسبوع الواقع بين ٥ سبتمبر القادم و١٢ منهُ وقد انتخب السر وليم براغ العالم الطبيعي المشهور رئيساً يخلف السر ادثركيث الرئيس الحالي

هبات علمية

توفي الاستاذ ليفرسدج استاذ الكيمياء سابقاً في جامعة سدني باستراليا نخلف ثروة تقدر بستة واربعين الف جنيه وهب منها الفين وخمسمائة جنيه لمدينة سدني ينفق ريعها على جائزتين علميتين . ووهب الف وخمسمائة جنيه لكلية المسيح بجامعة كمبردج والف جنيه لمدرسة المناجم الملكية و٥٠٠ جنيه للجمعية الملكية في نيوسوث ويلز ومثلها لكل من الجمعية الاسترالية والجمعية الكيماوية بلندن

ووهبت مسز ماريات وارثة السر جيمزكايرد ٢٠٠ الف جنيه ينفق ريعها على النابغين من ابناء اسكتلندا الذين يودون التوسع في الهندسة والكهربائية والطيران والموسيقى في بلدان اوربا واميركا

ماء بحيرة فكتوريا

نشر الدكتور هرست من مصلحة الطبيعيات بوزارة الاشغال المصرية رسالة عن منابع النيل قال فيها انهُ بعد تكبد مصاعب جمة تمكن من قياس الماء الذي يخرج من بحيرة فيكتوريا فوجدهُ يبلغ ٧٦٠ متراً مكعباً في الثانية وان النهر المهم الذي يصب في هذه البحيرة هو نهر كاجيرا ومقدار ما يصبهُ فيها من الماء اقل مما كان يظن قبلاً ويبلغ في رأي الدكتور هرست ٢٥٠ متراً مكعباً في الثانية مع انهُ كان يتراوح في رأي البعض بين ١٤٠ متراً مكعباً و١٥٠٠ متر مكعب في الثانية

مغناطيس جديد

صنع الدكتور بريس من مهندسي شركة وستنهوس الكهربائية الاميركية مزيجاً معدنيًّا جديداً من صلب الكوبلت والتنغستن وهو المعدن الذي تصنع منهُ اسلاك المصابيح الكهربائية . ويقال ان هذا المزيج مغناطيس شديد فاذا صنعت منهُ قطعة مغناطيس في شكل حدوة الفرس وزنها رطل رفعت قطعة من الحديد وزنها ثلاثون رطلاً

مستنبطات اديصن

بلغت مستنبطات اديصن حتى شهر اغسطس الماضي ١٠٧٨ مستنبطاً سجلت في دائرة تسجيل المستنبطات بوشنطن عاصمة الولايات المتحدة الاميركية

خطر الحشرات

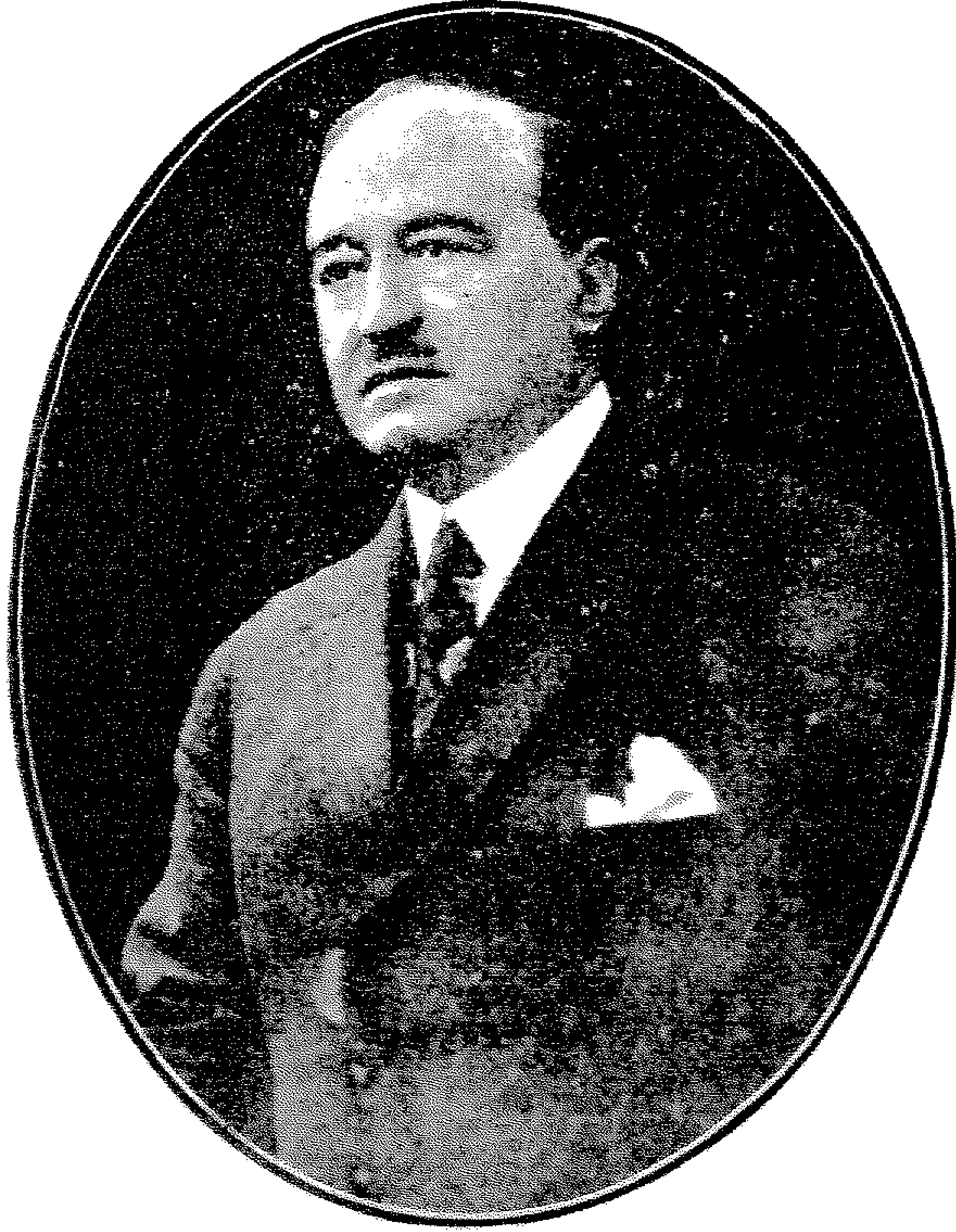
يقال ان الحشرات المختلفة تتلف في استراليا كل سنة ما قيمتهُ نحو عشرة ملايين جنيه وان نوعاً من الذباب يفتك بما ثمنهُ ٤ ملايين من ماشيتها فقط

الجزء الثاني من المجلد الثاني والسبعين



الاستاذ ميخائيل پيوپن

انظر صفحة ٢٩٣



بلاسكو ابانيز

انظر صفحة ٣١٠

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني والسبعين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٢٨ — الموافق ٩ رمضان سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

فجر المعارف وآلهة الاقدمين

نورٌ مستعرضٌ في السماءِ يخطف الابصار بسرعة وميضهِ. وصوت متردد الصعقات يصمُّ الآذان بشدة هزيمهِ . وشجرات باسقات من صغار البذور. وحشرات صادرات من رُفات القبور . وغيوم تطبق الجوَّ . وسيول تفعم الدوَّ . وشهب ثواقب وسحب سواكب . حوادث رآها الانسان من قديم الزمان وفتَّش عن عللها واسبابها بما فُطر عليهِ من محبة البحث والتنقيب ولما لم يهتدِ الى اسبابها الحقيقية جرَّد لها اسباباً مما يقع في علمهِ واختبارهِ وسلَّط على الكون آلهةً من ابناءِ نوعهِ وبالغ في وصفهم وميَّزهم بمزايا الضواري والكواسر لكي يستطيعوا ان يأتوا بما نسب اليهم من القوَّة والبطش والحيلة والدهاءِ . واضطربت احوال العقل البشري لكثرة ما فرضهُ من الآلهة ولتباين ما نسبهُ اليها من الصفات وما احسن ما قالهُ اوريبيدس احد كبراءِ الاقدمين « لا مجد في الدنيا ولا فلاح لان الآلهة تعبث بالامور كيف شاءَت وتمزج الشيء بضدهِ لكي تزداد عبادتنا لها بسبب جهلنا وعدم تحققنا للامور » ولكن قام في كل عصر اناس فاقوا غيرهم في ذكاء العقل وتوقُّد الذهن فطرحوا نير التقليد وحادوا عن سنة الجمهور ونبذوا قيود الهوى والتمسوا للحوادث الطبيعية اسباباً طبيعية لان العقل المستنير لا يطيق الاعتساف والمجازفة بل يتطلب ان يردَّ الحوادث المتفرقة الى شرائع عامة ويجمع الجزئيات تحت كليات شاملة لتعليل الحوادث بها ولذلك حاول الغاء تلك المعبودات وابدالها بالشرائع الطبيعية

البحث العلمي اساس الثروة

وركن ارتقاء الامم

١

ثروة الولايات المتحدة

بلغت ثروة الولايات المتحدة الاميركية في السنة الماضية مبلغاً لم يذكر التاريخ ما يضاهيهِ في ازهى عصورهِ واغنى دولهِ . فقد دلت الاحصاءات ان للشعب الاميركي من الديون ما يزيد على كل منتوج العالم من الذهب ثلاثين ضعفاً وفي بلادهِ الشاسعة مصادر للثروة لا تقدر قيمتها بمال ولهُ في بنوك التوفير الف وتسعمائة مليون جنيه وبلغ عدد اصحاب الملايين فيهِ احد عشر الفاً وعدد السيارات التي يملكها اثنين وعشرين مليوناً وعدد التلفونات والآلات اللاسلكية التي يستخدمها في مخاطباتهِ يفوق مجموع التلفونات والآلات اللاسلكية في كل انحاءِ المعمور وسككهُ الحديدية اذا قيست بالاميال تجاوزت ٣٤ في المائة في كل السكك الحديدية الممدودة في انحاءِ الارض . ان سيّاحهم فقط ينفقون كل سنة مائة وثلاثين مليوناً من الجنيهات . وقد بلغ من تفوقهم الصناعي والزراعيّ انهم وهم اقل من خمس سكان اوربا انتجوا اكثر من نصف ما انتجهُ سكان الارض كلهم فاستخرجوا وسبكوا سنة ١٩٢٦ خمسة وخمسين في المائة من كل الحديد المستخرج والمسبوك في المسكونة وصنعوا ٦٦ في المائة من الصلب واستخرجوا ٥١ في المائة من النحاس و٦٢ في المائة من البترول و٤٣ في المائة من الفحم الحجري و٥٢ في المائة من الخشب و٨٠ في المائة من الكبريت وانتجوا ٥٥ في المائة من القطن . وبلغ من حسن توزيع الثروة عندهم ان سكان مدينة واحدة انفقوا نصف مليون جنيه على حضور مباراة واحدة من مباريات الملاكمة وبلغت قيمة الاموال الموقوفة على ١٧ جامعة من جامعاتهم فقط نحو ٦٠ مليوناً من الجنيهات .

واكثر هذه الثروة عائد ولا ريب الى خصب الارض وغناها بالمعادن والبترول والفحم مقومات الصناعة والزراعة وعمادها . ولكن خصب الارض وثروتها المطمورة من معادن وفحم وبترول ماكانت لتغني شيئاً لولا ان قام من الاميركيين علماءُ وباحثون

عرفوا كيف يستدرون هذه الثروة ويستثمرونها مما جعلهم في مقدمة الشعوب قاطبة ثروة وقوة

٢

رأي علمائها وولاة امورها

ومع ذلك ترى علماء اميركا ورجالها الذين في ايديهم مقاليد امورها دئبون على تشجيع البحث العلمي لذاته لانهم عرفوا بثاقب نظرهم ما اثبتهُ التاريخ من ان البحث العلمي يكون مجرداً في بادىء الامر ثم تطبَّق نتائجهُ على ما يحتاج اليهِ الناس وما تقتضيهِ شؤون العمران فالفوا مجلساً من اكابر القوم لجمع مبلغ كبير من المال يوقف ريعهُ على تشجيع البحث العلمي المجرَّد من غير تقييد الباحثين بواجبات التدريس في الجامعات او العمل في المعامل الصناعية الكبيرة . ومن اعضاء هذا المجلس المستر هوڤر وزير تجارة اميركا واحد كبار المرشحين لرآسة الجمهورية في انتخاب هذه السنة المقبل والمستر كارتي وكيل شركة التلغراف والتلفون الاميركية واليهو روت وشارلس هيوز وزيري خارجية اميركا سابقاً والمستر ملُن وزير ماليتها الآن والكولونل هوس صديق ولسن المشهور وجون دايفس مرشح الدمقراطيين للرآسة سنة ١٩٢٤ واُوِن ينغ زميل الجنرال دوز في مشروع دوز ورئيس الشركة الكهربائية العامة والاستاذ ميكلصن والاستاذ ملكان والاستاذ برستد والاستاذ افرت هايل وغيرهم من اعلام اميركا من رجال الحكومة ورجال العلم

ان في اجماع هؤلاء على الاشتراك في هذا العمل اكبر دليل على ما للبحث العلمي المجرد من مقام في ترقية العلم وزيادة ثروة الامة . وفي ذلك درس لنا في عصر الجامعة المصرية الجديد الذي استقبلناهُ في اوائل الشهر الماضي حين وضع جلالة الملك فؤاد حجر الزاوية في بناء الجامعة الجديد

***

عرفت المانيا هذه الحقيقة منذ اكثر من قرن فهبَّ اولو الامر فيها الى تشجيع البحث العلمي المجرد على اختلاف ضروبهِ في جامعاتها ومعاملها العلمية فنشأ فيها اجيال متعاقبة من العلماء رفعوها في اقل من قرن الى المقام الاول بين امم الارض ثروة وقوة . ذلك لان العلماء النظريين هم بمثابة فرق الكشافة في جيش العمران . فمباحثهم

ومكتشفاتهم تجهز المهندسين والكيماويين الصناعيين وغيرهم من العلماء العمليين بالمواد التي يبنون عليها وينسجون منها مستنبطاتهم الصناعية المختلفة. ان كثيراً من المشكلات الصناعية لا يمكن حلها الآن قبل ما يتسع نطاق البحث العلمي فيما يتعلق بها

قيل ان الحاجة ام الاختراع. بل العلم والبحث ام الاختراع وابوهُ. وما من ثمن مهما عظم لا تستطيع الامم ان تدفعهُ لاولئك الرجال الممتازين بقوة الابداع والابتكار وكشف المجهول جزاءً لهم على جهدهم وسهرهم. ومع ذلك انهم لا يطلبون ثمناً لانهم يطلبون العلم لذاتهِ ويسعون وراء الحقيقة لانها تستهويهم. ولكنهم يطلبون مجالاً للبحث وتحرُّراً من مطالب المعيشة القاسية للتفرغ للبحث والتوفر على الابتكار. انا لا نستطيع ان نبتاع بالمال مهما كثر نبوغ نابغة او ابداع مبدعٍ ولكن كم من نابغة ذهب نبوغهُ ضياعاً وكم من مبدع نثر ابداعهُ هباءً لانهُ لم يجد امامهُ ما يتبلغ بهِ او لانهُ اضطر ان ينفق قواهُ في كسب رزقهِ!

٣

امثلة من تاريخ العلم

كثيراً ما نسيء فهم الفرق بين البحث الصناعي العملي والبحث العلمي المجرد. ان البحث الصناعي بطبيعتهِ يتجه الى حلّ مسألة خاصة تعترض سبيل الصناع في عملهم. فاذا توصل الباحث الى حلّ المشكل الذي امامهُ قضى لبانتهُ من البحث وحول جهدهُ الى غيرهِ جاعلاً همهُ في كل عملهِ الوصول الى غاية معينة

اما البحث العلمي فغايتهُ توسيع نطاق المعرفة بكشف نواميس الطبيعة والحياة. وبعض هذه المباحث قد يعود — وكثيراً ما يعود — على الصناعات بفائدة اكبر واعم من المباحث الصناعية الضيقة النطاق التي يقصد منها حلّ مشكلة خاصة. فالبحث الصناعي قد يكون وسيلة لاتقان جزء خاص من المحرك الكهربائي او المصباح الكهربائي ولكن البحث العلمي المجرد الذي كشف لنا ناموساً واحداً من نواميس الكهربائية جعل كل المحركات وكل المولدات الكهربائية في حيز الامكان ولولا كشفهُ لما كانت هي على الاطلاق

خذ مثلاً اكتشاف فراداي لاحداث التيار الكهربائي في لفة من السلك حين إمرارها في حقل ممغنط. قد يظهر لنا الآن اول الامر ان تحقيق امر كهذا بسيط لا يؤبهُ لهُ.

ولكن ألا يعلم القارئ ان كل الصناعات الكهربائية بنيت على هذا الاكتشاف البديع ؟ ففي الولايات المتحدة وحدها ستة ملايين من العمال يعملون في الصناعات الكهربائية المختلفة يخلقون من العدم ثروة لهم ولامتهم ما كانوا يخلقونها لولا مباحث فراداي واكتشافه هذا ؟ من كان يستطيع ان يستنبط مولداً كهربائيًّا او محركاً كهربائيًّا قبل هذا الاكتشاف البديع ؟ قيل ان غلادستون وجه الى فراداي يوماً سؤالاً يبدي فيه ريبةُ من فائدة المباحث التي كان فراداي ينفق وقتهُ وجهدهُ عليها فقال فراداي «صبراً يا سيدي فقد تجبي منهُ الحكومة اموالاً طائلة». وقد احصي ما جبتهُ الحكومة الاميركية من الصناعات الكهربائية في بلادها في السنة الماضية فاذا هو يحصى بالملايين

او خذ التلغراف اللاسلكي مثلاً آخر. ما من مستنبط مهما سمت فيهِ قوة الابداع والابتكار يستطيع ان يستنبط طريقة لاستخدام الامواج الكهربائية في الاثير بنقل الاشارات والمخاطبات قبلما يثبت لهُ وجود هذه الامواج الذي يريد ان يتخذها مطية لفكرهِ وصوتهِ . وقد كان العالم الطبيعي الانكليزي كلارك مكسول اول من اثبت ذلك وهو منهمك في درس طبيعة النور من وجهة رياضية مجردة مع ان وجود هذا الامواج كان يمكن استنتاجهُ من مباحث فراداي الانكليزي وجوزف هنري الاميركي . فجاء هرتز وجرى على القواعد التي وضعها مكسول فاحدث هذه الامواج بطريقة مصطنعة وارسلها في الفضاء مسافة قصيرة ثمَّ استقبلها . فلما تمَّ هذا العمل صار التلغراف اللاسلكي في حيز المحتمل وتنبأ بهِ السر وليم كروكس ثم حققهُ لودج على مسافات قصيرة سنة ١٨٩٤ وتلاه مركوني فاتقنهُ وتوسع في صنعهِ . وكيفما ادرنا الطرف الآن نجد المخاطبات اللاسلكية من تلغرافية وتلفونية وما اليها متغلغلة في العمران ابعد متغلغل

وكثيراً ما تُنفح الصناعة بمكتشفات علمية يمكن تطبيقها تطبيقاً عمليًّا من حيث لا تدري . خذ مثلاً على ذلك ما جناهُ علم استخراج المعادن وسبكها من اشعة اكس التي وضعت في يد المهندس الصناعي وسيلة دقيقة لامتحان بلورات المعادن المختلفة ومتانتها وبنائها وهذا امر لا مندوحة عن معرفتهِ الآن في بناء المباني الشاهقة والكباري الطويلة الضخمة وغير ذلك من الابنية المعدنية ليكون المهندسون على ثقة من متانة المواد التي يبنون بها

وما زلنا في مقام ضرب الامثلة فيجب الاَّ نغفل مباحث السر وليم بركن الكيماوية

التي صارت اساساً لصناعة من اكبر الصناعات الحديثة نريد بها صناعة الاصباغ واستخراجها من قطران الفحم الحجري . فالانيلين مادة مستخرجة من قطران الفحم الحجري وكانت تحسب اولاً نفاية لا فائدة منها فتطرح جانباً . فجاء الكيماويون الالمان واكبوا على البحث والابتكار حتى بنوا على هذه النفاية صناعة الاصباغ الصناعية . ولم تقتصر فائدة مباحثهم على ذلك بل استعملت لصنع المفرقعات ثم استعملت هذه الاصباغ في تلوين الخلايا التي يتناولها العلماء بالبحث المكرسكوبي وقد قيل مؤخراً ان بعضها يصح ان يستعمل دواءً ناجعاً في بعض الامراض لانهُ يقتل المكروبات ولا يتلف انسجة الجسم

وغني عن البيان ان مباحث باستور النظرية في الاختمار صارت اساساً لعلم البكتيريا وفن الجراحة ولوسائل العلاج الحديثة في التلقيح والحقن وغيرها وما تم فيها كلها من الغرائب

***

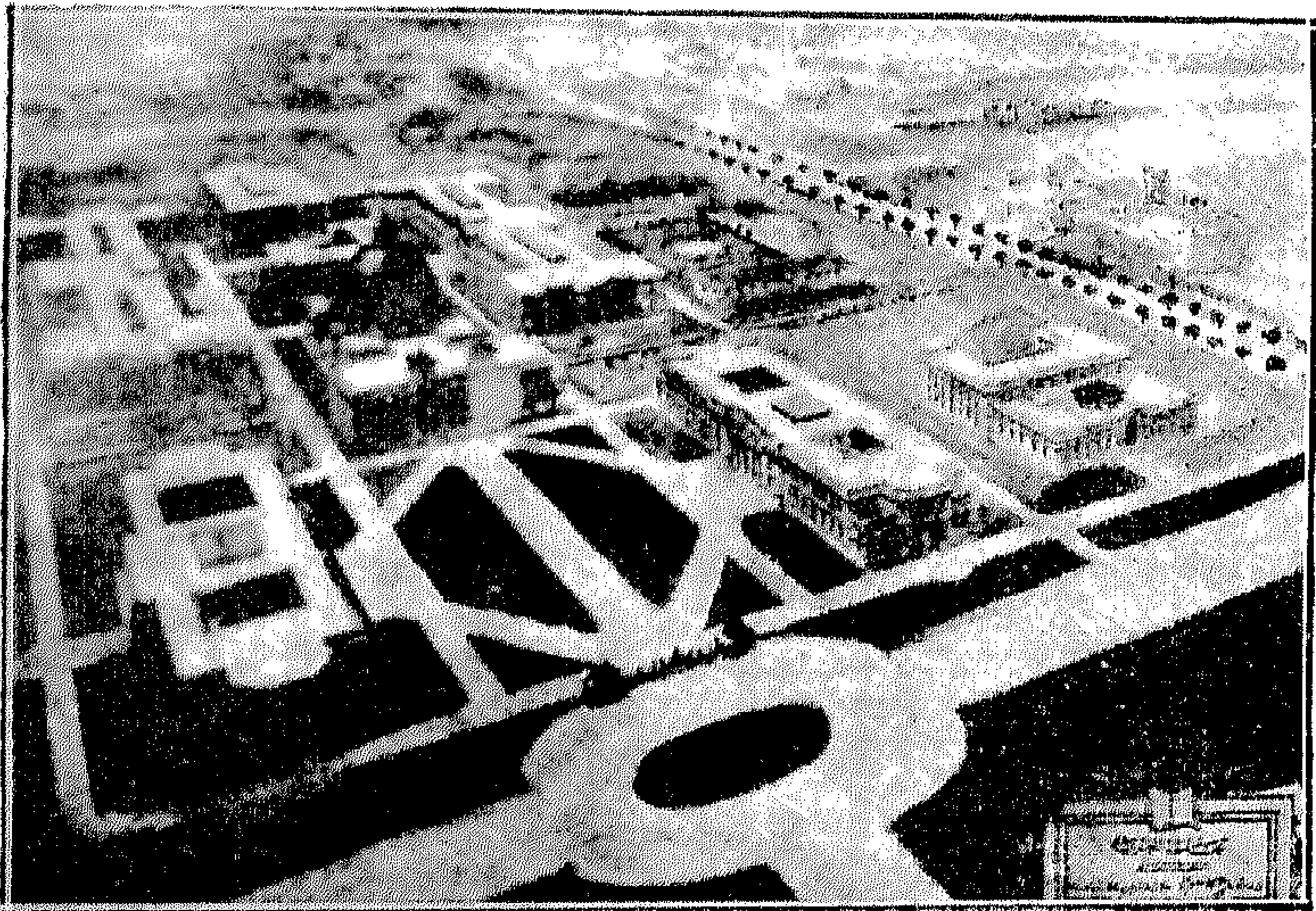
عيّر المستر هوفر قومهُ الاميركيين — وجودُهم على المعاهد العلمية اشهر من ان يعرّف — بقولهِ : ان المبالغ المرصودة لتشجيع البحث العلمي لا تزال طفيفة لا تكفي فانها لا تبلغ عشر ما ينفقهُ الاميركيون على المعجونات المطرية للجلد والشعر . وقد اثبت الاستاذ ملكان انهُ اذا ازلنا من العمران الحالي قانوناً رياضيًّا واحداً من القوانين التي ابتدعها وحققها نيوتن لوجب ان نزيل كل آلة بخارية وكل سيارة وكل محرك ومولد كهربائي بل كل آلة تستعمل لتحويل القوة الى حركة لانها كلها بنيت على هذا القانون الرياضي الشامل. ومع ذلك لما كشف نيوتن قانونهُ لم يكن قصدهُ استنباط آلة بخارية او سيارة او طيارة ولكن كل هذه المستنبطات بنيت عليهِ فاذا ازلناهُ تهدم عمراننا الحاضر كانهُ بيت من ورق

على ان القيمة العليا ليست لهذا القانون بذاتهِ بل للطريقة العلمية التي أُبتكر القانون بالجري عليها . هي الطريقة التي جرى عليها غليليو ونيوتن وفرنكلن وفراداي ومكسول وباستور وداروِن وغيرهم وبها كُشف عن اسرار الطبيعة وغرائبها للناس وأُخضعت قواها لمطالبهم

—o:o—



حضرة صاحب الجلالة الملك وهو رئيس لاول مجلس للجامعة المصرية
(نقلا عن المصور)



منظر عام للرسوم التي وضعت لابنية الجامعة المصرية
في حديقة الاورمان بالجيزة

امام الصفحة ٢٤٧
مقتطف مارس ١٩٢٨

الجامعات في التاريخ

احتفلت مصر في ٨ فبراير الماضي بوضع الحجر الاساسي في بناء الجامعة المصرية الجديد وشرف الاحتفال جلالة مليك البلاد ووضع الحجر بيده الكريمة فرأينا ان نثبت فيما يلي صفحات من تاريخ انشاء الجامعة المصرية وافتتاحها سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩٠٨

مدارس العلم قديمة شادها الكلدانيون والمصريون قبل أن ظهرت تباشير العمران في اوربا وكانوا يعلّمون فيها الطب والفلك والحكمة ثم اقتفى اليونان خطواتهم وتبعهم الرومان . وقبل ان نهض الرومان لاخذ العلم عن اليونان واحياء معالمه كان البطالسة قد اخذوا القطرَ المصري نصيبهم من ملك الاسكندر المكدوني وانشأُوا في الاسكندرية مدرسة ومكتبة فاقتا مدارس الدنيا ومكاتبها . وظلت مدرسة الاسكندرية مناراً للعلم ومربعاً للفلسفة نحو سبعة قرون ثم تقوَّضت اركانها وهجرها العلم والعلماءُ

ولم يعنَ المسيحيون في اول امرهم بالعلم الزمني بل حصروا همهم في العلم الديني لانهم كانوا يتوقعون انقضاء العالم وما فيه فسبقهم الفرس والعرب وانشأ كسرى انو شروان مدرسة الحكمة والطب في جند يسابور سنة ٢٥٠ للمسيح فدامت الى زمن العباسيين واقتفى الخليفة المنصور العباسي اثرهُ فانشأ داراً للعلم في بغداد ولما تولَّى الخلافة هرون الرشيد رفع منار العلم وقرَّب اليهِ العلماءَ واوجب ان يبنى كتَّاب بجانب كل جامع . ثم لما خلفهُ المأمون زهت في خلافتهِ العلوم واينعت حدائق المعارف

وانتشرت بعد ذلك المدارس في دمشق وبغداد والبصرة وبخارى والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس والاندلس وكان في القاهرة وحدها عشرون مدرسة كبيرة سنة الف للميلاد وفي قرطبة من بلاد الاندلس سبعون مكتبة كبيرة حافلة بالكتب النفيسة . وكان في كل كورة من كور الاندلس مدرسة كبيرة عدا المدارس الصغيرة . وحسبوا انهُ كان في قرطبة وحدها سنة ١١٢٦ للميلاد مائة وخمسون مؤلفاً وفي المرية اثنان وخمسون وفي برتقال خمسة وعشرون وفي مرسية واحد وسبعون عدا ما كان في اشبيلية وغرناطة وبلنسية . وانهُ قام من العرب الف وثلثمائة مؤلف في التاريخ فقط . قال المقري ان اهل الاندلس كانوا احرص الناس على العلم « فالجاهل الذي لم يوفقهُ الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة ويربأ بنفسهِ ان يُرَى فارغاً عالةً على الناس لان

هذا عندهم في غاية القبح. والعالم عندهم معظَّم من الخاصة والعامة يشار اليهِ ويحال عليهِ وينبه قدرهُ وذكرهُ عند الناس ويكرم في جوارٍ او ابتياع حاجة وما اشبه ذلك »

وبلغ من عناية الحكم المستنصر بالعلم والكتب العلمية ان بعث الى افريقية وبلاد فارس ومصر وبلاد العرب يشتري الكتب او ينسخها اذا لم يتهيأ لهُ ابتياعها وكتب بنفسهِ الى مؤلفي زمانهِ يطلب منهم كتبهم واجازهم عليها خير الجزاء حتى جمع على ما يقال اربعمائة الف مجلد او ستمائة الف مجلد

قال ابو الفرج الملطي نقلاً قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي قاضي طليطلة الذي توفي سنة ٤٦٢ للهجرة « ان العرب في صدر الاسلام لم تعن بشيء من العلوم الاَّ بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًّا اليها فهذه كانت حال العرب في الدولة الاموية . فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبَّت الفطن من ميتتها فكان اول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعتهِ في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم . ثم لما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبدالله المأمون ابن هرون الرشيد تمم ما بدأ بهِ جدهُ المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ وراسل ملوك الروم وسألهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليهِ منها ما حضرهم فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت لهُ على غاية ما امكن ثم حرَّض الناس على قراءتها ورغَّبهم في تعلمها فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علماً منهُ بان اهل العلم هم صفوة الله من خلقهِ ونخبتهُ من عبادهِ لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيهِ الصين والترك . . . فلهذا السبب كان اهل العلم مصابيح الدُّجى وسادة البشر واوحشت الدنيا لفقدهم »

واقتفى كثيرون من العباسيين آثار المأمون واقتدى بهم الفاطميون في مصر والامويون في الاندلس فانتشرت مدارس العرب من سمرقند وبخارى شرقاً الى فاس وقرطبة غرباً . وكان الملوك والامراء ينفقون عليها النفقات الطائلة فقد نقل المؤرخ جبون الانكليزي ان احد الوزراء انفق مائتي الف دينار (نحو ١٢٠ الف جنيه) على انشاء مدرسة جامعة في بغداد واوقف عليها ما ريعهُ خمسة عشر الف دينار (تسعة آلاف جنيه) كل سنة (ولعلهُ نظام الملك الطوسي والمدرسة هي المدرسة النظامية المشهورة)

وكان في احدى مكاتب القاهرة مائة الف مجلد في العلوم والفنون وكان يباح لكل احد ان يطالع فيها ويستعير ما شاء منها وبلغ عدد كتب الفلك والطب فيها ٦٥٠٠ مجلد

هذا ولا نطيل اكثر من ذلك في وصف مدارس العرب وخدمتهم للعلم ولكن لم يدخل القرن الحادي عشر والثاني عشر حتى مالت شمس المعارف من المشرق الى المغرب وجعلت اشعتها تنتشر في ربوع اوربا وتتقلص عن ربوع اسيا وافريقية وكان انتشارها اولاً في ايطاليا . فانشئت مدرسة سالرنو في القرن التاسع واشتهرت بفرعها الطبي في القرن الحادي عشر حتى كان الطلبة يفدون اليها من كل اقطار اوربا . وانشئت مدرسة بولونا في اواخر القرن العاشر واشتهر قسمها الحقوقي في القرن الثاني عشر وصارت سنة ١٢٠٦ تعطي لقب الدكتورية في الطب والحقوق واللاهوت

ونشأت مدرسة باريس منذ عهد بعيد ثم انتظمت اقسامها الاربعة الحقوق والطب والفنون واللاهوت في اوائل القرن الثالث عشر وانشئت مدرسة سوربون فيها سنة ١٢٥٣ ولم يختم القرن الرابع عشر حتى صار في فرنسا اربعون مدرسة كلية . وانشئت مدرسة سلامنكا سنة ١٢٤٢ وظلّت خمسمائة سنة فخراً لاسبانيا . ولا يعلم الزمن الذي انشئت فيهِ مدرسة اكسفرد تماماً ولكنها كانت في بداءة القرن الثاني عشر وناظرت مدرسة باريس في القرن الثالث عشر . وصارت مدرسة كمبردج جامعةً سنة ١٢٣٣ . وانشئت مدرسة براغ الجامعة سنة ١٣٤٨ ومدرسة فينا سنة ١٣٦٥ . ثم كثر انشاء المدارس الجامعة حتى عمَّت اوربا واقتفى الاميركيون آثار اسلافهم الاوربيين وفاقوهم في الانفاق على المدارس الجامعة حتى لا يندر أن يوقف احدهم على المدرسة مليون جنيه او مليوني جنيه او اكثر

وقد طالما وددنا لو انشئت مدرسة جامعة في هذا القطر وخاطبنا بعض اصدقائنا الاميركيين في نقل المدرسة الكلية الاميركية من بيروت الى القطر المصري وتتبعنا الهبات الاميركية التي توهب للمدارس الجامعة حتى صارت مطلبنا الاول في الجرائد العلمية فنفتش عنها قبل غيرها وننشرها في المقتطف لعلنا نثير الغيرة والحمية في نفوس بعض الاغنياء فيقتدوا بكرماء الاميركيين وكدنا ننال المراد بما اظهرهُ المرحوم منشاوي باشا من العزم على القيام بذلك قُبَيْل وفاتهِ (المقتطف صفحة ٨٧٣ سنة ١٩٠٦)

صفحات من تاريخ الجامعة المصرية

١ — المنشور الاول

« في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ٢٤ شعبان سنة ١٣٢٤ الموافق ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٦ اجتمع في مجلس حضرة عزتلو سعد بك زغلول بجهة الانشاء الموقعون على هذا بصفتهم من المكتتبين الاولين لانشاء الجامعة المصرية وان كلاًّ منهم اكتتب للجامعة كما هو مذكور بعد وقرروا

« اولاً : انتخاب لجنة تحضيرية مؤلفة من حضرات : سعد بك زغلول وكيلاً للرئيس العام وقاسم بك امين سكرتير اللجنة وحسن بك سعيد وكيل البنك الالماني الشرقي اميناً للصندوق . ومحمد بك عثمان اباظه ومحمد بك راسم وحسن بك جمجوم وحسن باشا السيوفي واخنوخ افندي فانوس وزكريا نامق افندي ومحمود بك الشيشيني ومصطفى بك كامل الغمراوي اعضاء

« ثانياً : تأجيل انتخاب الرئيس العام الى الجلسة القادمة . ثالثاً : نشر الدعوة الآتية في جميع الصحف المحلية عربية وافرنجية . رابعاً : الاجتماع مرة اخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس واعضاء اللجنة النهائية . خامساً : تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية

اسماء المكتتبين

جنيه	
١٠٠	قاسم امين بك
١٠٠	خالد بك سعيد
٢٠٠	محمد بك فريد و٢٠٠ سنوياً
١٠٠	محمد بك سليمان اباظه
١٠٠	صادق بك اباظه
٢٠٠	حسين بك ابو حسين
٢٠٠	علي بك فهمي
٢٠٠	حنفي بك ناجي
١٠٠	محمود بك الشيشيني
٢٠٠	عثمان بك اباظه
٠١٥	حفني بك ناصف
١٠٠	عبدالله بك اباظه
٥٠٠	مصطفى كامل بك الغمراوي
١٠٠	زكريا نامق افندي و٥٠ سنوياً
١٠٠	الدكتور عبد الحليم افندي
١٠٠	منشاوي سيد احمد افندي
١٠٠	اخنوخ فانوس افندي
١٠٠	محمود بك حسيب
٠٥٠	حسن بك سعيد
٠٢٠	الشيخ عبد العزيز جاويش
٥٠٠	محمد بك راسم
١٠٠	سعد بك زغلول
١٠٠	محمد بك يوسف
١٠٠	احمد بك رمزي
١٠٠	محمد بك هاشم و٢٥ سنوياً
١٠٠٠	حسن بك جمجوم
٤٥٨٥	المجموع

٢ — المنشور الثاني والدعوة للاكتتاب

«ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم انتشاراً في جميع طبقات الامة . ورغم ما تبذلهُ الحكومة من الجهد في توسيع التعليم فانهُ غير كافٍ للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف لا تفي بمطالبها ولذلك التجأت الحكومة لان تحرك همم الافراد وتهزَّ من غيرتهم لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسابقوا الى الاكتتاب في انشاءِ الكتاتيب واقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تعودهم على القيام من انفسهم بمثل هذه الاعمال فانهُ لا يمر يوم الاَّ ونرى فيهِ انشاء كتّاب جديد في جهة من جهات القطر ولا يبعد ان نرى عما قليل ان هذا الغرس قد نما وأزهر فتجني اولادنا ثمارهُ ولكن من الاسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيراً بنشر التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل اهملوهُ اهمالاً تامًّا ولا نشك في انهم انما اهتموا اول الامر بما رأوا ان الحاجة شديدة اليهِ وانهم لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

« ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصاً في التعليم يجب عليها سدهُ وتردد في خواطر كثير من افرادها منذ عشر سنوات تقريباً انشاء جامعة واخذت هذه الفكرة مكاناً عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة مرات في تحقيقها غير انهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى تخرج من عالم الامل الى عالم العمل

« في هذه السنة هبَّ في الرأي العام تيار من نفسهِ لتحقيق هذه الامنية لان الامة انتبهت بان تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرتهُ ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراءِ الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بديعة واختبارات كثيراً ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماءِ في اوربا ولا يصل الينا منها الاَّ صداها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية وما يبحث فيهِ عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشرائع والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضرهُ ومستقبلهُ هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئاً منها ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبلغ من ذلك انهُ لا يوجد لدينا

درس تعرف منهُ قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الاوروباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام

« ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب ان التعليم يجب ان يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان امتنا لا يمكنها ان تعد في صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادها القراءة والكتابة او ان يتعلم بعضهم شيئاً من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم اكثر من ذلك

يلزم ان شباننا الذين يجدون في اوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعداداً يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الأمم الذين يشتغلون آناء الليل واطراف النهار بالهدوء والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم. هذا هو العمل الذي نريد ان نشرع فيهِ ونطلب المساعدة عليهِ من جميع سكان القطر. نحن نعلم ان عمل الحكومة وحدهُ لا يفي بكل حاجاتنا وانهُ مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الافراد لها ولذلك نأمل ان يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسهُ ودينهُ. ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليهِ ولذلك وجب علينا ان نبين بالاجمال المقصود منهُ

اولاً: ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح ابوابها لكل طالب علم مهما كان جنسهُ ودينهُ. ثانياً: ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على اي وجه كان

« ثالثاً: ان اشتمال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي والتجهيزي والابتدائي وان كان من اقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في تحقيقها عاجلاً او آجلاً ومن ضمن ما ترمي اليهِ غايتنا متعذر الآن لانهُ يكون مشروعاً جسيماً جدًّا وتنفيذهُ برمتهِ دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالاً ونظامات لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بدَّ من التدرج في تنفيذهِ والبدء فيهِ بما يمكن عملهُ وتقديم ما الحاجة اليهِ اشد من غيرهِ

«نرى ان التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر انهُ يمكننا بدون ان نخشى ضرراً ان نؤجل الاشتغال

بهذه الانواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود لهُ عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنهُ . دروس ادبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في انواع ما يتلقون منها . دروس تؤخذ عن اساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي اوربا تحت ادارة لجنة علمية يرئسها رجل من اهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها واهميتها يتعلق بما يكون للجامعة من الايراد

«رابعاً : يلزم ان يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون اسماءهم في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها ويحصلون على شهاداتها وتكون لهذه الشهادات قيمة ادبية مع الامل ان الحكومة تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانهُ يباح لكل راغب في التعلم من غير هؤلاء التلامذة ان يحضر دروساً لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما يتمم بهِ كمالهُ العلمي

«خامساً : ان جمعية المكتتبين تنتخب لجنتين احداها فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بلوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتتابات من المتبرعين . هذا هو مشروع اول من اكتتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجدهُ البعض كبيراً عليهم محفوفاً بكثير من الصعوبات التي اعتادت ان تقوم في وجه كل مشروع فتقف بهِ دون الغاية فنقول لهؤلاء اننا سنسعى جهدنا لتحقيقهِ واذا سعى كلٌّ سعينا فلا شك في نجاحهِ لانهُ لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات الاَّ ان يتحد الكل ويعمل الكل فكل يائس يدعو الى الخيبة وكل آمل يدعو الى النجاح . على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فاننا نرجو الله ان يوفق لاتمامهِ غيرنا ممن وهب لهم همة اعلى وفكراً اسمى وحزماً اقوى واملاً اوسع .

«وبعضهم وهم الاكثر يرون مشروعنا جزئيًّا ليس لهُ من الاهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوتهِ وان التدرج في الامور اقرب الى النجاح فيها من الطفرة والتأني في السير اضمن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيهِ وتوسيع حالتهِ فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيهِ بان في قوتنا ان نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا ايدينا في ايديهم وسرنا جميعاً متكاتفين الى تلك الغاية السامية . والله ولي التوفيق »

٣ — حفلة افتتاحها

في ٢١ دسمبر ١٩٠٨

رعى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول مشروع الجامعة اميراً جليلا وتقلد رآستها والقى خطبة في حفلة افتتاحها نقتطف منها ما يأتي :

« ... نحن لا نجهل أن هذا العمل الكبير ستطرأ عليه تغيرات كثيرة قبل أن يأخذ شكله النهائي . ولكننا لم ندّخر وسعاً في تثبيت قواعده ليكون البناء الآتي قائماً على أساس مكين وافياً بما تدعو اليه الحاجة في مستقبل الأيام

« ولقد جاء اليوم الذي تقضي فيه الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العملية المحضة في نفس القاهرة دون أن تتغرب في ربوع العلم التي نالت بفضله مكانة عالية في العمران

وانني أبتهل اليه تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذ أننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه الا لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى أنه يتحتم عليها أيضاً أن تتحلى بفضيلتي الصبر والاستمرار لأنهما سر النجاح . ولا ريب عندنا في أنها ستكسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التي وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والأمة بأسرها »

من خطبة عبد الخالق ثروت باشا

احد اعضاء مجلسها في حفلة افتتاحها

« رأت الامة المصرية ان حاجتها الآن الى علماء راسخين في العلم ليست بأقل من حاجتها في الازمان السابقة الى متعلمين عاملين وانهُ قد حان الوقت لتخريج شبيبة تأخذ بيد الامة فتحلها المقام الذي يجب ان يكون لها بين الامم الراقية ذلك المقام الذي لن تنالهُ الاَّ اذا اقبل ابناؤها على العلم حبًّا في العلم ولم يقتصروا منهُ على ما يستفتحون بهِ ابواب الكسب والارتزاق

« رأت ان العلماء في البلاد الاخرى يكادون يأتون في كل فرع من فروع العلم بالمعجزات فكم من مبتكرات نخالها خلقاً سماويًّا جديداً جاءنا خبرها من اوربا وغيرها ونحن نكتفي من ذلك البحر الزاخر بمصة الوشل ! وكم من مخترعات مبدعات وآيات بينات فتح الله بها على اولئك العلماء وحظنا منها حظ المتفرج !

«رأت انهُ من النقص ان تبقى مصر عالة على الامم بعد ان كانت تغذيها بالعلم والعرفان وان تظل في مثل هذا العصر خلواً من جامعة تصوغ لها طائفة تمجد ذكرها كما كان ذكرها ممجداً في ماضي الايام والعصور الخالية . « رأت كل ذلك وحق لها ان تراهُ وتتدبرهُ . فلا جرم ان قامت قومة واحدة تدعو الى انشاء تلك الجامعة

«فولَّت وجهها بادىء الرأي شطر الحكومة ونظرت في المسألة من وجهة الواجب عليها فرأت ان الحكومات في جميع بلاد الدنيا لا تستطيع وحدها النهوض بالامة من طريق التعليم وانهُ ليس من امة فقهت الى مثل ما فقهت اليهِ الامة المصرية من الحاجة العلمية الاَّ واخذت بيد حكومتها في هذا السبيل وان الفضل في ترقية التعليم في البلاد الاخرى يرجع اكثرهُ الى جمعيات اسست دوراً للعلم وتكفلت هي بادارتها واقتصرت مهمة الحكومة فيها على تعضيدها ومساعدتها بقدر الامكان

« فلما احست الامة بما هو واجب عليها بازاء هذا المشروع توجهت عنايتها الى الحث عليهِ وتحقيق الغرض منهُ وهنالك انقسم الناس الى متطير يخاف على المصريين ان يقدموا على هذا المشروع فيحبط عملهم فينالهم من العار ما كانوا في غنى عنهُ . ومستبشر يرى في يسر الحال وهمة المصريين وأريحية شمائلهم ما يحمل على الاعتقاد بان عملهم سيكلل بالفوز ويتوج بالنجاح

« وقد دل الواقع على ان المصريين والحمد لله اهل لهذا الجد المحمود فقد تبرعوا ولم يثنهم عن العطاء شدة نزلت بالبلاد فاستحقوا لهذه الاريحية عطف كل محب لترقية العلوم والمعارف

« ولما كان من الضروري ان يكون التدريس فيها باللغة العربية عولت اللجنة على ان تبعث بارساليات الى البلاد الاوربية حتى اذا ما اتم اعضاؤها دروسهم واستقصوا العلوم التي انقطعوا لها هناك عادوا فقاموا بالتدريس باللغة العربية كلٌّ في علمه الذي اختص به

«وقد اوفدت الجامعة لهذا القصد الشريف في اوائل الصيف الماضي جماعة من خيرة النابغين من الشبيبة المصرية وهم الآن مغتربون في ربوع تلك الاقطار المتنائية لتحصيل العلم العالي وادخاره ليوم رجوعهم الى مصر فيبرّونها بعلمهم وتعليمهم كما برّتهم بعنايتها بتربيتهم ويكونون عدتنا واساطين جامعتنا في نيل امانينا

«ولما كان تحقيق هذا المقصد يستلزم زمناً طويلاً فتعجيلاً بالفائدة تقرر ان يقوم من الآن بعض العلماء بتدريس بعض العلوم التي لم تنل الى الآن في مصر حظًّا وافراً من العناية مع ما لها من الاهمية والاثر الحسن في ترقية المدارك وانارة البصائر

«ولما كان من المحقق ان جميع الامم عند ما تأخذ باسباب النهضة لا مندوحة لها عن محاكاة الشعوب التي اصابت اوفر قسط من الحضارة الراقية وكان الاخذ عن امة من الامم يوجب الوقوف على اساليبها ودرجة تصوراتها وكيفية تدرجها في ترقيها فقد اختارت الجامعة ان تتمشى مع ذلك الناموس الطبيعي بتلقين الطلاب فنون الادبيات عن الامتين الكبيرتين اللتين انتشرت لغتهما بين المصريين انتشاراً كبيراً فقرّرت تدريس علوم الادبيات عند الفرنسويين وعند الانكليز . كذلك رأت من اول الواجبات عليها ان يكون في مقدمة ما يدرس في جامعة مصرية تاريخ الحضارة القديمة في مصر والشرق وتاريخ الحضارة الاسلامية تلك الحضارة التي لا يزال اهل الفضل من كل الامم الراقية يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام . ومَن اولى من المصريين بالوقوف على حقائق هاتين الحضارتين لتحقيق نهضتهم الحالية واسترجاع ما كان لاسلافهم من مجد عظيم ومقام كريم

«وها نحن اولاء نحتفل اليوم باول خطوة تخطوها الامة المصرية لترتقي الى مستوى الامم الناهضة . نحتفل بوضع اول درجة من سلم العروج الى اوج العزة والفخار »



الدكتور ستراتون رئيس معهد مستشوستس العلمي الصناعي

رسم رمزي يبين عجائب العمران الحديث

امام الصفحة ٢٥٧

الحدائق المعلقة ام ناطحات السحاب

عجائب الدنيا السبع

ضئيلة اذا قيست بعجائب العلم الحديث

عجائب الدنيا السبع: اهرام مصر وابو هولها — حدائق بابل المعلقة — مدفن موزلوس — هيكل ديانا — صنم رودس — تمثال جوبيتر — منارة الاسكندرية. اذا تأملتها وجدتها كلها آيات في الفن والبناء شيد أكثرها على أكتاف العبيد لتمجيد فرد لا لفائدة جمهور فدكها الدهر الى الحضيض لم يبق منها سوى اهرام مصر وتمثال ابي الهول

تلك كانت عجائب الحضارات القديمة. ولكن العمران الحاضر له عجائب تختلف عن تلك لانها ثمرات جناها الناس من تطبيق القواعد العلمية والسيطرة على عناصر الحياة وقوى الطبيعة. وقد تغلغلت آثار هذه العجائب في عمراننا وحياتنا حتى الفناها وعدنا لا نرى فيها امراً عجيباً ومع ذلك لم يقف احد الكتّاب وقته على وضع جدول فيها كما فعل الكتاب الاقدمون بعجائب الحضارات القديمة

لذلك قصد احد المحررين بمجلة العلم العام الاميركية الى الدكتور ستراتون رئيس اكبر معهد علمي صناعي في الولايات المتحدة وطلب اليه ان يختار العجائب السبع التي يمتاز بها عمراننا الحديث وبعد ما حاول ذلك نحو نصف ساعة عجز عنه لان العجائب متفرعة متشعبة يتعذر حصرها في سبعة بنود فحصرها في تسعة وهي التي يراها القارىء في وسط هذه الصفحة

> **عجائب العمران الحاضر التسع**
>
> كما اختارها
>
> الدكتور ستراتون رئيس معهد مستشوستس الصناعي
>
> ١ * اكتشاف البكتيريا وتطبيق قواعد علم البكتيريا على ما فيه خير الجمهور
>
> ٢ * اتساع نطاق معرفتنا ببناء المادة وظواهر الاشعاع
>
> ٣ * التقدم في السيطرة على الكهربائية واستخدامها في الانارة والحركة والمواصلات
>
> ٤ * استنباط آلة الاحتراق الداخلي والتوسع في تطبيقها
>
> ٥ * الوسائل الحديثة في البناء بالسمنت والصلب
>
> ٦ * علم المعادن الحديث
>
> ٧ * حفظ الاطعمة
>
> ٨ * الطيران والمواصلات الجوية
>
> ٩ * اتقان صنع الآلات وزيادة ما تنتجه مع تقليل ما تستلزمه من عناية العمال

وبعد ما دفع الدكتور ستراتون بجوابه هذا الى المكاتب قال: هذا خير جواب

استطيعهُ ولكنهُ غير كامل . تأملهُ ترَاني لم اذكر شيئاً عن عجائب الكيمياء مع ان الكيمياء وتطبيق قواعدها ركن نهض عليهِ اكثر العجائب التي ذكرت

ألم يكن باستور كيماويًّا ! ومع ذلك هو هو واضع الركن الذي قامت عليهِ العجيبة الاولى وعجيبة اكتشاف البكتيريا وتطبيق قواعد علمها على ما فيهِ خير الجمهور . فلما كشف باستور عن هذه الاحياء الدقيقة خرج بالناس من ظلمات الجهل والحدس في معرفة طبائع المرض الى نور المعرفة الصحيحة فادركوا حقيقتهُ واسبابهُ وانفتحت امامهم السبل الى معالجتهِ والوقاية منهُ

كان ذلك منذ سبعين سنة . وكان لويس باستور يبحث في احد معاصر الخمر عن الامراض التي تفسد النبيذ والبيرا فثبت لهُ ان الاختمار لا يمكن ان يكون ذاتيًّا بل هو نتيجة لفعل جماهير كثيرة من الاحياء الدقيقة . ثم اثبت ان الهواء يعجُّ بهذه الاحياء ونحن نطلق عليها الآن اسم « جراثيم » او « مكروبات » او « بكتيريا » وهي دائماً على قدم الاستعداد للهجوم على مادة آلية سواءٌ في ذلك عصير العنب في برميل الخمّار ودم الانسان يجري في عروقهِ . ومن ذلك توصل الى الكشف عن البكتيريا التي تحدث بعض الامراض في الناس والحيوانات والسبيل الى علاجها والتحكم فيها . وحديث ذلك من امتع الاحاديث العلمية واشهرها

اما الآن فان انواع البكتيريا تعد بالمئات بل بالالوف وفي انحاء العالم المتمدن تجد مئات من المعامل يقيم فيها العلماء يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى على درس طبائع هذه الاحياء وآثرها في الصحة والمرض والصناعة والزراعة . لا بل ان درس هذه الاحياء صار علماً مستقلاًّ له شعب وفروع مستقل بعضها عن بعض

وزد على ذلك اننا مدينون لباستور باستعمال انواع المطهرات ومضادات الفساد وغيرها من الوسائل التي نأمل يوماً ما ان نسيطر بها سيطرة تامّة على كل الامراض المعدية . لقد دانت لنا امراض الدفثيريا والجدري والحمى التيفوئيدية والكوليرا والانفلونزا والدوسنطاريا والحمى القرمزية وغيرها وفقدت ما كان يحيط بذكرها من وجل ورعب . وفي السنة الماضية كشفت طريقة لمعالجة « بنت الحمرة » وهو من اخبث الامراض وينتظر ان يُعلن قريباً كشف طريقة جديدة لعلاج الحصبة . اضف الى ذلك مضادات الفساد على انواعها التي قلبت وسائل الجراحة رأساً على عقب وجعلت التقدم في اعمال الجراحين ممهد السبيل . وقد بني على كل ذلك علم الصحة العامة فصار

في الامكان حفظ المياه والاطعمة من التلوث بالجراثيم مما جعل الازدحام في المدن الكبيرة من غير تفشي الاوبئة بين السكان في حيز الامكان . وزاد متوسط العمر في الولايات المتحدة الاميركية من ٥٥ سنة الى ستين سنة في ربع قرن ونقص متوسط الوفيات منذ سنة ١٨٨٠ من ٢٠ في الالف الى اقل من ١٢ في الالف

ولما كشفت الحقائق المرتبطة بالبكتيريا التي في التربة واثرها في خصب المزروعات وفعلها في حلّ المواد الآلية وتركيب النترات قام على ذلك علم الزراعة الحديث وافاد فائدة كبيرة في تسميد التربة على قاعدة علمية وانتاج اكثر ما يستطاع انتاجهُ من الارض

***

كذلك ترى ان علم الكيمياء وعلم الطبيعيات ركن بنيت عليهِ العجيبة الثانية وهي « اتساع نطاق معرفتنا ببناء المادة وظواهر الاشعاع » . بدأ هذا التقدم حينما قام العالم الطبيعي الانكليزي جون دالتن واستخرج من مطويات التاريخ اليوناني القديم القول بالمذهب الجوهري بعد ما هذبهُ ووضعهُ على اساس علمي . فاخذ هذا الرأي يرتقي ويتسع حتى بلغ ذروتهُ سنة ١٨٩٨ حينما كشف الاستاذ كوري وزوجتهُ عنصر الراديوم وتلا ذلك تعديل المذهب الجوهري تعديلاً خلاصتهُ ان الجوهر الفرد مؤلف من نواة تدور حولها الكهارب كما تدور السيارات حول الشمس . فان اثبات هذا الرأي بالطرق العلمية والعملية من اعظم انتصارات العلم في كل التاريخ . لانهُ اثبت لنا ان المادة بل الكون دائم التغير والنشوء ينبض بحركة دائمة وقوى عظيمة قد يتمكن الانسان من اخضاعها لمطالبهِ يوماً . ومن المذهب الجوهري نشأت عجائب الكيمياءِ الصناعية في الاستفادة من النفايا التي كانت تطرح للكلاب وفي صنع كثير من المواد مجاراةً للطبيعة في خلقها وابداعها

والمذهب الجديد في بناء المادة الذي بني على اكتشاف الراديوم وضع في يد الانسان قوًى عظيمة في شكل اشعة لطيفة فاستعملها في مئات المطالب الصحية والصناعية نذكر في مقدمة هذه الاشعة اشعة الراديوم (الفا وبيتا وغمّا) واشعة اكس والاشعة التي فوق البنفسجي والاشعة السلبية في الانبوب المفرغ . والعلماءُ الآن مكبون على البحث في « الاشعة السموية » التي تجيءُ الارض من الفضاءِ وما عرف منها حتى الآن يخترق ما سمكهُ ست اقدام من الرصاص مع ان اشعة اكس لا تخترق سوى ثلاثة سنتمترات منهُ . ان معرفة طبائع هذه الاشعة مكنت العلماء في الجهة الواحدة من قياس

ابعاد الاجرام والعناصر التي تتركب منها وفي الجهة الاخرى كانت اساساً شُيّد عليهِ صرح المخاطبات اللاسلكية العجيبة

وقبلما فاز العلماءُ بمعرفة شيءٍ عن طبيعة المادة الكهربائي ومكان الكهربائية في بناء الكون على ما مرَّ بنا كان المستنبطون منهمكين في اخضاع الكهربائية واستعمالها لمطالب الانسان فكانت العجيبة الثالثة وهي « التقدم في السيطرة على الكهربائية واستخدامها للانارة والحركة والمواصلات »

فان فراداي حين تمكن في اوائل القرن التاسع عشر من احداث تيار كهربائي في لفة من السلك قطع بها مجالاً ممغنطاً لم يدرك كلَّ الادراك عظمة القوى التي كانت في يديهِ . ولكن على تلك التجربة البسيطة في ذاتها بني المولّد الكهربائي الاول

ولما اتسع نطاق المعرفة بطبائع الكهربائية تبعت العجائب الكهربائية بعضها بعضاً: تلغراف مورس وتلفون بل ومصباح اديصن الكهربائي والاتون الكهربائي وتلغراف مركوني اللاسلكي والتلفون اللاسلكي والرؤية عن بعد والرؤية في الظلام — وكل واحدة من هؤلاءِ تفوق كل عجائب الدنيا السبع عظمةً ونفعاً

كانت التجارب الكهربائية منذ نصف قرن امراً يتسلى بهِ الباحثون ولكنها قلبت الصناعة رأساً على عقب . وها هي الآن تدير المصانع وتسيّر القطارات وتنير المدن والبيوت وتسلّي الناس وتربط الامم بعضها ببعض لا يعيقها الزمان ولا المكان

اما العجيبة الرابعة فهي « آلة الاحتراق الداخلي وتطبيق مبدئها ». لقد انقضت ٤٣ سنة منذ بنى جوتليب دِملر اول آلة تدور بحرق الغاز وسيَّر بها دراجة . وفي هذه الاثناءِ صارت القوة التي تولّد من حرق مزيج من الهواءِ والغاز الركن الاهم في ترقية سبل المواصلات برًّا وبحراً وهواءً . ففي المسكونة الآن نحو ٢٨ مليون سيارة نحو ٢٣ مليوناً منها في الولايات المتحدة الاميركية اضف الى ذلك المحرّكات المتينة التي مهدت السبيل لتقدم الطيران هذا التقدم السريع الذي نراهُ بعيوننا ونلمسهُ بايدينا وآلات ديزل التي تحرق البترول وقد اخذت تحلُّ محلَّ الآلة البخارية في اكثر السفن ترَ ايَّ اثر لهذه العجيبة في تغيير احوال العمران

***

والعجيبة الخامسة هي « الوسائل الحديثة في البناءِ بالاسمنت والصلب » وهذه العجيبة لا تظهر كبيرة الاثر في العمران ، اذا نظرنا اليها نظراً سطحيًّا . ولكن اذا

تأملنا قليلاً وجدنا ان بها بنيت ناطحات السحاب والكباري العظيمة والسفن الكبيرة والسدود والترع والانفاق التي تخترق الجبال او تسير تحت المدن والانهر. ان البناة المعاصرين يبنون بالاسمنت والصلب في بضعة اشهر ماكان يستغرق بناة الاهرام سنيناً من الكد والنصب اوكان يتعذر عليهم

وعجائب البناء بالصلب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعجيبة السادسة وهي ما اطلق عليه الدكتور ستراتون «علم المعادن الحديث» فان اصحاب هذا العلم الاخاذ ابتكروا طرقاً لصنع امزجة معدنية مختلفة في خواصها من صلابة وخفة ومرونة وليونة وغير ذلك. وقد صنعت امزجة مختلفة من الصلب لكل منها صفة خاصة وذلك بمزج الصلب بقليل من النيكل او المنغنيس او الكروم او غيرها. والمواد الجديدة التي صنعت كذلك وتصلح لاستعمال خاص تزداد يوماً فيوماً. فصلب المنغنيس يستعمل في صنع خزائن الاموال التي لا يخترقها اللصوص. وصلب الكروم او صلب الكروم الذي اضيف اليه قليل من النيكل يستعمل في صنع الدروع والمقذوفات والمحاريث وغيرها. وصلب السلكون له خواص مغنطيسية شديدة فيستعمل في صنع بعض الآلات الكهربائية او بعض اجزائها. وصلب الفناديوم وهو من احدث انواع الصلب مرن لا ينكسر تحت الاثقال الكبيرة او اذا صُدِم صدمات شديدة لذلك يستعمل في صنع بعض اجزاء السيارات وما هو من قبيلها ومن احدث انواع المعادن معدن الدورالومن وهو متين مع خفة في الوزن لذلك يستعمل في بناء الطيارات والبلونات

ومن بدائع علم المعادن الحديث تغيير صفات بعض المعادن الى نقيضها كما فعل الدكتور كولدج بمعدن التنغستن فان من صفات هذا المعدن الطبيعية سرعة الانكسار ولكن الدكتور كولدج بقي يعالجهُ بالاحماء تارة والتبريد اخرى حتى جعلهُ ليناً مرناً كالمعجون سهل المد كالفضة او الذهب وبذلك صار يستعمل في صنع الاسلاك في المصابيح الكهربائية

وقد اتقنت الآن الاتاتين الكهربائية التي تعالج فيها المعادن على ٦٠٠٠ درجة من الحرارة بميزان فارنهيت وفي ذلك ميدان متسع امام علماء المعادن لاحداث الغرائب

***

قد لا يكون من رأي كل قارىء ان يجعل طرق «حفظ الاطعمة» بين عجائب العمران الحديث. ولكن الدكتور ستراتون يرى ان حفظ الاطعمة يأتي بعد الاطعمة ذاتها في المقام كعامل في التغذية العامة. فهو الدعامة التي تقوم عليها الحضارة الصناعية

الحديثة لانهُ السبيل الوحيد الذي يمكن الناس من الاجتماع في المدن الصناعية بعيدين عن مصادر الطعام على اختلاف انواعهِ والوانهِ والمستنبط الذي نفح الحضارة باول طريقة لحفظ الطعام هو نقولا ابرت الفرنسوي فانهُ تمكن سنة ١٧٩٥ من حفظ بعض الاثمار بوضعها في زجاجة من الماءِ وسدّها سدًّا محكماً ثم اغلائها وتركها حتى تبرد. وقد تقدمت اساليب الحفظ منذ اكتشاف البكتيريا ومعرفة طبائعها ويضاف الى ذلك حفظ الاطعمة بالتبريد لان التبريد يمنع تكاثر المكروبات التي تحدث الفساد في المواد الآلية

***

مهما اوجزنا في اختيار عجائب العمران الحديث لم نستطع ان نضرب صفحاً عن «الطيران والمواصلات الجوية» . لقد كان الناس في كل العصور يتمنون ان تحقق احلامهم للتحليق في الجوّ مثل الطيور. وفي ربع القرن الذي انقضى منذ حقق الاخوان ريط مبدأ الطيران بآلة اثقل من الهواءِ تقدم الطيران تقدماً مدهشاً في سرعتهِ . فالشجعان من الطيارين قد طوقوا الارض بطياراتهم وبلغوا الى القطب واجتازوا القارات والاوقيانوسات وبلغت سرعة بعضهم ٣٠٠ ميل في الساعة وحلقوا الى علو ثمانية اميال ومكثوا خمسين ساعة في الجوّ . ومع ذلك لا يزال امام رجال الطيران اكبر العقبات وهي اثبات قدرة الطيارات على الثبات في الجو مهما اختلفت احوالهُ . والمستنبطات الحديثة التي تمكن الطيار من معرفة اتجاههِ ومكانهِ واحوال الجو امامهُ وهلمَّ جرًّا تؤذن بتحقيق هذا الامل الكبير . وغني عن البيان ان التقدم في استعمال البلونات كان عظيماً وقريباً يتم صنع بلونين احدهما في اميركا والآخر في اوربا اذا وضعنا صنم رودس امام احدهما بان كالقزم امام الجبار

***

ثم ذكر الدكتور ستراتون العجيبة التاسعة مبيناً انهُ لم يرتب ذكر العجائب على طريقة الاهم فالمهم . ثم قال: انهُ في اثناءِ قرن كامل انقضى بين استنباط مغزل هوتني واستنباط الاتنغراف صنعت مئات من الآلات خفضت عناءَ العمال ووسعت ثروة الامم — حصّادة مكورمك وآلة هو للخياطة والآلات الكاتبة والآلات الحاسبة والمطابع وآلات اللينوتيب ومراكز التلفون الآلية ومئات غيرها من الآلات التي جعلت عمراننا الحاضر كما هو عليهِ الآن

واذا شئنا ان نضيف الى هذه العجائب عجيبة عاشرة . فها هي ذي : ان عجائب الدنيا السبع تقوَّضت وتهدَّمت واما عجائب العلم العملي فباقية تنمو وتزيد

التلغراف البشريّ

قصة اجتماعية

لالكسندر غلواكي البولوني

كان الكسندر غلواكي من رجال اليراعة المشهود لهم بالبراعة في عالم الادب عموماً وبين قومهِ البولونيين خصوصاً . وُلد سنة ١٨٤٧ في بلدة قرب لوبلن من بولونيا وأكبَّ منذ حداثتهِ على التصنيف وكتابة القصص المراد بها تهذيب النفوس وتثقيف الاذهان . واول قصة كتبها طبعت سنة ١٨٧٢ . وظلَّ من ذلك الوقت عاكفاً على الكتابة ومزاولة وضع القصص ، منتحلاً فيها اسم « پروس » الى حين وفاتهِ سنة ١٩١٢ . ومما امتاز بهِ انهُ كان كاتباً صائب الرأي ثاقب الذهن مع غزارة المادَّة وسعة الاطلاع وسهولة الابتكار والتوليد . وصفهُ بعضهم واجاد بقولهِ « انهُ كان راسخ اليقين بالانسانية والتمدن وبما للخير والنور من قوة الإِصلاح والتجديد . لجَّ في طلب تعميم التعليم وتاق اشدَّ التوقان الى تدريب مشيئة الشعب ونادى جهراً بانهُ يجب على كلّ انسانٍ ان يجد في نفسهِ مبعث القوة ومصدر العزيمة والنشاط » وقصصهُ القصيرة موضوعة على الخصوص لوصف احوال الانسان المختلفة ومنها قصة التلغراف البشريّ الآتيــة :

القصة

زارت احدى الاميرات ملجأً لليتامى . فعرض لها مشهد كان غاية في الندرة والغرابة . فانها رأت اربعة صبيان في عراك شديد آخذاً كلٌّ منهم بتلابيب الآخر ، وهم يوسعون بعضهم بعضاً لكماً ولطماً ، نزاعاً على كتابٍ ممزَّق بين ايديهم . فاستفظعت عملهم هذا وصاحت بهم صيحة الزجرِ والانتهارِ قائلةً : — « على مَ هذا الصراع ايها الاولاد الحمقى ? فأقلّ عقاب تستحقونهُ عليهِ ان تحرموا نصيبكم من الكعك وتوضعوا رُكَّعاً في الزاوية »

فاجابها واحد منهم ، معتذراً عن ذنبهِ ومشيراً الى صبيٍّ آخر :

— انهُ اغتصبني كتاب روبنصن كروزو

فقال ذاك : هذا كذب وبهتان ! انهُ هو الذي اغتصب الكتاب !

وقال صبيّ ثالث : لله ما اشد افتراءك ! أفلست انتَ الذي انتزع الكتاب مني ؟

وكانت ناظرة الملجإ قد بادرت الى تدارك الامر فوضعت حدًّا لصراعهم ونزاعهم. ثم خلت بالاميرة وقالت لها ان ما شاهدتهِ اليوم في الملجإ كثير الحدوث ،مع اتخاذ كل ما يمكن اتخاذهُ من وسائل المراقبة التامة . وذلك لان الاولاد مولعون بالمطالعة ولعاً تفوق الوصف والملجأ في اشد احتياج الى الكتب

فهاج هذا النبأُ في قلب الاميرة شرارة شعور غريب لم يخطر من قبل ببالها. لكنها رأت انّ مواظبتها على الافتكار فيهِ مجلبة العناء والقلق فأغفلتهُ وبذلت جهدها في نسيانهِ الى ان زارت ذات يوم رئيس المستشارين وتناول الحديث بعض الشؤون الدينية واعمال البرّ والصدقة فتذكّرت حادثة ملجإ اليتامى وقصّتها عليهِ واعادت ما قالتهُ لها ناظرة الملجإ

ولما فرغت من كلامها طرأ على المستشار ماكان قد سبق فطرأ عليها من الشعور بامر غريبٍ غير مألوفٍ . فأعارهُ جانباً من عنايتهِ واهتمامهِ واستصوب ان يبعث ببعض الكتب الى اولئك اليتامى . وتذكّر انهُ كان قد اشترى ، منذ وقت طويل ، طائفةً كبيرة من الكتب لاولادهِ وهي الآن مودعة رفارف المكتبة وبعض الصناديق يغشاها الغبار وتعبث بها ايدي الدثور والبلاء . ولكنهُ لم يشأ ان يتحمل عناء البحث عنها ومشقة جمع شتاتها وارسالها الى الملجإ

وفي مساء ذلك اليوم زار المستشار صديقاً لهُ كان عنوان المروءة والاريحية وكانت حياتهُ كلها وقفاً على إنشاء الملاجئ والمتصدقات ومساعدة لجان البر والاحسان. فروى لهُ ماشاهدتهُ الاميرة في ملجإ اليتامى وما قالتهُ لها ناظرة الملجإ وزاد على ذلك تصريحهُ بعزمهِ على ارسال بعض الكتب ووجوب التضافر على معونة اولئك اليتامى وسدّ عوزهم الادبي . فقال لهُ صديقهُ :

— الخطب سهلٌ الى الغاية ! غداً صباحاً اذهب الى مكتب جريدة «الكورير» واوجّه فيها نداءً الى ذوي النجدة ليبادروا الى ارسال الكتب التي يحتاج اولئك اليتامى اليها

وفي صباح اليوم التالي خفّ ذلك الاريحيّ الى غرفة مدير هذه الجريدة وحدثهُ بما سمعهُ من صديقهِ المستشار والحَّ عليهِ باسم الانسانية ان ينشر في جريدتهِ النداء المطلوب

واتفق لحسن الحظ أن الجريدة كانت يومئذٍ في حاجة شديدة الى خبر رائع طريف يستوقف نشرهُ انظار قرائها ويشغل ماكان باقياً فيها من الفراغ. فجلس مخبرها من

فوره — وانشأ مقالة رنانة في هذا الموضوع عنوانها : « جوع النفوس: بضعة اولاد في ملجإٍ يتامى — يعضُّهم ناب الاحتياج الى الكتب — إن شوقهم إليها اعظم من ان يوصف — لاتنسوا نفوسهم الجائعة ! »

وبعد بضعة ايام ذهب المخبر الى مكتب الجريدة ومعهُ واحد من اصدقائهِ وكان استاذاً للفلسفة الطبيعية . فلقي عند الباب رجلاً رثّ الملبس وسخ اليدين وبجانبهِ فتاة صغيرة صفراء الوجه نحيلة الجسم وعليها اطمارٌ بالية تكاد لا تكفي لستر عريها وهي حاملة رزمة كتب قديمة . فسألهُ المخبر :

— ماذا تريد يا سيدي ؟

فرفع الرجل قبّعتهُ واجاب بخشية واحتشام

— جئنا يا سيدي ببعض الكتب للاولاد ذوي النفوس الجائعة الذين كتبتَ عنهم.

وحنت الفتاة الناحلة رأسها وصبغ الحياءُ محياها المغشى بصفرة فقر الدم . فتناول المخبر الكتب منها وسلمها الى خادم المكتب . وسأل أباها :

— ما اسمك يا سيدي ؟

فاجابهُ بحيرة وارتباك :

— لماذا تروم يا سيدي ان تعرف اسمي ؟

— لا بدّ لنا من معرفة اسم المتبرع بهذه الكتب لكي نعلنهُ في الجريدة

— لا ارى اقلّ ضرورة تدعو الى ذلك . فارجو ان تغضّ النظر عنهُ ولا تعيرهُ شيئاً من الاهتمام . اني رجل بائس ومسكين وواحد من عمال مصنع القبّعات . فلستُ بمستحقٍّ ان يعنى بامري وينوّه باسمي

قال هذا وانطلق ذاهباً بابنتهِ الصغيرة النحيفة

وبعد ذهابهِ التفت المخبر الى صديقهِ الذي كان بمرأى ومسمع من كل ما حدث وقال لهُ :

— ان وقوع هذه الحادثة في اثناء وجودك معي — وانت استاذ الفلسفة الطبيعية — اخطر ببالي فكر المخاطبة التلغرافية بطريقة جديدة . فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامى . والمكتب الذي تسلمهُ كان العامل في مصنع القبعات . فلما اشار الاول مسترعياً الانتباه لبّاهُ الثاني من فورهِ . وعندما صرّح ذاك بحاجتهِ بادر هذا الى قضائها. اما نحن الباقين فكنا — كلنا — اعمدة التلغراف !

ترجمة : اسعد خليل داغر

كيف تصلح الامة[1] ؟

ايها السادة والسيدات :

لا يزال الانسان المعروف في التاريخ البشري شبيهاً من بعض الوجوه باخيهِ السابق لعهد التاريخ . لا يزال الانسان ، المتمدن وغير المتمدن ، مسوقاً الى غرضهِ بعاملَين اولَيَنهما : الخوف والحاجة. فتراهُ يوماً يصول على اخيهِ ، او على خصمهِ ، دفاعاً عن النفس — دفعاً لشرٍ حقيقي او وهمي — ويوماً يصول طلباً للقوت ، او طمعاً بالقوة

تدرج الانسان في استعمال السلاح

حمل الانسان الوحشي النبّوت في سبيل العيش ، ثم في سبيل الاستيلاء . مضى الى غرضهِ غازياً ، صائداً ، صائلاً ، فعلمهُ الفشل الحيلة ، ولطّفتْ من غريزتهِ المشقات والآلام . على انهُ استمرَّ يحمل النبوت حتى بعد ان ادرك شيئاً من السر في امرهِ وشرع يفكر في عواقب عملهِ

بطش في ساعات اليأس فكان قاتلاً او مقتولاً . وصال في ساعات الامل فكان غالباً ، او هارباً ، او موارباً

ادرك الانسان لذة العيش فلجأ الى الحيلة حبًّا بالحياة . ولكنهُ عندما ادرك ان حيلتهُ الاولى امست سلاحاً بيد جارهِ ، بل بيد خصمهِ ، لجأ الى الفكر يستنبط غيرها

هي درجات في الدفاع عن النفس ، ولك ان تقول في اصلاحها ، لان الفوز في الدفاع معزّزٌ لصاحبهِ . اجل ، قد ارتقى الانسان من النبوت في سلاحهِ الى الحيلة ثم الى الفكر . ولكنهُ ظل مسلّحاً بها كلها لغرضهِ الاكبر ، ثم تسلحت بها الامم لاغراضها

ولكل نوع من هذه الاسلحة تاريخ في التطور والارتقاء. فمن النبوت ، الى المدية الصوانية ، الى القوس والنشاب ، الى المنجنيق ، الى الرمح والسيف ، الى المدفع ، الى المدرعة الحربية ، الى الطيارة المدمرة — هو ذا تاريخ السلاح الاول منذ خرج الانسان من الغاب يمشي على رجليهِ الى هذا اليوم

ومن الحيلة البسيطة في الاستيلاء تدرج الانسان الى الحيلة الدينية ، فالحيلة الملكية ، فالحيلة الاستعمارية ، فالحيلة الانتدابية

(١) القيت هذه الخطبة في حفلة جمعية الشبان المسيحيين بيافا وبالقدس في ابريل ١٩٢٧ وفي حفلة جمعية تهذيب الشبيبة ببيروت في ١١ يناير ١٩٢٨ ولم تنشر قبلا

ومن الفكرة التي فيها خيره فقط ارتقى الى الفكرة التي فيها خير اسرته ، فخير عشيرته ، فخير امته ، ثم الى الفكرة التي فيها خير الانسان على الاطلاق . هوذا تاريخ الثالث من اسلحته في الحرب وفي السلم

اجل ، قد ارتقينا في اغراضنا وفي السبل اليها . قد ارتقينا سلاحاً ، وحيلةً ، وفكراً . وفي هذا الارتقاء المستمر تنمو بذور الاصلاح

اما السلاح الاول ، الذي كان نبوتاً بيد الرجل الاول ، فقد يرتقي الى درجة علميّة هولها لا يطاق ، فيمسي مكروهاً من الامم كلها ، وبالتالي ممنوعاً ، فتخف في الاقل الحروب

واما الحيلة والفكر فيستمران في تطورهما حتى تصبح الاولى سلاحاً بيد الثاني ، وقد خرج من الدائرة الوطنية الى الدائرة الأُممية — الى الدائرة الكبرى الشامل خيرها شعوبَ الارض اجمعين

اني ممن يعتقدون ويتيقنون اننا سائرون في هذا السبيل . اجل ، اننا سائرون الى الامام . فمن خيرٍ استمتع بهِ كل قويٍّ من رجال الغاب ، الى خير استمتع بهِ الكهان ، الى خير كان محصوراً بالامراء والملوك ، الى خيرٍ احتكرتهُ الامة او الشركة التي كانت اقوى من سواها ، الى الخير الاكبر الذي سيشمل الامم كلها جمعاء

ولكننا لا نصل الى هذه المحجة الاَّ بالاصلاح الذي فيهِ الصلاح والرقي ، اي الاصلاح الذي يقرن النشوء الطبيعي بالتطور الاجتماعي ، وبالارتقاء الخلقي

***

ان في الشرق اليوم اثراً للتطور الاجتماعي ظاهراً اكثر من سواهُ . اما النشوء الطبيعي الذي فيهِ القوة المادية ، والارتقاء الخلقي الذي فيهِ القوة الادبية ، فلا يزالان مقيدين بكثير من التقاليد والعقائد التي لا تلتئم وروح الزمان

اسباب التقهقر

واذا ما بحثنا اسباب التقهقر في الامم الشرقية اجمالاً وجدنا اهمها في ثلاثة هي : الجهل ، والكسل ، والادعاء

الجهل اولاً وهو الظالمة بعينها . الجهل هو الظلم وهو العبودية . هو التعصب والخرافة . هو الطاعة العمياء وهو الاثرة الاثيمة . هو الخوف ، والجبن ، والمذلّة

الكسل ثانياً وهو الجمود بعينهِ . الكسل هو القناعة والفقر ، هو المرض والشقاء ،

هو الخداع — خداع النفس — والاستسلام ، والخمول

اما الادعاء فهو في تلك المظاهر الاجتماعية التي تكاد تكون محض شرقية ، اي مظاهر الفخفخة والابهة والمجد الباطل . الادعاء ! انما هو في الالقاب التي نتعشقها ، وفي المقامات التي نقدسها ، وفي الوجاهات التي نبذل من اجلها المال والشرف ، وفي العظمة الجوفاء التي يرتدي كل رئيس رداءها وان كان بالياً مرقَّعاً

اني اسمعك تقول : ولكن في الشرق اليوم نهضة عامة سياسية واجتماعية . است منكراً ذلك . فقد بدأت تنقشع غيوم الجهل والكسل. وقد شرع المصلحون المجددون يحفرون تحت صروح الادعاء . هذا صحيح

ولكننا لا نزال في بداية العمل ، ولا نظام فيهِ ولا تنظيم . بل نحن الآن خلال العمل جزء من الفوضى العامة . نرى الشرق القديم ، وقد تفلّت من قيودهِ ، يسير يوماً مع التيار ويوماً يرجع الى الوراء . ونرى الشرق الجديد ، وقد بدأ يدبُّ ويدرج ، متلهياً بلعبهِ الجديدة العجيبة — بتقرير المصير ، والاستقلال ، والبرلمان ، والدستور

قد يكسّر الشرق هذه اللعب الجديدة ، ويعود الى تلك القديمة . ولكنهُ لا يستطيع ان ينبذ هبة الزمان وقد جاءتهُ من يدَي العلم والتمدن، وهي منذ نصف قرن تغالب فيهِ الجهل ، والكسل ، والادعاء

التحول في الشرق

على ان الشرق لا يزال في حال التحوّل . وانهُ ليصعب على ادق المراقبين نظراً ان يرى ما في المستقبل من عوامل الرقي ، او يتكهن ببعض ما تكنّهُ الايام من اشكال الاحكام

أما ان الشرق قد نهض من سُباتهِ ، وفتح منهُ البصر والبصيرة ، فما لا شك فيهِ وأما ان الاوربيين في الشرق اليوم راضون بذلك فما لا اجزم بهِ

ان بين الفريقين اليوم خصومة شديدة سوف تسفر — وهذا هو عندي في منزلة اليقين — عن امرين ، اولها :اعتراف الاوربيين بحقوق الشرقيين السياسية والاقتصادية في بلادهم ، والثاني : هو احترام الشرقيين للاوربيين كتجار ، واخصائيين ، ورسلٍ للعلم والمدنية

اما الحالة الحاضرة في الشرق، من الصين الى فلسطين،فهي التي وصفتها بالتحول. ان في الشرق اليوم من النزعات السياسية الجديدة ، والنعرات الدينية القديمة ،

والعصبيات ، والقوميات ، والتحزبات ، ما تضطرم اضطراماً عمياً بل تشتعل كلها في بركان واحد هو بركان الوطنية

وفي الشرق المدارس ومعاهد العلم تُعَدُّ بالمئات ، وكذلك الصحف والمجلات . وفيهِ المطابع تطبع الكتب الحديثة ، الادبية والتاريخية والعلمية . وفيهِ اندية الادب والالعاب الرياضية والسيارات ، ودور الصور المتحركة ، والرقص والمحاضرات، وفيهِ الشركات المالية لاستثمار المشروعات الوطنية . وفيهِ ايدٍ تغزل وتنسج، وايدٍ تصنع القنابل والبارود

ان النار والنور يتباريان في الشرق اليوم . ولكن في تلك النار كثيراً من الحطب الاخضر ، وفي ذاك النور كثيراً من الدخان

الحطب الاخضر وما ادراك ما هو ؟ هو النقص في خُبر الزعماء وفي اخلاصهم . هو الهوس الطائش والتعصب الاعمى في الجموع المتألبة . هو تزلف الرؤساء الدينيين من اولي الامر الاعلى وتضحيتهم بمصالح الامة في سبيل مصالحهم الخاصة . الحطب الاخضر الذي يحجب دخانهُ النور انما هو الجهل والخوف ، والحاجة والرياء ، والجبن والنفاق ، والاثرة والادعاء

هي حال الشرق اليوم . نار تتأجج ونور يكاد يخنقهُ الدخان . هي حال الشرق الاقصى والادنى ، من الصين الى فلسطين

وكيف تُصلح هذه الحال ؟ كيف تتخلص من الحطب الاخضر فيصفو النور ، وتبدو سبُل الهداية قويمة جلية للناس ؟ وبكلمة اخرى كيف تُصلح الامة ؟

***

أشرت فيما تقدم الى تدرج الانسان في سلاحهِ ، دفاعاً وهجوماً ، من النبوت الى الحيلة الى الفكر . وهو لا يزال في سبيل الاصلاح يلجأ الى النبوت ، الى القوة . على ان هناك طريقة اخرى غير الثورة مثلاً ، وهي طريقة التطور الطبيعي ، بل طريقة الفكر وكل ما يتناولهُ من اساليب التعليم والتهذيب

الثورة الفكرية والثورة السياسية

اية الطريقتين أفضل ؟ قد تعلمون، ايها السادة والسيدات، اني فيما اكتب واقول حاملٌ على القديم البالي ،والقديم الفاسد ، من العقائد والتقاليد. اني اطلب انقلاباً عامّاً في الحياة الشرقية ، ولست فيما اطلب سياسيًّا . انما طريقتي ادبية ، تهذيبية ، روحية

نعم ، اني ادعو الناس الى ثورة فكرية تذهب بما في الاخلاق ، والعادات ، والتقاليد ، والعقائد من فسادٍ وسخافة وعفونة وضلال . الثورة الادبية قبل الثورة السياسية . والثورة الروحية قبل الثورة الاجتماعية . « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فالمرءُ الذي يثور على ما ورث من الاجداد ، مما كان فاسداً اصلاً ومما افسده الزمان ، فيصلحهُ ، او ينبذهُ هو هو الذي يحق لهُ ان يثور اذا اقتضى الامر على الحكومة

وان هذا الرجل اذا خدم في الحكومة فهو يخدم الامة اولاً وآخراً . ان هذا الرجل وامثالهُ ليشعرون بما عليهم من واجب الخدمة للوطن

ولكن هذا الشعور الوطني السليم لا ينتشر في الامة ويعم الناس الاَّ بواسطة التهذيب الراقي والتربية الوطنية الحقة . هي ذي اسباب الاصلاح الدولي . على اننا نرى ، اذا ما جئنا نحدد الخدمة الوطنية والتهذيب الراقي ، ان النظر فيهما يختلف اختلاف المبادىء والنزعات السياسية والدينية

ما هو التهذيب الراقي

سأنتقل من التعميم الى التخصيص توصلاً الى الحقيقة الجلية التي يسهل فهمها والعملُ بها . وسأقتصر في البحث على هذه الامة ، امتنا العربية ، بل على اجزائها الشمالية الواقعة تحت الانتداب

قد تعددت المدارس وتنوعت في هذه البلاد السورية اللبنانية الفلسطينية . ولكل نوع منها خطة في التعليم ، ومبدأ في التهذيب ، لا يتفقان اجمالا ومنهج غيرها . اما المدارس مثل المعابد في البلاد لها صبغة دينية او مذهبية ، فلا يجوز والحال هذه ان نفترض ان التهذيب الراقي هو واحد فيها كلها ، او انها كلها تعلم مبدأً واحداً فيما هو واجب الخدمة للوطن

سأعود اذن الى الاوليات ، الى الالف باء في الوطنية ، والى ما نحن فيهِ اليوم من حقائقها الواقعة

الشعور الوطني

ما هو الشعور بواجب الخدمة الوطنية ؟ اني قبل كل شيء اقول ان خدمة الوطن لا تجيء صافية الاَّ من ابناءِ الوطن . ولكن شعور هؤلاء بواجب الخدمة يتنوع اليوم اصلاً ، ويتفاوت شدةً ، واخلاصاً ، وتمويهاً . فمن الشعور السوري ، الى الشعور

اللبناني ، الى الشعور الانتدابي — ومن الشعور العربي ، الى الشعور الصهيوني ، الى الشعور الانكليزي — بل من الشعور الفاتر العام ، الى الشعور الحاد الخاص ، الى الشعور المتقطع المصطنع — من الشعور بالمنفعة ، الى الشعور بالعجز ، الى الشعور باليأس — هذي هي انواع من الشعور الوطني عندنا . بل هي درجات فيما يصح ان نسميهِ مرض الامة العصبي

الخدمة الوطنية

اما الخدمة الوطنية فقد تكون سياسية ، او ادبية ، او اقتصادية . فمن ذا الذي يشعر اليوم بوجوب الخدمة السياسية التي تستقيم فيها مصلحة الوطن قبل كل شيء — مصلحة هذه البلاد واهلها اولاً وآخراً ؟ ان هناك من يشعرون ولا شك هذا الشعور ، ولكننا لا نجدهم بين الذين يشتغلون اليوم بالسياسة

ومن ذا الذي يشعر بوجوب الخدمة الادبية التي لا يشوبها شائب من قديم النعرات ، وذميم التعصبات ؟ من ذا الذي يشعر بوجوب التنزه في الآداب عن السياسة المحلية او الخصوصية ، وعن العصبية الدينية او الاقليمية ؟ ان هناك افراداً يشعرون ولا ريب هذا الشعور ، ولكن نفوذهم اليوم لا يتجاوز دائرةً من العمل ضيقة النطاق

الخدمة الاقتصادية

اما الخدمة الاقتصادية ، واهم ما فيها الزراعة والصناعة ، فكلنا نشعر بواجبها ، وكلنا ننشدهُ ، وقلَّ فينا من لا يترفّع على العمل بهِ . قلَّ فينا غير العاجز والمتحذلق . فما زال القلم اسهل استخداماً واشرف — في نظر الشبيبة المهذَّبة — من المعول والنول ، فكلنا ادباء وشعراء وسياسيون . كلنا وطنيون مصلحون — وطنيون على المنابر ، مصلحون على صفحات الجرائد ، مدبرون امور الدولة — امور الدويلات ! — بالفكر الثاقب — وقضيب الخيزران !

ليس بين الامم الكبيرة والصغيرة ، الشرقية والغربية ، امة قوَّالة مثل هذه الامة السورية . والكلام منفذ من منافذ الخطر . لذلك لا يخشى علينا من الانفجار الكلي العام مهما اشتد الضغط ومهما تعددت النكبات . ان مثلنا مثل ذاك الاعرابي الذي قيل لهُ : ان الدولة الفلانية تصول على العرب فغضب وقال : والله لاهجونَّها بقصيدة

اننا ايها السادة والسيدات ، لمن افصح الشعوب لساناً ، واغناهم بياناً . فلا عجب اذا كثرت في بلادنا المهن « الحرة » اي المهن الهينة . لا عجب اذا كثر فيها الادباء

والمحامون ورجال الدين . وكلهم يسارعون الى خدمة الامة . كلهم يدعون حبها . كلهم يتبارون ، يتفانون في سبيل اسعادها ! ولكنهم ، غفر الله ذنوبهم ، اخطأوا السبيل . فلو حملوا المعاول او البنادق لكانوا اخاص واشرف في عين الله والناس . الامة ! من اجل الامة اوالامة المسكينة تسلي نفسها بالاشعار ،وتضمد جروحها بالمقالات السياسية. الامة المسكينة تعيش شاكية شاكرة في ظل الانتداب ، وفي ظلال اطلال الثورة

اما الذين يشتغلون بالسياسة ، ويظنون انفسهم وطنيين يقومون بواجب الخدمة للبلاد ، فاننا اذا امطنا اللثام عن المقاصد والاسباب، نرى تلك الخدمة محصورة بواحدة او اثنتين من مصالح ثلاث ، اي المصلحة الشخصية ، والمصلحة الطائفية او الحزبية ، والمصلحة الانتدابية . اما الذين يتنزهون من السياسيين عن الشخصيات —وهناك نفر من هؤلاء الافاضل — فهم يظلون مستمسكين باهداب الطائفة ، عاملين لخير الطائفة ، ولك ان تقول لخير العشيرة ، قبل خير الوطن . انما الطوائف اوطاننا

اجل ، اننا اغنياء حتى في الوطن — عندنا منهُ اوطان ! وكل واحد منها يختص بفريق من الناس دون سواه . صكّه مسجل في المقام الديني الاعلى ، وموقّع في باريس ، او في لندره ، او في جنيف

وهناك اصحاب من وقع الصك ، ومن صدق التوقيع، اصحاب « محرر المقاولات » واصحاب اصحابه . وهناك خصوم صاحب الصك ، وخصوم خصومه . اناس لا يرون في واجب الخدمة الوطنية غير المطاعن ، وتزييف الحقائق ، وإثارة النعرات القديمة . واناس— واكثرهم من الشبيبة المتفرنجة— لا يرون في واجب الخدمة غير التكلم بلغة اجنبية ، ولبس البرنيطة ، وتعفير الوجه — وجه النفس — امام « محرر المقاولات» وامام اصحابه ، واصحاب اصحابه

هذا هو الظاهر والباطن من حقيقة الخدمة الوطنية ،ومن الشعور بواجب الخدمة. انها لحالة محزنة مؤلمة . ولا يغيرها في الحال احد من الناس ، ولا جماعة من الناس . لا يغيرها غير جيل جديد يتلقى العلم في مدارس وطنية عمومية ، ويتربى تربية جديدة. لا يغير الحال ، فيسلم شعور الامة ، ويستقيم فيعم الشعور بالواجب ، وتصفو الخدمة الوطنية ،وتنجو البلاد من براثن الفوضى والفساد ، غير التهذيب الراقي

[التتمة في الجزء القادم] امين الريحاني

العلم والمباحث النفسية

موقف العلماء — نظر تاريخي

للسر اوليفر لدج

ان تاريخ العلم حافل بكل ما هو جدير بالاعجاب من ثمار الابتكار والابداع حفولهُ بكل ما هو غريب من آثار المحافظة والتقليد والتقييد . ففي كثير من فروع العلم ترى ان بعض المذاهب يبقى مسيطراً على العقول رغم تناقضهِ مع المباحث التي تجدّ ويُحسب كل خروج عليهِ من قبيل التعدي على ما هو كائن مكان الاجلال والتعظيم . ولقد تحتّم على دعاة الحق في كل عصور التاريخ ان يصبروا على عواصف تهب في وجوههم من النقد اللاذع لا بل من الاضطهاد القاسي آناً والسجن والاستشهاد آونةً اخرى. فعلماء التشريح اضطروا الى ان يجروا مباحثهم في معزل عن سمع الجمهور وبصرهِ والنبأ باكتشاف دورة الدم قوبل بكثير من الاعراض والنقد . ومكتشفات غليليو كانت موضع الهزء والانتقاد حتى ان اساتذة العلوم رفضوا ان ينظروا بنظارتهِ الى الاجرام السموية لانهم كانوا يعتقدون ان ما يرونهُ فيها وهمٌ في وهم . كذلك اهملت النظريات والحقائق الواقعية معاً واتّهم روجر باكون بانهُ مشعوذ افّاك . ولا نزال نذكر ما كان مصير مكتشفات جول في حفظ القوة من الاعراض والاهمال في القرن التاسع عشر ! وكيف نبذت الجمعية الملكية الرسالة الاولى التي بيّن فيها صاحبها ان دقائق المادة متحركة . حتى وليم رمزي واللورد ريلي لم يلقَ نبأُ اكتشافهما لغاز الارغون كثيراً من الترحيب لانهُ كان قد ثبت في عقول العلماء ان كل المواد التي يتألف منها الهواء قد عرفت وقيست مقاديرها

وعليهِ لا ارى مكاناً كبيراً للدهشة والاستغراب اذا نظر العلماء شزراً الى مباحث السر وليم كروكس في الظواهر النفسية وارتابوا في نتائجها قائلين انها خارجة عن نطاق العلم . ولا تزال هذه المباحث ونتائجها معرضاً للريبة الى هذا اليوم . وبعض السبب في ذلك يرجع الى ان المباحث نفسها واكثر نتائجها نادرة في بابها غريبة عن كل ما عرفهُ البشر من قبل . لذلك عُني السر وليم كروكس بابتكار تجارب ميكانيكية مختلفة بسيطة منها ما يثبت التغير في وزن الاجسام حين تحركها تلك القوة الخفية . وكان يرجو ان يقبل بعض اعضاء الجمعية الملكية امتحان هذه التجارب ووسائلها ونتائجها . ولكنهم

بقوا معتصمين بعلمهم فلم يقبلوا ان يحضروا اجتماعاً عرضت فيه

قد يصعب علينا الآن ان نصدّق ان الطريقة التجريبية في توسيع نطاق المعرفة وامتحان ظواهر الطبيعة والحياة ليست طريقة قديمة . ولكن فرنسيس باكون كان من اكبر مذيعيها وغليليو من اوائل العاملين بها وكان الجمهور من عامة وعلماء ينظر اليها اولاً نظره الى بدعة غير لائقة . وخصوصاً لان بعض النتائج التي وصل اليها الباحثون الذين جروا عليها كان يغاير او يناقض كثيراً من التعاليم القديمة التي حباها تغلغلها في التاريخ بمظهر من الروعة والاحترام. لاشك في ان اكثر المعارضة لهذه الطريقة جاء من قبل الفلاسفة الارسطيين ومن ذهب مذهبهم من الادباء والكتاب والوعّاظ الذين دافعوا عن التعاليم القديمة اشد دفاع لانهم كانوا يرون ان حقائق الجيولوجيا والفلك لا تتفق معها . وانا لا نزال نذكر مقاومة بعض رجال الكنيسة لحقائق الجيولوجيا حتى في هذا العصر

ولكن ثبات رجال العلم ونزاهتهم منحاهم الفوز في اكثر المباحث ومكناهم من ان يرفعوا فوق معاملهم ومكاتبهم علم البحث الحرّ ولو قلبت نتائجهُ الآراء القديمة . وقد حاز تطبيق المبدإ التجريبي في المباحث الطبيعية والكيماوية والبيولوجية رضاء الجمهور واحترامهُ والاتفاق شاملٌ الآن كل العلماء على الحقائق التي تمكن مشاهدتها وقياسها والاختلاف محصور في المذاهب التي تعلل هذه الحقائق فقط . وقد اصبح الباحثون لا يرون الآن شيئاً مقدساً في الآراء العلمية القديمة لا يجوز نقضهُ وانتهاك حرمته اذا كانت المباحث الجديدة تستدعي ذلك لا بل قد تطرف بعضهم في ابتكار المذاهب الجديدة نقضاً للمذاهب القديمة من غير بحث كافٍ او ادلة وافية

والغريب انهُ رغماً عن انبساط ظل هذه الحال على جميع العلوم الطبيعية لا يزال «العلم النفسي» غير مستقلّ واصحابهُ لم يمنحوا بعدُ وثيقة الحرية التي فاز بها اقرانهم في بدء النهضة العلمية الحديثة . فان الطريقة التجريبية في المباحث النفسية تعلوها غمامة من التوجّس . والحقائق التي يثبتها رجال اكفاء لهم مكانة كبيرة بين رجال الفكر تنبذها الجمعيات العلمية ولا تعنى بامتحانها . ويظهر ان سبب ذلك اعتقاد رجالها انها مغايرة لبناء الكون على ما هو مفهوم الآن ولذلك يرونها خارجة عن نطاق البحث العلمي . ولكن لا بدّ ان يجيء الزمن حين تزول المقاومة الشديدة — تزيلها اذاعة الحقائق واعادة اذاعتها من افواه رجال معروفين بالنزاهة والكفاءة في البحث والتعليل

سعد زغلول

ناظر المعارف والحقانية

في فاتحة القرن الحالي ساد جميع الاوساط والبيئات شعور بان التعليم قد انحط مستواه انحطاطاً عظيماً ، فارتفعت الصيحة من كل جانب بالمطالبة بالعمل السريع على اصلاحهِ . وكانت هذه الصيحة شأن كل شكوى عامة تصدر من الجمهور ، صيحة غامضة لا تشير الى علاج بذاتهِ بل ولا تحدد موضع داء بعينه ، بل كانت احساساً شاملاً مبهماً بان نظام التعليم باجمعه قد تدهور وبان البلاد اصبحت لا يرجى لها صلاح ما لم يعالج هذا النظام قبل كل شيء سواهُ . ازاء هذا الضغط المتزايد من ناحية الرأي العام لم يجد ولاة الامور بدًّا من ان يعهدوا بشئون التعليم الى رجل موثوق بهِ من الامة يتولى فحص الحالة ويضع لاصلاحها العلاج الملائم ، فكان الرجل المختار لهذه المهمة هو سعد زغلول باشا . ولقد يحسن بنا لادراك خطورة المهمة وتقدير المجهود الذي بذلهُ في سبيل الاضطلاع بها ان نأتي بوصف مجمل لحالة التعليم يومئذ

كان القابض علىَ زمام التعليم في ذلك العهد رجل ان كان لا يصلح لشيء فهو تلك المهمة السامية التي القت بها اليهِ المقادير . فانت تعلم ان احوج ما يحتاج اليهِ المشرف على التعليم هو بعد النظر وحرية الرأي وطول الاناة وروح التسامح. والمستر «دنلوب» لم ينشأ على هذه الصفات . أضِفْ الى ذلك حبهُ الاعمى للنظام ، لا للنظام في جوهره ، بل للنظام في مظهره . كان لا يحفل باللب كائناً ما كان ، ما دامت القشرة تعجب العين ملاسة ورونقاً . وكانت هذه الفكرة آخذة عليهِ سبيل كل تفكير ، مستحوذة على جميع مشاعرهِ ، فلم يكن يقبل فيها هوادة ، بل كان لا يرضيهِ في تنفيذها الاَّ ان يبطش البطش كلهُ ، وكان بطبعهِ رجلاً شديد المراس ، لا يتقبل من مرؤسيهِ ما دون الخضوع المطلق والطاعة العمياء ، يسرف الاسراف كله في توقيع الجزاءات لغير اسباب ظاهرة ، فاذا تقصيت الاسباب وجدتها ترجع بلا استثناء الى مخالفات تافهة لذلك النظام الآلي الذي اولع بهِ ولوعاً . فلا غرو ان نراهُ ينشر حولهُ جوًّا من الخوف والارهاب كافياً وحده لان يجتثَّ من أجرإِ النفوس كل نزعة للحرية ويقتل في اشجع القلوب كل رغبة في الاستقلال

وكان اثر نفوذهِ بادياً ملموساً سواء في ديوان الوزارة او فروعها . فاذا دخلت

الديوان لم تأنس فيهِ دلالة لحياة او حركة او نشاط ، بل تحس كأنك في صومعة من فرط ما يخيم عليهِ من سكون وخشوع وانقباض . واذا كان هذا شأن الديوان فقل في المدارس ما شئت . وصفوة القول ان همّ الجميع كان متجهاً الى شيء واحد ، الى المحافظة على ادق النظام في كل مظهر مادي : في نظافة الاماكن وترتيب الاثاث ، في حسن زي المدرسين والتلاميذ ، في تنظيم الصفوف وموازنة الحركات ، في تأدية التحية للرؤساء كأدق ما يتطلبهُ النظام العسكري . أما تربية الملكات والعقول ، أما تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس، أما ترقية البرامج واساليب التعليم فكانت أغراضاً ثانوية لا يفكر ولا يجرؤ على التفكير فيها أحد ، واذكر بهذه المناسبة ما سمعته من فم احد المفتشين الانجليز وكان عضواً في اللجنة الفنية الاستشارية التي يرأسها المستشار اذ قال لي في معرض الشكوى : « ماذا تفعل مع هذا الرجل ، وماذا تصنع لترقية التعليم ونشره ، وهو كلما جمعنا لم يتحدث الينا في شيء غير النظام المادي ، فاذا حاول احدنا ان يجر المناقشة الى ناحية من نواحي التربية بمعناها الصحيح بادر الى ايصاد الباب في وجهه »

هذا من الوجهة النفسية ، اما من الوجهة العملية فان معاملة الرجل لكل من كان يتوسم فيهِ سعة في الفكر او استقلالاً في الرأي او تهاوناً في امر النظام كما يفهمهُ هو كان من شأنهِ ان يحرم وزارة المعارف من كل كفاءة كان يمكن ان تستفيد منها ، وان يضع في الوقت عينه من مكانة مهنة التعليم في اعين النشء حتى انتهى الامر بمدرسة المعلمين الى ان اغلقت او كادت ، وانقضت برهة والقائمون بامر التعليم في درجاتهِ الدنيا جلهم شبان من حملة الشهادة الابتدائية ، وفي درجاتهِ العليا جلهم رجال من الانجليز لا ينتظر بحال ما ان تقوم على اكتافهم نهضة التعليم القومي

تلك بالاجمال كانت حالة وزارة المعارف يوم ألقيت مقاليدها الى سعد باشا ، فكان عليهِ « اولا » ان يهدم ذلك النفوذ الذي نشر ظلّهُ على جميع مناحي التعليم ، وكان عليهِ « ثانياً » ان يضع الاساس لنهضة التعليم القومي ثم يعمل على اقامة صرحهِ . وكان يزيد في مهمتهِ مشقة وعناءً أمران، اولهما: انهُ كان مضطرًّا الى العمل للقضاء على ذلك النفوذ تحت عين منشئهِ وبصرهِ اذ كانت الاحوال السياسية يومئذٍ لا تسمح لهُ بالتخلص من مستشار المعارف ، وثانيهما : ان الايدي التي كان مضطرًّا الى الاستعانة بها لادراك غرضهِ كانت ايدياً نشأت في ظل ذلك النفوذ والفت وطأتهُ ، فلم يكن من الهين استخدامها للقضاء عليهِ

فاذا انت تأملت كل هذه الاعتبارات ونظرت الى ما تهيأ لسعد باشا من النجاح في مهمتهِ، والى السرعة التي استطاع بها ان يصل الى بغيتهِ، دهشت حقاً من ذلك التوفيق السريع البديع ولادركت في لمح البصر ان حياة الرجل في عهد توليهِ وزارة المعارف ماكان يمكن ان تكون الا كفاحاً عنيفاً، بل حرباً ضروساً، كللت في النهاية بالفوز ولكن بثمن لا يقوم بهِ الا جهاد الجبابرة

ولقد يضيق بنا المقام اذا نحن حاولنا ان نسرد هنا تفاصيل ماكان يقع من المشادات والمجاذبات بين وزير المعارف الحر ومستشارها، فان هذا امر شرحهُ طويل، فضلاً عن ان اكثر هذه التفاصيل لا يزال عالقاً بالاذهان، وجارياً على الالسنة مجرى النوادر والاقاصيص. وانما حسبنا القول بانهُ لم يمضِ على تربع الوزير في منصبهِ الاَّ فترة وجيزة حتى اصبح كل كبير وصغير في الوزارة يحسُّ بان الحال قد تبدلت غير الحال، وبان ارادة غير ارادة المستشار قد اخذت تثبت وجودها، وبان وطأة الكابوس الذي كان جاثماً على الصدور قد اخذت تخف وتنجلي، فلم يبق احد من الراغبين في الاصلاح الا تنفس الصعداء وبدأت الهمم تتحرك والعقول تنشط، واستقر في اعتقاد الجميع ان عهد الارهاب والملق قد تولى، وان الحكم اصبح للصراحة والكفاءة والاخلاص

استعرض سعد باشا حالة التعليم فادرك بذلك النظر السديد، الذي ينفرد بهِ عظماء الرجال والذي تراهُ يتجه رأساً في كل امر الى اللباب والصميم متخطياً ما عداهُ من الاغلفة والقشور، ان المعلم وحدهُ هو اساس كل نهضة للتعليم وانهُ من هذه النقطة يجب ان يبدأ عمل الاصلاح. لم تكن اوجه الاصلاح الاخرى لتغيب عن سعد باشا وعن ذهنهِ الثاقب، فكان يعلم مثلاً —كما صرح في خطبتهِ الشهيرة في الجمعية العمومية— انهُ لن تقوم قائمة مذكورة للتعليم القومي ما لم يكن تلقينهُ باللغة القومية، وان ترقية البرامج ونشر المدارس ومحو الاميّة كل هذه اغراض مطلوبة لذاتها وشروط لا بد من توافرها حتى تصبح نهضة التعليم جديرة بهذا الاسم. ولكنهُ كان وزيراً مسئولاً، وكان يعلم ان الطفرة محال، وكان يعلم فوق ذلك وقبل ذلك ان الصرح الشامخ لا يبنى من قمتهِ بل من اساسهِ، وكان يدرك بنظرهِ النير السليم ان المعلم هو الاساس لكل تلك الاصلاحات الموموقة، وانهُ الى ان يتيسر لنا العدد الكافي من المعلمين فكل محاولة في سبيل واحد من هذه الامور ضرب من العبث. فلا بدع اذن ان نراهُ يوجه في اول الامر جل جهودهِ الي تدبير المعلمين الاكفاء، وقد توصل الى غرضهِ من طرق

شتى : (فاولاً) سعى حتى اعاد الى وزارة المعارف من كان قد هجرها من افاضل رجال التعليم . و(ثانياً) صرف همه الى احياء مدرسة المعلمين وكانت في دور الاحتضار فعمل على تغذيتها بالنجباء من الطلبة متذرعاً الى ذلك بنظام المجانية الذي كان من مقتضاه قبول التلاميذ المتفوقين مجاناً في المدارس الثانوية على ان يتعهدوا بدخول مدرسة المعلمين عند حصولهم على الشهادة الثانوية ، وبذلك ضمن لتغذية هذه المدرسة عنصراً من اقوى العناصر واصلحها . (وثالثاً) احيى نظام البعثات الى البلاد الاجنبية ليضمن الحصول على مدرسين من طبقة راقية يمكن احلالهم محل الاجانب في المدارس الثانوية والعالية توطئة لجعل التعليم في هذه المعاهد باللغة العربية

بهذه الوسائل غرس سعد باشا بذرة الشجرة التي نستظل الآن بظلها الوارف ونجني قطوفها اليانعة . فاذا كنت اليوم ترى التعليم سائراً في طريق الرقي بخطوات حثيثة ، واذا كنت اليوم ترى الامية تنجاب غياهبها سراعاً كما تنجاب غياهب الظلام امام اشعة الفجر الساطع ، واذا كنت اليوم ترى جامعة مصرية تنتشر تحت لوائها العلوم ويستقي من مناهلها الطلاب ، واذا كنت ترى فوق هذا وذاك اللغة العربية متمكنة مزدهرة في جميع معاهد التعليم — فلا تنس اذ تشاهد كل هذا ان الفضل فيه اجمع انما يرجع الى تلك المجهودات المباركة التي بذلها سعد باشا في سبيل اعداد المعلم

ولم يكن سعد باشا وهو يسعى الى هذا الغرض الاكبر ليهمل ما عداهُ من الاغراض فاذا لم يكن قد تمكن من انشاء مدارس جديدة لان حالة الميزانية يومئذٍ كانت لا تسمح بذلك فلقد كان ينتهز كل فرصة ويتذرع بكل وسيلة الى توسيع نطاق التعليم بانشاء فصول اضافية في المدارس الموجودة . والحق ان المقام يضيق بنا عن حصر جميع مآثرهِ على التعليم . فمن انشاء مدرسة القضاء الشرعي ، الى فتحهِ ابواب مدرسة الحقوق للمنتسبين من الخارج ، الى وضعهِ مبدأ التعليم بالعربية وقيامهِ على تنفيذهِ حيثما استطاع الى ذلك سبيلاً — كل هذه اعمال كان لها الفضل العظيم فيما نستمتع بهِ اليوم من نشاط في الحياة العلمية وتقدُّم

وعلى ذكر مدرسة القضاء الشرعي نحب ان نصحح خطأً عالقاً بكثير من الاذهان فيما يختص بحادثة فرع المنضدة في حضرة الجناب الخديوي. لم يكن انشاء هذه المدرسة منظوراً اليهِ بعين الارتياح من جانب الخديوي لاسباب كثيرة لا محل هنا لبيانها والواقع ان نجاح سعد باشا في تنفيذ هذا المشروع كان من اكبر الدواعي لايغار صدر

الخديوي عليه اشد الايغار فلا عجب ان تكون عقباتها ئلة قد اقيمت في سبيله ولكن سعد باشا تمكن بجرأته الغريبة من تذليلها جميعاً حتى لم يبق الاّ عرض المشروع على مجلس الوزراء برياسة الخديوي لاجازته فرأى سعد باشا قياماً بواجبه وابراء لذمته ان يدافع عنه في حضرة الخديوي وكانت تلك اول مرة وقف فيها وزير في حضرة ولي الامر مدافعاً عن مشروع يعلم عدم رضاهُ عنه فلما شرع سعد باشا يدلي بدفاعه هال ذلك الخديوي فقال — بما هو معروف عنه من سرعة البديهة ولكي يلبس سعد باشا ثوب المخطيء — : اذا كان الامر كذلك فلا داعي للاطالة ، اني موافق على المشروع. وكذلك تمت المصادقة عليه ولكن الاشاعة انتشرت في الوقت عينه بان سعد باشا اساء الادب في حق سيد البلاد

***

هذا بيان موجز لاثر سعد باشا في وزارة المعارف. اما عن اثره في وزارة الحقانية فان دقة نظام هذه الوزارة واتقان عملها وما كان للمحاكم وللقضاء في نفوس الناس من رفيع المنزلة وعظيم الاحترام — كل هذا ما كان ليستدعي منه اذ تولى وزارة الحقانية مجهوداً خاصًّا ، بل كانت سيرته فيها كاقوم سيرة لاعدل وزير في وزارة قوية ، لذلك نكتفي بكلمة صغيرة عن حادثة له في تلك الوزارة تكشف لك عن عبقرية الرجل واستقلال رأيه وشدة حرصه على اقامة ميزان العدل

كان المتبع ان يعرض المفتش بلجنة المراقبة القضائية ما وصل اليه بحثه في بعض الاحكام التي صدرت في بعض القضايا على اللجنةُ مجتمعة . ولجنة المراقبة هذه تضم — كما هو معروف — جميع المستشارين الملكيين ووكيل الحقانية والنائب العمومي وجميع مفتشي الحقانية القضائيين فتتولى بحث القضية حتى اذا انتهت الى رأي وقررت ان القاضي قد اساء التصرف او لم يحسن تطبيق القانون حررت خطاباً يرسل اليه مبيناً وجهة نظر اللجنة ومنتهياً بعبارة جافة تتضمن لفت نظره الى الامر . وكانت العادة قد جرت بان امثال هذه الخطابات ترفع الى وزير الحقانية فيمضيها فوراً بلا أخذ ولا رد

فلما تولى سعد باشا وزارة الحقانية ورفع اليه اول خطاب من هذا القبيل ثار ثائره ، وقال : أنه لن يقبل بحال من الاحوال ان يمضي خطاباً بهذا الشكل. وكانت حجته انهُ يرى كفتي الميزان في هذا التصرف غير متعادلتين فهو من الجهة الواحدة يرى ان

الطرف الملوم هو قاض مثقل باعباء العمل مكدود الذهن مشغول الوقت يمضي حكمه في قضيةٍ من بين مئات القضايا التي يحكم فيها ، ويرى من الجهة الاخرى الطرف اللائم هو اولاً مفتش الحقانية وثانياً اعضاء لجنة المراقبة وكلهم من اساطين القانون وجهابذة الفقه يتناولون هذا الحكم الذي اصدره القاضي في زحمة العمل فيجعلونه محل البحث الدقيق في فسحة من الوقت وصفاء من البال وتمكن من الرجوع الى مختلف المراجع والمطوّلات فاذا فرض جدلاً ان القاضي كان حقيقة قد اساء التصرف او اخطأ وجه الصواب فان له من الظروف المحيطة بهِ شفيعاً للمعذرة ، وان لم يكن بد من لومهِ فلا يجوز بحال ما ان يوجه اليهِ اللوم في خطاب رسمي يمر على مرؤسيهِ ويشهر امره في المحكمة فيلحق بهيئة القاضي من الاذى مالا تحمد عقباه . هذا كله على فرض ان القاضي كان في الواقع مخطئاً ، ولكن قد يتفق — وهو امر سهل الاحتمال — ان تكون المسئلة مجرد خلاف في وجهة النظر بين القاضي واللجنة ، كما قد يتفق ان يكون القاضي متأثراً في حكمه باعتبارات داخلية لم يرَ او لم يستطع تفصيلها في حكمه ولكنه اذا ابانها جعلت الحق في جانبه ، فكيف يصح اذن لومه قبل ان يسمع دفاعه

لهذه الاعتبارات كلها رفض سعد باشا ان يتبع ماكان يتبعه اسلافه ، وقال : « أما ان امضي خطا بأكهذا فلا ، ولكني ادرس المسئلة فاذا اقتنعت برأي اللجنة فاني مع ذلك لا أسارع الى لوم القاضي ولا اعرضهُ للاهانة على مشهد من مرؤسيهِ ولكني بصفتي شيخ القضاة استدعيهِ الى مكتبي واسمع دفاعه . فاذا اقنعني بصحة رأيه اعطيته الحق ، والاّ وجهت اليه من اللوم الشفاهي ما يكون أبلغ وقعاً الف مرة من كل لوم كتابي مع اتقاء محذوره » . وجرى الباشا فعلاً على هذه الطريقة وقد اتفق ان ظهر لهُ الحق في جانب القاضي فانصفه

هذه الحادثة تميط اللثام عن كثير من مناقب سعد باشا ولكن اجلّ ما تكشفه في نظري استقلاله في الرأي وتحرره من ذلك الوهم الذي هو اكبر عقبة في سبيل التقدم والاصلاح — اعني عبادة المواصفات والاصطلاحات — لم يكن سعد باشا يحترم اصطلاحاً لانه اصطلاح فحسب أو يقرّ عرفاً لانه عرف فحسب ، بل كان يسلط عليها من ذهنه نوراً فاحصاً فان وجدها مطابقين للمعقول اقرها لهذا الاعتبار وحده ، والا نبذها كما ينبذ المرء الرداء البالي

فؤاد كمال

البدل

لفرنسوى كوبه

كان ابن عشر سنين لما قُبض عليهِ عيّاراً بطالاً . وهذا ما قالهُ للقاضي :

« ان اسمي جان فرنسوى ليتور . وقد قضيتُ ستة أشهر مع المغني في قهوة الباستيل . لكنهُ كان سكّيراً خليعاً . اساء معاملتي وسامني ما لا يطاق من ضروب الإعنات والارهاق . وكثيراً ما كان يروغ على حرّ وجهي بالضرب ، تارةً لطماً وطوراً لكماً ولدماً فتركتهُ وهمت على وجهي لا ادري أين اذهب . واتفق ان الشرطيّ لقيني البارحة فاعتقلني وجاء بي اليك . وقد عشتُ يتيماً لا اعرف ابي . وكانت امي غسّالة واسمها اديل . فعطفت عليّ وعنيت بي . وفي ايام الآحاد كانت تستعجلني في المساء ان آوي الى مضجعي لكي تتفرّغ للذهاب الى المرقص . أما في ايام الاسبوع فكنت اذهب الى مدرسة الفرير حيث تعلمتُ القراءة . وحدث بعد ذلك ان رجلاً تعرّف بها وتزوجها . وكان زواجها شؤماً عليّ . فان هذا الرجل ابغضني وسعى بي الى امي واوغر صدرها عليّ واخذا كلاهما يسرفان في شتمي وضربي . وكنتُ اقضي اياماً خارج البيت هرباً من اضطهادها لي . ثم أُصيبت امي بمرض عضال فماتت واصبحتُ لطيماً . ولجأتُ الى ذلك المغني الذي سبق ذكرهُ . فهل انت عازم على الحكم بسجني ؟ »

هذا السؤال وجههُ الى القاضي مفرغاً في قالب الاستخفاف . وكان قزماً اشقر الناصية رثّ الملبس زريّ المنظر . وإذ لم يتقدم احد لكفالتهِ والعناية بهِ أمر القاضي بإرسالهِ الى سجن الاحداث

وكان قليل الذكاء وعلى جانب كبير من الكسل. فلم يتعلّم من الصنائع التي يتدرّب عليها المسجونون سوى إصلاح الكراسي . لكنهُ كان سهل الانقياد مطبوعاً على الهدوء والسكون . وعدوى الفساد التي سرت اليهِ من بقية الاحداث لم تكن على اشدّها .

وبعد سبع سنين خرج من السجن واستأنف التطويف في شوارع باريس حيث وجد لسوء الحظ كثيرين من رفقائهِ في السجن وهم من شرّ الفتيان أخلاقاً وآداباً . فانقاد اليهم وجاراهم في ارتكاب المعايب والمآثم فأُعتقل مرة ثانية وحكم عليهِ بالحبس سنة في سجن سان بيلاجي حيث جُعل خادماً للمسجونين السياسيين

وبعد انقضاء السنة عاد الى ما كان عليهِ قبلاً من الطواف والتجويل في شوارع باريس

ولكن تحت مراقبة الشرطة (رجال البوليس) . وقضى في هذه البطالة سنتين يلبس اقذر الثياب وارثها ويتبلغ باسخف الاطعمة وينام في أخشن المراقد واجف المضاجع . ثم قبض عليهِ متهماً بمشاركة بعض البُهَّل الذين على شاكلتهِ في سرقة السكارى وهم نيام في زوايا الشوارع . فأنكر التهمة وتنصَّل منها اشد التنصُّل وقد يكون صادقاً في ادّعاء البراءة ولكنّ سوابقهُ قامت مقام البيّنة عليهِ فأرسل الى سجن پواسي حيث قضى ثلاث سنين . ولما انتهت هذه المدة رجع الى باريس . وبعد ستة اشهر حوكم بتهمة الاشتراك في سرقة وحُكم عليهِ بالاشغال الشاقة خمس سنوات في سجن طولون حيث لقي الامرَّين من عناء الاشغال التي أُرغم على مزاولتها في هذه المدة الطويلة معرَّضاً في الصيف لحمارَّة القيظ وفي الشتاء لصبارَّة البرد

ولدى انقضائها أُرسل تحت المراقبة الى ڤرنو . ولكنهُ تمكَّن من الهرب من منفاهُ وجاء الى باريس . ولم يكن معهُ سوى ٥٦ فرنكاً . فقال في نفسهِ : «هذا المبلغ يكفيني مؤونة التكدية والتسوُّل وربما أجد عملاً اتعاطاهُ» . وكان من حسن حظهِ أنَّ شمْل رفقائهِ عشراء السوءِ تشتت في غيابهِ فلم يعثر على واحدٍ منهم . وبذل جهدهُ في التواري عن عيون رجال الشحنة (البوليس) واقام في غرفة حقيرة استأجرها من عجوز فقيرة قال لها انهُ واحد من بحَّارة سفينة غرقت وذهبت بامتعتهِ واوراقهِ ، فنجا بنفسهِ وجاء يطلب عملاً يزاولهُ . واستعان على تأييد صحة دعواهُ بتلويح الشمس لوجههِ وخُشوءِ يديهِ (خشونتهما من العمل) واستخدامهِ في كلامهِ لبعض الجمل والعبارات الجارية على السنة البحَّارة وكان قد اقتبسها منهم في ميناء طولون

وحدث ذات يوم أن نفسهُ سوَّلت لهُ الخروج من مخبئهِ والإقدام على التجويل في الشوارع . وانتهى بهِ التطواف الى حي مومارتر مسقط رأسهِ . ولسببٍ خفيٍّ يجهلهُ رأى نفسهُ واقفاً امام باب مدرسة الفرير حيث تعلَّم القراءة . وكان اليوم شديد الحرّ والباب مفتوحاً . فوجَّه هذا الطريد الشريد نظرهُ الى داخل المدرسة واذا كلّ شيءٍ فيها باقٍ على عهدهِ بهِ ، من غير ان يطرأ عليهِ اقلُّ تحوُّل . وبعد ما فرغ جان فرنسوى من التأمل في كل ما وقع تحت نظرهِ رفع عينيهِ عفواً بلا تروٍّ الى لوح مرقوم عليهِ الآية الآتية من الانجيل كقاعدة للكتابة : «يكون فرحٌ في السماءِ بخاطىءٍ واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون الى توبة »

قرأ هذه الآية والتفت الى التلاميذ فرآهم جالسين تكتنفهم الغبطة والمسرَّة

ويرفرف عليهم السلام بذيوله وحواشيه . ثم نظر الى نفسه مدفوعاً بعامل داخلي لم يشعر به قط من قبل . فتمثلت امام عينيه حقيقة حاله . وكاد يلمس بيده شدة قساوة قلبه الذي ظل هذه السنين كلها على صلابته ولم تحدث فيه مرارة العناء والعذاب اقل اثر من الرقة واللين .وهذه التأملات أخطرت على باله ايام طفولته فطار اليها على جناح التصور. ثم اغمض عينيه وانغض رأسه وسار يقرع سن الندم ويتعثر باذيال الغم والاسف

وما عتم ان تذكر الكلمات المكتوبة على اللوح فناجى نفسه قائلاً : — « هل قضي الامر ولات ساعة مندم ؟ ألم يبق في استطاعتي ان انهج كباقي الناس سبيل الاستقامة وآكل خبزي بعرق جبيني وانام ملء جفوني لا تنيخ عليَّ الكوابيس بكلاكلها ولا تروعني الرؤى والاحلام ؟ ان حجاب تنكري اكثف جداً من ان تخترقه عيون الرقباء والجواسيس ومعرفتي اصبحت خافية كل الخفاء على الشرطة . فانا في مأمن من هذا القبيل . وجهد البلاء الذي عانيته في الاشغال الشاقة أفادني وأنشأ فيَّ قوة على تحمل المشاق يحسدني عليها اشد العمال ساعداً واصلبهم عوداً .هذه اعمال البناء قائمة على قدم وساق في جميع انحاء المدينة . والبناؤون في حاجة الى فعلة اقوياء يتسلقون الحبال وعلى ظهورهم اثقل الاحمال . واجرة العامل في اليوم لا تقل عن ثلاثة فرنكات !! ولم اظفر قط باجرة مثل هذه . وغاية ما اتمناه ان انسى ما كنت عليه واعلل نفسي بحسن مآل اصير اليه »

على هذا الامر عقد عزيمته وامضى اليه مطايا الهمة بملء الامانة والإخلاص . وبعد ثلاثة اشهر تغير تغيراً تاماً عما كان عليه قبلاً وصار رجلاً آخر متجدداً في أخلاقه وامياله وعده المقاول الذي استخدمه افضل عامل عنده . فكان يقضي نهاره كل يوم على « صقالة » البناء متعرضاً لثوران الغبار ووهجان الشمس ويتناول ممن تحته نقير الطين او الاجر او الحجارة ويناوله لمن فوقه . وفي المساء يذهب ليتناول عشاءه في مطعم رخيص وهو منهوك القوى ومرهق الاعضاء ولكنه طيب النفس ومنشرح الصدر غير موجس اقل خوف من رجال الشحنة لانهم قلما ينظرون بعين الاشتباه الى العمال الدائمين في مزاولة الاعمال الشاقة . وسره جداً انه بات في امان واطمئنان يتملى النوم الثقيل شأن اللاغبين المتعبين وانه اصبح حراً طليقاً

واسعده الحظ برفيق يعمل مثله في صناعة البناء اسمه ساقينا .وهو فتى ريفي جاء باريس متأهباً للعمل وعاقداً عزمه على التزام خطة الصحو والصلاح واجتناب كل ما

يغاير الادب ويضرّ بالصحة . فأنس جان فرنسوى بصحبتهِ وطاب نفساً بصداقتهِ واحبهُ لتقواهُ وامانتهِ وطهارة سريرتهِ . واقام هذان الصديقان معاً في غرفة حسنة الرياش والاثاث. ولقلة دخلهما اضطرّا ان يستعينا على دفع اجرة الغرفة بقبول شخص ثالث معهما من غرب فرنسا اسمهُ هنري

وتوثقت عرى الالفة والصداقة بين هذين الرفيقين وقضيا ايامهما كلها مصطحبين لا يفارق احدهما الآخر . في ساعات العمل كانا يشتغلان معاً . وفي اوقات الفراغ ، ايام الآحاد والاعياد، كانا يتنزهان بالتجوال في ضواحي باريس ويستمتعان بلذة المنادمة والمسامرة . وشعر جان فرنسوى بنشوء افكار جديدة فيهِ لم يعرفها من قبل ولا خطرت لهُ ببال. فطفق يسرُّ ويبتهج بكلّ ما ينظرهُ ويسمعهُ ويروّض عقلهُ بتعلمهِ والاستفادة منهُ

ولكنَّ شيئاً واحداً اقلقهُ واقضَّ مضجعهُ وهو خوفهُ من وقوف ساقينا على شيء من ماضيهِ . وكان يغيظهُ جدًّا ان يبدر منهُ ، من وقت الى آخر ، بعض التعابير الحوشية والالفاظ البذيئة التي يكثر ورودها على ألسنة اللصوص والرعاع . فكان ينطق بها على غير انتباه فتجيء ممثلة لحالة حياتهِ السابقة وراسمة لصور نقائصها وعيوبها ومجرّعة لهُ مرارة آلام يشعر بها كلُّ من تنتقض جراحهُ قبل الالتئام . وكان يزداد اضطراباً كلما آنس في ساقينا تنبهاً جديداً الى امر غريب لم يحفل بهِ من قبل . وفي مراقبتهِ لهُ من طرف خفيّ رآهُ يعنى بمكافحة تجارب المسرَّات التي يستهدف لها الشبان في باريس ويبذل جهدهُ في مقاومتها وعصيان داعي النفس اليها ولكنهُ لا يضمن غلبتهُ عليها . وكان كلما استطلع جان اسرار باريس وخفاياها يتجاهلها ويتلطف بتغيير موضوع الحديث وقلبهُ صالٍ لظى القلق من جهة مستقبل صديقهِ

ولم يكن قلقهُ هذا وهميًّا بلا مسوّغ . فان ساقينا لم يبق على سذاجتهِ الريفية ومناعتهِ الفطرية كما كان عند ما جاء الى باريس بل اصبح متعرّضاً لتجارب مسرّات وشهوات يشتدُّ خطرها على من هو غرٌّ مثلهُ في سن العشرين . ولما جاء فصل الربيع شرع يخرج للتمشي وحدهُ . وفي اول الامر اقتصر على الوقوف امام بعض المراقص ومراقبة الفتيات الداخلات اليها . ثم تدرَّج الى الدخول . واخذ جان يلاحظ ما طرأ عليهِ من التغير ، شيئاً فشيئاً ، في اخلاقهِ وعاداتهِ . فمال الى الاستهتار والتبذير ، وصار يقترض من صديقهِ بعض المبالغ التي حرص على جمعها ولا يهتمُّ بردها اليهِ . فساءهُ ذلك لكنهُ كظم غيظهُ ورأى انهُ لا يحقّ لهُ ان يبكّتهُ . وظلت هواجسهُ تنذرهُ

بتوقع مكروهٍ يودُّ وقاية صديقهِ منهُ

وفي مساءِ يوم إذ كان صاعداً في السلَّم الى غرفتهِ في الطبقة الرابعة وهو قلق البال ومضطرب الافكار، سمع قبل دخولهِ الى الغرفة لغطاً وجلبة وعرف صوت هنري المقيم معهُ ومع سافينا . فرابهُ الامر ووقف خارج الباب يسترق السمع ليعلم سبب الشغب فسمع هنري يخاطب ربَّ المنزل بما لامزيد عليهِ من الغيظ والحنق قائلاً لهُ:

« من المحقق عندي ان واحداً فتح صندوقي وسرق ثلاثة جنيهات فرنسية ذهباً ، خبأتها في علبة صغيرة . فان لم تكن الخادمة ماريا قد ارتكبت هذه الفعلة الشنيعة فلا بدَّ ان يكون السارق واحداً من الاثنين المقيمين معي في الغرفة. وهذا الامر يهمك لانك انت ربُّ المنزل ومسئول عن كلّ ما يقع فيهِ. وان لم تدعني افتّش صندوق كلٍّ من جان وسافينا شكوتك الى الحكومة. أسفي على نقودي الذهبية !! فقد كانت هنا امس في هذه العلبة . واني أصفها لك وصفاً مدقّقاً حتى لا أُتّهم بالكذب اذا عثرنا عليها . فواحد منها عليهِ طغراء الامبراطور الكبير(نبوليون الاول)وعلى الثاني والثالث طغراء الملك فيليب . وعلى طرف واحد منهما اثر عضّة شديدة باسناني. تعال نفتش صندوقي رفيقيَّ والاَّ ذهبتُ وجئتُ بالشرطيّ » فاجابهُ ربُّ المنزل :

« سنفتش .وإن لم نجد شيئاً فانت المسئول لدى رفيقيك عن إهانتهما بهذه التهمة»

فدبَّ الرعب في قلب جان فرنسوى .ومع كل ما لاحظهُ على سافينا من الارتباك الماليّ لم يخطر قطُّ ببالهِ ان يبلغ هذا الحدّ من الزيغ ويصير لصًّا . ولشدة ارتياعهِ وضع يديهِ على صدرهِ محاولاً تسكين نبضات قلبهِ السريع. ثم انصت قليلاً فسمع هنري يهتف هتاف الفرح من داخل الغرفة ويقول :

« هذه هي ! خذها وانظر لترى صدق كلامي. وجدتها في صندوق سافينا الماذق المنافق . ولسوف اجرّه الى دار القضاءِ لينال ما يستحقهُ من الجزاء »

واذ ذاك سمع جان وقع خطوات سافينا صاعداً في اسفل السلم . فدفع باب الغرفة من فورهِ حيث وجد رب المنزل واقفاً مبهوتاً مدهوشاً وهنري جاثياً على ركبتيهِ بين الثياب المبعثرة يقبّل الجنيهات الذهبية . فقال لهُ بصوت اجشّ :« اعلم ياهنري أني انا الذي سرق نقودك ووضعها في صندوق سافينا . وهو عمل قبيح جدًّا . فانا لصٌّ . ولكنني لست يهوذا الاسخريوطي الذي أسلم سيده فادعُ واحداً من رجال الشحنة وسلمني اليهِ . ثق باني لا احاول الفرار . ولي كلمة اروم ان اقولها سرًّا لسافينا .ها هو آتٍ »

وعندئذٍ دخل ساڤينا ورأى فضيحة امرهِ وانهتاك ستر جريمتهِ فوقف كالمصعوق لا يبدي حراكاً . فبادر اليهِ جان فرنسوى وطوَّقهُ بذراعيهِ كأنهُ يروم معانقتهُ واسرَّ اليهِ في اذنهِ بلهجة التوسُّل والرجاءِ قائلاً لهُ : الزم الصمت

ثم التفت الى هنري ورب المنزل وقال لهما : «خلياني وساڤينا . ولا تـوجسا خوف هربي . ان شئتما فأقفلا علينا . فاني اروم ان اخلو بهِ على انفراد» . واومأ بيدهِ الى الباب فخرجا

فقال جان لساڤينا :— «علمت انك سرقتَ نقود هنري لتشتري بها هديَّـة لاحدى الفتيات . وهي جريمة يعاقب عليها بالسجن ستة أشهر . ولكنَّ شخصاً آخر غيرك خرج مؤخراً من السجن ليعود اليهِ ثانية وهو انا . فقد سبق اني قضيت سبع سنوات في سجن الاحداث وسنة في سجن سان بيلاجي وثلاث سنوات في پواسي وخمساً بالاشغال الشاقة في طولون . وانا في كل حين معرَّض لان يُـقبض عليَّ وازجَّ ثانية في السجن لاني هاربٌ منهُ . إذن سكّـن روعك ولا تخف . فقد وطـنت نفسي على هذا الامر واتخذت الاهبة لهُ . وعند ما ينهض الاخ الاكبر باعباءِ الخدمة العسكرية تسقط تكاليفها عن كاهل الاخ الاصغر . سأقدّم نفسي بدلاً منك . وحسبي انك تقدّر هذه التضحية حق قدرها وستكون حياة السجن اخف وقراً عليَّ منها عليك لاني تعوَّدتها والفتُ تجرُّع مرارتها . وخير جزاءٍ أثاب بهِ على عملي هذا انهُ لا يذهب باطلاً وان تعاهدني الآن امام الله على انك لن تقدم على ارتكاب امر كهذا في المستقبل . اني احببتك يا ساڤينا من صميم فؤادي . وبصداقتك طبتُ نفساً ونعمتُ بالاً . ولم آلُ جهداً منذ عرفتك ان اقتدي بك واعيش نزيهاً اميناً طاهر القلب واليدين . وقد ساءَني اني لم استطع ان افيدك شيئاً واني خدعتك من جهة نفسي . واليوم اعلنتُ لك حقيقتي بإنقاذك مما تعرَّضت لهُ . فلا تحزن ولا تبكِ بل تقدم عانقني لاني اسمع وقع اقدام على الدرج . فها هما آتيان ومعهما بعض رجال الشرطة . يجب ان نتجلد ولا ندعهم يقفون على اقل اثر للصداقة التي بيننا»

ثم ضمَّ ساڤينا الى صدرهِ ونحّاهُ عنهُ عندما انفتح الباب ودخل ربُّ المنزل وهنري ومعهما شرطيٌّ . فتقدم جان فرنسوى نحوهم ومدّ يديهِ الى الشرطي ليقيّـدهما وقال لهُ باسماً : «هيّا بنا»

وبتسليمهِ نفسهُ تحقَّـقت الحكومة شخصيتهُ واتضح لديها انهُ فارٌّ من النفي فعدَّتهُ من معتادي الإِجرام وحكمت عليهِ بالسجن المؤبد

ترجمة : اسعد خليل داغر

الدكتور صروف معلماً

انا لا اطمع ان اباري ولا انْ اقارب ما كتبهُ الافاضل في سيرة استاذي وخلقهِ ومكانتهِ لغويًّا واديباً . ولكني احد تلاميذهِ ، وقد عرفتهُ في صباي معلّماً في برج صافيتا وعرفتهُ في فجر شبابي استاذاً ومعلماً في الكلية الاميركانية ببيروت ثم في المقتطف في تلك الكلية واخيراً عرفتهُ في مصر في المقتطف استاذاً معلماً ثم دكتوراً معلماً. فما زلت اذن منذ صيف سنة ١٨٦٩ الى ان توفاهُ الله تلميذاً محبًّا لهذا الاستاذ الخالد ما خلد علمهُ وادبهُ وفضله

وهيهات انْ يمّحى خلودهُ الاَّ بامحاء عمراننا الاجتماعي عن آخرهِ بجائحةٍ سماوية تمحو الانسان واثر الانسان عن هذه الكرة الارضية التي وُلد ودرج وترعرع وشبّ فيها العقل البشريّ حتى وصل الى الدرجة التي وصل اليها باحد ابنائها الشرقيين المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف

كان احلى من شهد العسل في فمي ان اخاطبهُ شفاهاً وعلى صفحات المقتطف بيا استاذي العزيز . وانا اطمع انْ يُقْبَل ادّعائي الآن اني كنت احبّ تلامذتهِ لهُ — ولا اجسر ان اقول اليهِ — بظاهر بياني او حجتي الآتية وهي: انهُ كان احبّ معلميّ اليَّ في برج صافيتا ولم اكن قد اتممتُ الحادية عشرة من عمري . ثم كان معلمي في الكلية الاميركانية ثم معلمي في المقتطف في الكلية وفي مصر كما اشرتُ سابقاً . ولا اظنُّ انَّ تلميذاً آخر غيري عرفهُ معلماً لهُ في الاحوال الثلاثة التي عرفتهُ بها وفي جميعها. كان عندي هو هو ، المعلم الصالح الذي تُعطّر النفس محبّتهُ وتملؤها « في حضرتهِ وغيبتهِ » سلاماً واطمئناناً فضلاً عن الشعور الباطن انهُ لها موئلاً وملاذاً . واذا كنت انا اعرفهم بهِ فانا احبهم لهُ

ما نسيت ولا انسى عدة مشاهد وعبارات شاهدتها وسمعتها منذ ثمانٍ وخمسين سنة لان فيها صورة المعلم يعقوب صرُّوف واعجابي بالمعلم يعقوب صرُّوف

***

اني لا انسى صورة بيت الشيخ اسبر ضومط في يوم جميل من اجمل ايام الصيف في برج صافيتا — السماء زرقاء لا اثر فيها لقزْعةٍ من سحاب ولا لإغبرار مَّا حتى

فوق مياه البحر في الافق البعيد . حائط الدار من الحجر الازرق المختلف الاقدار والاشكال وفوقهُ من بعض جهاته ما يحميهِ من الشوك دون من يحاول الصعود عليهِ . باب البيت من الخشب السميك السنديان او الجوز — لا اعلم ايّهما كان — الاَّ انَّ الواحهُ مختلفة السمك حتى في اللوح الواحد واظنها لم يشذّبها منشار نشّار حاذق ولا ازالت خشونتها فارة نجّار ماهر . وعليهِ سكّرة ضخمة من الخشب تدخل في طاقة (ثقب) غير نافذة في صدغ الحائط مساميرهُ المشدودة بها الالواح الى العارضتين العليا والسفلى من خشب يسمونها خوابير . وعن يمين الباب الى جهة الجنوب مصطبة تعلو شيئاً قليلا عن الدار مسقوفة باغصان شجر الغار وجداراها الجنوبي والغربي قائمان على قوائم مما يعرف هناك باسم « قطش » عليها عوارض من مثلها ومغطّى على شبه المربعات بين القوائم والعوارض بعَرْف من اغصان البلوط والسنديان والريحان ومما حَضَر خلاف ما ذكرنا

قبال هذه الخيمة في صباح احدكما اظنُّ الآن اتصوَّر ولداً ينظر الى المعلم يعقوب يكالم المعلم الآخر واسمهُ المعلم ابرهيم وهو باسم الوجهِ ضاحك العينين . انَّ صورة المعلم يعقوب اتخيلها الآن بكل وضوح بخلاف صورة معلمي الآخر وكان سبق حضورهُ الى برج صافيتا حضورَ المعلم يعقوب باشهر وبقي بعدهُ في المدرسة يعلمنا عدة اشهر ولكني لا اذكر لهُ الآن صورة قبل صورتهِ هذه — اي التي مع صورة المعلم يعقوب — ولا بعدها، وفي الوقت نفسهِ هي صورة مضطربة في ذهني لا تستقرُّ على حال

بعد هذا اليوم ببضعة ايام وفي مثلهِ من الجمال ونقاوة الجوّ اتصوّر ولداً راجعاً من جهة ضهر بيت سمعان حيث كانت المدرسة وحيث بيت الشيخ اسبر ضومط على مقربة منها وهو يثب على الطريق وثباً ولا ازال اشعر بهزّة سرور لسرورهِ كلما تخيلتُ صورتهُ هذه : وسبب سرورهِ كان انّ المعلم يعقوب علمهُ اسماء الحروف الهجائية بالافرنجي ولفظها بما يقابلها من الحروف الهجائية العربية . فما ترك عمًّا ولا خالاً ولا خالة ولا ابن عمّ او خالٍ بل ما ترك رفيقاً من اترابهِ رآهُ ذلك اليوم الاَّ واخبرهُ بذلك

مرَّت ايام عطلة المدرسة الكلية الصيفية ورجع المعلم يعقوب في آخرها ليتمّ سنتهُ الاخيرة فيها وبقي التلميذ المتوهم في نفسهِ انهُ تلميذهُ يحلم بهِ المرّة بعد المرّة ويقوم في الصباح باكراً يقصُّ حلمهُ على امهِ ثم على كل واحد من اهل الدار وعلى غيرهم من الجيران حتى كثيراً ما اضجر امهُ فاضطُرَّ ان يسكت خيفةً من ضرب مكنستها —

انها كانت تضربهُ احياناً بالمكنسة لتفثأ من غيظها او غضبها على ثرثرتهِ وفي الوقت نفسهِ لا تؤذيهِ وقد لا توجعهُ احياناً « وإنْ اوهمتهُ انها توهمت ذلك » ولم تكن تحفل بتطير المتطيرين بالضرب بالمكنسة — سمعت مرَّةً جارتنا امرأة موسى برهوم تقول لها: اما هو حرام عليك تضربيهِ بالمكنسة — فاجابتها امي : « يا ويلي اخاف يامَرَة عمي اذا ضربتهُ بغير المكنسة اذّيه او على الاقل وجّعو : ومالي قلب اسمعو يبكي وهوّي الله يرضى عليهِ اذا حسّ على شيء ما بيرضيني ما بيعملو »

السلام عليكم يا استاذي العزيز ورحمك الله فانك انت انت الذي تثير اشجاني «وما احلى اشجاننا هذه» بتذكُّري ما اذكرهُ الآن من محبة الامّ الفاضلة واشفاقها ولولاك لكانت هذه التذكارات امّحت من خيالي ولكنها تخلدت بالتفافها حول صورتك الخالدة التي كانت في ذهني والتي سيخلّدها تدوينها في مقتطفك المحبوب الخالد الى ما شاء الله

بعد سنةٍ من هذه التذكارات التي مرَّت سمحت ام جبر لابنها وحيدها ان يفارقها الى مدرسة عبيه الاميركانية رغم انكار كل نساء برج صافيتا عليها ان تسمح لهُ يتغرَّب عنها الى قريةٍ تبعد ثلاثة ايام عن قريتها وارجح ان اكثر ما دعاها الى سماحها لابنها بالذهاب الى مدرسة عبيه — التي كانت في ذلك الزمان ابعد من ابعد البلدان النائية التي يتغرَّب اليها ابناء تلك القرية اليوم — هو اعجابها بالمعلم يعقوب وتهذيبهِ

هناك بدأت اسمع عن معلمي واعرف عنهُ ما لم اكن عرفتهُ من قبل فزادني ما عرفتهُ محبةً واحتراماً فوق ماكان لهُ قبلاً مراراً . وآخر الامر وصلت الى ماكنت بدأت احلم بهِ واتشوَّف اليهِ في السنة الثانية من اقامتي في مدرسة عبيه الاميركانية اي الانتقال منها الى المدرسة الكلية في بيروت المدرسة التي اخذ منها معلمي علمهُ وكان قد انطبع في ذهني انْ لا معلم فوقهُ « ولم يتغير هذا المطبوع بعد »

في سنة ١٨٧٢ في شهر اكتوبر تمت لي امنيتي بانتقالي الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت بعناية المرحوم الدكتور صموئيل جسب رجل الفضل والنبل وكرم الاخلاق نفساً وارومةً وبعناية زوجتهِ الفاضلة رحمها الله رحمةً واسعة فانها كانت في فضلها وطيب عنصرها خليقة بالمرحوم زوجها واكثر منهُ عناية واهتماماً بي وبانتقالي الى الكلية

وفي سنة ١٨٧٣ تحققت لي احلامي الذهبية في الحادية عشرة فاني رأيت فيها المعلم

يعقوب استاذاً في الكلية الاميركانية ومعلمي فعلاً لا توهماً حلواً كان اولاً أضحوكة صبيانية يُتَفكّهُ بها ولاسيما بعد ان مرّت السنون عليها

بقيت ثلاث سنوات تلميذاً لاستاذي ومعلمي في الكلية لا اشكو من شيء الا انهُ كان كانما هو يغيرني بأن تلامذة الصفوف المتقدّمة كانوا — اخذاً بظاهر كثرة ترددهم على غرفتهِ ورفع الكلفة في معاشرتهِ ومرافقتهِ إنْ في داخل صحن المدرسة او خارجاً عنهُ — اكثر قرباً اليهِ مني . ولكني لما صرت منتهياً اي في صف السنة الرابعة فهمت ما لم اكن افهمهُ وانا ابن السنة الثانية لاني وجدتُ نفسي حينئذٍ في الحالة التي كان عليها معهُ ابناء ذلك الصف الذين مروا عليهِ قبلي

تركت المدرسة سنة ١٨٧٦ ولكني بقيت تلميذاً لهُ لم تفارقني عنايتهُ فارسل اليَّ الى برج صافيتا اول عدد ظهر من المقتطف فانتقلتُ من التلمذة بواسطة المدرسة الى التلمذة بواسطة المقتطف وما زلت تلميذاً لهُ فيهِ الى شهر يوليو الماضي سنة ١٩٢٧ وهنا اقول : إني ما قرأت لهُ نقداً ولا جواباً عن سؤالٍ من كل السؤالات المختلفة في كل ما كان يخطر على بال سائل من مختلف الاقطار العربية وعلى اختلاف درجة علمهم وادبهم في معظم الخمسين سنة المارّة الاَّ رأيت نفسي تبعاً لهُ لا اقول الاَّ ما قال في كل ما كنت درستهُ درساً خاصًّا واستفيد من علمهِ كما يستفيد التلميذ في كل مسألةٍ كانت خارجةً عن دائرة بحثي : وانْ بالنظر الى تفاصيلها : كاكثر مسائل العلوم الطبيعية بل في نفس مسائل اللغة — المسائل التي كنت وجّهت اليها معظم اوقاتي مؤخّراً — وفي كل ما يترك للعقل مدًى للجولان فيها وابداء رأيهِ من غير ما ضرورةٍ للتقييد بالمنقول عن بصريين او كوفيين مثلاً ، كانت احكامهُ ببداهة فطرية كاحكام اكبر البيانيين او الفيلولوجيين المعاصرين

لا يزال عندي ذخيرة من هذا الاستاذ العزيز منذ ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٤ اتعوَّذ بها كلَّما دجا ليل مظلمة اوتباعد عن قلبي مؤمل — هذه التعويذة هي كتاب من المرحوم — حُفظ بعناية لم اتعنَّ لها — يملأ صفحتين ونصف صفحة بخطهِ الدقيق الواضح «كان» كاخلاقهِ بحيث لا يشقُّ على بصرٍ ولا تنبو عنهُ عين . احبّ ان انقل من هذا الكتاب او التعويذة ما يدلّ على « معلّميَّة » هذا المعلم وبعد نظرهِ اولاً . وعلى حبهِ لتلامذتهِ سواء كانوا في المدرسة الصغرى ام كانوا في مدرسة المجتمع الكبرى ثانياً . وعلى انهُ يعرف الفضل ويعترف بهِ لذويهِ ومستحقيهِ ثالثاً . قال رحمهُ الله :

« ولكنَّ مصيبتنا كبرى وخُرْقنا اوسع من ان يُلئمهُ واحد او اثنان وحسبك دليلاً ان الصين والهند وكل بلدان المشرق تئنُّ الآن من وطأة الغربيين ولا مناص لها او ينقلب الدهر فينخر ارومتهم سوس الادعاء والعجرفة ويصفو للمشارقة فيرتعون في رياض العلم والعمارة وهذا ما نحن ساعون فيهِ جهدنا وباذلون دونهُ النفس والنفيس وإننا وان لم ننظر باعيننا تملُّص المشرق من عبودية المغرب الاَّ انا نراهُ بعين الايمان عن بعد ونحيّيهِ —وقال—« وكان فيهِ ولا يزال درس مهمّ لي ولغيري ايضاً »— وابو . . . ليس من الاغبياء ولا اظنهُ يمنعك سؤلك اذا وقع عليهِ في حينهِ . وإن فعل . فالعزّ عند رسوم الأينق الذُّلل

« وفي الارض منأًى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى مُتحوَّلُ

وما انت اوّل من اتبع نهاهُ وعصى هواهُ فاكثر الآن من الدنانير فهي تسهل كل امرٍ عسير » . وقال ايضاً يوصيني باحد تلاميذهِ — « ارأيت شابًّا اسمهُ . . . . هاجر حديثاً الى القطر المصري وهل تعرف شيئاً من امرهِ ؟ اذا رأيتهُ وقدرت ان تساعدهُ بيسير من النقود اذا احتاج فما تفعلهُ معهُ تفعلهُ معي وانا اوفيك اذا عجز » وقال في ختام الكتاب : اهدِ سلامنا واحترامنا لكل الاصحاب والمعارف ولاسيما لصاحب المحروسة وصاحبي الاهرام الفاضلين . قد ساءنا جدًّا ما جرى للاهرام ولكن :

لولا اضطرام النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب نشر العود

فانَّ صاحبي الاهرام العظيمين لو قدرهما السوريون قدرهما لصاغوا لهما تيجاناً من الذهب . هذا ولك مني الف سلام اخوك يعقوب

وانا اقول وافتخر بقولي انهُ معلمي كان ولا يزال وهذا الكتاب يذكّرني بغيرهِ من الكتب التي كان يرسلها اليَّ الى طرابلس فحرَّكتني الى المطالعة وشجَّعتني على الكتابة. بل هي نبَّهتني الى ما كنت غفلتُ عنهُ من اهمية لغة اجنبية لزيادة معارفي : وكنت قد اطّرحت هذه الفكرة جانباً ورميت بمعرفتي القليلة باللغة الانكليزية عرض الحائط . ولكني لما انتقلت من مدرسة حمص الاميركانية الى مدرسة طرابلس في اواخر فبراير (شباط)سنة ١٨٧٧ وجدت انْ لا غنًى لي في توسيع معارفي عن درس هذه اللغة اقلهُ لاستطيع فهم لغة العلم والفلسفة المودعة في مؤلفاتها لا لاخطب ولا لاكتب فيها : وكان المنبّه لي الى هذه الحقيقة المقتطف وبيانهُ

كنت في طرابلس اراجع المقتطف فلا ادع واردةً ولا شاردةً تفوتني فيهِ وانعم

درس كل ما يُكتَب فيهِ . ولكني وجدت انَّ منزلتي في عيون اهل الادب والفضل من وجهاء الطرابلسيين الكرام « ووجهاء طرابلس هم ادباؤها وهم علماؤها ايضاً » تقتضي ان تزيد معرفتي عمَّا تحتويهِ مقالات المقتطف ولا يتمُّ لي تحقيق ذلك الاَّ ان ازيد معارفي الضعيفة جدًّا في اللغة الانكليزية فاقبلت على ذلك بكل ما فيَّ من نشاط ورغبة سنة كاملة — اخبط في تلك اللغة لنفسي بنفسي خبط عشواء وافهم معاني الفاظها بعيني لا باذني وسمعي — قبل ان صرت افهم ما في تلك المؤلفات من العلم والحكمة التي كان قد بدا يروج سوقها حينئذٍ وكان المقتطف اول من بدا يروّجه في مجلة علمية في معظم البلدان العربية ولاسيما سورية

اذكر اني بعد ذلك بمدّةٍ كتبت للمرحوم استاذي مقالةً في تفسير الاحلام فجاءني كتابه يقول تنشيطاً لي —(وحقًّا كان الكتاب اعظم منشط لي)— ما اخجل من دعواي اذا ذكرت معناه — وكافأني على تلك المقالة بانٍ قدَّمها الى المجمع العلمي العربي الاول في بيروت وقُبلتُ فيهِ لاجلها عضواً مراسلاً وقد فُقدت هذه المقالة وأسفاه عليها وشُغلت عن اعادة كتابتها الى ان لم اعد استطيع ذلك

وقد كتبت مقالة اخرى موضوعها التعب وسوء الاخلاق ففقدت ايضاً وكان نصيبها من مديحهِ نصيب مقالة الاحلام . اما تأثير الكتابين فيَّ فاترك تقدير ذلك لمن يطلع على مقالتي هذه ومهما قدّرهُ مقدّر فانا ما نسيت ولا انسى حسن اثرها. ما اعظم تأثير المعلم الصالح في نفوس تلاميذهِ ! وما اعظم ما يستفيدونهُ من قدوتهِ ولعلهُ اضعاف ما يستفيدونهُ من علمهِ

انا لم اقصد بمقالتي هذه —مادح نفسهِ يهديك السلام— انما انا مصدّق بها على ما كتبهُ الافاضل في المقتطف ومصادق عليهِ بما كتبتهُ عن تذكاراتي في صبوتي وشبابي وايام كهولتي ومدة تسع سنين ايضاً بعد الستين من عمري

مالي وللتنصح لقومي باختيار المعلم الصالح ولاسيما في المدارس الابتدائية اولاً ثم المعلم الصالح الاديب في المدارس العالية ثم المعلم الصالح العالم في الجامعات وما يقاربها من الكليات التي تعدُّ ذوي المواهب للاختصاص بما ولدوا ويُسّروا لهُ

يكفيني اني وفيت ديناً عليَّ بشكري المرحوم الدائن وباعترافي بفضلهِ ودينهِ عليَّ مما لم استطع وفاءه في حياتهِ. فليرحمك الله يا استاذي العزيز وليرحم كل المعلمين امثالك من الذين كانوا قبلك وسيكونون من بعدك آمين ثم آمين

جبر ضومط

من مهاجر الى مستنبط

عنوان هذه المقالة عنوان كتاب نال سنة ١٩٢٤ جائزة بولتزر الاميركية لان المحكمين والنقاد قضوا بانهُ افضل كتب التراجم التي وضعت في تلك السنة. وواضع هذا الكتاب الاستاذ ميخائيل پيوپن الصربي الاصل الاميركي النشأة استاذ الميكانيكيات الكهربائية في جامعة كولومبيا ورئيس مجمع تقدم العلوم الاميركي سنة ١٩٢٦

وُلد في مقاطعة البنات المجرية من والدين صربيين جاهلين ونشأ راعياً من رعاة الغنم. ولما كان في الخامسة عشرة من عمرهِ هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية فوصلها وليس في جيبهِ سوى غرش صاغ انفقهُ حال نزولهِ الى البر في شراء قطعة من الحلوى وكان غريب المنظر في لبسهِ وهيئتهِ فاجتمع حولهُ الاولاد من باعة الصحف في الطرف الادنى من جزيرة منهاتن بنيويورك وجعلوا يهزؤون بهِ وبطربوشهِ الاحمر وهو لا يدرك ما يقولون وتجاسر احدهم فاقترب منهُ وضرب طربوشهُ بطرف عصا فطاره عن رأسهِ فثارت ثائرة المهاجر وشمر عن ساعديهِ المفتولين وخاض مع الولد الاميركي معركة خرج منها ظافراً. ولما سمع الاولاد يضجون ويهزجون خاف من تألبهم عليهِ فحمى ظهرهُ بجدار بناية قريبة ولبث ينتظر هجومهم. ولكنهم كانوا في الواقع يهزؤون من صديقهم المنهزم. ولما اراد احد رجال الشرطة ان يقبض عليهِ تدخل باعة الصحف في الامر قائلين انهم كانوا يلعبون فاطلق سراحهُ فسار مرفوع الرأس وعلى رأسه طربوشه الذي ثأر لهُ مما لحق بهِ من العار

ولم يلبث ان فاز بعمل في حقل من الحقول في جوار فلادلفيا ولما كان سائراً في تلك المدينة قاصداً الى مكان عملهِ سأل رفيقهُ هل هي فلادلفيا البلدة التي اطار فيها فرنكلن طيارتهُ التاريخية واستنزل بها الكهربائية من الهواء فوبخهُ رفيقهُ على هذا السؤال البارد لانهُ لم يكن يعرف شيئاً عن رجل يدعى فرنكلن!

ولقي الفتى على الحقل فتاة شقراء الشعر زرقاء العينين فرآها صورة لما كان يتصوَّره في صغرهِ من الاهات الحب والجمال. ولكنها كانت ذكية الفؤاد فانشأت تعلمهُ اللغة الانكليزية حتى اتقنها ثم افهمتهُ ان في البلاد مجالاً للمقدام لا ينحصر في رعي البقر واعمال الحقول فترك الحقل وفي جيبهِ ثلاثة جنيهات وذهب الى نيويورك فاشترى بدلة لم يكد يلبسها حتى

لقي احد معارفهِ الالمان فهزَّ الالماني يدهُ قائلاً : «من يقول الآن انك فلاح صربي» وساعدهُ بان عرفهُ الى خبّاز فعهد اليه الخباز في دهن عربة صغيرة لنقل الخبز ونفحهُ لقاءَ ذلك جنيهاً ولكن پيوپن لم يعلم ان الدهان يجب تثبيتهُ بمادة غروية فلم تكد تمطر السماءُ حتى زال الدهان عن العربة . فاضطرب لانهُ لم يتقن عملهُ ولكن صديقهُ الالماني سكّن روعهُ وقال : «الذنب ذنب الخباز اراد ان يستفيد منك لانك غريب ويعمل بجنيه واحد عملاً قيمتهُ ثلاثة جنيهات»

وانتقل پيوپن الى بيت قريب من مكتبة عامة لكي يتمكن من المطالعة فيها حين تسنح لهُ الفرصة وكان عمله ان يجري وراء عربات الفحم عارضاً على اصحاب البيوت الذين يشترون فحماً بان ينقل لهم ما يشترونهُ من الشارع الى داخل البيت وان يتناول عشرة غروش عن نقل طنّ واحد . وكان اذا فاز بذلك يجد كثيراً من الاعمال داخل البيت فيعرض على اصحابهِ قضاءَها وهكذا كان يرتزق

ثم وجد عملاً في معمل صناعي وهناك عرض على مدير غرفة الآلات ان يشتغل معهُ في اوقات فراغهِ من غير مقابل فاجابهُ المدير الى طلبهِ والاستاذ پيوپن يشير اليهِ الآن «كاستاذهِ الاول في الهندسة». ثم سمع بشهرة هنري ورد بيتشر الواعظ المشهور فانضم الى كنيستهِ وصار يحضر اجتماعاتها حضوراً منتظماً فتعرّف الى طبيب دعاهُ الى تسلّم عمل في عيادتهِ ثم قدمهُ الى اكادمية ادلفي وهي ناد رياضي ففاز في مبارياتهِ الرياضية فوزاً مبيناً. وكان في اثناءِ ذلك قد انتظم في جامعة كولومبيا واخذ اسمهُ يذيع بين ابنائها لتفوقهِ في فنون الرياضة البدنية

بعد تخرجهِ من كولومبيا فاز بما مكنهُ من التوسع في الدرس في جامعة كمبردج وكان لبلاد الانكليز اثر خاص في نفسهِ لانها انجبت فراداي وكلارك مكسوك ابويْ العلوم الكهربائية التي ملكت عليهِ نفسهُ وفكرهُ ثم درس على هلمهلتز. ولما كان في باريس عُرض عليهِ كتاب لاغرانج الرياضي الفرنسوي المشهور وموضوعهُ الميكانيكيات التحليلية فاشتراهُ بثمن بخسٍ ووجد فيهِ من اللذة مالا يجدهُ القارئ العادي في رواية اخّاذة

في هذا الكتاب القديم وقع پيوپن على ما مكنهُ من حلّ مسألة ما زالت تشغل بالهُ منذ كان راعي غنم في مقاطعة البنات ببلاد المجر . ذلك انهُ كان قد لاحظ وهو فتى انهُ اذا انزل الرعاة خناجرهم في الارض ووضعوا اذانهم الى مقابض الخناجر تمكنوا من أن يسمعوا وقع حوافر الغنم ولو كانت على مسافات بعيدة . وإن هذا السمع من

غير ازال الخناجر في الارض لا يكون على هذه الدرجة من الجلاء . فتناول پيوپن الآن هذه الملاحظة وطبق عليها ما عرفهُ من القواعد الرياضية ونواميس الكهربائية فثبت لهُ انهُ اذا كان في الارض بقع من مادة صلدة صار نقل الارض للامواج الكهربائية افعل . فصنع لفات من السلك ووضعها في الارض في سبيل خط تلغرافي او تلفوني ووصلها باسلاكهِ فزادت مقدرة الاسلاك على نقل الاشارات الكهربائية زيادة كبيرة وجعل المخاطبات التلفونية البعيدة المدى في حيز الامكان

واشار الى اكتشافهِ هذا في مقالة علمية انشأها سنة ١٨٩٩ فحثهُ صديق على تسجيلهِ ففعل وبعد سنة باعهُ الى شركة التلغراف والتلفون الاميركية

ولم يكن قد انقضى عليهِ ١٨ سنة في الولايات المتحدة الاميركية حتى استنبط طريقة لدوزنة الآلات الكهربائية . ولكن ذلك كان سنة ١٨٩٢ قبل استنباط المخاطبات اللاسلكية . فلم تظهر فائدة تجارية لهذا الاستنباط فبقي في سجل المطويات الى ان فاز ماركوني بنقل الاشارات اللاسلكية بين اوربا واميركا. قال الاستاذ پيوپن: « وكنت ذات يوم في مكتبي بجامعة كولومبيا فدخل عليَّ المستر غرين منشئ شركة مركوني الاميركية ومديرها وقال : هل مستنبطاتك اللاسلكية معروضة للبيع ؟ فقلت: نعم فقال: كم تطلب ثمنها ؟ فذكرت اول رقم خطر لي فقال: اقبل نصف المبلغ نقداً والباقي من اسهم الشركة . فترددت في الامر وطلبت مهلة يوم للتفكير في الموضوع ولما جاء في اليوم التالي قبلت ما عرضهُ عليَّ ». وغني عن البيان ان هذا الاستنباط درَّ عليهِ مبالغ طائلة من المال لان المخاطبات اللاسلكية من تلغرافية وتلفونية قد تقدمت تقدماً كبيراً ودوزنة الآلات المستقبلة امر لا مندوحة عنهُ في استقبال ما تذيعهُ المحطات الكبيرة

وكان پيوپن يقضي اجازتهُ الصيفية في جبال الالب وكثيراً ما يزور البلدة الصغيرة التي نشأ فيها لما كانت امهُ لا تزال على قيد الحياة فيلتفُّ حولهُ الفلاحون ويستزيدونهُ من القصص عن اميركا بلاد العجائب. وكان ذات يوم جالساً بينهم فورد عليهِ تلغراف من اميركا فبسط لهم شيئاً عن عجائب المواصلات التلغرافية فدهشوا لذلك وقال احدهم متعجباً — ما ابرع الاميركيون ! غير دارٍ ان المواصلات التلغرافية البعيدة المدى لم تبلغ حدَّ الاتقان الاَّ بنبوغ محدثهِ. وبعد قليل التفت الى محدثهِ وقال — ألا قلْ لي باسم القديس ميخائيل كيف تتمكن من الارتزاق في بلاد كهذه ؟

لقد صدق من قال: لا كرامة لنبي في وطنهِ !

خمسة في سيارة

٣

جنيف وجمعية الامم

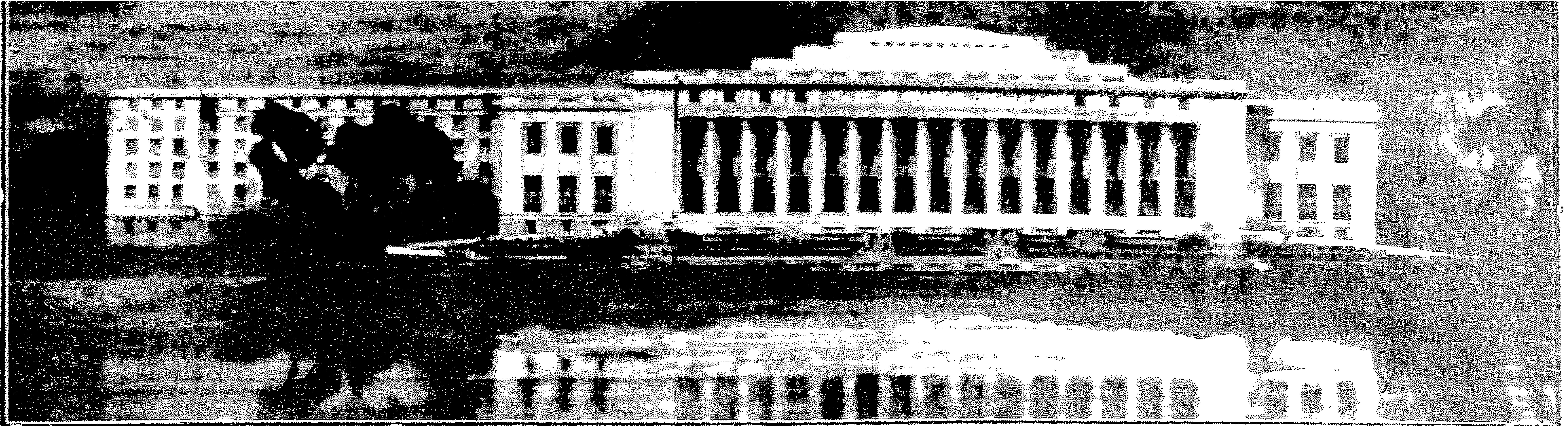
وقال قائل منهم : هيَّا بنا الى جنيف فهي قريبة من البلدة التي نحن فيها (وكان الخمسة في أنسي) وغداً تجتمع هناك عصبة الامم فيتاح لنا رؤية رجال اوقرت آذاننا اسماؤهم ونمتع النفس بمحاسن البحيرة وما يحيط بها من جبال

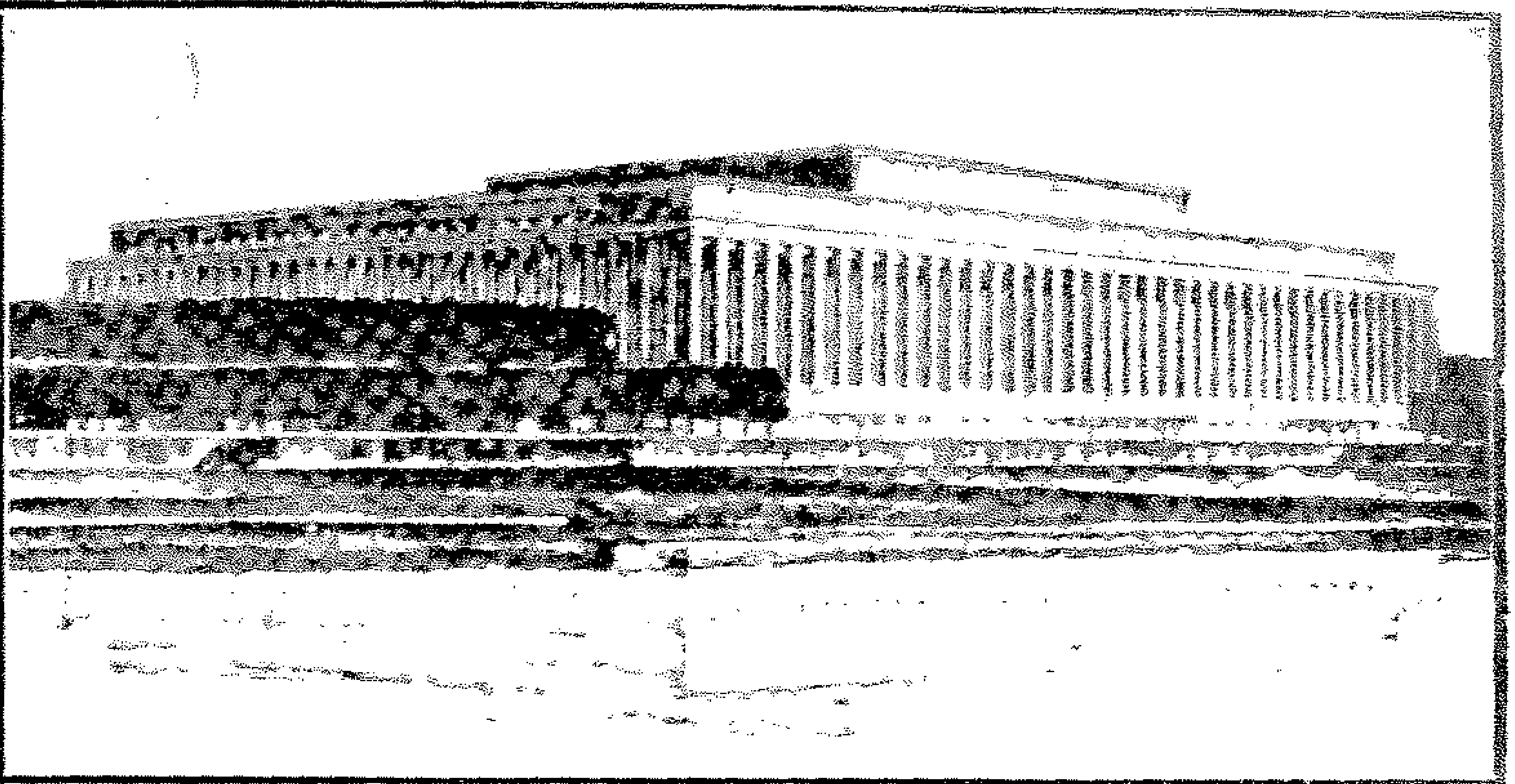
فامتطوا سيارتهم ميمّمين جنيف والحدود الفرنساوية تنتهي قبل وصولك اليها بنصف ساعة او اقل

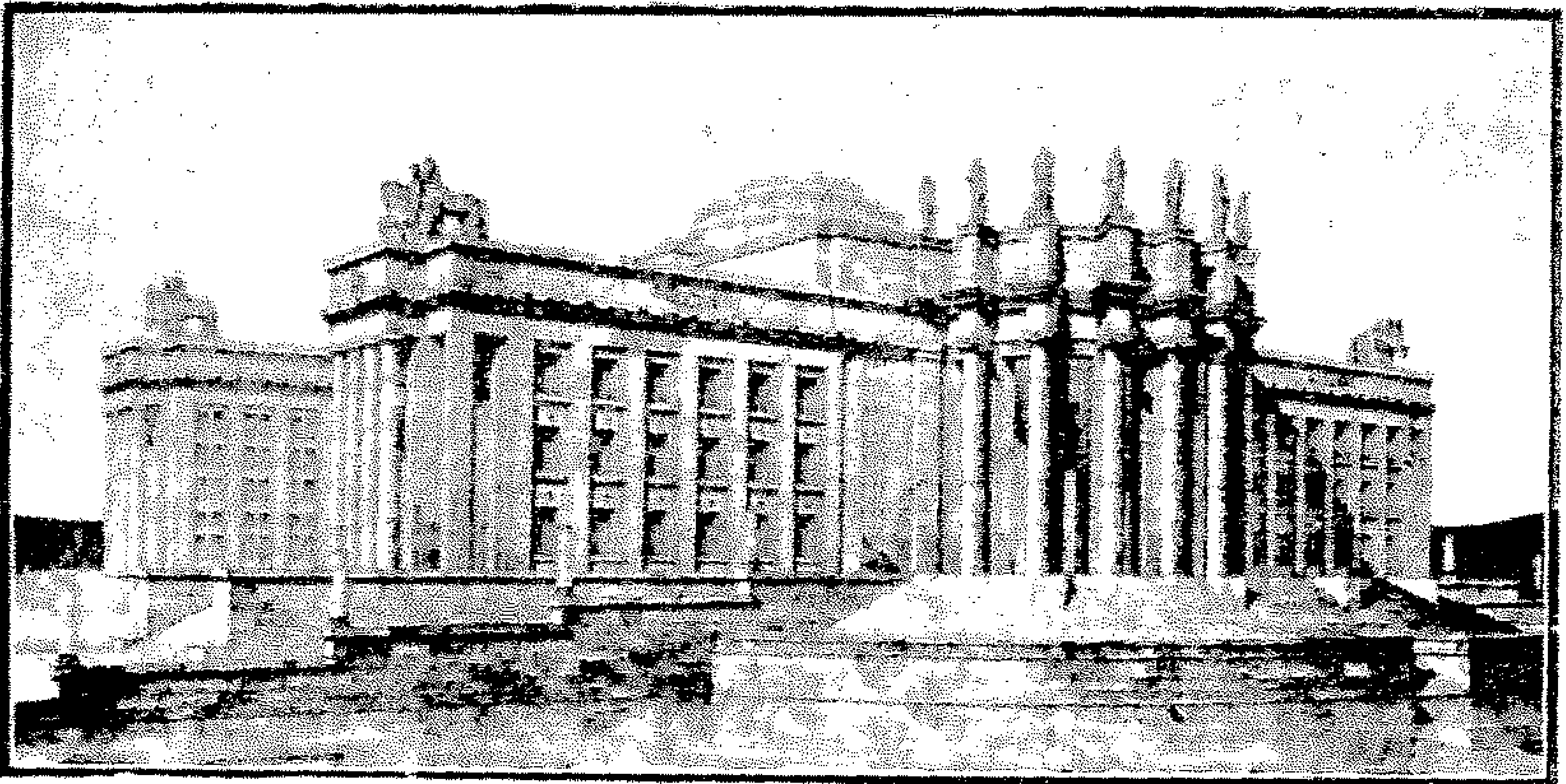
ووقفت السيارة وجاء رجال الشرطة الافرنسيون فنظروا الينا وما زادوا ، والى بضع خطوات منهم رجال شرطة سويسرا فتقدم احدهم محيّيا وسأل عن جوازات سفرنا فتقدم كل بجوازه حتى اذا جاء دور صاحبنا المصري نظر الشرطي الى جوازه وقال: هذا ناقص فليس عليهِ « تأشير» من السلطة السويسرية في بلادك تسمح لك بالمجيء الى سويسرا . قال: ولكنهم قالوا لنا في كل فنادق فرنسا ان لا حاجة بالسائح الى «تأشير» جوازهِ اذا كان في فرنسا . قال : انهم لا يعلمون ما يقولون ويضللون السياح النازلين عندهم. ان بيننا وبين الانكليز والفرنساويين اتفاقاً لا مجال معهُ لعلامة توضع على اجازة المرور ولكن الحال ليست كذلك مع مصر . فهي تطالب « تأشيراً » على جوازات السويسريين ونحن نفعل فعلها مع المصريين . فاضطرب المصري وتضايق فانهُ لم يكن يحسب حساباً لهذه الصعوبة الطارئة ولا هو يستطيع النكوص وحده او مع جماعته الى أنسي. ودخل الرفقاء كلهم وسطاء في الامر فما كان لهذا الشرطي ان يتزحزح عن مكانهِ

قال لهُ المصري : يا هذا اني قادم لامكث يوماً او بعض يوم في جنيف ثم اعود فما هذا التعنت وأنا اعرف بعض رجالكم في مصر ويعرفونني وهم يقيمون عندنا على الرحب والسعة . وراودهُ عن واجبهِ بسيجارة او سيجارتين فابى واستعصم . ولاطفتهُ السيدة الافرنسية وابتسمت لهُ عسى سحر الحاظها ان يفعل فيهِ فابتسم وقال : سابذل جهدي

وهمَّ بتلفون امامهُ وخاطب رئيس الشرطة في جنيف يشرح لهُ الحكاية ويقول: اني فتشت في القائمة السوداء فلم اجد اسم هذا الرجل وهو عليهِ سيماء كرام القوم







ثلاثة من الرسوم التي وضعت لدار جمعية الامم التى تراد اقامتها في جنيف وقد فاز الرسم الذي في اعلى هذه الصفحة

امام الصفحة ٢٩٦

فاجاب الرئيس : دعهُ يمرّ . فشكر القوم للشرطي حسن سعيهِ وخرج المصري مغتبطاً بشهادة « سيماء كرام القوم » وبخلو القائمة السوداء من اسمهِ

ودخلوا جنيف وكانت فنادقهـا تغص بالنازلين من شتى الشعوب من مشارق الارض ومغاربها . ومن يشاهد هذا الموسم في جنيف لا يعجب للحملة التي اثارتهـا البلجيك على الرئيس و لسن لتحمله على جعل مقر جمعية الامم في بروكسل لا في جنيف فانهُ اذا لم يكن من نفع لهذه الجمعية الاَّ ترويج اسواق البلدة التي هي فيها لكان في ذلك الكفاية

وسار الرفقاء الخمسة في شوارع جنيف يتفرجون ولم يكونوا حديثي معرفة بهـا فان كلاًّ منهم يعرف جنيف قبل هذه الزيارة الاَّ السيدة الافرنسية فكانوا يدلونهـا على ما يُرى

واذا نزعت البحيرة من جنيف فليس فيها ما يُرى

وهذه البحيرة تكاد تكون بحراً . فهي واسعة عميقة تتلاطم امواجها وتثور مياهها مثل كبار البحور فكانت لهذه الاسباب لا تروق صاحبنا المصري

على ان كيان الاتحاد السويسري السياسي في اوربا جعل جنيف مهبطاً لطلاّب الشأن السياسي حرية كان ام استبداداً فانت ترى في مشارب قهوتها المطالب بعرش مفقود والى جانبهِ فوضوي يطلب هدم ما بقي من عروش . تنظر هنا اميراً افقرتهُ الثورة في بلاده فجاء جنيف يؤمن على رأسه ، وتلمح هناك افاقاً سياسياً يروّج دعوة اغنتهُ عن العمل

وكان مقعدهم في قهوة كان لينين لا يفارقها فسألوا الخادم عن الكرسي الذي كان يجلس عليهِ قال : تارة هنا وتارة هناك غير مكترث للينين وسمعتهِ حتى يصح المثل الانكليزي ان الالفة تزيل الكلفة بل تمحو الاحترام وتدعو الى الازدراء

ولفت نظرهم اثرٌ مقام لجان جاك روسو . فهذا الكاتب ابن جنيف وموضع فخرها ومحل عزتها ، فسأل المصري رفيقه الانكليزي رأيه في « جان جاك » فقال : انهُ كان قذراً — اما قرأت كتاب اعترافه — وانا لا احب القذارة . ولا اظنهُ كان صريحاً مخلصاً عندما كتب هذا الكتاب

قال المصري: وانا لا احب كتابه « العقد الاجتماعي » فهو نظرية فاسدة نبذها الناس كلهم الآن . على انهُ كان ذا اثر عظيم في الثورة الافرنسية فهو من معلمي هذه

الثورة. وكثير من رجالها — واشهرهم روبسبير — من عبّاده المخلصين . ثم مرّوا بالكاتدرائية المشهورة في جنيف . وهي بناء اقيم للكنيسة الكاثوليكية فاخذه بعد ذلك اتباع كلفن الواعظ البروتستانتي المشهور وجعلوه مقرًّا لعبادتهم

فتميزت السيدة الافرنسية غيظاً . قالت: ان المذهب البروتستانتي قائم على البساطة والبعد عن الصور والتماثيل وما الى ذلك من آثار الفنون الجميلة . فهو مذهب جافّ لا يتفق في شيء مع ما في هذا البناء من زخرف ونقش وعظمة فن . فانك لا تفهم ان تقام العبادة في هذه الكاتدرائية الاّ من قساوسة يرتلون ويلبسون الثياب الموشاة بالذهب وبالفضة ويمثلون الآيات المقدسة تمثيلاً روائيًّا حتى تتشابه الامور فيستقيم للذوق السليم حكمه. وأما ان ترى المؤمنين جلوساً على الكراسي كالاصنام ويقوم راعيهم يتلو الآيات بصوت اقرع ويخطب القوم مواعظ وآيات غير موسيقية فشيء لا يليق بهذا المكان ومحله منازل شيدت خصيصاً لهذا الغرض

فامّن الجميع على اقوالها واُعجب صاحبنا المصري بدقة ملاحظتها وحسن ذوقها الفني

وحقيقة الامر ان هذا البلد جنيف مشرب بروح «كلفن» في بنائه وفي اخلاق سكانه . فانك ترى الشوارع نظيفة ووجوه السكان نساءً ورجالاً واولاداً نظيفة ايضاً ولكنك لا تلمح اثراً للروح الخفيفة لا هنا ولا هناك . وميزتهُ انهُ يكاد يكون اثراً من آثار كرام الغرباء . فترى هذا الشارع قد مدهُ المحسن الانكليزي ، وهذه الكنيسة قد اقامها الامير الروسي ، وتلك الدار اهداها الى مجلس البلدية الكونت النمساوي فتشتاق لرؤية شيء مما قام بهِ الجنيفيون انفسهم فترى تمثالاً لقائدٍ عظيم عندهم — وقد غاب اسمهُ عن الذهن — يمتطي جواداً اشبه بالبرذون منهُ بحيوان آخر ، فسأل الرفاق عن هذا البطل وفيم اقيم لهُ هذا الاثر .فقيل لهم انهُ فاز في معركة من المعارك التاريخية العظمى . قالوا وما هي . فاجيبوا : انهُ تمكن ان يمنع وقوع الحرب بين مقاطعتين سويسريتين. فحمدوا الله وقفلوا راجعين الى مشرب القهوة

***

وكان المطر رذاذاً ثم اشتد ومنع القوم من الخروج الاّ صاحبنا المصري فانهُ ترك رفقاءهُ جلوساً في داخل القهوة وهرول تحت مظلة تقيهِ المطر الى حيث تجتمع جمعية الامم

ولم يكن يحمل « تذكرة » تخوله حق الدخول ولكنهُ قال : هأنذا غريب هنا فالي لا اقف موقف العامة ارى هؤلاءِ الاقطاب يدخلون ويخرجون . لا لانهُ يجهل حقيقة ما يكون عليهِ هذا الشيء الذي يسمونهُ « رجلاً مشهوراً » ولكنها رغبة في الاستطلاع وميل الى رؤية الجديد المجهول ومقارنتهِ بما يعرف في بلدهِ من القديم المعلوم

وطال بهِ الوقوف تحت وابلٍ من المطر وهو لولا ما تقدم ذكرهُ لما وقف وقفتهُ هذه ولو أُعطي مال قارون

واشدّ ماكانت رغبتهُ تتجه اليهِ رؤية تشمبرلين وبريان ولا بأس ان رأى شتريزمان عرضاً

فكان يترقب مرورهم واثقاً من تعرّفهم لكثرة ما شاهد من صورهم في الجرائد . ولان السيارات التي تنقل الاعضاء تحمل راية الدولة التي ينتمي الجالس اليها

فمرت طائفة لا تحصى من المندوبين عن هذه الجمهوريات الاميركية الجنوبية — وتراهم اشد الناس فرحاً بعضويتهم فيدخل واحدهم يصحبهُ ستة او سبعة من المساعدين ولا يلبث ان يخرج ثم يدخل وهكذا كأنهُ يعرض نفسهُ على الناس

ومرت طوائف اخرى من ممثلي دول اوربا الصغيرة وكلهم متشابهون فلا تكاد تميز اليوناني عن الروماني او عن السربي وتجمع هؤلاءِ كلهم جامعة الغرور فترى هذه العاطفة ماثلة في مشيتهم وفي ملبسهم وفي اشعال سيجاراتهم كان ابن آدم اذا حرمهُ الله العظمة في النفس استبدل بها عظمة من عندهِ لا تخرج عن عجرفة وتصعير خدّ ومشية المرح

ثم اذن الله فقالوا : هذا سكرتير بريان قدم يأخذ معلمهُ . فخرج بريان فما رأى صاحبنا رجلاً اكثر منهُ سذاجة منظر فهو ربعة يميل الى القصر منحني الكتف قصير الرقبة كبير الرأس وكبير الشاربين يطلقها على هواها

يرتدي بذلة عمرها سنوات وسيجارتهُ مشعلة ابداً يلف تبغها بيدهِ . ولكنهُ ذو جاذبية ببساطتهِ وذو هيبة لعدم اكتراثهِ تشعرك انك ترى رجلاً عرف حقيقة العالم. فان هذا الرجل يمشي والناس من حولهِ الوف فتراهُ لا يلتفت ولا يأبه.اذا حُيّي حيّاً لا هاشاً ولا باشاً كأنهُ وحدهُ في وسط الجماهير فتذكر صاحبنا المصري درساً كان يسمعهُ من استاذ الالقاءِ والخطابة في المدرسة

فان هذا الاستاذ — رحمهُ الله — كان يقول للطلبة . اذا وقفتم تلقون او تخطبون فلا تضطربوا ولا تجزعوا . اعتبروا هذه الرؤوس البشرية امامكم رؤوساً من الكرنب او اللفت فهل تحسبون لها حساباً ؟

وانهُ من الصعب جدًّا ان يلقى الانسان رجلاً يحفظ هذا الدرس كالمسيو بريان ولعل السرّ في كونهِ من اعظم خطباء العالم يرجع الى تمرسهِ بهذه الرؤوس حتى تساوت عندهُ سواء أكانت في البرلمان ام في صحن « السلطة »

ثم خرج اوستن تشمبرلن . فلما رآهُ صاحبنا المصري تذكر وجهاً كوجههِ ما عدا هذه الزجاجة المفردة على عين واحدة — ذلك وجه المستر برسيفال المستشار القضائي في وزارة الحقانية

وتشمبرلين هذا يجمعهُ قولك : رجل متأنق : متأنق من رأسهِ الى اخمص قدميهِ شعرهُ مرتب مصقول . وجههُ حليق احمر . هندامهُ كأن يد الكاوي لا تفارق ثيابهُ . يجلس في السيارة ببطء ويشعل سيجارتهُ ببطء ويضعها بين اصابع يدهِ ببطء ثم ينقلها الى فمهِ ببطء

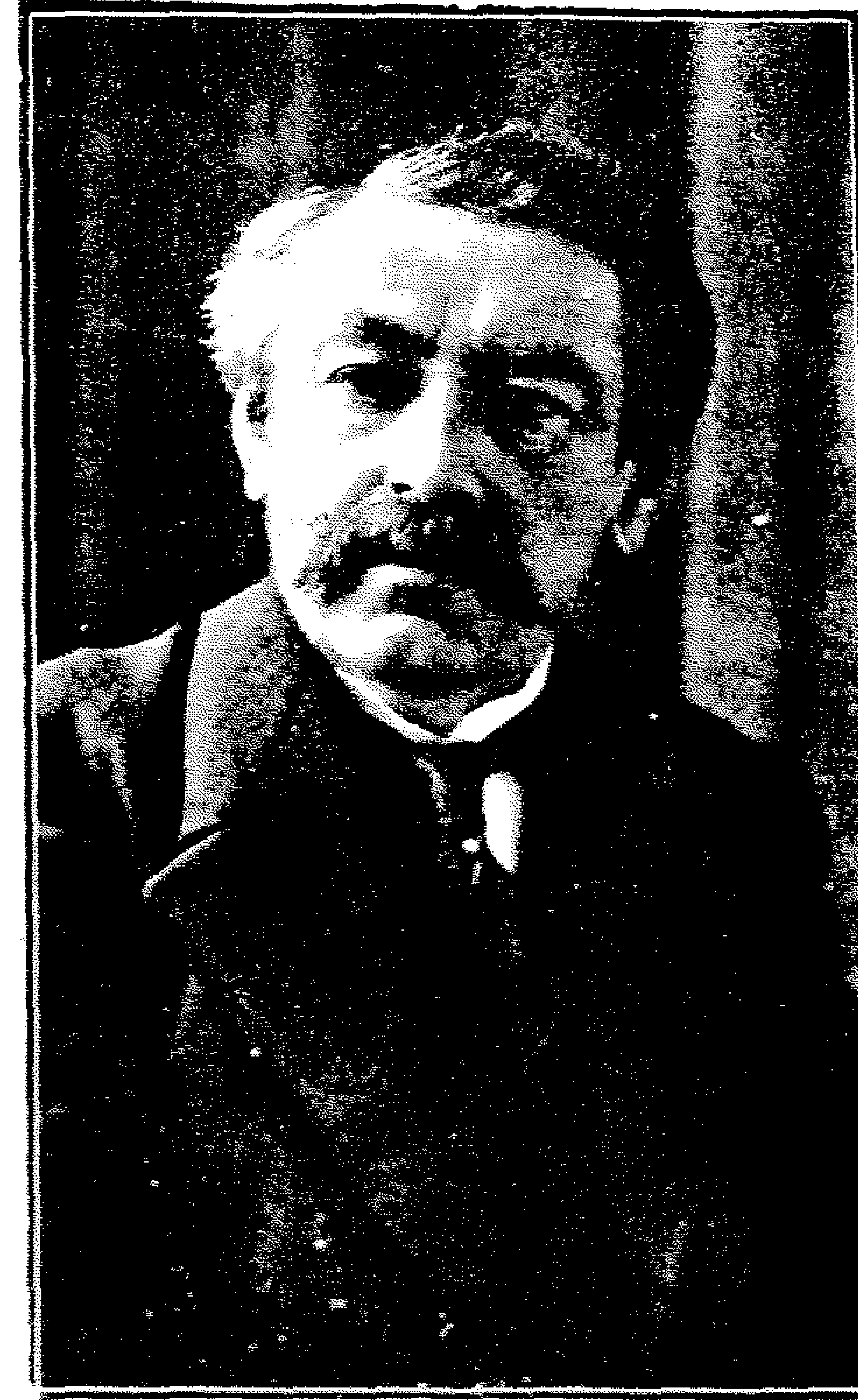
وهو دائماً تصحبهُ سيدة تارة عجوز شمطاء واخرى شابة غير حسناء على ان ارستوقراطيتهُ ممزوجة بكثير من ملامح الرجل الطيب المستقيم

واشتد المطر وكان التعب قد اضنى صاحبنا فهرول راجعاً الى رفقائه يقص عليهم قصة ما رأت عيناهُ . وجلسوا يتناولون الغذاء وهمهم منصرف الى مشكلة الحصول على تذاكر تخولهم حق مشاهدة جلسة من جلسات جمعية الامم

***

يندر ان تجلس في مكان عام في جنيف ولا تسمع العربية

ولكن هذه القهوة امتازت بان كان صاحبنا المصري يسمع لغته من كل زاوية من زواياها وخيل اليهِ انهُ يسمع صوتاً يعرفهُ فالتفت فما كذب حدسهُ اذ رأى صديقاً عزيزاً هو اميل زيدان فقام اليهِ يحييه بشوق ويحيي زوجه السيدة كاملة التهذيب ومعهما الصحافي المعروف اميل الخوري والسياسي السوري احسان الجابري فكان لهم الفضل كل الفضل — لا في اللقاء بين الاصدقاء في دار الغربة فحسب بل لانهم اسرعوا فاتوا لهُ ولنفرهِ بتذاكر الدخول في تلك الساعة الى جلسة جمعية الامم



ارستيد بريان



اوستن تشمبرلين



الهر شتريزمان

امام الصفحة ٣٠١

مقتطف مارس ١٩٢٨

فقام الجمع كله يؤمون تلك الدار

ليس لجمعية الامم مقر خاص بها الآن فالدار التي ستقام لها لم يشرع في بنائها بعد فهي لذلك تجتمع في الدار التي اجتمع فيها اهل سويسرا واعلنوا ميثاق دخولهم في مذهب كلفن وجماعته

وطلاب حضور جلسات الجمعية لا يعدّون ولا يحصون فكأنك في برج بابل تسمع كل الالسنة وتشاهد كل الوجوه

فأدخل اصحابنا من الباب المعد لهم وصعدوا الى شرفات القاعة وتبوأوا امكنتهم وعلى الحائط اعلان بالسكون التام عندما يفتتح الرئيس الجلسة

جلسوا وكلهم اعين تنظر الى اعضاء جمعية الامم يدخلون اعضاء كل دولة الى مقاعد أُعدت لها لا تتغير عدداً او مكاناً

فكان يقول قائل: ها ايطاليا وهذا السنيور شالويا وصحبه. وآخر: ها رومانيا. وآخر: انظر الى الصينيين يدخلون

وما استوقف نظر صاحبنا المصري الا ثلاثة دخلوا الواحد وراء الآخر — سمر الوجوه باحمرار قليل جعد الشعر فاحموه فسأل فقيل ممثلو الحبشة. كانوا يسرعون الخطى مطرقين يحكون رؤوسهم بايديهم. فقال في نفسه: بماذا اشبههم. انهم يشبهون ولداً صغيراً دعاه ابوه الى قاعة استقبال ضيوفه فاطرق خجلاً ومدّ يده عن غير قصد يحك رأسه ليخفي حياءه. ام لعلّ لحكّ هذه الرؤوس سبباً آخر. فقد يكون رمزاً الى انهم يدعون رؤوساً في بلادهم او دليلاً على حشرات تقطن تلك الناحية من اجسادهم

ودخل تشمبرلين تصحبه سيدة عجوز وجلس مكانه. ودخل الالمان وكانوا اربعة يرأسهم شترزمان وانك لتنظر الى مئات الاعضاء فلا يلفت نظرك الا هؤلاء الاربعة القرع الطوال جلوس لا يتحركون ولا يلتفتون يمنة او يسرة

وجاء بريان ومعه بول بونكور المحامي والنائب الاشتراكي ذو المستقبل المجيد وآخر غاب عن الذهن اسمه كان مرشحاً من بضع سنين لرآسة الجمهورية فكانت جماعة التمثيل الفرنساوي والانكليزي والالماني قبلة انظار الناس. وما عداهم فاصفار لم يعبأ بهم احد

اما رئيس الجمعية فممثل جمهورية من جمهوريات اميركا الجنوبية وسيان لديك كانت جوتومالا او شيلي او هندوراس . ومقعده على منصة عالية والى يمينه السكرتير الدائم للجمعية وهو انكليزي — السير أرك درمند — يحيط بهم زمرة من الكتبة غير قليل عددهم

وقرع الرئيس الجرس واُقفلت الابواب وقال شيئاً بالفرنساوية لم نسمعهُ واعاده السكرتير الدائم بالانكليزية فاذا بهِ يقدم للجمعية مندوب جمهورية اميركية جنوبية يلقي خطاباً موضوعهُ (وجوب تقنين الشرائع الدولية) اسوة بالشرائع المدنية والجنائية

فقام الرجل يقرأ من ورقةٍ كلاماً قيل انهُ افرنسيّا بصوت خافت ولهجة مملة ونطق شنيع . واطال في الكلام واطال ، فكنت ترى الجمهور — جمهور الزائرين — يكاد يجنّ . اما الاعضاء الرسميون فكأن على رؤوسهم الطير . الاّ بعض مراسلات يتبادلها تشمبرلين مع بريان بوريقات كان يرسلها احدهم الى الآخر

فلعن اصحابنا ساعتهم وقالوا جئنا مؤملين ان نسمع بريان يخطب او مندوب بولونيا يشكو فيشتبك الجدال بين تشمبرلن وشترزمان او نظر مشهداً روائيّاً آخر مما يلذّ للعين وللاذن فاذا بنا وكأننا في غيابة السجن

فقد كان السعد تامّاً والقوم محظوظين لو رأوا بريان يصعد المنبر فيبدأ الكلام بصوتهِ الرنان ويأخذ بمجامع القلوب اذ يحلّق في سماء الخيال ببيان بليغ عن الانسانية والسلام والتآخي فيخيل الى السامع انهُ يجري في اللحاق وراء ملاك طائر في الفضاء لولا رؤيته امامهُ رجلاً يكاد « بنطلونهُ » يهوي الى الارض من قدميهِ وتكاد قميصهِ تفرّ من ذراعيهِ

على انهُ قدر لاصحابنا ألاّ تتم لهم السعادة كلها فهموا بالخروج فمنعهم الحاجب وقال : لا حتى ينتهي الخطيب وكانوا يتملقونهُ ويرجونهُ هامسين ويشرحون لهُ صعوبة حالهم وان عليهم ان يلحقوا بالقطار المسافر الساعة حتى رقّ قلبهُ ففتح الباب فخرجوا غير مودعين الاصحاب الذين مكنوهم من الدخول — وهكذا دخلوا جنيف ودخلوا جمعية الامم مستعطفين سائلين وخرجوا منها مستعطفين سائلين

سامي الجريديني

—o:o—

الالعاب الاولمبية

والرياضة البدنية عند القدماء

في الصيف المقبل تقام الالعاب الاولمبية في امستردام عاصمة هولانده وتشترك فيها اكثر امم الارض. وقد اخذت الفرق المصرية تعد عدتها لذلك. وفي السنة القادمة تقام الالعاب الافريقية في ملعب الاسكندرية الجديد وتشتمل على ابواب الرياضة البدنية كالجري والقفز وعلى انواع الجماز وعلى المبارزة والمصارعة والملاكمة وعلى الالعاب البحرية كالسباحة وما اليها وعلى التنس وكرة القدم. فرأينا ان ننشر في المقتطف بضعة فصول في هذا الموضوع من الوجه التاريخي وعهدنا في ذلك الى المؤرخ المشهور الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف فبعث الينا بمقاله الاول الذي ننشره فيما يلي:

١

ما هي الالعاب الالمبية ؟

ان الالعاب الاولمبية OIympiques منسوبة الى مدينة اولمبية حيث كانت تقام. وهذه المدينة هي اليس او اليذة التي شيّد فيها هيكل عظيم لزفس اي المشتري ابي الآلهة ورئيسها فسمي زفس الاولمبي. والمدينة مع بعدها عن جبل اولمبوس بعداً شاسعاً نسبت اليهِ لاشتهارها بهِ. وسنة ١٩٠٣ كشفت اطلال هذا الهيكل مع آثار جميلة نقلت الى متحف (اثينة)

وموقع جبل اولمبس هو في الروم ايلي على حدود تسالية ومكدونية اليونانيــة وشماليها وهو اعلى جبال العالم في زعمهم. واعلى جبال اليونان واشرفها في نظرهم اذ هو مسكن آلهتهم ولاسيما زعيمها زفس. ويسمى جبل الاولمب الآن جبل لاكا او لاشا وعلوُّهُ (٩٧٠٠) قدم. وسمي (مجلس شورى الآلهة) لانهم يسكنون فيهِ ويعقدون مجالسهم وحولهُ وادي الاولمب غربي بلاد المورة

ومقاطعة (اليذة) هذه هي على الشاطئ الشمالي الشرقي من بلاد اليونان وهي اخصب موضع في البيلوبونيسة وكانت ارضها تحسب مقدَّسة تحرّم انتشاب حرب قربها وخصصت بالالعاب الاولمبية التي اقامها هرقل البطل اكراماً لزفس وكانت مجداً لليونان حتى قال شيشرون الخطيب الروماني: « وكان الفوز بالالعاب الاولمبية اعظم ما ينال

الروماني من شرف الانتصار ولا تستطيع مطامع الانسان ان تتجاوز الى مافوق ذلك»

والالعاب الاولمبية من حقوق الايليين وقد نازعهم اهل بيسى شرفها فأدَّى ذلك الى حرب ضروس أُكتسحت فيها بيسى ودُمرت فخلا الجو للايليين واستقلوا بهذا الحق بدون معارض فكانوا ينظمون حرس الالعاب من رجالهم وينتخبون قضاةً لهم من اشهر وطنيهم . فكان عدد قضاتهم اولاً ثلاثة ثم صار اثني عشر واستقر على عشرة

وسميت هذه الالعاب ايضاً الجنستيك من كلة يونانية جمناسيون Gymnasiun بمعنى المجرَّد او العريان . وقال اللاتينيون: جمناسيوم وقد استعملوها للمتروضين لانهم يكونون عراة تخففاً وتسهيلاً للحركات كما سيجيءُ . واستعملت هذه الكلمة اليوم في اوربة ولاسيما في جرمانية اسماً للمدارس العليا لكثرة العابها الرياضية. اما الانكليز والاميركان فيريدون بها المَراض (المرَاض او المترَوَّض) اي مكان الرياضة . وهو باليونانية جمناس Gymnas اي مدرسة التروُّض ونسبوا اليها فقالوا جمنستيك Gymnastic اي علم الرياضة او علم تمرين اعضاء الجسد بالحركات والالعاب . وعرَّبها العرب (الرياضة او الرياضة البدنية)

واصل استعمالها للعري والتجريد كان من الاولمبياذة الثانية والثلاثين لانهُ حدث ان ارخيبوس المصارع المشهور فشل فيها لان لباسهُ انحلَّ في اشتداد مصارعتهِ فمنعهُ الحركة ومكَّن زميلهُ من الاستظهار عليهِ . فسنوا لذلك نظام التعرّي عند التروُّض ومنعوا النساءَ من شهود الحفلات منذ ذلك العهد . ومن خالف قُتل

وكان اليونانيون يفضلون الرياضة الطبيعية فخصوا الجناسيوم بوقت يشغل مقدار الوقت لباقي العلوم. ويتخذونها عندما يتممون العلوم العقلية وعمَّ استعمالها في جميع بلادهم. وكان في اثينة ثلاثة اماكن لها (١) الاكاذيمية التي اشتهرت بتدريس افلاطون وهي منسوبة الى مالك ذلك الغاب اكاديموس وهي التي عرفت باسم (المجمع العلمي) عندنا (٢) الليسيوم التي خصت بتعاليم ارسطو (٣) الكينوسرغس التي وضع سولون المشترع نظامات لها. فكان لرئيس الجناسيوم الحق في ان يعزل من شاءَ من المدرسين او الفلاسفة او السفسطائيين الذين كان يخاف على الشبان منهم . وكان على معلم الجناسيوم ان يعرف تأثيرات الرياضة المختلفة في المتروّضين بحسب علم منافع الاعضاء (الفسيولوجية) وان يخص كل تلميذ بما يناسبهُ منها وكان هذا الفن مخصصاً بحماية ابلُّون إله الاطباءِ لتعلقهِ بالصحة والمرض. اما العرب والاوربيون والاميركيون فلهم انظمة اخرى مشهورة ستأتي

وشيّدت ملاعب كثيرة لهذه الالعاب ومنذ سنوات اكتشف ايفان الالماني ملعب اقريطش (كريت) وهو اكبر الملاعب الشرقية يسع عشرين الف نفس وعرضهُ مائة واربعون متراً

وكان عند الرومان الكولوسيوم Colosaiom الذي انشأهُ الامبراطور فسبسيانوس وهو ملعب رومية المشهور الذي جرت فيهِ الالعاب وسباق الحيوانات الضواري كالاسود والنمور والفهود والضباع وغيرها من الحيوانات الاخرى كالفيلة والخيل . كما كانت تجري فيهِ المصارعة وغيرها من هذه الفنون

وكان فيها ملعب مدرَّج (امفيتياتر) Amphytiatre يسع سبعين الف متفرج حول ميدان فسيح للصيد والصراع الوحشي والصراع الانساني والوحشي حتى كانت الوحوش تفترس المصارعين من الناس ولاسيما المحكوم عليهم بالقتل او المسيحيين الذين ناصبوا الوثنية العداء . ولقد قتل هيرودس اغريبا الاول حفيد هيرودس الكبير في ملعب بيروت الفاً واربعمائة من الجناة دفعة واحدة اذ قسمهم قسمين فتقاتلا وتفانيا

وكثيراً ما كان يقتتل ثلاثمائة وعشرون زوجاً من المتصارعين مرة واحدة . وقتل اوغسطس قيصر عشرة آلاف رجل بالالعاب التي شهدها سحابة عمرهِ في ملكهِ . وقتل تراجانوس الامبراطور مثل ذلك في اربعة اشهر فقط . وكان المغلوب من المتصارعين يذبح ذبحاً

وكان في مدينة دمشق ملعب قديم على شكل مدرَّج قطر دائرتهِ نحو خمس واربعين ذراعاً كانت تقام فيه الاحتفالات والمصارعات في عهد الرومانيين وهو في محلة (تلّ السماكة) المتصل (بتل النجار) الى الجنوب والشرق على مقربة من (مأذنة الشحم) وكان بحسن موقعه يشرف على اهم مواقع المدينة ولاسيما على هيكل جينون امرأة المشتري حيث الآن الجامع الاموي الكبير وقد اكتشف آثارهُ صديقي الاثري المستر جيمس ادورد هانوَر مرسل الكنيسة الاسقفية الانجيلية في دمشق وذلك منذ بضع عشرة سنة . وتوجد آثار ملاعب كثيرة في بلادنا مثل البترون وبيروت على ساحل البحر وعمان في الداخلية وقد جرت فيها العاب ومبارزات وحفلات ومبايعات للملوك ونحو ذلك

٢

كيف نشأت هذه الالعاب ؟

اعتاد قدماءُ المصريين وغيرهم من الامم القديمة اقامة اعياد وحفلات في اثناء السنة وفي مبدإِ الفصول والشهور وفي الحوادث الخطيرة النادرة وفي مواسم الآلهة ونحو ذلك من الشؤُون تبركاً باكتساب رضا الآلهة وتيمناً بسعودها . وتوقعاً للخير والسعادة في ظلها . وكانت حفلاتهم تتم بانواع من الرقص على الغنا او عزف الموسيقى ونحو ذلك . وتمادوا فيها حتى حوّلوها الى شبه العاب ورياضات فحركوا اجسامهم ومرنوا اعضاءهم وقوّوا عضلاتهم فتولد من ذلك الرقص والمبارزة والمصارعة والسباق والملاكمة والصيد والقتال وغيرها من الحركات جماماً للخاطر وترويحاً للنفس . وكانت هذه التروُّضات اولاً دينية أُسست على مبادىء وطنية صرفة وعصبيات جنسية ووحدات قومية . وتناولها من جاءَ بعدهم ولاسيما اليونانيون الذين كان اسلافهم البلاسيجيون (اي الغرباء) سكان بلادهم القدماء يحتفلون بها وكانت اشبه باجتماعات الاسرائيليين في زمن موسى الكليم. والمصريين في عهد الفراعنة . والعرب في الكعبة قبل الاسلام

ولقد كانت اعتقادات اليونانيين بالآلهة وعباداتهم المتنوعة مبنيةً على اوهام وتخرصات فحسبوا ان الارض مسطحة مستديرة الشكل كالترس وحولها البحر المحيط (الاوقيانوس) وهناك اقاليم الظلمة . وان السموات قبة صلدة تمس اطرافها الارض والهاوية تحت الارض وهي مقر نفوس الموتى تتصل الى الارض بنفق عظيم وتحت الهاوية سجن (طرطروس) وهو حفرة قاتمة منيعة الرتاج

وزعموا ان الشمس اله يرمي سهامه عن القوس وهو ممتطٍ مركبة نارية ينحدر بها ويصعد . واعتقدوا بعد هذا كلهِ ان اقاليم السعادة والهناءِ في طرفي المغرب والمشرق حيث ترشقها الشمس باشعتها وان في الاقليم الغربي جزائر السعادة ومقرّ ارواح الابطال والشعراء

وثبت لهم ان اعظم آلهتهم في جبل الاولمب يأكلون طعام الآلهة ويشربون شرابها فصار الجبل عندهم كالسماءِ عند ارباب الكتب الدينية المنزلة . وكان لهم في ذلك الجبل هيكل عظيم . وكان يرأس هذا الهيكل مجلس مؤلف من اثني عشر عضواً من الآلهة ستة ذكور وستة اناث (فالذكور هم): زفس او المشتري وهو عندهم أبو الآلهة والناس.

ونبتون او بوسيدون حاكم البحر . وابلّون او فيبُس اله النور والموسيقى والنبوءة. وأرس اله الحرب . وهيفستس اله النار المشوَّه وصانع صواعق زفس . وهرمس المجنح القدمين رسول سكان السماء اله الاختراع والتجارة (والاناث هنّ) : هيرا ملكة زفس شديدة الغيرة والكبرياء . واثينة او بلاّس التي نشأت كاملة النموّ من جبهة زفس وهي إلهة الحكمة وحامية الصناعات الالهية ويسمونها ميترفه ايضاً . وارطاميس الهة الصيد . وافروديتي او الزهرة الهة الحب والجمال المولودة من زبد البحر . وهستيا الهة المواقد . ودمتره ام الارض الهة الحبوب والحصاد . الى كثيرين وكثيرات من الآلهة والآلاهات (١)

وكانت هذه الآلهة بشراً مكرَّمين فاقوا البشر بقوة الاجساد اكثر من ضخامتها وكانت مساكنهم جبل اولمبوس وطبقات الهواء فوق الارض فكانوا ينزلون الى الارض ويمتزجون بالبشر ثم اعرضوا عن ذلك وصاروا يخاطبون الناس بواسطة الوحي في المواحي (الهياكل)

وكان هيكل دلفي اعظمها في (فوسيس) وكانوا يزعمون ان البخار المخدّر الذي يصعد من شقٍّ عظيم عميق في الصخور هو نفس ابلّون الموحي بواسطة الكاهنة التي تجلس فوق متنفس البخار على كرسي مثلث القوائم كالاثفية . وحينما يغلبها البخار تبلّغ رسالة الاله والكهنة يدوّنون وحيها ويفسرونهُ وينظمونهُ شعراً يتغنَّى بهِ . فمنهُ ما يكون حكماً ونصائح . ومنهُ ما يتضمن التنبؤ بالمستقبل الذي ولع بهِ القدماء

فكلف اليونان بالوحي وكان مَوْحى (هيكل) زفس في مدينة (دودونا) في مقاطعة ابيروس اشهر هيكل . وكان الكهنة يستوحون الاله ويصغون الى كلامهِ في حفيف اوراق شجرة البلّوط المقدسة وقد بقي شجر البلوط يحافظ عليهِ قرب الهياكل والمعابد والكنائس الى يومنا ولا يعلم لذلك تعليل غير هذا التعليل ولعلهُ كافٍ اذا لم يكن لهُ سبب آخر

وكانت بلاد اليونان في القرن السابع قبل الميلاد كثيرة المدن . وكل مدينة منها مستأثرة باحكامها اشبه بامارة مستقلة تعلن الحرب والسلم وتعقد المعاهدات وكان سكان كل مدينة يعتبرون اجانب عند الاخرى . ولكل منهم مدينة مسوَّرة (ذات سور)

(١) راجع في الجزء الثامن الممتاز من مجلتنا (الآثار) لسنتها الرابعة الماضية مقالة في آلهة اليونان وصورها ورموزها

منيعة الجوانب يلجأُ اليهـا اهل القرى عند النكبات والحروب . وكانت كل مدينة او قرية مؤلفة من عشائر وعمائر وقبائل وبطون وافخاذ يربطها راس عبدوهُ معتقدين انهُ جدهم الاصلي وهو كالهٍ حارس لهم

فهذه العشائر تمتعت اولاً بالحقوق المدنية واشتهر اليوناني بحبه لموطنهِ وتفانيهِ في الدفاع عنهُ . فكان كل قبيل منهم يحب مدينتهُ حبًّا صحيحاً فيموت في حماية ذمارها . فلهذا لم يكن التمدن اليوناني الاَّ زهرة اشجار هي حب الوطن وثمارهُ الناضجة. بل من اعتقاداتهم ان لآلهتهم عواطف حسَّاسة كالبشر فعُنوا باسترضائهم بتقديم الهدايا لهم وتشييد المواحي (الهياكل) المنيعة الشاهقة وتقريب الضحايا البشرية والحيوانية والاحتفال باعيادهم وتذكاراتهم تلذذاً وتمتعاً برضاهم

فنزع اليونانيون بتلك الاسباب الى توطيد علاقات المودة بينهم لعدم رغبتهم بجمع قبائلهم في مدينة واحدة يرتبطون بها ارتباطاً وثيق العرى . فاستعاضوا عن ذلك بعقد اشتراكٍ مذهبي مؤلف من اثنتي عشرة قبيلة كانت كل منها تنتمي الى اله من الآلهة الاثني عشر ذكوراً واناثاً

فكانت كل قبيلة ترسل الى هيكل دلفي نواباً في ايام الربيع والى ثرموبيلية في ايام الخريف لانهم كانوا يجرون في هذين المحلين بعض احتفالات دينية

وكان المجمع الانفقطيوني Amphictyonic المسمى بمحالفة الجيران او المجلس النيابي عن هذه القبائل يتولى الحكم وتوزيع الجوائز على الظافرين مثل تمثال او قبر لمن يستحقهُ بوطنيتهِ وخدماتهِ كما انهُ يتولى قصاص المجرمين والمخالفين حتى بالقتل ممن يخونون وطنهم . فعاقب الفوقيين لتعديهم على المذهب الجنسي كما عاقب ايفيالتس لارشادهِ جيش الفرس الى طريق ثرموبيلية في الموقعة المشهورة

وبواسطة هذا المجمع وهذه المقاصد اقاموا الالعاب المقدسة تكريماً لآلهتهم . فكان اساس هذه الالعاب العجائب التي تظهرها الآلهة معجزات . ولاسيما الضحايا امام هيكل زفس التي كانوا يقربونها ويستطلعون منها نيات الآلهة نحوهم . ويستجلبون رضاها عنهم . كما يستمطرون غضبها عليهم . إما من الجهة التي يسير فيها لسان اللهيب عند احراق الضحية . واما من الشقوق التي تظهر في جلود الضحايا عند تقديمهـا واشتعالها . ونحو ذلك من الاستدلالات والتخرصات التي الفوها وبنوا عليها اوهامهم الكثيرة ثم انتقلوا من هذا الطور الى اتخاذ الكهنة واسطة بينهم وبين الآلهة والانقياد

الى مشورتهم . ثم احتفلوا بتكريمهم بالالعاب التي كانوا يجرونها في هيا كلهم وحولها

ومما كانوا يتغنون بهِ من الاناشيد التي يكرَّم بها ابلون قولهم : « ان الايونيين يسرونك بما يجرونهُ من القتال والغناء والرقص »

وكان تعليم اليونان القديم يشتمل على ثلاثة اشياء :

(أولها) الغراماطيق اي اصول الصرف والنحو من العلوم اللسانية

و(ثانيها) الموسيقى بآدابها المعلومة

و(ثالثها) التروُّض البدني بشروطهِ

واضاف اليها الفيلسوف ارسطوطاليس فن (الرسم والتصوير)ولكنَّ اشهرها عندهم واعمها وانفعها (في إعداد العقول لتلقن العلوم وتفوقها فيها على غيرها)كان التروُّض فوضع لهُ صولون المشترع نظاماً خاصًّا وخصهُ بالاله ابلُّـون معبود الاطباءِ كما سبقت الاشارة اليـهِ

وكانت منزلة الابطال عندهم بعد منزلة الآلهة ولهم اقاصيص غريبة مشهورة منها قول ثيموستوكليس : « وما قهرنا الفرس باستظهارنا عليهم ولكن الارباب والابطال هم هم الذين غلبوهم »

ولكي يتحققوا منافع التروُّض استشاروا لهُ اله دلفي اي زفس فقال : ان بهِ السلام للبلاد . فعم الاشتراك بهِ جميع الهيلانيين من سواحل اسيا الصغرى الى سواحل اغريقية الكبرى . وقال احد كهنة ابلون يخاطبهُ : « ضحيتُ لك بثيران سمينة منذ عهد بعيد . فاقبل الآن تضرعاتي وأصْمِ اعدائي بسهام غضبك المنقضـة »

وكانت لهذه الالعاب المنزلة العظيمة عندهم ففصَّـلها مؤرخوهم وعني بوصفهـا هوميروس في الياذتهِ ومن راجع النشيد الثالث والعشرين من معرَّبها وقف على كثير من انواع الرياضة والالعاب كما سيأتي

***

ونرجئُ الكلام في (تاريخ الالعاب الاولمبية) و (حفلاتها) و (انواعها) الى الاجزاءِ الآتية . مما يتم بهِ الكلام عنها عند القدماء

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف
صاحب مجلة الآثار ومؤلف تاريخ
الاسر الشرقية العام

روائيُّ البحر المتوسط

بلاسكو ابانيز

في اواخر شهر دسمبر الماضي كنت اتحدث مع صديقي الفاضل محرر المقتطف عن بلاسكو ابانيز وتآليفهِ ولم يكن ليدور بخلدي وقتئذٍ ألاَّ يمرّ على تلك المحادثة اقل من شهر حتى يصلني من محرّر المقتطف كتاب يحمل بين طياتهِ نبأ وفاة هذا المؤلف العظيم ويقترح عليَّ فيهِ ان اعرّف ابانيز الى قراء المقتطف في مقال موجز

ترددت في الامر . لاني لا اعرف عن ابانيز الكثير . والمصادر التي بين يديَّ عن حياتهِ قليلة جدًّا . وتنحصر اكثر معرفتي بهِ في كتبهِ ومؤلفاتهِ . ولهذا — استميح قرّاء المقتطف عذراً اذا تكلمت قليلاً عن سيرة هذا الرجل . واكثرت من ذكر حياتهِ الخالدة في فنهِ ورواياتهِ

لقد فُجع الادب العالمي في الثلاث سنوات الاخيرة بثلاثة من اركانهِ . اناتول فرانس من فرنسا . وتوماس هاردي من انكلترا . وبلاسكو ابانيز من اسبانيا . كل منهم كان اماماً عظيماً في فنهِ وان اختلفت مناهجهم . فلكلّ نبوغٌ في اسلوبهِ . ولكلّ عبقريةٌ في مسلكه . الاَّ ان كلاًّ من توماس هاردي واناتول فرانس توفي بعد الثمانين من عمرهِ مكرماً محترماً في بلادهِ . ولكن بلاسكو ابانيز توفي في سنّ الستين (وهذه السنّ هي منتصف الحياة الادبية لرفيقيهِ) شريداً عن بلادهِ مغضوباً عليهِ من حكومتهِ منفيًّا عن اسبانيا التي احبها وتألم لاجلها حتى الساعة الاخيرة من حياتهِ

وليس توماس هاردي من طبقة اناتول فرانس او بلاسكو ابانيز — فهو روائي عظيم بدون شك — الاَّ انهُ متمسك بكياسة القديم ونعومتهِ لا ثائراً ولا متمرداً . والقديم دائماً ملطَّف مصقول لا يخدش عاطفة ولا يجرح تقاليد . ان هاردي خلفٌ عظيم للمدرسة الكلاسيكية الادبية وما لها من الابهة والمجد والجمود . فليس بغريب اذا وجدناهُ ينزوي تدريجاً وينسحب الى عالم النسيان قبل وفاتهِ بخمس عشرة سنة . وقد مات كالخادم الامين الذي احيل « الى المعاش » بعد خدمات طويلة

اما اناتول فرانس فكابانيز وهما — على الضد من الروائي الانكليزي الكبير — الثائران اللذان لا يشفقان على القديم وتقاليدهِ . اناتول فرانس هو الثائر المتهكم الذي يظهر غير مكترث للنتيجة . ولكن أليس عدم اكتراثهِ هذا جزءًا من فنهِ ? اوليست ثورتهُ

مستورة تحت غشاء دقيق من فنهِ الرقيق ? وابانيز هو الثائر بدونٍ تكتم ولا اشفاق . لا يشفق على نفسهِ ولا على ابطال رواياتهِ . هو ثائر منذ حداثتهِ فكان الثورة غريزة فيهِ

ولد في بلنسيا باسبانيا في التاسع والعشرين من شهر ينابر سنة ١٨٦٧ وقبل ان يبلغ سنّ الثامنة عشرة كان محرر جريدة جمهورية النزعة . تصدر في مدينة بلنسيا . وحكم عليهِ في ذلك العهد لجرم سياسي نسب اليهِ بالسجن في مدينة برشلونة مدينة الثورات . اما الشعب في بلنسيا فكان يحبهُ محبة شديدة وقد اعاد انتخابهُ للبرلمان الاسباني سبع مرات متتابعة حتى اصبح زعيماً لحزبهِ الجمهوري وذلك قبل بلوغه الثلاثين من عمرهِ

ابتدأ حياتهُ الادبية ايضاً في مقتبل العمر متتبعاً الطريقة الطبيعية مقتفياً آثار خطوات روائيّ فرنسا ، كاميل زولا وغيرهِ ، في النسق والسبك . ولاشك انهُ كان معجباً (كما يظهر في كثير من مواقف رواياتهِ) — برينان واناتول فرانس — . وان كان لم يأخذ عنهما كثيراً . ولم يلبث في دور التلمذة طويلاً . نراهُ ذلك الاستاذ الماهر حتى في فجر حياتهِ الروائية . فروايتهُ (البراكة) او الكوخ الخشبي الحقير ، وهي اول رواياتهِ ، تصف حالة رجل غريب يستولي على قطعة ارض ليعيش فيها مع عائلتهِ بين فلاحي مقاطعة بلنسيا . وهنا يدب دبيب الغيرة والفساد في عقول ذوي النفوس الصغيرة من مجاوريهِ . ورغماً عن ان هذا الموضوع محدود المجال والغاية الاَّ ان ابانيز في هذه الرواية متفوقٌ في فنهِ اذ احاط هذا الموضوع البسيط برونق يمتاز بهِ عن جماهير الروائيين

فهو يصف عذاب هذا النزيل الغريب وآلامهُ النفسية بين جيرانهِ وصفاً يترك في القلب اثراً عميقاً . لم يرَ ذلك الغريب منهم فترة من الشفقة الاَّ عند موت احد اولادهِ ولكنهم لم يلبثوا ان انقلبوا عليهِ واعادوا الكرة بمظاهر التطفل والظلم والاحتقار الناشئة عن قصر عقولهم وبلادة طباعهم ، الى ان انتهى بهم الامر الى طردهِ من بينهم . وهذا يذكرنا بتهكم اناتول فرانس حيث يقول . . هو جاري وبالطبع هو عدوّي . .

لا اعرف بالضبط الوقت الذي ابتدأ فيهِ العالم الادبي خارج اسبانيا يهتم بأبانيز . ولكننا نجد لهُ رواية « الكنيسة » او الكتيدرال مترجمة الى اللغة الانكليزية في سنة ١٩٠٩ ورواية « الدماء في الميدان » مترجمة ايضاً قبل الحرب العالمية . الاَّ ان الجمهور الادبي في اوربا لم يعرف ابانيز الاَّ حوالي سنة ١٩١٧ ، حينما ظهرت روايتهُ « فرسان الرؤيا الاربعة » وتلتها رواية « بحرنا » اي « رواية البحر المتوسط »

في سنة ١٩١٩ وهذه وما قبلها من اعظم روايات الحرب العظمى

اني لم اقرأ ابانيز الا عند ظهور روايته — فرسان الرؤيا . والحق يقال اني تقدمت لقراءة هذه الرواية ببعض التخوف والتردد لانني دائماً اتحاشى الروايات التي تبحث في الموضوعات السياسية المعاصرة اذ هي في الغالب تشوهها الدعاية فتظهر بحلة لا هي فنية صحيحة ولا هي دعاية مقنعة . ولكنني عند الانتهاء من قراءة فرسان الرؤيا وجدت فيها تلك القوة الفنية الحقيقية ، تتخللها دعاية شديدة ، تسير معها نحو الغاية ، بدون اضطراب في الفنّ ومن غير ان يعكر احدهما صفو الآخر . فهي رواية تجمع بين الجمال والحماسة والغيرة والحزن ودقة الوصف والتعبير الى حدّ لا مثيل له

وابانيز في فنه لا يهاجم مباشرة . فهو اذا ثار على مصارعة الثيران ووحشيتها وفظاعتها في بلادهِ كما في رواية « الدماء في الميدان » فعل ذلك بالقدح والتقريع . لا يؤلمنا بوصف هذه القساوة . ولا يرينا سيدة نحيفة رقيقة الشعور تتأثر من هذه القساوة فيحملونها من وسط المسرح مغمياً عليها كما يفعل غيره من الروائيين. لا شيء من ذلك . لا يتألم في الرواية الاّ بطل المصارعة . يتألم من تخوفاته قبل يوم المصارعة ويتألم من حب الكونتس « دوناسول » التي تعشقهُ كبطل وتحتقرهُ لانهُ من العامة ، تتبعهُ عند اوج مجدهِ وترتد عنهُ عند ما تتضاءل شهرتهُ . يموت بطل المصارعة في الرواية فيحملونهُ الى ما وراء الارينا والجمهور الذي يعبدهُ لا يتحرك من مكانه بل يصيح : «لا توقفوا المشهد ! . لا توقفوا المشهد ! » وما هي الاّ دقائق قليلة حتى يعود المشاهدون الى ضجيجهم وقهقهتهم كأنهُ لم يكن امر

وهاك مشهداً آخر من مشاهد تهكّم ابانيز العميق على الحياة والهيئة الاجتماعية. ان بطل رواية « الكتيدرال » رجل اشتراكي ، كابانيز نفسه ، يثور على الكنيسة وعلى الحالة الاجتماعية الحاضرة . ثم يغلب على امرهِ بعد ان يطوف اوربا ، مطارداً من بوليسها ، لمناداته بالثورة الاجتماعية . ويعود مكسور القلب سقيم الجسم الى بلادهِ ، متخفياً متنكراً ، يلتجيء الى اخيهِ الفقير احد خدمة كنيسة توليدو ويعيش عندهُ من اموال تلك الكنيسة التي يكرهها اشد الكره . الاّ انهُ لا يلبث هناك حتى يبدأ يتلمذ الذين حولهُ من خدام الكنيسة البسطاء والفقراء فينجح في اقناعهم للاخذ بارائهِ ولكنهُ لا يؤثر في اعمالهم . يسرقون الكنيسة وعند اقل مقاومة منهُ يقتلونه . نفس تلامذته يقتلونه ! هذه هي الحياة في نظر ابانيز شئنا أم لم نشأ . هي الحياة تهكم وتزدري

بنا . وابانيز يصفها بدون اشفاق على آمالنا وغرورنا

وليس أشد من ابانيز على بلاده وعلى تاريخها وتقاليدها التي تمجد اسبانيا وتلهج ابداً بمجيد تاريخها عقيب طرد العرب منها . واليك ما يقوله عن ذلك العصر :

يجادل بطل رواية « الكنيسة » تلامذته بقولهم : آه على اسبانيا القديمة . آه على مجدها الغابر . آه على ملوكها الذين طردوا العرب منها وجعلوها سيدة الممالك . فيجيبهم الاشتراكي الضعيف المتنكر : « لا تخدعوا انفسكم فان العصر الذي تذكرونه هو ابتداء تقهقرنا . لا تغرنكم اللمعة في تلك العصور . فليس كل ما يلمع ذهباً . لم يأت تاريخ اسبانيا المجيد من الشمال ولا من الكنيسة كما تظنون ، بل من الجنوب ومن العرب . مع العرب اتت الى اسبانيا الحرية لشعبها المقيد تحت نير ملوك الدين ومطارنة الحروب . وما استولى عليه العرب في سنتين استغرق سبعمائة سنة لاخراجهم منه . ذلك لانهم لم يلقوا مقاومة شديدة عند فتحهم بلادنا . فان الشعب الاسباني كان يشعر ان هذا الفتح ليس استعمار السلاح بل استعمار تمدن جديد ، وحرية دينية جديدة ، لم ترها اسبانيا من قبل ولا من بعد . فالعرب جعلوا اسبانيا في ذلك العهد كالولايات المتحدة في اميركا الشمالية . يعيش فيها المسلم والمسيحي واليهودي بحرية تامة ومن غير تعصب ما . وبينما كانت دول شمالي اوربا تتطاحن في حروب دينية وابناؤها يعيشون كالبرابرة ، كان العرب والاسبان واليهود عائشين بسلام معاً كتلة واحدة وامة واحدة . فزاد سكان البلاد حتى بلغوا ثلاثين مليوناً في مدة قصيرة . وارتقى فيها الفن وزهت العلوم وتأسست فيها الجامعات . ملوكها سكنوا القصور وشعبها عاش في الرخاء بينما كانت ملوك بلدان الشمال تبيت في قلاع صخرية سوداء قذرة . وشعوبها تعيش في احقر المنازل يلبسون ويأكلون كالبرابرة المتوحشين

« وماذا عمل ملوك اسبانيا الذين اتوا من الشمال بعد كل ذلك . طردوا الحضارة من اسبانيا . طردوا العرب واليهود واحلوا محلهم الدين والتعصب . أليست الملكة ازابيل هي التي وضعت نظام التفتيش ! ألم تطفئ اسبانيا في ذلك العصر سراج العلم الذي كانت تضيئه الجوامع الاسلامية والكنائس اليهودية واحلت محله قناديل العبادة وسرجها ؟ فصارت اسبانيا تهتم بمواعيد الصلاة اكثر من اهتمامها بالقراءة والتنقيب ، وعندها ابتدأت اسبانيا تموت

«مسكينة اسبانيا ! فانها تعتبر فيليب الثاني اعظم ملوكها في ذلك العصر ولكن الم يكن

فيليب هذا اجنبيًّا عنها . اليس هو القائل : « افضّل ان احكم جثثاً هامدة من ان اكون ملكاً على هراطقة » . نعم قلّ الهراطقة في اسبانيا واليك ما حلّ محلهم : احد عشر الف دير . مائة الف راهب . اربعون الف راهبة . ثمانية وسبعون الف قسيس . سيطر اهل الدين على العلم والسياسة وخيم الجهل على البلاد وكلما زاد جهل اهل الدين زاد تداخلهم في الامور الدنيوية ففُقدت الكتب العلمية حتى لم تكن تجد في جامعة سلامنكا كتّيباً في الجغرافية . وكان تلامذتها يظنون ان علم الرياضيات هو فرع من علوم السحر والتنجيم ولا محل لدرسهِ »

***

ابانيز هو روائيُّ البحر المتوسط . يحب هذا البحرِ ومياههُ الزرقاء ويتتبع في رواياتهِ حركات اسماكه واغارات بحاراتهِ بعطف وحنو كأنهم من ابنائه . يحب شعوبه على اختلاف اجناسها واديانها ويعجب برجالهِ الاقوياء الذين لوحت وجوهَهم شمسُهُ ، ونقى دماءهم هواؤهُ ، وفتلت عضلاتهم شواطئهُ وجبالهُ ، فصيرتهم امضى واصلب من الصوان . يعملون الكبيرة والصغيرة كالجبابرة بدون اشفاق ولا تردد . اذا احسنوا اسخوا وان اساؤا قسوا

عنهم يقول في روايتهِ — ماري نُسترم — اي « بحرنا » : « شعوب البحر المتوسط هم ارستُقراطية الشعوب . بعضهم كانوا قرصاناً . وبعضهم من القديسين . ولكن ليس فيهم من هو بين بين . يصنعون الخير ويرتكبون الشر بجسامة هائلة . يطفرون من طرف الى آخر دون ان يعرفوا للتوسط حالاً

«على هذا البحر شاد الانسان اسمى اعمالهِ . عولس وبركليس كانا من ملاَّحيهِ . جزرهُ انجبت هنيبال ونابليون وغاريبلدى . التشابه بين سكان شواطئهِ كبير . شيماء واحدة وعقلية واحدة . جبال شواطئهِ وازهارها مقسومة شطرين ، شمالية ، وجنوبية ولكنها واحدة . فشعب جنوب ايطاليا وفرنسا اقرب الى اهل شمال افريقيا منهم الى اخوانهم في داخلية اوربا . شعوب شواطئه يميلون بعضهم الى بعض ويفهم بعضهم بعضاً ، ويتآخون بسرعة . وليس بغريب ان يعقد في العصور الوسطى على امواج هذا البحر قرصان الغرب وبحارة جنوى وفرسان مالطة عهد اخاء

***

يشعر كل من يهتم بالفنون الادبية عند قراءة بعض المؤلفين كمن يكتشف كنزاً ثميناً

وكثيرون من المؤلفين نقرؤهم دون ان يثيروا حماستنا . وآخرون نقرؤهم بحماسة ولذة والقلائل منهم نكتشفهم اكتشافاً . فنشعر كشعور مخترع عند ما يصيح : «وجدتها» او كمن يكتشف قارة كبيرة يصغر امامها في عينيهِ العالم القديم الذي كان يعرفهُ من قبل

افاق العالم الادبي في اوربا واميركا سنة ١٩١٧ لهزَّة ادبية عظيمة قلما شعر بمثلها وذلك عند ظهور رواية ابانيز عن الحرب (فرسان الرؤيا) . عندها اكتشفت اوربا واميركا ابانيز . وهذه ليست أعظم رواياته ولا اولها . فلهُ روايات غيرها مترجمة الى الانكليزية منذ سنة ١٩٠٩ لانهُ لم يكن مجهولاً لدى القلائل العارفين . ولكن جمهور اوربا لم يعرفهُ حتى قرأ رواية « فرسان الرؤيا » . وبدأت بعدها شركات النشر تعيد طبع رواياته وتترجم غيرها فاتسع نطاق شهرته اتساعاً عظيماً الى ان قال احد كتاب الاميركان الفكاهيين في ذلك الوقت : « ما دام ابانيز قد ابتدأ يضارب على صناعتنا فالاوفق ان نكسر اقلامنا ونجد لنا صناعة غير الادب لنعيش »

اني لا اعرف من يجاري ابانيز فيما يتركهُ في القارئ من الاثر العميق . ولا من يفوقهُ في فنهِ . وسواء كان موضوعه الحرب العالمية ، اوكنيسة توليدو ، او تأثير الدين على اسبانيا ، او سمّاكي بانسيا ، او فقراء مدريد ، او تعصب الجيران ضد الدخيل بينهم — كل ذلك بجملهُ يحيا امامك بلحم ودم بالصورة الطبيعية من غير مبالغة او تهجم . ويبرز لك صورة منحوتة اجمل وارق من الاصل وابلغ تأثيراً منهُ لان روح — الآرتست — او الفني العظيم فيها . ولان فن ابانيز الخالد يخلدها

ابانيز اول مؤلف اسباني حديث حضنهُ العالم الادبي ووضعهُ في مصاف عمدائهِ

يقول لنا بعض الاسبان : ان بلادهم انجبت من هو اعظم من ابانيز . عسى يصدقون فلست اضن على الادب ان يظهر فيهِ من هو اعظم من ابانيز ولكن العالم الادبي الى الآن لا يصدق ذلك ولا يعرف من اسبانيا غير ابانيز . فاسبانيا وارستقراطيتها التي طردت ابانيز من بلادهِ لا تصلح ان تكون حكماً عليهِ . ولتفتخر فرنسا التي لم تقرأ ابانيز الاَّ مترجماً ، فانها قلدتهُ وسام اللجيون دونور اعترافاً بأدبهِ ونبوغهِ

توفي بمنتون في فرنسا — على شاطئ البحر الذي يحبهُ — في التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٢٨ اي في مثل اليوم الذي ولد فيهِ . وقد اشتركت جميع فرنسا بالحزن عليهِ واوفدت باريس الوفود مع اكاليل الزهر الى منتون لتشييع جثمانه ، وهو ليس فقيدها فقط ، بل فقيد العالم الادبي باجمعهِ

يافا الدكتور سليم شحاده

الاشعة السموية

Cosmic Rays

اشعة تجيء الارض من الفضاء وتخترق ما سمكه ست اقدام من الرصاص فكأن فعلها اقوى من فعل اشعة اكس نحو ٢٥ ضعفاً. ان كشفها وتحقيقها من بدائع المباحث العلمية العصرية . وفي هذه المقالة خلاصة لذلك بقلم احد مكتشفيها الاستاذ ملكان الاميركي احد نائلي جائزة نوبل للطبيعيات

انتبه الاستاذان ملكان ورذرفورد ومساعدوهما سنة ١٩٠٣ الى ان الالكترسكوب (دليل الكهربائية) ترشح الكهربائية منهُ ولو كان مسدوداً سدًّا محكماً لا يدخلهُ الهواء وتحيط بهِ ورقة من الرصاص سمكها بضعة سنتمترات مما يدلُّ على ان اشعة كهربائيـة ايجابية او سلبية اخترقت ورقة الرصاص واتصلت بالالكترسكوب واتحدت ببعض الكهربائية التي فيهِ فعدلتها اي ازالتها فدعيت هذه الاشعة « الاشعة النافذة »

وسنة ١٩١٠ اخذ العالم السويسري غوكل الكترسكوباً في بلون وصعد بهِ الى علو اربعة آلاف وخمسمائة متر فوجد على غير ما كان ينتظر ان رشحان الكهربائية من الالكترسكوب على هذا العلو اكثر منهُ على سطح الارض . فبني على ذلك المذهب القائل بانهذه الاشعة غير صادرة من الارض بل من الفضاء. وكان الاستاذ رتشردصن قـد ذهب الى ان جانباً منها صادر من الفضاء قبلما جرَّب الاستاذ غوكل تجربتهُ المذكورة

وفي السنوات الاربع التي تلت ذلك وسبقت نشوب الحرب اشتغل الاستاذ هس في النمسا والاستاذ كولهرستر في المانيا بهذا الموضوع فاقتفيا خطوات غوكل في اصعاد الالكترسكوب ببلون الى مرتفعات مختلفة ودونا مقدار الرشح كلما اختلف الارتفاع فثبت لكولهرستر ان الرشح يقل الى ارتفاع الف متر ثم يزيد رويداً رويداً الى ارتفاع تسعة آلاف متر حيث بلغ الرشح سبعة اضعافهِ على سطح الارض

ونشبت الحرب العظمى فوضعت حدًّا لهذه المباحث ولكن في خريف ١٩٢١ وربيع ١٩٢٢ خطا ملكان وبوِنْ الاميركيَّان خطوة جديدة في توسيع نطاق هـذه المباحث اذ بنيا الكترسكوباً يدوّن بطريقة آليّـة مقدار ما يرشح منهُ من الكهربائية ووضعوهُ في بلونٍ مقيَّد اطلق في الجوّ فارتفع البلون الى علو عشرة اميالٍ نحو ١٥٥٠٠ متر — ثم اعيد الى الارض وامتحن الالكترسكوب وما رشح منهُ فثبت من هـذه

التجربة صحة النتائج التي وصل اليها الباحثون في اوربا بوجه عام

***

الا يصحّ ان يكون الهواءُ نفسهُ مصدر هذه الاشعة ؟ واذا كانت صادرة من الفضاءِ فما هو اثر الهواءِ وغيرهِ من المواد في امتصاصها او اضعاف قوتها !

في سنة ١٩٢٣ خطا كولهرستر في اوربا وملكان واوتس في اميركا خطوة الى الامام للاجابة عن هذا السؤال . ذلك ان الاول اخذ الكترسكوبهُ الى احد قنن الالب وطمرهُ في أحد انهارها الجليدية فبقي الرشحان منهُ كما كان قبلاً . ثم عدّل تجربتهُ اذ حفر حفرة عميقة في الثلج ووضع الالكتروسكوب متجهاً الى الفضاء فدار مع الارض في دورتها واتجه في اثناء دورانهِ الى انحاءٍ مختلفة من الفضاءِ فثبت للاستاذ من مراقبة الرشحان منهُ انهُ يكون على اكثرهِ متى كان الالكترسكوب متجهاً الى كوكبة هرقل وكوكبة المرأة المسلسلة .وهذا شدّد اعتقادهُ بان اصل هذه الاشعة من الفضاءِ وخصوصاً لان في جهة كوكبة المرأة المسلسلة سديم المرأة المسلسلة وهو احد « العوالم الجزُرية » التي خارج المجرة وقد وصفهُ الاستاذ جينز رئيس الجمعية الفلكية الملكية الانكليزية انهُ الانبوب التي تولد فيهِ الطبيعة اشعتها التي من قبيل اشعة اكس . وجرب تجاربهُ ايضاً بتغطيس الالكترسكوب في بِرك من الماء على سطح البحر فوجد ان ماءها لا يمنع الرشحان

اما ملكان واوتس فاخذا الكترسكوبهما الى جبل پيكس پيك بعد ما احاطاهُ بالواح كثيفة من الرصاص ولكن التجربة لم تأتِ بدليل جديد مقنع على ان مصدر هذه الاشعة من الفضاءِ . وبقي العلماءُ يتراوحون بين الشك واليقين والنفي والتأييد وخصوصاً لانهُ لم يكن ما يمنع وجود آثار للمواد المشعة في ثلج الانهر الجليدية او ماءِ البرك وهي المواد التي جرّب كولهوستر تجاربهُ فيها فتحدث الرشحان في الالكترسكوب. اضف الى ذلك ان هوفمن في المانيا وسوان في اميركا اعلنا انهُ بعد تجارب دقيقة جدًّا لم يقتنعا بالرأي القائل ان مصدر هذه الاشعة في الفضاءِ

***

وفي سنة ١٩٢٥ اثبت الاستاذ ملكان بمعاونة الاستاذ كمرون ان مصدر هذه الاشعة من الفضاءِ واطلق عليها اسم الاشعة السموية Cosmic Rays ونسبها كتّاب الصحف اليهِ فقالوا اشعة ملكان كما قالوا قبلا اشعة رنتجن

وخلاصة هذه التجارب ما يأتي :

انزل الباحثان الكترسكوباً مسدوداً سدًّا محكماً في ماء بحيرة ميوَر بكاليفورنيا التي يبلغ ارتفاع عمقها ١١٨٠٠ قدم عن سطح البحر وماؤها من ذوب الثلج النقي لم يختلط بمياه الينابيع التي قد يكون فيها شيء من المواد المشعة فثبت لهم وجود اشعة غريبة تحدث الرشح في الالكترسكوب ولما صار الالكترسكوب على عمق ١٨ متراً من سطح البحيرة بطل فعل الاشعة المذكورة فيهِ اي ان جسماً من الماء سمكهُ ١٨ متراً يحجبها كما يحجب الورق الابيضُ النورَ العاديَّ وكما تحجب ورقة من الرصاص اشعة اكس . فاما ان تكون هذه الاشعة خارجة عن ماء البحيرة او هي صادرة من مادة منتشرة في ماء البحيرة انتشاراً منتظماً وهذا يدعو الى الاستغراب. فاعادا التجربة في بحيرة اخرى تبعد عن البحيرة الاولى ٣٠٠ ميل وارتفاعها ٦٧٠٠ قدم فكانت النتائج الجديدة مماثلة للنتائج الاولى . ولما جمعا بين نتائج هذه التجارب ونتائج المباحث التي قام بها غيرهم من العلماء توصّلا الى النتائج التالية :

اولاً : ان الفعل الذي دوّنهُ الالكترسكوب في بحيرة ميور لم يكن ناجماً عن مواد مشعة مذابة في مائها

ثانياً : ان مصدر الاشعة التي احدثت هذا الفعل خارج عن طبقة الهواء التي تحيط الارض وان طبقة الهواء قد امتصت جانباً كبيراً منها وان مقدار ما امتصهُ الهواء يثبت انها قادمة من مكان خارج عنهُ

ثالثاً : ان فعل الاشعة في مكانين يبعد احدهما عن الآخر ٣٠٠ ميل كان متماثلاً على مرتفعات متماثلة

رابعاً : ان هذه الاشعة تجيء من كل انحاء الفضاء على التساوي

***

وفي سنة ١٩٢٦ جرب الاستاذ ملكان بمساعدة الاستاذ كمرون مثل هذه التجارب في بحيرات على قمم جبال الاندس في اميركا الجنوبية وارتفاع احدها يبلغ ١٥٤٠٠ قدم ثم في بحيرتين في ولاية كاليفورنيا سنة ١٩٢٧ فكانت النتائج ما يأتي :

اولاً : كانت نتائج البحث في بحيرة تتيكاكا وارتفاعها ١٢٥٤٠٠ قدم وبحيرة ميجويلا وارتفاعها ١٥٠٠٠ قدم مؤيدة لمباحثهما في بحيرة ميور وقمة بيكس بيك. فانهُ لدى تحليل نتائج البحث في اماكن التجارب المختلفة ورسمها في خطوط بيانية ظهر ان

الخطوط البيانية متشابهة شكلاً اي ان النتائج متماثلة تختلف باختلاف علو المكان ولا تختلف باختلاف الموقع الجغرافي

ثانياً : ان بحيرة ميجويلا على ارتفاعها تحيط بها سلسلة من الجبال ولذلك فهي غير معرضة للعواصف وما تثيره في كهربائية الجو من الاضطراب الكهربائي المغنطيسي. وقد كانت نتائج البحث فيها مماثلة لغيرها من الاماكن المعرضة للعواصف واضطراب كهربائية الجو. اضف الى ذلك ان ملكان جرّب تجارب مختلفة على شواطئ پيرو وهي كثيرة العواصف وعلى شواطئ كاليفورنيا وهي رائقة الجو صافية الاديم فلم يجد فرقاً ما في رشح الالكتروسكوب ولذلك دُحض قول الاستاذ ولسن بان مصدر هذه الاشعة من كهربائية الجو بعد ما تثيرها العواصف

ثالثاً : جربت التجارب على سطح البحر في اماكن مختلفة على شواطيء الباسيفيك بين لوس انجلوس بكاليفورنيا ومُلّندو بپيرو فكانت النتائج واحدة لا تختلف باختلاف الموقع الجغرافي

رابعاً : جربت تجارب القصد منها معرفة ناحية الفضاء التي تصدر منها هذه الاشعة اكثر مما تصدر من غيرها . فثبت لهما ان المجرّة ليست مصدراً خاصاً لهذه الاشعة لان الرشح في الالكترسكوب لم يختلف حين كان متجهاً الى المجرة او حين كان متجهاً عنها. وهذا يؤيد مباحث هوفمان وشينكه ولكنهُ يختلف عن النتائج التي وصل اليها بُتنر وكولهرستر . وعليهِ فلم يثبت بعد ان لهذه الاشعة مصدراً خاصًّا في الفضاء تصدر منهُ اكثر مما تصدر من غيرهِ والمرجح انها تجيء الارض من السدم اللولبية التي وراء المجرة . وانها تنشأُ من تغيّر حادث في جواهر المادة يرى بعضهم انهُ انحلال المادة وفناؤها ولكن لم يقم دليل علمي على ذلك بعدُ

***

المجهولات في الطبيعة اكثر كثيراً من المعلومات . نرى هذه المجهولات في نواميس الجماد وفي خواص الحيوان والنبات واذا قسنا ما نعلمهُ بما لا نعلمهُ وجدنا اننا لا نعلم شيئاً يذكر واننا لسنا سوى مشاهدين وواصفين . مَن منا يعلم لماذا تنوَّعت العناصر في اشكالها والوانها وخواصها . مَن منا يعلم كيف انواع النبات والحيوان التي تعدُّ بمئات الالوف وكيف تختلف افراد كل نوع منها واصنافهُ ؟ فهل يكون لهذه الاشعة يد في كشف بعض المجهولات وتعليل ما نجهل علتهُ ؟ ذلك ممَّا تصبو العقول الى معرفتهِ

الجامعة المصرية في عهدها الجديد

الاحتفال بوضع حجر الاساس في بنائها بحديقة الاورمان بالجيزة

في ٧ فبراير سنة ١٩٢٨

١

خطبة صاحب المعالي علي الشمسي باشا

وزير المعارف ورئيس الجامعة الاعلى

مولاي صاحب الجلالة :

يحق لمصر ان تفخر بهذا اليوم المبارك الذي تؤسس فيهِ يدكم الكريمة بناء جامعتها الكبرى . وليس هذا الاساس الذي تتفضلون بوضعهِ اليوم باول ما أقمتموهُ في بناء الجامعة المصرية . فلقد شايعتم الامة بجهدكم الجليل منذ سنة ١٩٠٨ في العمل على انشاء جامعة اهلية وامددتم تلك الجامعة بعظيم الثقة اذ توليتم رآستها . وبذلتم ثمين وقتكم في تعهدها ، وتجشمتم الاسفار لزيارة كبرى جامعات الغرب واقتباس خير طرائقها ونظمها . فعملتم بهذا على انهاض الجامعة وترقيتها

كذلك كانت لجلالتكم اليد الطولى في انشاء الجامعة الحالية منذ شرعت الحكومة عام ١٩٢٣ في تحقيق هذا الغرض العظيم . وان من يُمن طالع الجامعة ان تدرج في كفالتكم ، وتشب في رعايتكم ،وان يكون لها دائماً من عطفكم السامي هذا الموضع الكريم

مولاي صاحب الجلالة :

اني اذا اردت ان ابيّن الغرض الذي بعث على التفكير في انشاءِ الجامعة فلست أجد اجمع مما قلتم جلالتكم في الخطاب الذي تفضلتم بالقائه في حفلة افتتاح الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ « لقد حان الوقت الذي تقضي بهِ الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة في نفس القاهرة » حتى تتربى فيهم « فضيلتا الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح »

فالغرض الذي تفضلتم بالابانة عنهُ ، والشعور السائد بنقص التعليم في ذلك الوقت والرغبة الشديدة في فتح أبواب للثقافة الحقيقية — كل ذلك هو الذي كان قد حدا



حضرة صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف

امام الصفحة ٣٢٠

مقتطف مارس ١٩٢٨

بعض النابهين من ابناء هذه الامة الى التفكير في انشاء الجامعة فنهضوا سنة ١٩٠٦ وفي طليعتهم سعد زغلول وقاسم امين وبعثوا ألسنتهم وأقلامهم بالدعوة اليها وسرعان ما لبى دعوتهم العاملون الغيورون ، واكتتبوا لهذه الغاية بسخاء عظيم ، اكتفي بأن أذكر من بينهم بكل اعجاب واحترام الاميرة الجليلة المغفور لها فاطمة هانم ، فلقد نفحت الجامعة من العقار والمال بما قوى دعائمها وثبت قوائمها وبعثها في الحياة قوية العزم بعيدة الامل

مولاي صاحب الجلالة : لقد بدأت الجامعة الاهلية سعيها بارسال بعثات من الطلاب الى جامعات اوربا ليتهيأ لها منهم اساتذة يعلّمون العلوم العالية بلغة البلاد . كما جاءت في الوقت نفسه بطائفة من افاضل الاساتذة لالقاء محاضرات في تاريخ الحضارة القديمة في مصر والشرق ، وتاريخ الحضارة الاسلامية ، اذكاءً لعزائم المصريين كلما ذكروا ماكان لهم من فضل السبق ونباهة الشأن حتى يعملوا على استرجاع مجد كان رفيعاً

ولم يمضِ غير قليل حتى فرضت الجامعة دراسات منظمة في التاريخ والآداب العربية والفلسفة والقانون وجعلت تمنح درجات علمية لمن يجوز امتحاناتها التي كان يشترك في لجانها مندوب من وزارة المعارف

وفي سنة ١٩١٥ رأت الحكومة ان تشايع الامة على رغبتها في التزيد من العلم العالي في نفس بلادها ، فشكلت لهذه الغاية لجنة مختلطة عالجت البحث ثم قدمت تقريرها في سنة ١٩١٧ ، وضمنتهُ مشروعاً يقضي بجمع المدارس العالية القائمة في ادارة واحدة

وفي سنة ١٩٢٣ أشار مولانا صاحب الجلالة على وزير معارفهِ حين ذاك باحياء موضوع الجامعة فانشأ يضع لها نظاماً ، واتصل بمجلس ادارة الجامعة القديمة ، وتم التعاقد بين الطرفين على ادماجها في الجامعة الجديدة ، على ان تكون نواة لكلية الآداب ، وبشرط ان تكون الجامعة الجديدة مستقلة في ادارتها . وقضى المشروع بان تنتظم ادارة الجامعة أربع كليات هي : الآداب والعلوم والطب والحقوق . وفي سنة ١٩٢٥ صدر قانون الجامعة الجديدة وهو الذي وافق عليهِ البرلمان في الدورة الماضية

من هذا يتبين يا مولاي ان الجامعة لم تخلق اليوم خلقاً ولم تأت عفواً ، بل هي صفحة مجيدة من صفحات النهضة الحديثة لشعبك الكريم هي ثمرة جهود صادقة متلاحقة قامت وتواصلت اكثر من عشرين عاماً

مولاي صاحب الجلالة : ان الجامعة التي شاركتم البلاد في انشائها اولاً ، وبعثتموها للحياة القوية ثانياً ، ما برحت حريصة على تحقيق الاغراض السامية التي انشئت من

أجلها . وقد اخذت الآن تستكمل مراتب التعليم العالي في جميع كلياتها حتى يتهيأ للبلاد الاستغناء عن كثير من البعوث العلمية التي ترسلها كل عام الى الخارج فلا تبقى مصر من جهة العلم ، كما قال دولة ثروت باشا في الخطاب الذي القاهُ في حفلة افتتاح الجامعة القديمة ، عالة على بلاد الغرب

والامل المعقود في الجامعة الآن ان نربي في شبيبة المتعلمين فيها ملكات حب العلم والتعمق فيهِ ، وحب البحث العلمي لتخرج في مصر طوائف من العلماء الباحثين المتحررين لطلب الحقائق العلمية . واولئك الذين يستطيعون ان يثبتوا لبلادهم العظمة العلمية والفنية الجديرة باسمها القديم ، وحينئذٍ يتهيأ لمصر ان تحتمل هي الاخرى قسطها في بناءِ الحضارة العالمية وان تشارك جماعة الامم في العمل على تقدم المدنية ورفعة الانسانية

وقد قدر لمصر ان تكون في ملتقى الشرق بالغرب ، وهي بهذا قبلة الانظار ومحط الرحال كما عقدت لها في نفوس اهل الشرق القريب امامة العلم ، وفي هذا مجدها وفخارها . وستعمل على الدوام للمحافظة على هذه المكانة السامية وستكون جامعتها ان شاءَ الله مناراً عالياً يهدى اليها طلاب العلم ليغترفوا من بحارها ويستضيئوا بانوارها

لهذه الاعتبارات ومطاوعة لتلك الآمال لم تضن الحكومة بما تطلبتهُ حاجة الجامعة الى الاموال في سبيل تزيدها في فنون العلم وترقيها الى كمالها المقسوم لها . فلقد جعلت تمدها سنويًّا منذ نشأتها الجديدة سنة ١٩٢٥ باعانات مالية تزيد طوعاً لنمو الجامعة . فبدأت الاعانة اول عام بمبلغ الفي جنيه مصري وقدرت في مشروع الميزانية الجديدة بمبلغ ١٣٣٥٠٠ ج . م . ومنحتها الحكومة هذه الارض التي تبلغ مساحتها تسعين فداناً تقريباً وقررت ان تقوم بنفقات البناء أيضاً . كما خصت بكلية الطب ومستشفاها أرضاً اخرى في منيل الروضة تبلغ مساحتها أربعة واربعين فداناً تقريباً وستقوم الحكومة كذلك بنفقات المباني المرسومة لهذا الغرض

والبناء المشروع فيهِ اليوم يتناول ثلاث كليات هي : الآداب والعلوم والحقوق . وقد أفرد من هذه الارض جزء فسيح لتقام عليهِ (في المستقبل) « مدينة جامعية » فيها مساكن للطلبة وأماكن للاجتماعات العامة الرياضية وما الى هذا من المرافق

وقد وضع تصميم هذه المباني كلها في وزارة الاشغال حيث قامت بهِ مصلحة المباني

مولاي صاحب الجلالة : على اسم الله تضع يدك الكريمة الحجر الاساسي في بناء الجامعة فتضمن لها البركة والنجاح على وجه الزمان . وهي ايضاً ستضمن لك دعاء

الاجيال المقبلة التي تطبعها على الثقافة الحقيقية . أدامك الله يا مولاي ذخراً لآمال مصر ، واقر عينيك بولي عهدك المحروس بعناية الله

٢

خطبة صاحب العزة احمد لطفي السيد بك

مدير الجامعة

مولاي : الى جلالتكم ترفع الجامعة المصرية آيات اخلاصها العميق لشخصكم الكريم واعترافها بنعمتكم المتصلة التي هي مدينة لها بوجودها وبرعايتكم السامية التي شملتها في جميع ادوار حياتها. حقاً يا مولاي لكل من مرافق البلاد من عطفكم حظ معلوم ولمعاهد التعليم وجمعيات العلوم والآداب والفنون حظوظ اوفر ولكن الجامعة التي يتصل تاريخها في كل ادوارها بشخصكم الكريم بل التي هي من عمل يدكم ونتيجة جهودكم الشخصية — هذه الجامعة التي انشأتموها وليدة ورعيتموها فتية لها من عطفكم مركز خاص هذا العيد بعض آثاره

مولاي : ان امتكم العتيقة بمدنيتها الماضية والفتية بجهودها الحالية والواثقة بما يدخره المستقبل لها من العظمة لم تقنع بعد بمجدها الغابر بل تتطلع الى مجد جديد . وليست مسألة المجد الا مسألة المدرسة فقد تشهد تجارب الامم ان مجد الامة انما يقاس بمقدار ما انتجت مدارسها من اهل العلم والثقافة والاخلاق. فهمت الامة المصرية هذه الحقيقة حق فهمها فانبعثت منها حركة عميقة نحو العلم العالي المقصود لذاته يدرس في مصر ويخدم فيها لتتحمل من المسؤولية عن الرقي العالمي النصيب اللائق بمقامها بين الامم . احس المأسوف عليهما سعد زغلول باشا وقاسم امين بك واصحابهما هذا الميل العام فدعوا الى انشاء الجامعة المصرية ولجأوا في حماية هذا المشروع ورآسته الى حضرة صاحب السمو الامير احمد فؤاد فوصل المشروع بعنايته اولاً وبرعايته ثانياً الى الحالة الراهنة من امر الجامعة المصرية . واني انتهز هذه الفرصة النادرة بين يدي جلالة مولاي الملك لابسط بالايجاز طرفاً من تاريخ الجامعة الى ما وصلت اليه اليوم

مرت الجامعة في مراتب الوجود بادوار ثلاثة : دور الدعاية والتمهيد . ودور البدء في التنفيذ . ودور التمام

اما الدور الاول فيبتدئ من يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٦ اذ اجتمع نخبة من

اهل الغيرة على التربية في دار المرحوم سعد زغلول باشا وتعاقدوا على الدعوة لانشاء الجامعة وقرروا فيما قرروهُ ان تكون الجامعة بمعزل عن السياسة ولا يقبل في العمل بها احد من الساسة ذلك ليصونوا مشروعهم من التهم السياسية لان اولي السلطان وقتئذٍ كانوا لا يميلون الى مشروع كهذا او على الاقل كانوا يقولون ان الوقت لم يحن بعد الى ان تصبح حرية التفكير في مصر عقيدة من العقائد ولاشك في ان اعتناق حرية التفكير والدفاع عنها نتيجة لازمة للتعليم الجامعي . اقبل الناس على الاكتتاب للمشروع لكنهُ مع ذلك لم يلبث ان تراخى امرهُ فرأى القائمون بالمشروع وعلى رأسهم قاسم امين بك ان لا سلامة لهُ الاَّ بان يوكل الى سمو الامير احمد فؤاد . كان ذلك وقبل الامير زعامتهُ ودافع عنهُ وكان لنفوذهِ اثر بيّـن في اشتداد حركة الاكتتاب للمشروع والوقف لهُ واجتمعت جمعية المكتتبين في ديوان الاوقاف تحت رآسة سموهِ في ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ وسموا جمعيتهم باسم « الجامعة المصرية » وقرروا لائحتها وانتخبوا سمو الامير رئيساً للجامعة وكانت فاتحة آثارهِ فيها ان تغير رأي الحكومة بعض الشيء في امرها بل نفحتها اعانة ٢٠٠٠ جنيه سنويًّا ونفحها ديوان الاوقاف بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه سنويًّا ونفحها الامراء والاعيان بمبالغ يعتدُّ بها . وقد يحسن في هذا المقام الاشارة الى مجهودات مجلس الجامعة الاول الذي عاون سمو الامير واخص بالذكر حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا الذي يستمر يشتغل بمجلس الجامعة عشرين عاماً من ٢٣ مايو سنة ١٩٠٨ الى هذه الساعة

اما أعمال التمهيد فكانت بمحاضرات الثقافة العامة التي كان يشرف عليها يوميًّا سمو رئيس الجامعة وبارسال بعثة علمية من الشبان المصريين بلغ عددهم اربعة وعشرين للتخرج في العلوم العالية وليحضّروا انفسهم ليكونوا معلمين في كليات الجامعة ولم تكن عناية سمو الرئيس بهذه البعثة اقل من عنايتهِ بامر حماية المشروع والتمهيد لتحقيقهِ داخل البلاد . وكذلك تناول التمهيد تأليف مكتبة الجامعة وينسب جلّ ما فيها من الكتب القيمة والنقود والانواط الى نفوذ سمو الرئيس في البيئات العلمية الاوربية عند بعض رؤساء الحكومات بل بعض ملوك الامم الكبرى ولا شك في ان جمع المكتبة اول تمهيد ضروري لافتتاح كلية الاداب اذ المكتبة منها بمثابة العمل في كلية العلوم. وقد فتحت المكتبة أبوابها للطلبة وغير الطلبة من يوم دخول الجامعة في دورها الثاني أي يوم افتتاح كلية الآداب كان لا بد للجامعة من بناء خاص وكانت مواردها لا تسمح بذلك



حضرة صاحب العزة احمد لطفي السيد بك

مدير الجامعة المصرية

امام الصفحة ٣٢٣

مقتطف مارس ١٩٢٨



الصحيفة الاولى من الـكراسة التي وضعت في حجر الجامعة المصرية الاساسي مع مجموعات الجرائد والنقود والطوابع المصرية وعلى الصفحة توقيع جلالة الملك وقد كتب فيها « بعون الله تعالى قد وضع حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر المعظم الحجر الاساسي في بناء الجامعة المصرية يوم الثلاثاء ١٥ شعبان سنة ١٣٤٦ — ٧ فبراير سنة ١٩٢٨ »

(فؤاد)

حتى لفت المرحوم الدكتور علوي باشا نظر المغفور لها الاميرة فاطمة هانم اسماعيل الى الجامعة فغمرتها باحساناتها وهذا البناء الذي يحتفل بوضع الحجر الاول منهُ اليوم هو أثر من آثارهذه الاريحية الخالدة وسيكتب عليه اسمها اعترافاً بجميلها واحتراماً لشرط وقفها

سارت كلية الآداب سيراً طبيعيًّا وتخرج فيها شباب اكفاء . وقد لا يكون من الانصاف ان يقاس نفعها بمقدار من تخرجوا فيها لانهُ اذا كان الطلبة المقيدون بها قليلين فلاشكَّ في انها ادت للثقافة العامة خدمة تذكر وافادت كثيراً من الشبان والشابات المستمعين الذين كانوا يحضرون دروسها بالمئات . فلما كانت الحرب قلت موارد الجامعة قلة معها وقف تيار ارتقائها الى ان اتفقت الجامعة مع الحكومة في سنة ١٩٢٣ على ادماجها في الجامعة الجديدة وجعلها نواة لكلية الآداب بها

الجامعة الجديدة

ابتدأ هذا الدور الثالث دور التعليم بمرسوم بقانون في ١١ مارس سنة ١٩٢٥ بانشاء الجامعة المصرية وعضد بالقانون الصادر في ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٧

بهذا القانون ادمجت الجامعة الجديدة في الجامعة القديمة ومدرسة الحقوق ومدرسة الطب وانشئت كلية العلوم انشاء . وتنفيذاً لهذا القانون وضع مجلس الجامعة لوائح للكليات الاربع بصفة مؤقتة جرى عليها العمل الى ان يعرض على البرلمان ما يختص منها بخطط الدراسة ومنح الشهادات وشروط توظف موظفي التدريس ثم يعرض على الحكومة بقية اللوائح والمأمول أن يتم ذلك في هذه الدورة البرلمانية الحاضرة

كلية الآداب

أما كلية الآداب فقد قسمت الى ستة أقسام يبتدئ التخصص في كل منها من اول سنة وهي : — قسم اللغة العربية واللغات السامية . قسم الآثار المصرية. قسم الفلسفة وعلم الاجتماع . قسم التاريخ والجغرافيا . قسم اللغات الحية. قسم الآداب اليونانية والرومانية

وفي كل هذه الاقسام يحضر الطلبة لنيل درجة الليسانس في الآداب في مدة اربع سنين. كذلك تمنح الجامعة درجة الماجستير في الآداب للطالب الذي بعد حصوله على الليسانس بسنتين يقدم رسالة ترضاها الكلية . وتمنح درجة الدكتوراه لمن حصل على الليسانس منذ ثلاث سنوات وقدم رسالتين ترضاهما الكلية

ولقد خصصت في الكلية دراسة تحضيرية للحقوق الغرض منها الثقافة وان كانت تشمل أيضاً درساً في مقدمة الشريعة الإسلامية ودرساً في مقدمة القوانين

يقوم بالتدريس في الكلية احد عشر استاذاً من اولي الكراسي منهم اثنان مصريان وتسعة أجانب واربعة من الاساتذة المساعدين أحدهم أجنبي وسبعة مدرسون منهم ثلاثة أجانب. ويقوم الاساتذة علاوة على التدريس في الكلية بالقاء محاضرات للجمهور في قاعة الجمعية الجغرافية وفي جمعية الاقتصاد السياسي

وعدد الطلبة في هذه الكلية ٥٠٦ منهم ٣٤٨ يحضرون للحقوق و١٥٩ للآداب

وقد تحسن الاشارة هنا الى ان قسم الآثار المصرية يتم هذا العام دراسة الليسانس والمظنون ان يرسل اربعة من خريجيهِ الى اوربا للتخرج على اساتذة الآثار هناك ليكونوا بعد ذلك اساتذة في هذا القسم الذي ينبغي ان يعنى بهِ عناية خاصة حتى يصير معهد تعليم الآثار في مصر مقصوداً من كل ناحية والميل في الجامعة متجه الى انشاء قسم للآثار العربية بجانب قسم الآثار المصرية . من الطبيعي ان تكون جامعة مصر بلد الآثار هي المركز العام للبحوث الاثرية لا ان يستمر المصريون يتعلمون من غيرهم آثار آبائهم

كلية العلوم

يدرس الآن في كلية العلوم الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية والكيمياء والنبات والحيوان والجيولوجيا . وقد اتخذت من هذه المواد ثلاث مجاميع يكون التخصص في كل مجموعة منها من السنة الاولى ومدة دراسة هذه المجاميع اربع سنين للحصول على درجة بكالوريوس في العلوم وستمنح الجامعة درجة ماجستير ودرجة دكتوراه في العلوم بالاوضاع والشروط المقررة في اللائحة

وفي هذه الكلية قسم خاص لتحضير طلبة الطب في مدة سنة واحدة . وعدد الطلبة فيها ٣٧٨ منهم ٢٥٣ يحضرون للطب و١٢٥ للعلوم . واساتذتها سبعة اصحاب كراسي احدهم مصري وفيها استاذان مساعدان مصريان

اما المدرسون فعددهم ثلاثة عشر منهم خمسة اجانب والمدرسون المساعدون والمعيدون والمحضرون عددهم اربعون كلهم مصريون. وقد تحسن الاشارة الى انهُ سيكون من الصعب بقاء الكلية في مكانها الحاضر بعد سنة ١٩٣٠ والمأمول ان يتم بناء هذه الكلية هنا في هذه المدة

كلية الحقوق

ادخل على خطط الدراسة ومناهج التدريس في هذه الكلية تعديل جديد يتناول قصر مدة الدراسة المؤهلة لدرجة الليسانس على ثلاث سنين والتوسع في بعض المواد وتغيير في ترتيب سنيها

وانشئ فيها قسم للدكتوراه يدرس فيه نخبة من كبار الاساتذة الاوربيين يعاونهم الاساتذة المصريون الذين يدرسون في قسم الليسانس كما ان اساتذة الدكتوراه يلقون محاضرات في قسم الليسانس

وتلقى الدروس في قسم الليسانس باللغة العربية واما المحاضرات فباللغة الفرنسية والانجليزية وقد رؤي من يوم ادماج مدرسة الحقوق في الجامعة الغاء القسم الليلي في هذه المدرسة ولم يبق من هذا القسم الاّ السنة الاخيرة

وعدد طلبة الكلية ٥٩٩ منهم ٥٠٤ قسم الليسانس و٩٥ بقسم الدكتوراه

وعدد الاساتذة ذوي الكراسي تسعة منهم اثنان مصريان والاساتذة المساعدون ستة احدهم اجنبي والمدرسون ومساعدوهم تسعة احدهم اجنبي

وقد نحت الكلية في تعاليمها نحو الكليات الاوربية من حيث صرف جل عنايتها الى تكوين ملكة التفكير القانونية عند الطلبة والاستزادة من دراسة تاريخ القانون ومقارنة الشرائع ومن حيث اعداد قاعات للبحث يشترك فيها الطلبة والاساتذة في البحوث العلمية

كلية الطب

كذلك ادخل تعديل على خطط الدراسة ومناهجها في كلية الطب وأضيف اليها مدرسة طب الاسنان كفرع من فروعها . وأنشئت فيها بعض الاقسام التي لم تكن موجودة من قبل . وجعلت مدة الدراسة بها أربع سنين وثلاثة أشهر لنيل درجة بكالوريوس في الطب وأنشئت فيها درجات عالية وشهادات للتخصص وهي :

دكتوراه في الطب . ماجستير في الجراحة . ماجستير في جراحة طب الاسنان. ماجستير في الصيدلة . دبلوم التخصص في طب المناطق الحارة والصحة العامة . دبلوم التخصص في الرمد

وعدد الطلبة ٨٥٨ منهم ٦٣٣ في قسم الطب والجراحة و٩٢ في طب الاسنان و٢٩ في الصيدلة و٨٦ في المرضات و١٨ في قسم مساعدي الصيادلة . وعدد الاساتذة ذوي الكراسي ١٥ منهم خمسة مصريون والاساتذة المساعدون خمسة مصريون والمدرسون ١٦ منهم أجنبيان والمدرسون المساعدون ١٧ منهم أجنبيان والمعيدون ١٤ وكلهم مصريون

ولا حاجة للتنبيه الى ضيق هذه الكلية ومستشفاها عن حركة التعليم ولكن الحكومة قررت بناء كلية الطب ومستشفاها في منيل الروضة وعقدت لذلك مسابقة نال الجائزة الاولى فيها بيت المعماريين كولاس وديكسون بلندن وقد وكلت اليه أخيراً وضع الرسوم

التفصيلية ومباشرة البناء والمأمول ان يوضع الحجر الاساسي في ذلك البناء الضخم هذا العام

على ذلك يكون عـدد طلبة الجامعة ٢٣٤١ منهم ١٢ ٪ قد أعفوا من المصروفات و٢ في المائة اعفوا من نصف المصروفات كل على قدر اجتهاده

وقد تحسن الاشارة هنا الى أن الجامعة لم تستطع ان تجعل اللغة العربية لغة التعليم كما هو مرجو وان كان لها في التعليم حظ عظيم في كلية الحقوق وبعض أقسام الكليات الاخرى . والمأمول أن قسط اللغة العربية في التعليم يزداد شيئاً فشيئاً بالزمان وكلما أمكن ذلك من غير ان تستتبع صعوبة في الاتصال بالحركة العلمية في اوربا ذلك الاتصال الذي يجب على العلم المصري ان يرقاهُ فضل رعايتهِ ولهذا الغرض ينبغي ألاَّ يستغنى التعليم المصري عن اللغات الاجنبية تعليماً لذاتها واداة للتعليم الى زمن غير قريب

اذا كان تعليم العلوم العالية في الكليات قد أخذ الآن يسلك السبيل العادي للجامعات فان جامعاتنا لم تمكنها بعد ظروف المكان ولا مرور الزمان من ان تحيا الحياة الجامعية المطلوبة تلك الحياة التي هي فيما يرى واضعو اساس الجامعة بل فيما يرى الشارع المصري أهم ما كان ينقصنا قبل انشاء الجامعة . وهذا الاعتبار يبرر بغاية الوضوح سخاء الحكومة والبرلمان باعطاء الجامعة تسعين فداناً في هذه الروضة واربعة واربعين فداناً من منيل الروضة وتقرير المبالغ اللازمة لبناء الكليات الاربع والمستشفى والمكتبة وحي للطلبة يسع الف طالب يعيشون فيهِ المعيشة الجامعية . اقول ان هذا السخاء يبين ان حكومة جلالة الملك قد لمست داء تأخرنا فسهلت غاية التسهيل طريق التقدم

تلقاء ذلك لا يكفي الجامعة ان تقف عند حد الشكر ولكن شكرها الحقيقي للحكومة وللامة على هذه الرعاية ان تقطع على نفسها عهداً بين يدي جلالة الملك وان تعنى بالتربية كما تعنى بالتعليم سواء بسواء وان تجعل مهمتها الاولى تخريج جيل على علم واسع وخلق متين يستطيع ان يقوم بالمسؤوليات المتنوعة التي تنتظرهُ غداً

مولاي : تلك هي حال الجامعة التي وضع مشروعها بين يدي جلالتكم منذ عشرين عاماً ولم يكن الاَّ فكرة او حركة مجردة فصار الآن حقيقة راهنة قد اخذ صورتهُ النهائية في هذا اليوم اذ تتفضلون جلالتكم بوضع الحجر الاول في بناء هذا المعهد بل في بناء عظمة امتكم المنشودة . فلمولاي ان يغتبط بنجاح مشروعهِ وان يتقبل التهنئة على هذا النجاح وليدم لهذه الامة العظيمة ملكاً عظيماً حامياً للعلم



هنري فورد

امام الصفحة ٣٢٩

مقتطف مارس ١٩٢٨

باب الزراعة والاقتصاد

هنري فورد يقامر بالملايين

المزاحمة على المطاط (الكاوتشوك)

البترول والمطاط مثار كثير من التزاحم الاقتصادي والجدل السياسي . اما الاول فلانهُ لازم لكثير من المعامل ولتسيير البوارج الحربية والسفن التجارية التي بنيت على الطراز الحديث. واما الثاني فلان كل وسائل النقل والانتقال بالسيارات في ابان السلم والحرب قائمة عليهِ . لذلك ترى الشركات المالية الكبيرة تزاحم بعضها بعضاً على احتكار مصادر هاتين المادتين وكل حكومة تشدّ أزر ابنائها في مجامع الامم حتى لقد اصبحت مسائل البترول والمطاط من اهم المسائل الدولية تعقد لاجلها المؤتمرات وتوضع المعاهدات

وشعب الولايات المتحدة الاميركية يملك نحو ٢٢ مليون سيّارة او نحو ثلاثة أضعاف ما تملكهُ كل الامم الاخرى ويستعمل لها نحو ١٠٠ مليون اطار من المطاط فحاجتهُ الى المطاط كبيرة جدًّا سواء في السلم او في الحرب وقد استهلك في السنة الماضية ٣٨٠ الف طن منهُ او ثلثي محصولهِ في العالم . ولكن مصادر المطاط في ايدٍ غير ايدي الاميركيين لان اشهر مزارعه في المستعمرات الانكليزية والهولندية في الشرق الاقصى . وقد سنت الحكومة الانكليزية قانوناً لحماية مزارعهِ اذ منعت انتاج مقدار من المطاط يزيد على مقدار ما يستهلك منهُ احتفاظاً باسعارهِ فارتفعت اسعارهُ بعد سن هذا القانون حتى قيل ان الانكليز جنوا من ارتفاع هذه الاسعار ما يساوي مقدار ما يدفعونهُ للاميركيين تسديداً لديون الحرب

وقد نشرنا في مقتطف يناير الماضي مقالة لاديصن في هذا الموضوع بسط فيها عنايتهُ بالبحث عن نبات يُزرع في اميركا عند الحاجة ويحصد كالحنطة ثم يستخرج المطاط منهُ بوسائل ميكانيكية . ثم اطلعنا على مقالة في مجلة العلم العام الاميركية بيّن فيها كاتبها ما ينوي هنري فورد الشهير عملهُ لكي يكفل لمعاملهِ مورداً كافياً من المطاط بدون ان يتعرض لتقلبات الاسعار في سوقهِ

ذلك ان هنري فورد نال امتيازاً من حكومة البرازيل يخولهُ ان يستثمر ارضاً

في وادي الامازون مساحتها من ثلاثة ملايين فدان الى اربعة ملايين . وهذه الارض هي المنبت الاصلي لشجر المطاط المعروف بمطاط پارا . وكان قد سبقهُ الى مثل ذلك المستر فيرستون صاحب معامل المطاط الاميركية المشهورة فانهُ زرع ١٠٠ الف فدان في جمهورية ليبيريا وينتظر ان يبدأ في استنباط المطاط منها في سنة ١٩٣٠ وان تصبح عاملاً قويًّا في سوقهِ العالمي في سنة ١٩٣٥

وكانت شركة المطاط الاميركية قد عنيت بزرع مزارع خاصة في سومطرا وملايا وبزيادة ما يجنى من المطاط من الشجرة الواحدة فصارت مساحة مزارعها هناك ٣٤ الف فدان وصار ما يجنى من فدان واحد منها ٤٤١ رطلاً في السنة بعد ما كان ٣٥٠ رطلاً . وينتظر ان يبلغ مقدار ما يجنى من فدانٍ واحدٍ مزروع بشجر المطاط الف رطل في السنة

ان السباق الى تعدين الذهب والتزاحم على استخراجهِ في الاسكا وكاليفورنيا وجنوب اميركا ليضؤل امام السباق الى زرع مزارع المطاط وجنيها

وهنري فورد لا يقوم بالاعمال الاَّ كبيرة واسعة النطاق . فان الارض الذي فاز بامتياز استثمارها في وادي الامازون تبلغ مساحتها نحو ضعف المساحة التي تزرع قطناً كل سنة في مصر وكلها حراج وادغال ملتفة الاشجار تعج بالحيوانات الضارية والافاعي السامة وتكثر فيها الاوبئة والحميات ولكنهُ سلَّط عليها سيف العلم والصناعة ليقطع اشجارها ويبيد ضواريها وافاعيها . ويجعلها مزرعة واحدة لزرع اشجار المطاط . ان هذه الارض اذا صحَّ ما يتوقعهُ العارفون وصار في الامكان جني الف رطل من المطاط كلَّ سنة من كل فدان منها تستطيع ان تنتج اربعة آلاف مليون رطل منهُ كافية لصنع اربعة آلاف مليون اطار من اطارات اتوموبيل فورد

وقد مضى على فورد اشهر يعدُّ معداتهِ ويرسم خطتهُ . ففي سنة ١٩٢٦ ارسل الاستاذ كارل لاري من اساتذة جامعة مشيغن ليرود الارض ويدرس طبائعها وطبائع حيوانها ونباتها ويستكشف مجاهلها. فلما عاد اعدَّ فورد جيشهُ واي جيش ! مهندسون وعلماء وكيماويون واطباء بعضهم مختص بتحريج الارض وبعضهم بعلوم النبات وبعضهم بعلوم التربة وبعضهم بالكيمياء وآخرون مختصون بتخطيط السكك الحديدية ومدها وآخرون بعلوم الطب والصحة العامة . وذلك لانهُ ينوي ان يكمل كل عمل على ما يقتضيهِ العلم من الدقة والاتقان فتنشأ اولاً القرى الصغيرة للسكن واماكن خاصة لتموين هذه القرى بكل ما يحتاج اليهِ سكانها. وهذه المؤن تنقل اليها ببواخر خاصة بشركة فورد تصعد

في النهر من الاوقيانوس الاتلنتيكي في اوقات معينة وقد تليها طيارات من اسطول فورد الجويّ تربط هذه المستعمرات بعضها ببعض ويلي ذلك اطباءُ فيضعون القواعد والخطط التي يجب مراعاتها والجري عليها لوقاية العمال واسرهم من خطر الاوبئة والامراض الفتاكة . من هذه القرى او المستعمرات يتقدم العمال يقطعون الاشجار القائمة الآن ويسير في اثرهم الزارعون يحرثون الارض ويسمدونها ويزرعون فيها بذوراً أُحكم اختيارها. وتقضي شروط الامتياز ان يزرع بضعة آلاف فدان من المطاط كل سنة حتى يتم زرع هذه الارض المترامية الاطراف بهذه الاشجار التي تدرُّ ثروة طائلة

ومع ذلك تجد ان هذا العمل العظيم لا يزال مقامرة عظيمة . لانهُ يقضي على فورد ان ينفق نفقات طائلة من غير أمل بالربح القريب . اذ لا بدّ ان تنقضي خمس سنوات على زرع بذور المطاط حتى يستطاع جني شيء منها ولا بد من انقضاء عشر سنوات قبلما يصير الانتاج رابحاً من الوجه التجاري . ومن يعلم ماذا يحدث في عشر سنوات ! قد تقل حاجة العالم الى المطاط او قد يستنبط أحد الكيماويين وسيلة لصنعهِ من المواد الاولية البسيطة

أيفوز هنري فورد في مقامرتهِ هذه ? سؤال نترك الجواب عنهُ للمستقبل القريب

اتضيق الارض بالناس ؟

يرى الاستاذ رُسْ استاذ علم الاجتماع في جامعة وسكنصن الاميركية انهُ لا تنقضي ستون سنة حتى تضيق الارض بالناس مالم تتخذ الوسائل لمنع الزيادة الكبيرة في المواليد .فان عدد الناس في رأيهِ سيزيد في هذه السنة نحو ٢٠ مليون نسمة عن عددهم في السنة الماضية او نحو ٥٠ الف نسمة كل يوم

البيض في الولايات المتحدة الاميركية

في اذاعة نشرتها وزارة الزراعة الاميركية ان انواع الدجاج في الولايات المتحدة الاميركية تضع ٢٤ الف مليون بيضة في السنة أو نحو ٧٦٠ بيضة في الثانية

قناطر نجع حمادي

في الجزء التالي ننشر بحثاً وافياً في « قناطر نجع حمادي » التي تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ووضع حجر اساسها في ١٠ فبراير الماضي يحفُّ بهِ جمهور من الوزراء والنواب والوزراء المفوضين والصحافيين

طرائق التسافد في الدواجن

٢

انواع التهجين

تهجين النسل الاول — هو ان يستعمل في الضراب فحل من عرق مجوَّد وإناث من عرق عادي موضعي فتنتج هجن بين بين فتباع او تربى للاستفادة من لحمها او لبنها او صوفها دون ان تُستعمل في التسافد مطلقاً. مثالهُ اذا كان لديك عنزات جبلية صغيرة القد قليلة الدر فاسفدها بتيس جيد من المعزى البلدية فتنتج سخالاً فيها نصف صفات الاب او اكثر ومتى كبرت هذه السخال ينتفع بلبنها ثم بلحمها ولا تستعمل في التسافد. وهي تكون اجود من امهاتها

التهجين المستمر — اذا كان لديك حيوانات من رس عادي واردت استبدالها باخرى من رس اجود فقد يشق عليك بيع الاولى وشراء الثانية لما قد يكون في البيع من الخسارة وفي الشراء من الانفاق . ولهذا بوسعك ان تصل الى غايتك بدون انفاق مبالغ طائلة وذلك بان تبتاع فحولاً من الرس الجيد وتسفدها إناث ماشيتك فتلد صغاراً ذكوراً واناثاً . فمتى كبرت الاناث تحمل الفحول المبتاعة على سفادها وهكذا حتى تصير ماشيتك بعد النسل الرابع شبيهة بالاب كل الشبه

وافرض ان لديك كديشة وانك غير قادر على شراء فرس عربية فماذا تفعل . انك تسفدها بحصان عربي فاذا ولدت مهرة تسفد هذه المهرة بذلك الحصان او بحصان عربي مثلهُ. واذا ولدت المهرة انثى تسفدها ايضاً بالحصان نفسهِ او بشبيههِ فيكون ولدها شبيهاً كل الشبه بالخيل العراب حتى يكاد يعد منها . والسبب في ذلك ان الهجين الاول الذي ينتج من إسفاد الحصان للكديشة يعد نظريًّا بين بين اي فيهِ نصف صفات الحصان العربي ويسمى بالفرنسية ذا نصف الدم. ومعناهُ انهُ اذا حسبت قيمة الحصان العربي مساوية للعدد (١) وقيمة الكديشة صفراً لخساسة عرقها الذي يراد اصلاحهُ فتكون قيمة الهجين الاول ($\frac{١}{٢}$ = ٥٠ و٠ = $\frac{١}{٢}$) اي ان لهُ نصف دم الاب الاصيل . فاذا اخذت هذا الهجين وحملت حصاناً عربيًّا على سفاده (او حملتهُ هو اذا كان ذكراً على سفاد فرس عربية) فالابن الذي يولد يكون اقرب الى الخيل العراب فيسمى ذا ثلاثة ارباع الدم العربي هكذا ($\frac{١ + ٠٫٥٠}{٢}$ و٠ = ٧٥ و٠ = $\frac{٣}{٤}$) . واذا

داومت على العمل فاسفدت حصاناً عربيًّا للفرس التي فيها ثلاثة ارباع الدم العربي (او بالعكس) تحصل على خيل ذات سبعة أثمان الدم الاصيل وذلك على الصورة الآتية ($\frac{١ + ٧٥}{٢}$ و٠ = ٨٧٥ و٠ = $\frac{٧}{٨}$) . واذا داومت ايضاً على الإسفاد بقصد الحصول على نسل رابع فهذا النسل يكون ذا $\frac{١٥}{١٦}$ من الدم الاصيل وهكذا

ويجب ألاّ يُظن ان هذه النظرية صحيحة على الاطلاق . فربّ حصان عربي يسفد كديشة فتلد مهراً يشبهُ اباهُ كل الشبه حتى يظن من رآهُ ان فيهِ سبعة أثمان الدم العربي مع انهُ كما ذكرنا ذو نصف دم فقط . وسبب ذلك ان للوراثة حالات لا تتقيد معها بالارقام والنظريات الحسابية . وعلى كلّ لا يعد النسل صافياً تقريباً ما لم يكن من النسل السادس على الاقل . لكن ارباب الخيل والفلاحة قلما يداومون على الإسفاد بعد النسل الرابع بل يعدون هذا النسل اصيلاً دون ان يخشوا وراثة الرجوع الى الاصل (الردّة) لانهُ متى كان في الفرس $\frac{١٥}{١٦}$ من الدم العربي و $\frac{١}{١٦}$ من دم الكديش فهي لا تنسل نسلاً فيهِ صفات الكديش (بسبب حادث الرجوع الى الاصل) الاّ مرة في كل ست عشرة مرة نظريًّا

التهجين المتتالي — هو ان يستعمل في التهجين تارة حيوان من عرق الاب وطوراً من عرق الام . اذا اسفدت حصاناً عربيًّا لكديشة نتج كما قلنا هجين فيهِ النصف من دم الاصيل ، والنصف من دم الكديش. هذا هو النسل الاول فاذا اسفدت حصاناً عربيًّا لهذا الهجين فان النسل الثاني يكون ذا $\frac{٣}{٤}$ من الدم العربي و $\frac{١}{٤}$ من دم الكديش وبالاختصار ($\frac{٣}{٤}$ ع) و ($\frac{١}{٤}$ ك) . وفي المرة التالية اذا حملتَ كديشاً بدلاً من الحصان العربي على سفاد فرس من النسل الثاني يكون النسل الثالث ذا $\frac{٣}{٨}$ من الدم العربي و $\frac{٥}{٨}$ من دم الكديش اي ($\frac{\frac{٣}{٤} ع + \frac{١}{٤} ك + \frac{٤}{٤} ك}{٢}$) = $\frac{٣}{٨}$ ع + $\frac{٥}{٨}$ ك. ثم اذا عدت بعدئذٍ الى إسفاد النسل الثالث بحصان عربي كان النسل الرابع ذا $\frac{١١}{١٦}$ من الدم العربي و $\frac{٥}{١٦}$ من دم الكديش . اما اذا اسفدت النسل الرابع بكديش فان النسل الخامس يكون $\frac{١١}{٣٢}$ ع + $\frac{٢١}{٣٢}$ ك . وهذا النسل الاخير اذا حملتَ حصاناً عربيًّا على سفادهِ نتج نسل سادس كما يلي $\frac{٤٣}{٦٤}$ ع + $\frac{٢١}{٦٤}$ ك

يتضح من مقارنة مقدار الدم العربي بمقدار دم الكديش في نسل من الانسال

الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ان النسل في هذا الشكل من التهجين يحتوي دائماً على ثلثين من دم احد الابوين الاصليين وثلث من دم الثاني تقريباً . فاذا كان آخر حيوان استعمل للسفاد عربياً فان ثلثي النسل يكون عربيًّا وثلثهُ يكون كديشاً والعكس بالعكس

ليست هذه الطريقة من التهجين شائعة والغاية منها ايجاد هجن فيها صفات راسخة من صفات الاب والام معاً . وقد اوجد الاوربيون على هذا المنوال بعض رسوس من الحيوان اهمها رس الخيل الانكليزية العربية السباقة التي يغلب ان يكون في دمها $\frac{5}{8}$ من الخيل الانكليزية و $\frac{3}{8}$ من الخيل العربية

ومن نتائج التهجين عموماً انهُ يزيد خاصية التناسل (خلافاً لما في طريقة الاصطفاء) فيزداد عدد الاولاد . ومن نتائجهِ ايضاً انهُ كثيراً ما تظهر في الانسال صفات جديدة لم تكن موجودة في الابوين الاصليين واسباب ظهور هذه الصفات لا تزال مجهولة . ومهما يكن فان على الزارع ألاّ يُدخل الى قريتهِ رسًّا جديداً بواسطة التهجين ما لم يكن على ثقة من ان هذا الرس يألف الارض والهواء . وعليهِ بان يقارن نتائج التهجين بنتائج الانتخاب فقد يكون تجويد الماشية بالانتخاب انفع من تحويل الرس المحلي بالتهجين الى رس جديد لا يألف التربة والهواء ونوع العلف الذي يمكن تداركهُ في اقليم الزرّاع

التخليط

التخليط هو اسفاد الهجن بعضها بعضاً فهو اذاً يتبع التهجين . والغاية منهُ توطيد الصفات والخصائص التي اكتسبتها الهجن من آبائها وامهاتها . لكن ذلك ليس بالامر السهل لان الوراثة التي اسميناها الرجوع الى الاصل كثيراً ما تعمل عملها في هذا النوع من التسافد فتفرق الصفات والخصائص وتعيد للانسال صفات أحد الاجداد . ومع هذا فقد تمكن الاوربيون بحسن انتخاب الهجن المخلَّطة من أن يوطدوا الصفات في تلك الهجن وجعلوها صالحة للتسافد والتناسل مثل الخيل الانكليزية العربية فقد اصبحت عرقاً مستقلاً صالحاً للتسافد بدون ظهور وراثة الرجوع الى الاصل تقريباً . وكذا عرق الغنم المسمى ديشلي مرينوس الذي حصل من تهجين العرقين ديشلي ومرينوس فجمع بين لذة لحم الاول وجودة صوف الثاني

ولكي تُوطد الصفات المستحبة وتقل حوادث الرجوع الى الاصل في التخليط يجب بادىء بدء انتقاء عرقين متجانسين حتى يكون للهجن المتولدة منهما صفات اقرب الى الامتزاج والرسوخ . وفي هذه الحال اذا تسافدت تلك الهجن بطريقة التخليط يغلب ان تظل صفاتها راسخة في الانسال . ويجب أيضاً ان تكون الهجن التي تستعمل في التخليط بعيدة عن العرقين الاصليين على قدر المستطاع . وعلى كل ليست طريقة التخليط من طرق التسافد والتناسل التي يعوَّل عليها دائماً . وهي كثيراً ما تؤدي الى خسارة اذا لم تتبع بعناية ودقة

التبغيل

التبغيل هو تسافد حيوانين من نوعين فسيولوجيين مختلفين فتلد الانثى منهما حيوانات عقيمة تسمى بغالاً [1] ولا تكون البغال عقيمة دائماً بل يكون بعضها لاسيما أنثاها ولوداً احياناً لكن هذا نادر جدًّا . واشهر البغال وانفعها هي اولاد الحمار والفرس ثم اولاد الحصان والاتان. ومن الممكن ولادة بغال من تسافد الذكر والانثى في الانواع الآتية وهي الحمار العادي مع الحمار الوحشي والخيل مع الحُمُر الوحشية والخنزير مع الهِلَّوف والإبل ذات السنام مع الإبل ذات السنامين (وتكون اولادها ولودة) ، والذئب مع الكلب وابن آوى مع الكلب والحمام مع القمري والطاووس مع الدجاج الخ

ولم يثبت تولد بغال من سفاد الكبش للعنزة والتيس للنعجة والحصان للبقرة والثور للفرس بل يظل الضراب عقيماً في كل هذه الحالات . ويكون شكل البغال غريباً للمشادة التي تحصل في وراثة صفات كل من الابوين المختلفين. وتسود في البغل المعروف صفات الاب اي الحمار فاذا كان ابوهُ الحصان سادت صفاتهُ غالباً

مصطفى الشهابي
مدير املاك الدولة بدمشق

---

(١) البغل المعروف هو ما ينتج عن تسافد الحمار والفرس او الحصان والاتان. لكن البغل فنياً يطلق على ما يتولد من تسافد كل الحيوانات اذا كان الذكر من نوع فسيولوجي والانثى من نوع آخر فولد الحمارة الوحشية الذي ابوه حمار عادي هو بغل وكذا ولد الكلب والذئبة او الكلب وانثى ابن آوى الخ . ولست ارى بأساً لغوياً في هذا التوسع

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ما يجهلهُ الاطباء من شؤون الغذاء

ويجب ان تعرفهُ ربة البيت

بقلم كيوي اميركي متوفر على مباحث الغذاء

أعرف كهلاً مصاباً بزيادة ضغط الدم ذهب الى طبيب مشهور ليفحصهُ فحصاً مدققاً ويصف لهُ علاجاً وبعد ما قضى الطبيب نحو ساعة في فحصهِ قال : ان منشأ علتك من كثرة اكل اللحم . فنظر اليهِ المريض نظراً مقروناً بالدهشة والازدراء وقال : « قد يكون ما تقولهُ صحيحاً ولكن مضى عليَّ سنتان لم اذق في اثنائهما طعم اللحم ». فلم يحاول الطبيب الاعتذار بل اعترف بخطاءِهِ ثم وصف لهُ وصفة لا يمكن ان تخطئ اذ قال : عليك ان تجتنب كل ما يثير العواطف ويقلق البال

وهذه الحادثة ليست مفردة ولا هي غريبة. فان ملايين من الناس تبعوا ارشادات اطبائهم فيما يتعلق بالغذاء ونظام الاكل وكانت تلك الارشادات من قبيل ارشاد صاحبنا الطبيب المذكور آنفاً . لا بل ان الاعتماد على نظام التغذية « زي » فاشٍ بين الناس في هذا العصر فترى الدجالين والاطباء والوعّاظ والكتاب يصوّرون للناس طريق النعيم — نعيم الصحة والقوة والجمال — عن طريق المعد . وفي ذلك كثير من الصحة ولكن من يأمن الضلال في هذا الطريق الوعر

فبعضهم يقول كلوا الطعام نيئاً وآخرون يقولون كلوهُ مطبوخاً. وبعضهم يقول كلوا كلَّ ما تستطيعون اكلهُ من الفاكهة وبعض آخر يقول اجتنبوها وبعضهم يقول . . . . والغالب في ذلك ان اجهل الناس بشؤون الغذاء الصحيحة اكثرهم كلاماً ووعظاً لغيرهم من الناس.

فمنذ ست سنوات كنت لا اعرف شيئاً من الحقائق العلمية المتعلقة بالغذاء ولكني كنت بليغ الكلام كثيره لا انفك عن التحدث عن وجوب اكل كذا ووجوب الامتناع عن كذا وبعد ذلك تناولت مباحث الغذاء بالبحث العلمي فعرفت جهلنا الفاضح لهذه المسائل الحيوية .

ومما يدلّ على جهل الناس بشؤون الغذاء — حتى المختصين ببحثها — ان احد الكيماويين المنقطعين لدرسها اصيب بمرض اضطره ان يلتزم الفراش ثم ان يذهب الى مستشفى جونز هبكنز ففحصه الاطباء وماذا كان حكمهم ? « لست مصاباً بعلةٍ ما . اذهب الى دارك وقلّل ما تتناوله من الطعام او زِدْ مقدار ما تنفقهُ من الوقت في ترويض جسمك » . فاذا كان هذا جهل المختصين بمسائل الطعام فماذا ننتظر من غيرهم ?

لذلك اتقدم من هذا الموضوع بدعة العارف بجهله يدفعني الى الكتابة فيهِ عنايتي بتبديد بعض الاوهام الفاشية التي ينجم عنها كثير من الضرر

فالامر الاول الذي اودّ ان اوجّه النظر اليهِ هو اننا لا نستطيع ان نضع قواعد عامة للطعام ونحمل كل الناس على أن يأخذوا بها ويستفيدوا من ذلك . لان تركيب الجسم الكيماوي يختلف في كل انسان عن الآخر . وعليهِ فقد تفيد هذه القواعد بعض الناس لانها تحملهم على اكل ما هم محتاجون اليهِ بحكم تركيبهم الكيماوي وتمنعهم عن تناول ما يضرهم . فاذا جئنا نجريها على آخرين فقد لا تتفق معهم فتحملهم على أكل ما لا يحتاجون اليهِ وتمنعهم عن تناول ما يلزم لهم فيكون الضرر مضاعفاً

ولنفرض الآن انك ذهبت الى طبيب ليفحصك ويصف لك نظاماً من الغذاء تجري عليهِ فانهُ في الغالب يصف لك في مقدمة ما يصفهُ اللبن والبيض والخضراوات

﴿ اللبن ﴾ اللبن طعام جيّد ولكنهُ ليس غذاءً كاملاً ولذلك لا يحسن الاقتصار عليهِ . فانهُ لا يحتوي على شيء من مركبات الحديد وغيرهِ من المعادن اللازمة لبناء الجسم . وهو كذلك لا يحتوي على مقدار كافٍ من فيتامين (ا) و (ج) و (د) . والاولان يقيان من داء الاسكربوط والثاني يقي من داءِ الكساح

﴿ البيض ﴾ أما زلال البيض النيء فعسر الهضم لا ينبهُ المعدة الى افراز العصارة المعدية ولا المرارة لافراز الصفراء . وأما محهُ فغنيّ بالفيتامين ولكنهُ كثير الحموضة

﴿ الحديد ﴾ يحتاج الجسم يوميًّا الى مقدار من الحديد يتراوح بين ست ملغرامات و١٦ ملغراماً ولا يصعب عليهِ أن يتناوله من اي طعام عادي . فانك اذا

أكلت في اليوم بيضتين وصحناً من الحمص وبضع خوخات وجد الجسم في هذا الطعام مصدراً يستمد منهُ كلَّ ما يحتاج اليهِ من مركبات الحديد. ومن الاطعمة الغنية بالمركبات الحديدية العنب المجفف والدبس. أما الادوية التي تحتوي على مركبات الحديد ويصفها الاطباء لتقوية الجسم فيجب ان نقلل من تناولها ما استطعنا لانها تجهز الجسم باكثر مما يحتاج اليهِ من مركبات الحديد فيضطر ان يعنى بافرازها وهذا يتعبهُ

﴿ الخضراوات ﴾ قد يكون الاقتصار على الغذاء النباتي مفيداً لبعض الناس لانهُ يتفق مع امزجتهم الخاصة ولكننا اذا نظرنا نظراً عامًّا الى هذه المسألة وجدنا انهُ يصعب جدًّا الحصول على المقدار الكافي من المواد البروتينية اذا قصرنا طعامنا على الخضراوات. وزد على ذلك انهُ لا يسهل على جسم الانسان ان يتناول ما في الخضراوات من المواد البروتينية لكي يمثلها وانهُ على الضد من ذلك نجد ان اللحوم تجهز الجسم بما يحتاج اليهِ من المواد البروتينية بمقدار كافٍ وحالة تجعل تمثيلها سهلاً . وقد جُرّبت تجارب مختلفة في الحيوانات لمعرفة تأثير اللحوم فيها فثبت ان بعض الحيوانات تستطيع ان تعيش عيشة طبيعية اذا كان ٨٠ في المائة من طعامها لحماً وقد جربت مثل هذه التجارب في الجرذان فأُطعمت طعاماً ثلثاهُ لحم فبقيت في حالتها الطبيعية من حيث الحيوية والنمو. ولما اطعمت الفيران كذلك زاد وزنها وكان ابناؤها اكبر جسماً واقوى بنية . وعليهِ لا نستطيع ان نستنتج ان افضل ما يفعلهُ الانسان في طعامهِ هو الاقتصار على الخضراوات. وهذا لا يعني انهُ في بعض الاحوال الخصوصية لا يحسن ان يكون طعام بعض المرضى مقتصراً عليها . على ان الناس بوجهٍ عام ميالون الى الاكثار من اكل اللحم فاقلالهُ مفيد. واني لاستغرب كل الاستغراب ميل الناس الى شفاء علةٍ بالتطرف فيما يقابلها فيقعون في علة اخرى .فلا الاكثار من اللحم مفيد ولا الاستغناء عنهُ بتاتاً مفيد وخير الحالين الوسط

[في الشهر القادم تتمة هذا المقال المفيد]

القذى في العين

اذا دخل قذى في احدى عينيك فلا تفركها. لانك اذا فعلت كان الضرر مضاعفاً. ذلك ان اغشية العين اللطيفة تلتهب من الفرك وينتقل القذى من مكان يسهل الوصول اليهِ الى زاوية قد يصبح فيها بعيد المنال . وافضل ما تفعلهُ في مثل هذه الحال هو ان تغمض

جفنيك ثم تعطس بشم احدى المساحيق التي لها هذا الفعل فتجري الدمع من مآقيك وينتقل القذى الى مكان ظاهر في مقدم العين فتسهل ازالتهُ حينئذٍ بطرف منديل نظيف

واذا لم تفلح فاغمض عينيك وضع الجفن الاعلى فوق الجفن الاسفل ثم افتح عينيك وحينئذٍ فقد تجد القذى عالقاً باهداب الجفن الاسفل

واذا لم تنجح في ذلك فأْتِ بطستٍ من الماءِ النظيف الفاتر واغطس وجهك فيهِ ثم افتح عينيك تحت الماءِ . فاذا لم تنجح احدى هذه الوسائل فاذهب الى طبيب اذ يلزم حينئذٍ قلب الجفن الاعلى للوصول الى القذى المختبيء تحتهُ ولا تنس على كل حال ان تضع في العين نقطة من زيت الزيتون النقي فانها تخفف الالم والاحتكاك

السعال : اسبابه

تقابل خمسة اشخاص من معارفك ثلاثة منهم يسعلون . تمضي الى عملك فتسمع في طريقك سعلة تقع من على يمينك مرة ومن على يسارك اخرى وقد لا يكون بين سعلة وسعلة بضع خطوات . تذهب الى زيارة صديق لك في منزله فيقابلك هو او فرد آخر من اسرتهِ بسعلة ويشيعك بمثلها او اكثر منها . تجلس في قهوة الى مائدة لتقتل جانباً من وقتك فتعاين السعال متصل الاواصر . وان دخلت الى كنيسة او مسجد اضاع عليك السعال صوت الكاهن او الامام . اما في المدارس . اما في الملاهي . اما في البنوك والمجتمعات وفي كل مكان يجتمع فيهِ اثنان فيكون للسعال نصيب من الوجود . فما هو سبب هذه الظاهرة وهل هي داء أو عارض لداء ؟

السعال عارض لداء كامن في جزء من الجسم . اما اسبابهُ فعديدة منها الجوّ ونحن الآن في فصل ملائم لتفشيهِ وانتشارهِ كما هو واقع . ومنها الاهمال ومعظم الناس واقع فيهِ معاقب عليهِ كما ترى . ومنها الميكروب الخاص بهِ الذي يعلن في حال دخولهِ الجسم وتمكنهِ من غرس قدمهِ فيهِ وجودَه بهذه الظاهرة او العارض الذي نسميهِ بالسعال . ويكون سبب تفشيهِ نوع واحد من الميكروبات او اكثر . فالزكام والانفلونزا والتهاب الحنجرة واللوزتين والتهاب الاغشية المخاطية في الانف والحلق والبلورا والشعب والرئة والقصبة والربو والسل ومرض القلب — كل هذا ينشأُ عنهُ سعال حاد عنيف او خفيف يدوم مدة تتراوح بين اسبوعين واشهر وربما دام طول الحياة . وقد جرت ابحاث في ازمنة مختلفة ولا سيما بعد وافدة الانفلونزا سنة ١٩١٨ كانت نتيجتها ان

الاهمال كان السبب الاول في بقاء السعال مدداً مختلفة في الطول والقصر. فالاهمال في مداواة الزكام يحوله الى شر الادواء وكذلك الانفلونزا لانهما يمهدان طريق العدوى لميكروبات اشد مراساً في العلاج. واعرف عدداً ليس بقليل لا يعبأون لهذا الداء ولا يريدون ان يفهموا انهُ مرض يجب مداواتهُ واستئصال اثرهِ وتراهم في سعال مستمر وفي حال تمنع عليهم النوم وتضايقهم في اعمالهم وتضايق من يكون على مقربة منهم. وبعد مضي سنة او اكثر من سنة يقصدون طبيباً ويرجون في بضعة ايام الشفاء مما هم فيهِ من بلاء. وليس الشفاء من سعال مضى عليهِ ستة اسابيع بيسير. وافضل طريقة ان يعرض المصاب بالسعال نفسهُ على طبيب في الايام الثلاثة الاولى من مرضهِ وان يداوم على الدواء حتى يزول كل اثر فيهِ للداء ويقول لهُ الطبيب لقد شفيت. هذه الطريقة وحدها تريح بالك وتنقذك من مرض ان طال عهده اصبح الشفاء منهُ عسيراً. وانصح لمن كان سعالهُ مزمناً اي يكون قد مضى عليهِ اكثر من ستة اسابيع ان يقصد الاستشفاء حالاً ولا يتردد في عرض نفسهِ على طبيب والتوسل بكل وسيلة علمية تعيد اليهِ صحته وتبعدهُ عن مخاطر المرض ولاشك ان الطبيب يملك وسيلة في مداواتهِ لا ثاني لها هي تحليل البصاق على يد بكتريولوجي خبير يتولى زرعهُ وانباتهُ وتحويلهُ الى مادة علاجية ثم يرجعهُ الى الطبيب المعالج فيحقن بهِ المصاب بمقادير معينة ويظل على هذا العلاج مهما طال امرهُ الى ان يتم لهُ الشفاء

الدكتور شخاشيري

الحذاء الضيق

الحذاء الضيق من آفات الحضارة الحاضرة ويظهر ضررهُ بنوع خاص في الشتاء فان القدم لا تدفأ في الحذاء الضيق لانهُ يمنع حركة الدم فيها ولا يكون بينهُ وبينها طبقة من الهواء تسخن فتدفأ القدم. وهذا فضلاً عن الالم الذي يصيب الانسان من ضيقهِ ومن المسامير التي تتولد منهُ

الزيت للشعر

البريلنتين الذي يدهن بهِ الشعر زيت نقي ممزوج بالكحول معطّر. وزيت الزيتون المعطّر او زيت اللوز يقوم مقامهُ وهو يفيد الشعر الجاف لانهُ يلينهُ ويغذي اصولهُ ويجعلهُ لامعاً جميل المنظر

حماية الطفل وحريته

نظرة في احوال الاطفال في الماضي والحاضر

٢

ولما كانت الاشياء تمايز باضدادها وكانت السطور المتقدمة تملأ صحيفة سوداء محزنة من تاريخ الطفولة لذلك تجد صحيفة تاريخ الاطفال بعد بزوغ شمس المسيحية واشراق نور الاسلام بيضاء ناصعة مفرحة. كيف لا وقد امرت الديانة النصرانية وحثَّ الاسلام على العناية بالطفل والرأفة به؟ وافاضت كلتا الديانتين في قيمة الاطفال والرفع من شأنهم بعد ان كانوا قبل ذلك منبوذين محتقرين مهددين تكتنفهم الاخطار من كل جانب في كل صقع وزمن. الم تأمر المسيحية الانسان سيد الخليقة ان يجعل الطفل المثل الذي يحتذيه في الطهر ونقاوة القلب؟ الم تقل المسيحية للمؤمنين لن تدخلوا ملكوت الله حتى تكونوا اطفالاً. وكم اثار هذا الامر دهشة وهز الاعتقادات السائدة بعنف من اصولها في عالم اعتاد احتقار الاطفال وامتهانهم. كان هذا المبدأ السامي الغريب بذرة جديدة صالحة القتها المسيحية في ارض العقول والافهام وقد انبتت هذه البذرة نباتها فزكت اصولها وفروعها بعد دهر طويل واجتياز عقبات كأداء حتى حسن حال الاطفال في الدولة الرومانية في عهد (نرفا) (وطراجانوس) و(هدريانوس) و(انطونيوس بيوس) بصفة عامة وحسن حالهم ونعم بالهم بصفة خاصة في عهد اول امبراطور مسيحي نعني (قسطنطين) الذي اصدر منشوراً بديعاً سنة ٣١٥ ميلادية سداهُ الرأفة بالاطفال ولحمتهُ العناية بهم الى الحد الاقصى واليك فحواهُ:

« امرنا باصدار قانون بصفة مستعجلة ليكون نافذاً في جميع البلاد الرومانية »
« وبه يمنع الآباء منعاً باتّاً من التقدم الى ابنائهم بنية القتل والاعدام وبان يكون »
« احساسهم نحوهم ادنى الى الرأفة واقرب الى الحنان فعليكم العناية بما تقدم واذا »
« جاءَ رجل بولده يشكو عدم القدرة على اعالته فيجب البحث عمن عساهُ يمد يد »
« المعونة الى الرجل والطفل ويقوم باودهما على احسن حال ولا تهملوا شأن الاطفال »
« المولودين حديثاً دقيقة واحدة بل بادروا من فوركم الى اغاثتهم واغاثة والداتهم »
« ولتكن ايرادات الدولة واموال الحكومة رهن هذا العمل الخيري الجليل »

وهو امر ملوكي كان لهُ اثرهُ غير انهُ كان نظرياً اكثر منهُ عملياً ينفعُ نفعاً حقيقيّاً

لان عادة قتل الاطفال كانت منتشرة احياناً كالوباء بسبب الفاقة او الحرب او هجمات الشعوب البربرية فيتعرض الاطفال المساكين وهم مخلوقات لا حول لها ولا قوة للهلاك دون ان يتقدم الى انقاذهم أحد اللهم الاَّ بعض رجال الكنيسة مثل (فنسان ده پول) او (مدام ليجاس) التي قالت عن ايتام باريس سنة ١٦٣٨ وهي تتحرق أسى وعطفاً عليهم وتوجعاً لهم واشفاقاً مما اصابهم: «ان ما اصاب الاطفال الذين ذبحهم هيرودوس لا يقارن بما اصاب ايتام باريس. ان ضحايا هيرودوس من غير شك كانوا احسن حظاً واخف عقاباً» ولم يتقدم مبدأ حماية الاطفال والرأفة بهم الى الامام الاَّ بقدم بطيئة. وترى في تاريخ انكلترا كما في تاريخ غيرها من الدول ان كل انقلاب جديد او تغير في الاحوال يجر المصائب والويلات على رأس الاطفال المساكين. وذلك ان الانقلاب الصناعي في انكلترا خلق لاطفال الفقراء والمساكين نوعاً جديداً من العبودية عبودية قوتها القاهرة المسيطرة الآلات والماكنات وليس عليك الاَّ ان تقرأ خطب (سادلر) أو (اسطلر) لتتبين فداحة الاخطار وعظم المصائب التي اناخت بكلكلها على الاطفال الانكليز منذ قرن من الزمان. على ان ظلمة اضطهاد الاطفال وتعذيبهم كانت تتخللها دائماً اشعة النور التي تبعثها رحمة قلم (ڤولتير) وخطب (ولبرفورس) وحماسة (وزلي) وغيرهم من ذوي المساعي الخيرية ودعاة الرحمة والشفقة والمروءة. ثم دوى في الارجاء صوت (شارلس دكنز) يفهم العالم ان الطفولة المعذبة هي الشر بعينهِ وقد وضحت آثار هذه المساعي الخيّرة. وها نحن اولاء نرى بعيني رأسنا وقد عني بامر الاطفال حتى غدوا سعداء جهد الطاقة وقد تم في السنين الاخيرة شيء كثير في اصلاح حال الاطفال بحيث يعدُّ ذلك الآن من البديهي والمألوف الذي كان بالامس يعد متطرفاً او مكروهاً او غير معقول من الآراء والرغبات الخاصة بموضوع العناية بالاطفال. ألم ترَ الى مقالة (برنارد شو) التي كتبها في موضوع حقوق الاطفال بعنوان (الآباء والابناء) وكيف اذهلت العالم بما فيها من الآراء الغريبة المتطرفة في زمن غير بعيد؟ هذه الآراء الآن متبعة ومعمول بها في بعض الجهات حيث لا يرى فيها شيء من التطرف او الغرابة!!!

ان هذه النظرة السريعة التي القيناها على مركز الطفل في الهيئات الاجتماعية في مختلف العصور تساعدنا على فهم حقيقة جلية هي ان حقوق الاطفال لم تكتسب الاَّ في الازمنة

الحديثة فقط وانها كثيرة متعددة فلقدكان الطفل في دهور كثيرة يساق ويعاقب ويضطهد ويؤدب وتوضع في طريقهِ القيود والعقبات . اما الآن ففي كل جهة يعلو صراخ الصارخين: اليك عنهم ! اليك عنهم ! دع الاطفال وشأنهم . ان الاطفال احق من غيرهم بترويج المصالح الخاصة بهم بقدر الامكان وان يكونوا مترجمين عما يجول بخاطرهم وان يقرروا الخطة (اما مباشرة او بالواسطة وقرائن الاحوال) الواجب سلوكها لاستثمار مواهبهم وان يرسموا لانفسهم الطرق اللازمة للسير في الحياة بالاعتماد على النفس

ومما يتصل بهذا الموضوع مسألتان جديرتان بالنظر والاعتبار: الاولى لافحام اعداء حرية الطفل الذين يزعمون ان في حنو الوالدين ما يكفل لهُ كل سعادة وان الوالدين بالفطرة مرغمون على اختيار الاصلح والانسب لاولادهم دون ان يكون لهؤلاء حرية او اختيار فيما يريدون لانفسهم . يقول اعداء حرية الطفل: ان حب الوالدين منجاة من الاخطار وانهُ في الانسان والطير والحيوان الاعجم يستمد الوالدان قوة لدفع الاعداء عن الاولاد واستجلاب الخير لهم ويذكرون دفاع اللبوءة عن اشبالها والاسد عن عرينهِ والدجاجة الضعيفة عن كتاكيتها فكيف بالانسان العاقل ذي الحيلة الواسعة ؟ لا شك ان محبته لولده كفيلة بتحقيق كل السعادة لذلك الولد . وفاتهم انهُ وان كانت غريزة حب الاولاد حقيقة قوية ونافعة الاَّ انها احياناً تصادف عقبات كأداء من الخوف وخشية العار والاملاق والجوع فان هذه العوامل واشباهها تتغلب على محبة الولد وتعترضها فيجب ان تكون حرية الاطفال وحقوقهم مقررة سواء توافرت لهم محبة الآباء والامهات او حال دون ذلك حائل

والمسئلة الثانية تتفرع عن النتيجة التي اوصلنا اليها هذا البحث وهو اذا كان الاطفال قد نعموا أخيراً بنعمة الحرية واصبحوا في حال غير الحال المحزنة التي كانوا فيها فما هي النتائج المنتظرة لتلك الحرية المكتسبة ؟ وجواب ذلك لا يعلمهُ سوى علام الغيوب . ومهما يكن من أمر فان الحرية مهما اعتورها من عيوب أو فضائح نعمة كبرى لا يصح التغاضي عن محاسنها . وواجب نظار المدارس والمعلمين مراقبة حال التلاميذ وسير التعليم في ظلال حرية الاطفال الجديدة

حسين لبيب
ناظر مدرسة النحاسين

مكتبة المقتطف

نهضة العراق العلمية

مبادئ علم الهيئة
تصنيف جلال امين زريق

الهندسة المستوية
ترجمة هندسة ونتورث وسمث

مبادئ الفيزياء
تأليف فرنان ماير وترجمة الاستاذ عز الدين علم الدين التنوخي

الهندسة المجسمة
ترجمة هندسة ونتورث وسمث

مذكرات التاريخ القديم
لمتى افندي عقراوي

مجلة التربية والتعليم
لمؤسسها العلامة ابي خلدون ساطع الحصري



من ير هذه المؤلفات القيمة المفيدة ولا يثلج صدرهُ لبوادر نهضة علمية عملية في بلاد العراق ! كتبٌ في الهندسة السطحية والمجسمة وعلم الهيئة وعلم الطبيعيات ومجلة خاصة لمباحث التهذيب والتعليم وخلاصة محاضرات في التاريخ القديم كاحدث الخلاصات في ارقى الجامعات الغربية ! الا تعيد الى بالك هذه الكتب عصر المأمون ودار الحكمة في عاصمة العباسيين ؟ واكثر ما يسرّنا في هذه النهضة انها علمية . لان عمراننا الحاضر انما هو ثمرة من ثمرات المعارف العلمية وتقدمها وتطبيقها على مقتضيات الحياة ومطالب العمران . فاذا شئنا ان نخوض غمار العمران ونسير جنباً الى جنب مع سائر الامم في موكبه الفخم فعلينا ان نعلم ابناءنا اساليب التفكير العلمي والبحث العلمي . ولا نريد بذلك ان ننكر على الاطلاق ما للادب الحيّ من مكان محترم بين العناصر التي تكون النهضة في امة من الامم ولكننا نريد العلم قبل الادب لانهُ اساس الثروة ولا رقي للامم الاَّ بالمال وبرجال يخلقون المال من العدم كما بيّنا في مقالتنا الاولى في هذا الجزء من المقتطف . اضف الى ذلك ان العلم يوسع المدارك ويرهف المخيلة ويفتح امام العقل والنفوس ابواباً من حكمة الله واسرار الحياة وغرائب الطبيعة لا تلبث ان تجري في عروق الادب دماً نقيًّا حارًّا

واكثر الكتب المذكورة اعلاهُ ترجمة ولا بأس في ذلك . فالنهضة العلمية في ايام العباسيين بنيت على ما ترجم الى العربية من مؤلفات اليونان وغيرهم . والنهضة الفكرية في اوربا بنيت على ما نقل الى اللغات الاوربية من مؤلفات العرب واليونان . ونحن شديدو الثقة بانهُ لا ينقضي على العراق جيل او جيلان حتى يتخطى ابناؤهُ دور الترجمة الى دور الابداع والتأليف . فنحن نسدي جزيل الشكر الى الاساتذة الذين عنوا بنقل هذه الكتب الى اللغة العربية مغتبطين انهم يجدون في رجال حكومة العراق السنية وجلالة مليكه انصاراً اقوياء يدركون ادراكاً صحيحاً قيمة العلم والبحث العلمي في ترقية الامم ولا يدخرون وسعاً في رفع لوائهِ وتنشيط المنقطعين لهُ

اعجاز القرآن

تأليف مصطفى صادق الرافعي — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم — صفحاته ٢٥٤ صفحة قطع المقتطف

هذه هي الطبعة الثالثة من هذا الكتاب المشهور وقد امر بها على نفقتهِ حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول على ان تباع النسخة منهُ بخمسة غروش صاغ لكي يسهل اقتناء الكتاب وتتناوله أيدي جميع الناس. وقد قال المؤلف في وصف جلالة الملك وتفضلهِ بهذا المبرة السامية : «هو الملك الراسخ في العلم ، ثم القوي بعلمهِ في الايمان ، ثم المتمكن بايمانهِ في الفضيلة ، ثم العامل بكل ما آتاه الله في سعادة الامة يحرص اشدَّ الحرص على ان يصون لها دينها ويمكن لها في فضائلهِ اذ يرى ان روح الامة كلمة اجتماعية من اهم معانيها دين الامة» ... وقال في كلمتهِ التي رفع بها الكتاب الى السدّة الملكية : « ما الملوك الا فصول انسانية تداولها الاقدار كهذه الفصول الزمنية يداورها الليل والنهار فمن فضل الله على كنانة ارضهِ ان جعل ملكك عهد زهرها وثمرها ... اما العلم فما رأت مصر في غير عهدك ان اكواخ القرى تلد المدارس . واما الادب فاقلامهُ في روضك اشجار وارفة ، وكانت من قبل كاعواد الحطب اليابس »

واسلوب الاستاذ الرافعي معروف بمتانة بنائهِ وجزالة الفاظهِ ودقة بحثهِ في تاريخ الادب العربي واساليبهِ فلما جاء يكتب في بلاغة القرآن الشريف حلّق ببلاغتهِ الى ما فوق مستواهُ العادي على ارتفاعهِ. لذلك قال المغفور لهُ سعد باشا زغلول في هذا الكتاب « وايّد بلاغة القرآن واعجازها بادلة مشتقة من اسرارها في بيان مستمدّ من روحها كانهُ تنزيل من التنزيل او قبس من نور الذكر الحكيم »

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً بمطبعة المقتطف والمقطم ومصدّر بصورة بديعة لحضرة صاحب الجلالة الملك لم يسبق نشرها وفيهِ ايضاً صور اربع صفحات من مصحف جلالة الملك وهو من ابدع المصاحف خطًّا واجملها رسماً ونقشاً

الخالدات

مجلة ادبية فلسفية شهرية لصاحبيها الخوري ايليا حاماتي والارشمندريت انطونيوس بشير

تصدر في ترهوت انديانا بالولايات المتحدة الاميركية

هذه مجلة جديدة والمجلات الجديدة كثيرة ولكننا نعرف احد منشئيها وما لهُ من العناية بالادب الحيّ والاصلاح القائم على تثقيف العقول وتهذيب النفوس تثقيفاً اساسهُ العلم الناضج وتهذيباً قوامهُ الدين والخلق المتين . لذلك رحبنا بها ترحيباً خاصًّا لعلمنا انها ستكون مناراً جديداً ينشر على الشرق وعلى ابناء الشرق في ديار الغرب انواراً من حكمة الغربيين وامثلة حية من اسرار تقدمهم وارتقائهم. فهي «سفر القلوب الحية والعقول الناضجة والايدي العاملة» كما يقول منشئاها ولو لم يكن في الجزء الاول الذي صدر منها سوى مقالة «اعداء الفكر الصحيح» وفي الجزء الثاني سوى مقالة «الطموح» لكفى بهما غذاءً للعقول والنفوس

حديث عيسى بن هشام

الطبعة الرابعة مع الرحلة الثانية

تأليف محمد بك المويلحي — طبع بمطبعة مصر وعلى نفقتها — صفحاته ٤٦٥ من القطع الكبير

رأت وزارة المعارف أن تقرر «حديث عيسى بن هشام» في مدارسها الثانوية للسنة الرابعة والخامسة ، فطلبت من مؤلفه محمد بك المويلحي أن يطبع لها الطبعة الرابعة منهُ وان يضيف اليها الرحلة الثانية الموعود بها . فقام بالامر أحسن قيام وتم طبع الكتاب طبعاً متقناً وستوزعهُ الوزارة على مدارسها في هذا العام

ولسنا نرغّب القراء في اقتنائهِ باكثر من أن نذكر لهم بعض ما جاء في تقرير لجنة وزارة المعارف التي انتدبت لفحصه . قالت :

«وقد ذهب مؤلف الكتاب مذهب القصص وأجرى الكلام فيهِ على جهة التخيل والتمثيل ، حتى اذا عرض لرذيلة من الرذائل الشائعة جلا مكانها ، وصور آلامها ،

وتمثل المنغمسين فيها من أهل الغفلة والضلالة ، وراح يشرح عقلياتهم ، ويتتبع مزالقهم فيها حتى ينحط بهم الى قرارة الهاوية . وهذا كله أجراهُ باسلوب فكه مشوق يصوّر النقائص أبلغ تصوير ، ويبشع المقابح أعظم تبشيع »

« اما عبارة الكتاب فهي على حظ من البلاغة جليل : حلاوة لفظ ، ورشاقة عبارة ، ومتانة تركيب ، وقوة تأليف ، وقد تناول الكلام كثيراً من افكار العصر ومستحدثاتهِ فاداها افضل اداء وعبر عنها بفصيح العربية ابدع تعبير »

ذكراً وانثى خلقهم

او مرشد الشبيبة

تأليف الاستاذ نقولا حداد — طبع بالمطبعة العصرية — صفحاته ٢٤٨ من القطع الكبير

في صدر الكتاب تمهيد في اربعة فصول تشغل نحو ٥٠ صفحة بحث فيهِ المؤلف بحثاً علميًّا في اشتقاق الذكورة والانوثة من أصل واحد ، وابان ان الرجل والمرأة هما جزءا انسانٍ واحد هو حلقة في سلسلة الحياة الانسانية . ثم تطرّق من هذا البحث الى ان هذا الانسان الكامل يتم باتحاد جزئيهِ . فبرهن بذلك حقيقة الزواج من الوجهتين البيولوجية والاجتماعية . ثم أفاض في بيان نسبة كل من ذينك الجزئين (الرجل والمرأة) الى الآخر ومنزلة كلٍّ منهما مثبتاً ان وظيفة المرأة ابداع الجمال الذي هو المثل الاعلى للرقي الانساني ، وان وظيفة الرجل اعداد مواد الجمال ، وغايتهما معاً التمتع بهِ

ثم تبسط في ان للحياة الانسانية وغير الانسانية شوطين تجريهما . الشوط الاول هو الاستعداد للزواج . والشوط الثاني هو الزواج والتناسل بغية تسليم جوهر الحياة لجيل تالٍ ، وهكذا دواليك . وأفاض في كيفية الاستعداد من الوجهات الاقتصادية والصحية والعقلية والادبية والاجتماعية

وبحثهُ من الوجهة الادبية اقتضى أن يتوسع في موضوع العفة وما يناقضها من الموبقات كالدعارة وما ينشأ عنها من الامراض الوبيلة

ثم تبسط في مقتضيات الحب من الوجهة العملية. وفي مقتضيات الاستعداد للزواج فجاء الكتاب أصدق مرشد للشبان والشابات في حياتهم باسلوب علمي تهذيبي جديد لم نرَ لهُ في العربية مثيلاً . لذلك هو لازم للاحداث والكبار والوالدين عموماً

الشيخ ظاهر العمر الزبداني

الشيخ ظاهر العمر الزبداني رجل عصامي يصح ان يقال انهُ من نوابغ رجال الشرق وكفاهُ فخراً انهُ بعقلهِ ساد قومهُ وبعدلهِ وحسن سياستهِ وجسارتهِ وشدة بأسهِ انشأ دولة ذات شأن في قلب دولة بني عثمان في اوج عزّها نريد بها دولة عكا وصفد. وقد وضع المرحوم مخائيل نقولا الصباغ العكاوي تاريخاً لهذا الرجل الفذّ بقي مطويًّا الى ان عني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الخوري قسطنطين الباشا المخلصي وطبعهُ بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

مطبوعات اخرى

﴿ وراء الحقيقة ﴾ بحث في مطابقة العلم لروح الاديان . تأليف نجيب افندي شعيا طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر ويطلب من مكتبة الوفد بمصر . صفحاتهُ ١٢٠ من القطع الصغير

﴿ الزواج والطلاق المدني في القرآن ﴾ تصنيف الاستاذ محمد ابو زيد . طبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر . صفحاتهُ ٥٩ من القطع الوسط

﴿ اردشير ﴾ اوپرا خيالية ذات اربعة فصول نظم الدكتور احمد زكي ابو شادي طبعت بالمطبعة السلفية بمصر . صفحاتها بما الحق بها من مقدمة وتعليق ١٥١ من القطع الصغير

﴿ الابهاج في شرح المنهاج ﴾ لقاضي القضاة الامام تقي الدين السبكي وولدهِ مع (نهاية السول في شرح منهاج الاصول) للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ تأليف الشيخ الامام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ طبع على نفقة المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر وهو ثلاثة مجلدات وثمنهُ ٥٠ غرشاً صاغاً

﴿ ذكرى سعد زغلول في العراق ﴾ مجموعة تحتوي على مقالات الصحف والمجلات والكتاب وقصائد الشعراء وخطب الخطباء في رثاء فقيد الشرق سعد زغلول باشا . طبعت على نفقة المكتبة الوطنية ببغداد . صفحاتها ١٨٥ من القطع الصغير

﴿ دليل الوقاية الفعلية ﴾ في بعض الامراض المعدية والتناسلية . كتاب مفيد مزدان بالصور الفنية وضعهُ الدكتور رشيد المنشاوي ويطلب من مكتبة الاستقامة بتونس لصاحبها محمد بن صالح التميمي نهج سيدي ابن عروس عدد ٣٤

﴿ حروب ابرهيم باشا المصري ﴾ في سوريا والاناضول وهو الجزء الثاني من مخطوطة لمؤرخ مجهول علق حواشيها ووضع فهارسها الدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية وعني بنشرها بعد ما الحق بها وثائق تاريخية هامة الخوري بولس القرألي صاحب المجلة السورية بهليوبوليس بمصر

﴿ الناجيات ﴾ مجموعة نظرات في السياسةوالفلسفة والاجتماع والاخلاق لناجي افندي السعدي طبعت بالمطبعة الوطنية بعكا صفحاتها ١٠٠ من القطع الوسط

﴿ احسان ﴾ مأساة مصرية تلحينية نظم الدكتور احمد زكي ابو شادي . طبعت بالمطبعة السلفية بمصر صفحاتها ١٦٠ من القطع الصغير

﴿ قيصر وكليوبطرا ﴾ رواية تاريخية غرامية تأليف الدكتور خليل بك سعادة نشرها بالانكليزية في لندن منذ ثلاثين سنة ونقلها الآن الى العربية وطبعت بمطبعة الفنون بسان بولو بالبرازيل

﴿ الضعفاء ﴾ كتاب يحتوي على ٧ قصص اجتماعية مؤثرة بقلم يوسف افندي هرمز وقد طبع بالمطبعة الوطنية بالبصرة صفحاتهُ ١٥٤ من القطع الصغير

﴿ تاريخ اليمن ﴾ المسمَّى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن تأليف العلاَّمة الشيخ عبدالواسع بن يحيي الواسعي اليماني . طبع بالمطبعة السلفية بمصر. صفحاتهُ ٤٠٠ من القطع الصغير

﴿ الثقافة ﴾ مجلة علمية ادبية شهرية لصاحبها ومديرها المحامي عبد الجليل برتو تصدر في البصرة — عراق وتطبع بالمطبعة الكاظمية فيها وقيمة اشتراكها ٩ ربيات في السنة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) مقالات المقتطف

عاليه لبنان . هل يقبل المقتطف المقالات التي تبعث لهُ للنشر

ج . يعنى محرّر المقتطف بمراجعة كل ما يرد على قلم التحرير من المقالات فينشر منها ما يجد نشرهُ مفيداً للقراء ويقدم في النشر ما لهُ علاقة بموضوع يشغل اذهان الناس في الشهر الذي يصدر فيهِ المقتطف او ما كان جديداً في بابهِ كبحث علمي طريف . ويختار المقالات الموجزة على المطوَّلة . ولا ينشر على الاطلاق مباحث دينية او سياسية الاَّ ما كان لهُ علاقة بالعلم او كان فيهِ البحث على اسلوب علمي . ويشترط في كل ما ينشر ان يكون اسلوبهُ العربيّ صحيح سهل المأخذ وخطهُ واضح

(٢) كتاب تسلسل الانسان

ومنهُ . هل ترجم كتاب تسلسل الانسان لداروِنْ الى العربية

ج . كلاَّ لم يترجم بعدُ . ولكن تُرجم كتاب اصل الانواع ومترجمهُ الاستاذ اسماعيل مظهر بك صاحب مجلة العصور . وقد طبع جانباً منهُ منذ بضع سنوات وهو يعنى الآن بطبعهِ كلهِ دفعة واحدة

(٣) اعجب الاختراعات

ومنهُ . اي الاختراعات اعجب الجميع

ج . تتوقف الاجابة عن هذا السؤال اجابة محكمة على وجهة نظر السائل . فاذا سئلنا ما هو اعجب المستنبطات الحديثة التي سهلت طرق المواصلات قلنا آلة الاحتراق الداخلي فان السيارات والطيارات والبواخر الحديثة الطراز بنيت عليها . واذا سُئلنا ما هو اعجب المستنبطات التي وسعت نطاق المخاطبات قلنا كل ما يتعلق بالمخاطبات اللاسلكية من مباحث مكسول النظرية الى انبوب ده فرست المفرغ . ولقد تجدون في المقالة التي عنوانها « الحدائق المعلقة ام ناطحات

السحاب » في صفحة ٢٥٧ من هذا الجزء جواباً وافياً عن سؤالكم

(٤) طلبة الجامعة المصرية

ومنهُ . هل تقبل الجامعة المصرية طلاباً غير مصريين. وهل تعتمد على شهادة ام على امتحان

ج . نعم تقبل طلاّباً غير مصريين . والطلاب فيها اما نظاميون او منتسبون . فاذا كانوا نظاميين وجب ان يكونوا من حاملي شهادة البكالوريا المصرية او ان يجتازوا امتحاناً يعادلها . وهؤلاءِ يحق لهم التقدم لاجتياز امتحانات الجامعة ونيل شهادتها . اما المنتسبون فيحضرون المحاضرات ولا يحق لهم التقدم للامتحانات ونيل شهادات الجامعة

(٥) حكومات الدومنيون

شطرة المنتفك العراق . نرجوكم ان تفيدونا عن نوع حكومات كندا وايرلاندا واوستراليا وجنوب افريقيا

ج. في الامبراطورية البريطانية خمس دول مستقلة وهي كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية ودولة ارلندا الحرّة . ويطلق على الدول الاربع الاولى منها اسم دومنيون Dominion ونظام الحكم في كلّ منها نيابيٌّ . اي فيها مجلس دستوري مؤلف من مجلس نيابي ومجلس للشيوخ او للاعيان وفيها وزارة مسؤولة تتألف من حزب الاكثرية وتسقط حين تكون الاكثرية في مجلس النواب ضدها . وعلى رأس الدولة حاكم يعيّنهُ ملك انكلترا وامبراطور الهند ليمثّل شخصهُ فيها فتصدر القوانين الرسمية باسم الملك ويوقع عليها الحاكم نيابة عنهُ

اما ارلندا فقسمان الشمالي والجنوبي . فالشمالي لهُ برلمان مؤلف من مجلسين ووزارة مسؤولة لديهِ ولكن اختصاص برلمان ارلندا الشمالية اقل من اختصاص برلمانات كندا واستراليا وما اليها . واما ارلندا الجنوبية فتدعى الآن «دولة ارلندا الحرة » بموجب المعاهدة التي عقدت مع حكومة بريطانيا سنة ١٩٢١ و١٩٢٢ ولها دستور خاص قائم على ان حقوق التشريع والتنفيذ والسلطة مستمدة من الشعب الارلندي وحكومتها تحسب مساوية لحكومة انكلترا أو حكومة فرنسا في مجامع الدول. ولها مجلسان نيابيان يقسم اعضاؤها قسم الوفاءِ للملك — اي ملك انكلترا — وممثلهُ فيها يدعى الحاكم العام لدولة ارلندا الحرة

(٦) مصير الآثار المصرية

بغداد العراق . ما هو مصير الآثار المصرية الثمينة التي استخرجت وما زالت تستخرج . وما هو نصيب المتحف المصري منها

ج . ما كشف منها قديماً ونقل الى

اوربا كحجر رشيد محفوظ في متاحفها ولا ضرر من ذلك لان الاوربيين يعتنون بهِ عناية فائقة ويتناولونهُ بالبحث والدرس وهم الذين عرفوا قيمتهُ أولاً وكشفوا معناهُ. أما ما يكشف الآن فيبقى كلهُ في مصر ويحفظ في المتحف المصري الاَّ ما تسمح بهِ الحكومة المصرية وذلك لا يكون الاَّ اذا وجد للاثر نسخة طبق الاصل. فلا بأس من نقلها حينئذٍ الى أحد المتاحف الاوربية

(٧) اشتراك المقتطف خارج القطر المصري

صافيتا سوريا. لماذا لا تجعلون اشتراك المقتطف في سورية مثلهُ في مصر وما الباعث على حرمان سورية وهي منشأ المقتطف من هذه المساواة

ج. لاننا ندفع الفرق اجرة بريد لنقل اعداد المقتطف الى المشتركين خارج القطر المصري. واذا اطلعتم على المجلات الاوربية والاميركية وجدتم أن كلاًّ منها تتقاضى من المشتركين في الخارج مبلغاً من المال فوق قيمة الاشتراك القانونية في بلادها

(٨) ترجمة جمهورية افلاطون

ومنهُ. هل نقلت جمهورية افلاطون الى اللغة العربية ولماذا لم تنقل ؟

ج. لم تطبع بعد. ولكن علمنا ان الاستاذ حنا خباز نقل معظمها وكاد يتمها وقد يقدمها للطبع قريباً

(٩) كتاب الاخلاق لارسطوطاليس

ومنهُ. أين يوجد كتاب الاخلاق تعريب الاستاذ لطفي السيد وكم ثمنهُ

ج. في مكاتب مصر الشهيرة وثمنهُ جنيه

(١٠) سير النوابغ في المقتطف

ومنهُ. كثيراً ما نسمع بذكر النوابغ من عظماءِ الاجانب ولكن لسوءِ الحظ لا نحسن لغة اجنبية نرجع اليها للدرس عن مباحث اولئك النوابغ عندما نسمع بذكرهم ولما كان المقتطف خير وسيلة لسدّ هذه الثلمة وملءْ هذا الفراغ اتيت بكلمتي هذه لتتكرموا بكتابة شيء مفيد عن اينشتين ونظريتهِ

ج. لا يخلو عدد من المقتطف من ذكر نابغة من نوابغ العالم في العلم او الادب او السياسة او الادارة او الاعمال المالية. وقد جمعنا حتى الآن من مجلدات المقتطف الماضية كتابين نفيسين ضمّ اولهما سير النوابغ من رجال العلم والتعليم والفلسفة والثاني سيَرَ الروّاد والمستكشفين. وفي اول فرصة سنخرج كتاباً يشتمل على سير رجال المال والاعمال. واذا راجعتم هذا الجزء من المقتطف وجدتم فيهِ سيرة عالم كبير هو الاستاذ پيوپن الاميركي وسيرة اديب كبير هو بلاسكو ابانيز الاسباني

وفي الجزء القادم ننوي ان ننشر سيرة

لورد اكسفرد السياسي الانكليزي المشهور وسيرة توماس هاردي الاديب الانكليزي. اما مذهب اينشتين فنتحاشى الخوض فيهِ لصعوبتهِ ولانهُ لا بدَّ من معرفة الرياضيات العالية لادراك مبادئهِ ومع ذلك فقد نشرنا في المقتطف خلاصتهُ ص ١٥٩ م ٦٠

(١١) تاريخ ملح الطعام

ومنهُ . متى استعمل الملح في الطعام وما الفائدة منهُ

ج . الملح يدخل في تركيب الجسم ولذلك لا بدَّ من تناولهِ بكميات قليلة مع الطعام ليعوّض الجسم عما ينحلُّ منهُ ويفرز. اما تاريخ استعمالهِ في الطعام فمتغلغل في التاريخ القديم . ويظهر من بعض الاشعار في الاودسي ان الملح كان صعب المنال على كثير من الناس في ابيروس ولذلك لم يستعملوهُ في طعامهم . وقد ثبت ان الاوربيين ادخلوا عادة استعمال الملح الى بعض انحاء اميركا والهند . ولا يزال استعمالهُ في بعض البلدان في اميركا المتوسطة يحسب من الكماليات وينحصر في الاغنياء فقط. ولا ريب في انهُ لا حاجة الى استعمال الملح في الطعام حيث الانسان لا يزال على الفطرة يقتصر طعامهُ على اللبن واللحم النيء . فان في اللحم النيء من الاملاح ما يكفي حاجة الجسم اليها . وقد جاءَ في الانسكلوبيذيا البريطانية ان عرب حضرموت وقبائل النوميديين الرحالة لا تتناول ملحاً في طعامها . ولكن سكان البلدان التي يقتصر فيها الطعام على الخضراوات يحتاجون الى الملح في طعامهم. وهذه الحاجة منشأُ تاريخ الملح الاقتصادي وهو مع تاريخ السكّر الاقتصادي من اعلق المباحث التاريخية باللب . وقد نعود اليهِ في فرصة اخرى. اذ لا يتسع لهُ باب المسائل الآن

(١٢) صحة التنجيم

ومنهُ . يزعم بعض المنجمين انهم يعلمون بما سيكون في المستقبل من خير او شر . فهل لهذا الزعم نصيب من الحقيقة ؟

ج . ليس لهذا الزعم اساس علمي

(١٣) مورس ونظامه التلغرافي

ومنهُ . من هو مورس وما هو نظامهُ التلغرافي

ج . صموئيل مورس مستنبط التلغراف المستعمل الآن اميركي ولد في بلدة شارلستون من ولاية مستشوستس من اعمال الولايات المتحدة الاميركية وتخرج من كلية يايل سنة ١٨١٠ واستنبط التلغراف التجاري سنة ١٨٣٢ وبقي يعاني الفقر المدقع ١٢ سنة قبلما اتقنهُ ومهد لهُ السبيل لعرضهِ على الجمهور . وحين يذكر نظامهُ التلغرافي يراد في الغالب نظام الاشارات الكهربائية التي وضعها للتعبير عن الحروف الهجائية

باب الأخبار العلمية

صورة الغلاف

ترمز صورة الغلاف الى انتصار الانسان على قوى الطبيعة على ما هو مبين في مقالتنا التي عنوانها « الحدائق المعلقة ام ناطحات السحاب » وكأنها تمثل قول خليل مطران في نبوليون :

من بعد فتح الارض ماذا تبتغي
فاجاب النظر كيف افتتح السما

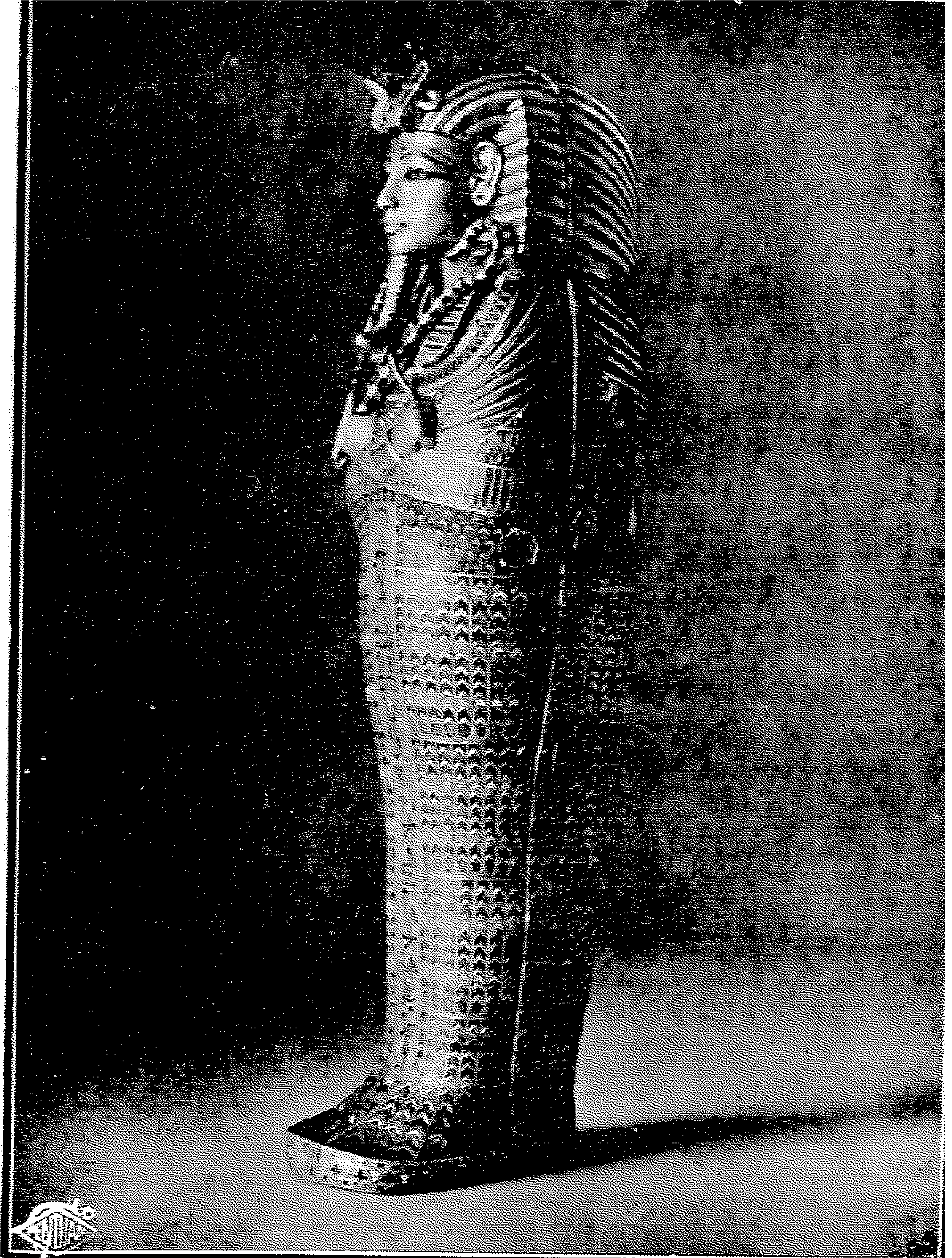
تحف توت عنخ امون

اخرج المستر كارتر مؤخراً تحفاً نفيسة من مدفن توت عنخ امون اطلعنا على اوصافها وصورها بقلمه في مجلة « اخبار لندن المصورة » فنقلنا صورتين من الصور المنشورة معها يراهما القارئ امام هذا الكلام فالرؤوس الاربع التي على اعلى الصندوق في احدى الصورتين تمثل الملك توت عنخ امون وهي سدادات لاربعة اوعية تحتوي على امعاء الملك جرياً على عادة المصريين القدماء في حفظها . ومع كل من هذه الاوعية وجد تمثال مصغر يمثل تابوت توت عنخ آمون الذهبي الذي نقل الى المتحف المصري. وهذه التماثيل المصغرة آية من آيات الدقة واتقان الصنعة . ويرى القارئ صورة احداها في الصفحة المقابلة . اما التماثيل التي على زوايا الصندوق فتمثل اربع الاهات من آلهة مصر وقفت هناك لحراسة الصندوق والكتابة الهيروغليفية تبين اوصافها الالهية

افتتاح مصحة حلوان

كان شهر فبراير من احفل شهور السنة بتأسيس المشروعات العمرانية في مصر . فقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد فوضع اولاً حجر الزاوية في بناء الجامعة المصرية الجديد ثم تفضل فوضع حجر الاساس في قناطر نجع حمادي ثم بافتتاح معرض الصور الفرنسي ثم بافتتاح مصحة حلوان . وقد جاء في خطبة الغرابلي باشا وزير الاوقاف التي القاها في حضرة صاحب الجلالة الملك ما خلاصته :

المصحة قائمة على ربوة في الطرف الشمالي الشرقي لمدينة حلوان وتبلغ مساحة ارضها ٥٧٦٠٠ متر مربع وهي تشتمل على جناحين كبيرين احدهما في الجهة البحرية والآخر في الجهة القبلية مكون كل منهما





من التحف النفيسة التي عثر عليها في مدفن توت عنخ آمون مؤخراً

امام الصفحة ٣٥٤

من اربع طبقات عدا الملحقات ويفصلها فضاء متسع فيهِ متنزه صغير للمصحة وقد اشترتها الوزارة بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه ارضاً وبناء

وقد بلغ عدد الذين دخلوا المصحة من حين قبول المرضى فيها في ٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ حتى يوم افتتاحها ٤٥١ مريضاً وهذا عدد غير قليل اذا اعتبرنا ان امراض الصدر تحتاج في شفائها الى زمن طويل اذ يلزم لعلاج المريض من سبعة شهور الى عشرة اذا كانت الحال غير خطرة وقد يمكث من ١٢ شهراً الى ١٨ شهراً اذا كانت الاصابة خطرة . وقد كانت نتائج العلاج موجبة للرضى فان ٨٢ ٪ من المصابين الذين جاؤوا المصحة وهم في الدور الاول من الداء شفوا و ٦٠ ٪ من الذين جاؤوها وهم في الدور الثاني شفوا و ٢٦ في المائة من الذين جاؤوها في الدور الثالث شفوا وهذه نتائج قابلة للتحسن مع زيادة الاختبار. وقد اقتنع المشرفون على ادارة المصحة ان جوّ حلوان لا يضارَع في موافقتهِ لعلاج المصابين بالتدرن الرئوي لذلك كان اختيار هذه البقعة لانشاء هذا المشروع الجليل اختياراً موفقاً . ووزارة الاوقاف لم تضنّ بالمال لتجهيز المصحة باحدث وسائل العلاج على اختلافها

النهضة العلمية في العراق

اطلعنا في مجلة الشرق الادنى على الحقائق التالية عن النهضة العلمية في العراق فجاءت معززة لرأينا الذي ابديناهُ في هذا الجزء حين الكلام على بعض المطبوعات الحديثة التي وردت على مكتبة المقتطف من عاصمة العباسيين . فالاعمال العمرانية قائمة على قدم وساق في المدن والحواضر والقرى والدساكر . والتعليم يسير بقوة الكهربائية بين الجماهير ويضيء مجاهل مظلمة ظل سكانها قروناً عديدة يتسكعون في دياجير الجهل والانحطاط ولا أدل على انبثاق فجر العلم والعرفان في العراق من ان الاحصاء الرسمي قد اثبت ان عدد تلامذة المدارس على اختلاف أنواعها قد بلغ ٤٧ الف طالب مع انهم لم يكونوا في العهد التركي اكثر من بضعة آلاف ولم يزيدوا في العام الاول من الحكم الوطني عن ١١ الفاً . ولقد كان حظ المرأة من التعليم وافراً ونصيبها كبيراً فان عدد الفتيات الدارسات ينوف الآن على بضعة آلاف وتنوي الحكومة العراقية ان توفد هذا العام أول بعثة من خريجات دار المعلمات الى الجامعات الاوربية والاميركية ليعدن الى بلادهن ويقمن بمهمة التعليم والتهذيب بدلاً من الاستعانة بعربيات ومهذبات اجنبيات. وللعراق الآن

ما يناهز ثمانمائة طالب يتعلمون في جامعات بيروت ودمشق والاستانة والقاهرة والهند واوربا واميركا ويدرسون العلوم والفنون التي تحتاج اليها بلادهم كالزراعة والطبابة والبيطرة والهندسة والتربية والتعليم. والى جانب هذه البعثات بعثة عسكرية تدرس الآن الطيران في انكلترا وقوامها ١٨ تلميذاً وفي النية ايفاد بعثة أخرى مؤلفة من ٣٠ تلميذاً هذا العام. كما ان وزارة الدفاع انشأت مدرسة تدريب للطيران يتعلم الآن فيها نحو ٥٠ تلميذاً توطئة لارسالهم الى انكلترا حتى اذا حل عام ١٩٣٢ كان للعراق عدد وافر من ضباط الطيران وبضعة اسراب من عقبان الجو تقوم مقام الاسراب البريطانية الراحلة

الملك العلمي

يبتاع زيد مائة فدان من الاطيان البور بثمن بخس جداً ويعمل في اصلاحها بضع سنوات فيصير ثمنها عشرة اضعاف ما اشتراها بهِ فاذا اشترى الفدان بعشرة جنيهات صار يساوي مائة جنيه. فكل الزيادة في الثمن ملك حلال لهُ تعترف لهُ بهِ الحكومة وكل احد. ويؤلف عمر رواية يشتغل بتأليفها بضعة اشهر وتطبع وتباع ويكرَّر طبعها فيكون له منها ربح وافر وتعترف له الحكومة اذا اراد ان الرواية ملك لهُ يتمتع بريعها كما يتمتع كل أحد بريع ما يملكهُ. ولكن العالِم الذي يبحث وينقب حتى يكتشف حقيقة علمية تبنى عليها اعمال ينتفع بها اصحاب الصنائع والمتاجر لا يستفيد من ذلك مالياً. افلا يحق لهُ ان يشارك المستنبط الذي يستعمل هذه المكتشفات اساساً لمستنبطاته فيما يجنيهِ من الربح منها؟ هذا موضوع جدير بالنظر. وقد وضعت كلية الحقوق في جامعة «نورث وسترن» الاميركية جائزة قدرها مائتا جنيه تمنح لافضل رساله قانونية في هذا الموضوع. وفي اوربا واميركا اناس يسعون لجعل مكتشفات العلماء العلمية املاكاً يستفيدون منها كالمخترعات الصناعية فعزمت اكادمية العلوم باميركا ان تجمع عشرين مليون ريال (اربعة ملايين جنيه) وتجعل ريعها جوائز تجيز بها العلماء على ما يكشفونهُ من الحقائق العلمية المفيدة

انباء طبية

جاء في مجلة العلم العام ان احد الانكليز استنبط مطهراً جديداً اطلق عليهِ اسم «مونسول» يستخرج من قطران الفحم الحجري ومن خصائصه انهُ يسهل شربهُ وحقنهُ في الشرايين من غير ضرر يصيب الانسجة من جراء ذلك

وفي انباء المانيا ان أحد علمائها في

معمل رنجولد الكيماوي بهمبورغ كشف طريقة لفحص الدم يستطيع ان يعرف بها وجود السرطان قبل ظهوره وقبل ظهور اعراضه

وقد صُنعت في جامعة الينوي آلة لمكافحة السرطان تحتوي على اكبر انبوب لاشعة اكس كلفت صانعيها مائة الف جنيه والاشعة التي تنبعث منها تخترق جسم الانسان فتقتل النواحي السرطانية التي فيه او تعيق نموها في فترة تختلف بين ثماني دقائق و١٢ دقيقة

ويرى الدكتور ڤولي شيني الاميركي ان اكبر اسباب الزكام كثرة الاكل وقلة الرياضة البدنية وقلة النوم وكثرة الهم العقلي

علاج الشلل العام بالملاريا

الزهري مرض عضال منتشر في جميع اصقاع الارض على اختلاف درجات حرارتها وانتشارهُ في البلاد الحارة حيث يغلب انعدام اسباب الوقاية منهُ اكثر من انتشاره في البلاد الباردة

وللزهري مضاعفات شتى اشدها مضاعفاته في الجهاز العصبي وهذه المضاعفات الاخيرة يكاد لا ينجع فيها علاج واهمها الشلل العام (General Paralysis) والشلل التحركي (Tabes Dorsalis) وقد لاحظ الاطباء منذ زمن ان هذه المضاعفات العصبية اكثر انتشاراً في البلاد الباردة منها في البلاد الحارة مع ان الزهري اكثر انتشاراً في الاخيرة منها في الاولى.

وحديثاً وجد الدكتور فاجنر يورج الممساوي تحسناً بيّناً في بعض المرضى المصابين بشلل عام بعد ما اصيبوا بمرض الملاريا . ففكر في استعمال عدوى الملاريا الصناعية في مداواة هذا المرض فثبت لهُ انهُ اذا حقن دم مصاب باحد انواع الملاريا (المعروف بالثلاثية الحميدة Benign Tertia) في شخص مصاب بشلل عام اصيب المحقون بعد بضعة ايام باعراض الملاريا فاذا ترك هذا المريض مدة بدون علاج للملاريا خفت او زالت اعراض الشلل العام وبعد ذلك يعطى المريض علاج الملاريا العادي كالكينا وخلافه

وقد وجد ان حوالي ٣٠ في المائة من الذين عولجوا بهذه الطريقة نالوا الشفاء التام واصبحوا قادرين على الرجوع الى اشغالهم وحوالى ٣٠ في المائة آخرين تحسنت حالتهم تحسناً بيّناً فلم يبق ما يوجب حفظهم في المستشفيات

هل تغيرت سرعة النور

يرى الاستاذ جوري ده براي الفلكي الفرنسوي ان سرعة النور آخذة في الانخفاض ويبني رأيهُ هذا على ان النتائج

التي وصل عليها العلماءُ في قياس سرعة النور آخذة في الانخفاض سنة فسنة ومتوسط هذا الانخفاض نحو ٣ اميال في الثانية كل سنة . فسرعة النور على ما قاسها الاستاذ ميكلصن في السنة الماضية ١٨٦٢٨٤ ميلاً وهي اقل مما كان معروفاً قبلاً . فاذا جاءت نتائج مباحثهِ في السنة القادمة اقل من نتيجة بحثهِ الماضي وجدنا دليلاً جديداً على صحة هذا المذهب

وهذا التغيّر القليل في سرعة النور لا يحدث فرقاً ما لدى العامة ولكنهُ يحملنا على تعديل بعض الاراءِ الطبيعية المسلَّم بها الآن

العالم لورنتز الهولندي

LORENTZ

في الرابع من فبراير الماضي قضى العالم لورنتز الهولندي نحبهُ عن ٧٤ سنة قضاها في البحث العلمي والتعليم . وُلد في ١٨ يوليو سنة ١٨٥٣ وبعد تخرجهِ في العلوم العالية عين استاذاً في جامعة ليدن المشهورة فبقي في هذا المنصب الى سنة ١٩٢٣ . وهو من اشهر علماء الطبيعيات في هذا العصر ولهُ مباحث مبتكرة في « مذهب الكهارب وتطبيقهِ على الحرارة والنور » « ومذهب مكسول الكهربائي المغنطيسي » « ومذهب اينشتين » وقد كان اميل الى معالجة الطبيعيات من الوجهة الرياضية. وفي سنة ١٩٠٢ منح مع الاستاذ بطرس زيمن جائزة نوبل للطبيعيات . وقد احتفل بدفنه في ٩ فبراير فذهب السر ارنست رذرفورد خصوصاً الى هولندا ليمثل الجمعية الملكية الانكليزية في مأتمه

الجنرال جيتولز

GEN. GOETHALS

اشتهر الجنرال جيتولز بانه مهندس عظيم واكبر اعماله الهندسية هو الاشراف على اتمام ترعة بناما . ذلك ان الرئيس روزفلت عينه سنة ١٩٠٧ عضواً في اللجنة التي شكّلت لتنظر في مسألة ترعة بناما. ثم جعله رئيساً للجنة وللمهندسين . فقام بالعمل افضل قيام. وفي ١٥ اغسطس سنة ١٩١٤ فتحت ترعة بناما للسفن التجارية . فعيّنه الرئيس ولسن حينئذٍ الحاكم المدني الاول لمنطقة ترعة بناما فبقي في منصبهِ هذا الى سنة ١٩١٦ . ثم استقال وتقلب في مناصب الجيش العالية حتى طلب ان يحال الى المعاش سنة ١٩١٩ . وكانت وفاته في ٢١ يناير الماضي عن ٦٩ سنة

اكبر الطيارات

تتسابق شركات الطيران الى صنع اكبر الطيارات فقد صنعت شركة دورنيه الالمانية طيارة طولها ٨٠ قدماً و٨ بوصات والمسافة

بين طرفي جناحيها ٩٣ قدماً و٦ بوصات وفيها اربع محركات قوة كل منها ٤٥٠ حصاناً وفيها غرفتان تسع ٣٢ مسافراً . ويؤخذ من انباء الولايات المتحدة الاميركية ان احدى شركات الطيران فيها صنعت طيارة تبلغ المسافة بين طرفي جناحيها ٢٠٠ قدم وفيها ١٦ محركاً مجموع قوتها ٧٢٠٠ حصان وتسع ١٠٠ مسافر

طيارة من غير طيار

تجرّب التجارب الآن في جنوب فرنسا بطيارة تسيَّر باللاسلكي عن بعدٍ من غير طيَّار يديرها وقد طارت حتى الآن عشر مرات فارتفعت عن سطح الارض وحامت في الجو على ما شاءه مديروها من الارض ثم عادت ونزلت الى الارض في مكان معين لها . وقد قررت الحكومة الفرنسوية ان تشتري امتياز هذا الاستنباط وتحتفظ بهِ لكي تستعملهُ اذا دعت اليه الحاجة في وقت الحرب

خلود الاغاني اللاسلكية

كتب احد المهندسين بشركة ماركوني اللاسلكية ان اصوات المغنين التي تحوَّل امواجاً لاسلكية وتذاع في الفضاء خالدة يستطاع التقاطها بعد مرور قرن عليها اذا تمكنا من صنع آلات مستقبلة شديدة الاحساس لان الامواج اللاسلكية نفسها لا تزول

ولما سأل المخترع لي ده فرست في ذلك قال: ان الامواج اللاسلكية خالدة من الوجهة النظرية خلود امواج الاوقيانوس ولكنها تضعف بعد انطلاقها في الفضاء فيصعب التقاطها بالآلات المستقبلة الشائعة الآن

اكبر جائزة للطيران

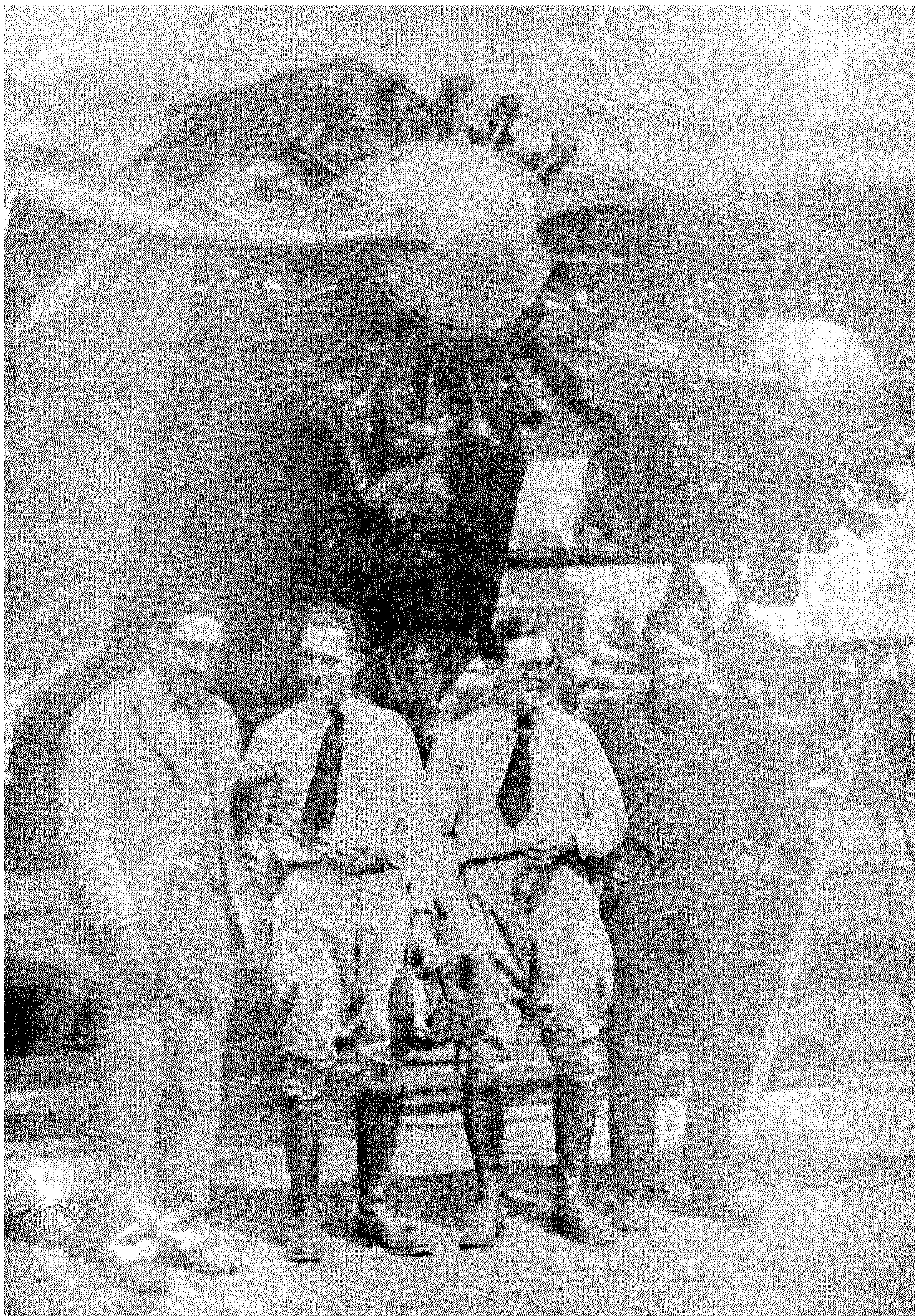
وضع المستر دانيل غوغنهايم جائزة قدرها ٢٠ الف جنيه تمنح للطيارة التي تبرهن على تفوقها على غيرها من الطيارات من حيث سلامة الطيران فيها وثباتها في الهواء مهما تقلبت احوال الجو . فشرعت شركات الطيران في انحاء العالم تعد المعدات لبناء طيارات تخوض هذه المباراة. وقد وضع المستر غوغنهايم ايضاً جوائز مختلفة لترقية الطيران من نواحٍ مختلفة قدرها نحو نصف مليون جنيه

١٤١ مليوناً

بلغ عدد الناس الذين ركبوا سيارات « شركة الامنيبوس العامة » بلندن سنة ١٩٢٧ نحو ١٤١ مليون نسمة وبلغت المسافة التي اجتازتها هذه السيارات وهي ٤٠٠٠ سيارة نحو ١٦ مليون ميل

الجزء الثالث من المجلد الثاني والسبعين

صفحة



الكومندر برد ورفاقهُ الثلاثة امام طيارتهم التي اجتازوا بها الاقيانوس الاتلنتيكي
وهو الثاني من اليسار

مقتطف ابريل ١٩٢٨
امام الصفحة ٣٦١

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والسبعين

ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٠ شوال سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صرّوف

الحرب وتنازع البقاء

يقول انصار الحرب ان تنازع البقاء ناموس عام ولا بدَّ منهُ لبقاءِ الاصلح وارتقاءِ النوع وهذا التنازع قائم بالحرب والحرب اساسهُ ووسيلتهُ وان امم الارض كاسماك البحر واشجار البر تتنازع البقاء ويبقى اصلحها في هذا الجهاد . والتنازع ناموس طبيعي لا يمكن نقضهُ ولكن اذا انعم الباحث نظرهُ فيهِ وجد انهُ ليس لازماً بين الانسان واخيهِ بل بين الانسان والطبيعة ووجد ايضاً ان في الطبيعة ناموساً آخر لازماً لارتقاءِ النوع مثل ناموس التنازع وهو ناموس التعاون وهذا الناموس ارقى من ناموس التنازع لانهُ من لوازم الاحياءِ العليا وقد كانت لهُ اليد الطولى في ارتقائها ولاسيما في ارتقاءِ الانسان . وكل تنازع يمنع هذا التعاون لا تكون نتيجتهُ الاَّ الانحطاط . والحروب لا تثار لاسترداد حق مهضوم ولا لمساعدة الطبيعة على بقاءِ الاصلح ولكنها الاهواءُ مثل حب السيادة وحب الكسب وحب المجد تدفع اولياء الامور وقواد الجيوش واصحاب المصالح الى انشاءِ البوارج واعداد المير وسوق الجنود الى ميادين القتال. ومتى علم ذلك ورسخ في الاذهان صار الناس يحتقرون رجال الحرب كما يحتقرون قطاع الطرق . والانسان غير مكلف ان يثير الحرب لكي يقتل من لا يستحق البقاء من نوع الانسان او من تقلُّ وسائل المعيشة ببقائهِ لاسيما وان الذين يقتلون بها هم النقاية لا النفاية

اصول الحضارة الهندية القديمة

مكتشفات اثرية باهرة

للسر جون مارشال مدير البحث الأثري في الهند

قلما يوفّق الباحثون الاثريون الى ازاحة الستار عن حضارة كاملة مدفونة كما وُفّق شليمان الالماني في بلاد اليونان وافانس الانكليزي في جزيرة كريت . ولكن ظهر الآن ان الباحثين الاثريين في الشمال الغربي من بلاد الهند في ولايتي البنجاب والسند قد وفقوا الى مكتشفات اثرية خطيرة الشأن قد تكشف القناع عن اصول حضارة هندية قديمة اطلقوا عليها اسم حضارة السند

وقد جرى النقب في موضعين اولها يدعى هاربًّا في البنجاب والثاني موهنجودارو في السند والمسافة بينهما نحو اربعمائة ميل فعثروا على آثار مدن في طبقات متراكم بعضها فوق بعض يظهر منها ان تلك البلاد كانت آهلة عامرة منذ اكثر من ٤٧٠٠ سنة . وقد وصف السر جون مارشال هذه المكتشفات وما يستدل منها عن حضارة العصر الذي نشأت فيهِ في جريدة اخبار لندن المصوّرة فذكر اولاً مكان البحث في موهنجو دارو فاذا هو يشغل ارضاً مساحتها اكثر من ثلاثة عشر فداناً وجدوا فيها آثار ثلاث من احدث المدن التي بنيت هنالك في ثلاث طبقات متراكمة .ومن اغرب المباني التي كشفوها بناية فخمة تحتوي على حوض كبير كان يستعمل حمّاماً جرياً على بعض الطقوس الدينية او لحفظ بعض التماسيح او الاسماك المقدسة . وطول هذا الحوض ٣٩ قدماً وعرضهُ ٢٣ قدماً وعمقهُ تحت مستوى ارض البناية ثماني اقدام . وعلى كل من جانبي الحوض سلّم للنزول بهِ الى الماءِ . وارضهُ وجدرانهُ مرصوفة ببلاط دقيق الصنع وعلى جانب كبير من الاتقان . وقد بنيت الجدران بالطوب ولصقت بطين جيري وطلي الجدار الداخلي من خارجهِ بالقطران منعاً لتسرب الماء . ويتصل بهذا الحوض مصرف كبير مسقوف بقنطرة ارتفاعهُ ست اقدام ويصل بماءِ الحوض الى خارج المدينة . وعلى مقربة من هذا الحمام الفخم حمام آخر شبيه بهِ ولكنهُ لم يحفظ سليماً من الاذى

وقد عثروا ايضاً على آثار مبانٍ صغيرة للسكن ومخازن للبيع مما يدلّ على ان ما بلغهُ الفرد في ذلك العصر من الحرية والتقدم يفوق ما بلغهُ من هذا القبيل على ضفاف

دجلة والفرات والنيل ومع ان المستر ولي كشف مؤخراً في اور الكلدانيين مباني من هذا القبيل الاّ انها لا تقارن بالمباني التي كشفت في موهنجودارو من حيث الاتقان وينقصها نظام المصارف الذي بهِ كانت تجمع المياه القذرة من الحمامات المختلفة في احواض كبيرة في الشوارع ثم تنقل الى خارج البلدة

ولما كان هناك شبه كبير بين آثار هذه الحضارة وآثار الحضارة السومرية القديمة فقد كنا اطلقنا على الحضارة التي كشفت آثارها في موهنجودارو وهاربا اسم الحضارة الهندية — السومرية . ولكن بعدما توغلنا في البحث ثبت لنا ان سبب هذا التشابه ليس وحدة الحضارتين بل التبادل التجاري بين البلادين . فعدلنا الى «حضارة السند»

تاريخها

كشفت اختام هندية في سوسا ببلاد فارس تشير الى هذه الحضارة ومن الموقع الذي وجدت فيهِ يستدلُّ على انها تعود الى قبل عهد سارغُن الاول اي قبل سنة ٢٧٠٠ ق . م . وقد وجد حديثاً ختم في اور عليهِ ما على بعض هذه الاختام ولكنهُ منقوش بالخط المسماري الذي يعود الى العهد المذكور . وعليهِ نستطيع ان نستنتج ان هذا النوع من الاختام خاص بالنصف الاول من الالف الثالثة قبل المسيح او قبل ذلك . ولما كانت هذه الاختام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمدن التي كشفت في موهنجودارو لكثرة ما كشفناهُ منها فيحقُّ لنا ان نجعل تاريخ هذه المدن يتراوح بين سنة ٣٥٠٠ و٢٥٠٠ ق . م ولا يعلم على وجه من الدقة الزمن الذي انقضى على قيام هذه المدن وسقوطها ولكننا نرجح اننا لا نكون بعيدين عن محجة الصواب اذا جعلنا تاريخ المدينة العليا سنة ٢٧٠٠ ق.م . وتاريخ التي تحتها سنة ٣٠٠٠ ق.م . وتاريخ الثالثة التي تحتهما سنة ٣٣٠٠ ق . م . اما مدن هاربا فالعليا منها معاصرة لهذه المدن واما المدن التي تحتها فاسبق عهداً ولكننا لا نستطيع تعيين تاريخ هذا العهد

اجناس السكان

وما هو جنس هؤلاءِ الناس الذين خلقوا حضارة السند ؟

لا نستطيع الاجابة عن هذا السؤال اجابة صحيحة لان مباحثنا لم تتقدم تقدماً يكفي لذلك . وقد وجدنا كما كنا ننتظر ان اكثر الهياكل العظمية التي عثرنا عليها تدل على ان اصحابها من شعب مصفح الرأس (Dolechocephalic) [1] أي يصح ان

(١) ترجمة العلامة فهر الجابري . انظر مقتطف اغسطس ١٩٢٦ ص ١٧٤ .

ننسبهم الى الاجناس المستطيلة الرؤوس التي كانت تقطن جنوب اسيا واوربا والتي يطلق عليها اسم شعوب البحر الابيض المتوسط . ولم نعثر سوى على جمجمة واحدة من نوع الجماجم المدوّرة(٢) Brachycephalic واما التماثيل التي عثرنا عليها فتمثل اناساً رؤوسهم مدوّرة مثلها . ولكن ما لدينا من المعلومات حتى الآن لا يكفي للوصول الى نتائج مقرّرة في هذا الموضوع

النسيج واللبس

ان وجود مغازل كثيرة وقطع من القطن المنسوج نسجاً دقيقاً في اطلال المدن التي كشفنا عنها يدلّ دلالة قاطعة على ان سكانها كانوا يغزلون وينسجون ولا يخفى ان اسم القطن في اللغة البابلية «سندهو» وباللغة اليونانية «سندُن» وكلا اللفظين يشيران الى وادي نهر السند كموطن القطن الاصلي . ولكن بعض الباحثين كانوا مرتابين في ذلك وقال بعضهم ان القطن الذي استعمله البابليون واليونان جنوهُ من اشجار قطن غير شجيراته المعروفة الآن . فجاءت مكتشفاتنا بالقول الفصل وقطعت جهيزة قول كل خطيب . لان القطن الذي وجد في موهنجودارو من النوع الثاني ولهُ كل مميزاته

وكان لباس الرجال منهم يشتمل على قطعتين من الثياب رداء يربط حول الوسط وشال عاطل أو مزخرف يرفع الى الكتف الايسر مارًّا من تحت الابط الايمن فتحفظ الذراع اليمنى مطلقة . وكان الرجل يطلق ذقنهُ وعارضيه احياناً واما شعر الشاربين فكان يحلقهُ احياناً ويحفظهُ اخرى. وكان شعر الرأس يجمع ويعقص في مؤخر الرأس . وقد عثرنا على رأس تمثال لامرأة مثّل فيها شعرها مسترسلاً على كتفيها وظهرها . ولا نعلم من ذلك هل كان هذا الزيّ فاشياً حينئذٍ . وكان الرجال من الطبقات الدنيا يذهبون عراة والنساء تلبسن ما يستر عوراتهن فقط مع اننا عثرنا على تمثال فتاة راقصة عارية كل العري . وكان كل الناس على اختلاف طبقاتهم رجالاً ونساء يتحلون بالحلي المختلفة — عقود وخواتم وزنانير . وانفردت النساء بلبس الخلاخل

حيواناتهم الداجنة والبرية

وكان من حيواناتهم الداجنة الثور والجاموس والضأن والخنزير والكلب والحصان والفيل ولم نعثر على اثر ما للجمل ولا للقطة . اما الحيوانات البرية فمنها الفهد والفيل ووحيد القرن . ولم نعثر على اثر ما يشير الى وجود الاسد

(٢) ترجمته ايضاً

زراعتهم

لم يكن في الامكان ان تنهض مدن كبيرة زاهرة كمدينتي موهنجودارو وهارپا في ذلك العصر الا في بلاد زراعية اتقن اهلها الزراعة الى حدّ بعيد . ومع ان ما كشفناهُ حتى الآن عن اساليب الزراعة والري المستعملة حينئذٍ لا يزال ضئيلاً جدًّا فلا بدَّ من الاشارة الى ان انواع الحنطة التي وجدت في موهنجودارو هي هي انواع الحنطة التي في بلاد البنجاب الآن . وقد ثبت لنا من اعتبارات مختلفة ان مقدار ما كان يهطل من المطر سنويًّا في السند وغرب البنجاب كان أعظم مما هو الآن . وان السند كانت تروى حينئذٍ من نهرين لا من نهر واحد وانها كانت كذلك اخصب مما هي الآن واقل عرضة لآثار الفيضانات وما تتركهُ في اثرها من الخراب

طعامهم

وكان سكان هاتين المدينتين يشربون اللبن ويأكلون الخبز ولحم الغنم والبقر والخنازير والسلاحف وسمك نهر السند الطازجة والسمك المقدّد مجلوباً من شواطىء البحر . والادلة على ذلك وجود انواع مختلفة من العظام في بيوت مختلفة ساعدنا في تحقيق الحيوانات الخاصة بها الماجور سول مدير قسم الحيوانات في حكومة الهند ومعاونوهُ

الحلي

كانت الحلي التي يتحلّى بها الاغنياء من الذهب والفضة او النحاس المطلي بالذهب والقيشاني الازرق والعاج والعقيق واليشم وحجارة ملونة مختلفة . أما الفقراء فكانوا يستعملون الصدف والتراكوتا . وقد عثرنا على أمثلة كثيرة مختلفة من هذه الحلي وتلك أخص بالذكر منها عقداً من العقيق والنحاس المطلي بالذهب ومنها اقراط وابرٌ من الذهب الخالص مصقولة صقلاً يفتخر بهِ امهر الصاغة في هذا الزمان

المعادن

ومن المعادن التي كانوا يستعملونها عدا الذهب والفضة والنحاس القصدير والرصاص فقد كانوا يستعملون النحاس بكثرة في صنع اسلحتهم وادواتهم البيتية فيصنعون منهُ الخناجر والسكاكين والفؤوس والمناجل والازاميل والآنيــة وادوات الزينة على اختلافها كالاساورِ وما اليها . وكانوا يأتون بهِ من بلوخســتان غرباً وراجپوتانا شرقاً وافغانستان شمالاً . اما القصدير فكانــ يصعب الحصول عليهِ والمرجح انهم كانوا يستوردونهُ من خراسان او من الغرب عن طريق سومر في ما بين النهرين

ولم يستعملوا القصدير صرفاً بل مزجوهُ مع النحاس وصنعوا منهُ البرونز واستعملوهُ في صنع ادوات القطع الحادة كالازاميل والمناشير وفي صنع التماثيل الصغيرة والازرار والخرز الدقيقة وغيرها من الحلي ورغماً عن تفوق البرونز على النحاس الصرف من حيث ملاءمتهِ لصنع الادوات المذكورة فان ما صنع منهُ قليل جدًّا لصعوبة تناولهِ وغلاء ثمن القصدير

الاسلحة والسكاكين

ومن الغريب اننا لم نعثر حتى الآن إلاّ على بضع فؤوس وخناجر ورؤوس سهام ورماح. فيظهر ان سكان هذه المدن لم يكونوا رجال حرب. ومع انهم اكثروا من استعمال النحاس في صنع ادواتهم عثرنا على كثير من الادوات الحجرية مما يدل على ان آثار العصر الحجري الحديث كانت لا تزال فاشية بينهم. فقد كانوا يصنعون من حجر صلد من نوع اليصب ادوات الصقل واوزاناً لها نظام هندي خاص يختلف عن نظام البابليين والعيلاميين. وكانوا يجلبون كثيراً من الصدف من شواطيء البحر لتقطع وتنظم في عقود وتصنع منها حلي مختلفة وتستعمل في صناعة تنزيل الخشب. ولهم قيشاني ازرق يماثل قيشاني ما بين النهرين ومصر استعملوهُ كثيراً في صنع الحلي والكؤوس الصغيرة والعقود وما اليها

الخزف

اما ادوات البيت العادية فمن خزف عادي. واشكالها مختلفة ودقيقة الصنع مما يدل على ان صناعة الخزف كانت قديمة جدًّا وانهُ كان قد انقضى عليهم زمن يمارسونها حتى اتقنوها. ولكن من الغريب ان اكثر الآنية الخزفية لم يكن لها حلقات تستعمل كمقابض واكثرها احمر اللون غير مزخرف وبينها ما هو مزخرف ومدهون بالوان مختلفة ولكنهُ قليل واكثر الرسوم سوداء وهي رسوم هندسية وبعضها رسوم حيوانات. وقد عثرنا على آنية في موهنجودارو مزخرفة برسوم حمراء وبيضاء وسوداء. وبعض هذه الرسوم يدل على اتصالهم بعيلام وما بين النهرين وبلوخستان

الكتابة

ان وجود الاختام المنقوشة في كل بناية كشفناها تقريباً يدلُّ على ان سكانها كانوا عارفين بفن الكتابة ويرجح لدينا انهم كانوا يستعملونها في التجارة وغيرها مع اننا لا ندري حتى الآن ما هي المواد التي كانوا يستعملونها مكان الصلصال الذي كانت تصنع منهُ الاختام. وربما استعملوا لذلك الخشب او لحاء بعض الاشجار مما يشبه البردي المصري

كيف عبرنا الاوقيانوس الاتلنتيكي

اربعة في طيارة

ملخص مقالة للطيار الاميركي الكومندر برد

هذه هي المقالة الثانية من المقالات التي ننشرها في « اعظم الرحلات الجوية الحديثة » نقلاً عما يكتبه اصحابها في وصفها. فقراء المقتطف يذكرون رحلة البلون نورج من رومية الى الاسكا ماراً فوق فرنسا وانكلترا ونروج واسوج وروسيا وسبتسبرجن والقطب الشمالي كما وصفها واضع رسوم البلون وقبطانه الجنرال نوبلي الايطالي. وقد نشرناها في جزئي يناير وفبراير الماضيين. وفي الاجزاء التالية ننشر للقراء ملخصاً لرحلات السر الان كوبهام الجوية واوصاف البلدان التي مر فوقها كما كان يراها من الجو. قال الكاتب في المجلة الجغرافية الاميركية :

الرحلة ليست سباقاً

كنت اطمح منذ صباي الى اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي بالطيارة لسببين: الاول لعلمي ان الفوز برحلة كهذه يكون ذا اثر كبير في ترقية الطيران : والثاني لثقتي انهُ يكون باعثاً قوياً على توطيد اواصر الوئام بين الولايات المتحدة الاميركية والشعوب الاوربية . لذلك نشرنا علميْ الولايات المتحدة وفرنسا من مقدَّم طيارتنا لما احتفلنا باطلاق اسم « اميركا » عليها وحضر هذا الاحتفال نحو الفي نسمة اجتمعوا حول الطيارة معجبين بضخامتها ومظاهر المتانة والقوة في محركاتها الثلاثة . وفيما نحن مجتمعون لهذا الغرض وردت الانباءُ عن فوز لندبرغ بالوصول الى باريس بطيارتهِ « روح سانت لويس » فانقلب احتفالنا البسيط الى مظاهرة حماسية غلبت فيها روح التهليل والتكبير وكنت اول رجل وقف يخطب في الجمهور مطرياً عمل لندبرغ العظيم . وكان اعتقادي ان اثر رحلة لندبرغ في احكام روابط الالفة والوئام بين الامم فاق ما كنا ننتظر ان يكون من نصيبنا لذلك غلب علينا السرور والفرح لانهُ تقدمنا

ولا يخفى انهُ بعدما اعددنا كل معدات الطيارة قبل طيران لندبرغ جربنا ان نطير بها لامتحانها فسقطت الى الارض وتعطلت بعض اجزائها وكسرت ذراعي واصيب رفيقي فلويد بنت الذي صحبني في رحلتي الى القطب الشمالي باصابات خطيرة حتمت

عليهِ البقاء في المستشفى زمناً لم يمكنهُ من الطيران معنا الى فرنسا مع انهُ كان يصبو بكل جوارحه الى المخاطرة بحياتهِ في رحلة من هذا القبيل. ومع ذلك لم تخمد نار شجاعتهِ ولم يضعف يقينهُ في نجاح الرحلة وقبيل قيامنا من مطار روزفلت جاءهُ معتمداً على عكازهِ ليودعنا ويتمنى لنا النجاح

اغراض الرحلة

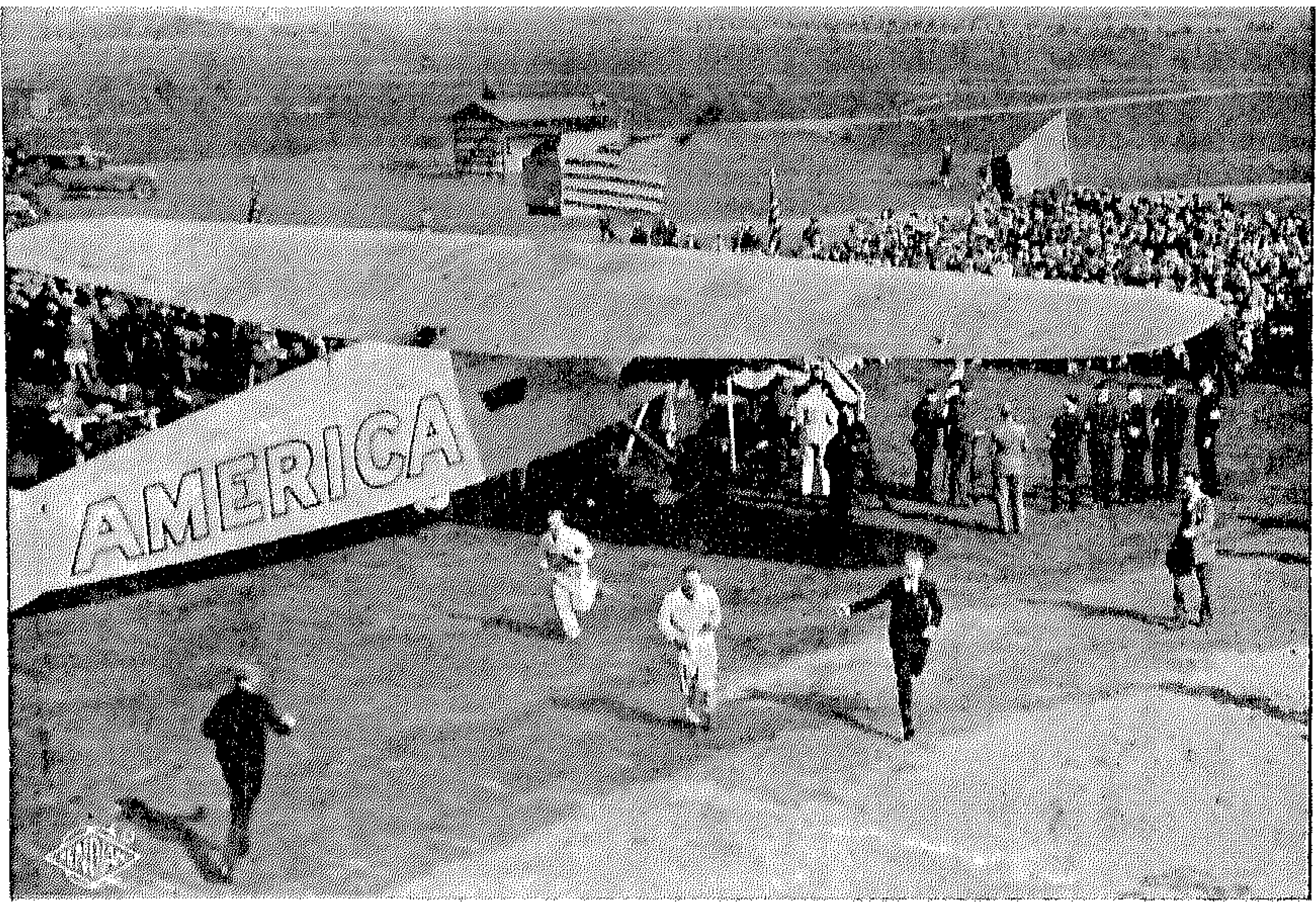
ولم يكن غرض الرحلة مجرد اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي والوصول الى فرنسا وطالما صرّحنا اننا لسنا في سباق مع سائر الطيارين . لذلك اخرنا قيامنا من اميركا حتى عاد لندبرغ اليها لكي لا يظهر اننا اسرعنا الى مشاركتهِ في الامجاد التي استحقها بعملهِ المنقطع النظير . ولكن كنا نريد تحقيق امور علمية لا مندوحة عن معرفتها في المستقبل للذين يعنون بانشاء خطوط المواصلات الجوية بين القارتين

فقد كان اعتقادنا ان الطيران التجاري بين اميركا واوربا لا بدَّ ان يعتمد على طيارات في كل منها ثلاثة محركات او اكثر يكفي محركان منها للنهوض بالطيارة وتسييرها فاذا اصيب احد المحركات بعطل بقي المحركان الباقيان كافيين لحفظ الطيارة في الجوّ وبذلك تضمن سلامة المسافرين . وكنا نريد ان نثبت للمهتمين بشؤون الطيران اننا نستطيع ان نحمل بطيارتنا ما زنتهُ ٦٠٠ رطل من البضائع وثلاثة مسافرين عدا السوّاق والبنزين اللازم لشقة طويلة كهذه وآلة لاسلكية نتصل بها بالشاطئين الاوربي والاميركي وبالبواخر الماخرة عباب اليم اذاعةً واستقبالاً

فقامت في وجهنا منذ البدء مصاعب جمة ذللناها على قدر المستطاع بالاعتماد على خبرتنا في الرحلات السابقة وعلى علم المختصين بالفروع العلمية المختلفة المرتبطة بالطيران

معداتنا

لا يخفى ان محركات الطيارة تدور عدداً معيناً من الدورات في الدقيقة يزيد او ينقص حسب ارادة السائق . وانهُ كلما زاد عدد الدورات زاد مقدار ما تحرقهُ الطيارة من البنزين وان مقدار البنزين في الطيارة محدود فيلزم ان تسير بهِ اطول مسافة مستطاعة . وذلك يختلف باختلاف وزن الطيارة وما تحملهُ . لذلك جربنا تجارب مختلفة الغاية منها ان نعرف مقدار ما تحرقهُ الطيارة من البنزين اذا كانت سرعة المحركات كذا ووزن الطيارة بما فيها حملها ووزن المسافرين بها كذا لكي نعرف اقصى مسافة نستطيع ان نسيرها بالبنزين الذي معنا اذا لم تهب في وجوهنا عواصف شديدة تمنعنا



الاحتفال باطلاق اسم « اميركا » على طيارة برد

بنت معتمداً على عكازه يودع برد ورفاقه قبل قيامهم

عن التقدم بالسرعة التي نتوخاها . وبعد ما اتممنا هذه التجارب وجدنا ان ما نحمله من البنزين يكفي لان يصل بالطيارة ومن فيها الى رومية

وكان المستر هانسن والمستر هيلند من معمل البحث العلمي البحري بوشنطن قد صنعا لنا آلة لاسلكية وزنها ٢٥ رطلاً توخيا فيها اعظم قوة مع اخف وزن وجهزاها بآلة دقيقة ترسل من تلقاء ذاتها حروفاً معينة في الفضاء مرة كل عشر دقائق حتى تبقى المحطات اللاسلكية التي تعرف طول الموجة التي نستعملها متصلة بنا اتصالاً آليًّا

وكان يهمنا كثيراً ان نتلقى في اثناء طيراننا انباء الاحوال الجوية ولكن ذلك كان متعذراً في البدء فاتفقت مع الكومندر نول دايفس وطلبنا من وزير الزراعة الاميركية ان تعضدنا الحكومة في ذلك باصدار التعليمات الى مكتب الظواهر الجوية بالحكومة الاميركية حتى يعدنا بما نحتاج اليه من المعلومات قبل السفر وفي اثنائه فلبى طلبنا ولكن رؤساء المكتب المذكور قالوا ان لا بدَّ لهم من ان يعرفوا احوال الجوّ في انحاء مختلفة من الاوقيانوس الاتلنتيكي كما تذيعها البواخر المختلفة التي كانت تمخر عبابهُ فتبرعت شركة الراديو الاميركية بذلك وعين مكتب الظواهر الجوية بالحكومة الاميركية الدكتور كمبل ليدرس كل التقارير التي تصل اليهِ من هذا القبيل حتى يستطيع التنبؤ باحوال الجوّ على وجه من الدقة . ووضع لذلك خارطات دقيقة لاشك عندي في انها من افيد النتائج التي نتجت عن طيراننا

وكم من ليلة احييناها ساهرين انتظاراً لنبإٍ من الدكتور كمبل بان الاحوال الجوية على ما يرام لكي نحلق في الجوّ ونسير الى طيتنا . وفي الساعة الاولى من صباح ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٧ كلمنا بالتلفون قائلاً ان الاحوال الجوية لا بأس بها وان لم تكن على ما يرام . وكنا قد عزمنا الاَّ ننتظر جوًّا صافياً وبحراً رهواً وهواءٍ ساكناً لان ذلك كاد يكون متعذراً ولاننا قلنا ان طيارة المستقبل يجب ان تجهز بما يمكنها من الطيران في كل الاحوال الجوية على السواء . وزد على ذلك اننا حسبنا اننا بتعرضنا لجو مضطرب نستطيع من ان نجمع حقائق علمية لا يتسنى لنا جمعها في جو هادئ ونزداد خبرة باساليب مواجهتها

وحين اعود بذاكرتي الآن الى رحلتنا وما واجهناهُ فيها من المصاعب أرى انهُ كان في طوق طيارتنا ان تتغلب على احوال الجو مهما اضطربت . والخوف الوحيد في المستقبل على الطيارات التي تعبر الاتلنتيكي انما هو اصطدامها بزوبعة واسعة النطاق تعيقها

عن التقدم فينفد ما تحمله من البنزين وتسقط في البحر

القيام

ولما عزمت على القيام بعد تلفون الدكتور كمبل كلمت رفاقي بالتلفون ليكونوا على قدم الاستعداد فلما وصلت الى المطار في الساعة الثالثة صباحاً كانت الطيارة على رأس الاكمة التي اقمناها في احد جوانب المطار ليسهل قيامها منها بحملها الثقيل بعد ما تسير على منحدر بلغ طوله ٥٠٠ قدم. وكان الطيارون يعدّون المعدات الاخيرة مستنيرين بانوار كهربائية باهرة لان الظلام كان حالكاً والجوّ مكفهرًّا والمطر يسقط رذاذاً على الارض. وادركنا حينئذٍ اننا امام اصعب مرحلة في رحلتنا واحفلها بالمخاطر لان الاقدام على التحليق في الجو بحمل يبلغ نحو سبعة اطنان ليس بالامر السهل

فادرنا الآلات ببطء اولاً وجلس برت اكوستا في مجلس السوّاق ووقف الملازم جورج نوفيل ويده على صمامة خاصة تمكننا من افراغ مقدار كبير من البنزين في لحظة اذا لزم الامر ورأينا ان الحمل اعظم من ان تنهض بهِ الطيارة وان ذلك يعرضنا لخطر السقوط والتحطيم

ثم اطلقنا للآلات العنان. فتململت الطيارة كأنها كائن حيّ وشدّت الحبل الذي رُبطت بهِ الى عمود خاص ووقف احد رجالنا وراءنا وبيدهِ المقص ينتظر الامر حتى يقطع الحبل فتسير الطيارة باسم الله مجراها. ولكن قوة الآلات قطعت اوصال الحبل فانحدرت الطيارة من رأس الاكمة على غير انتظار. على ان اكوستا سائق بارع فانهُ ادارها بمهارة ولكنهُ لم يلبث ان رفع يدهُ توطئة لاشارة يشير بها الى وجوب افراغ البنزين فكان الموقف حافلاً بذلك الصمت الذي يسبق الكارثات الكبيرة

ولكن قبل ان يكمل اكوستا اشارتهُ بوجوب افراغ البنزين ارتفعت الطيارة عن الارض فسري عنا قليلاً واخذت ترتفع رويداً رويداً ونحن لا نزال مضطربين خوفاً من ان يقف احد محركاتها قبلما يخفّ وزنها قليلاً وقبلما ترتفع ارتفاعاً كافياً يمكننا من الهبوط الى الارض سالمين. ولكن المحركات سارت في عملها كالساعة الدقيقة فسرنا نخترق الجوّ بسرعة مائة ميل في الساعة لان الطيران السريع لازم للطيارة المثقلة اكثر منهُ للطيارة الخفيفة اذ بهِ تقاوم الطيارة الثقيلة جاذبية الارض فاذا خفضت سرعتها مالت الى الهبوط لثقلها

كان الطيران من نيويورك الى نوفاسكوشا ثم الى جزيرة نيوفوندلند عاديًّا فكنا

تطير في جوّ صافٍ احياناً فنشاهد البلاد تحتنا حراجاً وغابات كثيفة تتخللها بحيرات صغيرة واحياناً فوق متن الغيوم الفضية فنرى شبح طيارتنا على سطحها كأنهُ نقش بيد مصوّر بارع يحيط بهِ قوس قزح فتفاءلنا بذلك خيراً . وكنا من حين الى آخر نراقب البحر والشاطئ لعلنا نعثر على اثر لطيارة ننجسر وكولي ظنّاً منا انها تحطمت هناك او سقطت في عرض البحر فقذفتها الامواج والرياح الى الشاطئ

ولما بلغنا نيوفوندلند لقينا الدّ اعداء الطيران — الضباب المتلبد ! فعلمنا انهُ لا يسعنا مع هذا الضباب ان نعيّن موقعنا واتجاهنا تعييناً دقيقاً حين نغادر مدينة سانت جون لنخوض غمار الفضاء بين الماء والسماء . فكان يتحتم علينا ان نسير على غير هدى فوق سطح الارض قبل الضرب فوق مجاهل البحر

في الساعة الثانية بعد الظهر كنا قد استعملنا جانباً من البنزين الذي في احواضنا فافرغنا كل الصفائح التي حملناها معنا في الاحواض ورمينا الصفائح الفارغة في البحر والتفتُّ الى نوفل وطلبت اليهِ ان يعمل حساباً دقيقاً لما احرقناهُ من البنزين في المرحلة الاولى من رحلتنا ففعل ووجدنا ان المقدار الذي استعملناهُ جاء اكبر مما كنا ننتظر فاصدرت الاوامر الى اكوستا لكي يقلل ما يستعملهُ من البنزين باكثار مقدار الهواء الذي يمزجهُ بهِ وان يخفض سرعة دوران المحركات الى ادنى حدّ مستطاع حتى اذا هبت في وجوهنا رياح شديدة اعاقتنا عن التقدم الى الامام بالسرعة التي كنا نتوخاها كان لدينا من البنزين مقدار كافٍ يمكننا من الوصول الى البرّ

لما التقينا بالضباب حسبنا ان افعل الوسائل للتغلب عليهِ هو الطيران فوقهُ ولكي نرتفع بحملنا الثقيل اضطررنا ان نطلق للمحركات العنان وان نحرق مقداراً كبيراً من البنزين . ولما كانت الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر كنا قد صرنا على ميل فوق سطح البحر والضباب يكتنفنا من كل الجهات والطيّارة كأنها خارجة من حمّام تقطر ماء مما تقلص عليها من رطوبة الهواء والضباب . وعرفنا ان الهواء لا بدَّ ان يبرد لدى اقتراب الليل فاذا هبطت الحرارة عن درجة معينة تجمّد كل الماء الذي تقطر على اجنحة الطيارة وجسمها ومحركاتها في ربع ساعة — وهناك الخطر الاكبر اذ يتحتم علينا حينئذٍ ان نهبط في اليم الثائر بعد وقوف المحركات عن الدوران

واخيراً وصلنا الى نقطة حسبنا عندها اننا اصبحنا فوق مدينة سانت جون بجزيرة نيوفوندلند وكان الضباب متلبداً بعضهُ فوق بعض فلم نستطع ان نرى اطراف الاجنحة

هناك ذكرت رحلة الطيارين الانكليزيين الكوك وبرون اللذين طارا من نيوفوندلند الى ارلندا سنة ١٩١٩ في مرحلة واحدة وآلات الطيران حينئذٍ لم تبلغ درجة كبيرة من الاتقان . حقًّا يجب ان نعترف للانكليز بفخار السبق في اجتياز الاتلنتيكي !

ولم نعلم حينئذٍ اننا وقد خضنا يمًّا من الضباب فوق يمٍّ خضم من الماء ان سوف ينقضي علينا نحو ١٨ ساعة لا نلمح فيها البحر ولا البرّ . وبعد ما انقضى علينا بضع ساعات فوق الخضم الاتلنتيكي سألت نوفل ثانية ان يحسب حساباً لما احرقناهُ من البنزين واشتغلت انا من جانبي في حساب دقيق خلصت منهُ الى النتيجة التالية : اذا اكملنا رحلتنا وكان متوسط ما نحرقهُ من البنزين في الساعة مثل ما احرقناهُ حتى الآن وهبّت في وجوهنا رياح مهما كانت لطيفة واعاقتنا عن التقدم قليلاً فقد قضي علينا ان نهبط الى البحر قبل الوصول الى اوربا . بلّغتهُ هـذه النتيجة على قصاصة ورق لان صوت المحركات جعل الكلام متعذراً وقلت لهُ انهُ لما كنت احمل على نفسي تبعة هذه الرحلة الخطرة اودّ من جميع الرفاق ان يحكموا من غير نظرٍ الى ما اريد او ما اذكرهُ هل هم مصممون ان يمضوا فيها الى ختامها أم يفضلون العودة ، والحذر من طبائع الحكيم والتعرض للخطر الاكيد حماقة لا شجاعة . فقالوا كلهم انهم يفضلون السير بالرحلة الى نهايتها وانهم لا يعرفون مكاناً يستطيعون النزول فيهِ الى الارض قبل البر الاميركي الاَّ في بلدة سانت جون والضباب الكثيف يكتنفها مما يجعل النزول الى الارض فيها متعذراً . فسررت لهذا القرار لاني كنت اريد ان امضي في الرحلة مهما تكن المصاعب التي تقوم في وجوهنا عظيمة

وكنت قد درست مسألة مجاري الهواء وسرعتهـا فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي فلم أجد حقائق علمية يعتمد عليها نعرف منها سرعة هذه المجاري في طبقات الجوّ العالية . ولكن بعض علماء الظواهر الجوية كانوا يرون انهُ اذا ارتفعت طيارة الى علوّ كافٍ وكانت متجهة الى اوربا وجدت ريحاً غربية تهبّ من ورائها فتدفعها الى الامام ولو كان الهواء عند سطح البحر يهبّ من الشرق فيعيقها عن التقدم

وكان ذلك رأيي ايضاً فعزمت على ان اعلق نجاح رحلتنا على صحة هذا الرأي فاصدرت الاوامر بالارتفاع بالطيارة الى ما فوق الضباب والغيم فاذا صحّ رأينا وكانت الريح على هذا الارتفاع تهبّ من الغرب الى الشرق تمكنا من الوصول الى اوربا قبل نفاد البنزين الذي معنا

[التتمة في الجزء التالي]

اعظم الحروب العلمية

حرب الانسان على الحشرات

من حين ظهرت دودة اللوز القرنفلية في القطر المصري وضررها متواصل . ابتدأت في مديرية البحيرة سنة ١٩١٠ وتقدمت رويداً رويداً حتى انتشرت في كل الوجه البحري والمديريات الوسطى . ولعل الخسارة التي اصابت القطر منها في هـذه السنوات لا تقل عن خمسين مليوناً من الجنيهات . واذا اضفنا الى ذلك الضرر الناتج من دودة الورق ودودة اللوز الرمادية والمن والحشرات القشرية التي تصيب الموالح فلا نبالغ اذا قلنا ان القطر المصري يخسر كل سنة نحو سبعة ملايين من الجنيهات بسبب هذه الحشرات . وقد اطلعنا الآن على مقالة مفيدة بسط فيها كاتبها الدكتور هورد مدير قسم الحشرات سابقاً بوزارة الزراعة الاميركية بعض الحقائق عن الحرب الناشبة بين الانسان والحشرات للسيطرة على الارض فرأينا ان نلخصها فيما يلي :

التمهيد للحرب

في سنة ١٨٦٩ كان العالم الفرنسوي تروڤله يجرب تجارب مختلفة في الحشرات في دارهِ ببلدة مدفرد من اعمال ولاية مستشوستس الاميركية .وكان دود الحرير الاميركي حينئذٍ مهدداً بضربة قد تقضي عليهِ فخطر لتروڤله ان يضرّب فراش دود الحرير بفراش حشرة اخرى فيوجد نوعاً جديداً من الحشرات يفرز خيوط الحرير من غير ان يتعرض للاوبئة التي تفتك بهِ

وللقيام بتجربتهِ هذه جاء بانواع مختلفة من الفراش من اوربا واسيا متينة البنية بينها فراشة مشهورة في بلاد الانكليز واليابان وقارة اوربا بوجه عام لون الذكر منها بلون العنبر اصفر ضارب الى اللون البني او هو قريب من لون وجه الفتاة الغجرية لذلك دعي « بفراش الغجر » Gipsy Moth .وكان الاستاذ تروڤله قد وضع ذات يوم حفنة من بيوض هذا الفراش في علبة تركها على النافذة توطئة لاستعمالها في تجاربهِ فهبت الريح وقلبت العلبة وسفت البيوض الدقيقة في الهواء فعدا تروڤله وراءها يحاول جمعها ويقال انهُ ظل اياماً يبحث عنها بمكرسكو بهِ علّهُ يعثر عليها في الارض المناوحة لدارهِ .ففاز بجمع بعضها ولم يفز بجمع البعض الآخر فابلغ الامر الى حكومة الولاية وحذّر رجالها

من سوءِ العاقبة على البلاد. فلم يأبهوا لقولهِ وذهب انذارهُ صرخة في واد — وكيف يفعلون وهم لا يدرون ما يقول ? فلم تمضِ سنوات خمس حتى اخذ المنقطعون لدرس الحشرات والعناية بالحراج يرون ديداناً لم يكن لهم عهدٌ بها من قبل تدب على الاغصان الخضراءِ في جوار مدينة بوسطن وتلتهم اوراقها فلم يحركوا في مكافحتها ساكناً ثم انقضت عشر سنوات اخرى فكثرت هذه الحشرات حتى كادت تعري الاشجار من اوراقها وحتى صارت تحصى بالملايين والوف الملايين — غطت القرى والمدن وغشيت الشوارع والارصفة حتى صار السير فيها خطراً لكثرة حوادث الزلق حين الدوس على اجسامها الميتة، ودخلت البيوت فغطت موائد الطعام وقرّت في صحونهِ

فنشبت الحرب حينئذٍ! وقد انقضى عليها خمس وثلاثون سنة دائرة الرحى ولا بدّ ان تدوم خمساً وثلاثين سنة اخرى وقد تدوم الى ما لا حدّ لهُ لان هذه الحشرات تغشى الاشجار ديداناً فتلتهم اوراقها. واوراق الاشجار رئاتها بها تتنفس وعليها معوّلها في تركيب الطعام بواسطة نورالشمس فاذا عريت منها ماتت. اضف الى ذلك الحشرات التي تسطو على الخضراوات السنوية والتي تنقل الاوبئة والامراض ترَ ان الانسان والحشرات في حرب عوان للسيطرة على الارض. وان احاديث الحروب الكبيرة في التاريخ لتصغر شأناً ازاء ما فعلهُ الناس ولا يزالون يفعلونهُ لمكافحة هذه الاعداء القوية بعددها وحيلها. فحكومة اميركا وحدها تستخدم كلَّ سنة ما يزيد على مليون رجل وتنفق ملايين الجنيهات لمحاربة هذه الحشرات والقضاء عليها

جيوشها ونفقاتها

كلُّ فلاح اميركي يعلم حقَّ العلم انهُ لا بدَّ لهُ من اتخاذ وسائل معينة كيماوية وميكانيكية لمكافحة الحشرات اذا شاء ألاَّ يفسح المجال امامها لالتهام كل ما يزرعهُ في حديقتهِ الصغيرة او حقلهِ الذي يرتزق من مزروعاتهِ. وانهُ لا بدَّ لهُ من ان يضع على نوافذهِ شباكاً دقيقة من السلك لمنع البعوض والذباب وغيرها من الحشرات من الدخول الى البيت ونقل جراثيم الامراض الى سكانهِ. وكلما اشترى الاميركيُّ قليلاً من التفاح او الخضراوات او الحبوب يدفع فيما يدفعهُ من ثمنها ضريبة يتألف من مجموعها جانب مما تنفقهُ جماعة الفلاحين الاميركيين على محاربة هذه الحشرات ووقاية مزروعاتهم منها. ان المعامل الاميركية التي تصنع شباك السلك الدقيقة التي تغطّى بها نوافذ البيوت

لوقايتها من الحشرات تبيع منها في اميركا ما ثمنهُ ستة ملايين من الجنيهات كلَّ سنة. وقد انفق اصحاب البساتين في ولاية كاليفورنيا تسعة ملايين جنيه لمكافحة الحشرات في سنة واحدة

وهذا جانب صغير مما ينفق بوجه عام من جانب الفلاحين ومن جانب الحكومة. ان قسم الحشرات في وزارة الزراعة الاميركية ينفق كل سنة ٦٠٠ الف جنيه على المباحث العلمية في طبائع الحشرات لابتكار افعل الوسائل لمكافحتها يضاف الى ذلك نحو ١٢ مليون جنيه تنفق في احوال خاصة لمكافحة حشرة خاصة اخذت تنتشر انتشاراً سريعاً في ولاية من الولايات. ولكن الضرر الذي تحدثهُ هذه الاعداء الفتاكة لا يقدَّر بمال. بل يقدَّر باربعمائة مليون جنيه لانها تلتهم وتدمّر ما يقتضي عمل مليون رجل سنة كاملة واجرة كل واحد من هؤلاءِ تقدر باربعمائة جنيه في السنة

اما جيوش الحشرات وكثرة عددها فحدث عنها ولا حرج افلقد ثبت لعلماءِ الحيوان ان انواع الحشرات في انحاءِ الارض تبلغ مليوني نوع توفر العلماء على درس ٦٠٠ الف نوع منها فوصفوها وصفاً دقيقاً ودرسوا طبائعها وعينوا لها مكاناً في نظام الاحياءِ. وافراد كل نوع منها تعد بالمئات والالوف والملايين حتى لقد قدر قسم الحشرات الاميركي ان كلَّ فدان من الارض الاميركية فيه ٦٠٠ ٠٠٠ ١ حشرة اذا كانت ارض حراج و ٠٠٠ ٥٠٠ ١٣ حشرة اذا كانت ارضاً زراعية حيث يكثر ما تستطيع التهامهُ من الطعام

ومع ذلك فان الارقام السابقة لا تدلك على حقيقة الخطر. لان قوة هذه الحشرات على التكاثر تفوق التصور. فقد اثبت الاستاذ هكسلي في القرن الماضي انهُ اذا جمعنا ما تولدهُ حشرة من هذه الحشرات هي وأولادها واولاد اولادها عشرة اجيال متعاقبة وبقيت كل هذه الانسال حية بلغ وزن مجموعها وزن خمسمائة مليون رجل سمين اي اكثر من وزن كل سكان الصين. وقد حاول احد علماءِ الحشرات من مدة ان يمتحن قول هكسلي امتحاناً علميًّا عمليًّا فاخذ حشرة تسطو على الكرنب فوجد انهُ تولَّد منها اثنا عشر نسلاً من ٣١ مارس الى ١٥ اغسطس وان كل انثى في كل جيل كانت تلد نحو ٢٠ حشرة فاذا فرضنا ان هذه المخلوقات استمرت كلها حية هي واولادها واولاد اولادها حتى ٢ اكتوبر فماذا يبلغ عدد النسل حينئذ ؟

٦٥٢، ١٥٤، ٥٠٩، ٢٥٧، ٠٨٧، ٥٦٤ حشرة !

وما هو وزن هذا العدد المديد من الحشرات ؟ ان متوسط وزن الحشرة الواحدة

منها يبلغ ملغراماً واربعة اعشار الملغرام فوزنها كلها يبلغ ٨٢٢ مليون طن او عشر اضعاف وزن سكان الارض جميعاً ! ومقدرة هذه الحشرة الخاصة على التكاثر نصف مقدرة حشرات اخرى مثلها تسطو على البطيخ والكمثرى وغيرها

وقد اثبت الدكتور هورد بتجارب وامتحانات انهُ اذا ترك ذبابة واحدة من الذباب العادي تقضي اشهر الصيف كلها في مكان لا تتعرض فيهِ هي ونسلها للموت بلغ عدد نسلها في اوائل سبتمبر ٦٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ذبابة

وهذه الحشرات تطلب ما يطلبه الانسان. انها تأكل جانباً من كل مزروعاتنا وتسطو على المخزون من مآكلنا وثيابنا ومبانينا الخشبية وتفتك بنا وبحيوانا تنا بما تنقلهُ من جراثيم الامراض . وفضلاً عن التهامها للمزروعات تنقل الامراض من المزروعات المصابة بمرض من الامراض الى المزروعات السليمة

وسائل الدفاع والهجوم

ماهي الطبائع التي تمكن هذه الحشرات من ان تكون آفة من آفات العمران على ما تقدم؟ وما هي الوسائل التي يتوسل بها رجال قسم الحشرات الاميركي لمكافحتها والقضاء عليها

لكل حشرة طبائع خاصة وطرق خاصة في التكاثر والانتشار ووقت الظهور ومكانه وعليهِ فالوسائل التي يتوسل بها لمكافحتها تختلف باختلاف الحشرة وطبائعها ولا يتخذ رجال وزارة الزراعة خطة ما قبل بحث علمي مستفيض في طبائع الحشرات المراد مكافحتها

لنعد قليلاً الى فراشة الغجر

انها تختلف عن كثير من الحشرات في انها لا تنسج شرنقتها او بيتها في ذرى الاغصان بل تضع بيوضها كتلاً كل كتلة منها نحو ٤٠٠ بيضة على جذوع الاشجار وخصوصاً اشجار السنديان والدردار وفي شقوق الصخور فاذا مضى الشتاء على البيوض في تلك الاماكن نقفت في اول الربيع فيزحف الدود على جذور الاشجار ثم الى اغصانها ويلتهم اوراقها حتى يعريها . ثم تتحول الديدان فراشاً والفراش يضع البيض وهلم جرًّا

وانثى هذا النوع لها جناحان كاملا العدة للطيران ولكنها لا تطير لان جسمها ثقيل لا تستطيع الجناحان حملهُ في الهواء . فكيف يتمكن فراش هذه الحشرات من الانتشار السريع في ارض مساحتها الوف من الافدنة ؟ ذلك ما عجز عن تعليلهِ رجال قسم الحشرات الاميركي مدى ثلاثين سنة وبالتالي عجزوا عن حصر هذه الحشرات في

بقعة ما ومنعها من الامتداد الى غيرها . وبعد البحث الدقيق كلَّ هذه السنين الطويلة ثبت للباحثين ان انثى الفراش لا تطير مع انها مجنحة واما الديدان فتطير مع انها غير مجنحة

وكيف تطير هذه الديدان ؟

يحيط باجسامها كثير من الشعر وعلى جذر كل شعرة كيس دقيق مملوءٌ غازاً فتتمكن بذلك من البقاء معلقة في الفضاء حتى يهب الهواءُ فيحملها من مكان الى آخر . ذلك انها كالعنكبوت تفرز خيوطاً دقيقة تتعلق بها في الهواء الى ان يهب الهواءُ كما تقدم فيقطع الخيط ويحملها على اجنحتهِ وكثيراً ما تكون المسافة ميلاً او اكثر . فاذا اتصلت بغابة كثيفة سهل انتقالها من شجرة الى شجرة وسرت في الغابة سريان النار في الهشيم

فبعدما عرفت هذه الحقائق عن طبائع هذه الحشرات اقام الاميركيون حول البقعة التي تكثر فيها منطقة خالية من الاشجار عرضها ٢٥ ميلاً لا تستطيع الديدان ان تجتازها الى ما بعدها وفي اوائل الربيع من كل سنةٍ ترى الكشافة من قسم الحشرات دائبين على البحث عن كتل البيوض في الاماكن التي تلقى فيها عادة فيجمعونها ويميتونها بتغطيسها في اناءٍ يحتوي على مركب الكريوزوت . ويتلوهم جماعة من الرجال يطوفون الغابات والحراج ومعهم خراطيم كخراطيم فرق الاطفاء ينثرون منها على الاشجار رشاشاً من زرنيخات الرصاص تتغطى بهِ كل الاوراق فاذا غشيتها هذه الديدان لالتهامها ماتت مسمومةً

استئصال شأفة العدو

وليس هذا العمل الاَّ بمثابة مسكن للالم لا يستأصلهُ من جذورهِ . ذلك ان نصف الحشرات المعروفة تعتمد في حياتها على اكل النبات والنصف الآخر يعتمد على اكل الحشرات . فاذا انتقلت حشرة من بيئة اعتادتها الى بيئة جديدة انفسح امامها المجال للتكاثر لانها لا تجد في البيئة الجديدة الحشرات الاخرى التي كانت تسطو عليها في بيئتها القديمة وتلتهمها غذاءً لها . فاذا درسنا الحشرة التي نحن بصددها في البيئات القديمة التي تعيش فيها وجدنا ان ٩٠ في المائة من فراشها الذي يضع البيوض يموت فريسة اعدائهِ الطبيعية . فلما جاءَت هذه الحشرة الى الولايات المتحدة الاميركية لم يجيء عدوُّها معها فبثَّ رجال قسم الحشرات العيون والارصاد في مواطنها القديمة لجمع اعدائها الطبيعية والمجيء بها الى اميركا لاستئصال شرها

ومن هذا القبيل حشرة دقيقة الجسم جيء بها من اوستراليا الى كاليفورنيا فسطت على الحشرات القشرية التي تصاب بها اشجار البرتقال وكادت تقضي عليها . ذلك ان اوستراليا هي الموطن الاصلي للحشرات القشرية التي تصيب اشجار التفاح والتين والسفرجل والرمان وغيرها من الاشجار والشجيرات في كاليفورنيا . ففكر رجال قسم الحشرات بان لا بدّ من وجود حشرة اخرى في استراليا تلتهم هذه الحشرات القشرية وفعلاً وجدوا حشرة من هذا القبيل سوداء مرقطة بنقط حمراء تدعى «طير السيدة» واسمها العلمي «ڤاداليا» فاتوا بمقادير كبيرة منها الى كاليفورنيا في صناديق ثم اطلقت على اشجار البرتقال فالتهمت ما عليها من الحشرات القشرية ولم تلبث ان تكاثرت وانتشرت . والحشرة الواحدة تضع ٣٠٠ بيضة فاذا فرضنا ان نصف نسلها اناث فلا يمضي على حشرة واحدة منها خمسة اشهر حتى تصبح جدّة لخمسة وسبعين الف مليون حشرة اذا بقيت كلها على قيد الحياة . ولم تنقض خمس سنوات حتى كانت ضربة الليمون بكاليفورنيا المعروفة باسم ايسيريا Icerya قد زالت

غايتها

والغاية من هذه الحرب مزدوجة فهي تثار اولاً للقضاء على نوع من الحشرات اخذ ينتشر في بقعة من البقاع يلتهم الاخضر واليابس ويفتك بالزرع والضرع والوسائل التي تستعمل حينئذٍ ذر مساحيق مسمومة او رشّ رشاش مسموم او احراق حراج برمّتها للقضاء على الحشرات ومنع انتشارها الى البقاع المجاورة . ومعلوم ان اكثر المواد الكيماوية المستعملة لهذا الغرض هي مركبات الزرنيخ . ولكن يتضح للقائمين بالعمل في بعض الاحيان ان لبعض الحشرات وازعاً يمنعها عن اكل الاوراق المسمومة فيضطرون الى تجربة التجارب للتغلب على هذه الصعوبة . مثال ذلك حشرة يابانية نقلت الى الولايات المتحدة الاميركية مع بعض جذور نباتات من الفصيلة الزنبقية فسطت على اشجار التفاح والخوخ والكرز واكلت جذور العشب في المروج الخضراء وكانت ضربة اصابت نحو مائتي نوع من النباتات

بدأ رجال قسم الحشرات الاميركي يدرسون طبائعها سنة ١٩١٦ فظنوا انها كغيرها من النباتات لا بدّ ان تتقهقر اذا رشّت النباتات التي تسطو عليها بمركبات الزرنيخ السامة ولكنهم اخطأوا في ظنهم ولم يلبثوا ان وجدوا ان ديدانها تتنكب الاوراق التي عليها

اثر من الزرنيخ وتسطو على الاوراق النظيفة فتلتهمها . فكان لا بدَّ من تركيب مركب زرنيخي سام لا تستطيع الحشرة معرفتهُ فتأكل الورقة والمركب الذي عليهِ فتموت . ووالوا تجاربهم حتى وفقوا الى مركّب لهُ رائحة تخفي رائحة الزرنيخ وفوق ذلك تجذب هذه الديدان اليها . فلما رش على الاوراق اجتمعت الحشرات واكلتهُ مع الاوراق فماتت

ولكن هذه الوسائل كما قلنا بمثابة مسكنات للالم غير مستأصلات لهُ . وقد ذكرنا الوسيلة التي تستعمل لاستئصال شأفة الشر باستيراد حشرات من طبيعتها ان تأكل الحشرات التي يراد مكافحتها وتعرف هذه الطريقة بالطريقة البيولوجية . وهناك طريقة اخرى تعرف بالطريقة الزراعية . ذلك انهُ بعد درس طبائع الحشرة يثبت ان انتشارها عائد لطرق زرع النبات الذي تعتمد على اكلهِ لتحيا فتُبتكر طرق جديدة لزرعهِ. مثال ذلك ان دودة « البول ويفل» وهي من الحشرات التي تصيب القطن الاميركي اجتازت نهر الريوغراندى من المكسيك ودخلت الولايات المتحدة عند الطرف الجنوبي من ولاية تكساس . والقطن في المكسيك ينمو في البراري فلم تجد الحشرات فيهِ ما يمكنها من الانتشار انتشاراً سريعاً منتظماً فلما دخلت الولايات المتحدة ووجدت امامها حقولاً مزروعة بالقطن زراعة منتظمة انتشرت فيها انتشار النار في الهشيم فذعر اصحاب الاطيان واقترح قسم الحشرات ان يتوقف ذلك الجانب من ولاية تكساس عن زراعة القطن مدة سنتين حتى تبيد الحشرة وبذورها وسن قانون لذلك وافق عليهِ الحاكم ولكن لم ينفذ. وقد ضاعت الجهود المبذولة لمكافحتها حتى الآن لان الباحثين لم يجدوا حشرة اخرى في موطنها الاصلي تلتهمها ولا افاد رش شجيرات القطن بمركبات الزرنيخ لان الرشاش لا يلصق بالاوراق . وآخر الوسائل المستعملة الآن هي ذر مسحوق ناعم من مركبات الزرنيخ من طيارات تطير فوق مزارع القطن فتأكل الحشرات الاوراق وتموت

فاذا اضفت الى ذلك ما تنقلهُ الحشرات من مكروبات الامراض الفتاكة التي تصيب الناس والحيوانات كالملاريا والحمى الصفراء والطاعون والكوليرا وحمى التيفوس وغيرها اتضح لك مقدار ما هو معلق في الميزان على نتائج هذا الكفاح الدائر بين الانسان والحشرات . فقد ثبت ان الحشرات تنقل مكروبات نحو ٩٥ في المائة من الامراض المعدية التي تصيب الناس والحيوانات الداجنة . وقد فصلنا ذلك في المقتطف

فالحرب حرب الموت والحياة ! ولا ريب ان الحكومات وهي تعتمد على رجال العلم وتؤيدهم وتستعمل ما يشيرون بهِ من وسائل ستفوز في هذا المعترك العظيم

خمسة في سيارة

٤

ورأى صاحبنا المصري قبل ان يغادر جنيف ان يصلح ما افسدهُ نظام الحرب وما تلاها في امر جواز سفرهِ بان « يؤشر » عليهِ من السلطة السويسرية لتسمح لهُ بالاقامة في ديارهم لعلمهِ انهُ سيعود الى سويسرا عما قريب

فقيل لهُ ان الامر منوط برجال الضبط في المحافظة فذهب اليها . وهي بناء قديم كبير يدعونهُ « فندق المدينة » Hotel de Ville ولا يدري احد لماذا يدعو الاوربيون محافظاتهم بهذا الاسم الاَّ اذا كانوا يقصدون الضحك من ذقون الاميركيين

فقد حدَّث محدث أن اميركيًّا قدم جنيف ومرَّ امام هذا البناءِ وكان جائعاً فرأى الاسم على الباب قال هذا فندق فلادخلنهُ واتذوق طعام جنيف . ومرَّ بالابواب باباً باباً الى ان التقى بحارس فسألهُ عن موضع المطعم في هذا الفندق فضحك الحارس وارسلهُ الى حيث يأكل

على ان صاحبنا المصري لم يكن على مثل هذه السذاجة في هـذه الامور فدخل سائلاً عن قلم « الباسبورت » فأتى رئيساً من رؤسائهم فشرح لهُ الامر قال :

هاءنذا احمل جوازاً ليخولني حق الاقامة في فرنسا وايطاليا والبلجيك واود ان اقيم بضعة ايام في سويسرا فهل لكم ان تأذنوا في ذلك بالكتابة على هذا الجواز

فنظر اليهِ الرئيس وقال ولكنك حالٌّ في سويسرا فما حاجتك الى «التأشير». فقال اظنها اصولاً مرعية . فاضطرب الموظف وقال تعال الى الرئيس العالي فذهبا اليهِ واعاد صاحبنا حكايتهُ . قال الرئيس العالي الشأن ولكنك في جنيف من اعمال سويسرا فما حاجتك « الى التأشير » — قال اني اخشى في ذهابي وايابي ان اسأل عن الجواز فيظهر فيهِ خلوهُ من التصريح اللازم فاقع في محذور . قال كان يجب عليك ان تفعل هذا في بلدك لدى القنصل السويسري او في فرنسا لدى قنصلنا فيها . فاجاب المصري اني لم افعل . وما هؤلاء القناصل في الديار الاجنبية الاَّ ممثلو السلطة السويسرية هنا . واولى بالاصيل ان يفعل ما يستطيعهُ الوكيل — فاضطرب الرجل وقال هيا بنا الى الرئيس الاعلى فذهب يصحبهُ الرئيسان الى رئيسهم واعاد الحكاية والشرح . فبعد لأيٍ قال

الرئيس الاعلى اني اصرح لك بالاقامة ثلاثة شهور . ولكنها لا تغنيك شيئاً فانك ستعود من هنا الى فرنسا فيبطل مفعول التصريح ولا بدَّ لك من تصريح آخر حين رجوعك الينا

فادرك صاحبنا انهُ في وسطٍ اهلهُ على جانب عظيم من الغباوة وعلم موطن الغفلة من هذا الرئيس الاعلى قال ولكني لست براجع الى فرنسا بل باقٍ في جنيف ومنها الى لوزان ومنها الى فيفي وكلها سويسرية فاجاب الرجل وما تفعل بثيابك وصناديقك في فرنسا قال ارسل من يبعث بها اليَّ الى هنا . قال قضي الامر وختم بالخاتم الجمهوري مصرحاً بالاقامة وتقاضى الرسم فخرج صاحبنا المصري يقول

والصدق ان القاك تحت العطب   لا خير فيهِ فاعتصم بالكذب

ولحق باصحابهِ في السيارة يقص عليهم الحكاية واجتازوا الحدود وقدر لهم ان يعودوا مراراً وتكراراً الى سويسرا فما بطل مفعول التصريح لا عند رجال الشرطة السويسريين ولا عند زملائهم الفرنساويين سكان ساڤواي العليا.

وكان كلما مرَّ في بلد سويسري تذكر الامر فقال لهُ الفرنساوي مرةً الا تعلم المثل السائر . قال وما هو . قال انك اذا قرنت سويسرياً الى ساڤوياردي اصبحت ولديك حيوانان . على ان في المثل — مثل سائر الامثال — شيئاً من المبالغة

***

واستوى الانكليزي في مقعدهِ ونزع غليونهُ من فمهِ وقال مخاطباً الرفيق الفرنساوي تسألني اذا كنت أؤمن بجمعية الامم ? « نحن خلقنا جمعية الامم »

الفرنساوي — صحيح انما ليس من المحتم على من يخلق شيئاً او يبشر بشيء ان يؤمن بهِ

الانكليزي — ولكنك لا تنكر ان في شعوب الارض ميلاً شديداً الى تجنب الحروب واسبابها وهذه الجمعية وليدة ذلك الشعور فهي ضمير الناس الناطق وانها ان اعوزتها القوة الآن فلا بدَّ ان تحصل عليها بعد حين

الفرنساوي — عجيب امركم ايها السكسونيّون وعجيب ضمير جنسكم . افكلما اتفقت المبادىء السلمية مع منفعتكم انقلبتم مبشرين ورسلاً للسيد المسيح فاذا تعارضت شيئاً مع مجرى التجارة ضربتم بها عرض الحائط

اني معجب بعنصركم وبحيويتهِ كافر بما يتهمونكم بهِ من الرياء فانكم اكثر صراحة

من معظم شعوب الارض ولكنكم انانيون بالفطرة شديدو التيه بدمكم وبتاريخكم وبقوتكم فهل تضحون بالحيوية والنشاط الانكليزي حبًّا في محكمة دولية

الانكليزي — انا انادي بالحيوية المتغلبة مؤمن بها ولكنني انظر بعين الايمان الى زمن يحكم الناس فيما بينهم هيئة مثل عصبة الامم فراراً من الاحتكام الى السيف . ولماذا تفصل المحاكم بين الافراد ولا تفصل محاكم مثلها بين الجماعات

المصري — ان المحاكم تفصل بين الافراد لان في نهاية احكامها نصًّا يحتم على رجال القوة من الشرطة او الجيش ان ينفذوا الحكم بالقوة اذا لم يذعن المحكوم عليهِ دع هذا النصّ جانباً تعلم قيمة الاحكام في النزاع بين الناس

فهل لديك قوة تنفذ احكام جمعية الامم . ان قوام هذه الجمعية رأي الشعوب العام او قل ضمير الامم الحيّ ولكن ما قيمة هذا الرأي وما هو هذا الضمير . ارأيت يوماً شعباً افرنسيًّا كان رأيهُ او ضميره على حكومتهِ مع شعب آخر . اننا نحن الامم الصغيرة نكون اسعد الناس حالاً ان سار مبدأ جمعية الامم ولكننا اكثر الناس كفراً بهِ الآن

الفرنساوي — انا اقول لكم ما هي هذه جمعية الامم

ارأيت مسافراً يركب القطار من باريز الى الاستانة ؟ انهُ يعلم طول الرحلة ومشقتها ومتاعبها في الليل والنهار فلا يسليهِ في طريقه الاّ هذه المحطات الموزعة على الخط . فهذه محطة ينزل اليها فيأكل وتلك اخرى يتمطى فيها ويستريح وهكذا حتى يصل الى الغاية

كذلك جمعية الامم . هي محطة من محطات كثيرة وضعها فريق من الجنس البشري في رحلتهِ في سبيل التغلب والاستعمار والمتاجرة

وهذه المحطات تراها يوماً معاهدة بين ملوك ويوماً محكمة عدل دولية ويوماً جمعية امم . والغرض منها كل الغرض الراحة بعد اعياء واعداد النفس الى سفر اشق واطول

فانهُ طبيعي ان يملّ شعبٌ الحرب بعد ان اكتوى بنارها واضاع الحرث والنسل في اضرامها فيحنّ الى ضجعة تنسيهِ ايامها فاذا ما اضطجع واستعادقوته اعاد الكرة . سنة الطبيعة في مخلوقاتها

انتم — ونحن مثلكم — قوم اضعتم تجارتكم في الحرب الماضية او كدتم فلا ينفعكم شيء لتنظيم اموركم مثل السلم في مشارق الارض ومغاربها . لذلك طرتم شوقاً الى مواعظ القس ولسن عند ما بشر بالجمعية فهدتم سبيلها واسستم بنايتها عساها ان تريحكم بضع سنين تستجمعون فيها ما اضعتم من قوة وتنظمون ما قلقلتهُ لكم الحرب من

صناعة وتجارة . والفكرة نفسها تستهوي عامة الشعوب وتصادف هوى من نفوسها الساذجة ومن مثلكم قمين باستغلال هذه الامور لمنفعته . ومن اقدر منكم وانتم تجار الارض على تفهم نفسية الامم

الانكليزي — ان في ما تقوله شيئاً كثيراً من الحق ولكننا ونحن كما تصفنا تجار نسعى الى مكاسبنا فما ضرّ العالم اذا اتفقت مصلحته مع مصلحتنا .

الفرنساوي — لا ضرر البتة . ولكنَّ هذا العالم لا يدري متى تصطدم مصلحته مع مصلحتكم فتقيمون الارض وتقعدونها وتذهب الجمعية هباءً منثوراً

على ان دروسكم الماضية قد تلقنها اناس كثيرون الآن فاخذوا ينسجون فيها على منوالكم . فهل لك ان تخضع السنيور موسوليني او تحدَّ من التوسع الاميركي او تضيق على النشاط الياباني . لا . دع العالم يسير سيرتهُ الحقة . سيرة مدنية تغلب اخرى وحضارة تحل محل حضارة اخرى وهكذا الى ان يرث الله الارض ومن عليها

وخشيت السيدة الانكليزية ان يطول الحديث وهي لا يعنيها من كل الرحلة الاَّ النظر الى الجبال تارةً والى الحقول الخضراء مرةً والى تصليح آلة للتصوير لتحملها مرة اخرى فقالت لقدجعت فهيوا بنا الى مطعم نتذوق شيئاً من طعام اهل سافواي العليا

فنزلوا ودخلوا مطعماً وكان الوقت قبيل العشاء فلا تسل عما التهمتهُ هذه السيدة من انواع الجبن الذي يكثر ويجود في تلك البلاد وما تناولتهُ مضغاً وبلعاً من اصناف الفاكهة

فكان صاحبنا المصري يحسدها على قوة معدتها ويعجب لها وهي لا تزيد على الذراع الاَّ قليلاً كيف تستطيع ان تهضم ما تأكل وكان يتساءل قائلاً ترى هل يكون سرّ تفوق الانجلوسكسون في بطونهم . فالواحد منهم يأكل خمسة اضعافي انا الرجل العادي والاكل يقوي الجسم والجسم السليم في العقل السليم . ثم يعود الى نفسهِ ويقول ولكنّ علم الصحة يوصي بالاقلال من الطعام منعاً للسموم ان تتوغل في الاجسام . ثم يقول . لا فالرياضة البدنية مطهرة لما يفسدهُ الاكل والقوم مولعون بها دائبون عليها حتى انك لتعدّ عليهم ساعات النهار والليل فترى ما ينفق على الاكل اكثر مما يصيب اي عمل آخر من اعمال الانسان . فادى بهِ هذا الجدل الداخلي النفساني الى نتيجة مناقضة لما يقولهُ كبار الفلاسفة من ان الانسان يأكل ليعيش فان هذا الصنف الراقي من الآدميين يعيش ليأكل لا شك في ذلك ولا جدال

ودخلت السيارة المباركة بلدة أنسي وحاذت بحيرتها تسير متئدة قاصدة الى قرية صغيرة على البحيرة لا تشمل من المنازل الاَّ الفندق الذي نزلهُ الرفقاء الخمسة . واسمها « مانتون سان برنار » نسبة الى القديس برنارد . ومن هو هذا القديس ؟ انك ان نزعت عن اسماء المدن والقرى في فرنسا كلمة « قديس » مضافة الى الاسم لجردت فرنسا من ثلاثة أرباع اسمائها . بل انك اذا سرت في الحقول لا تقع عيناك الاَّ على تماثيل للسيد المسيح مصلوباً او للسيدة العذراء ضارعة تعاويذ يتقي بها الفلاحون ما يخشونهُ وانك لتمرُّ على القرى — وما اكثرها — فترى الكنيسة في اجمل بقعة من القرية وارفعها

وهذا في بلاد يصفون سكانها بالكفر بالاديان

فان انت حكمت على الناس بما ترى من هذه الظواهر قلت انهم لايزالون ابناء ابنة الكنيسة الكبرى وان انت حكمت على ما تقرأ في رواياتهم البارزية وما تعلمهُ من قرارات برلمانهم وحكوماتهم التي قضت على الكنيسة وفصلتها عن الحكومة قلت انهم قوم ملحدون فاي القولين اصدق ؟ وهل يمكن لهؤلاءِ السكان المبعثرين في هذه القرى ان يوحوا بانتخاباتهم الى نوابهم ما يقررهُ هؤلاءِ النواب ام هو عمل النواب يفرضونهُ على هؤلاءِ السكان ؟ ام هي الشعوب كالانعام اذا اضاعت حاكماً معبوداً ضاقت بها السبل حتى تجدهُ فان لم تجدهُ خلقتهُ من حديد ومن حجر ؟ ام ترى يقود الزعماء هذا القطيع من الغنم تارة سائرين امامهُ ملوحين لهُ بغصن من الزيتون فيتبعهم مطمئناً . وأولئك هم الرسل والانبياء . وتارة واقفين من ورائهم يسوقونهم بالزجر وبالعصا وأولئك هم القواد والسياسيون

هذه هي عقدة المسائل ومن أُوتي الاجابة عنها بحق وصدق فقد اوتي الحكمة

بقي للقارئ الحق بان يعرف من هو القديس برنارد حامي حمى هذه القرية وفندقها

قالوا انهُ عاش منذ نيف وثلاثة قرون من عائلة شريفة في تلك الناحية .وحدثتهُ نفسهُ في الترهُّب فعارضهُ اهلهُ ورغبوا اليهِ ان يتزوج ظناً منهم ان الامر يلهيهِ عن ملكوت السموات . والحوا وضيقوا الخناق . فما كان منهُ الاَّ ان رمى نفسهُ من شباك في اعلى القصر فذهب ضحية العزوبة والرهبنة ودعي قديساً . ولعلهُ وهذه هي حكايتهُ اولى من كثير من القديسين بهذا اللقب

سامي الجريديني

جواهر الاجسام واسرار النمو

نشرنا في مقتطف فبراير الماضي مقالة علمية دقيقة عنوانها « اسرار الحياة على لوح المكرسكوب » بسطنا فيها احدث ما وصل اليه العلماء في تشريح الخلايا الحية ومعرفة اسرار تركيب البروتوبلازم وخواصه الطبيعية . فجاءتنا رسائل القراء يطلبون فيها ان ننشر مقالة نبسط فيها المبادىء الاساسية في تركيب الاجسام الحية ونموها ففعلنا ذلك فيما يلي :

تمهيد

خير النفوس العارفات ذواتها   وحقيق كميَّات ماهياتها
وبمَ الذي خلقت وممَّ تكوَّنت   اعضاء بنيتها على هيئاتها
نفس النبات ونفس حسّ ركبا   هلاَّ كذاك سماتهُ كسماتها

تُرَى ماكان يقول الشيخ الرئيس ابن سينا لو بُعث الآن حيًّا ورأى مكرسكوباً يكبّر قطر الجسم ثلاثة آلاف ضعف ويُرَى بهِ سطحهُ اوسع ممَّا تراهُ العين المجرَّدة بتسعة آلاف الف ضعف . اما كان يصفّق بيديهِ كما صفَّق ارخميدس حينما خرج من الحمام عارياً وقال « وجدتها وجدتها » أوَ ماكان يهرع بذلك الميكرسكوب ليرى بهِ الجواهر الاصلية التي تتركَّب منها اجسامنا واجسام كل حي ويعلم « ممَّ تكوَّنت اعضاء بنيتها على هيئاتها وحقيق كميَّات ماهيَّاتها » ويشاهد بعينيهِ ما مات وفي نفسهِ ونفس كل الفلاسفة السابقين شيء منهُ ولم ينجلِ للناس الاَّ في هذا العصر بعد ان صُنع الميكرسكوب وبُني العلم على اسُس البحث والامتحان والمشاهدة

نبذة تاريخية

واول مَن بحث في بناء الاجسام الحية بالميكرسكوب رجل انكليزي اسمهُ هوك وذلك في اواسط القرن السابع عشر (سنة ١٦٦٧) اي منذ مائتين وثلاثين عاماً وكان ينظر إلى قطعة رقيقة من الفلّين فرأى فيها تجاويف صغيرة مفصولة بعضها عن بعض باغشية رقيقة فسمَّاها خلايا تشبيهاً لها بخلايا النحل فأُطلق هذا الاسم على الجراثيم الاولى التي تتركب منها الاجسام الحية : وليس في الفلين شيء من الاجزاء الجوهرية التي في الخلية الحية ولكن لا عبرة بالاسم بل بمدلولهِ فمدلول الخلايا الآن الاجسام الصغيرة الحية التي تتألف ابداننا من مجموعها . ومنها تتألف اجسام جميع الحيوانات والنباتات

من الفيل والحوت الى البعوضة والبرغوث بل الى الحيوينات الميكرسكوبية التي لا ترى بالعين لصغرها .ومن الارز الذي في لبنان الى الزوفا النابت على الحائط بل الى اصغر النباتات الميكرسكوبية

والخليَّة إما صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ولو اجتمع منها الفٌ معاً كما في كريَّات الدم واما كبيرة ترى بالعين المجرَّدة كبعض الحيوانات الصغيرة التي كل منها خليَّة واحدة . ولما نظر هوك الى الفلين بالميكرسكوب على ما تقدَّم كان علماءُ اوربا قد قطعوا قيود التقليد والاخذ بالمسلَّمات وانضوا عزيمة البحث والتنقيب فرفع اثنان منهم وهما غرو الانكليزي وملبيجي الايطالي مقالتين الى الجمعيَّة العلمية الانكليزية سنة ١٦٧١ وصفا فيهما كيفيَّة بناءِ جسم النبات على ما شاهداهُ بالميكرسكوب . وبقيت الحقائق التي اثبتاها معتمد العلماءِ من هذا القبيل اكثر من مائة عام . لكن لم تعرف حقيقة الخلايا تماماً إلاَّ منذ عهد قريب بعد ان أُصلح الميكرسكوب في اواسط القرن الثامن عشر وحينئذٍ ذهب بعض العلماءِ الى ان اجسام النبات كلها مؤَلفة من هذه الخلايا واثبت ذلك العالم شليدن سنة ١٨٣٨ . وفي السنة التالية الَّف العلاَّمة شوان الالماني كتابهُ المشهور في بناءِ الحيوان والنبات وأثبت فيهِ ان اجسامهما كلها مؤلفة من خلايا وتولد من خلايا فهي متشابهة من هذا القبيل . ومن ثم ارتبط جسم الحيوان بجسم النبات ارتباطاً زاد وضوحاً عاماً بعد عام

ولما رُئيت الخلايا أولاً حُسبت اجساماً بسيطة خالية من كل تركيب ثم ظهر انها مركبة من جدار خارجي ومادة حبيبيَّة في داخلهِ وفي هذه المادة نواة مستديرة سواءٌ كانت الخليَّة حيوانية او نباتية فسميت تلك المادة بالبروتوبلازم اي المكون الاول او الاصلي. وكان المظنون اولاً ان جدار الخلية هو الجزءُ الجوهري فيها ثم ثبت انهُ ليس الجزءُ الجوهري وانهُ قلَّما يكون موجوداً في الخلايا الحيوانيَّة وقد لا يكون موجوداً في الخلايا النباتيَّة فاتجه نظر الباحثين الى ما في الخليَّة وثبت لهم ان الخلايا تكثر بالانقسام فتنقسم الواحدة اثنتين وتكبر كلٌّ من قسيمتيها وتنقسم اثنتين وهلمَّ جرًّا

وظن علماءُ الحيوان حتى سنة ١٨٧٥ ان النواة تنقسم قسمين قبل انقسام الخليَّة كلها فيصير كلٌّ منهما نواة للخليَّة الجديدة اما علماءُ النبات فاثبتوا ان النواة تزول قبل انقسام الخلية ثم تظهر نواة جديدة في كلٍّ من قسيمتيها — اثبتوا ذلك بالمشاهدة ولم يكتفوا بالظنون . ثم اثبت العالمان ستراسبرجر وفلمنغ بين سنة ١٨٧٥ و١٨٨٢ ان

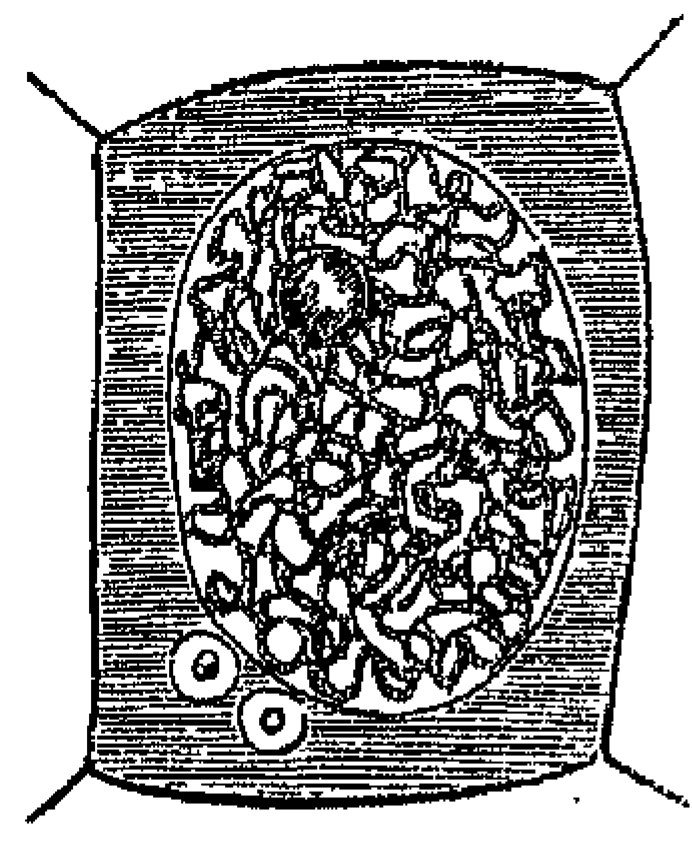
زوال النواة يكون بانقسامها اقساماً كثيرة على اسلوب بديع جدًّا كما سيجيء وذلك مطلق في الخلايا النباتية والحيوانية على حدٍّ سواء ثم تتكون نوى الخلايا الجديدة من اقسام النواة الاولى . وابان فلمنغ بناء النواة فاذا هي مؤلفة من غشاء فيه مادة سائلة وخطوط مشتبكة وحبيبات صغيرات عرف عنها انها تصطبغ بسهولة . ولهذا الاصطباغ شأن كبير لدى الباحثين في طبائع الخلايا . وفي سنة ١٨٨٢ رأى فان بندن العالم البلجيكي كريات صغيرة في البروتوبلازم ايضاً فقال انها من الاعضاء الجوهرية في الخلية وقد شاهدها في الخلايا الحيوانية فقط ثم شوهدت في الخلايا النباتية ايضاً سنة ١٨٩١ . واخيراً ثبت ان خلايا الجسم ليست اجساماً منفصلة بعضها عن بعض بل هي متصلة بخيوط ترتبط بها

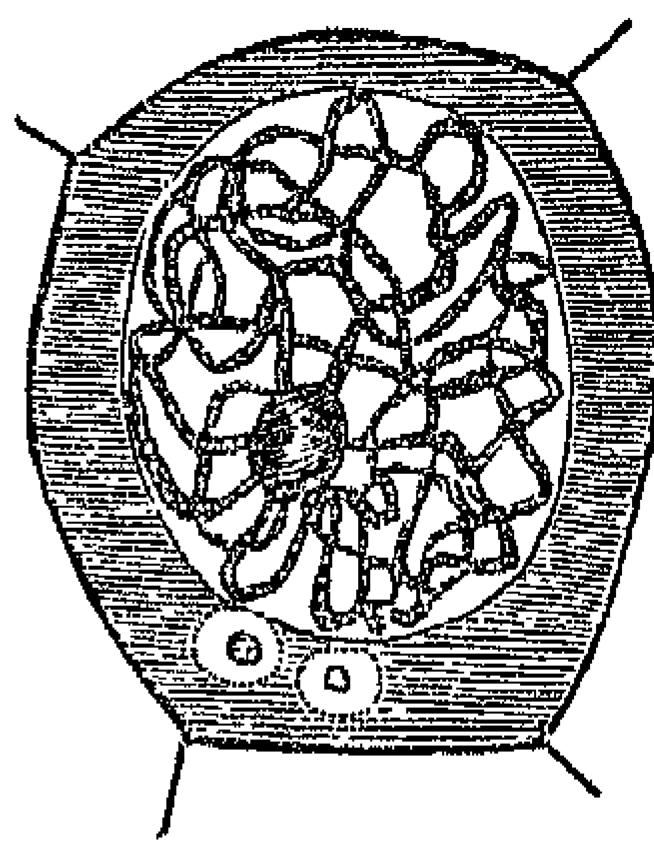
كيفية التولد والنمو

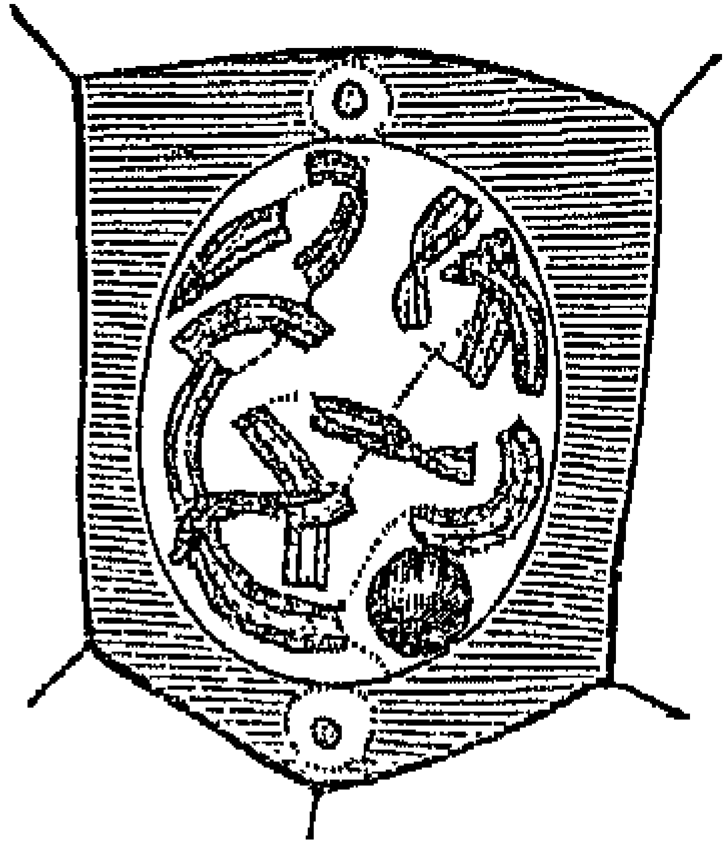
وصلنا الآن الى القسم الجوهري من هذا الموضوع وهو كيف يتولَّد الحيوان والنبات وكيف ينموان . البيضة تصير فرخاً والنطفة رجلاً والفرخ يأكل الحبوب فتصير فيه لحماً ودهناً وعظماً وريشاً والولد يأكل الخبز والجبن والبيض واللحم والاثمار والفواكه فينمو جسمهُ وتكبر عظامهُ واعصابهُ وعضلاتهُ . فكيف ذلك ؟ يقول لك العامة ان الله يخرج الحي من الميت وينمي الاجسام على طريقة لا نعلمها فما لنا وللبحث عن العلل . ولكن هؤلاءِ انفسهم لا ينتظرون من الله سبحانهُ ان يخرج لهم الفراخ من الحجارة ولا ان ينمي ابدانهم من الهواءِ والماءِ بل يعلمون علماً لا يخامرهُ ريب ان الفرخ لا يخرج الاَّ من بيضة باضتها دجاجة معها ديك وان ابدانهم لا تنمو ما لم يأكلوا طعاماً مغذياً . واذا اجتمع كل علماءِ الارض وصلاَّحها وحاولوا اقناعهم ان يعيشوا على الهواءِ والماءِ فقط سنة من الزمان ما وجدوا الى اقناعهم سبيلاً . ولا شبهة في ان الله هو العلة الاولى لكل معلول لكن للمعلولات عللاً ثانوية طبيعية وهي التي يهمُّنا البحث عنها في معاملاتنا وعليها تتوقف كل اعمالنا ولولاها ما زرع زارع ولا صنع صانع ولا استعمل دواءٌ ولا نيل شفاءٌ

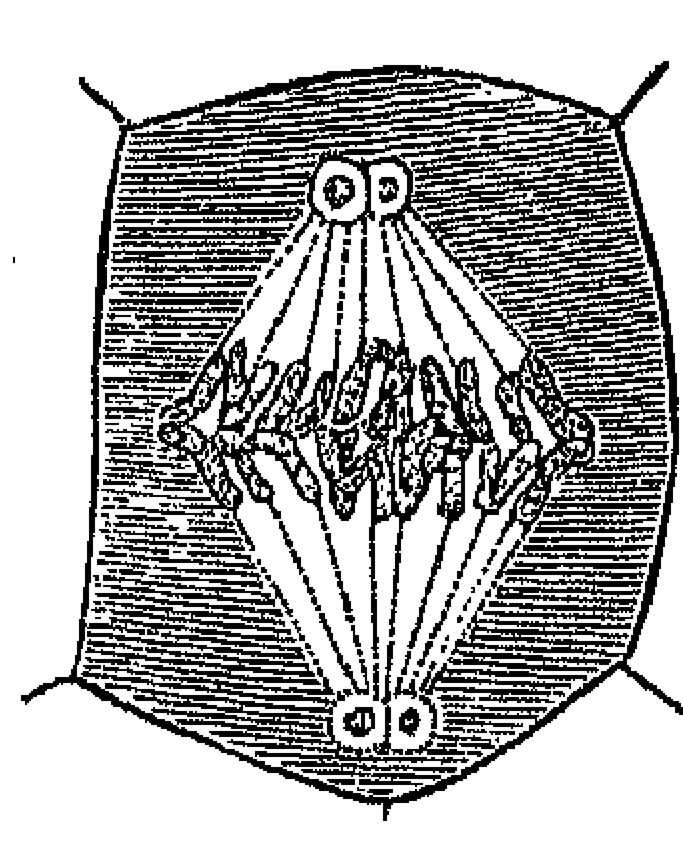
قلنا ان اجسام الحيوانات والنباتات مؤلفة من خلايا صغيرة وفي كل خلية نواة بجانبها كرية صغيرة او كريتان فاذا نُظر اليها بميكرسكوب بانت كالشكل الاول على الصفحة التالية فالجسم الكبير المخطط هو جسم الخلية والجسم البيضوي في وسطها هو نواتها وفي هذه النواة خطوط مشتبكة بعضها ببعض وفيها نويّة مستديرة ونويتان اصغر منها . فاذا بلغت هذه الخلية اشدها من النمو ومالت الى الانقسام لتصير اثنتين غلظت

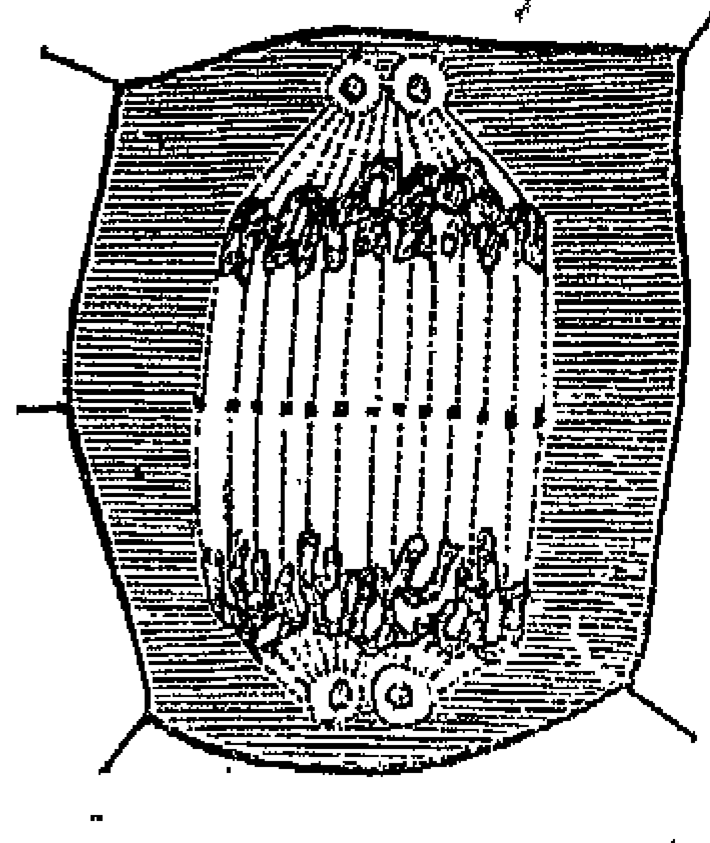
الخيوط التي في نواتها وافترقت بعضها عن بعض قليلاً كما ترى في الشكل الثاني ثم تنقطع هذه الخيوط وتنفصل قطعتين قطعتين كما ترى في الشكل الثالث وحينئذٍ تنقل الكريتان الصغيرتان اللتان خارج النواة وتثبت احداهما على الجانب الواحد من الخلية والاخرى على الجانب الآخر كما ترى في الشكل الثالث . وعدد الاقسام التي تنقسمها خيوط النواة يختلف باختلاف الانواع ولكنهُ واحدٌ في النوع الواحد ثم يزول الغشاء الذي يغشي النواة ويتكوَّن جسم مغزلي مخروط الطرفين كما ترى في الشكل الرابع وهو يتكوَّن اما من البروتوبلازم الخارجي او من النويات الداخلية . وتنقسم كل قطعة من

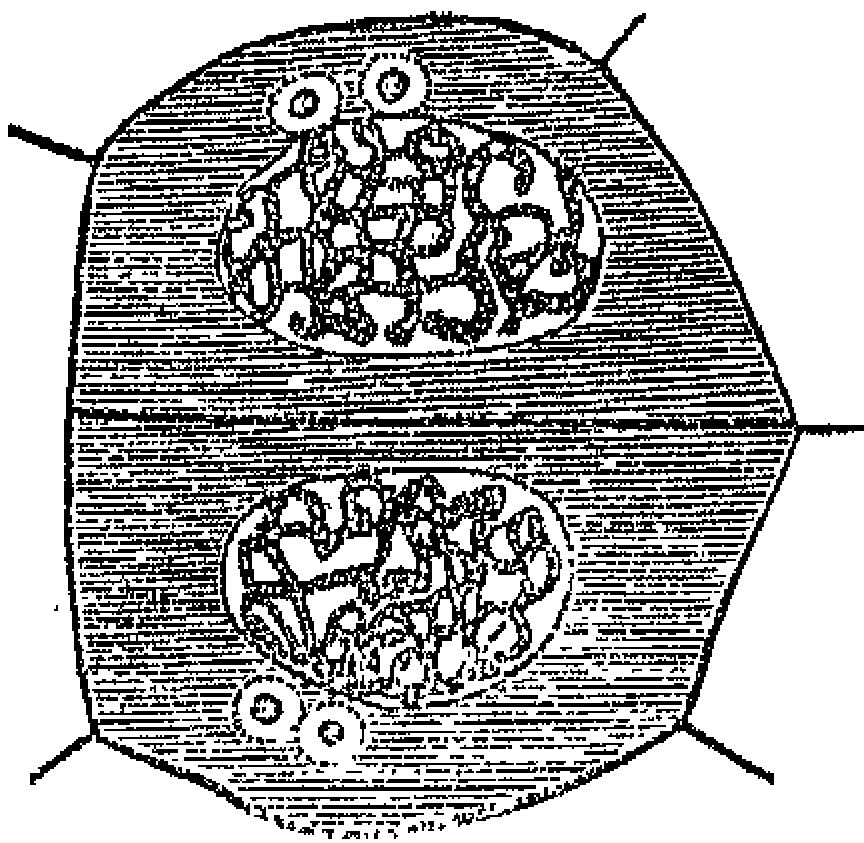

الشكل الاول


الشكل الثاني


الشكل الثالث


الشكل الرابع


الشكل الخامس


الشكل السادس

الخيوط المتقدم ذكرها قسمين طولاً كما ترى في وسط الشكل الرابع وتنقسم كلٌّ من الكريتين الصغيرتين الى قسمين ايضاً كما ترى في الشكل الرابع عند طرفي الجسم المغزلي. ثم تنفصل اقسام الخيوط بعضها عن بعض ويجتمع نصفها في الطرف الواحد والنصف الثاني في الطرف الآخر كما ترى في الشكل الخامس ويظهر فاصل بينهما . ثم يتضح هذا الفاصل ويقسم الخلية الى خليتين كما ترى في الشكل السادس كلٌّ منهما مثل الخلية الاولى المرسومة في الشكل الاول وتتصل اقسام الخيوط فيها وتعود مشتبكة كما كانت في الخلية الاولى . اما النويات التي كانت في الخلية الاولى فتزول بعد انفصال الخيوط ولا تظهر

ثانية الاَّ بعد صيرورة الخلية خليتين ولا يعلم كيف يتم ذلك حتى الآن

وعلى هذه الكيفية تنمو اجسام النبات والحيوان فتصير الخلية خليتين والخليتان اربعاً وهلمَّ جرًّا . وتتنوع اشكال الخلايا بتنوع الاعضاء التي تتألف منها فليست كلها مثل الشكل الذي رسمناهُ لها بل بعضها مستدير وبعضها مستطيل وبعضها رقيق وبعضها سميك وبعضها صغير وبعضها كبير بل قد يكون بعضها حيواناً كاملاً اي ان الحيوان كلهُ يكون خلية واحدة

والحيوانات والنباتات التي تتكاثر بالانقسام لا بالتزاوج كبعض الديدان وكثير من الاشجار والانجم مثل التين والورد والقصب تتكاثر على هذا الاسلوب واما الحيوانات والنباتات التي تتكاثر بالتزاوج فتجتمع فيها خليتان خليَّة من الذكر وهي اللقاح وخليَّة من الانثى وهي البيضة او البزرة فاذا كان في خليَّة الذكر اثنا عشر خيطاً من خيوط النواة وفي خليَّة الانثى اثنا عشر خيطاً ايضاً لم يصر في الخليَّة المؤلفة منهما اربعة وعشرون خيطاً بل اثنا عشر خيطاً ثم ينقسم كلٌّ منهما اثنين وتنقسم الخليَّة خليتين ويبتدئ النمو الذي يتكوَّن بهِ الجنين . ولعلَّ الذكر والانثى يتكونان في الحيوانات والنباتات المفترقة ذكورها عن اناثها بان تزيد خيوط الاول على خيوط الثانية في الجنين فيكون ذكراً او خيوط الثانية على خيوط الاول فيكون انثى لكن ذلك لم يزل في معرض الظن ولم يحقَّق بالمشاهدة . ويستلزم النمو وجود مواد تدخل الخليَّة حتى تكبر بها وتصير بمقدار خليتين وهذه المواد تأتي من الغذاء فكل خلية بمثابة حيوان كامل او نبات كامل يغتذي وينمو ثم يصير اثنين

هذا سرُّ التولد والنمو على ما يُعلَم حتى الآن . واكتشافهُ لم يكشف لنا السرَّ الاول ولا العلة الاولى وغاية ما كشف لنا ان اجسامنا مؤلفة من ملايين كثيرة من الخلايا وكلٌّ منها حيٌّ مستقلٌّ يولد وينمو وينقسم او يموت وعناصرهُ الاصلية مثل العناصر الارضية . ولكن ما هي حياتهُ التي تميزهُ عن الجمادات هل هي تنوُّع من الحركة العامة المشتركة فيها كل العناصر او هي شيء خاص بهِ . وما هي حقيقة مادتهِ وهل المادة شيء وجودي كما نتصورهُ او هي شيء نسبيٌّ حلقات زوبعية في الهيولى ونحن ووجودنا شعور نسبيٌّ بشيء نسبي — ذلك كلهُ مما لا نعلمهُ وقد لا نعلمهُ ابد الدهر فلا يدخل مخادع العلم بل يبقى في دور الفلسفة . اما الحقائق التي يكشفها لنا العلم فترى بالعين وتثبت بالامتحان وعليها تبنى الاعمال والمعاملات

شرقية في انكلترا

اطلعنا في مجلة الكشاف البيروتية على هذه المقالة النفيسة من قلم الآنسة عنبرة سلام فراقنا ما فيها من نظر سديد وتعبير بليغ فاعدنا نشرها هنا وزيناها بالصور اتماماً للفائدة

لم يعدْ لزيارة اوربا ذلك التأثير السحري الذي كان لها منذ خمسين سنة مثلا ، حينما كانت طرق المواصلات صعبة ، واختلاطنا بالغرب قليلاً ، وفهمنا لمدنيتهِ غامضاً ضعيفاً ، حينما كان يرجع الزائر وفي جعبتهِ من النوادر والاخبار ما يدهش السامع ، وقد يستغل هذه الدهشة ويخلط الصحيح بالمختلق حتى يبلبل عليهِ تصوراته ويتركه والله يعلم ما في نفسه نحو تلك البلاد البعيدة ، بلاد الغرائب والعجائب ، وربما بالغ البسطاء وقالوا بلاد « السحر والشياطين »

اما الآن ، وقد كشفت كتب الاسفار الكثيرة كل سرّ ، وعرّفتنا الزيارات المتواصلة الى كل مجهول ، ونقلت الينا الصحف السيارة اخبار العالم يوميًّا فإن الرجل العادي أصبح يعلم عن بلدان الغرب الشيء الكثير . على ان ذلك التأثير السحري لا يمكن ان يزول بتاتاً من نفس فتاة شرقية في محيط شرقيّ يسري عليها فيهِ كل ما للشرق من عادات واخلاق وحجاب . ولهذا فقد كنت استقبل هذه الرحلة بدافع من شوق شديد ووازعٍ من خوف عميق يتنازعان في كل حين . أما وقد عزمت وتوكلت ، فقد وقفت امامي عقبة اخرى ، اذ كان كل من يعرف بسفري يقول : « أإلى انكلترا تقصدين ؟ وماذا تفعل فتاة مثلك هناك ؟ » وكان بعض رفقاء السفر يكررون عليَّ القول بأن الحياة في تلك البلاد قاتمة سوداء تضيق الصدر ولا يشعر الغريب الاَّ انهُ في سجن مقفل . فكنت اعزي نفسي بأني لا اعبأ بحياة تشبهُ السجن وانا قد اعتدتها منذ الصغر . اما وقد بلغتها فقد رأيت ، برغم اغبرارها أحياناً ، ان الاخضر الجميل هو اللون الغالب على تلك الارض السعيدة واحسست بروح الحرية الطلقة تملأُ الارجاء

شعرت منذ وطأتها قدماي أن الارض تبدلت غير الارض ، وأخذت بهذه الحركة الآليّة في كل عمل . فالحمال وموظف الجمرك والعامل في القطار يسرعون اليك في غير خشونة ، ويتراكضون في غير مزاحمة ، ويتقاذفونك من الواحد الى الآخر برفق ولين ، فما هي الاَّ كلمح البصر حتى تكون بلغت مناك وقد ودعك كل منهم بكلمة شكر رقيقة

أدبية ، وما هي أن تسير بين الجماهير وتخترق الشوارع حتى تحس بهيبة المكان من نفسك

أجل ، ان أول شعور امتلكني حين نزلت البلاد الانكليزية ، هو شعور الهيبة والاعجاب وقد خلته لاول وهلة قائماً بدقة انتظام السير ، وانفراج الطرقات وحسن رصفها وضخامة المباني واتساع نوافذ المخازن اتساعاً هائلاً ، وبالازدحام الصامت الرزين ثم بهذا البوليس المنتصب عند مفارق الطرق وقد لبس خوذة تكمل له هيئة الجبابرة الصناديد . ولكنني كنت كلما طالت إقامتي وازددت فهماً لروح الشعب ولاساليب حياته ، اتضحت الامور أمام ناظري وفهمت سر هذه الهيبة التي تحسها لاول وهلة تشمل الفضاء

الحرية الشخصية

لم أعجب بشيء في انكلترا عجبي للحرية الشخصية التي تحس انك تتنفسها مع الهواء والممنوحة بأوسع معانيها لكل إنسان ما دام لا يخل بالنظام ولا بالآداب العامة ولا بالامن العام ، هذه الحرية التي تجعل منهم اسياداً طليقي الرأي والقول والعمل ، لكل منهم مبدأ خاص لا يخشى إعلانه وشخصية محترمة لا تستعبدها القيود. ولكم كنت اطرب إذ أراهم يسيرون في حياتهم بصراحة لا تشوبها مواربات لأنها تأبى لهم الاتيان بصغائر قد يلجئهم اليها السير في الخفاء

انطلق كما تشاء ، وتحدث بما تشاء فأنت متمتع بنعم البلاد ، والحرية معبودة الجميع ولكنها حرية تهذبها المدنية فلا تظهر خشنة ولا طائشة

رأيت هذه الحرية مراراً تتمثل في « هايد بارك » حيث يأتي الخطباء في أيام الآحاد دائماً وفي غيرها من ايام الاسبوع احياناً . فعلى هذا المنبر وقف خطيب يدعو الى المحافظة التي ترتكز عليها سياسات انكلترا ، وينحي على المبادىء الاشتراكية وعلى اعتصابات العمال ، ويقدس اسم الملك . وعلى مقربة منه نشر خطيب راية حمراء ووقف تحتها يدعو الى الفوضى وتقويض الاسس القديمة الفاسدة وينادي بسقوط الملكية البالية. وهنا خطيبة لهيئتها كل ما للمبشرين من كلام بطيء وملامح اسيفة ورقبة تلتوي جزعاً من عقاب أليم وقد علقت الصليب على صدرها وأخذت تحث الناس على اتباع التعاليم الدينية ، ثم خطيب يقول : « إنما الاديان بلاء للناس فاطرحوها واتبعوا سبل العقل القويم » . ثم هنا وهناك وهنالك غيرهم من الخطباء قد أحاط بكل منهم مستمعون عديدون وكثيراً ما يناقشونه موضوع كلامه . كل هذا والبوليس يروح ويجيء أمامهم كأن لم

يك شيء ، ولا يتدخل إلا اذا اضطرتهُ الضرورة القصوى وعندئذ فان تحفُّزه بالاشارة يكفي لتنفيذ أمره وإرادته الجازمة . ورأيت من تصرفات القوم ما قد أدعوه انا غير لائق ولكنهم يدعونهُ حرية شخصية يتسامحون بها ولا يعترضون عليها إلا اذا رأت عين البوليس انها تجاوزت حدَّ الادب بعرفهم

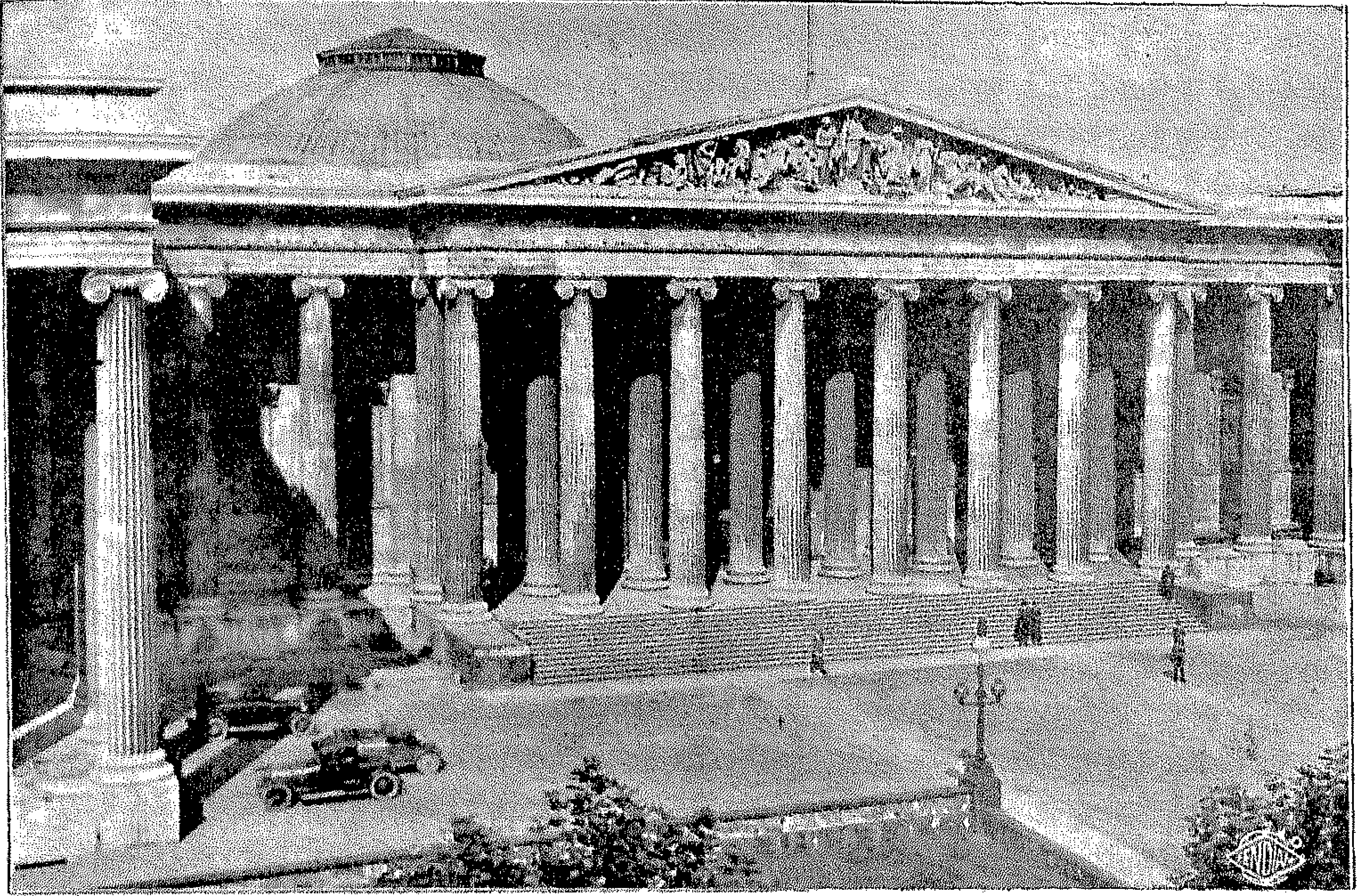
العمل المنظم

ليس أحب الى قلب الانكليزي من النظام. تجده جليًّا في معيشته في البيت وخارجه في اعماله الخاصة وفي علاقاته مع الآخرين . فهو ينظم يومهُ ساعة ساعة ، ويجد وقتاً لكل شيء . وهو يزاحم سواه ولكنَّ روح النظام تحفظهُ من التعدي عليه

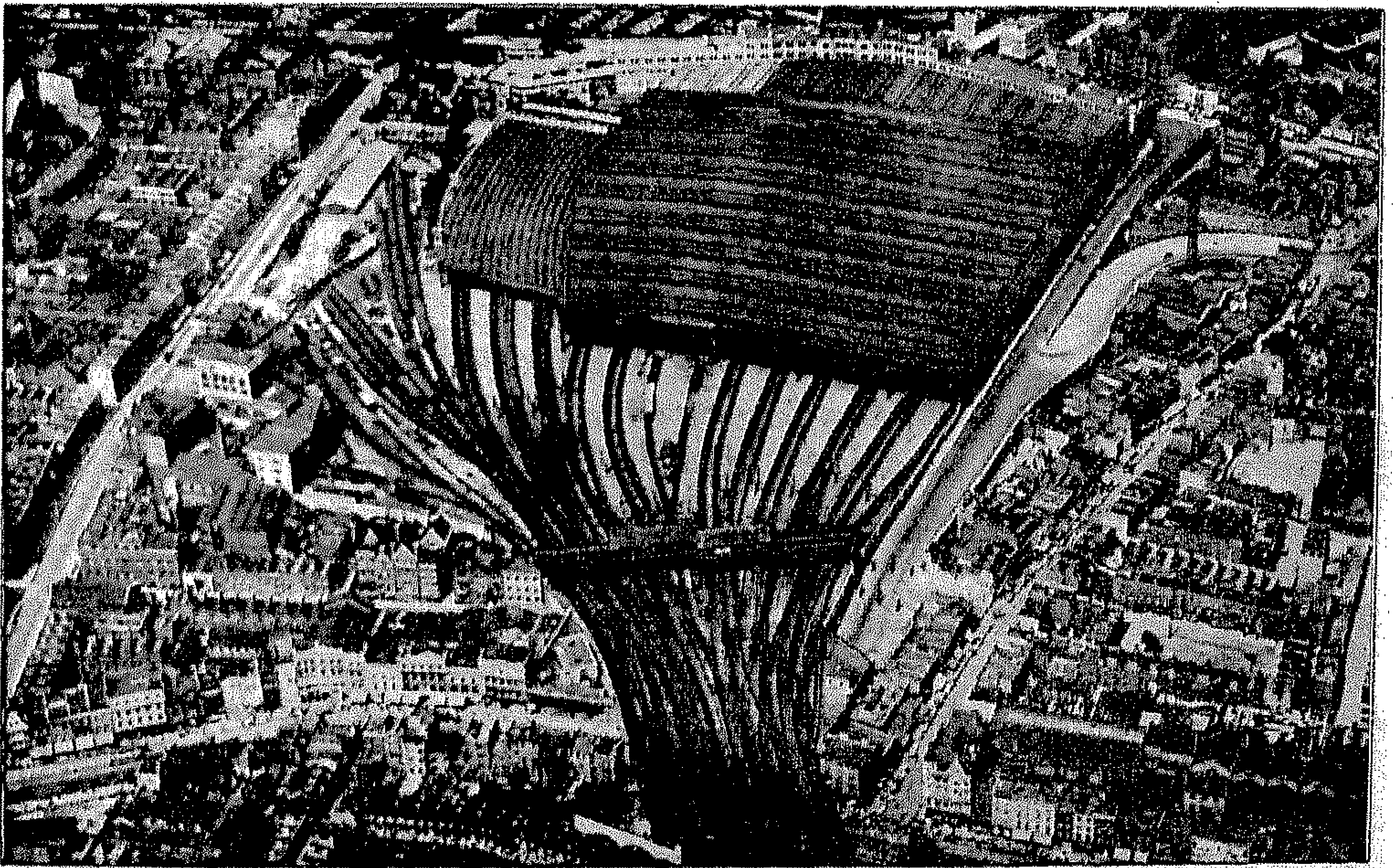
تدخل محطة القطار فتجد الناس يتراكضون الى شباك التذاكر حتى اذا اربوا على اثنين أو ثلاثة ألَّفوا صفًّا يقف في مؤخره دائماً القادم الجديد . ولا يخطرنَّ في باله أن يحاول التقدم على سابقه مهما كان باعثهُ شديداً ، ولا تجد ازدحاماً على امرٍ مهما يكن تافهاً إلاَّ ألّف الصف حالاً كأنهُ باشارة مدرسية خفية

وفي مفارق الطرق يرفع البوليس يده فتقف حركة السير ، مهما كانت ثقيلة ، بترتيب بديع ، أو ينزلها فتعاوده بنظام دقيق . ورغم الازدحام الشديد والحركة الهائلة فانك لا تشعر في لندن بتلك الضجة القوية أو بما يسمونهُ اختلاط الحابل بالنابل ، وإني لأعزو نجاح الانكليزي كلهُ الى انتظام معيشته ومعرفته واجباته ، لأن ذلك يوفر عليه كثيراً من الجهود التي تُبذل عبثاً بالعمل المضطرب ، وهذا يأتيه بنتيجة سريعة صالحة قد ندهش لها نحن الشرقيين الذين اعتدنا ان تكون أعمالنا إما بطيئة لدرجة الخمول وإما سريعة لدرجة التشويش

ادخل الى احدى دوائر البريد فيكبر وهمك حينما تجد الناس أفواجاً والرزم أكداساً ولكن النظام الدقيق يخفف هذه الاكداس بسرعة مدهشة ، ويسيِّرك الى الامام حيث تقضي حاجتك وأنت لا تصدّق بانقضائها . وادخل أحد المصارف فتتناولك الايدي بنظام ميكانيكي الى أن تصل الى المكان المقصود وتُخدم بسرعة تشعرك كأنك مخصَّص بالاهتمام . وكم كان يلذّ لي ان ادخل الى احد المخازن الكبرى وأراقب عن كثب دولاب حركتها البديع ، واذا قلت مخزناً فيجب أن اقول إن الاحصاء الاخير يدل على أن عدد المشترين في اليوم الواحد قد بلغ في أحد المخازن — ايام المواسم — مائتي



المتحف البريطاني — اغنى متاحف الارض



محطة واترلو بلندن

يدخلها ويخرج منها كل يوم ١١٠٠ قطار مساحتها نحو ٢٥ فدانا ونفقات بنائها نحو مليوني جنيه

مقتطف ابريل ١٩٢٨
امام الصفحة ٣٩٣

الف مشترٍ ، اضف اليهِ ضعفهُ من المتفرجين او من الذين يرافقون المشترين ، فيكون مجموع الذين دخلوا احد المخازن اربعمائة الف نسمة في اليوم الواحد . تدخل الى هذه المخازن من أحد الابواب فتجد اللوحات الدَّالة على مختلف الجهات ، ثم في كل جهة تدلك على مختلف الاقسام ، في كل قسم على الفروع العديدة فأنت إذاً امام ما تريد وقد بلغت اليهِ بسهولة لا تنقص عن السهولة التي تجدها بشرائك من ابسط الدكاكين وقد لا يدعك الموظفون تنهمك في قراءة اللوحات بل يقدمون على خدمتك بلطف واحترام ، وتستقبلك العاملات بابتسامات فاتنة وخلق رضي يجذبانك طائعاً الى الشراء

تطلب نمرة ما على التلفون فأنت بانتظام سريع متصلٌ بمن تشاء ، وتساعدك هذه التلفونات العامة القائمة في كل مكان على إنجاز اعمالك وترتيبها

ولا يدهشك مثل القطارات المشتبكة فوق الارض وتحتها كاشتباك الاوردة والشرايين في جسم الانسان وبكل ما للاوردة والشرايين من دقة العمل . هي تسير حاملة الجموع المتدفقة الى جميع الانحاء . وتجد خارطات الخط الذي تسير عليهِ في كل عربة ، والكتابات والاشارات المتكررة في المحطات ترشدك الى جهة الصواب ، هذا إذا ترك لك المأمورون وقتاً لقراءة الاشارات ولم يرشدوك الى طريقك المقصود

والانكليزي يُقدم على العمل بهمة ثابتة لانها معتدلة لا تستنفد قواهُ فتطرحهُ منهوكاً في منتصف الطريق . ونظام العمل عندهم يجعلهم يأخذون من الراحة القدر الكافي لحفظ النشاط ، فالمدارس من حديقة الاطفال الى اكبر الجامعات لا تبدأ دروسها قبل التاسعة صباحاً ، ومحلات العمل مجبرة قانوناً ان توقف العمل نهار الاحد ونصف نهار آخر من الاسبوع والناس في كل الطبقات لا بدَّ لهم من عطلة سنوية يقضونها كما يشاؤون ، يتساوى في ذلك المأمور والآمر ، وربَّة البيت والخادمة . وانّي اعرف سيدة لها زوج وطفل صغير كان عليها ان تعتني بأموره دون مساعدة احد . لهذا عيَّنت لنفسها يوم فرصة كل اسبوع فتستأجر لابنها سيدة تثق بها وتكون هي حرة تفعل ما تشاء فتجدد نشاطها لمعاودة عملها اليومي . قد يعدُّ البعض ذلك بلادة ، ولكنني لم أرهم ذاهبين الى أعمالهم صباحاً إلا حسبتهم يتراكضون ، ولم ارهم في محلات عملهم إلاّ رأيت القابلية للعمل ظاهرة في حركاتهم الخفيفة ، على ان بلادة دائبة خيرٌ من تحمس شديد ينفجر انفجاراً ويذهب هباءً

الرياضة

لعلّ اوضح مظهر من مظاهر الحياة الانكليزية هو هذا الولع الشديد بالرياضة، فكل انكليزي — رجلاً كان او امرأة — يحسن نوعاً او اكثر من انواعها، فهي عنده من أسس الحياة ومن الأمور التي يُعيَّن لها أوقات كما يُعيَّن للاكل والشرب والعمل، وكل منهم عضو عامل في نادٍ او عدة اندية رياضية تراها منتشرة في كل ناحية، والمرأة تشارك الرجل في كل نوع حتى في أشدها قساوة، ولا أنسى زيارةً لكلية (سانت بول) للبنات وهي تعد في مصاف أرقى كليات انكلترا — فقد رأيت فيها من انواع الرياضة ما لم اسمع بهِ وما لم يخطر لي ببال، ورأيت من استعداد المدرسة لهذا الامر المدهشات، حتى السباحة خصص لها حوض ماء عظيم لتمرين التلميذات، وانك لترى آثار الرياضة ظاهرة في الفتاة الانكليزية بأجلى مظهر فهي رشيقة دون ارتخاء، وهي منتصبة دون توتر، تحمل جسمها خفيفاً ولا تجره جرّ العياء

وانك لتذهب الى المباريات الرياضية فتجد الناس يتوافدون اليها كالجيش الزاحف، وربما كانت على مسافة قريبة مباريات اخرى يزدحم لها الناس كهذا الازدحام، لان في لندن وضواحيها من الميادين العظمى ما يتسع احدها لاكثر من مائة الف نسمة، وقد تكون هنالك مباريات في عشر منها في يوم واحد، فلا تذهب لاحداها إلاَّ وجدت ازدحاماً هائلاً. وترى كل فرد منهم يهتم بالمباريات الكبرى من أقصى انكلترا الى اقصاها في يوم المباراة، وترى الناس ينقسمون شيعاً، تحزّباً لهذا وذاك. ففي يوم مباراة التجذيف بين جامعتي اكسفورد وكمبريدج مثلاً لا يبقى أحد إلاَّ وضع على صدرهِ أو على سيارتهِ أو في نافذة معملهِ لون إحدى الفرقتين تحزباً على الاخرى، وهم يتجادلون ويتراهنون دون مشاحنة او مشاكسة، لانّ الرياضة أورثتهم روح المرونة والكياسة في سلوكهم، فهم يتقبلون فشل حزبهم بسعة صدر، وانتصارهُ بهدوء رزين لا يشتم منهُ ما يشير الى الشماتة التي هي من دلائل صغر النفس، بل انهم بعكس ذلك يقدمون لهُ من الاجلال ما ينسيهِ فشله. وقد أورثتهم الرياضة أيضاً هذا الاندفاع العظيم الى المراهنات، فهم يتراهنون افراداً ويتراهنون جماعات، وهم يتراهنون بالبنسات وقد يتراهنون بآلاف الجنيهات، وقد حُكي ان أحد مناجم الفحم انهار على خمسة من العمال وسدَّ دونهم المنافذ فلم يبق أمامهم إلاّ ميتة فظيعة، وكان ذلك في يوم مباراة عظيمة

في كرة القدم ، وبأعجوبة ما تمكنوا من انقاذهم ، فكان أول ما بدأوا به منقذيهم السؤال عن الفرقة التي فازت في المباراة ، لانهم «اغتنموا الفرصة» اذ جلسوا ينتظرون الموت فأخذوا يتراهنون. وتذكرني المراهنات بسباقات الخيل فان كل جريدة تخصص اعمدة يومية للمسابقات يقرأها الانكليزي قبل كل الاخبار ويبني عليها المراهنات التي يقدم عليها باقبـال عجيب ، أما المسابقات العظمى مثل « اسكوت » و « الدربي » و « الغراند ناشونال » فان من لم ير اهتمامهم بها واستعدادهم لها ، فهو لم يعرف من حياتهم إلاّ القليل . وقد ترك حب الرياضة في أنفسهم الميل الى عيشة الضواحي ، فقد يضطر أحدهم الى قضاء ساعات كل يوم في القطار للذهاب الى مكان عمله في المدينة ومع هذا فهو مرتاح الى عيشة تمكنهُ من الاستمتاع بكل ما للضواحي من حسنات

التمتع بالمسرات

اذا كان الله حبا بلادهم جمالاً فاتناً ، فكساها حلـة خضراء هادئة تفتن اللب ، في رية ساحرة تسبي النظر ، فانهم — ولا شك — حقيقون بهذه النعمة ، لانهم يستمتعون بها وبكل ما بين ايديهم من مسرّات ، ويخصصون من هذه البقاع الجميلة أراضي واسعة ، عظيمة الاتساع لنزهاتهم ومسراتهم . ففي لندن نفسها — البلد الذي هو اكثر بلدان العالم سكاناً — يوجد البارك العظيم الذي تبلغ مساحته ٢٤٠٠ فدان ، وحذاءه جنة غنّاء ، وبقربها أرض مشاع ، ثم يتبعها بارك ، الى آخر ما هنالك من متنزّهات في كل مكان يسمونها بحق « رئة لندن » التي تتنفس بها . وبلحظة واحدة يمكنك ان تنتقل من وسط الازدحام المدني الهائل الى قلب الطبيعة وما فيها من جمال : سهول فسيحة ترعى بها القطعان ، وازهار تطبع كل فصل بطابعهِ الخاص ، واشجار تتلوّن بكل لون بهيج ، وبحيرات يسبح فيها البط وتسير القوارب بالناس افواجاً ، وطيور تأنس بالانسان حتى لتأخذ فتاة طعامها من بين أناملهِ ، هذا عدا ما حباهم بهِ الفن من آيات . وهم لا يهدرون نعم الحياة هدراً بل يقضون واجباتهم ويأخذون من المسرات بكل نصيب ، واذا رأيتهم يملأون البراري ووجه النهر وسطح البحيرات ومختلف المعارض وميادين اللعب ، تحسب ان لهم ولعاً خاصاً بذلك ، ولكنك تجدهم من جهة اخرى يتوافدون الى دور السينما حتى لا تجد مقعداً خالياً ، وكلهم يعلم عن الممثلين والابطال ، والقصص ونقدها الشيء الكثير ، وقد أُحصي عدد الذين يدخلون دور السينما في انكلترا فبلغ خمسة وعشرين مليون

نفس في الاسبوع . ولا يقلّ عن ذلك ولعهم بالتمثيل ، فان لكل من الممثلين والممثلات مريدين ومحبذين ومنتقدين من جميع طبقات الشعب . وقد تذهب الى احدى دور التمثيل فتضطر الى أخذ تذكرة لبعد اسبوع كي تجد مكاناً ، وقد يكون مع ذلك عمر الرواية عدّة سنين ، تمثّل كل يوم ، بل مرتين في اليوم . وللرقص عندهم شأن واي شأن ، فهم يأخذون بكل رقصة جديدة وتجد قاعات الرقص تموج بالراقصين ، ومحلات الغناء تضيق بالمستمعين واندية اللهو تعج عجيجاً بالمتوافدين . واذا قرّوا في دورهم فإن اللاسلكي الموجود في اغلب البيوت ينقل اليهم من انواع المسرّات ما يغنيهم عن كثير منها خارجاً ، فهم يستمعون لاجمل المقاطع الموسيقية والتمثيلية والخطب والاخبار ، ومع استمتاعهم بكل هذا في بلادهم فانّ كلاًّ منهم يوفّر من دراهمهِ ما يمكنهُ من الخروج سائحاً في بلاد الله ، والعاملة البسيطة قد تقضي عطلتها في فرنسا او بلجيكا

انهم يحبون المنزل والحياة العائلية الهنيئة كل الحب ، ولكن هذا لا يتضارب مع ولعهم الشديد بالحياة خارجاً ، حتى انهم ليذكرون هذا الولع في معرض الثناء ، ولا يمكن ان يدَعوا النهار المشمس يمرّ دون الاستمتاع بهِ ، لاسيما اذا كان ذلك في ايام الاعياد . وقد بلغ عدد الذين نقلتهم عربات (الامنيبوس) فقط يوم عيد الفصح الماضي بين لندن وضواحيها اربعة ملايين نسمة ، عدا الذين نقلتهم سكك الحديد والتراموايات والسيارات الخاصة ، وبلغ من ازدحام الناس الى السفر في احد الاعياد خارج محطة واترلو وحدها ، — تلك المحطة العظيمة التي فيها ٢٤ رصيفاً تسافر منها القطارات الى مختلف الجهات — ان اضطروا الى الوقوف في صف بلغ طولهُ ميلين كان كلما نقص من المقدَّمة يزداد في المؤخرة وظلّ طول الصف ميلين مقدار اربع وعشرين ساعة

الوطنية الصامتة

لقد شهدت من المشاهد الوطنية في انكلترا ما ترك في نفسي اثراً بليغاً ولكنها مشاهد كانت تمرّ صامتة دون ضوضاء . وهل ادلّ على هذه الوطنية من يوم الاعتصاب العظيم حينما شلّت الحركة في جميع انحاء البلاد ووقف كل عامل عن العمل وتعطّلت حركة السير فتعذَّرت المواصلات ، فوقفت الامة باجمعها تسند الحكومة بذراع متين وخرج أبناء الجامعات وتسلموا قيادة القطارات (والامنيبوس) وتطوع الشبان لخدمة البوليس ، ووضع كل صاحب سيارة نفسهُ وسيارته تحت اشارة الشعب ، وتسلمت



عمود نلسن في ميدان طرف الغار بلندن ارتفاعهُ ١٤٢ قدماً
وعلى قمتهِ تمثال نلسن صُبَّ من مدفع بالبارجة «رويال جورج»



تذكار الجنود الانكليز الذين سقطوا في الحرب الكبرى — يحيط بهِ
بعض الوزارات . وقد رفع الستار عنهُ في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٠

الفتيات النبيلات ادارة توزيع الاعاشة فكان كل فرد منهم مخدوماً خادماً ومأموراً آمراً وكنت تجد الحجَّة دامغة على ان انكلترا أبعد الممالك عن الثورات الفوضوية واشدها تعلقاً بالملكية او على الاقل بهذه العائلة التي تستهوي قلوب الشعب بديمقراطيتها ، وكنت تجد الديمقراطية والاخاء يمثّلان اجمل تمثيل . فهناك اتومبيل فخم فرش بافخر الرياش يوقفهُ عامل رثّ الثياب ويسخرهُ الى حيث يشاء . وكان الشعب يعضد الحكومة في كل امر يسهّل عليها اعمالها . ولا ازال اذكر ان الحكومة رجت الذين ليس بهم حاجة ماسَّة الى استعمال التلفون ان يقللوا من استعماله ويتركوا الخطوط حرَّة لاصحاب الاشغال . واذكر ان صديقة لنا كانت ابنتها الوحيدة في المدرسة ، فارادت الاطمئنان عنها تلفونيًّا في هذه الازمة ، ثم قدَّرت ان ليس من حاجة ماسة الى ذلك فأجلت المخاطبة الى السهرة حينما تنتهي حاجة اصحاب الاشغال . اني لا املك نفسي عن التوقف باجلال امام هذه العاطفة الوطنية السامية ولا استغرب بعدها خروج الحكومة من هذه المعركة ظافرة قوية منيعة

وهل ادلّ على هذه الوطنية الصامتة من تلك التبرعات الدائمة بأرقام ضخمة للخزينة دون ان يذكر معها اسماء ؟ وامس فقط قرأت في الجرائد الانكليزية عن تبرع رجل مجهول بثلاثة آلاف ليرة للخزينة لتغطي قسماً من ديون الحرب

وهل أدل على هذه الوطنية من ان الضرائب تُجبى — وكل انسان يتململ من الضريبة — فيتلقى وزير المالية كل يوم مبالغ عظيمة وطفيفة من مجهولين يعتقدون ان هنالك خطأً في الحساب الواجب عليهم فهم يسدّدون ما بذممهم من دين مفروض

هكذا يعضدون الحكومات بامانة وإخلاص ، وهكذا تخدمهم حكوماتهم بسواعدهم القوية ويمجدون وطنهم بتمجيد أبطاله الشهداء ، ففي كل ناحية لهم نُصُب هو قبلة الزوّار يمجدونهُ بمساعدة الجنود المشوهين الذين تقام لهم البنايات الشامخة ويُعيَّن لخدمتهم الممرضات والخدم والسيارات والعربات . وهل ادلّ على وطنيتهم الصامتة من ان تُرسل زوجة رئيس بلدية « لندن » نداء تستندي به الاكف لمساعدة البائسين بهدايا صالحة لعيد الميلاد ، فيأتيها في خمسة عشر يوماً ثلاثون الف هدية عدا ما جاءها من اموال

كنت اشهد هذه المشاهد كل يوم فتنتابني رجفة اسى على بلاد تعسة انتمي اليها ، لا نفقهُ فيها للوطنية معنى ، ولا أدري اذا كنا نقدر ان نسمي هذه البقعة العزيزة من الارض المتفرقة الاجزاء ، المبتورة الاعضاء ، وطناً (لها تابع) عنبرة سلام

اكتشاف بيولوجي خطير

اذا لقحنا حيواناً او نباتاً بلقاح من نوعهِ حصلنا على نسل صريح النسب اي ان الاولاد تكون متماثلة في اكثر صفاتها. ولكن من آن الى آخر نجد ان واحداً او بضعة آحادٍ من النسل الواحد تختلف عن سائر آحاد ذلك النسل بصفة او اكثر. فاذا لُقّح واحد منها من نفسهِ ولد نسلاً يماثلهُ ويختلف عن اعمامهِ اختلاف ابيهِ عنهم مما يدلّ على ان الاختلاف قائم في صفة انتقلت حسب ناموس مندل وان هذه الصفة راسخة وليست موقتة . وقد اطلق العلماءُ على تغيير كهذا لفظة mutation الانكليزية ومعناها « التحوّل الفجائي » فجرينا على ترجمتها كذلك . والغالب في رأي العلماء ان هذا التحول يصيب الخيوط التي في نوى الخلايا التناسلية المعروفة بالكروموسوم وفيها مستقرّ عوامل الوراثة . وقد كان المعروف حتى الآن ان الطبيعة تحدث هذه التحولات الفجائية وعليها بنى كثيرون من علماءِ النبات والحيوانات طرائقهم في ابداع انواع جديدة من النبات والحيوان

ولكن لما اجتمع مجمع تقدم العلوم الاميركي في آخر السنة الماضية تلا فيهِ الاستاذ مُلَر احد اساتذة جامعة تكساس رسالة بيولوجية نال عليها جائزة المجمع المالية لان محتوياتها تصف اكتشافاً بيولوجيًّا خطيراً قد يضع صاحبهُ في طبقة مندل مكتشف نواميس الوراثة . ذلك ان الاستاذ ملر كشف طريقة يستعجل بها ظهور التحولات الفجائية التي تحسب حتى الآن اساس الارتقاءِ العضوي في الاحياءِ باستعمال اشعة اكس. وهذا يمكن العلماء من خلق انواع جديدة من النباتات والحيوانات بسرعة غريبة بدلاً من ان ينتظروا الطبيعة حتى تحدث تحولاً ما ثم يبنوا عليهِ عمل التضريب والتأصيل البطيءَ . فكان اشعة اكس تفعل في خيوط النوى (الكروموسات) فتحدث فيها هذا التحول ثم ينتقل بالوراثة . ولكن اشعة اكس تفعل في خلايا الاجسام الحية فتتلفها فاذا تعرضت لها خلايا التناسل من غير ضابط تركت فيها اثراً قد لا يظهر في اولادنا بل في اولاد اولادنا واولاد اولادهم وهذا الامر موضع البحث الآن

قرأنا هذا النبأ في مقال موجز للسينتفك اميركان قالت فيهِ ان الاستاذ ملر تمكن من احداث نحو مائة تحول فجائي في ذباب الفاكهة الاميركي . فنشرناهُ ونحن ننتظر تفاصيل وافية عنهُ لما قد يكون لهُ من اثرٍ في البيولوجيا النظرية والعملية

نوادر الصحافيين

في الصيف القادم يقام في مدينة كولون الالمانية معرض دولي للصحافة فنشرنا على ذكره نوادر بعض الصحافيين في تسقط الاخبار. وفي مكان آخر من هذا الجزء نشرنا رأي احد الكتاب المعروفين في حاجة الشرقيين الى المجلات العلمية واوصاف المجلات التي يرى حضرته ان الحاجة مسيسة اليها ورأينا في ذلك

حيث يكون رجال الصحافة فهناك تسمع النكات والنوادر الغريبة . اذ لا افكه من حديثهم ولا ابهج من الحكايات التي يحكونها عن طرق تسقطهم للاخبار واستقائها من مواردها والسبق الى نشرها على رؤوس الملاإ كما يتبين من القصص الآتية وهي مقتطفة مما جمعهُ احد الكتّاب ونشرهُ في مجلة انكليزية

غرق البارجة فكتوريا

من الطف الحكايات التي تحكى من هذا القبيل حكاية نشر احدى الجرائد الاميركية لخبر غرق البارجة فكتوريا سنة ١٨٩٣ مقابل طرابلس الشام اثر اصطدام البارجة كمبردون بها . فان جرائد لندن ونيويورك اقتصرت على نشر خبر موجز عنها واستنتجت انهُ لا بدَّ ان يكون كثيرون قد غرقوا بغرقها . وكان في لندن رجل اسمهُ فيلبس مكاتب الجريدة الاميركية المشار اليها فجاءهُ تلغراف من صاحب الجريدة يقول فيهِ « جئني بتفصيل الفاجعة مهما كلف » فهب المكاتب ومساعدوهُ يجوبون انحاء لندن ويطرقون ابواب كلّ كبير وصغير فيها ولكن على غير جدوى حتى سخر اصحاب الجرائد منهم قائلين من اين لهؤلاءِ ان يجدوا في تلك البلاد النائية مكاتباً يوافيهم بتفصيل النكبة فقد جرَّبنا نحن واخفقنا فلا بدَّ من الانتظار حتى يرد تفصيلها على نظارة الخارجية لاسيما ان اقرب محطة للتلغراف البحري تبعد ٥٠ ميلاً عن مكانها

اما المكاتب فلم يقنط ولم ييأس بل طرق منزل مدير التلغراف البحري ليلاً وبسط لهُ مهمتهُ ووعدهُ بجعل كبير اذا فاز بمطلوبهِ قائلاً كلُّ ما اطلبهُ منك ان تؤجرني غلاماً من غلمانك الذين يشتغلون على آلة التلغراف في اقرب محطة الى محل النكبة فيوافيني باخبارها . فابان المدير لهُ ما في ذلك من المشقة وقال انك تنفق المال ولا تستفيد شيئاً فاصرَّ الرجل على عزمهِ هذا وارسل رسالة برقية الى طرابلس يقول فيها لعامل التلغراف « ارسل اليَّ تفصيل نكبة فكتوريا وانا ادفع الاجرة مهما كانت » فجاءهُ الجواب صباح

اليوم التالي ان « ليس عندنا تفصيل » وعاد فارسل رسالة اخرى يقول « استأجروا مركباً وابعثوا بالتفصيل وانا ادفع لكم مائة جنيه » فجاءهُ الجواب « ارسلوا المال اولاً » وما زال يرسل الرسائل وتأتيهِ اجوبتها حتى انفق قدراً طائلاً على ذلك وبقي ساعتين يفاوض البنوكة حتى رضي احدها ان يرسل الحوالة بالمال المطلوب . وفي صباح اليوم الرابع من النكبة جاءهُ خبر مفصَّل عن غرق البارجة فارسلهُ الى جريدتهِ فنشرتهُ ولم تكن جريدة غيرها من جرائد اوربا او اميركا قد ذكرت شيئاً من ذلك

مخبر جريدة صار صانع خياط

لما زار قوّاد البوير بوثا وديوت ودلاري مدينة لندن بعد عقد الصلح قام اصحاب الجرائد يسعون الى مقابلتهم فلم يتسنَّ لهم ذلك. ولكن صاحب جريدة جمع بعد الجهد الجهيد جميع ما استطاع من حركات القواد وروحاتهم وغدواتهم فعلم ان احدهم سيأتي دكّان خياط من خياطي المدينة في يوم معلوم ليخيط لهُ بذلة فدعا احد مخبريهِ وقال اذهب الى الخياط الفلاني واطلب منهُ ان يسأل القائد ما تراهُ من المسائل وأتني بعمود ننشرهُ في الجريدة والخياط صديقنا وهو يساعدك

فذهب المخبر لساعتهِ الى دكان الخياط واطلعهُ على غرضهِ فقال لهُ الخياط خذ قلماً وقرطاساً فاذا جاء القائد آخذ انا قياسهُ وتكتبهُ انت كأنك من صنّاع المحل واسأل القائد ما تشتهي من المسائل فتسمع اجوبتهُ وتدوّنها وانت تكتب القياس . ولم يمض الاَّ القليل حتى جاء القائد واوصى الخياط بصنع بذلة جديدة لهُ فشرع الخياط يأخذ الاقيسة والمخبر واقف على جانب وقلمهُ وورقتهُ في يديهِ . فقاس اولاً طول ذراعهِ وقال « ٢٥ » فردّد المخبر ذلك ثم ناول الخياط الورقة ليعيد نظرهُ عليها فتناولها وقال للقائد جرت عادتنا ان نعيد النظر على ما يكتب من القياس خشية ان يقع غلط . ثم نظر اليها وقرأ فيها سؤالاً كان المخبر قد كتبهُ عليها وهو « اسأل القائد رأيهُ في المستر تشمبرلن » ثم ردّ الورقة الى المخبر واستأنف القياس وسأل القائد في اثناء ذلك عن المستر تشمبرلن فاجابهُ بما حضرهُ والمخبر يكتب ذلك . ثم قال الخياط « ٤٠ » فقال المخبر « ٤٠ » وسلم الورقة اليهِ فنظر فيها وقرأ سؤالاً آخر وهو « سلهُ عن رأيهِ في لندن » واعاد الورقة اليهِ . وما زال بهِ يسألهُ ويجيبهُ حتى انتهى من القياس فودعهُ القائد وانصرف . وفي اليوم التالي نشرت الجريدة حديث القائد فدهش لهُ كلُّ من قرأهُ وعُرفت حيلة صاحب الجريدة في الوصول اليهِ

الدايلي تلغراف وحرب البوير

من اغرب ما رواهُ الرواة خبر الطريقة التي توصلت الدايلي تلغراف بها الى العلم بعقد الصلح في جنوب افريقية فنشرت الخبر على حين ان الجميع كانوا يكذبونهُ والحكومة لم تنشر شيئاً رسميًّا عنهُ . وهاك ما قالتهُ الجريدة في ذلك :

لما كان عيد العنصرة في ربيع سنة ١٩٠٢ ارسل الينا المستر برلي (مكاتبها في جنوب افريقية حينئذٍ) رسالة برقية من بريتوريا هذا نصُّها « اهنئكم بعيد العنصرة » فعند اطلاعنا عليها ادهشتنا مبالغتهُ في المجاملة الى حدّ ان يرسل الينا رسالة تهنئة بالعيد من تلك الاقاصي السحيقة على حين ان الوقت وقت حرب ونحن في حاجة اشد الى اخبار الحرب منا الى تهانيء العيد. ثم خطر في بالنا ان الكنائس الشرقية تتخذ الحمامة شعاراً لعيد العنصرة والحمامة ايضاً شعار السلام ولكننا لم نرَ من الصواب ان نبني الحقائق على مثل ذلك الاساس الموهوم ونزفَّ الى الناس بشرى عقد الصلح ونحن لم نتثبت منها . فاخذنا كتاب الصلاة وقرأْنا فيهِ الآيات المرسومة لعيد العنصرة فاذا هي قول الانجيل « سلامي اترك لكم سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا . لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب » (وكلمة سلام بالانكليزية مثل كلمة سلم او صلح) ولكن هذا كلهُ لم يكفِ لاقناعنا . وبينما كانت عوامل الشك واليقين تتنازعنا ونحن حيارى لا يقرُّ لنا قرار وردت رسالة منهُ على اخيهِ في غلاسكو يقول فيها « انا عائد . اخبروا لوصن» فانجلى لنا وجه الحقيقة اذ ذاك وبشَّرنا البلاد بخبر عقد الصلح

اتفاق غريب

من الطف ما جرى لصاحب جريدة من جرائد نيويورك ان لجنة سباق اليخوت الاميركية كانت تنتخب يختاً لمسابقة يخت السر توماس لبتون المسمّى شمروخ الثاني وكان هناك يختان اسم الواحد كولمبيا والآخر كونستيوشن وكان اهالي انكلترا واميركا ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة حكمها في انتخاب احدها. فوردت على صاحب الجريدة رسالة برقية قبل انتخاب اللجنة لليخت بعشرة ايام ليس فيها سوى كلمة واحدة وهي « كولمبيا » فلم يفهم المراد منها ولكنهُ قال في نفسهِ لعلّ احد اصدقائنا علم بقرار اللجنة فابلغنا اياهُ قبل اوانهِ . فنشر خبراً مآلهُ ان اللجنة ستنتخب اليخت كولمبيا لمسابقة اليخت شمروخ

وفي اليوم الذي قررت اللجنة فيهِ اختيار اليخت كولمبيا للسباق دخل رجل غريب ادارة الجريدة فلما رأى مدير الجريدة عاتبهُ لأنهُ لم يستقبلهُ في الباخرة عند وصولها

ولم يرسل احداً من قبلهِ لاستقبالهِ فأجابهُ مدير الجريدة لِمَ لم ترسل اليَّ رسالة برقية تخبرني فيها باسم الباخرة التي ركبتها . فقال اني ارسلت رسالة فيها كلمة كولمبيا وهي من بواخر شركة همبرج واميركا كما تعلم فما تريد اكثر من ذلك . فأدرك صاحب الجريدة كنه المسألة اذ ذاك ولكنه كتم السرّ ولم يبح بهِ الاَّ بعد سنتين من مرور الحادثة

الديلي مايل وحرب البوير

قال المستر ادجروولس مكاتب الديلي مايل في حرب افريقية وصاحب هذه الحادثة.

« اجتمع المندوبون الانكليز والبوير في مكان يبعد ٥٠ ميلا عن جوهنسبرج للمفاوضة في عقد الصلح فلم يُسمَح لمكاتب جريدة ما ان يحضر ذلك المجلس وكانت مراقبة الرسائل البرقية اذ ذاك على اشدّها والمراقب يمحو ما يشاءُ ويثبت ما يشاءُ وعليهِ فلم يكن لنا بدٌّ من ابتداع طريقة توصل بها رسائلنا والحاجة تفتق الحيلة

« اما حيلتنا فهي اني اتفقت انا ومحرر الجريدة في لندن على كلمات معناها الحقيقي غير منطوقها الظاهر وكان قلم المراقبة لا يتعرض للرسائل التجارية ممَّا يتعلق بمناجم الماس والذهب وغير ذلك فجازت حيلتنا عليهِ . ففي ١٢ ابريل سنة ١٩٠٢ أرسلت الرسالة الآتية الى لندن وهي: من جهة مشترى الارض التي فيها منجم الذهب اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجها الى بريتوريا حيث توجه الف ايضاً ليساوم في الثمن ما امكن . وقد علمت من ثقة ان البائعين يميلون الى البيع

« ففسَّرها محرر الجريدة كما يأتي : « من جهة مفاوضات الصلح اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجهوا الى بريتوريا حيث توجه اللورد الفرد ملنر ايضاً للوصول الى احسن الشروط الممكنة . وقد علمت من ثقة ان البوير يميلون الى الصلح »

« وكنت ارسل كلَّ يوم رسائل على هذا النمط . ومما اتفقنا عليهِ ايضاً صورتان اخبرهم فيهما بعقد الصلح تماماً او بانقطاع كل مفاوضة . فالصورة الاولى هي هذه «اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند» ومعناها تمَّ عقد الصلح. والصورة الثانية «بعت لكم الف سهم من اسهم الرند» ومعناها انقطعت المفاوضات وخاب سعي المتفاوضين

«هذا من جهة ارسال الاخبار الى انكلترا ولكن شتان بين ارسال الاخبار وبين الوصول اليها . فاني كنت اعلم ان دون وصولي الى المعسكر الذي اجتمع المتفاوضون فيهِ خرط القتاد وقد تزيَّا احد المراسلين بزي جندي ورام الدخول اليهِ فعرفوهُ واعادوه الى جوهنسبرج مهاناً . فرأيت ان لا بدَّ لي من الاتفاق مع بعض المقيمين فيهِ على

ايصال الاخبار المهمة اليّ وهكذا كان فاني فاتحت جنديًّا بذلك وكان من اصدقائي فرضي ان يبلغني اخبار المتفاوضين بالطريقة الآتية

«اتفقنا ان اركب القطار كلّ يوم من جوهنسبرج الى مكان آخر مارًّا بمحطة المعسكر الذي فيه المندوبون من غير ان انزل اليها خشية اثارة الشبهات وعند ما يرى الجندي القطار مارًّا يخبرني بنتيجة المفاوضات بالاشارات . فاذا لوّح بمنديل ازرق دلّ ذلك على ان مفاوضات الصلح توقفت . او لوَّح بمنديل احمر كان المعنى ان الصلح قريب . او بمنديل ابيض كان المعنى ان الصلح قد تمَّ . ولا يعلم الاّ الله كم مرة ركبت القطار ذهاباً واياباً من جوهنسبرج واليها وكنت كل يوم أرى صديقي واقفاً يلوّح بمنديله فأرسل الرسائل البرقية الى الجريدة بسير المفاوضات . حتى اذا كان يوم وقد مرَّ القطار بالمحطة اطللت من النافذة فرأيت صديقي وبيده منديل ابيض فما صدقت ان وصلنا جوهنسبرج حتى أرسلت هذه الرسالة «اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند» فاذاعت الديلي مايل بشرى عقد الصلح في طول البلاد وعرضها قبل سائر الجرائد بيومين

خداع رصيف لرصفائه

شاع وذاع في نيويورك بعد ثوران بركان بيله في المارتينيك وخراب مدينة سان بيير وهلاك اهلها كلهم ان باخرة اسمها كورونا ستصل الى نيويورك قريباً وهي تقلُّ أربعة رجال سلموا من الموت في ذلك الثوران بعد ان اصيبوا بجراح كثيرة . ولما كانوا قد رأوا ثوران البركان رأي العين اهتمَّ الناس بهم كلَّ الاهتمام وانتظروا وصولهم بذاهب الصبر وأعدّ مخبرو الجرائد القوارب لملاقاة الباخرة حتى اذا وصلت صعدوا اليها لمحادثة أولئك المنكوبين في ما رأوا وسمعوا . ولما كان الوقت قصيراً اقترح احدهم ان ينزل مكاتبو الجرائد كلهم الى قاربه وينزلوا الرجال الاربعة معهم فيحدثوهم بما جرى في اثناء الطريق فلا يبلغون البرّ حتى ينتهوا من محادثتهم

فاستحسنوا رأيهُ واستعدوا للنزول الى قاربه فمشى هو أولاً وتبعهُ الرجال الاربعة . ولما اراد الباقون اللحاق بهم وقف رجل غريب على رأس سلم الباخرة واعترض في سبيلهم ثم فكّ ازرار ثوبه الخارجي فرأوا تحتهُ ثوباً رسميًّا دلّ على انهُ من موظفي الحكومة وقال لهم هذا القارب للحكومة ولا اسمح لاحد بالنزول اليه . ثم صفر لهُ فسار يشق العباب بمن فيه واستأثر مكاتب جريدة واحدة بمقابلة الرجال ومحادثتهم . ونقدت الجريدة كلاًّ من الرجال الاربعة مائتي جنيه مقابل استئثارها بحديثهم

مهارة مخبر وبلادة محرر

قبل شبوب نار الحرب بين اميركا واسبانيا سنة ١٨٩٨ كان لاميركا بارجة من اقوى البوارج الحديثة اسمها ماين نسفت في ميناء هفانا عاصمة كوبا وغرقت بمن فيها في اقل من طرفة عين فعقد مجلس تحقيق في هفانا ليعلم هل نسفت اتفاقاً من الداخل او نسفت بطربيد من الخارج . وكان هناك مكاتب جريدة من جرائد نيويورك الكبيرة فسعى سرًّا في الوقوف على حكم المجلس ولكنهُ خاف اذا نجحت مساعيه ان يعود المراقب فيحبطها فيذهب تعبهُ سدى وعليهِ ارسل رسالة الى صاحب الجريدة التي يكاتبها وقال فيها انهُ اذا بعث اليهِ بخبر ظاهرهُ غريب فان في طيّهِ معنى لا يخفى على اللبيب

وكُللت مساعي المكاتب بالنجاح فانهُ علم من رجل غطس في اثر البارجة ان الفولاذ المصفحة بهِ وجد مثقوباً وحافات الثقب بارزة الى الداخل دلالة على ان البارجة نسفت بطربيد من الخارج اي بفعل فاعل . ففكَّر المكاتب في طريقة يبلغ جريدتهُ ذلك الخبر بها ولا يثير هواجس المراقب فأرسل اليها الرسالة الآتية وهي :

غطس رجل في اثر البارجة ماين لفحص صفائحها فوجد فيها ثقباً كبيراً فدخل منهُ ولما حاول الخروج لم يستطع لان حافات الثقب حالت دون ذلك فاستبطأهُ صديق لهُ كان ينتظرهُ فوق الماء وخشي ان يكون قد لحق بهِ اذى فغطس اليهِ وانقذهُ من الموت بعد عناء شديد

هذه هي القصة التي بعث بها المكاتب وهو يظنُّ ان صاحب الجريدة يستخلص منها الخبر المهمَّ اي ان سبب نسف البارجة من الخارج فينشر المراد منها ولكن خاب ظنهُ لان صاحب الجريدة نشر الخبر كما وصل اليهِ ولم يدرك معناهُ بل ظنَّ ان مكاتبهُ يهذي فقال « اننا ننشر رسالتهُ بحروفها » وقد اراد المكاتب ان يخفي المقصود منها على المراقب ويبينهُ لصاحب الجريدة فنجح في الاول واخفق في الثاني

***

هذا ونوادر المخبرين والمكاتبين كثيرة ولهم حيَل في تسقُّط الاخبار لا يفطن لها احد غيرهم وقد ينفقون الاموال الطائلة لكي ينالوا بغيتهم وربما استخدموا وسائل غير جائزة

العبقرية والفنون الجميلة

الموسيقى والتصوير

١

يمتاز المتفنن العبقري بصحة الحكم وحسن الاختيار . فانهُ يوحى اليهِ الطيب والوسط والرديء . فان هو اخرجها للناس جميعاً فما هو إلاَّ مرتجل وميزتهُ على من هم دونهُ أن القوة الخالقة تجود عليهِ بالطيب ولا تجود بهِ عليهم . فاذا هو فحص ما يُلهَم ومحصهُ ووزنهُ واختار افضلهُ واخرج للناس احسنهُ فقد خرج بذلك عن المجموع وظهر واستحق صفة العبقري . ولا خوف عليهِ ان يخطىء النظرَ او يضِلَّ في الحكم فان صحة النظر والهداية في الحكم إنما هي اكبر مزاياه . حقًّا ان الفحص والتمحيص والوزن والاختيار تحتاج جميعاً الى الاجتهاد والمثابرة

واقول ايضاً إن الاجتهاد والمثابرة من ميزات المتفنن العبقري

وما العبقرية على قول ميخائيل انجلو إلا الصبر العميق والعمل الطويل والامل العريض

وكم عقلٍ ناضج وذهن قادر وفكر مستعد كانت تكون أفضل عدة لعبقرية رجلٍ لولا خمولهُ وضجره ونفوره من الاجتهاد والمثابرة

إن الصورة التي نقف امامها باهتين او التمثال الذي يرفعُ صانعهُ الى مكانة الخالقين او الصوت الذي يُطربنا ويُشجينا ويُنسينا انفسنا الى حين ما هي كلها إلا ثمرة حلوة لشجرة ضنينة مرة يتعهدها صاحبها زرعاً وريًّا وتشذيباً منذ سنين

إن المتفنن العبقري يريد ويعجز . يريد التعبير عن المثل الاعلى الذي تدركهُ نفسهُ بطريق الالهام ويعجز عن التعبير عنهُ بفنهِ لعدم التوازن بين الحلم والعمل ولأن الادوات التي هيأتها الطبيعة والانسان للتعبير عما تشعر بهِ نفس العبقري المتفنن عن طريق الحواس عاجزة مهما كانت درجة اقترابها من الكمال عن تفسير الصورة التي يراها المصور بعين مخيلتهِ والنغمة التي يسمعها الموسيقي بسمعهِ الروحاني

مثل الصورة التي ينقشها الاول والنغمة التي يلحنها الثاني بالنسبة للصورة الخيالية والنغمة الروحانية كمثل الرؤيا الجميلة الرائعة يرويها بعد اليقظةِ راوٍ ضعيفُ الذاكرة ركيك البيان

والمتفنن العبقري يدرك هذه الحقيقة الى درجة انهُ يبقى دائماً غير قانع بما تنتجهُ قريحتهُ لانهُ وحده يلمس الفرق بين الوحي والحقيقة . ان المتفنن العبقري الصادق على

نفسه الخاص للمثل الاعلى يحتقر ذاته ويزدري ثمرة جهوده . وهيهات ان تلقى متفنناً عبقريًّا قانعاً بما انتج . إن رضى المتفنن عن عمله دليل على بعده عن العبقرية وان قنع متفنن عبقري بما انتج فهذه علامة الاضمحلال الذي يدب الى مواهبه . لذلك ترى الجمهور ومعظمهُ من العامة والمقلدين ينثرون على اقدام المتفنن العبقري ازهار الثناء وهو يقابلهم بابتسامة الاستخفاف والازدراء . وقد يدعو الجاهل هذا الازدراء منهُ غروراً والحقيقة انهُ شعور صادق

اما الجمهور فمخلص في إعجابه لانهُ مؤلف من اواسط الناس ولان كلَّ واحد منهم رأى الصورة التي جادت بها بنان المصور وسمع النغمة التي اخرجها صوت الموسيقي ولكنهُ لم يرَ الصورة التي رآها المصور في احلامه ولم يسمع النغمة التي أسمعها الوحي الاعلى للعبقري

واما المتفنن العبقري فمخلص ايضاً في ازدرائه لانهُ وحده دون سواه يشعر بالفرق الشاسع بين الحلم والعمل. يعيب أواسط الناس على البعقري اسرافهُ وإثرتهُ وانصرافهُ عن أسرته ان كانت لهُ اسرة ونفوره من تكوينها ان أدرك حقيقة نفسه قبل ذلك

ان أواسط الناس هم الذين يحكمون العالم في الظاهر وهم الرأي العام وهم الاغلبية المطلقة .وآراؤهم مهما تكن في حقيقتها فاسدة او مبتذلة فانها تنتهي بالتغلب على سواها من الآراء لان الذين يقرونها ويكسبونها الفوز ويصبغونها بصبغة الحقيقة انما هم أواسط الناس انفسهم . وهكذا يغرس الجهل بزوراً فاسدة فيتعهدها العجز وتنمو بقوة الاستسلام والتصديق واذا تلك البزور الفاسدة قد صارت اشجاراً عالية وارفة اسمها الحقيقة الانسانية ومبادىء المدنية والآراء المتفق عليها وما هي في الحقيقة إلا أباطيل لا قيمة لها

إن قولهم بان العبقري مسرف مستأثر نفور من أنظمة الحياة العادية صحيح .ولكن ليس الاسراف ولا الاستئثار ولا النفور من أنظمة الحياة العادية عيوباً تقلل من اقدار الرجال . ان من يعيب الاسراف رجل يفضل الاقتصاد ومن يعيب الاثرة آخر لا يدرك معنى الشخصية ومن ينقم على النافرين من أنظمة الحياة العادية لم يعلم بعد مفارقتها مع قوانين الطبيعة وهذه كلها امور يدركها العبقري بفطرته أولاً وبعقله ثانياً

قد يكون الغنى مصدراً لنعم كثيرة ولكن العبقري يرى في الاسراف نعماً اعظم وقد يكون في الايثار فضلٌ يذكر ولكن العبقري يرى في الاستئثار حكمة عليا وقد يكون في السكون الى انظمة الحياة العادية ما يؤدي الى سلامة النفس والبدن ولكن العبقري يرى نجاة نفسه وصحة بدنه فيما عدا ذلك فالمسئلة مسئلة خلاف في النظر واختلاف في

الحكم بين مجموع اواسط الناس ذوي الآراء الواهية المبتذلة و بين مجموع العبقريين وارباب المواهب

فيصح لنا والحالة هذه للوصول الى حكم صحيح ان ننظر فيما هو اقرب الى الصواب من الفريقين . ان لدى اواسط الناس قوة العدد المادي فهم يعدّون بالوف الملايين في انحاء العالم . وهم المسيطرون بطبيعة حال الاجتماع والمدنية الحاليتين على المصارف والمطابع والمكاتب والمخابز والمطاعم والملاهي وذلك بفضل العدد المادي

أما العبقريون فقليلون جداً قد يعدون في العالم كله بالعشرات لان الطبيعة ضنينة بهم ومثلهم كمثل الساعات الدقيقة الصنع ومثل غيرهم كغيرها من الساعات فالصانع يخرج عشرين الف ساعة عادية تباع الواحدة بدريهمات ولكنهُ يخرج ساعة او ساعتين ثمينتين . الطبيعة تعطيكم اواسط الناس بالملايين وتمنحنا في كل صباح الف الف نسخة من الانسان العادي ولكنها في كل مائة سنة تجود بنسخة متقنة جميلة الصنع وعندي ان تكوين العبقري يقتضي مجهوداً ان صح ان يقال هذا مجازاً . ولم تمنح الطبيعة العبقرية للقليل من الناس عبثاً . انما هم نارها ونورها ومظهرها الاعلى . انهم على قلتهم يقودون العالم وينظمون شؤونه . انهم على قلتهم يصلحون في شهور او سنين معدودة ما افسدهُ اواسط الناس في قرون لا تعد فاذا بقيت الامم بين ايدي اواسط الناس امست كالبيوت المهجورة يخيم عليها نسيج العنكبوت ويدفنها مُثار النقع وتدب في اركانها الحشرات والهوام الى ان يأتي عبقري موفق فيجعل من البيت المهجور قصراً عامراً آهلاً بالسكان نظيف الحواشي جميل الاركان . وهو لا يستعمل في هذا العمل العظيم الاّ الاواسط الذين كانوا قانعين بالعيش الادنى في ظلال العجز والابتذال

ان اواسط الناس انفسهم لم يصلوا الى الان الى حل نهائي لمسائل المال والاخلاق والاسرة ولم يتفقوا حتى الساعة بصفة قاطعة على تفضيل البخل والايثار والانظمة العادية . والفضل فيما اصابهم من الخبال راجع الى الافكار التي انتجتها العلوم الحديثة

فالاغلبية والحالة هذه منشقة . والاقلية وهم العبقريون يعدلون مهما قل عددهم الاواسط ويتفوقون عليهم اضعافاً مضاعفة فواحدهم ببضعة ملايين . حيال اغلبية مؤلفة من ضعاف العقول منشقة على ذاتها واقلية ممتازة لا تنكر صفاتها هي المدبرة للحياة المحركة لدولاب العمل . لا ارى ان اتردد في الحكم ولا يمكن لعاقل ان يتردد . امحوا من فكركم كلمة « الصواب في جانب الاغلبية » واكتبوا بغير تردد ولا اضطراب « الحق ما قال العبقري وفعل »

لقد قام بعض اواسط العلماء يدعون ان العبقرية نوع من الجنون . وان العبقري مريض . واقاموا على ذلك ادلة كثيرة يطول شرحها وكان اكثرهم عطفاً على العبقرية من قال منهم ان العبقرية خروج العبقري عن المألوف وهذا دليل على اختلاف التوازن الطبعي والعقلي وقد بلغ التطرف بهؤلاء العلماء انهم لم يتركوا قائداً عظيماً ولا شاعراً جليلاً ولا حكيماً فذاً ولا متفنناً ممتازاً الاَّ ادخلوه في زمرة المرضى والمجانين

وقد الف في ذلك المعنى لومبروزو ونيزبيت وماكس نوردو وانهُ من العجيب ان هؤلاء العلماء وامثالهم الذين لم يقفوا حتى الساعة على كنه العقل الانساني ولم يصلوا الى معرفة حقيقة وظيفة المخ ان كانت هي نقل المحسوس الى قوة خفية في الانسان او كانت وظيفته النقل والادراك والتعقل والتصرف. لم يعلموا الى الآن ان كان المخ وسيلة أو غاية. عجيب من هؤلاء العلماء الذين لم يعلموا حتى الآن حقيقة العقل الانساني العادي ويدعون معرفة حقيقة اعظم العقول التي تكاد تكون لقوتها وسموها واتقان صنعتها عقولاً ربانية

انهم يدللون على صحة رأيهم بمسائل تافهة فيذكرون امراضاً وعللاً بدنية انتابت العبقريين وآباءهم من قبلهم. ويصفون احوالاً نفسية اصابت العبقريين في حياتهم ويريدون الوصول بهذا وذاك الى اثبات جنون العبقري . اروني ايها العلماء كائناً من كان تسلسل من اصول سليمة . اروني مخلوقاً بشرياً قضى حياته ولم ينفعل ولم يغضب ولم يحنق ولم يعشق ولم يتألم ولم يشك ولم يبك. أروني انساناً في حياتكم الارضية لم يَرِث عن اجداده عِللاً لا تعد ولم تصبهُ من الدنيا مصائب لا تحصى

انكم ايها العلماء صامتون لا تحيرون جواباً إذاً لماذا تجعلون اساس بحثكم عن العبقري أموراً شائعة بينهُ وبين جميع الناس تنسون وراثة الاواسط وتشهرون بوراثة العبقري . تغضون الطرف عن أحوال المجموع وتشنعون على العبقري باحواله

• اذا ثبت لكم ان الانسانية ملوثة معتلة ألا ترون فضلاً لمن خرج من هذا الوسط الملوث المعتل وأخرج للانسانية ما يصلحها وينقحها ويحسن من شأنها

هل كان هوميروس مجنوناً هل كان كونفوشيوس مختلاً هل كان ارسطوطاليس مخبولاً هل كان نابليون مصاباً بهوس ان كان هؤلاء وامثالهم في عداد المرضى والمجانين فنعم الجنون والمرض

اللهم ارزقنا بألف مجنون على شاكلة هؤلاء المجانين الذين ادهشوا العقلاء بثمرة عقولهم وحكمتهم . وقادوهم في طريق السلم والحرب

محمد لطفي جمعه المحامي



ماري ملكة رومانيا بملابسها الوطنية
وهي من الاديبات الشهيرات

مقتطف ابريل ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٠٩

ماذا رأى باسيل

قصة رمزية

لماري ملكة رومانيا

[ولدت ماري ملكة رومانيا سنة ١٨٧٥ . وهي انكليزية الاصل من الاسرة المالكة في انكلترة . ولما كانت ابنة سبع عشرة سنة — وقيل خمس عشرة — تزوجها فرديناد ملك رومانيا الذي توفي في الصيف الماضي . وقد كانت ولا تزال الى الآن في طليعة الملكات اللواتي خلقن ليسُدْنَ النفوس ويتبوَّأن عروش القلوب. جاءت الى بخارست، عاصمة رومانيا، غريبة الدار والوجه واللسان، لا تعرف احداً فيها ولا تدري شيئاً عن اخلاق الرومانيين وعاداتهم وسائر احوالهم الاجتماعية. ولكنها لم تلبث ان نشطت الى التضلُّع من معرفة هذه الامور كلها . فتفرَّغت لاستقراء شؤون الامة الرومانية خاصّتها وعامّتها واوغلت في تقصّي مسائلها الاقتصادية والاجتماعية ووقفت حياتها على خدمة الشعب دائبة في عيادة المرضى وتعزية الحزانى والتصدّق على الفقراء والمساكين وغير ذلك من الاعمال التي اعلت مكانتها في النفوس وجمعت القلوب على محبتها واحترامها . وهي معروفة عند اكثر القراء بكونها من ربّات البراعة في فنّ اليراعة . وجميع القصص التي كتبتها تشهد لها بغزارة المادَّة وسعة الاطلاع ورقة الشعور وسموّ الخيال ومنها القصة الآتية :]

القصة

كان الوقت ليلاً . وقد ارخى الظلام سدولهُ على السهل الفسيح الارجاء وهبّت ريحٌ صرصرٌ عاتية . فقرس البرد واضطربت النجوم ووهن نورها كأنها تحاول الابتعاد من الارض لتتّقي صبارَّة البرد ونفح الزمهرير . ولكن الثلوج المتراكمة في الحقول كان بياضها شديد النصوع فانعكس منهُ ضياء ضئيل لطَّف كثافة الظلام . وكانت الريح تعصف وتلطم وجه الجمد بعنفٍ فتحرّك سكونهُ وتثيرهُ سحباً رقيقة ترتفع في الجوّ كأنها تروم الإفلاتَ من قبضة الريح والنجاة من إعناتها

وكان الطريق العامّ، في وسط ذلك السهل، يبين للناظر خطًّا قاتماً رسمتهُ الخطى على الثلج. وعلى جانب هذا الطريق جلس سريةٌ من الجند حول نارٍ صائرة الى الخمود

والانطفاء يستهدفون للريح وهي تثير الثلج وتسفيه في وجوههم فيسقط عليهم بشدة وعنف سقوط الامواج المزبدة على الصخور وقد رفعوا اطواق معاطفهم العريضة وبسطوها على رؤوسهم الى جباههم . ولكن هذا كلهُ لم يجدهم فتيلاً في وقاية اجسادهم قرس القرّ ولذع الزمهرير . وكانوا اثني عشر جنديًّا منهم اربعة كهول ذوو لحى كثّة طويلة وواحد في ريعان الصبا وهم يتولون حراسة بضعة اسرى جالسين امام النار الآخذة في الهمود وعلى وجوههم امارات الكآبة والغمّ . واجسادهم ترتجّ مرتعدة من البرد او الحزن او الخوف — ولعل ارتعادها كان ناشئاً عن هذه كلها !

لم يحفل حرّاسهم بهم بل كانوا موجهين التفاتهم نحو رفيقهم الفتى الذي وقف مستنداً الى بندقيته كالراعي المتوكيء على عصاهُ وقد اطلق لعينيهِ الزرقاوين عنان التفرّس في ظلمة الليل المدلهمة وافكارهُ سابحة في فضاء الرؤى والاحلام . وكان نديف الثلج يتطاير حولهُ ويتجمع على اطراف ثيابهِ ويتساقط حتى على اهداب اجفانهِ الطويلة . ولهذا كان يرفع يدهُ من وقت الى آخر على صفحة وجههِ — لينفض سقاط الثلج عن عينيهِ . وكان اسمهُ باسيل

فقال لهُ واحدٌ من الكهول متبرّماً متذمراً ، واسمهُ اندريا سكرتو وهو ضابط السرية « انظر يا باسيل الى النار . فانها تكاد تنطفئ . ولسوف يهرأنا البرد قبل انقضاء هذه الليلة الملعونة ! »

فاعترض جنديٌّ آخر متململاً : — « كان من الواجب علينا ان نحترز حتى لا نضلّ الطريق » فاجابهُ الضابط : « قدّر فكان . ولا فائدة من الاعتراض . فإن هرأنا البرد وقضي علينا قبل الصباح ذهبنا كما ذهب كثيرون غيرنا »

فسأل واحد منهم : — « على من تبعة هذه الشرور الفظيعة ؟

فرد عليهِ الضابط سكرتو مقطّباً : « ان سؤالاً كهذا ليس من شأنك ولا من شأني انا ايضاً » وقال جنديٌّ لم يتكلم قبل الآن واسمهُ بطرس پاسكا : « ان تبعة هذه الشرور على الحرب . فهي وحدها مسؤولة عنها »

وصاح سكرتو صيحة المغيظ المحنق : « الحرب الحرب ! تنقضّ على الناس انقضاض هواجر الصيف او سيول الشتاء على البزور الغضة الطرية فتحرقها او تغرقها »

وقال غيرهُ : « ولكن هذه الحرب منقطعة النظير في فظائعها واهوالها ! »

فالتفت باسيل نحوهم وقال : « اني آسف على حالة هؤلاء الاسرى »

فصاح معظم الباقين بصوت واحد محتجين ومعترضين : « آسف ! على مَن انت آسف ؟ على هؤلاء الغرباء الانجاس المناكيد ؟ » فاوضح باسيل مرادهُ بقولهِ : « اني آسف عليهم لانهم في ريعان الصبا يشكون تباريح الغربة وفرقة الانسباءِ والاحبّاءِ »

« ونحن ؟ ألسنا مثلهم ؟ »

« نحن على الاقلّ باقون في وطننا رومانيا ! »

ثم عصفت ريح شديدة مثقلة بكِسَف الثلج. فأداروا وجوههم وولّوها ظهورهم. وقال واحد منهم : « انها ليلة ليلاءُ محفوفة بصنوف الشرّ والبلاءِ »

قال الضابط سكرتو : « قلتُ لك ياباسيل واقول ايضاً إن لم تغشنا بشيءٍ من الوقود هرأ البرد جلودنا واخمد انفاسنا » . فاجابهُ باسيل وهو لا يزال متخذاً بندقيتهُ كعصا الراعي : « كيف يمكنني العثور على الوقود في هذا القفر الموحش المظلم ؟ » فردَّ عليهِ بطرس پاسكا قائلاً : « لك ساقان من حديد ولا يعوزك للعثور على الوقود سوى ان تعزم وتريد » ووافقهُ سكرتو على ذلك فقال : « نعم . نعم . انك كما قال پاسكا . فاطلق ساقيك للريح وفتش لنا عن قليل من الحطب نوقي بنارهِ العطب »

فاعترض باسيل وهو يدقُّ إحدى قدميهِ بالاخرى غير متزحزح عن موقفهِ : « ولكنَّ العمل المنوط بي انما هو حراسة الاسرى »

فصاح بهِ سكرتو : « إن حراستهم يستطيعها اوهن الرجال ساعداً واوهاهم عزيمة . ولا تنس ان لي الأمر وعليك الطاعة والامتثال . فاحمل بندقيّتك على كتفك وعجّل في البحث عن وقود لا يهمنا مقدارهُ قلَّ أو كثر : فالكثير خير من القليل ولكنَّ القليل خير من العدم »

فقال باسيل : « سمعاً وطاعة » ثم حمل بندقيّتهُ وأخذ يجدُّ السرى ويطأ صفيح الثلج معتسفاً لا يدري اين يذهب ومن أين لهُ ان يدري والليل مشتدّ الحلك والسهل امامهُ واسع الانحاءِ مغبّر الارجاء وهو جديب أجرد لا شجر فيهِ ولا نبات

وفي أثناء سراهُ مخترقاً حُجُب الغَسَق ومتعثّراً بالثلوج المتكاثفة تنازعتهُ افكار كثيرة متعارضة متناقضة ولكنها كانت افكاراً . وعرضت لهُ عدّة رؤى شائقة سارّة — رؤى حبّ وهيام لا علاقة لها بصبارّة الزمهرير ولا بنار الحرب المستعرة . بهذه الافكار والرؤى استأنس في وحشتهِ وشحذ غرار عزيمتهِ واستعان على تذليل ما في طريقهِ من المشقات الى ان عثر بشيءٍ فأكبّ على وجههِ . ولشدة كثافة الثلج نهض

سليماً من الاذى . لكنّ سقوطهُ هذا روّع الرؤى فانتثر عقدها وتفرّق شملها

وأفاق باسيل من ذهولهِ فرأى نفسهُ وحيداً لا يقع نظره الا على بهق الثلج ولا يطرق سمعهُ غير قصف المدافع . فقال متأفّفاً متبرّماً : « الحطب — الحطب ! أُمرتُ بان احتطب لهم ولو كُسارا او هشيماً يلقونهُ على نارهم الخامدة ولكن أنّى لي الاحتطاب في هذا القفر اليباب الخالي حتى من ادق الاخشاب ؟ آه يا الهي ما هذه الليلة ! حقّاً انها شرّ الليالي . وفي جسدي من ريحها الصرصر وقع السياط وفي وجهي من ندف ثلجها وخز الابر ؟ فأين — يا ربي — اين اجد الحطب ؟ »

قال هذا ووقف يكزُّ ويتقفقف من شدة البرد ويضرب جنبيهِ بيديهِ المرتعدتين. وكان في اثناءِ سراهُ على غير هدًى قد ضلّ الطريق . فلم يستطع ان يتبين شيئاً امامهُ سوى أكوام متبعثرة رقّ الثلج فوقها فانحسر عنها . هنا رجمة (قبر) وهناك جثة حصان وهنالك عرمة هشيم بالٍ . واذ التفت حولهُ وامعن في التفرّس والتحديق لاح لهُ عن بعد خطّ اسود عرف انهُ الطريق العامّ الذي كان قد ضلّ عنهُ . ومن فورهِ وجّه خطواتهِ نحوهُ . وكانت الارض وعثة متوعرة وقد برّح بهِ العناءُ وقرّس البرد اصابع يديهِ ورجليهِ . واذا بهِ وقف مشدوهاً مذعوراً ، إذ شَخَصَ أمامهُ ثلاثة اشباح ناحلة مهزولة ، قائمة بعضها بجانب بعض وبارزة من خلال الديجور !

فاضطربت افكارهُ واشتدّ خفقان قلبهِ وعرتهُ قشعريرة خوفٍ رجّت اعضاءَهُ كلّها . فما هذا الذي رآهُ بل ما هذه الليلة الحافلة بصنوف المزعجات والمفزعات ! ولكن لماذا يخاف ؟ هب ما رآهُ كان خيالاً او روحاً فالأخيلة والأرواح أيسر خطباً من ملاقاة ألمانيّ !

بمثل هذا الاعتبارِ سكّن باسيل جأشهُ وحوّل سراهُ نحو الاشباح الثلاثة التي وقفت لا تبدي حراكاً منتظرة وصولهُ اليها . وعند وصولهِ نظر فاذا هي ثلاثة صلبان ! ثلاثة صلبان من خشب منصوبة على ثلاثة قبور مهجورة وقد عبثت بها عاصفات الرياح وابلاها كرُّ الجديدين حتى كادت تصبح أثراً بعد عين

فرسم صاحبنا إشارة الصليب ، منساقاً بالغريزة وقوة العادة وتلا صلاة قصيرة على ارواح هؤلاء الموتى ووقف ينظر الى الصلبان ويتأمّل في المدفونين تحتها سائلاً نفسهُ قبور من هذه يا ترى ؟ أقبور بعض الجنود هي ؟ ام قبور بعض النساء ؟ او لعلها قبور بعض الاولاد الصغار . . . . قبور اطفال ماتوا جوعاً وصرْداً

ثم تنبّه فجأة الى كون هذه الصلبان من خشب . . . من خشب غليظ ثخين ! او ليس هذا ضالتهُ المنشودة وغايتهُ المقصودة ؟ ألم يقتحم حومة الظلام ويستهدف لخطر الموت برداً من اجل التفتيش عن الخشب او الحطب ؟

وقف باسيل امام الصلبان وقفة مَن يعثر على كنز ثمين ولا يجسر ان يمدَّ يدهُ اليهِ. فقد سحرهُ منظر الخشب ولكنهُ لم يجرؤ على لمسهِ ولا استطاع تركهُ والتخلي عنهُ

واذ ذاك خطر ببالهِ فكر هائل او تجربة مخيفة حدثتهُ بها نفسهُ قائلة لهُ :

لماذا لا تنتزع واحداً من هذه الصلبان وتمضي بهِ مسرعاً الى النار التي غادرتها على وشك الانطفاء فتحيي مواتها وبحرارتها تنقذ الذين حولها من مخالب الردى ؟ فالموتى تحت هذه الصلبان في رقاد عميق لا يسعهم ان يسمعوا شيئاً مما يجري فوق رؤوسهم!

فتقدم بضع خطوات ووضع يدهُ على الصليب الاول . وباسرع من وميض البرق اقشعرّ بدنهُ وطرأ على افكارهِ تغيير فجائي . فقبض يدهُ عن الصليب وقال لا ! إنَّ في عمل كهذا انتهاكاً فظيعاً لحرمة الموتى . واحترامهم مقدَّم على احترام الاحياء . واقلُّ عبث بكرامتهم مكروهٌ في عيني الله والناس . وليس في وسع الموتى أن يحموا حرمتهم ويذودوا عن كرامتهم . فهم تحت رحمة كلّ من يمرُّ بهم — اذن يجب ان يكون للقبر من الاحترام ما لدرجات مذبح الكنيسة

على ان صوت التجربة عاد فرنَّ ثانية في اذنيهِ قائلاً لهُ ان هؤلاءِ الموتى فارقوا دار الفناءِ الى دار البقاء واستراحوا من مكابدة العذاب ومساورة العناءِ والشقاءِ ولكنَّ هنالك رجالاً سوف يهرأهم الزمهرير ان لم يغاثوا بوقود يصطلون بنارهِ . وهم رجال بأس اشداء يتفانون في خدمة الوطن . ومما لا ريب فيهِ ان الحيَّ افضل من الميت . وسلب الموتى اخفُّ جرماً من ترك الاحياءِ يموتون — اولئك الجنود البواسل حماة رومانيا ! ولو استطاع الموتى الكلام لصاحوا بصوت واحد قائلين خذ صلباننا كلها لتدفئة ذادة الوطن وحماتهِ وانقاذهم من الموت صرداً !

فامسك باسيل بالصليب وهزَّهُ هزة عنيفة محاولاً اقتلاعهُ من الارض المجلودة ... لكنهُ امتنع عليهِ متعصّياً كالشجرة المتأصلة اوكمخلوق حيّ يذود عن حرمٍ . وهذه المقاومة أذكت نار الكفاح في قلب باسيل ومثّلت لهُ الصليب خصماً عنيداً لا بدَّ من قهرهِ والتغلّب عليهِ . فطوّقهُ بذراعيهِ وشرع يرجّهُ جذباً ودفعاً ، باذلاً في هزّهِ وقلقلتهِ اقصى ما أُوتيهُ من قوّةٍ وصرامة حتى انتفخت اوداجهُ وتشنّجت عضلاتهُ

وتفصّد بدنهُ عرقاً . وبعد صراع من دونهِ نضال الابطال هوى الصليب على اثر دفعة عنيفة بعد جذبة شديدة وخرَّ مجندلاً وسقط باسيل فوق قرنهِ العنيد . ولم يكن قرنهُ هذا سوى صليب من خشب !

***

كانت النار قد خبت وصارت جمراتها رماداً . والاسرى وحرّاسهم جالسون حولها واجمين . وكانوا كلهم أسواءً في معاناة جهد البلاء . وفيما هم على هذه الحالة وقد بلغت ارواحهم التراقي من شدة الكرب والضنك طرق آذانهم خفق نعل خفيف توقعوا منهُ قدوم طارق . وما عتّموا ان رأوا باسيل مقبلاً عليهم يجرُّ وراءهُ شيئاً ثقيلاً قاتماً

حطب ! حطب ! بهذه الكلمة ارتفعت الاصوات من حلقة الاسرى والجنود حول الرماد ونهض معظمهم يرحّبون بباسيل ويشكرون لهُ سعيهُ . وهو صامت لا يفوهُ بكلمة . لانَّ العناء الذي تحمَّلهُ بمكافحة الريح والثلج في اثناء رجوعهِ لم يكن اقلّ من عناء اقتلاع الصليب من مكانهِ . وعلاوة على هذا وذاك كان يعاني الم تبكيت النفس وتوبيخ الضمير . ولهذا وقف مطرقاً لا ينبس بحوجاء ولا لوجاء واقتصر على القاء الصليب الثقيل عند اقدام اولئك المنتظرين

وكان سكرتو اول من عرف ماهية الوقود الذي جاءهم بهِ باسيل فتقزَّز وتعوَّذ وقال : — « صليب . . . . صليب ! »

وتقدم باقي الجنود ونظروا وضجوا باصوات الاستفظاع والاستهجان . ورفع الاسرى رؤوسهم ورمقوا الجنود الصاخبين باستياء وامتعاض . وظل باسيل ساكتاً وقد عقد الاعياء لسانهُ نخرّ على الثلج . والتفت اليهِ سكرتو وقال لهُ بلهجة الزاجر المنتهر:

« هذا صليب ! فكيف أقدمتَ على الإتيان بهِ ؟ »

فاعترض واحد منهم بقولهِ :

« لكنهُ من خشب ونحن في اشد احتياج الى الحطب »

« مهما يكن من نوعهِ ومن حالتنا فلا يمكننا ان نحرق صليباً ! »

« ان إحراقهُ انتهاك لحرمة مقدسة ! »

« ومجلبة للعنة الله علينا ! »

« ولعنة الموتى ايضاً ! »

« ولكنّنا نقاسي الأمرّين من قرس البرد . والموتى موتى . . »

« وهل ينتفع الموتى بشيء ان لقينا حتفنا من شدة الصرّ والقرّ ؟ »
« او لسنا حماة الوطن الذائدين عن ذماره ؟ »
« كم وكم في الارض من ميت ليس على قبره صليب ! »
« عار عليك ! فما من انسان يجسر على إحراق الصليب ! »

على هذا المنوال اخذ الجنود يتحاورون ويتجادلون . وباسيل والاسرى لائذون باطراف الصمت لا ينطقون ببنت شفة : وكانت نفس باسيل مثقلة بأعباء العناء والاستحياء. ولكن عذره الوحيد انهُ لم يستطع ان يجد شيئاً آخر

وكان آخر ما فاه به الضابط سكرتو بلهجة الحزم قولهُ : « لا يعلنّ احد نفسهُ بالمحال . فموتنا جميعاً مهروئين بالزمهرير اهون عليّ من إحراق صليب المسيح ! »

وكان قولهُ هذا فصل الخطاب وخاتمة الكلام . فاستعاد كلٌّ مجلسهُ حول الرماد البارد وخيم عليهم سكوت عميق وازال جهد البلاء كل فارقٍ بين الاسرى وحرّاسهم فتساووا في تجشم المشاقّ وتجرع الغصص. وعلى بعدٍ قليل منهم اضطجع باسيل مسنداً رأسهُ الى الصليب الذي كابد عناءالمجيء به من مكان سحيق. وطفق يتأمل في مشكلات الحياة

لماذا هذه الحرب الضروس الذاهبة بحياة الملايين من نخبة الشبان والمادة مطار الدمار على كثير من البلدان ؟ لماذا هذه الآلام والتضحيات في هـذه الحياة مع انهُ ليس من الصعب ان تقضى براحة وسلام ؟ لماذا هذا — لماذا ذاك ؟ لماذا هذه البغضاء والشحناء بين الامم وهم جميعهم ابناء آدم وحوّاء ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ . . . .

واشتد عليهِ هبوب الريح فرفع يدهُ المرتعدة من شدة البرد لينفض نثار الثلج عن اجفانه واستأنف الإمعان في التأمل قائلاً لماذا تتعاقب الفصول ويأتي بعد حرّ الصيف القادح برد شتاء يسوم الابدان ما هو اشد من طعن السنان ؟ لماذا لماذا ؟

ثم جلس وقال لماذا هذا الظلام المطبق ؟ ماذا يراد بهِ ؟

وحينئذٍ ! عند ما نطقت شفتاهُ بالسؤال الاخير ابصرت عيناهُ نوراً ضعيفاً . فهل كان الفجر آخذاً في الطلوع ؟ راقب باسيل النور الذي خيّل اليهِ انهُ يراهُ بعيداً — فهل هو الفجر ؟ ولكنهُ لم ينتشر مع انهُ لاح متحركاً — نعم بدا متحركاً ! واخـذ يدنو . . . ويقترب نحوهُ ! وبعد ذلك لما حاول باسيل في وضح النهار ان يقصّ ما رآهُ على رفقائهِ الذين كانوا نياماً لم يصدقوهُ . كان النوم ، في اثناء مشاهدتهِ لهذا النور ، آخذاً بمعاقد اجفانهم ولكنهُ هو كان مستيقظاً ورأى النور بامّ عينيهِ . ومع ذلك تشبه

بتوما تلميذ المسيح واراد ان يلمس بيدهِ ليتحقق ما رآهُ بعينهِ

وكان ما رآهُ باسيل شخصاً ابيض مقبلاً نحوهُ على الثلج . وكان بياضهُ شديد النصوع وعليهِ ثوب من نور ساطع الضياء. وكان الشخص نفسهُ هو النور. ومع شدة تألقهِ ظلّ الباقون غارقين في لجة الكرى. وهذا ما اعيا باسيل فهمهُ. تقدّم نحو باسيل ساحباً وراءهُ ذيل لمعان يخطّ سبيل المجد . . وهذا الآتي كان ابن الانسان — كان ابن الله !

فخرّ باسيل على ركبتيهِ وكشف رأسهُ وبسط يديهِ . وقد نسي ما كان يعانيهِ من تباريح العناءِ والبرد وانقشعت عن عينيهِ سُحُب الريب والشكوك . ولكن ما هذا الذي كان ابن الله يحملهُ على منكبيهِ — شيء قاتم ثقيل كبير

كان صليبهُ ! المسيح ايضاً حاملٌ صليبهُ . فلماذا ؟ آه ! لماذا ؟

اقبل يطأ الثلج بخفّةٍ ونشاط غير مبالٍ بثقل الصليب على كتفيهِ مع ان باسيل اختبر حملهُ ولا يزال يشعر بما لقيهُ منهُ

لم يقف حيث كان باسيل جاثياً بل اجتازهُ الى حلقة الاسرى والجنود النيام فدخل بينهم . ورآهُ باسيل بعينيهِ يلقي صليبهُ على الرماد وابصر لهَباً يندرىء وتندفع ألسنتهُ حول الصليب حتى صار الصليب نفسهُ ناراً حامية شديدة الاشتعال ! فالمسيح جاء بصليبهِ وجعلهُ وقوداً لنار يصطلي بها حماة الوطن البواسل وينجون من الموت !

وبعد ذلك تذكر باسيل ما حدث ولكن بشيءٍ من الغموض والابهام. فزحف على ركبتيهِ نحو اللهب المقدس . . . . وبجانبهِ سقط مغشيًّا عليهِ

ثم طلع النهار : واستيقظ النيام واحداً بعد واحد واذا بالنار ، التي كانت قد خبت وصارت الى الخمود منذ اوائل الليل ، تتقد الآن بلهب شديد الحموّ احيا قواهم وغادر البرد اثراً بعد عين . وتحقق كلٌّ منهم ان امراً عجيباً حدث لكنهم لم يعلموا ما هو

وهذا الامر راب الضابط سكرتو. فقال في نفسهِ لعل باسيل عصى اوامرهُ واحرق الصليب . ولكنّ ذلك الصليب باقٍ ملقى حيث كان . وباسيل جاثٍ بجانبهِ ويداهُ على صدرهِ وعيناهُ ناظرتان الى الشمس الطالعة . فذهب اليهِ وناداهُ قائلا :

« باسيل ! باسيل ! ماذا ترى في وجه الشمس الطالعة ؟ »

فالتفت باسيل اليهِ وعيناهُ ساطعتان بنور عجيب . لكنهُ لم يجبهُ عن سؤالهِ . ولم يعلم سكرتو قط ايّة رؤيا كان باسيل يتمثلها في محيّا الشمس الطالعة

ترجمة : اسعد خليل داغر

الدكتور صروف عالما

١ — رياضيا وفلكيا

للاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الاميركية

اتصف الدكتور صروف منذ صغرهِ بسمو المواهب العقلية فقد كانت لديهِ دروس الرياضيات الابتدائية والطبيعيات كالحساب والجبر والهندسة والمثلثات والكيمياء والفلسفة الطبيعية وعلم الفلك بمثابة قراءة القصص التاريخية والفكاهية ومسائلها وقضاياها بمنزلة الاوليات فلم يكن يجهد نفسه بدرسها وهو طالب (تلميذ) إلاَّ قليلاً لانها كانت سهلة عليهِ وواضحة وجليّة في ذهنهِ بينما كان غيره من ابناء صفهِ يتعب كثيراً في درسها ويصرف معظم وقتهِ في تحضيرها والاستعداد لها . ووهبهُ الخالق ذاكرة قوية ساعدتهُ على حفظ ما يتعلم الى أجل طويل ومكّنتهُ بما لديهِ من سائر القوى العقلية من طرق جميع موضوعات الدروس التي درسها ودرّسها وبحث فيها وسهّلت لهُ الفوز والنبوغ بين اقرانه وفي جيله . واذا أضفنا الى ذلك قوة ارادتهِ العظيمة وشغفهُ وتعطشهُ الى حلّ المسائل والقضايا الرياضية والعلمية وولوعهُ بمعالجتها ومعاركتها وحنينهُ وتشوّقهُ الى معرفة المجهول وادراك كنه الحقيقة وما امتاز بهِ من الصفات الادبية والعقلية والخلقية والتهذيبية كصفاء الذهن وحدّته وجلائه ومضاء العزيمة وقوة الحجة والمنطق وفصاحة العبارة وبراعة الاسلوب وحسن الذوق وسلامته وشرف العواطف وسموّ المبادئ والدقة في الاعمال والضبط التام — اذا اضفنا كل ذلك امكننا حينئذٍ أن ندرك سبب عظمة الدكتور صروف وسرّ تفوقه ونبوغه في العلوم وسموّ مكانته في المجتمع الانساني

ولكي يدرك القارئ شيئاً من الصورة الجميلة التي اقصد ان اصورها لهُ اذكر حادثة رواها لي الدكتور صروف نفسه في خريف سنة ١٩٢٥ وهي انهُ لما كان استاذاً في الكلية السورية الانجيلية (جامعة بيروت الاميركية الآن) استقال استاذ الكيمياء فجأةً وعهد الى الدكتور صروف في تدريس علم كيمياء السموم فوق اشغاله الاعتيادية فقام بهِ خير قيام . واتفق في تلك الاثناء انهُ اصيب بضعفٍ في بصرهِ لكثرة الدرس والمطالعة

واحياء الليالي ساهراً منقّباً وباحثاً. فخطر عليهِ الاطباء الدرس واجبروهُ على الانقطاع عنهُ ولكي لا يضيع على تلامذتهِ شيئاً طلب الى زوجتهِ الفاضلة ان تقرأ لهُ يوماً فيوماً الدرس وما يتعلق بهِ في جميع الكتب التي كانت لديهِ وهو يصغي اليها . ويحفظ المهم منهُ في ذهنهِ .وكان يدخل الصفوف في اليوم التالي ويلقي الخطب ويستمع للطلبة كجاري عادتهِ دون اقل تغيير كما لو كانت عيناهُ سليمتين. وبقي على تلك الحال مدة طويلة حتى تحسنت صحتهُ وشفي تماماً من المرض الذي ألمَّ بهِ. فهل يوجد ما هو أنبل قصداً وأشرف غاية واعلى همة واعظم ذكاءً

ذكرت ان الدكتور صروف كان ممتازاً بالعلوم الرياضية والطبيعية ولذلك ندبتهُ عمدة الكلية لتدريسها مع حداثة سنّهِ في ذلك الوقت وجعلتهُ في رتبة سائر المدرسين العظام مثل ڤان ديك الكبير وورتبات وپوست ولوِس الذين اشتهروا في ذلك العصر بسموّ المواهب العقلية والادبية والتهذيبية والنبوغ في العلوم والمعارف. وكلّ من يقرأ باب الرياضيات في المقتطف ويطالع المقالات الفلكية والطبيعية والعلمية التي انشأها الدكتور صروف او ترجمها ويقف على التعاليق والملاحظات التي اضافها اليها وينعم النظر فيها يعتقد بصحة قولي ويسلّم برأيي . اذ يظهر لهُ فيها سمو المواهب والتعمق والرسوخ في تلك العلوم والاحاطة بها رغماً عن عدم درس فروعها العالية لانها لم تكن قد ادخلت الى بلادنا في تلك الايام . فقد عالج وجرّب حلّ المعضلات الرياضية بموجب هندسة اقليدس كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسامٍ متساوية وتسبيع الدائرة وتضعيف المكعَّب وتربيع الدائرة وصرف عليها وقتاً طويلاً وسار فيها شوطاً بعيداً ولكنهُ مثل كل حكيم حاذق ومنصف كان يكتشف خطأهُ بنفسهِ ويقتنع بصحة نتائجهِ ويستفيد من ابحاثهِ فائدة عظيمة تعود عليهِ بأحسن النتائج كما ثبت من اختبار كبار الرياضيين والعلماء الذين يقرّون ويعترفون انهم استفادوا من فشلهم بقدر ما استفادوا من نجاحهم. لانهم في اثناء معالجتهم للمسائل العويصة والصعبة والمستحيلة يقفون على معلوماتٍ واختبارات لم تكن تخطر لهم قبلاً وقد لا يصادفونها ولا يقفون عليها قط . فضلاً عن شحذ الذهن وكدّهِ وكثرة المطالعة والتعمق في الدرس والبحث والتنقيب

ويقوم فضل الدكتور صروف في العلوم الرياضية والفلكية كفضلهِ في سائر العلوم الطبيعية والعقلية والاجتماعية — انهُ درسها في صغرهِ في اللغة العربية ثم درّسها مدة طويلة في هذه اللغة وطالعها في كتب متعددة باللغات الاجنبية وراجع ما يمكن من

الوصول اليهِ من المخطوطات العربية القديمة فانجلت لهُ حقائقها في التدريس اكثر مما انجلت لهُ وهو يدرسها وحينما شرع في اصدار المقتطف تمكّن من نشر المقالات والابحاث المطوّلة في مختلف العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية المشبعة درساً وتحقيقاً بعبارة فصيحة بسيطة واسلوب بليغ ووضوح تام مجتنباً الالفاظ غير المأنوسة والجمل المعقّدة مع مراعاة قواعد اللغة مراعاة تامة والتزام اصولها والمحافظة على ضوابطها ومبادئها لان غرضه الاكبر كان نقل الصور والمعاني والافكار الى الاذهان بأخصر الطرق واسهلها وأبلغها عملاً بقانون البلاغة المشهور اعني بهِ الاقتصاد على ذهن القارئ. وقد جعل تلك المقالات حافلة بالمباحث الطريفة وزاخرة بالحقائق الجديدة واختط لنفسهِ اسلوباً خاصًّا في الانشاء هو من السهل الممتنع . فجاءت كتابتهُ ممتازة بغزارة المادة مقترنة بمتانة السبك وحسن الرصف وبساطة العبارة وجلاء الصور ووضوح الافكار واحكام الارتباط العقلي بين جميع اجزائها

ومع ان جميع كتابات الدكتور صروف العلمية آيات بيّنات فانَّ من افضلها في نظري كتابهُ المعروف « بسائط علم الفلك » الذي توخى فيهِ الدقة في البحث والاستقصاء . والنزاهة في القياس والحكم والاستنتاج. والبساطة في التحليل والايراد. والفائدة العامة للجمهور بلغة علمية متينة بليغة جلية . مورداً أشهر الآراء واحدثها واجمل الصور والمعاني والطفها . باعذب الالفاظ وابلغ العبارات . فلا يجد القارئ اقل صعوبة في ادراك المعاني . واستيعاب الصور والافكار. وبكلام آخر لا يكاد يصرف شيئاً من قواهُ العقلية لفهم الافكار وادراك القضايا بل تصرف جميعها تقريباً في تفهم المواد الفلكية من افكار وصور وقضايا كما في الامثلة الآتية :

« لا اجمل من القمر اذا كان بدراً . الشمس ابهى منهُ واسطع نوراً . ولكن نورها يبهر العين ويؤذيها فلا تستطيع التحديق فيها. ويزيد البدر بهاءً اذا دارت حولهُ هالة من النور كانها جند تحيط بملك عزيز الشأن تحرسهُ ولا تستطيع الدنوَّ منهُ مهابة »

« وكلَّما فكّرنا في اقدار الشموس وابعادها يتنازعنا عاملان متضادان عامل استصغار الانسان في جنب غيرهِ من الكائنات حتى يصير كالعدم . وعامل استكبار عقلهِ الذي بلغ اعماق الكون وقاس السموات بالشبر وعرف عناصر الكواكب واقدارها وابعادها »

واشتهر الدكتور صروف باعتدالهِ وانصافهِ في جميع الامور وتظهر هذه الصفة

بنوع خاص في كتاباتهِ الفلكية فانهُ لا يذكر من القضايا والابحاث والآراء الاَّ ما ثبتت صحتهُ او ما كان الافضل والانسب مع الاشارة الى ذلك لانهُ كان مطبوعاً على حبّ البحث والتحقيق فيأبى ان يأخذ القضايا والنظريات بظواهرها

واني اختم هذه العجالة بما قالهُ الدكتور صروف نفسهُ عن اهمية العلوم الرياضية والطبيعية وما كان لها من المنزلة السامية في عينيهِ . وما تصورهُ لها من عظيم الاثر في العقول والمقام الرفيع في تعيين مجرى التمدن وكيان المجتمع الانساني

« العلوم الطبيعية والرياضية تعزز صفة الحب الشديد للصراحة وطلب الحقيقة لما تنطوي عليهِ من نواميس وقوانين لا تردّ ولا تقهر »

« ولا بدَّ للطالب من درس العلوم الطبيعية والتاريخية والاجتماعية حتى يكون لهُ مادة يكتب منها . ومن درس الحساب والجبر والهندسة والمنطق حتى يسهل عليهِ التمييز بين صحيح الاحكام وفاسدها »

---

٢ — بيولوجيا

لاسماعيل مظهر بك صاحب مجلة العصور

١ — تمهيد

قلما يستطيع الباحث أن يلم بالآثار الفردية التي يخلفها نابغة كبير في حالات عصرهِ، وعلى الاخص اذا رمى الى تحديد تلك الآثار من ناحية الفكرة العلمية . فان الفكر كتيار الكهربائية او كقبس الضوء او كشعاع فياض من اشعة الكون ، لا نعرف مصدرهُ على وجه التحقيق ، ونعجز دائماً عن تحديد آثارهِ التي يخلفها في نفوس الافراد . اما اذا اردت ان تبلغ الحد المستطاع من تحديد تلك الآثار فارجع الى القياس الاجتماعي فانك في هذا الميدان وحده يمكنك ان توازن بين حالات اجلى ظهوراً وابين صوراً

على ان مهمة الباحث تزداد وعورة اذا اكبَّ على درس الآثار التي يخلفها عقل انسيكلوبيذي تشعبت نواحيهُ وتفرقت طرقاتهُ وكثرت منعطفاتهُ . فاين يقع في تلك المفاوز الكثيرة على المصدر الذي بعث الى الحياة بتلك الصور الخالدة المشبوبة بروح اليقين ، المكسوة بحلل البقاء والخلود ؟ لا مرية في ان الوقوع على ذلك المصدر هو المرمى الذي يرمي اليهِ كتاب التراجم جميعاً . غير ان قليلاً منهم من استطاع ان يصل

الى ذلك السر الدفين . ولست بطامع في ان اقع على مصدر ذلك الضوء الذي بعث بهِ استاذي الدكتور صروف في نواحي الشرق العربي وقد اظلمت جنباتهُ وادلهمت طرقاتهُ فانار السبل للغادي والساري ، وازاح الحجب عن خفي ما انار لغيرنا السبيل. اما مهمتي فلا اعتقد انها تتجاوز تصوير تلك الآثار تصويراً يمكن ان نتعقب بهِ النتائج التي خلفها عمل الدكتور الفقيد في عالمي الاجتماع والفكر

غير ان هذا لا يفوت علي ان ألم ببضعة آثار اخرى خلفها لنا عملهُ العظيم في نواح تقل او تزيد علاقتها بالناحية الاجتماعية على حسب المقتضيات وظروف الحالات التي تقوم في المجتمع بين آونة واخرى. لهذا نتكلم في تلك الآثار واحداً بعد آخر لنحددها على قدر المستطاع

٢ — الترجمة العلمية

بعد ان انقطعت صلة العالم العربي بالترجمة ، وكانت في العصور الاولى مبدأ تلك النهضة الكبيرة التي استمدت من السريانية في مدارس نصيبين والرها واديرة آسيا الصغرى ومصروالعراق وحران ، وانبتّت صلة اللغة العربية بكل لغات العالم تقريباً ، وظل المؤلفون والكاتبون قروناً طويلة عيالاً على ما كتب الاوائل وما نقل المترجمون ، وبعد ان انصرف الشرق العربي كلهُ الى الاشتغال بالآداب وحدها اشتغالاً لم يكن لهُ من قاعدة او اسلوب اللهم الاَّ الاسلوب الفطري ، اسلوب التقرير دون التحليل ، وبعد ان كادت تفتر العزائم حتى عن هذه الاساليب الاولية لكثرة ما لاكتها الالسن وتناولتها بهِ الاقلام من نقل وتغيير ، وبعد ان دار الفكر العربي حول دائرة لا يخلص الى نهاية شوطها حتى يبدأ الشوط ثانياً ، اتجهت العقول الى تلك الضجة الكبيرة التي قامت حول مذهب العلامة الكبير داروين التي بدأها بنشر مذكراتهِ التي قرئت امام جمعية لينيوس ثم نشرت في اللانسيت وكانت النواة التي اجتمع من حولها الكتاب الخالد « اصل الانواع » . وكان لذلك الاتجاه الجديد اثر عظيم في الشرق ، بل اثر لا يمحوهُ كر الايام والدهور ، اثراقل ما فيهِ انهُ اخرج عجلة الفكر الشرقي عن دائرتها المحدودة التي كانت تدور فيها فزلت عنها الى ميدان فسيح مترامي النواحي متسع الجنبات. ذلك ميدان العلم البيولوجي الذي اعتقد بحق انهُ محور التقدم العالمي وان لا ارتقاء لامة من الامم ادبياً وعلمياً واجتماعيًّا بغير التوافر على درسهِ وتطبيق عملياتهِ وتفهم نظرياتهِ العميقة . وكان دكتورنا الكبير اكبر ركن من اركان هذه النهضة الكبيرة ، ويداً من اقوى

الايدي التي استقوت على عجلة الفكر فألوت بها عن سمتها الاول وخرجت بها عن قضيب الدائرة القديمة الحديدي فافلتت تطير في عالم اثيري من الفكر الحديث . وكما ان العلماء في الغرب لم يقدروا حتى اليوم مقدار النتائج التي سوف تترتب على نهضة داروين العظيم واثرها في تطور النوع البشري ، كذلك لا نستطيع في الشرق ان نقدر النتائج التي سوف تترتب على تلك الدفعة التي دفعت بنا فيها تلك اليد القوية ، ولا الى اي حد سوف نبلغ من اطراف ذلك التيه البعيد

قد يتساءل البعض ما هي تلك القوة التي تزودت بها تلك اليد القادرة على ان تحول عجلة الفكر العربي عن دائرتها القديمة ، وما هو السر الذي جعل مفتاح العلم يدور مرة اخرى في قفل ذلك الباب الذي اكل الصدأ جوانبهُ منذ أبعد العصور ؟ ولست اجد من شيءٍ هو اهون عندي من الجواب . اما السر فهو تلقيح الافكار القديمة البالية بافكار جديدة ، وتغيير الاساليب القديمة باساليب حديثة ، وقتل العادات العتيقة التي نكب فيها الفكر بعادات تلائم مقتضى الزمان والمكان . اما الوسيلة فشيءٌ ابسط من هذا كثيراً . وتنحصر في تفهم الجديد من المبتكرات العلمية والفنية والعقلية ونقلها بالترجمة الى عالم يجهلها على اننا لا ننسى هنا ان ابسط اشياء هذا العالم هي أكبر معضلاته كما ان في ابسط ذراته تكمن اعظم قواته . أليس هذا وحدهُ بكافٍ لان يخلد دكتورنا الفقيد ؟

٣ — العلوم البيولوجية

علم البيولوجيا هو علم الحياة ، اي العلم بما هي الحياة . وهذا العلم الحديث ، اذا استثنينا الرياضيات والفلك ، يكاد يكون العلم الوحيد الذي تربي عملياته على نظرياته بمقدار ما يربي المحيط الزاخر على النهير الصغير . لهذا كان اثره في العالم كبيراً على حداثة عهده

ومن اعجب ما يقع عليهِ الباحث المتعمق من طبيعة هذا العلم ان تأثيره في الاجتماع بالذات ثانوي اذا قيس بتأثير فروعهِ التي تشعبت منهُ . فالعلم بما في الحياة وما هي الحياة وما هي الكروموسومات وما هي النواة وكيفية التلقيح وما يترتب على كل هذه الابحاث العلمية من النتائج لا يقاس مثلاً بالآثار التي تخلفها في الذهن مباحث علم الحيوان او التاريخ الطبيعي أو الوراثة او الحفريات او الجيولوجيا وغيرها من فروع علم الحياة ، تلك العلوم التي تترك امامك الدنيا والعوالم والحياة كصور جغرافي لا تستقرىءُ فيهِ كيف

قامت الامبراطوريات وكيف دالت ، ولا كيف ثارت الشعوب وكيف هدأت عاصفتها ، ولا كيف تكونت المدنيات وكيف انحلت لا غير ، بل تقرأ فيها من صور الجمال والعلم ، ومن الوان الفن والعظات ، ما تسكن اليهِ نفسك سكونها الى صورة، الكون ميدانها والطبيعة فنانها الاعظم

يقول ارسطوطاليس — « في الشؤون العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظريًّا بالقواعد ، بل هو تطبيقها . ففيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي ان يعلم ما هي ، بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها » . وهذه القاعدة يصح تطبيقها على علوم الحياة ، كما صح تطبيقها عند ارسطوطاليس على فنون الاخلاق . فليس يكفي في علوم الحياة ان يحوز الانسان علماً بقواعدها ، بل يجب ان يتعمق فيها ليحوز ذلك التصور الواسع الذي لا يجعل هذه العلوم قواعد جامدة فقط ، بل يعطيك من العالم ونظامه فكرة فنية اساسها الجمال الذي يصدر عن المحسوسات والمرئيات ، ويزيدك في الحياة حبًّا ويزودك فيها بقوات عظمى تستخدمها لترقية النوع الانساني

يتبادر الى ذهن البعض ان العلوم العملية ومنها علم الحياة بفروعهِ هي اشبه الاشياء بالجوامد التي لا تبعث في النفس روعة ، ولا تخلق فيها جمالا . بل قد يذهبون الى أبعد من هذا . هم يصورون العلوم بالصخور الصلدة التي تتكسر عليها امواج الادب الذي يشبهونهُ بمياه البحر الناعمة اللطيفة . ولكن الحقيقة الواقعة على الضد من هذا . الحقيقة ان في جوف تلك الصخور الصلدة عالم من الجمال ، لا يمكن بحال ان يصل الى تصويرهِ الادب مهما ارتقت فنونهُ ومهما تعددت اساليبهُ . اما البلوغ الى هذا العالم الفني العظيم وقف على اساليب العلم وحدها . وفي حدسي أن هذه الاساليب لا بد ان يكون لها من الاثر البعيد في الآداب مالا نستطيع تقدير مداهُ ، وان كنا على يقين من انهُ تأثير سوف يبلغ مدى قصيًّا من تغيير الفكر الانساني في الحياة

ولا استطيع بحال من الاحوال ان ادعي ان هذه الصور قد قامت في عقول الناس عند ما بدأ الدكتور صروف يدافع عن مبدأ النشوء والارتقاء واحداً فرداً منذ اكثر من نصف قرن من الزمان . وهل تعرف ماذا يفهم من « نصف قرن » . يفهم منهُ ان روح التعصب كانت لا تزال بعيدة التأثير في العقول وكان الجامدون لا يزالون ملتصقين بجدران الزمان يسندون ظهورهم الى جملة من المذاهب العتيقة التي

اخذت لبناتها تنهدم لبنة بعد اخرى ، وكان في يدهم قوة التقاليد ينوءون بها على العلم واهل العلم وكانت المعركة لا تزال حامية الوطيس بين داروين وانصاره هربرت سبنسر وهكسلي من ناحية ، ومسترسان جورج ميڤارت والاسقف ويلبرفورس من ناحية اخرى . ومن حول هذه المعركة دارت معارك اخرى في المانيا وفرنسا . بل لا تزال المعركة دائرة حتى اليوم في امريكا . وليس في امريكا وحدها ، بل في انكلترا ايضاً . فان المعركة التي دارت وتدور اليوم حول كتاب الصلاة المقرر في الكنيسة الانكليزية والاثر الذي خلفهُ خطاب السير ارثركيت لا تزال اصداؤها ترن في آذاننا

هذا ما يعنى بنصف قرن من الزمان . في بدايتهِ استمكنت تلك الصورة العلمية الرائعة الجمال من نفس دكتورنا الفقيد رحمهُ الله فقام يدافع عنها بقلمه ولسانه ، والناس بعيدون عن ان يدركوا ما انطوت عليهِ تلافيف دماغه من صور الجمال العميق الثابت ، لا الجمال الذي تحمله الكلمات والالفاظ والجمل ، التي قد تؤدي معنى ما او لا تؤدي . جمال العلم الثابت الذي هو اشبه بجمال الطبيعة ، يخلد ما بقيت صوره الخالدة السرمدية

الصورة الفردية التي تكونت في ثنايا ذلك الذهن الانسكلوبيذي الكبير لم تصبحُ اليوم صورة فردية . بل اخذت تمتد الى العقول وتغزو الافكار .كلا . بل غزت عقولا ولقحت افكاراً . وذلك الجمال الذي كونهُ عقل الاستاذ منذ نصف قرن من الزمان اخذت صورهُ تنتقل صورة بعد اخرى الى اذهان اهل الشرق

على ان لهذا الجمال آثاره العملية البعيدة في ادراك الناس . فليس هو بالجمال الاجوف الرنان الذي يبعث بهِ الشعر ، ولا هو بالجمال الذي تعطيهِ الالفاظ رونقاً وقوتاً تمحى صورهُ اذا تراكمت عليها اتربة الزمان ، بل هو الجمال المتجدد الدائم ، هو النبع الذي يفيض باكسير الحياة ، عجز عن العثور عليهِ الرواد في صدر التاريخ الحديث وعثر عليهِ العلماء في اواسط القرن التاسع عشر . اليس في نقل هذه الصور العلمية عن طريق علم الحياة اثراً خالداً يخلفهُ لنا صروف العالم ؟

٤ — تغيير اساليب الفكر

في اوائل القرن الثامن عشر لمع في اوربا نجم جديد اخذ الناس سناهُ . لمع في جو فرنسا نجم الفكرة الانسيكلوبيذية بعد ان كاد يأفل ذلك النجم افول غيره من شموس الفكر المضيئة التي لمعت ثم خبت نارها على مر الزمان .غير ان هذا النجم لم يرسل

باشعته لتبقى وتضيء العالم ، بل لمع بهيًّا زاهياً وكأنهُ يودع العالم الوداع الاخير ، فكان ذلك آخر عهد للفكر الانساني به

بزغ هذا النجم في العصر الروماني ، وظل قويًّا خلال القرون الوسطى . ثم زاده اللورد باكون سناء وقوة اشعاع ، وفاضت انواره في اوائل القرن الثامن عشر ، وكانت اعمال سبنسر آخر ما بذل من جهد ليبقى ذلك النجم ساطعاً في سماء الفكر . ولكن حم قضاؤهُ ونزلت بهِ صاعقة الموت على يد النشوئيين

ومن الغريب ان الاتجاه الانسكلوبيذي في جمع المعرفة وحصرها ، قد ملك زمام كل الامم التي عنيت بالعلم والآداب في عصر ما من عصورها . فان هذا الطور بنفسه قد مرَّ بهِ العرب ، فكانت مدوناتهم وكتبهم الادبية والتاريخية بل ومعاجمهم ، عبارة عن صور انسكلوبيذية ، تقل او تزيد قيمتها باختلاف الاحوال . ولست ادرى بماذا نعلل هذه الظاهرة . غير انها ظاهرة ملموسة الآثار في التاريخ الفكري على كل حال

وكان للسياسة اكبر الاثر في جذب مصر وسوريا الى ناحية فرنسا ، وهذه الفكرة لا تزال شديدة الاثر في العقول وفي الآثار العلمية . كان لنا ان نلجأ الى فرنسا التي تظاهرت بصداقتنا منذ نيف ومائة عام لنصد بهذه الصداقة تيار الاستعمار الانجلوسكسوني عن الشرق . ولهذا السبب وحدهُ تظاهرت فرنسا بالصداقة لسوريا ليكون لها هنالك قاعدة تقاوم بها نفوذ انكلترا التي بسطت سلطانها على الرجل المريض — تركيا — قضاء لمآربها . ومن هذا الطريق ذاعت صورة الثقافة الفرنسوية في مصر وسوريا وكان من اثر هذا ان انتقل الينا اسلوب الفكر الانسكلوبيذي لا بكل حسناتهِ وسيئاتهِ ، بل بسيئاتهِ وحدها

لم يحفزنا نقل هذا الاسلوب الى تدوين العلوم الحديثة ولا الى نقلها فنتخذها في الحياة العلمية اساساً . بل حفزنا الى اخذ الصور الالحادية التي اذاعها فولتير وديدرو وغيرهما من زعماء فرنسا في العصر الانسكلوبيذي . فتخالطت بذلك الصور وتلاشت اساليب الفكرة العلمية . ومضينا نتخبط في هذه الدياجير حتى اذا اسلم بنا الزمان الى اواخر القرن التاسع عشر واتجهت الفكرة الى نشر المذهب النشوئي ، اخذت العقول سمتاً جديداً حولتنا اليه الفكرة الانكلوسكسونية في الحياة وعندي انها ليست فكرة في الحياة ، بل هي الحياة بذاتها مصورة على ما يجب ان تكون الحياة الانسانية في اخص حالاتها العملية وعندي أن هذه هي نقطة الانفصال الحقيقي بين القديم والحديث في تاريخ الشرق العربي كله

لا تعطيك الفكرة الانسكلوبيذية في الحياة الاّ صورة مما تقع عليه في تلك المعاجم الضخمة المشتتة المرامي التي اخرجتها جهود الانسكلوبيذيين . فانهُ من الصعب ان تقع في جماع تلك المجلدات الضخمة على مبدإ ينير للحياة سبيلها ويرسم لها قصدها وغايتها وما الحياة اذا لم يكن لها قصد وغاية ؟

في وسط هذه الفوضى التي نقلها الفكر الشرقي عن فرنسا اشعت اول الاقباس المضيئة منقولة عن النشوئيين في انكلترا . والحق أنه لا يجدر بنا أن ننسى فضل جامعة بيروت الامريكية في توجيهنا هذا التوجيه الذي كانت اساسه الحرية الفكرية المطلقة من كل القيود الثقيلة التي ربطتنا بالماضي على اعتقاد أنها النهاية التي لا يمكن ان نبلغ اكثر منها . فبين جدران هذه الجامعة قامت فكرة النشوء في عقل استاذنا الكبير ، وما أفلتت من بين هذه الجدران الاّ لتملأ العالم الشرقي ضياءً وتفيض عليهِ بفيوضها الحيوية

هنا انتقلت المعركة الى الشرق وما تزال قائمة . غير ان هذه المعركة قد اخذت في الشرق صورة تخالف الصورة التي اخذتها في الغرب . فاثرها في القضاء على الفكرة الانسكلوبيذية الفرنسوية يكاد يكون تامًّا الآن . اما اثرها في القضاء على اساليب الشرق القديمة فلا يزال يحتاج الى كثير من الجهد البالغ . على ان الطريق قد مهد وازيلت اكثر عقباته ولم يبق الاّ السير فيهِ بقدم ثابتة لنبلغ الى الحد الذي سبقتنا اليهِ الامم

وهذه خطوة اخرى من الخطى التي خطاها بنا الاستاذ الكبير . أفليست تكفي وحدها لان تجعل اثره في الشرق خالداً ؟

٥ — الآثار الاجتماعية

ورثنا عن القرون الوسطى فكرة الخلاص الاخروي ، على انها الفكرة التي يجب أن تتجه فيها جهود الحياة . فكأننا بهذا فصلنا بين معقول الحياة والحياة ، او بالاحرى فصلنا الفكرة في الحياة عن الحياة

في القرون الوسطى ، وفي بضعة القرون التي تقدمت قيام المعركة بين العلم وصور المعتقدات القديمة ، قامت في العقول فكرة ان نهاية العالم تقترب وان عمر الدنيا الفان من السنين ، وان القرن العاشر من الميلاد هو نهاية العالم . هنالك انصرفت الفكرة الى الآخرة . ومن الغريب ان انصراف الفكرة الى الخلاص الاخروي لا تزال آخذة بخناق كثير من الشعوب على الرغم من ان العالم لم ينتهِ بل لم يزل مشبوب القوة بالحياة .

والحقيقة ان الوسائل كانت تنقص اهل العلم والذين اكبوا على الاسلوب العقلي يستدرون وحيه . فلما اهتدى العقل الانساني الى تعليل كافٍ لمذهب النشوء اخذت تتداعى جدران القديم حجراً بعد حجر واخذت الانسانية سمتها نحو مبدإ آخر ، هو ان الخلاص الدنيوي لا ينزل عن الخلاص الاخروي قدراً ولا ينحط عنهُ مكانة

ونزل الانسان عن عرش الملائكة . ولكن ليتربع على عرش آخر . هو عرش الحيوانات . وبان للناس ان السلسلة الطويلة التي انتهت بوجود البرءات وعلى رأسها الانسان ، اذ ترجع بدايتها الى ملايين كثيرة من السنين ، لا بد من ان تكون متجهة الى بلوغ حد قد تنتهي اليهِ بعد ملايين عديدة من الاعوام في مستقبل عمر الكون . وهذه الفكرة الجديدة ، على الرغم من انها قياس تمثيلي صرف ، على حد قول المناطقة ، كان لها من الآثار الاجتماعية ، ما تتضاءل امام الآثار التي خلفتها الاوهام في مصر وبابل واشور والكلدان خلال العصور القديمة

على ان هذه الآثار من المتعذر ان تحصى عدًّا . ولكن حسبنا ان نقول فيها انها نقلت الانسان من الآخرة الى الدنيا ، وكفى بهذا تصويراً لمقدار ما تنطوي عليهِ من الآثار الاجتماعية الكبرى

ان هذا الاثر الاجتماعي الكبير هو الذي تتبلور عندهُ جهود استاذنا الكبير باعتباره عالماً بيولوجيًّا ادرك ادراكاً تامًّا ما يمكن ان تنتهي اليهِ نشر الفكرة البيولوجية في انحاء الشرق . وهنا نتساءل مرة اخرى ، أليس هذا وحدهُ بكافٍ لان يجعل استاذنا خالداً ؟

٦ — النتيجة

وبعد . فهذه هي الآثار التي ترتبت على اشتغال الدكتور صروف بعلوم الحياة . واني ليحزنني ان اكون اليوم راويها . يحزنني ان نفقد ذلك النجم الساطع في ليل أليل وفي عصر نحن احوج اليهِ فيهِ مما كنا الى امثالهِ في كل عصور التاريخ

ومهما يكن من امرٍ هذه الصورة التي صورت بها ذلك الجهد الكبير الذي بذلهُ الدكتور العظيم ، فاني لأعتقد اعتقاداً لا يوهنهُ الشك بان المستقبل كفيل بان تتضاءل هذه الصورة امام اهله اذا ما اكتملت في العقول كفاءة القياس التاريخي وادركوا ان اسم صروف ينزل من تاريخ الشرق منزلة الحركات الفاصلة في تاريخ الفكر الانساني

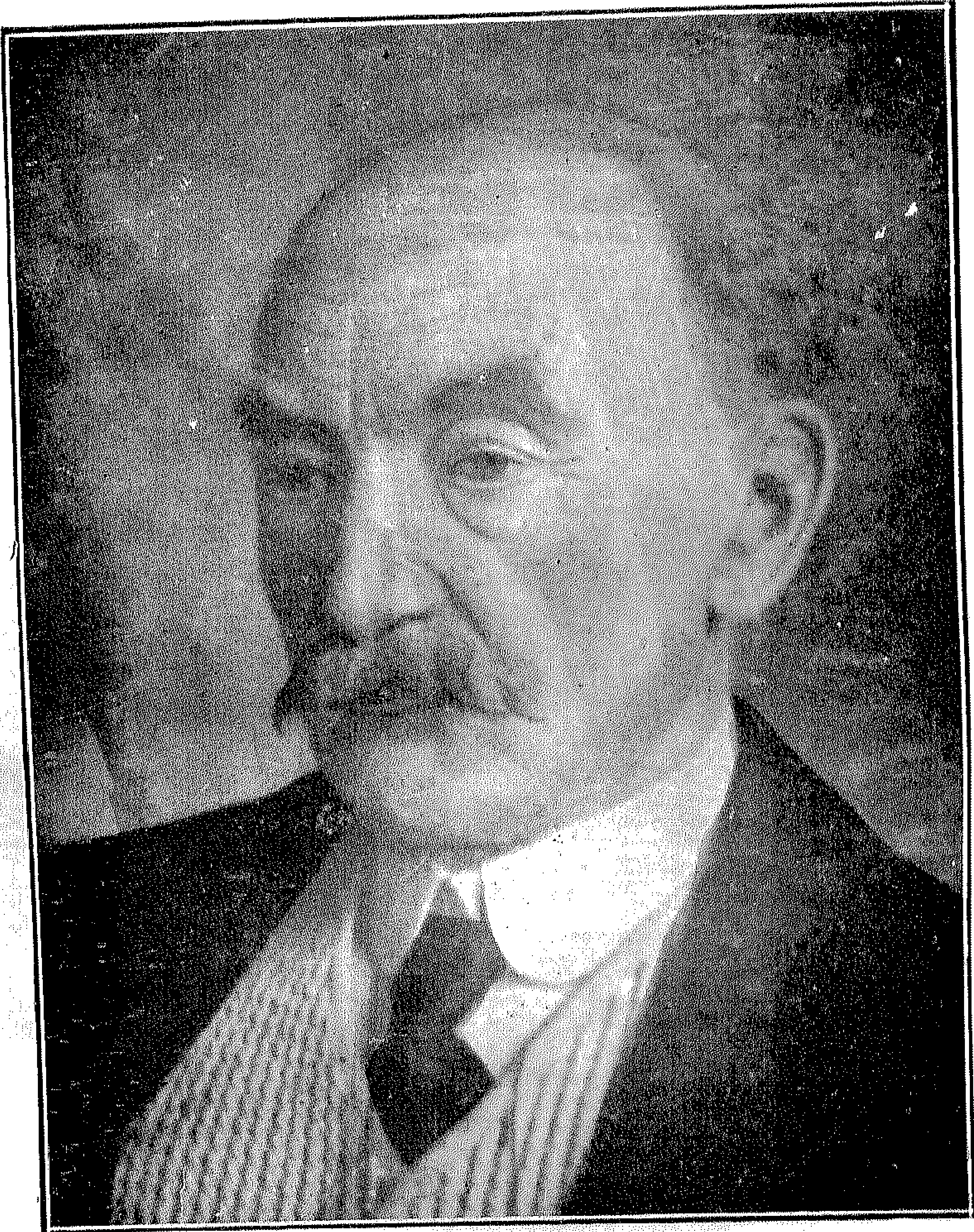
توماس هاردي

THOMAS HARDY O.M.

لما كتب توماس هاردي قصتهُ الاولى «كيف بنيت لي بيتاً» ونشرها في مجلة تشمبرز في مارس سنة ١٨٦٥ لم يكن احد يعتقد حتى اذكى النقاد وابعدهم نظراً ان تكون هذه القصة اول مرحلة من تلك الحياة الطويلة الحافلة بآيات الابداع في النثر والشعر التي ختمت في اواسط يناير الماضي بين مظاهر الخشوع والاجلال في دير وستمنستر مقر عظماء الانكليز ونوابغهم . والمرجح ان هاردي نفسهُ لم يكن يحلم يوماً ما في فجر حياتهِ بشيءٍ من هذا . فانهُ كان حتى الساعة الاخيرة وديعاً بعيداً عن التظاهر وكان يوم نشر قصتهُ الاولى عاكفاً على اتقان فن هندسة البناء الذي انصرف اليهِ حينئذٍ وكان في ساعات فراغهِ فقط يكتب شيئاً من الشعر او النثر للتسلية.

وُلد سنة ١٨٤٠ في بلدة بوكهامتن العليا من مقاطعة دورست بجنوب انكلترا وبقي حتى بلغ السابعة عشرة من عمرهِ قانعاً بعيشة فلاحيها الساذجة — تلك المعيشة التي رسمها في رواياتهِ بعدئذٍ بكل ما اوتيهِ من ابداع في الخيالِ وبلاغة وصدق في التعبير والتصوير . وكان ميّالاً منذ نعومة اظفارهِ الى الاشتغال بهندسة البناء فلما اتيحت لهُ فرصة الانضمام الى موظفي مكتب السر ارثر بلومفلد المهندس المشهور بلندن اغتنمها وكان قد تلقى قواعد هذا الفن على مهندس في بلدهِ فساعدهُ ذلك على الامتياز بهِ ومما يدلك على انهُ مال بعقلهِ وقلبهِ الى عملهِ الجديد انهُ نال جائزة تيت على رسم هندسي وضعهُ ثم نال وسام معهد المهندسين البنائين الانكليز على رسالة وضعها في «فن البناء بالطوب الاحمر والترّاكوتا»

ولكنهُ لم يسِرْ طويلاً على هذه الطريق . لانهُ لما بلغ الثلاثين من العمر ثبت لهُ ان ميولهُ كانت قد اتجهت اتجاهاً آخر لانهُ كان قد وضع حينئذٍ روايتهُ الاولى وعنوانها «الرجل والسيدة» . وكان قد مارس نظم الشعر خلال خمس سنوات عرف في نهايتها انهُ يميل بالاكثر الى تأليف الروايات فاهمل الشعر وصبّ كل قواهُ على اتقان فن الروايات الخلاب ودمّر كل ورقة كتب عليها شطراً من الشعر ولم يعد الى النظم الاَّ بعدما كتب الكلمة الاخيرة في روايتهِ الاخيرة . وحينئذٍ نظم شعراً غنائيًّا بلغ فيهِ من تأجج العاطفة وسموّ الخيال وخلابة النغم الموسيقي ودقة الملاحظه



عن البلاغ الاسبوعي

توماس هاردي

الاديب الانكليزي الشهير المتوفي حديثاً

مقتطف ابريل ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٢٨

والوصف ما ادهش العالم لانهُ كان قد شارف الستين من العمر وهي سن يقف عندها اكبر الشعراء عن النظم الغنائي ويميلون في الغالب الى النظم الفلسفي

وكان موضوع الرواية الاولى التي نشرها « ادوية لا فائدة منها » طبعها سنة ١٨٧١ فلم تظهر فيها تلك الآثار التي تنمّ على مواهب كامنة لا تلبث ان تصقل بالمرانة وتنجلي لأعين القراء باهرة لامعة . وكانت القصة من نوع القصص الخلاّبة بوقائعها ومفاجآتها ولكنها لم تبلغ المرتبة الاولى حتى ولا الثانية بين هذا النوع ولم تنل رواجاً ما في سوق الروايات فلم تطبع طبعة ثانية وبيع جانب كبير من نسخ الطبعة الاولى كما يباع ورق اللف بالوزن .وقد حدّث احد الكتاب الانكليز المشهورين انهُ كان سائراً في احد شوارع لندن القديمة حينئذٍ فعثر على رجل يبيع نسخ هذه الرواية وقد غلفها بورق سخيف كل نسخة منها بعشرين مليماً

من لنا بنسخة منها الآن ! اذن لبيعت الواحدة بمئات الجنيهات فان احد الذين يعنون بجمع الكتب النادرة ونسخ الطبعات الاولى من مؤلفات المؤلفين المشهورين كتب في المجلات الانكليزية يقول انهُ مستعد ان يدفع مائتي جنيه ثمن نسخة منها . ومن يعلم ان هذا الثمن لا يتضاعف اذا تبارى اثنان او ثلاثة للحصول عليها

وانقضت على هاردي سنة اخرى وضع في اثنائها رواية اخرى موضوعها « تحت شجرة جرينوود » لم يستقبلها الجمهور بما يستقبل بهِ بعض الروايات في هذا العصر من الاقبال العظيم ولا عني بها النقاد فنشروا الاعمدة الضافية في وصف محاسنها ونقد مساوئها . ولكنّ نفراً قليلاً من القراءِ الذين ينعمون النظر فيما يقرأون عرفوا ان صاحبها ذو مواهب سامية ككاتب روائي وان روايتهُ هذه اشبه شيءٍ بصورة دقيقة الصنع رسمتها انامل مصور مشهور فرسم فيها ما يُرى وما لا يراهُ الاّ المتفنن المبدع من جمال انكلترا وحياة فلاحيها . وكان احد هؤلاءِ القراءِ رجلا يدعى فردريك جرينوود وكان محرراً لمجلة كورنهل فلفت نظرهُ اليها ان اسماً كاسمهِ عليها فاشتراها ليتسلى بها في القطار بين مكتبهِ وبيتهِ . فاعجب بما فيها من صدق وبلاغة في وصف روائع الطبيعة وحياة الفلاحين في الريف فدعا صاحبها وعهد اليهِ في كتابة رواية خاصة ينشرها في مجلتهِ تباعاً فوضع هاردي لذلك روايتهُ المشهورة « بعيداً عن الجمهور الصاخب »

وكان يد الطبيعة دفعتهُ منذ البدء ليستعمل ريشتهُ الخلابة ببلاغتها الساذجة ليسخر من الحوادث التي تسوقها الحياة سوقاً اعمى في تصريف شؤون الناس وليصب

جام هزئهِ على ما في الخلق البشري من مواطن الضعف والوهن . فانهُ في روايتهِ « عينان زرقاوان » التي سبق تأليفها تأليف رواية كورنهل وصف فتاة زرقاء العينين فازت بقلب رجل مهندس يدعى اسطفان سمث وكانت على وشك ان تمنحهُ قلبها وتغدق عليهِ من حبها لما غاب سمث عنها لعمل اقتضى سفرهُ فاجتمعت برجل اكمل من سمث رجولة وابهى طلعة والحوادث التي تلي هذا الاجتماع قوام رواية عناصرها الحب المبرح والغيرة اللاذعة تنتهي بحادثة تمثل ماكان يراهُ هاردي في كثير من حوادث الكون والحياة : الخصمان مسافران في قطار واحد غير دارٍ احدهما بالآخر وغير عارفين ان على القطار نفسهِ جثة الفتاة الزرقاء العينين التي من اجلها اختصما . فان امثال هذا الاتفاق الغريب تتردد في كثير من قصص هاردي مع ما يقتضيهِ الزمان والمكان من التغيير . ومع ان هذه الصفة تضؤل كثيراً اذا قسناها بما تتصف بهِ مؤلفاتهُ من الصفات التي تجعلها خالدة بين قراء اللغة الانكليزية فانها ولا شك من ابرز الصفات فيها

اهمل هاردي هندسة البناء وعاد الى مسقط رأسهِ سنة ١٨٨٥ مقتنعاً ان الادب رسالتهُ في الحياة وهناك اخذ على عاتقهِ ان يكون مؤرخ المقاطعة ومصورها . فكأنهُ اقتطع لنفسهِ قطعة من ملك السكسون القديم مساحتها ١٤٠ ميلاً مربعاً تشتمل على مقاطعات دورست ودفون وسمرست وهمشير وولتشير وجعلها ملكاً لهُ وجلس على عرشهِ . هناك اتخذ من شروق الشمس وغروبها . ومن تغريد الاطيار وخرير الجداول ومن تعاقب الفصول ومن حوادث الفلاحين اليومية وما يتخللها من طرب واسى ومن ضحك وبكاءٍ ومن الفة وغيرة حبراً غمس فيهِ ريشتهُ ودوّن آياتهِ الخالدات . انك تقرأها فترى فيها آناً ذلك العبوس وتلك الرهبة التي كانت سدًى ولحمةً لاعظم المآسي في عصر الملكة اليزابت . ولكن اللطف في رواياتهِ يحاذي العبوس . والعطف والحنان يقابلان الرهبة والتقطيب . لانهُ دخل الى مكامن نفوس الفلاحين فعرف ما يساورها ولذلك كان ابداً يصبُّ جام نقمتهِ على صروف الاقدار العمياءِ تعبث بحياة الناس مظهراً ما فطرت عليهِ نفسهُ من الحنان الطبيعي والشفقة غير المتناهية على ضحاياها

وما زال ينشر من مؤلفاتهِ رواية اثر رواية الى اواخر القرن التاسع عشر وقد ضمنها كلها بضع مبادئ بنى عليها عقيدتهُ اولها ان الحياة او الطبيعة تتخذ من النساء حجر عثرةٍ تلقيهِ في سبيل كلّ رجل يبذل جهداً للتقدم والارتقاء وان في الحياة قوة عمياء تسوقنا الى غايات لا ندريها اقوى جدًّا من كل المساعي التي نبذلها

ولما كتب الكلمة الاخيرة في روايتهِ « يود المهمل » قال النقاد ان القرن التاسع عشر سيطوي معهُ كاتباً روائيًّا من اكبر كتابهِ . ولكن هاردي حيرهم حينما نشر في سنة ١٨٩٨ مجموعة قصائد لولا انها مطبوعة بطابع فكرهِ وفلسفتهِ لقيل ان ناظمها شابٌّ تلتهب في صدرهِ حرارة الشباب

وما هي فلسفة هاردي ؟ يصعب جدًّا استخلاص فلسفة منتظمة القواعد والمبادئ من رواياتهِ لان عمل الروائي ليس التبشير بمبدإٍ ولا اذاعة رأي بل عملهُ استعراض حالات الحياة كما تتراءى لهُ مجسمة في رجال رواياتهِ ونسائها وفي كل حالة من هذه الحالات تتخذ الحياة من الروائي قلماً يدوّن صورها واحوالها . فهاردي بطبيعتهِ رجل هادئ يميل الى الانزواء والتأمل جلس على عرشهِ في مملكة « وسكس » يتأمل في احوال الحياة وامجادها وآلامها وسخافتها فصوّرها في رواياته صوراً بديعة رائعة مروّعة ولكنها دائماً واضحة جلية كأنها صور فتوغرافية فاذا هي رجالاً ونساء في خضم الوجود تتقاذفهم امواج المصادفات والاقدار العمياء التي يفرحها ان تسلبهم اشهى ثمار سعادتهم وقد كادوا يقطفونها من شجرة الحياة وان تسخر من اسمى مبادئهم واشرف اعمالهم وان تدفعهم امامها عن قصد او على غير هدًى الى الاضطراب والفوضى والهلاك الجسدي والروحي . وليس في ذلك تشاؤماً كما يقولون بل هي صورة حقيقية للحياة كما يراها بعض الناس . وقد اشار هاردي الى ذلك في مقدمة احد دواوينهِ فقال « ان كان لدينا طريق للتقدم والاصلاح فالسير عليها يستدعي النظر مليًّا الى كل الشرور »

وبعدما نشر ديوانهُ الاول سنة ١٨٩٨ اتبعه بديوان آخر سنة ١٩٠١ ثم بروايتهِ الشعرية الخالدة التي عنوانها «الجبابرة» وهي قصة الصراع العالمي في عصر نبوليون فانهُ اخرجها في ثلاثة اجزاءٍ الاول صدر سنة ١٩٠٤ والثاني سنة ١٩٠٦ والثالث سنة ١٩٠٨ . وبقي ينظم الشعر الى آخر ايام حياتهِ . ولم يكن الانتقال من تأليف الروايات الى نظم الشعر انتقالاً فجائيًّا في حياتهِ فان كلَّ قارئٍ لرواياتهِ يعثر في كل فصل منها بل في كل صفحة من صفحاتها على عبارات وخواطر لا تصدر الاَّ عن مخيلة شاعر مطبوع . وما كانت بحور الشعر واوزانهُ الاَّ قيوداً تقيّد افكارهُ المجنحة التي تكثر في رواياتهِ . فوفاة هاردي ازالت من عالم الادب الانكليزي روائيًّا من اعظم الروائيين وشاعراً اذا لم نضعهُ مع شعراء الطبقة الاولى فلا شك انهُ خالد بخلود اللغة الانكليزية . فخسارة الانكليز بموته كبيرة بقدر الفائدة التي جنوها من حياتهِ الطويلة الحافلة بالمآثر والآيات

كيف تصلح الامة

٢

وما هو التهذيب الراقي؟ لو سألنا إحدى المدارس هذا السؤال لاجابت قائلة: إن التهذيب هو تحصيل العلوم والاخلاق . أما التهذيب الراقي فهو ما صُبغ في مصبغتنا الخاصة . وفي البلاد مدارس عديدة ، كما قلت ، ولكل مدرسة مصبغة

إن هناك ولا شك بعض التفاوت في المادة وفي الطريقة — في الصباغ وفي الادوات ولكن الحقيقة الاولى التي نشاهدها ونلمسها ونتألم منها هي اننا على تعدد المدارس سائرون على ما يظهر الى الوراء . فما السبب في ذلك ؟ هل المدارس لا تفيد؟ هل العلوم التي يتلقنها الطلبة لا تفيد ؟ هل هو التهذيب الطائفي أو الملي أو الاجنبي ؟ هل هو الادب الخيالي أم هو الادب العتيق البالي ؟ ما السبب ، هل هو تعدد المدارس، في تفكك الجامعة ، وتشتت الكلمة ، وفساد الاخلاق وانحطاط القوى المعنوية في الامة ؟

من المسائل التي لا تحتاج الى برهان أن التعليم اساس العمران . هي من الاوليات المعروفة المبتذلة . التعليم سياج الوطن . التعليم ركن من اركان الحرية والاستقلال . ولكننا، ولا وطن جامع لنا لا نحتاج الى السياج . اذن لا حاجة الى العلم ؟!

إن العلم لمن ألزم ما يلزمنا ، ولكنهُ وحده لا يفيد كثيراً . العلم اذا جُرّدَ عن التربية الحقة يزيد المرء قوة ولا يزيده ادباً ، يرقي فيهِ القوى العاقلة ولا يكوّن الاخلاق ولا يهذبها . انهُ يمكّن المرء من السعي الموفق في سبيل الدنيا ، ويضعف فيهِ القوى الادبية والروحية التي يرتكز عليها حب الوطن

ان في العالم اليوم طريقتين أوربيتين في التعليم الراقي اي الطريقة الانجلوسكسونية والطريقة اللاتينية ، وان في البلاد مدارس تتمثل فيها كلتا الطريقتين . ولكن أرباب الفكر وذوي الثقافة في علمَي التعليم والتربية يفضلون اليوم الطريقة الانجلوسكسونية على الطريقة اللاتينية . فقد قام حتى في فرنسا كتّابٌ يحبذون الطريقة الاولى اجمالاً ويفضلونها على الثانية ، ومن هؤلاء الفيلسوف لهبون والسياسي ليون بورجوى ، وصاحب كتاب « سر تقدم الانكليز »

لا يسمح الوقت والمقام لشرح الطريقتين ، وبيان الفوارق بينهما ولكني أذكر مثلاً ان المدارس اللاتينية تعوّل كثيراً في الدروس والامتحانات على الكتب والذاكرة والمدارس الانجلوسكسونيــة تعوّل على العقل والعمل. قال غوستاف له بون : «الشاب اللاتيني يتعلم لغة من اللغات بدرس كتب النحو والاستعانة بالمعجم ، ويظل عاجزاً عن ان يتكلم تلك اللغة . والشاب الانكليزي يتعلم لغة من اللغات دون ان ينظر في المعجم او في كتاب من كتب النحو وانما يقرأ ويتكلم. وبهذه الطريقة استطاع الانكليز ان يكوّنوا لأنفسهم طبقة راقية جدًّا من العلماء العاملين »

فمن كلام لِه بون يتضح ان في المنهج الانجلوسكسوني يعتمد الطالب اولاً على التجربة والعمل. وفي المنهج اللاتيني يعتمد اولاً على الكتب والنظريات. وهاكم ملاحظة اخرى من كتاب « روح التربية » تأليف له بون . قال الفيلسوف الفرنسي: « لا يكاد الشاب الانكليزي او الاميركي يخرج من المدرسة حتى يجد طريقهُ الى العمل واما الشاب الفرنسي فبعد ان ينال الشهادة الثانوية او « الليسانس » يبقى عاجزاً عن كل شيء فاما ان ترزقهُ الحكومة وإما ان يضيع »

هو ذا السبب الاول عندنا ايضاً في إخفاق التعليم على الاجمال . هو ذا السبب في عجز شباننا طلاب الوظائف. فاما ان ترزقهم الحكومة وإما ان يضيعوا او يهجروا البلاد

اما مدارسنا الوطنية غير الاسلامية فهي في منهجها اما لاتينية وإما انجلوسكسونية وليس في الشرق او فيما يهمنا اولاً من الشرق اي البلاد العربية منهج تعليم خاص منهج صالحٌ عصري فنفضله على المناهج الاوربية . لذلك ترانا في الاختيار مكرَهين . ولا اظنكم تنكرون بعد هذا الايضاح ان لا بد من التفصيل . فاذا سئلت اي الطريقتين افضل اجيب : إني من رأي العلماء الافرنسيين لِه بون وبورجوى وصاحب كتاب « سر تقدم الانكليز » في تفضيل الطريقة الانجلوسكسونية ، من وجوه عديدة ، على الطريقة اللاتينية . واني فوق ذلك أقدم التربية على التعليم ، لان الغاية القصوى من التربية هي الاخلاق وحاجتنا الى الاخلاق هي أشد منها الى العلم

وما هي التربية ؟ التربية الحقة من وجهة علمية تُحصر في سلامتين ، سلامة الجسد وسلامة العقل . ولكننا نرى الحياة ناقصة اذا نظرنا اليها من الوجهة العلمية وحدها . فيجب ان ننظر ايضاً اليها من النواحي الأدبية والروحية والاجتماعية . عندئذ تتجاوز

التربية صحة الجسد والعقل الى ما فيهِ الخلق الكريم ، والذوق السليم ، والقلب الفهيم

ان التربية الحقة قائمة على أصول كثيرة ، اهمها في نظري (١) الاعتماد على النفس (٢) وكرامة النفس (٣) وحسن الظن بالناس (٤) وحرية الإرادة (٥) والجرأة الادبية (٦) ونبذ العقائد والتقاليد القديمة البالية (٧) والصراحة والصدق في القول (٨) والاستقامة في الرأي وفي العمل (٩) وحب العدل والانصاف (١٠) واللاطائفية بل واللادينية في السياسة وفي الآداب

هذه عشرة اصول في تكوين الاخلاق العالية ، وسأنظر موجزاً في بعضها :

ان في الاعتماد على النفس اعزازاً لشأن المرء وشؤون الامة . وان فيهِ لذة خاصة غير اللذة التي تجيء مع النجاح . ان فيهِ لذة السعي ، والخُبر ، والاكتشاف . ومن باب الاعتماد على النفس الاستقلال الفكري . على كل امرئ ان يفكر لنفسهِ ، ان يمرّن العقل على التفكير ، ان يعوّد النفس المراقبة والتحليل فلا يقبل رأي غيره ، او طريقة جاره ، قبل ان يختبر صحتها ، وتحقيق صوابها . الاستقلال الفكري يخرج بالمرء من اخاديد التقاليد والعقائد الى ما انفرج من سبل المعرفة ، والى ما اتسع من جادات الحياة

اما حرية الارادة فانا في الشرق لفي اشد حاجة اليها . لا اريد بحرية الارادة معناها الوضعي الفلسفي . ولا أريد بحرية الارادة ان ينزع كل امرئ الى اهوائهِ ، ويسترسل في التفرد والأثرة المفضيين الى تفكك الجامعة والى الفوضى . انما اريد بحرية الارادة ان يدرك المرء الحسن والاحسن في كل شيء ، وان يريد للناس كما يريد لنفسهِ ، الأحسن دائماً . وان يدرك الواجب عليهِ ، وان يريد القيام بهِ دون ان ينبَّه لهُ او يكره عليهِ . وان يدرك روح السيادة فيريد القوية السليمة على شدة احكامها ، ولا يريد الفاسدة الاثيمة على تساهلها

إعلموا ، رعاكم الله ، ان المرء يفوز بكل ما يسعى اليهِ — ينال كل ما يطلبهُ وكان في حيز المعقول — اذا اجتمعت في سعيهِ كل قواه ، وانحصر في طلبهِ كل قلبهِ ، وكل عقله ، وكل نفسهِ ، وينبغي لهُ ان يكون في الحالين ثابتاً ، ومفادياً فوق ذلك ، بكل ما لا يساعد في تحقيق غرضهِ الاكبر . ان تمرين الارادة في الصغائر والكبائر من الامور يزيدها قوة ومرونة ، ويمكن صاحبها من السعي المستمر والثبات . انما الارادة روح الثبات ، وان في الثبات الفوز المبين

وهناك دعامتان من الاخلاق السامية متزعزعتان عند الشرقيين،هما الجرأة الادبية وحب العدل والانصاف . ليست الجرأة الادبية ان تنتقد الحكومة والرؤساء فيما تكتب او تقول وانت خالٍ بمكتبك او بيتك . بل الجرأة الادبية هي في المواجهة والمصارحة .هي في قولك « لا » عند ما لا تستطيع ان تطيع، وفي قولك« نعم »عند ما الحقيقة توجب عليك الطاعة . أجل ، ان الجرأة الادبية لهي في وقوفك امام حاكمك او رئيسك سامد الرأس عزيزاً كريماً ، فتحترمهُ وتطيعه في مواقف الحق ، وتخالفهُ ولا تذعن لامره في مواقف الباطل. واما حب العدل والانصاف ، لغيرنا كما لانفسنا ، فهو من اشرف السجايا البشرية . ان من يشعر بذنبهِ ويقبل القصاص راضياً صابراً لاشرف ممن يشعر بحقهِ ويطالب بهِ . وان من يطلب العدل لنفسهِ فقط يكشف عن نقص في خُلقه وادبهِ . يجب علينا اذن ان نعلّم الاولاد في المدارس وفي البيوت ان يقبلوا العدل وان كان عليهم ، وان ينصف بعضهم بعضاً حتى في اللعب والمباراة

وهناك الاخيرة من دعائم الاخلاق العالية وهي جديرة بان تكون الاولى . هي الزم ما يلزم في تكوين اخلاقنا . من العقبات التي تعترض الشرقي عموماً في ارتقائه ، والعربي خصوصاً ، عقبةٌ جهنمية يُكرَم عندها ابناء الطاعة والجهل — او ابناء الطاعة والمصلحة — ويقضي فيها على الحرية والاستقلال.عقبةٌ اقامها رؤساء الاديان وزرعوا فيجوانبها شوكاً وقلاماً.عقبة يلجأ الى اكواخها كل من يخشى النور، نورَ العلم والحرية والرقي المدني ، وكل من يرفض الاخاء والوحدة القومية والمساواة خوف ان يُغبن فيها . عقبة تبعد الناس بعضهم عن بعض ، وتثير الناس بعضهم على بعض ، فتتفكك عناصر الامة ، وتتقوض اركان الوطن . هي عقبة كأداء .ولا حياة لنا راقية ، لا حياة وطنية جامعة ، الاَّ في تذليلها او هجرها

وهل من حاجة الى تسميتها ؟ لا يا اخواني ، ليس الدين ما اعني . انما الدين سهلٌ منبسطٌ فسيحٌ فيهِ طرقٌ للشعوب كلها . اما العقبة فهي محوطة بالاسلاك الشائكة .العقبة هي الطائفة ، هي الملة بل هي الفكرة البشرية الصغيرة التي تخرج بنفسها من دائرة الانسانية الكبرى ، فقلما ترى الفضل في غير ابنائها ، وقلما تريد الخير لغير ابنائها . وما اجمل ما قالهُ في هذا المعنى صديقي الشاعر الاميركي إدون مركهام واليك ترجمتهُ :

« ان المتعصب رسم دائرة صغيرة لنفسهِ وجعلني انا الكافر خارجها . ولكني

والحبُّ عوني غلبناهُ ، فقد رسمنا دائرة كبيرة وجعلناهُ ضمنها »

اخواني ، ابناء وطني ، أليس في امكاننا ، اذا استعنا بالحب والتساهل وبشيء من التضحية ان نرسم الدائرة الكبرى التي ستضمنا كلنا جميعاً — كلنا ابناء السهول وابناء السواحل وابناء الجبال ؟

اخواني ابناء وطني ، ان اول ما يلزمنا في هذه البلاد السورية اللبنانية الفلسطينية الحورانية في هذه البلاد التي تعددت فيها المعابد والمعاهد الدينية ، والمدارس والمساوئ المذهبية ، انما هو الشعور الوطني الخالص من شوائب المذهبيات والطائفيات كلها — الشعور الصافي السليم الخالص للوطن

قلت هذا منذ خمس وعشرين سنة — قلتهُ مراراً — ولا ازال اردده . انما الحاجة الى ترداده اليوم هي أشد مما كانت في الماضي . منذ خمس وعشرين سنة وانا أكتب واخطب لهذه الغاية القصوى التي يستقيم عندها الشعور الوطني الشاملُ لاجزاء الوطن كلها . ولا تزال الامة من هذا القبيل حيث كانت منذ خمس وعشرين سنة ، ولا ازال مع ذلك — بل لذلك — ثابتاً في الدعوة ، مثابراً على الجهاد

قلت ولا ازال اقول : علينا ان نرفع في شؤون الحياة المدنية الوطن على الدين

وعلينا ان ننسى خارج الكنيس والكنيسة والخلوة والجامع اننا اسرائيليون او مسيحيون او دروز او مسلمون. بل علينا ان نفكك الطوائف كلها لنستطيع ان نؤلف طائفة الوطن الكبرى . اجل علينا ان نسعى في تأليف وطنية عالية شاملة . ركنها الاول الوحدة القومية الجغرافية ، وان نعزز هذه الوحدة بالاعمال لا بالاقوال . وعلينا ان نغرس هذه الفكرة في البيت وفي المدرسة ، وان نؤسس الجمعيات للنساء والرجال لتبثها في الأمة

ايتها الام اللبنانية ، ايتها الام السورية ، ايتها الام الفلسطينية ، اننا نناديك باسم الوطن الذي سيعيش فيه أبناؤك ، فهل تريدين ان يعيشوا احراراً اعزاء او عبيداً اذلاء ؟ ان في طاقتك ان تساعدي في بناء الوطن الجديد ، بل ان في طاقتك ان ترفعي وحدك أركانهُ الكبرى . اننا نناديك ايتها الأم ونستعين بك. انت نصف الامة ، بل أنت في حال التكوُّن الوطني الأمة كلها . علمي ابناءك محبة الوطن الحقة . قولي لهم : ان الاجنبي لا يحترمهم اذا كانوا لا يحترمون انفسهم . قولي لهم : ان الاجنبي لا

يحتقر لغة اجداده ، بل يحتقر في قلبهِ من يحتقر لغة الاجداد . قولي لهم : ان اللغة العربية لغتهم فليتعلموها ، وليتقنوها ، وليعززوها . قولي لهم : ان الاجنبي لا يغار على مصالح بلادهم وعلى لغتهم اذا كانوا هم لا يغارون عليها . عليهم ان يخلصوا للوطن قبل ان يخلصوا للاجنبي ، بل قبل ان يخلصوا لانفسهم . عليهم التساهل الديني ، والتضامن السياسي والاجتماعي . عليهم ان يكونوا سوريين اولاً ، ولبنانيين او شاميين او فلسطينيين بعد ذلك . عليهم ان يكونوا سوريين اولاً ، ومسلمين او مسيحيين او دروزاً او يهوداً بعد ذلك

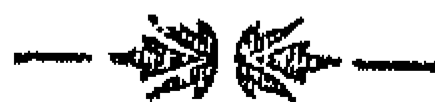
ايها المعلم ، علم تلاميذك الحرية فكراً وعملاً ، والاستقامة فكراً وعملاً ، والتساهل فكراً وعملاً . وعلمهم وان كنت اجنبيًّا ، ان من واجباتهم الاولى ان يعتمدوا على انفسهم ، فيستغنوا تدريجاً عن الاجانب . نعم ، يا افاضل الاجانب ، ان فضلكم الاكبر هو ان تعلمونا لنستغني عن فضلكم

ايها الاديب ، ارحِ هذه الامة من الاحلام والاوهام . ارحها وارح نفسك من البكاء والنحيب واعطها بدل شعر الخيال والدموع ، شيئاً من لب العلوم الحديثة واعطها شيئاً من الحقائق الوضعية والمباديء العملية في الحياة . كن طبيباً قاسياً ، لا حبيباً مؤاسياً . كن من المشيدين لبناءِ التضامن القومي لا من الهادمين . واذكر ، رعاك الله ، مسلماً كنت اومسيحيًّا او درزيًّا او اسرائيليًّا ان التعصب الديني لغايات سياسية او التعصب السياسي لغايات دينية هو اخبث انواع التعصب وشرُّها

ايها الرؤساء ، ارشدوا الامة الى ما فيهِ خيرها هاهنا — في هذا العالم — وربُّنا ، لا يحرمها خير الآخرة . ساعدوا في تكوين العاطفة الوطنية الجامعة ، ساعدوا في تشييد الوحدة القومية . كونوا ، اكرمكم الله ، من البنائين

ايها السادة والسيدات ، اني على يقين من ان اصلاح هذهِ الامة الحقيقي الثابت إنما هو بالمدارس اللامذهبية ، وبالتربية الوطنية الجامعة . عندئذ يقوم الوطن على اركانهِ كلها ، وفي مقدمتها الوحدة القومية التي لا تتم بغير التفكك الطائفي

امين الريحاني



درس الآثار في الجامعة المصرية

وفذلكة في تاريخهِ من عهد الخديوي اسماعيل الى اليوم

لما القى الاستاذ احمد لطفي السيد بك خطبته يوم الاحتفال بوضع اساس الجامعة المصرية في ٧ فبراير الماضي ، اشار الى قسم الآثار في كلية الاداب وحالة طلبته ومستقبلهم ثم قال : « . . . ينبغي ان يعنى بهذا القسم عناية خاصة حتى يصير معهد تعليم الآثار مقصوداً من كل ناحية . والعمل في الجامعة متجه الى انشاء قسم للآثار العربية بجانب قسم الآثار المصرية . ومن الطبيعي ان تكون مصر بلد الآثار هي المركز العام للبحوث الأثرية لا ان يستمر المصريون يتعامون عن غيرهم آثار ابائهم » فطلبنا الى الاستاذ توفيق حبيب افندي ان ينشىء لنا مقالة في تاريخ هذا الموضوع فلبى الطلب وهذه مقالته :

دراسة الآثار في ايام الخديو اسماعيل

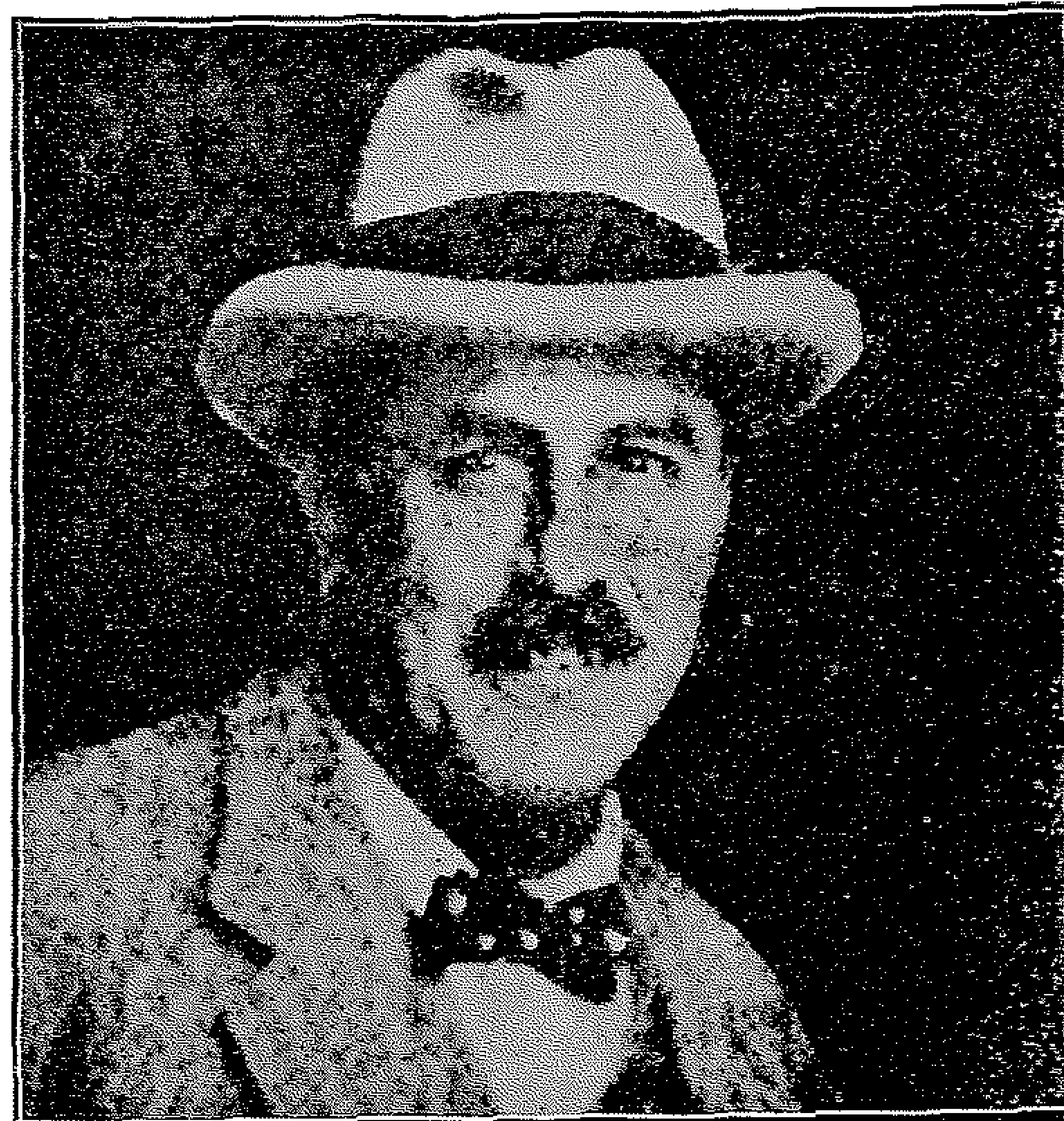
ومن الغريب ان لا تكون هناك مساع جدية لدراسة الآثار وتشجيع الطلبة على التعمق في بحث تراث الاجداد والاسلاف . وكل ما فعلناه في السنوات الستين الماضية محاولات ضعيفة قضت عليها عوامل قوية مختلفة . وانتهى بنا الامر الى ان نبدأ اليوم بمثل ما بدأ بهِ الخديو اسماعيل

فبعد ان مهّد لماريت سبل البحث عن الآثار ومنع العبث بها ، جمع ما تفرق منها هنا وهناك في الدار التي خصصها لها ببولاق (على شاطىء النيل بالقاهرة) . ثم اسس مدرسة لتعليم اللغة المصرية القديمة في منزل الشيخ الشرقاوي بجوار سيدي القللي ببولاق . وعين الاستاذ بروكش باشا ناظراً عليها بامر كريم في اغسطس سنة ١٨٦٩ وكان عدد تلاميذها عشرة . وقد وصفها مؤلف كتاب « تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل » بقولهِ :

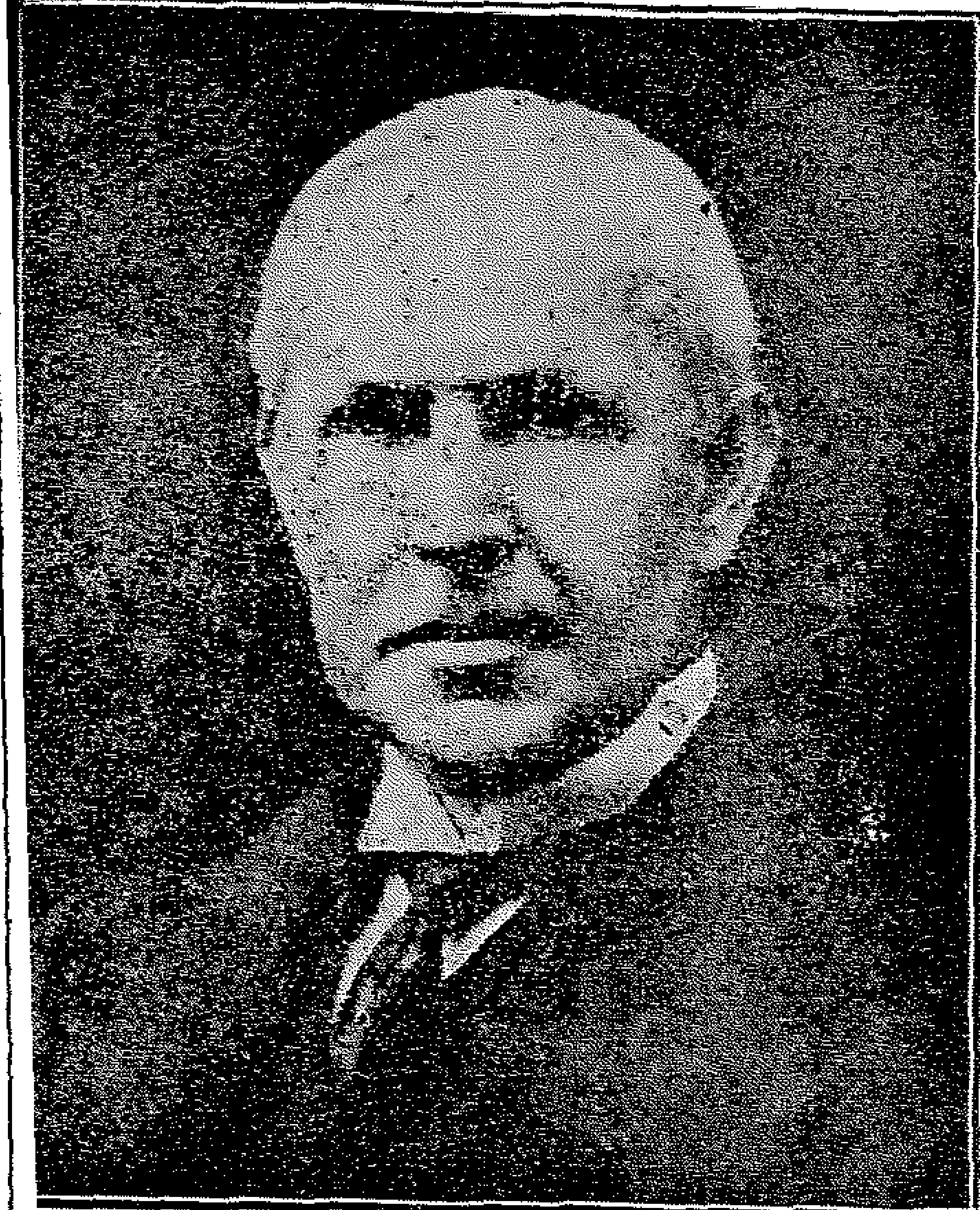
« . . . . فقد عهد (الخديو اسماعيل) بادارتها وتعليم الطلبة فيها الى العالم الالماني بروكش — وكان من فحول رجال الفن ، ولهُ فيهِ المؤلفات الشيقة الممتعة — فما زال بالطلبة المتعلمين على يدهِ حتى اوجد فيهم روح الاهتمام بالماضي المصري السحيق ، بالرغم من الهاوية التي حفرتها العقائد بين عصر الفراعنة وعصر اسماعيل . واشهر من نبغ من تلامذتهِ العالم الاجبتيولوجي الوديع احمد بك كمال »



الاستاذ ولس بدج



المستر هورد كارتر



الدكتور اليوت سمث

ثلاثة من علماء الآثار المصرية المعاصرين

مقتطف ابريل ١٩٢٨
امام الصفحة ٤٣٨

واقفلت هذه المدرسة في دسمبر سنة ١٨٧٦.

وبقيت البلاد محرومة دراسة هذا العلم حتى أنشئ نادي المدارس العليا لاربع وعشرين سنة خلت ، فاخذ المرحوم كمال باشا يلقي فيه محاضرات في الحضارة المصرية القديمة . ثم نظمت هذه المحاضرات لما انشئت الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨

الدراسة المنظمة

ولما كان المسيو ماسبرو مديراً للمتحف الح عليه كمال باشا في انشاء مدرسة لتعليم اللغة المصرية . فانشئت في بيت صغير مجاور للمتحف على نفقة وزارة الاشغال. ودخلها خمسة تلاميذ درسوا فيها الهيروغليفية والعربية وعلم الآثار . ولما اتموا دراستهم عينوا ملاحظين في مراكز الآثار بالمديريات ولكنهم لم يلبثوا فيها طويلاً بل فُصلوا وحلّ محلهم موظفون اداريون لا يعرفون من العلم قليلاً ولا كثيراً

وفي سنة ١٩١٠ سعى كمال باشا لدى احمد حشمت باشا ، وزير المعارف حينذاك ، في انشاء فرقة لدراسة الآثار بمدرسة المعلمين العليا . فتم لهُ ما اراد ودخل هذه الفرقة الطلبة الافندية سليم حسن ، محمود عبد الوهاب ، محمد فهيم ، الدكتور حسن كمال ، رياض جندي ملطي ، رمسيس شافعي ، احمد البدري . وكان كمال باشا يلقي عليهم محاضرتين في الاسبوع احداها في المدرسة والثانية في المتحف مطبقاً اقواله على ما يشاهدونهُ من الآثار . ورافقهم في رحلة علمية لزيارة الآثار بالوجه القبلي

ثم الفت فرقة ثانية من ستة تلاميذ درّسهم كمال باشا وصحبهم في زيارة الآثار

وأُرسل الافندية سليم حسن ومحمود حمزة وسامي جبره من طلبة السنة الاولى الى اوربا للتوسع في دراسة الآثار المصرية . ولما عادوا عيّنوا في المتحف

ثم اكتشفت آثار توت عنخ امون واهتمت بها الامة ، ففكّر يحيي ابراهيم باشا — وكان وزير المعارف وقتذاك — في انشاء مدرسة للآثار . وفاوض كمال باشا في الموضوع مليًّا . واتفقا على ان يضمن لابكار المتخرجين في هذه المدرسة حق الخدمة في مصلحة الآثار المصرية ، سواء في المتحف او فروعه

ثم تولى توفيق رفعت باشا الامر في وزارة المعارف . وشرع في تنفيذ فكرة سلفه ورتب كل ما يلزم لافتتاح المدرسة ونفقاتها واساتذتها ورحلات التلاميذ الخ

ومن المصادفات الغريبة ان توفي كمال باشا في اليوم الذي صدر فيه امر وزارة

المعارف بتعيينه مديراً لمدرسة الآثار واستاذاً للغة المصرية وعلم العاديات فيها وكان ذلك في صيف سنة ١٩٢٣

في مدرسة المعلمين — سنة ١٩٢٤

وفتح قسم دراسة الآثار في يناير سنة ١٩٢٤ ملحقاً بمدرسة المعلمين العليا. وانتظم في سلكه ١٧ طالباً من الحاصلين على البكالوريا. وانضمّ اليهم عشرة طلاب مستمعين من غير الحائزين لشهادة مدرسية

وتولى الاساتذة جولنشيف (المستشرق الروسي ومن كبار علماء اللسان المصري) تدريس الهيروغليفية. والدكتور جورجي صبحي (الاستاذ بمدرسة الطب) اللغة القبطية. والدكتور علي العناني، اللغة العبرية. وعبد الرحيم بك عثمان، جغرافية الشرق القديم. والاب سان بول جيرار (امين مكتبة المعهد الفرنسي الشرقي بالقاهرة) اللغة اللاتينية

في سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ المدرسية

واستؤنفت الدراسة في السنة المدرسية التالية. فانقطع الطلبة المستمعون من انفسهم وانتقل طلبة السنة الاولى الى الثانية. ودخل اربعة طلاب السنة الاولى. واضيف الى بروجرام السنة الثانية الدروس الآتية وهي: اللغة اليونانية — يدرّسها الاب سان بول جيرار. والآثار المصرية — يدرّسها المسيو كوينز (من رجال المعهد الفرنسي الشرقي بالقاهرة) وبدأ هذا الاستاذ يصحب الطلبة الى متحف الآثار المصرية بالقاهرة لتطبيق دروسه على الآثار المعروضة

في الجامعة المصرية (سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ المدرسية)

افتتحت الجامعة المصرية (بعد ضمها الى الحكومة) في هذه السنة. واصبح درس الآثار قسماً من كلية الآداب. ووضع لهُ بروجرام جديد. وادخل الى السنة الثانية طلبة الآثار المنقولون الى السنة الثالثة. والى السنة الاولى الطلبة المنقولون الى السنة الثانية

وجعلت مدة دراسة الآثار اربع سنوات يحصل بعدها الطالب على شهادة ليسانس في الآداب. وبعد سنتين على الاقل يقدم رسالة (اطروحة These) للحصول على درجة ماجستير. وبعد سنتين اخريين يقدم رسالة ثانية للحصول على الدكتوراه

وفي هذه السنة المدرسية انضم الى طلبة السنة الاولى طالب جديد فاصبحوا خمسة. وبقي طلبة السنة الثانية على حالهم اي ١٧ طالباً. وحدث تغيير يذكر في الاساتذة

فاصبحوا : الدكتور طه حسين لآداب اللغة العربية . المسيو دوبريه لآداب اللغة الانكليزية. والاستاذ ميشو (عميد كلية الآداب) للغة الفرنسية . الاستاذ لالند والدكتور منصور فهمي والشيخ مصطفى عبد الرازق للفلسفة . الاستاذ جراندور (البلجيكي) لتاريخ اليونان القديم . سامي افندي جبره (من امناء المتحف المصري) لتاريخ مصر القديم . الاستاذ جولنشف للغة المصرية القديمة . سليم افندي حسن (من اساتذة الجامعة وامناء المتحف المصري) للآثار المصرية . الدكتور كابوفللا (الايطالي) للغة اللاتينية . الاستاذ جريجوار للغة اللاتينية . الدكتوران جورجي صبحي واهمس لبيب للغة القبطية بلهجاتها المختلفة

سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧

في هذه السنة اصبح طلبة السنة الثالثة ١٥ طالباً وطلبة السنة الثانية اربعة طلاب ودخل الى السنة الاولى ستة طلاب وبدأ طلبة السنة الثالثة في التخصص فصاروا يدرسون اللغات المصرية والقبطية واليونانية واللاتينية والالمانية والآثار وتاريخ البطالسة

سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨

بقي عدد الطلبة في هذه السنة كما كانوا في السنة الماضية . ودخل الى السنة الاولى اربعة طلاب . وشرع طلبة السنة الرابعة (النهائية) يتلقون الدروس الآتية : التاريخ التطبيقي للاستاذ سامي جبره (باللغة العربية). الادب الاسكندري (عصر اليونان والرومان بالاسكندرية) للدكتور كابوفللا (باللغة الفرنسوية او الانكليزية) . اللغة الديموطيقية للدكتور صبحي . فن تنظيم المكاتب للاستاذ جروجان ، امين مكتبة الجامعة (بالفرنسوية). فحص ورق البردي للاساتذة جولنشف وجريجوار وصبحي

ويقوم الاستاذ سليم حسن بتدريس الطلبة علم الآثار تدريساً عمليًّا بفحص الآثار المصرية سواء في المتحف او الوجه القبلي

رسائل الطلبة

وكلف طلبة السنة الرابعة تقديم رسائلهم لغاية يوم ١٥ ابريل الجاري باحدى اللغتين الفرنسوية او الانكليزية لفحصها . فمن قبلت رسالته سُمح له بالدخول الى الامتحان

وهذه اسماء الطلبة وموضوعات رسائلهم : حسن صبحي — لوحتان تذكاريتان للملك امنحوتب الثالث والامير بنواعى (وكلاهما من العائلة الثامنة عشرة المصرية) . رزق الله نجيب مكرم الله — التوابيت . عبد الهادي حمادة — لوحتان

تذكاريتان . نسيم جوهر — لوحة تذكارية لتوت عنخ امون . جرجس متى — خطاب قبطي . احمد فخري — موائد القرابين . ادوار غازولي — لوحة تذكارية لامنوفيس الثالث . وديع حنا — متحف الآثار القبطية. فؤاد بغدادي — التماثيل . انطون زكري — حياة قديس قبطي . نجيب فرج — لباس الرأس عند قدماء المصريين . احمد عبد المنعم يوسف — الابواب الكاذبة . لبيب حبشي وموريس رفائيل — اللغة المصرية القديمة

مستقبل المتخرجين

وفي نية الجامعة ارسال بعثة مؤلفة من اربعة من المتخرجين في قسم الآثار الى اوربا للتخصص في دراسة الآثار المصرية. وبعد عودتهم يعينون إما اساتذة في الجامعة او موظفين بالمتحف . وينتظر تعيين اثنين منهما ناظرين لمدرستي الاهرام والاقصر اللتين تقرر فتحهما في السنة القادمة لتعليم التراجمة والادلاء

وهناك ثلاثة يتأهبون للاشتغال باعمال حرة ذات علاقة بالآثار والسياحة في مصر

الجمعية الأثرية المصرية

والف طلبة الآثار في سنة ١٩٢٥ جمعية لتشجيع دراسة الآثار بنشر مطبوعات والقيام برحلات والقاء محاضرات . وانضم اليها جماعة من هواة الآثار . ويبلغ عدد اعضائها الآن نحو ٦٠ عضواً . والفوا لها مجلس ادارة من سبعة أعضاء برياسة الاستاذ الدكتور جورجي صبحي . ولها قانون مطبوع

واصدرت اربعة اعداد من صحيفة« القديم»وهي اول مجلة عربية تبحث في الآثار تولى رآسة تحريرها الطالب حسن افندي صبحي . ونشرها في حلة انيقة الطبع صقيلة الورق حافلة بالمباحث الوافية المزينة بالصور

ونشرت كذلك الجزء الاول من كتاب قصص البردي لحسن افندي صبحي

وقام الاعضاء واصدقاؤهم برحلات الى الجيزة وسقارة

وفي السنة الماضية القى الدكتور جورجي صبحي محاضرة في اصل قدماء المصريين وحسن افندي صبحي محاضرة عن كانوب (ابو قير)

وفي هذه السنة وضعت الجمعية برناجاً لالقاء عشر محاضرات التي منها خمس وهي : أبطال التاريخ المصري القديم للدكتور جورجي صبحي . وكتاب الموتى للاستاذ سليم حسن . وما بعد القبر عند قدماء المصريين لحسين افندي شوقي. وتوت عنخ امون

لنجيب افندي فرج. وفي الشهرين القادمين يلقي المحاضرات الخمس الباقية حضرات الاساتذة والطلبة جورجي صبحي وسامي جبره وحسن صبحي ورزق الله نجيب مكرم الله وعبد الهادي حمادة

وعقدت جمعيتها العمومية يوم ١١ فبراير بنادي الجامعة . وعقبت الجلسة حفلة شاي احتفالاً بدخول الجمعية في سنتها الرابعة

تكريم الاستاذ جولنشف

واقام طلبة السنة الرابعة حفلة عشاء ساهرة مساء يوم ١٧ فبراير الماضي بالقاهرة لتكريم الاستاذ جولنشيف اعترافاً بفضلهِ وفرحاً ببلوغهِ الثالثة والسبعين من عمرهِ . وحضر الاحتفال مدير الجامعة وسكرتيرها العام واساتذتها وقرينات بعضهم وبعض رجال الآثار والادباء . وفي خلال الطعام والموسيقى القى بعض الطلبة خطباً ذكروا فيها فضل الاستاذ جولنشف عليهم وخدمة فن الاثار والمصرولوجية

آنسة مصرية

وكان بين من خطبوا في الحفلة الآنسة عفيفة اسكندر ابرهيم ، وهي الآنسة الوحيدة التي تحضر دروس الآثار ، فشكرت لمدير الجامعة سماحه لها بتلقي هذه الدروس وتكلمت عن سعي النساء لتلقي العلوم ثم وجهت كلامها الى الاستاذ جولنشف فقالت :

« أليس ، يا سيدي الاستاذ الكبير العزيز واجباً ان تدخل الفتيات المصريات في الحياة العلمية بدراسة لغة آبائهن ؟ أو ليس في تغلغلهن في علم الآثار المصرية القديمة الذي هو علمك ايها الاستاذ الجليل ، ما يعدّهن لان يكن امهات مصر العظمى في الغد ؟

« وانهن لقيامهن بهذا العمل ، يقدّرن ماضي وطنهن المجيد الذي ازددن عرفاناً بقدره والذي تسلمن من ايديكم مصباحه المقدس لنقله الى ايد مصرية اخرى »

ثم مثل الطلبة رواية صغيرة تعبر عن رأي ثمانية اشخاص مختلفي الجنسية واللغة في ابي الهول وتكلم الممثلون باللغات التي يتعلمونها في مدرستهم وهي المصرية القديمة والعبرية والقبطية واليونانية واللاتينية والعربية والفرنسوية والانكليزية . وكانت الموسيقى تشنف اسماع الحاضرين بانغامها من قديمة وحديثة واخصها الموسيقى الروسية

وخرج الحاضرون معجبين بالطلبة راجين لهم المستقبل الزاهر وان يكثر عدد طلبة الآثار في الجامعة لدراسة علوم الاسلاف وآدابهم

توفيق حبيب

حاجتنا الى المجلات العلمية

اذا دخلت الى مصنع عصري كبير او صغير وأجلت النظر في مختلف دوائرهِ واقسامهِ رأيت في زاويةٍ صغيرةٍ منهُ جهازاً محكم الصنع والوضع تصدرُ منهُ قوة سرية تدير هاتيك الآلات الضخمة من دواليب وادوات لا يحصرها العدّ فتنتج كل ما يرام صنعهُ من عروض ومواد وصنوف من الحاجات هي مدار مرافق الامة ومقياس حياتها في الحضارة والعمران

كذلك الثقافة من الامة . فهي المحرك الاكبر الكهربائي المعنوي لجهاز حياتها على اختلاف مناحي الحياة في النساء والرجال من افراد وعيال .ومن رام استيفاء الكلام على الثقافة في اي بلد لا بدّ لهُ من النظر في درجتها من القوة والضعف وسعة دائرتها ومقدار شمولها ونسبة الحاجة اليها من حالة الامة الاجتماعية وعدد الطلاّب مع فعلها في تنوير الاذهان واصلاح الاخلاق واتجاهها الى نواحي الارتقاء صناعةً وزراعة وتجارة ، المثلث العمراني لكل قوم يريد حياة السعادة والفلاح

ولما كان هذا البحث يتناول الوقوف على شؤون المعارف الحكومية والاهلية في كل قطر وما فيهِ من هيئات علمية من جمعيات ومكتبات ومبلغ منشوراتها من كتب وجرائد ومجلات رأينا ان نقتصر اليوم على الكلام في مجلاتنا العلمية وحاجتنا اليها مرجئين ما يتعلق بالجرائد اليومية والاسبوعية الى نهزة اخرى ان شاء الله

اما المجلات العلمية التي اضحى الشرق العربي يتقاضى انشاءها على سنن التدرُّج الطبيعي في مصر العربية معقد الآمال وكعبة الطلاّب فهي على الاخصّ :

﴿ الاولى ﴾ مجلة تاريخية يكون غرضها الاقصى(١) الاستعانة بارباب التحقيق في التاريخ الشرقي على الاجمال والغربي على الخصوص وتمحيص الروايات المجروحة الواردة في تضاعيف الكتب العربية منذ عهد الاسلام ، ونشر ما يصحُّ من نتائج هذا التحقيق على الوجه الاحكم من حسن الاختيار وتقديم الاهم على المهم وسوق الكلام على منهج جلاّب للذة والانشراح خلافاً لما في تلك الاصول من ضروب الحشو ودس الاوهام والخرافات . ولا يخفى على العارفين ما طوت تلك الاسفار الضخمة من المنقولات المنتحلات المتسلسلة من اخبار مدسوسة ومسائل موهومة شوهت وجوه الحقائق

وكانت من اضاليل تاريخنا الديني والاجتماعي وعوامل التفرقة وغوائل الإحن والبغضاء بين ملل الشرق ونحلهِ الى اليوم ، عدا ما سجلتهُ علينا من المعايب الجنسية عند صغار الاحلام من الغربيين

والذي يقرّب لنا تحقيق هذه المأثرة التاريخية نبوغ عدد صالح من طليعة المتخرجين الشرقيين في كبريات المدارس الاوروبية من جامعات ومتخصصات فاضطلعوا باساليب البحث وصحة النقد وصدق النظر والتجرد عن الهوى القومي ووقفوا على مراجع المآخذ التي ازدانت بها دور الكتب الغربية من مخطوطات واستأثرت بسلبهِ وجمعهِ من امهات الاسفار العربية في كل فنّ ومطلب على ما اتحفتنا بهِ همة المؤرخ العربي الشهير الاستاذ الكبير محمد افندي كردعلي في محاضرتهِ القيمة التي القاها في العام المنصرم في هـذه الحاضرة على حفل جامع من كبار اهل المعارف ثم نشرت في المقتطف الاغرّ مما عزَّ وجودهُ في الشرق وشق احرازهُ على عامة المطالعين ، وهذا عدا ما اختزنتهُ دار الكتب الملكية المصرية اوسع المكتبات العربية على الاطلاق واغناها باقدم المخطوطات النادرة الوجود التي ابقى عليها الدهر مما لا يقوَّم بالجوهر والنضار وزان صدر مصر بوسام الفخار .(٢) نقل اهم مطويّات التاريخ الغربي المتصل العلائق بالشرقي ولاسيما العربيّ من سياسة وتشريع واجتماع وعلم وفن وصناعة

وفي اليقين ان مثل هذه المجلة التاريخية تلقى من نفوس الامة العربية والمستشرقين من الغربيين اعظم ترحيب واكرم اقبال خصوصاً وان حديث التاريخ حيث هو سمير من ليس لهُ سمير ونزهة المجالس وسلوة البائس وعشير الكبير والصغير لما فيهِ من مختلف السير والاقاصيص مما يخفُّ وقعهُ على الاذهان بل هو اقرب اليها من سائر الفنون والمرء مطبوع على شهوة السماع للسير والحوادث ومظرف الحديث ينشرح لهُ حيثما كان ويأخذه من ايّ كان ولاسيما اذا سبق فيهِ الكلام على وجه الاحكام

﴿الثانية﴾ مجلة اثرية يراد بها نقل ما وفّـق ويوفّـق اليهِ الاثريون من اهل الرحلة والتنقيب في مشارق الارض ومغاربها ولاسيما في اقطارنا الشرقية الملاى بكنوز من دفائن الارض ما قد يفوق القائم على سطحها روعة ونخامة . وعلى التخصيص ما في ارض الفراعنة المنفردة بنوادر الآثار دون سائر الامصار مما يدهش البصائر ويبهر الابصار .او ليس من المخجل المذيب والغريب العجيب ان أبناء اولئك الآباء يحرمون

ذلك التراث بل يجهلون ما خلَّف لهم الاجداد حتى يحجر عليهم ان تستمتع برؤيته العيون كان الغاصب يقول لنا ما أولئك بآبائكم ولا انتم البنون وانما نحن الوارثون

وغاية ما يستطاع بعد ما حكمت بهِ الاقدار ان نأخذ عن علماء الآثار نتائج ما عرفوهُ من دفائن كنوزنا وسواحر اسرارنا مما انتهى اليهِ التحقيق وفيهِ ما تحاسَّت بهِ صدور المكاتب والمتاحف ويشغل نقلهُ الاعمار والادهار. ومهما يكن من اجتهاد مجلاَّتنا الجامعة وصحفنا السيارة بنشر الكثير من مكتشفات هذه الآثار حيناً بعد حين فان اجتماعها في مجلة خاصة وانتظام فرائدها في قلادة واحدة مع بديع الوصف ومحكم الشرح لاقرب الى الطبع في كل شرع . واذا كنا لم نبلغ الى اليوم حدًّا يحمد من علم الآثار فحسبنا نقل ما حققوا منهُ على الاوراق الى ان تعود لنا الهمم وتشبَّ عن الاطواق . وان ما قلناهُ في شأن المجلةالتاريخية من تمهيد السبل وتيسير الوسائل نقولهُ في المجلة الاثرية اذ العلمان شقيقان في النسب متصلان في باب الطلب ولكلٍّ منهما الى الآخر وصول وكلٌّ باخيهِ موصول

﴿الثالثة﴾ مجلَّة لغوية . ليس المراد هنا المجلَّة المختصَّة بالمجمع اللغوي المأمول الظهور . لان غرض مجلَّة المجمع نشر ما عسى ان يقرَّه من الابحاث الحديثة المتعلّقة بوضع الاصطلاحات الفنيَّة من طريق النحت والتعريب ، والنظر في ما جدَّ وشاع من المنشئين والمقتبسات من آداب الغربيين مع اصدار الاحكام المجمعيَّة في ذلك كله مما يحتاج فيهِ الى الاجماع وقصد الاتباع . وانما غرض المجلَّة اللغوية المقصودة هنا بالذات ما يدور على محافظة القياس وصيانة القواعد المطردة من طروء الفساد فلا يصيب اللغة الفوضى والاضطراب ونعود الى يوم دعا الداعي الى وضع النحو وحديثه المعروف . فان هناك الطامة الكبرى على اللغة والامة من تبلبل الالسنة وانقسامها حزائق اذ يصبح ردّ الفتنة والعود الى التجديد والتحديد من المعجزات، وان خرق سياج الوحدة اللغوية مؤدّ الى ضياع الوحدة الجامعة بين العباد والبلاد والعاقل ادرى بكارثة هذا الانقسام وذاك الشقاق

وبيان الغرض من هذه المجلَّة يدور على هذه الامور (١) اصلاح ما تفشَّى من مخالفة القواعد العامة المطردة المقررة باجماع الأئمة المعتمدين وردّ الخارجين على القياس من متحذلقي المدارس الاجنبيَّة الى محجة الصواب في الترجمة والانشاء . فهم الذين

يخرجون الكلم عن مواضعه ويدسّون التعابير الغربيّة ويزفونها شمطاء شوهاء الى الاسماع وما هي الاّ من سقط المتاع . واكثر ما نلقي منهم هذه الايام بين كتاّب بعض الصحف اليومية ومترجمي الروايات . وهذا الذي حدا بالمجمع العلمي الدمشقي الى نشر فصول متسلسلة بعنوان (عثرات الاقلام) ممّا يُعنى بتحقيقه اهل الاطلاع ولا يفتقر الى مؤتمر ولا اجتماع ، على قياس ما صنع فقيد اللغة الشيخ العلَم ابراهيم اليازجي في فصول متتابعة من مجلّة الضياء الغرّاء وتابعه في ذلك اعلام اللغة المصلحون

(٢) نقل الابحاث الطليّة الحديثة عن علماء اشتقاق اللغات والتحقيق في انسابها وطوائفها والمقابلة بين اصولها وفروعها مع بيان وحدتها الاصلية والعوامل الطبيعيّة في التفريق بينها من اختلاف اللهجات باختلاف البيئات والبقاع وعوامل الاجتماع ونحو ذلك من الابحاث التي يهواها عشاق اهل البحث في العلوم والآداب كما رأيناهُ في طريقة البحاثين العلمين الاستاذ الكبير جبر ضومط والمرحوم الشهير جرجي زيدان في كتابي « خواطر في اللغة» للاول « والفلسفة اللغوية » للثاني وما اطرفنا بهِ الاستاذ خليل السكاكيني في المقتطف في سنيه الاخيرة . والذي يجب ان يدخل في هذا الباب البحث في نشوء اللغة لعهد الانسان الاول من حكاية الاصوات على ما عُرِف اليوم من ابحاث الغواة المتبحّرين في علم اللغات وهو مطلبٌ جليل الشأن من احدث ما يُعنى بهِ افذاذ المبتكرين واشهر من عرفنا منهم الاستاذ الكبير عبده افندي كحيل الدمشقي الذي استهواهُ هذا المطلب الجليل فأخرج منهُ بعد العناء الثقيل في الزمن الطويل ما يدهش غواة اللغويين والمأمول ان تسفر العناية بهِ عن حقائق تاريخيّة تتعلّق بتاريخ تطوّر الانسان وترقيه في معارج الحضارة والعمران تأييداً لنتائج غيرهِ من علماءِ الحياة والاجتماع . وقد يلحق بناحية من هذا الفرع من ابواب المجلّة والاهتمام درس علم الوضع والاشتقاق العربي كما ترى في سعود المطالع وطرائق القلب والابدال في الالفاظ على نحو ما ورد في سرّ الليال للعلاّمة الجهبذ فارس اللغة والبيان احمد فارس الشدياق وفي الخصائص لابن جنّي وما ينظم في سلكها من المختصرات. وكذلك يجب ان لا يغفل في المجلة عن نشر شذرات غوالٍ مختارة من كتب فقه اللغة لا يستغنى عنها في انتقاءِ المترادفات في الباب الواحد مما يفوت العثور عليهِ عامّة الكتاب من عمال الليل والنهار وتلذّ الاصابة فيهِ للكاتب والقارىء كما يلذ الطعام في الاذواق ويروق

للعين نظم الدرّ في اسلاكهِ ويحلو العقد في الاعناق (٣) افراد باب للنقد الأدبي في النثر والنظم من الوجهة الانشائية والمقابلة بين الطريقتين في العربية والافرنجيّة ولا سيما في تنظيم اقسام المقال في الفواتح والخواتم وارتباط الافكار ورصفها في وحدة القصد وما الى ذلك ممّا قلّ النظر فيهِ قديماً وحديثاً ولجّت الحاجة اليهِ في هذا العصر الذي كثر فيهِ الأخذ عن المنشآت الغربية من شتات الصحف والاسفار

(٤) صرف العناية بتجديد التحقيق في معاني الشعر والمقارنة بين القديم وحديثهِ مع المفاضلة في قوة الشاعرية وحسن الرصف والانسجام وارتباط أجزاء القصيدة من حيث المعنى وانتقاء المبنى وما يتصل بذلك من جلاء المراد وغموضهِ وأحوال السرقات والانتحال على ما سبق للآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري ولابن الاثير في المثل السائر واضرابهما من فحول أرباب الصناعتين السابقين كصاحبي « اعجاز القرآن » و« الوساطة » من المتقدمين واليازجي الشيخ ابراهيم من المحدثين مما نراهُ ويأخذك منهُ العجب والطرب كنقدهِ لبعض شعر المتنبي في ختام شرح « العرف الطيب » على ما يعز نظيرهُ بين القدماء والمحدثين وكالاستاذ النابغة طه حسين في « ذكرى ابي العلاء » « والشعر الجاهلي » او « الأدب الجاهلي » كما قرَّ عليهِ التصحيح الاخير

(٥) نشر اطيب المختارات من الشعر القديم والحديث مع شرحها لغةً وبياناً وادب المعنى على طريقة النقد والتحليل الحرّ الحديث . ولقد تقدمنا بعض المستشرقين المبرّزين في هذا السبيل بنشر عدد غير يسير من دواوين السلف العربي الصالح من جاهليين ومخضرمين ومسلمين وفيها من الشروح والتعليقات ما تطيب بهِ خواطر عُشّاق الادب العربي المجيد . فان كان هذا جهد غريب الجنس واللسان في احياء آثار اجدادنا ومفاخر امجادنا فما اجدر التشهير بجمودنا بكل شفة ولسان

***

هذا ماعنّ في الخاطر من الحاجات الكبرى الى اعلاء شأن هذه اللغة النبيلة الجليلة بعناية الحكومة العربية المصرية الكريمة ونجدة اعلام هذا العصر سواء كانوا من علماء الازهر الشريف او متخرجي المدارس العصرية والجامعة المصرية مناط آمال الاستقلال . ولا بدَّ لنا في ختام هذا الحديث من التنبيه على امرين : الاول انهُ مهما بلغ مستوى التدريس العربيّ في المدارس من تجديد المناهج والتوسُّع في بعض علوم

الادب لا تزال هناك حاجة مبرحة لفئة كبيرة من عامة الطلاب والمتأدبين الى استكمال المعلومات القيمة الضرورية في كثير من الضوابط والقيود في مشتقات الافعال والمصادر والجموع وحروف المعاني المتفرقة في شتات الامهات من امثال مغني اللبيب والصبان والكليات والاستعانة بنظير المخصص وغيره من المعاجم المرتبة على ابواب المعاني . عدا ما هنالك من جلائل المسائل البيانية الآخذة بالالباب على ما يراها هواة البلاغة في مطاوي كبار الشروح والتفاسير كالكشاف البياني الفريد المشهور والطراز الحديث الظهور وهي المسائل التي جلا عرائسها اوحد اهل الفن وامامهِ الاكبر عبد القاهر الجرجاني في اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ونظائر هذه الجواهر من مؤلفات اولئك الائمة الواضعين الاولين الذين رفعوا للغة القرآن اعلى الاعلام ونقشت اسماؤهم على صفحات الادهار من اقطاب العلم والاسلام

الثاني انَّا في كل ما أبديناهُ ويبديهِ أقطابنا افذاذ اللغة من اعلاء كلمتها وصون مقامها عن الابتذال والانخذال لا نغفل عن حاجتنا الضرورية الى العلوم العصرية من طبيعية ورياضية واجتماعية وزراعية وصناعية وفنية ولها ما لها من تنوير الآذان والمعونة القصوى في سعادة الامة ولحاقها بأمم الحضارة والعمران غير ناسين ان كل ما يتعلق باللسان من العلوم انما هو وسيلة لا غاية ولذا عرّفت عند العلماء بالآلات

مصر متري قندلفت
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

[المقتطف] بسط الكاتب المفضال الحاجة الى ثلاث مجلات تتفرغ للمباحث التاريخية والاثرية واللغوية ووضع بياناً يكاد يكون كاملاً لكلّ منها . ولكنهُ اغفل المجلات العلمية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية . فان مباحث التاريخ والآثار واللغة لها فوائد جمة كما ذكر ولكن فوائدها العملية لا تقاس بفوائد العلوم الطبيعية وتطبيقها على مقتضيات العمران . ولذلك نرى ان حاجتنا الى مجلات العلوم الطبيعية على اختلافها اعظم من حاجتنا الى المجلات المذكورة وهي اولى بالتقديم

—o:o—

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العدوى والمناعة

كيف يصاب الانسان بالامراض؟ كيف يشرب زيد وعمرو من ماء واحد فيصاب احدهما بالحمى التيفودية مثلاً وينجو الآخر؟ وكيف يخالط بكر وخالد مصاباً بالدفتيريا فيقع بكر فريسة لهذا المرض الخبيث ولا يُمسّ خالد بسوء؟ وكيف يصاب رجلان بالحمى التيفودية فيشفى الواحد ويموت الآخر؟ هذه اسئلة طالما حيرت فكر الانسان منذ القدم ولم يصل الى حل بعض طلاسمها الا اخيراً وهو سائر بجد يريد ان يتوصل الى حلّ الباقي منها

يقولون ان سبب الامراض هو الميكروبات ولكن كيف تصل الميكروبات الى الانسان وتسبب المرض فيهِ وهل كل ميكروب يدخل جسمهُ يسبب فيهِ مرضاً؟ اذا كان الامر كذلك لما سلم احد منها بل ماتت الخليقة جمعاء لان جسم الانسان وكل ما يحيط بهِ حافلٌ بهذه المخلوقات العجيبة فجلدهُ وفمهُ وانفهُ واذناهُ وامعاؤهُ تعجُّ بجيوشها الجرارة. وهكذا يقال عن الماء الذي يشربهُ والهواء الذي يتنفسهُ والغذاء الذي يأكلهُ. ومع ذلك فان نسبة المرضى الى الاصحاء قليلة فما هو السر وما هو التعليل؟

يقسم الاطباء الميكروبات الى قسمين (١) مرضية وهي التي تسبب الامراض في الانسان والحيوان (٢) قسم عادي لا ضرر منهُ على الانسان لانه يفضل العيشة والنمو على المواد العضوية الميتة فيحلّها الى عناصرها البسيطة واذا نظرنا اليهِ من هذا الوجه فهو مفيد للهيئة الاجتماعية لانهُ يخلص العالم من القاذورات العضوية وجثث الاموات من حيوان ونبات

اما القسم المرضي فهو الذي يهمنا خاصة لانهُ يشمل الميكروبات المسببة للامراض البشرية . فباشلّس التيفويد والدفتيريا والكوليرا وباشلّس السل والميكروبات التيفودية مسببات الصديد والميكروبات السبحية مسببات الالتهابات المنتشرة والتسمم الدموي كل هذه وغيرها تنطوي تحت هذا القسم

لننظر اولاً في كيفية عدوى الانسان بهذه الميكروبات ثم نبحث بعد ذلك عن الطرق التي يتخذها الجسم لمقاومة هذه الاعداء الميكروسكوبية المميتة لان الطبيعة لم تتركهُ اعزل من السلاح بل جهزتهُ باسلحة لمقاومتها ومع انها غير منظورة فهي تفوق امضى الاسلحة التي ابتكرها الانسان لمقاومة اعدائهِ في حروبهِ وغزواتهِ .

مجرد دخول الميكروبات المرضية في جسم الانسان لا يكفي لان تسبب مرضاً ولكي يتم ذلك يجب ان تتوفر جملة شروط اهمها (١) عدد الميكروبات — فيجب ان يكون عدد الميكروبات الذي يدخل الجسم وافراً والاَّ تغلب عليها الجسم وقتلها . وتختلف الميكروبات بعضها عن بعض في هذه الصفة فميكروب واحد من باشلّس الطاعون يكفي ليعدي ارنباً هنديًّا اذا طعم بهِ مع اننا نحتاج الى ملايين من ميكروبات الدفتيريا لنصل الى نفس الغرض (٢) قوة السموم الموجودة في الميكروب — وهنا ايضاً تختلف هذه القوة في مختلف الميكروبات بل في افراد النوع الواحد منها باختلاف الاحوال التي تحيط بها . فميكروب الالتهاب الرئوي المأخوذ مثلاً من حلق انسان غير مصاب بالتهاب رئوي اضعف سمًّا من ميكروب مأخوذ من بصاق مصاب بهذا المرض (٣) الطريق الذي يصل منهُ الميكروب الى الجسم وهذا امر ذو شأن خطير في حصول العدوى لان كل ميكروب لهُ طريق خاص مناسب لهُ وصالح لجعل الانسان يخضع لعدوى هذا الميكروب فاذا وضعت ميكروبات الكوليرا مثلا على الجلد المحلوق فانها لا تؤثر في الانسان ولكن اذا وضعت ميكروبات الطاعون في المحل نفسهِ تسببت العدوى . فعدوى التيفويد والكوليرا مثلاً تسبَّب عن غزو الميكروبات للجسم عن طريق المعدة والامعاء اذا وصلتها مع المأكل والمشرب ولكنَّ عدوى الدفتيريا تصل عن طريق الفم والانف . وكذلك عدوى الطاعون تأتي عن طريق الجلد اذا لدغهُ برغوث حامل ميكروبات الطاعون بينما عدوى التيفوس تأتي من نفس الطريق ولكن بواسطة القمل (٤) مناعة الجسم وقت حصول العدوى وسنتكلم على ذلك فيما يلي :

المناعة

اذا دخلت ميكروبات التيفويد مثلاً الى جسم انسان بكميات قليلة غير كافية لان تسبب مرضاً فان الانسجة تقاوم دخولها بان تفرز في الدم والسوائل البشرية الاخرى (body fluids) مواد مضادة لهذه الميكروبات بحيث اذا اختلطت بها اماتتها او اذابتها او على الاقل منعتها عن الحركة والنمو فتصبح فريسة سهلة لكرات الدم البيضاء فتأكلها لقمة سائغة . وهذه المواد المضادة مختلفة الانواع فمنها مالهُ قدرة على اذابة الميكروبات (lysins) ومنها ما هو مجمع لها (agglutinin) ومنها ما هو مرسب لها (precipitin) الخ ومجموعة هذه المواد المضادة تكسب الجسم قوة المناعة ضد الميكروبات المذكورة

ولكل ميكروب مواد مضادة خاصة بهِ فالمواد المضادة لميكروبات التيفويد هي غير المواد المضادة لميكروبات الكوليرا او الدفتيريا او الطاعون الخ

وعلاوة على هذه المضادات لاجسام الميكروبات فان الجسم يفرز ايضاً مواد مضادة لسمومها (toxins) فميكروبات الدفتيريا مثلاً تفرز سمًّا قاتلاً يمتصهُ من الجسم ويدور مع الدم الى كل انسجتهِ ليسمها ويجعلها غير قادرة على القيام بوظائفها ولكن الجسم يحاول ان يحاربها بان يفرز هو ايضاً مواداً مضادة لهذه السموم (antitoxins) اذا مزجت معها أزالت فعلها كما يحصل اذا اضيف محلول حامض الى محلول قلوي فان المحلول يعدَّل ويصبح وهو ليس بالحامض ولا بالقلوي

وهذه المناعة اما طبيعية او مكتسبة فالاولى توجد على درجة ضعيفة في بعض الافراد ضدّ بعض الامراض وليست ضدّ جميع الامراض فيصح ان يكون انسان غير قابل لعدوى التيفويد وفي الوقت عينهِ قابلاً جدًّا لعدوى الدفتيريا

اما المناعة المكتسبة فهي اما (١) نتيجة مرض سابق شفي منهُ العليل فاصبح غير قابل للعدوى بهِ ثانية فان حمى التيفويد او الجدري اوالكوليرا مثلاً تكسب الذين شفوا منها مناعة مدى الحياة وهذه القاعدة غير مضطردة لان بعض الامراض كالدفتيريا لاتكسب مناعة دائمة

واما (٢) نتيجة مكتسبة من التطعيم ضد الامراض بواسطة (أ) اللقاحات المختلفة التي ليست الاَّ ميكروبات مائتة تكسب الجسم مناعة ضد ميكروبات الجسم اذا حقنت

بكميات تدريجية ويسمى هذا النوع من المناعة الفعالة (activeimmunity) وقد كثرت اخيراً انواع اللقاحات وازداد استعمالها في الطب الواقي فالتطعيم ضد التيفويد والكوليرا والميكروبات التيفودية هو من هذا القبيل . (ب) والطريقة الاخرى لاحداث المناعة هي الحقن بالامصلة المختلفة كالحقن بمصل الدفتيريا الذي ليس الاّ مصل حيوان يطعم من سموم هذا المرض . واهم الامصلة المعروفة هي الامصال المضادة للدفثيريا والكزاز والالتهاب السحائي

فاللقاح يكسب الجسم مناعة بتنشيطهِ حتى يفرز المواد المضادة للمكروبات الملقح بها ظناً انها مكروبات حية فيحاربها بكل وسائلهِ الطبيعية وما هي في الحقيقة الاّ مكروبات ميتة فحين تدخل المكروبات الحية الى جسمهِ يكون الجسم قد تعوّد محاربتها من قبل فيتغلب عليها . اما المصل فهو المواد المضادة نفسها كما افرزها دم حيوان لُقّح بمكروبات المرض الذي يراد الحصول على مصلٍ ضدهُ . فاذا لقح الحيوان بهذهِ المكروبات افرز دمهُ المواد المضادة فتؤخذ هذه ويحقن بها المصابون بالمرض نفسهِ لتخفيف وطأة مكروباتهِ على الجسم

ولم يصل الطب بعد الى اكتشاف لقاحات لكثير من الامراض فالسل والانفلونزا مثلاً لا يوجد لها امصال شافية ولكن جمهور الاطباء والباحثين يصلون ليلهم بنهارهم باحثين منقبين لا طمعاً بمال بل طلباً للعلم وحبّاً بتخفيف ويلات الانسانية

الدكتور جورج قصيري

ما يجهله الاطباء من شؤون الغذاء

(تابع ما قبلهُ)

❊ الاطعمة التي تولد حموضة ❊ من الاوهام الشائعة وجوب تجنب المآكل الحامضة ذهاباً الى انها تضرّ بالجسم . والمقصود بالمآكل الحامضة المآكل التي تولد حموضة في الدم لا المآكل التي طعمها حامض

وقد جربنا تجارب عديدة من هذا القبيل فاطعمنا طائفة من الحيوانات اطعمة تولد حموضة قوية في الدم فلم نرَ اثراً ضارّاً لها في الصحة ولم يثبت لنا ما يدعيهِ بعض الاطباء من ان هذه المآكل تورث الكلى ضعفاً . ذلك لان الجسم قادر على ان يعدّل الحموضة التي تتولد عادة من طعام عادي . فاذا اكثر الانسان من اكل الاطعمة التي

تولد حموضة في الدم اكثر الجسم من افراز مواده القلوية فيعدلها . وليس مرادنا ان نشير على القراء ان يكثروا من تناول هذه الاطعمة بل ان نشير الى ان ما نأكلهُ عادة منها لا يضرُّ وعليهِ فلا يجب اجتنابهُ على الاطلاق ولكن يجب الاَّ نكثر ما نتناولهُ منهُ

﴿ البيض والدم ﴾ ويقول بعض الاطباء لا تأكلوا بيضاً لان البيض يجعل الدم وسطاً صالحاً لنمو المكروبات. وقد دلّوا بذلك على جهلهم ان الدم على ما هو من اصلح الاوساط لنمو المكروبات وان المواد البروتينية في البيض لا تتصل بالدم قبلما تتغير بالمضغ والهضم تغيراً كبيراً

﴿ انواع النشاء ﴾ ويقول آخر يجب الاَّ تأكلوا الاَّ نوعاً واحداً من النشاءِ في ساعة واحدة وهو لو حكَّم عقلهُ لوجد انهُ لامندوحة عن تناول اطعمة نشوية من مصادر مختلفة . ففي الخبز نشاء وفي البطاطس نشاء وفي الهلام نشاء وهي من مصادر مختلفة وكلها تجتمع في طعام عادي واحد ومع ذلك لا نرى اثراً ضارًّا لاجتماعها

﴿ الاطعمة النشوية والبروتينية ﴾ ويشير آخرون بوجوب الامتناع عن تناول الاطعمة النشائية مع الاطعمة البروتينية جاهلين ان الطبيعة نفسها كثيراً ما توجد هاتين المادتين في طعام واحد كما ترى في حبوب الفاصوليا وما اليها . هل يحتم علينا ان نفصل نشاء الحنطة عن بروتينها قبل طحنها ونخلها وخبزها ؟ حتى اللبن (الحليب) نفسهُ يحتوي على مقدار معقد التركيب من البروتين والنشاءِ . وزد على ذلك ؟ فقد ثبت انهُ متى اكل الانسان طعاماً يحتوي على مواد بروتينية ونشائية معاً اتحدت المواد البروتينية مع حوامض المعدة فخففت حموضها فينفسح المجال لهضم النشاءِ . ولقد ثبت بالامتحان ان مزيجاً من طعام بروتيني مع طعام نشوي اسرع هضماً في المعدة من طعام بروتيني على حدةٍ . وكل انسان عادي في صحة حسنة يستطيع ان يأكل المادتين معاً من غير ان يصاب بضرر

ليس القصد من نشر هذه الانتقادات على اوهام بعض الخواص والعوام الحط من قيمة الغذاءِ العلمي المنظم . بل الغاية على الضد من ذلك هي تحذير الناس من التوهم ان الغذاء المنظم المفيد قائم عليها

والخلاصة اذا تناول الانسان مقداراً كافياً من اللبن والخضروات الطازجة والمطبوخة والاثمار الطازجة مع ما يؤكل عادة من اللحوم والحلويات وما اليها من المآكل العادية وكانت معدتهُ طبيعية في عملها فلا خوف عليهِ من أوهام الخواص ولا العوام

الروائح العطرية

الروائح العطرية كثيرة الانواع ولا يستطيب كلٌّ احد كلَّ رائحة منها . فيحسن بالمرأة ان تختار رائحة واحدة تستعملها دائماً كرائحة الورد او الزنبق او البنفسج او النرجس او نحو ذلك من الروائح المختلفة وتستعمل نقطاً قليلة جدًّا منها نقطة او نقطتين كل يوم ولا تعتمد في ذلك على شمها لانهُ لا يمضي عليها ايام كثيرة حتى يضعف شمها تلك الرائحة فلا تؤثر فيها عشر نقط قدر ما كانت تؤثر فيها نقطة او نقطتان قبلاً ولكنها اذا استعملت عشر نقط عبقت منها رائحة شديدة تتعب الذين حولها وهي لا تدري لان كثيرين يصيبهم صداع من شمهم الرائحة الشديدة . وقد استنبط بعضهم طريقة لجعل رائحة الثياب من الداخل وهي قطع من الجلد مغموسة في السائل العطري فتطير المادة العطرية منها رويداً رويداً وتعطر الثياب وتكون رائحتها خفيفة ومقبولة

مربى السفرجل الشفاف

خذ السفرجل الناضج وقشرهُ وانزع البزر منهُ وما حول البزر أيضاً وضعهُ في ماء حالاً بعد تقشيرهِ لكي لا يتغير لونهُ ثم اساقهُ . ويوضع رطل ماء لكل رطل من السفرجل ومتى انسلق جيداً ضعهُ في كيس دقيق النسيج متينهِ واعصرهُ ولا تبالغ في العصر لئلاَّ يخرج المربى غير شفَّاف ثم اضف الى كل رطل من العصير ثلاثة ارباع الرطل من السكر الابيض النقي وحركهُ حركة دائمة وهو على النار حتى ينعقد ويتم انعقادهُ في نحو عشرين دقيقة ثم ارفعهُ عن النار وصبهُ في أوعية زجاجية واسعة الفم

فوائد بيتية

صقل النحاس الاصفر — تجلى ادوات النحاس الاصفر بقليل من الطباشير الناعم وعصير الليمون الحامض ثم تصقل بقطعة من الجور الناعم او بخرقة من المخمل — القطيفة — الناعم جدًّا . فتصير صقيلة لامعة كالذهب

العسل — يمزج العسل بقليل من البورق المسحوق ويمسح بهِ فم الطفل اذا كان متقرحاً

روح النعناع — يعطى للاولاد مخففاً بالماء لمنع التشنجات وفي تطبل المعدة بتولد الغازات فيها

باب الزراعة والاقتصاد

تقدم بنك مصر
والحالة الاقتصادية العامة

بعث الينا بنك مصر بتقرير مجلس ادارتهِ الذي رفع الى الجمعية العمومية في ١٨ مارس الماضي فطالعناهُ معجبين بما يبديهِ مديرو هذا البنك الحديث النشأة من الحكمة والحنكة في ادارتهِ وترقيتهِ وما وفقوا اليهِ من توسيع نطاقهِ اذ يؤخذ من هذا التقرير ان ارباح البنك في السنة الاولى من حياتهِ (سنة ١٩٢٠) بلغت ٣٢٤٩ جنيهاً فزادت في سنة ١٩٢٧ الى ١٣٥٦٧٢ جنيهاً يقابلها ١١٧٥٤٧ جنيهاً في سنة ١٩٢٦. وهي نتيجة باهرة اذا ضمت الى سائر النتائج الباهرة التي حققها البنك جاءت دليلاً جديداً على رسوخ قواعدهِ وحاجة البلاد اليهِ. وقراءُ المقتطف لا يزالون يذكرون القواعد التي شيّد عليها من مطالعة المنتخبات التي نشرناها في مقتطف يناير الماضي مقتطفة من خطب نائب رئيسهِ محمد طلعت حرب بك ولا يتسع لدينا المجال في هذا الجزء لنبين وجوه التقدم التي اصابها البنك في السنة الماضية وقد نشرتها الصحف اليومية وعلقت عليها فنكتفي بما جاء في التقرير عن الحالة الاقتصادية العامة

« لا شك ان سنة ١٩٢٧، وان لم تكن سنة رخاء من جميع الوجوه، إلاّ انها كانت أحسن حالاً على سكان هذه البلاد من سنة ١٩٢٦. وذلك لان القطن، الذي هو المحور الاساسي لحياة البلاد الاقتصادية، قد زادت أسعارهُ في غضون سنة ١٩٢٧ بمقدار يتراوح بين ثمانية وعشرة ريالات عما كانت عليهِ في السنة السابقة »

« وترجع أهم أسباب التحسن الى قرار الحكومة بالتسليف على الاقطان، واعلان استعدادها الدخول في سوق الكنتراتات شارية اذا نزلت اسعارها عن حد معين، وصدور قانون حصر زراعة القطن في ثلث الزمام لمدة ثلاثة أعوام. كما ترجع على الخصوص الى عجز المحصول الامريكي. وقد كان من المفهوم ان يترتب على تحسن الاسعار توفير شيء يذكر من الارباح للمنتجين الزراعيين. ولكن الواقع هو انهم ربما كانوا اكثر الطبقات شعوراً باستمرار الازمة التي حلت بالبلاد سنة ١٩٢٦.

« ولقد كان لاتباع كثير من المزارعين طريقة بيع الاقطان تحت القطع اثرهُ في ازدياد أسباب الضيق لان البيع تحت القطع يجعل السعر معلقاً ولا يساعد المنتج على تقدير ايرادهِ الصحيح في الوقت المناسب . وكثيراً ما يترتب على اتباع هذه الطريقة ضرر محقق يتأثر بهِ عاجلاً او آجلاً . وها هي البنوك قد قامت بما عليها في هذا الباب فعلى المنتجين ان يمتنعوا مثلها عن البيع تحت القطع

«ثم جاء انخفاض اثمان الحبوب في العام الماضي سبباً آخر من اسباب الضيق . على ان نزول اسعارها — اذا استمر ثابتاً مدة من الزمن — قد يصبح مقدمة لانخفاض الاجور وبالتالي الى التأثير في عامل مهم من عوامل التقدير في مستوى المعيشة

«ولعلهُ يكون من الحكمة حين تقدير ايراداتنا أن نحسب حساباً للتطور العام في مستوى المعيشة وفيما يترتب عليهِ من نزول الاسعار . ومما يسجل بالسرور ان ميزان التجارة قد مال الى جانب مصر في العام الماضي بعد ان كان قد مال عنها في العام السابق

«وهو سرور ينبغي ان يكون مقروناً بشيء من التحفظ . اذ ان الظاهر الملموس ان قوة الاخذ والعطاء ضعيفة في ذاتها منذ سنة ١٩٢٦ . وهي اكثر ضعفاً في الاقاليم منها في العاصمة والاسكندرية . وقد بلغ ما اشهر من التفاليس في السنة الماضية ٤٨٠ تفليساً مقابل ٣٢٩ في سنة ١٩٢٦ و٢٠٢ في سنة ١٩٢٥ واذا كانت التجارة على ما تقدم من ضعف فان سوق الاوراق المالية في مصر والاسكندرية —وهي مظهر آخر من مظاهر التجارة في الاسهم والسندات والقراطيس المالية— قد أظهرت بالعكس من النشاط المتزايد ما يحمل على الاعتقاد بمضاعفة الميول في الداخل الى استثمار الاموال في الثروة المنقولة

« اما سياسة الدولة المالية فهي سياسة جديرة بكل ثناء . فان البرلمان عرف في السنة الماضية ، لمناسبة مناقشتهِ الميزانية ، كيف يوجه هذه السياسة في طريق الانشاء والتدرج في التجديد . كما وافق على عدة قوانين واقتراحات عامة مرتبطة بحياة البلاد الاقتصادية والمالية أتم ارتباطٍ »

الفحم الابيض

اطلقنا لفظ الفحم الابيض على القوة التي تستخرج من الماءِ المنحدر وتستعمل في ادارة المعامل فقد بلغت القوة المائية المستعملة في اميركا سنة ١٩٢٦ نحو ١٦ مليون حصان يقابلها ١٧ مليوناً في اوربا ولكن نسبة الزيادة السنوية في اميركا تفوق نسبتها في اوربا

مراتب الارض ومناطقها

١—جدول مراتب الارض ومناطقها في الوجه القبلي

- ارض الحياض . اكثرها جنوبية واقلها شمالية — منطقة للحبوب والبصل والقطاني اي الحبوب التي تطبخ كالعدس واللوبيا والحمص
- الارض الرواتب قسمان
  - الاول جنوبية وهي الاقل — منطقة للقصب خصوصاً في قنا وللبصل المسقاوي
  - الثاني شمالية — اهم منطقة للقطن الاسمر (الصعيدي) زاجوراه واشموني ثم سائر الزروع وفي مديرية المنيا خاصة منطقة مهمة للقصب وفي الفيوم كثير من الفواكه

(ملحوظة . آخر كل قسم من اقسام الارض الرواتب في هذا الجدول والجدول الآتي شبيه باول القسم الذي يليه

٢—جدول مراتب الارض ومناطقها في الوجه البحري

- ارض رواتب
  - الارض الجنوبية — منطقة واحدة وهي افخر المناطق لاكثر الزروع سيما القمح والكتان والذرة والفواكه والخضروات ثم القطن كما انها اوفرها عمراناً واحسنها فلاحة
  - الارض المتوسطة — منطقة واحدة تلي السابقة في جودتها للزروع ووفرة العمران واتقان الفلاحة وقد تفوقها في تجويد نوع القطن
  - الارض الشمالية — منطقتان . الاولى تلي الارض المتوسطة جودة وعمراناً وفلاحة ولكنها تنتج افخر الاقطان وقد يزرع الارز فيها احياناً عند وفرة الماء
    - والثانية تلي الاولى في خصائصها المذكورة الاّ انها مثلها في انتاج افخر الاقطان وفيها مناطق الارز بقسميها الاعلى والادنى والارض المستجدة

ملحوظة . يطلق بعض الكتاب الزراعيين الارض الجنوبية على الوجه القبلي وجنوبي الوجه البحري معاً وقد اطلقناها نحن هنا على هذا وحده أخذاً بالاشهر ومنعاً للالتباس في تقسيم مراتب الارض وتحرياً للسهولة اه

وهناك اقسام او مناطق ثانوية اهمها

(١) الارض العلو بالحياض وبجوار الصحراء بالوجه القبلي وهي التي لا يركبها ماء الفيضان فتروى بالروافع من النيل او من الآبار ولذلك ولاحتياجها للري المتقارب خصوصاً اذا كانت صفراء او رملية تحتاج الى جهد عظيم وكلفة كبيرة في ريها وتزرع حبوباً ومقاثي وخضراوات وذرة قيضي (صيفي) وما أشبه وقليلاً من القطن والقصب احياناً وفي بعض جهاتها ولاول عهدها بالزراعة حيث تكون كثيرة الملوحة لاهمال زراعتها وريها تزرع اولاً ولمدة سنتين احياناً شعيراً ثم تزرع بعده بالزروع المذكورة لانهُ لارتفاعها وبالتالي لانخفاض مستوى نزها يفيد ماء ريها في غسيلها فتزول املاحها بسهولة ذاهبة مع الماء المغيض في اغوار الارض

ووادي كوم امبو باقاصي الوجه القبلي من ارض العلو خير مثال لما يمكن ان تصير هي اليه اذا عُني بها فان هذا الوادي كان من الارض الموات فتولت احياءَهُ واستغلالهُ احدى الشركات الاجنبية فركّبت روافع الماء البخارية على النيل لريهِ ريًّا مستديماً واصلاحهُ وزرعتهُ وصيرتهُ من الارض الرواتب ومن اهم زروعها فيه القصب والحبوب وزروع المرعى والخضراوات والاشجار

وقد كان لا تنبت فيهِ الزروع الباقيّة (بتشديد الياء نسبة الى الباق وصف للارض بعد هذه المزروعات يفيد معنى الخصب) كالبرسيم ونحوه لخلوها من البكتيريا الضرورية لنمو هذه المزروعات فاستحضرتها من معامل صنعها باوربا ووضعتها وتعهدت نموها وتكاثرها حتى صارت الارض صالحة لنمو هذه المزروعات كغيرها

ومن ارض العلو حوش النباري وهي في بعض مرتفعات الحياض والسواحل يقيم اصحابها حولها جسوراً لوقايتها من الفيضان ويخصصونها لزرع الذرة

(٢) الخفوج في الصحراء وراء الحدود التي بينها وبين الارض الزراعية بالوجه القبلي منخفضات كان يغمرها ماء الفيضانات العالية مصروفاً من الحياض — فتكونت فيها من رواسبه تربة زراعية ،هذه المنخفضات تعرف بالخفوج ولعلها تحريف الخفوض

بمعنى المنخفضات ضد العلو، ومعلوماتي عن هذه الخفوض قليلة فلعل أحد قراء المقتطف ممن يعرفها يتفضل بذكر معلوماته عنها

(٣) الجزائر والسواحل النيلية على النهر نهر النيل وفروعه الكبرى

فالجزائر تطلق على الارض التي احاط بها الماء من جميع جهاتها كالجزائر التي في وسط النيل وتطلق ايضاً في العرف على الارض الرملية الواطئة المنحدرة الى ان تستدق عند اتصالها بالماء ويغمرها ماء الفيضان وكذلك تطلق الجزائر عرفاً على الكثبان الرملية المرتفعة ولو احاطت بها الارض اليابسة من جميع جهاتها وهذا المعنى ليس مراداً هنا

والسواحل هي الارض الاعلى من الجزائر وتنحصر بينها وبين جسور النيل ولا يركبها ماء الفيضان أو هي الجزائر النيلية المرتفعة والارض العلو القريبة من النهر على امتداد مجراه وتليها الجزائر الواطية

وحينما يعلو ماء الفيضان على هذه الجزائر الواطية يحصل تأكُّل ونحر في اطرافها المماسّة للماء وبالتالي يحصل عجز في مساحتها يسمى عرفاً اكل بحر وعجز بحر — او ترسب رواسب جديدة عليها تزيد مساحتها وتسمى الزيادة طرح بحر واكثرها من الرمل

وقد تكون الرواسب الجديدة من طينة سوداء وتسمى عصلوجة جديدة فاذا بلغ سمكها نحو نصف متر لم تصلح في عامها الاول الاَّ لزراعة البرسيم واذا ما القمح والشعير فيها ارتفع نباتهما فيصيرا كثيري التبن قليلي الحبوب لشدة ايناع نباتهما اما اذا زاد سمكها على نصف متر زيادة محسوسة فلا تزرع الاَّ برسيماً اذ لا ينجح فيها غيره

والافضل في العصلوجة الجديدة لاسيما الاكثر سمكاً ان تترك بدون زراعة عامها الاول لانها وهي جديدة تكون شديدة العصلوجة عَسِرة الخدمة تتشقق كثيراً اذا جفت — اما اذا حال عليها الحول وتأثرت بالعوامل صلحت للفلاحة والزراعة ويقال حينئذٍ ان العصلوجة استوت اي نضجت وصارت كالعصلوجة القديمة تنجب فيها مختلف الزروع الموافقة لمعدنها وتلحق بالجزائر

وهذه الجزائر التي يركبها الفيضان تزرع زراعة بعلية كارض الحياض زروعاً حبوبية

او مقاثي او خضروات حسبما يوافق معدنها اما السواحل التي لا يركبها الفيضان فتروى بالروافع وتزرع كالارض الرواتب

وقد استعملت الشركة العقارية المصرية (اسماً) وهي الشهيرة بالشركة الانكليزية (حقيقة) ترسيب الطمي صناعيًّا لاصلاح كثبان الرمال والجزائر البور الرقيقة حتى تصلح للزراعة وذلك بان تحيط الجزء المراد اصلاحهُ — تحيطهُ من اطرافهِ المستدقة جهة الماء بنطاق من الدبش وتترك فيهِ فتحة من جهة استقبالهِ تيار الماء فاذا جاء الفيضان ودخل ماؤهُ منها وصار داخل النطاق دَوَّم الماء وتحيّر الى ان يخرج من فتحة اخرى مقابلة لتلك بعد ان يكون قد رسب منهُ كثير من الرواسب اي الطمي بسرعة وكثرة تفوق المعتاد خصوصاً في بدء الترسيب اذ يكون عمق الجزء داخل النطاق اكبر ويظل العمل كذلك الى ان يكثف طمي ذلك الجزء عما كان وتعلو مواطيه ويصير صالحاً للزراعة كالسواحل والجزائر الزراعية وبهذه الطريقة يمكن اصلاح طرح البحر التالف والجزائر الواطية حيث يسمح مجرى النهر بذلك

ضواحي طلخا احمد الالفي : زراعي عملي

القطن المصري

لاتزال انكلترا تستورد اكثر من ثلث محصول القطن المصري وجميع البلدان الاخرى الثلثين الباقيين. فقد استوردت انكلترا من محصول قطننا الحالي من اول سبتمبر الماضي الى ٢٢ فبراير الجاري ١٢٩٤١٦٢ قنطاراً او ٣٧١ في الالف من مجموع الصادرات وتليها اميركا ٥٤٨٠٥٦ قنطاراً او ١٥٦،٩٦ في الالف ففرنسا ٤٢٢٥٠٧ قناطير او ١٢١،٠١ في الالف فايطاليا ٢١٢ ٦٩٩ قنطاراً او ٦٠،٩٢ في الالف فروسيا ٠٤٨ ٢١٢ قنطاراً او ٦٠،٧٣ في الالف فالمانيا ٦٤٥ ٢١١ قنطاراً او ٦٠،٦٢ في الالف فسويسرا ١٣٨ ١٨٤ قنطاراً او ٥٢،٧٤ في الالف فاليابان ٩٦٩ ١٤٣ قنطاراً او ٤١،٢٣ في الالف فتشكوسلوفاكيا ٨٦٤٢٣ قنطاراً او ٢٤،٧٥ في الالف فاسبانيا ٨٦٧ ٨٥ قنطاراً او ٢٤،٥٩ في الالف فبولونيا ٣٥٥١٨ قنطاراً او ١٠،١٧ في الالف فالبلجيك ٢١٣٧٩ قنطاراً او ٦،١٢ في الالف من مجموع الصادرات

وكانت الصادرات الى سائر البلدان من ٣ في الالف الى ٠،٥ في الالف

مكتبة المقتطف

خطط الشام

اصدر الاستاذ محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، الجزء الخامس من كتابهِ « خطط الشام » في نيف وثلاثمائة صفحة ، مشتملاً على مباحث في الجيش والاسطول والخراج والاوقاف والحسبة والترع والمرافئ والخطوط الحديدية والطرق والبريد والبرق والهاتف (التلفون) والمصانع والقصور والآثار ، مبيناً ما كان عليهِ كل منها في بلاد الشام قديماً وما صار اليهِ حديثاً . يتخلل ذلك نبذ في التاريخ والادب والتشريع والاحصاء استصفاها من مئات المصادر ، وخواطر اخرجت الكتاب في كثير من مناحيهِ عن عبوسة التاريخ وثقل ظلهِ !

والاستاذ كرد علي سلس الاسلوب ، يكثر في أبحاثهِ الاستنتاج والادلاء بالرأي ، وقد تتغلب فيهِ طبيعة الكاتب الاجتماعي على طبيعة المؤرخ ، ثم يردهُ الى هذه مايستلزمهُ كتابهُ . وهو في انشائهِ وسرد حوادثهِ حسن الانتقال في غير شذوذ عن موضوعهِ ، فبينما هو يحدث قارئ بحثهِ بالحادث التاريخي الجاف او يعرض امامهُ صورة ماكان عليهِ حال بلد او جيل اذا بهِ ينتقل بلطف الى استطراد ادبي او تاريخي ترتاح اليهِ نفس القارئ وتسترد ما قد تكون اضاعتهُ من قوة استمرارها . وربما سنحت لهُ الفكرة وهو آخذ بحلقة من حلقات بحثهِ ، فيقول فيها كلمتهُ ، ويعود الى ماكان فيهِ

اما طريقتهُ في ترتيب مباحثهِ فلنذكر لها مثلاً « الاسطول » فانهُ ابتدأ الكلام فيهِ باجمال موجز جدًّا عما عرف عن بحرية الفينيقيين والعبرانيين والفراعنة واليونان والرومان في سورية ، وانتقل الى العهد العربي فذكر نفرة العرب من ركوب البحار واتى بابيات قالها بدوي يصف اهوال البحر ، وتكلم عن اول خليفة غزا في البحر الشامي ، واستطرد الى البحرية الاموية ، وجاء بقصيدة للبحتري في وصف الاسطول ، ثم تكلم عن سواحل الشام ومناورها البحرية واسطولي الفاطميين والايوبيين وماكان لهما من الاثر في الحروب الصليبية ، واشار الى الاسطول العثماني التركي ، وختم البحث

باسف واستحثاث قال فيه « من الغريب ان اهل الساحل لم تصح عزيمتهم ، الى اليوم على ان ينشئوا لهم اسطولاً تجاريًّا صغيراً يحملون عليهِ متاجرهم على الصورة التي كانت لليونان قبل ان ينادوا باستقلال بلادهم ، فكان لهم اسطول تجاري قلبوهُ يوم استقلوا حربيًّا » الخ

ولئن امتاز كرد علي عن كثيرين من مؤرخي العرب بما اجتمع لديهِ من وفرة المصادر وبما اقتضاهُ العصر من الخروج في تنسيق التاريخ وضبط وقائعهِ عن دائرتهِ الضيقة القديمة ، فانهُ لم يقدَّر لهُ ان يتمتع بما يجب ان يتمتع بهِ المؤرخ اليوم من حرية كافية في القول ، فالكابوس الذي لم يفارق مؤرخي القرون الوسطى ما زال يلوّح لصاحب الخطط كلما عرض لهُ ان يدوّن حادثاً من مشاهداتهِ اليومية او يجهر برأي لهُ مساس بحكومة البلاد التي يؤرخها . واذا عرفنا ان الاعوام الخمسة عشر التي وضع فيها كتابهُ تغلبت في خلالها على بلاد الشام سلطات متباينة النزعات من وطنية واجنبية وراحمة وظالمة ادركنا ما عاناهُ من تلويح شبح السلطة لهُ ولم نعجب اذا رأيناهُ يتقي حسابها فيطلق على بعض مسميات اليوم غير اسمائها ويستعرض بعض الحوادث من غير وجوهها كما ترى في كلامهِ على الجيش العربي وحوادث سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ (ص ٣٠) وليس هذا بكثير في الكتاب ولا هو مما يغضّ منهُ

الاعلام

قاموس تراجم — لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين — تأليف خير الدين الزركلي
الجزء الثاني — طبع بالمطبعة العربية بالموسكي — صفحاته ٤٠٠ من القطع الكبير

لعلَّ اشهر ما يمتاز بهِ هذا العصر توخي السرعة في انجاز الاعمال . وقد كان لاستنباط وسائل المخاطبات والمواصلات المختلفة كالتلغراف والتلفون السلكيين واللاسلكيين والبواخر والقطارات والسيارات والطيارات اكبر اثر في انماء هذه الصفة في رجال الاعمال حتى تعدتهم الى الصغار فالفتاة تودّ لو يمرُّ الوقت سراعاً حتى يسمح لها بان تلبس لبس السيدات وتعمل اعمالهنَّ والفتى يقلّد اخاهُ الاكبر واباهُ قبلما يبلغ سنًّا تمكنهُ من ذلك ويودّ لو يبلغ تلك السن بين ليلة وضحاها . وكان انتشار الصحف اليومية وسرعة اذاعتها للاخبار عاملاً كبيراً حمل حبَّ السرعة وتوخيها الى مخادع الكتاب والمؤلفين فوضعت لفائدتهم معاجم اللغة والاعلام والبلدان وخلاصات

العلوم المختلفة حتى يسهل عليهم تناول الحقائق المختلفة في اسرع ما يمكن من الوقت واقل ما يمكن من العناء

ولا نكون مغالين اذا قلنا ان ادباء العربية يحتاجون الى مثل هـذا القاموس احتياجهم الى معجم لغوي وافٍ باغراضهم من حيث الضبط والتحقيق وترتيب المواد حتى يسهل تناولها عليهم . وقد تجشم الاستاذ الزركلي مصاعب جمة في جمع هذه التراجم وايجازها حتى تفي بالغرض الذي اقدم على تحقيقهِ . ففي الصفحات العشر الاولى من هذا الجزء اسند الروايات التي اعتمد عليها الى عشرة مصادر على الاقل منها « نكت الهميان » و « فوات الوفيات » و « تهذيب التهذيب » و« طبقات الاطباء » و « المقتطف » و «البيان والتبيين » و « خطط المقريزي » و « دول الاسلام » « وخلاصة الاثر » « واليواقيت الثمينة » و « طبقات ابن سعد » وغيرها من المصادر العربية . وفيما يلي ترجمتهُ لابن المقفع كما وردت في صفحة ٥٨٨ ننقلها الى القراء لبيان الخطة التي سار عليها في وضع القاموس

ابن المقفع (٧٢٤ — ٧٥٩ م ١٠٦ — ١٤٢ ه)

«عبدالله ابن المقفع : من ائمة الكتاب ، واول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق . اصلهُ من الفرس ، وولد في العراق مجوسيًّا ، واسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم لهُ «كتب ارسطوطاليس » الثلاثة في المنطق ، وكتاب المدخل الى علم المنطق المعروف بايساغوجي ، وترجم عن الفارسية كتاب « كليلة ودمنة — ط » وهو اشهر كتبهِ. وانشأ رسائل غاية في الابداع منها « الادب الصغير — ط » و« اليتيمة — ط ». واتهم بالزندقة فقتلهُ في البصرة اميرها سفيان بن معاوية المهلبي »

فكتاب الاعلام حري بعناية المتكلمين بالعربية لانهُ وسيلة تمكن الصحافيين والمعلمين والكتَّاب عموماً من تحقيق امور قد يتعذر الحصول عليها الا بعد مراجعة مجلدات كثيرة قد يضيع القارئ في فيافي مطولاتها . فنحن نشكر للاستاذ الزركلي عنايتهُ بوضع هذا المؤلف ونتمنى لهُ كل ذيوع هو جدير بهِ

﴿ تاريخ اليمن ﴾ المسمى «فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن » تأليف الشيخ عبد الواسع بن يحيي الواسعي اليماني . طبع بالمطبعة السلفية بمصر صفحاتهُ ٤٠٠ من القطع الصغير

ديوان العقاد

اربعة اجزاء في مجلد واحد — نظم الاستاذ عباس محمود العقاد — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم
صفحاته ٣٦٢ قطع وسط — ثمنه ١٥ غرشاً

اريدَ مني ان اقول كلمة في « ديوان العقاد » لا في « العقاد وديوانه » لان صاحب الديوان النابغة غني بما بين أيدي قراء العربية من كتبهِ وآثارهِ وما يجود بهِ قلمه كل يوم ، عن تعريفهم به ، واما درسه أديباً وسياسيًّا ومفكراً وشاعراً وإنساناً فذلك ما لا اظن المجال يتسع لهُ هنا . إذن ستنحصر الكلمة في هذا المجلد المتراصّ السطور ، البالغ ٣٦٢ صفحة ، المطبوع حديثاً في مطبعة المقتطف والمقطم طبعاً حسناً بحروف صغيرة على ورق صقيل ، يتضمن اربعة أجزاء نشر بعضها في اوقات مختلفة

***

اول ما تقع عليهِ العين من ديوان العقاد مقدمة لصديقهِ الاستاذ المازني ثم مقدمتان لصاحب الديوان فمقدمة ثالثة منظومة من شعرهِ يقول ان كتابهُ في ايدي قرائهِ نازل بحراً لا نهاية لهُ ، فيهِ حكمة وغباء ، ويأس ورجاء ، وحب وبغضاء ، وصمت وضوضاء ، وانهُ صورة حياته ، ثم ليلق بين القدح والثناء ما شاءت الدنيا من الجزاء . . ويأبى على المازني حبه لصديقه ان يرضى باطلاق معنى « الغباء » على ما هو معروف ، فيميل الى التأويل ، ونعم الميل ميله . .

يمتاز هذا الديوان ، او شعر نابغة الادب العربي عباس ، بان فيهِ ديباجة نقية وتفكيراً عميقاً وجدة في التشبيه وقوة في الاسلوب وأن صاحبهُ لا يرقب وحي الشعر ، يقولهُ إن هبط عليهِ ، ويصمت ان قلاهُ جبريله ، بل قد يستعير آيات سواهُ فينظم « ڤينوس على جثة ادونيس » لشكسبير ، ويلخص « غادة أثينا » من سيرة اسكندر ، ويترجم « الوداع » عن بيرنز و« الوردة » عن كوبر ، ويقتبس المعنى من شاعر غير عربي فيصوغهُ صياغة عربية ، وهو في ذلك امين يغزو ويعزو ، لا قانص يستلب ويحتجب !

ويريك البداوة ممثلة في « وقفة في الصحراء » وهو يقول : هضابك ام هذي اواذيّ عيلم — ويصف الوحش فيقول :

يلوذ ببطن الارض ، والارض جمرة خياشيمهُ م القيظ يبضضنَ بالدم

فتتسامح معهُ في عصيانهِ اهل القوافي حين يزج« آدم » في بيت من هذه القصيدة وينعى على الناس تماديهم ، فيعللهُ بجهل بعضهم سر بعض ، فينطق بالحكمة الرائعة : «لو يفهم الناس سر الناس.. » (ص ٤٥)

وتقرأ لهُ « كولمب في الاوقيانوس » فيصوّر لك ما عاناهُ ذلك المكتشف من مخاوف واخطار : لا السماوات تهديهِ ، ولا النور بنور ، يسأل السحب أين مسراك ؟ أين ترمين بالحيا ؟ أتعودين بهِ الى البحر امتحيين بصوبهِ الثرى ؟ في سماءٍ ما حوّم فيها غير غادي سحابها ، كل يوم يرى بساطاً من الموج شبيهاً مطويّهُ بمنشورهِ ، تظهر الشمس كل يوم ، ولا يأذن « للارض » حاجب بالظهور ، ثم لاحت (الارض) فظنّها القوم راحاً مدها الله من وراء البحور !

هول التيه في ذلك البحر العجاج يلهم الاستاذ العقاد حكمة فيقول :

كم ضلال في اليمّ ارهب منهُ صرعات الضلال في التفكير !

وتذكرك قصيدتهُ « الحمّام — ص ٥٩ »وقفات ابن ابي ربيعة في اركان الكعبة، فتود انهُ لم يختمها بشراهتهِ « لا تلثمي فمها .. والثمي ثغري ! » كما يذكرك وصفهُ « حديقة البرتقال — ص ١٠٣ » عنب ابن الرومي ، وهو بهِ جدّ معجب

يطربك التشبيه في « ضحك الطبيعة في الربيع — ص ٢٣ » ويهزك الابداع في وصف فرضة البحر « بسطت ذراعيها» الى«آخر البيت ١٣»ص ١٩ ،ويشعرك بالوحشة حين يقول « أنا الغريب »البيت ص ٤٦ ، ويغمض عليك « أمسيت احداق السفائن» البيت ص ١٩ فتقول كان هذا اجدر بالشرح من الجودي ونار القرى . وإن لم يرضك قولهُ « فلا فرق بين اعمى وهر — ص ٣٢ » هزك في القطعة نفسها قولهُ « ولهذا الظلام — البيتين ص ٣٢ . أما أن « الحسن في الدنيا من الآفات — ص ٢٢ » فلا ادري ان كان في بقية الابيات برهان عليهِ . وأما تبسم الجبين في قولهِ « فاذا تبسم في الخريف جبينها — ص ٢٣ » فللاستاذ رأيهُ فيهِ ولعلهُ لو قال « المنظر » في هذا البيت لكان افضل من « النظرة »

ويطلق الفكرة ثم يبدو لهُ ما يُخال ناقضاً لها فلا يتردد في اطلاقهِ الى جانبها: يقول في «حكمة الجهل» : «در مع الناس كيّساً كغبي . . . وتجاهل ... واذا المرء كان بالحمق يحظى فمن الحمق ان تكون حكيما» ثم يقول في « الشيء من غير معدنهِ » : « ليس أضنى لفؤادي من عجوز تتصابى ودميم يتحالى وعليم يتغابى . . »

والديوان مليء بنظم الخواطر في الفلسفة والحكمة والاجتماع ، تكسوها شاعريته حلة نقية اذا هي لم يهتز لها الشعور فانها مما يطول فيه التأمل . فكثير من شعره قد لا يشغل العاطفة وانما يطيل شغل العقل ، وأكاد اقول ان فيه ماهو مباحث علمية منظومة لولا ما يأخذ قارئها من روعة هي وليدة إجادة السبك ونتيجة الابداع في البيان

***

وهممت بأن اشير الى ما مال اليه الطبع من قصائد ومقاطيع ومفردات مختارة في الديوان كقصيدة « الشاعر الاعمى » و« النوم » و « الحب الاول » و « رحلة الى الخزان » و« في اسوان » ومقطوعة « دواني وداني » و« يوم المعاد » و« اليقين » و« هيكل أدفو » و « الكون والحياة » و « أين السعادة » و « النار » و « رثاء طفلة » وأمثالها فرأيت الافاضة تعرّض للاطالة ، وحسب ديوان العقاد أنهُ ثمرة ناضجة في الادب الصحيح ودرة ثمينة في عقده « قارئ »

﴿ الثقافة ﴾ مجلة علمية ادبية شهرية لصاحبها ومديرها المحامي عبد الجليل برتو تصدر في البصرة — عراق وتطبع بالمطبعة الكاظمية فيها وقيمة اشتراكها ٩ ربيات في السنة

﴿ رواية بائعة الخبز ﴾ تأليف الكاتب لونسون دي تيرايل وترجمة المرحوم طانيوس عبده . عني بنشرها الياس افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر وهي جزآن صفحاتهما ٣٦٥ من القطع الكبير

﴿ رواية المتنكرة الحسناء ﴾ تأليف جول ماري وترجمة المرحوم طانيوس عبده وقد عني بنشرها الياس افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بالفجالة بمصر صفحاتها ١٥٤ من القطع الكبير

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) الحمى القرمزية والمناعة

نيويورك . اصيبت ابنتي منذ اسبوعين بالحمى القرمزية . وكان ابني وهو اكبرمنها سناً قد اصيب بها قبلاً فحسبنا ان اصابتهُ الاولى تقيهِ من اصابة تالية باحداث المناعة فيهِ . ولكن لم يلبث ان اصيب بالتهاب في حلقهِ صحبتهُ قشعريرة برد وحمى شديدة . وبقيتا تتناوبانهِ يومين وظلَّ حلقهُ ملتهباً ستة ايام ولم يفد في علاجهِ دواء ما شرباً كان او غيره ومع ذلك فلم يظهر على جلدهِ طفح ما . افكان ذلك اصابة خفيفة بالحمى القرمزية منعتها الاصابة الاولى من أن تكون قوية ؟ وهل من حادثة مشابهة لهذهِ الحادثة ؟

ج . تجدون في « باب شؤون المرأة وتدبير المنزل » مقالة سهلة المأخذ واضحة المعاني موضوعها « العدوى والمناعة » وهي تفيدكم بوجهٍ عام عما يُعلَم في هذا الموضوع . والغالب ان اصابة واحدة بالحمى القرمزية تحدث مناعة تدوم مدى العمر . ولكن يحدث في بعض الاحيان ان من أُصيب بها مرة فقد يصاب ثانية . وفي المطوَّلات الطبية حوادث مدوَّنة من هذا القبيل . اما اصابة ولدكم فالمرجح انها كانت التهاباً عادياً من التهابات الحلق لا اصابة خفيفة بالحمى القرمزية . وهذا لا ينفي ما يقولهُ بعض الباحثين من حدوث اصابة بالحمى القرمزية من غير ظهور الطفح الخاص بها على جلد المصاب

(٢) الولادة الباكرة والزهري

انديانا . ولد لاحد اصدقائي طفل في الشهر السابع وكان لهُ حين ولادتهِ اظافر وشعر ووزنهُ ثلاثة ارطال وربع رطل . اما الام فعمرها ١٧ سنة واما الاب فعمره ٢٢ سنة وكلاهما متمتعان بصحة جيدة . فقال الطبيب الذي عالج الولادة ان سبب

الولادة الباكرة وجود المرض الزهري « السفلس » في اجداد احد الابوين . ولدى البحث لم يعثر على أثر لهذا المرض الخبيث في اجداد الاب . واما الام فلا تعرف عن اجدادها ما يمكنها من الاجابة عن هذا السؤال ولكن صحتها جيدة ولا أثر لهذا المرض فيها . فما رأيكم

ج . للولادة الباكرة اسباب كثيرة غير وجود السفلس في الابوين او اجدادها ولذلك لا يستطيع احد ان يثبت مما ذكرتم ان هذه الولادة الباكرة دليل على وجوده

(٣) مصل السعال الديكي

ومنهُ . هل استنبط مصل شاف للسعال الديكي يمكن اعطاؤهُ لطفل في الشهر التاسع من عمرهِ ؟

ج . يظهر ان الاطباء الذين لهم خبرة واسعة في معالجة السعال الديكي لا يزالون مختلفين في الرأي على فائدة المصل . فبعض الاطباء يقولون انهم حصلوا على نتائج باهرة لدى استعمال الحقن بالمصل والبعض الآخر يعارضهم في ذلك ونحن نظن ان الامر يجب ان يكون في يد الطبيب المعالج فاذا كان يعتقد ان احد الامصال المستعملة الآن يفيد فليستعملهُ . وعلى كلٍّ فلا ينتج ضرر ما من استعمالهِ

(٤) فقد النطق سببه وعلاجه

غزه . يوجد ولد لهُ من العمر سنتان ولحد الآن لم يتكلم إلاَّ بعض كلمات غير وافية اللفظ ، لكنهُ حاد الذكاء الى درجة بعيدة وسريع الفهم والسمع ويعبر عن مطلوبهِ بالاشارة وبالذهاب الى مطلوبهِ بنفسهِ وهو كثير الحركة ، فما هو السبب الذي يجعلهُ غير قادر على النطق لحد الآن مع ان كثيرين من البنين والبنات من جيلهِ ينطقون . هل يوجد مرض يحول دون ذلك ام هو متسبب عن نقص في الاب والام . ولهذا الولد اخ يتقن ثلاث لغات ، فاذا كان يوجد نقص فمن اي طريق وصل اليهِ ، هل يوجد لديكم واسطة تمكننا من تدريبهِ على الكلام ؟

ج . يظهر ان مركز النطق في دماغهِ مصاب بعلة اما من مرض واما من آفة اصابتهُ في طفوليتهِ فضغط جزء من عظم الدماغ على مركز النطق وهذا يشفى بعملية جراحية تزيل هذا الضغط . وقد يكون السبب قِصَر في رباط اللسان من داخل الفم يعوقهُ عن الحركة بسهولة وهذه حالة خلقية توجد في عدد غير قليل من الاطفال وهي قابلة للشفاء في الغالب بعملية جراحية بسيطة وقد عملت لكثيرين من الاطفال بين الثالثة والسابعة من عمرهم فشفوا شفاءً تامًّا وامكنهم التكلم في مدة ثلاثة اشهر

(٥) ضربة الليمون

طرابلس . انتشرت حشرة قشرية بين

الفصيلة البرتقالية وكثر ضررها في يافا وصيدا واخذت تنمو الآن بين جنائن طرابلس وبساتينها وهي قشور رقيقة مستديرة سوداء صغيرة وسطها محمر وقطرها مليمتر الى مليمترين ملتصقة على اغصان الشجرة ولكنها على الاوراق والاثمار اكثر. وقد اطلعنا في مجلة اللطائف المصورة في عددها الصادر في ٢٣ يناير الماضي في باب الاختراعات الجديدة ان احد الالمان ركب مادة اذ طعمت بها الشجرة حفظتها من كافة الامراض والحشرات الضارة . فان صح ذلك فما اسم هذا العالم وما عنوانهُ وكيف الحصول على هذا العلاج

ج . نشرنا في الجزء الاول من المجلد الحادي والاربعين من المقتطف مقالة مسهبة في هذا الموضوع عنوانها « ضربة الليمون » فنرى ان تراجعوها. اما المادة المذكورة التي اشارت اليها اللطائف المصوَّرة فلم نطَّلع على نبإٍ اكتشافها في المجلات العلمية التي تصلنا . ولكنكم ترون في هذا الجزء مقالة عن حرب « الانسان على الحشرات » والمجلة التي نقلناها عنها تقول ان قسم الحشرات بوزارة الزراعة الاميركية مستعد ان يجيب كل السائلين عما يطلبونهُ من الحقائق والمعلومات لمكافحة انواع الحشرات المختلفة فنشير عليكم بان تبعثوا اليهم بوصف مسهب لهذه الحشرات وتسألوهم عن افعل الطرق لمكافحتها وعنوانهم

The Entomological Bureau
Department of Agriculture
Washington D.C.
U. S. A.

(٦) بأبي القاهرة

القدس . من اول من بنى مصر (القاهرة) وهل في قول بعض الناس ان لسيف بن ذي يزن نصيب في بنائها صحة ما

ج. كان الموقع الذي تقوم عليهِ القاهرة الآن ارضاً خلاءً قبل فتح العرب لمصر . وكانت منفيس على ١٢ ميلا منها جنوباً على الضفة المقابلة من النيل وهليو بوليس على نحو ٦ اميال شمالاً في شرق. واقدم الضواحي المأهولة في جوار ما هو القاهرة الآن كان بابليون ولعلها كانت ضاحية شمالية من ضواحي منفيس. وكانت لا تزال مأهولة في القرن السابع بعد الميلاد . وقد جاء في كتب استرابون المؤرخ ان مؤسسي هذه البلدة قوم هاجروا من بابل في ما بين النهرين واسسوها سنة ٥٢٥ ق . م . اي حين غزا الفرس مصر . وبنى الرومان في هذه الناحية حصناً جعلوهُ مركزاً عامًّا لاحد فيالقهم الثلاثة التي كانت تحفظ الامن في البلاد المصرية زمن حكمهم . وبعد ما استولى عمرو بن العاص فاتح مصر على بلدة بابليون حاصر الحصن الروماني حتى استولى عليهِ في

شهر ابريل سنة ٦٤١ ميلادية . وقد زالت بلدة بابليون الآن ولكن بعض جدران الحصن لا تزال قائمة

والقاهرة هي العاصمة الاسلامية الرابعة للديار المصرية اقدمها الفسطاط التي بناها عمرو فزهت وازدهرت في عصر الامويين وأُطلق عليها اسم مصر . وتلتها مدينة العسكر التي بناها القائد سليمان بعد انتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين وصارت مقرًّا لنواب الخلفاء العباسيين في القطر المصري . وتلتها العاصمة الثالثة وهي القطايع التي اسسها احمد بن طولون سنة ٨٧٣ ب . م . واحدثها « القاهرة » التي بناها جوهر القائد سنة ٩٦٨ ميلادية . وقد كانت القاهرة اولاً كما كانت الفسطاط المكان الذي ضرب فيه القائد خيامهُ . والمدينة التي بناها جوهر القائد تشغل الآن الجانب الشمالي الشرقي من العاصمة الحالية . ومما تقدم يتضح انهُ لم يكن لسيف بن ذي يزن نصيب ما في بنائها

(٧) البقع البيضاء على الاظافر

بيروت . ما هو سبب البقع البيضاء التي نراها احياناً على بعض الاظافر . فقد قيل لي ان سببها عدم انتظام المعدة ولكن حين اصاب بعدم انتظام المعدة لا أرى أثراً لهذه البقع وحين أرى هذه البقع لا اكون في الغالب مصاباً بعدم انتظام المعدة فما رأيكم

ج . سبب هذه البقع عدم تغذية جذور الظفر تغذية كافية وهذا يحدث غالباً بعد مرض اضعف الجسم ضعفاً عامًّا

(٨) الصابون في الحلاقة

البصرة . من استنبط الصابون في الحلاقة فان الحلاقة قديمة والصابون حديث

ج . ان الحلاقة قديمة كما ذكرتم ولكن عمل الصابون غير حديث فقد كان معروفاً منذ نحو الفي سنة ووجدت مصبنة كاملة في خرائب بمباي . وكان الرومانيون يستعملون الصابون لغسل الشعر وتلميعهِ وكانوا يحلقون لحاهم فلا يبعد ان يكونوا قد اهتدوا الى بلها بالصابون ليسهل حلقها

(٩) تكون الدمع

جاوى . كيف يتكوَّن دمع العين حالاً في ساعة الحزن او الفرح الشديد

ج . الدمع موجودٍ في الغدد الدمعية يقطر منها قليلاً قليلاً بما يكفي لترطيب العين وباطن الجفنين ويجري من هناك الى الانف . ولكن اذا حدث حادث فجائي وانقبضت بهِ العضلات التي حول العين انقبضت معها العضلات التي حول الغدد الدمعية فانعصرت بانقباضها وخرج الدمع منها كما في السعال الشديد والضحك الكثير . وهياج العواطف في الانسان يؤثر فيها مثل ذلك فتهطل الدموع منها

باب الاخبار العلمية

صورة الغلاف

تمثل صورة الغلاف رسماً للملكة تيتي شيري او تايتا شارا . وهي «الجدة الجليلة لاعظم ملوك الاسرة الثانية عشرة التي تجسَّد فيها عهد التجديد الوطني لان اولادها واحفادها هم الملوك الاشاوس الذين انقذوا مصر من نير الاسيويين الهمجي» كما وصفتها حضرة صاحبة السمو السلطاني الاميرة قدرية حسين في رسالة مسهبة نشرها لسموّها المقتطف سنة ١٩٢٦ وقد اعدنا نشر هذه الصورة على ذكر مقالة توفيق افندي حبيب المنشورة في هذا الجزء التي جاء فيها على فذلكة من تاريخ دراسة الآثار المصرية في مصر من عهد المغفور لهُ الخديو اسماعيل الى الآن

اصول الحضارة الهندية

نشرنا في اول هذا الجزء مقاله ضافية وصفنا فيها مكتشفات اثرية خطيرة الشأن كشف عنها الباحثون في ولايتي البنجاب والسند بالهند يُستدَلّ منها على ان اصحاب هذه الآثار كانت لهم حضارة راقية منذ خمسة آلاف سنة. ولما ضاق بنا المقام في المقالة المذكورة عن ذكر الاختام التي وجدت هناك واصول الفن التي كانت مرعية الجانب حينئذٍ لخصنا ذلك فيما يلي والكلام على لسان السر جون مرشال مدير البحث الاثري في الهند

الاختام

اما الاختام — وقد وجدنا نحو الف منها — فكانت تعلق حول العنق او المعصم وتستعمل لختم بالات البضاعة كما جرت العادة في الهند على ما هو مدوَّن في التاريخ . وليس بعيداً عن المحتمل انهم كانوا يستعملونها بما نقش عليها من صور الحيوانات كتعاويذ لاسباب دينية . اما الخرافات المنقوشة عليها فتقرأ من اليسار الى اليمين . وقليل منها يشبه بعض الاختام السومرية ولكن لم نرَ دليلا على ان للصور المنقوشة عليها دلالة صوتية ولا ان بين لغتي البلادين علاقة ما

الفن

اما فن الحضارة السندية فيختلف عن فن البلاد المجاورة رغم وجود عناصر متشابهة بينها . فصور الحيوانات المنقوشة

على الاختام او المصورة في القيشاني من طبقة عالية دقة واتقاناً تفوق ما كنا ننتظر الحصول عليه في عهد يذهب الى ابعد من ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح اما صور الناس فسواء كانت منقوشة او ممثلة في الرخام او الصلصال او البرونز فضعيفة التمثيل تدل على ان المثالين كانوا قليلي الخبرة في رسم جسم الانسان . على ان في كل تمثال منها دلالة على ان المثال كان يحاول ان يرسم او يمثل شخصاً حيًّا ولكنها لا تقابل من حيث الاتقان بما وجد من آثار الفن السومري

الوزارة المصرية الجديدة

اغتنم حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة المصرية سابقاً فرصة وجوده في انكلترا في الصيف الماضي بمعية حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد فحادث السر اوستن تشمبرلين في المسألة المصرية وبعد اخذ وردٍّ داما نحو سبعة اشهر عرض السر اوستن تشمبرلين على الوزارة المصرية مشروع معاهدة لم ترَها الوزارة المصرية محققة لاماني الامة فرفضتها واستقال ثروت باشا في ٤ مارس الماضي فتألفت الوزارة الجديدة برآسة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس النواب ورئيس الوفد المصري على المنوال الآتي

مصطفى النحاس باشا	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية
جعفر ولي باشا	وزيراً للحربية
واصف غالي باشا	وزيراً للخارجية
محمد نجيب الغرابلي باشا	وزيراً للاوقاف
علي الشمسي باشا	وزيراً للمعارف
احمد محمد خشبه باشا	وزيراً للحقانية
محمد محمود باشا	وزيراً للمالية
محمد صفوت باشا	وزيراً للزراعة
ابراهيم فهمي بك	وزيراً للاشغال
وليم مكرم عبيد افندي	وزيراً للمواصلات

وصدر المرسوم الملكي بتأليفها في ١٧ مارس الماضي فنتمنى لها كل نجاح في خدمة البلاد

بناء جديد في البرلمان المصري

اقترح حضرة صاحب العزة عبد الله بك سليمان اباظه عضو مجلس الشيوخ تشييد بناء جديد للبرلمان المصري على سراي الاسماعيلية هذا نصه :

إن ابنية البرلمانات في كل دولة عنوان عظمتها ومظهر من مظاهر عزها ومجدها فبناء البرلمان في لندن وباريس وروما يقع في اظهر مكان من المدينة واحسن بقعة فيها وقد بلغت عنايتهم بها ان جعلوها من حيث الابهة وروعة المظهر على احسن شكل حتى ان الزائر لتلك البلاد لا يملك

نفسه من فرط الاعجاب بجمالها الفني وشعور الهيبة التي تدخلها عظمة هذه الابنية في نفسه. هذا فضلا عن استكمالها لوسائل الراحة المعدة لاعضاء البرلمان وزائريه

اذا عرفنا ذلك وقارنا الحال بين تلك البلاد ومصر وجدنا الفرق عظيما والبون شاسعاً ذلك لان البرلمان الحالي لم تراع فيه الشروط الصحية الواجب توافرها لراحة الاعضاء والزائرين ويغلب ان السبب في ذلك راجع الى سرعة بنائه والعجلة التي اوجدتها الظروف في تشييده فقاعة الجلسة في كل من المجلسين غير صالحة للعمل فيها لشدة وطأة الحرارة بها والغرف تضيق باللجان والموظفين ومجالس الشيوخ يجتمع في بناء ضيق جمعت امكنته من مختلف الوزارات وبالجملة فان بناء برلماننا ليس له بهاء ولا جمال

ولما كانت سراي الاسماعيلية تقع في نقطة مناسبة وأرضها متسعة فهي في نظري أنسب مكان يصلح لتشييد برلمان جديد عليها يجمع بين العظمة والجمال ويتناسب مع ما لمصر من المركز السامي

ورب معترض يعترض بان ذلك يثقل كاهل الخزانة ولكن هذا الاعتراض مردود لان الارض من أملاك الدولة والمال يمكن توفيره وتجزئته لمدة ثلاث سنوات. هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الحكومة في حاجة عظيمة الى بناء البرلمان الحالي لتنقل اليه المصالح المشتتة في العاصمة وتتخلص بذلك من باهظ الايجار الذي تدفعه عنها

لذلك اقترح الموافقة على بناء برلمان جديد في هذه النقطة وفتح الاعتماد اللازم له

يوبيل ضومط الذهبي

يسر لجنة اليوبيل ان تعلن لتلامذة الاستاذ جبر ضومط الرئيس الاول للدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية ولمريديه وعارفي فضلهِ في جميع الاقطار العربية ان حفلة تكريمهِ ستقام في بيروت مساء السبت الموافق ٢٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٨ في منتدى الجامعة الكبير. وتخليداً لعملهِ العلمي شرعت تجمع الاكتتابات المالية لانشاء تذكار يليق بجهادهِ وفضلهِ وهي تتقدم الى جميع الذين يقدرون الفضل قدره من تلامذتهِ وسواهم ان يشتركوا بهذا اليوبيل اما بالتبرع المالي او بالرسائل والبرقيات والمراسلات باسم الاستاذ انيس الخوري المقدسي بجامعة بيروت الاميركية. فالمقتطف يغتنم هذه الفرصة لتكرير التهنئة لصديقهِ العلامة وينشر في عددهِ القادم بحثاً في « الاستاذ ضومط ومباحثهِ الفيلولوجية » بقلم المرحوم الدكتور صروف انشأهُ قبيل وفاتهِ . فنلفت اليهِ الانظار

الموميات المصرية

قدم معالي اسماعيل صدقي باشا لمجلس النواب اقتراحاً باعادة موميات الملوك المعروضة في المتحف المصري الى مدافنها الاصلية لاسباب بسطها معاليه في اقتراحه. وقد اجتمع مندوب المقطم بالدكتور بورخارت العالم الالماني الكبير الذي يشتغل في هذه البلاد من نحو اثنتين وثلاثين سنة وسأله عن رأيه في اقتراح صدقي باشا فاجاب :

« ان الفكرة التي يحويها اقتراح معالي اسماعيل صدقي باشا المعروض على مجلس النواب فكرة صائبة كل الصواب تنمّ في الواقع على احترام ماضي مصر العظيم وقد عنّت من قبل للبحاثة الالماني الكبير المرحوم الدكتور شوينفورت ولقيت من دفاعه بالقول والكتابة الشيء الكثير وان كان قد اخرجها بصورة تختلف بعض الاختلاف عما جاء به صدقي باشا

«وانا نفسي لا يسعني الاَّ القول اني ما مررت مرة بموميات الملوك في دار الآثار الاَّ اعتراني الخجل عن اولئك الذين اقاموا هـذه الموميات هناك لهذا الغرض المزري. او ليس من المزري حقّاً ان يعرض تحوتمس الثالث الذي امتد سلطانه من السودان الى دجله والفرات ليتفرج عليهِ الناس مقابل عشرة قروش؟ او ليس بغيضاً الى النفس ان يعرض امينوفيس الثاني في تابوته بوادي الملوك وعلى وجهه مصباح — كالمصابيح التي تضيء آلات البيانو — ينير تقاطيع وجهه وان تعرض موميات الامراء الاربعة في غرفة مجاورة لقبره مضاءة بالكهربائية يطلع من يشاء على ما فيها مقابل ١٨٠ قرشاً كما لو كانت « ملعباً للمرعبات » في معرض من المعارض التي تقام في البلدان كل عام

« ان في دار الآثار الكفاية مما تجدر بالناس رؤيته ويعجب بجماله وفيها الكفاية من هذا ومن آثار اخرى يصح معها ان تنصرف مصلحة الآثار عن هذا النوع من الوسائل المزرية في ترغيب السياح »

فسألهُ مندوب المقطم هل من رأيه ان تعاد موميات الملوك الى مقابرها فأجاب:

« ان اعادة الملوك الى مقابرهم لا تخلو من خطر فقد تخرجهم منها عاجلا او آجلا أيدي اللصوص والعابثين وقد يرسلونها بعد ذلك الى الاسواق التي يتجر فيها الناس بالآثار فالشيء الوحيد المستطاع هو ان يشيد لهم في القاهرة بناء يليق بهم وبعبارة أخرى « مدفن ملوك » كما اقترح شوينفورت . ولعل الوقت الحاضر هو

اصلح الاوقات لذلك فان دار الآثار التي كانت يوم ان افتتحت متناهية في السعة صارت اليوم تضيق بما فيها من الكنوز ولا تتسع لوضعها الوضع اللائق بها . فالضرورة قائمة من زمان بعيد لبناء يجعل في اسفله مدفن للملوك لا يغشى إلا نادراً ولمناسبات تقتضيها الابحاث العلمية التي تتحقق فائدتها . ويخصص الدور الاول لكنوز قبر توت عنخ آمون والدور الاعلى لغير ذلك من آثار مقابر الملوك

« ولعل خير مكان يشيد عليهِ هذا البناء هو جنوب الجزيرة في المكان الذي اراد المغفور له الخديو اسماعيل ان يشيد عليهِ دار المتحف الاولى اذ ليس في جوار المتحف الحالي مكان يصلح لهذا الغرض »

كنز ذهبي في بوليفيا

تألفت حديثاً شركة غايتها البحث عن كنز تركهُ اليسوعيون في بوليفيا حين نفاهم الاسبان منها سنة ١٧٧٨ . وكان قد مضى عليهم احدى عشرة سنة يقاومون الحكومة وكانت الحكومة قد سدّت عليهم كل طريق فلم يستطيعوا ان يصدروا شيئاً من الذهب والفضة والحجارة الكريمة التي استخرجوها من مناجمهم في تلك الاثناء . ويقال ان منجمين من هذه المناجم كانا من أغنى المناجم المعروفة ثم تمَّ الاتفاق على ان يسمح للجزويت بمغادرة البلاد انما اشترط عليهم ان يعطوا الحكومة ما جمعوه من الاموال . فلم يفعلوا مفضلين ان يدفنوها في الارض وحتى الآن لم يعثر عليها احد مع ان شركات مختلفة تألفت لهذا الغرض . ويقال ان احد الاباء اليسوعيين الاب جريجوريو سان رومان ترك مع اخيهِ مدير بوليس كالو وصفاً للمكان الذي دفنت فيهِ هذهِ الاموال فبقي هذا الوصف ينتقل في اسرتهم الى ان وقع في ايدي المستر سسل پروجرز فاعطاهُ للمستر ادجر ساندرز الذي الف هذه الشركة الجديدة وهي تنوي ان تبدأ اعمال البحث والحفر في هذه السنة . وتقدَّر قيمة الكنز بنحو ١٢ مليون جنيه

قدم الانسان في أميركا

كثرت الانباء الواردة من انحاء الولايات المتحدة الاميركية بالعثور على آثار مختلفة للانسان القديم ثم ثبت ان اكثر ما ذكر غير صحيح او انهُ لم يحقَّق تحقيقاً علميًّا وافياً لذلك اهتم علماء آثار الانسان باقوال البعثة العلمية الاميركية التي عهد اليها المعهد العلمي السمثصوني في ان تذهب الى ولاية فلوريدا حيث قيل ان احد الباحثين عثر فيها على آثار للانسان في ثلاث طبقات جيولوجية متراكمة تعود الى عهد

البليستوسين . فانهُ واضح ان اعلى هذه الطبقات غير باقٍ على وضعهِ الاصلي ولذلك فالمرجح ان آثار الانسان التي وجدت فيهِ ليست قديمة . وعمل اللجنة سيتجه بنوع خاص الى البحث في الطبقة الثانية والحكم في هل هي باقية على وضعها القديم ام لا لان بعضهم يرى ان الارض هناك انقلبت بعامل بركاني او ما اليهِ وان ما وجد فيها من آثار الانسان انما رسب هناك في عصور حديثة

اختراع جديد في الطيران

جاء من دترويت ان المشتغلين بالطيران يتوقعون انقلاباً خطيراً في مبدإ الطيران على اثر اختراع شكلٍ جديد لمحرك يحركهُ جهاز كهربائي بدلاً من البنزين ويدور هذا الجهاز بقوة كهربائية مغنطيسية على مثال حركة دوران الارض

وقد جرب الكولونل لندبرغ والميجر لانفيار اللذان فكّرا في استعمال هذا المحرك الجديد تجارب دلت على انهُ يمكنهُ أن يدور ١٨٠٠ دورة في الدقيقة واكدا انهُ يستطيع ان يدور الفي ساعة قبل ما تقضي الحاجة بملء الجهاز مرة اخرى

وقررت شركة جوجنهيم ان تعقد مؤتمراً معجلاً يحضرهُ اصحاب الاختراع الجديد والكولونل لندبرغ والميجر لانفيار للبحث فيهِ

رشدي باشا

في مساء الاربعاء ١٤ مارس الماضي وقبيل منتصف الليل فجعت مصر بفقد رجل آخر من الرجال الذين تعدّهم الامم لساعاتها العصيبة ومواقفها الحرجة لما فاضت روح حسين رشدي باشا الى خالقها فطويت بموتهِ صفحة خطيرة من تاريخ مصر الحديث ونهضتها الجيدة . وسنأتي على ترجمتهِ في عدد تالٍ

مذنب جديد

الهر رينمث مساعد في مرصد كونجستول بهيدلبرج اشتهر ببحثهِ عن النجيمات وقد كشف نحو مائة منها حتى الآن . وفيما هو يبحث عن نجيمات جديدة كعادتهِ في ٢٢ فبراير الماضي كشف مذنباً جديداً من القدر الثاني عشر تقريباً . وهذا اول مذنب كشفهُ واول مذنب كُشف سنة ١٩٢٨

منارة يخترق نورها الضباب

صُنعت في نيويورك منارة قوتها ٠٠٠ ١٣٠٠ شمعة نورها قرمزي يخترق الضباب المتلبد الى مسافة ١٢٠ ميلاً لكي تكون دليلاً للبواخر وهي داخلة الى مرفإ نيويورك حين يكون الضباب كثيفاً

طيارة الاخوين ريط

يذكر قراء المقتطف اننا اشرنا في السنة الماضية الى خلاف قام بين المستر اورفيل ريط ومديري المعهد السمثصوني على نصيب المستر لنغلي في استنباط الطيارة وهل كانت طيارتهُ اول آلة اثقل من الهواء تمكن انسان من الطيران بها . وانهُ لذلك عزم ان يهدي الطيارة الاولى التي صنعها مع اخيهِ المستر ولبور ريط وطار احدهما فيها في ١٧ دسمبر ١٩٠٣ الى المتحف العلمي بسوث كنسنغتن — لندن . وقد اطلعنا الآن في مجلة ناتشر ان المستر ريط اعار المتحف هذه الطيارة لمدة معينة لتعرض على اعين الجمهور

الطيار هنكلر

في ٢٢ فبراير الماضي وصل المستر هنكلر الطيار الانكليزي الى بورت داروِن في شمال استراليا بعد ما طار من لندن اليها مسافة ١٢ الف ميل في ستة عشر يوماً و١٣٤ ساعة من الطيران الفعلي اجتازها في خمس عشرة مرحلة منها مرحلتان طويلتان الاولى من لندن الى رومية وطولها ٨٧٠ ميلاً اجتازها في ١٣ ساعة والاخرى من بلدة بيما في جزائر الهند الشرقية الى بورت داروِن وطولها ٩٥٠ ميلاً . وقد استقلَّ لذلك طيارة صغيرة من ذوات الجناحين لا تزيد قوتها عن ٨٠ حصاناً وقام بالرحلة كلها وحيداً

علاج الجذام

زيت الشولموجرا دواء قديم في معالجة الجذام ولكن الباحثين لم يستخرجوا منهُ علاجاً مفيداً لهذا الداء الاَّ بعد تجارب طويلة قام بها بعض اعلام الاطباء امثال مانَسن ورو وهايزر وروجرز وغيرهم انتهت باستنباط دواءٍ يُدعى الپيول واسمهُ العلمي هيدروكاربات الصوديوم ويستعمل حقناً . وقد ابان السر ليونارد روجرس لجمعية الجذام الانكليزية في ٢٤ فبراير الماضي ان الحقن بهذا الدواء يشفي اكثر الذين يعالجون بهِ وخصوصاً اذا بدأوا المعالجة في أول درجات المرض

معهد علمي طبي مصري

تخليداً لذكرى سعد باشا زغلول

علم احد مندوبي المقتطف ان نية اعضاء اللجنة التي تألفت لتخليد ذكرى المغفور لهُ سعد باشا زغلول متجهة الى ان تنشئ بالمبالغ التي يكتتب بها الآن « معهداً علميًّا طبيًّا » على منوال معهد باستور وهي فكرة سديدة لشدة حاجة مصر الى معهد كهذا

كلفة كبيرة

ظهرت كلفة كبيرة على وجه الشمس في ٢١ فبراير الماضي رآها اناس بلندن بالنظر الى الشمس من وراء زجاجة مدخنة . ولما نظر اليها العلماء بالتلسكوب وجدوها كلفة كبيرة تصحبها كلف صغيرة على طرفها الجنوبي وهي قريبة جدًّا من مركز قرص الشمس

مجمع تقدم العلوم الاميركي

انتخب الاستاذ هنري اوسبورن رئيس المتحف الاميركي الطبيعي بنيويورك رئيساً لمجمع تقدم العلوم الاميركي الذي يلتئم هذه السنة في مدينة نيويورك وهو من اكبر علماء البيولوجيا المعاصرين وقد اختصَّ بفرع الباليئتولوجيا اي علم الآثار المتحجرة

بعثة جوية الى القطب الجنوبي

الكومندر رتشرد برد طيَّار اميركي مقدام كان أول الطيَّارين الذين افلحوا في الطيران الى القطب الشمالي. وقراء المقتطف يرون لهُ مقالة في هذا الجزء وصف فيها طيرانهُ مع ثلاثة من رفاقهِ من نيويورك الى شواطىء فرنسا . وهو الآن يعد معدات رحلة جوية الى القطب الجنوبي والاصقاع المتجمدة حولهُ في دسمبر القادم غايتها جمع الحقائق العلميـة عن جغرافية تلك الاصقاع واحوالها الجوية وحيواناتها ونباتاتها وما الى ذلك

الجمعية الملكية ورؤساء الوزارة الانكليزية

ذكرنا في جزء سابق ان الجمعية الملكية ببلاد الانكليزا تنخبت المستر بلدون رئيس الوزارة البريطانية عضواً فيها . وليس المستر بلدون اول رئيس وزارة بريطانية حاز هذا الشرف الكبير . فقد سبقهُ اليهِ المستر دزرائيلي اذ انتخب عضواً فيها سنة ١٨٧٦ والمستر غلادستون الذي انتخب سنة ١٨٨١ والمستر اسكويث الذي انتخب سنة ١٩٠٨

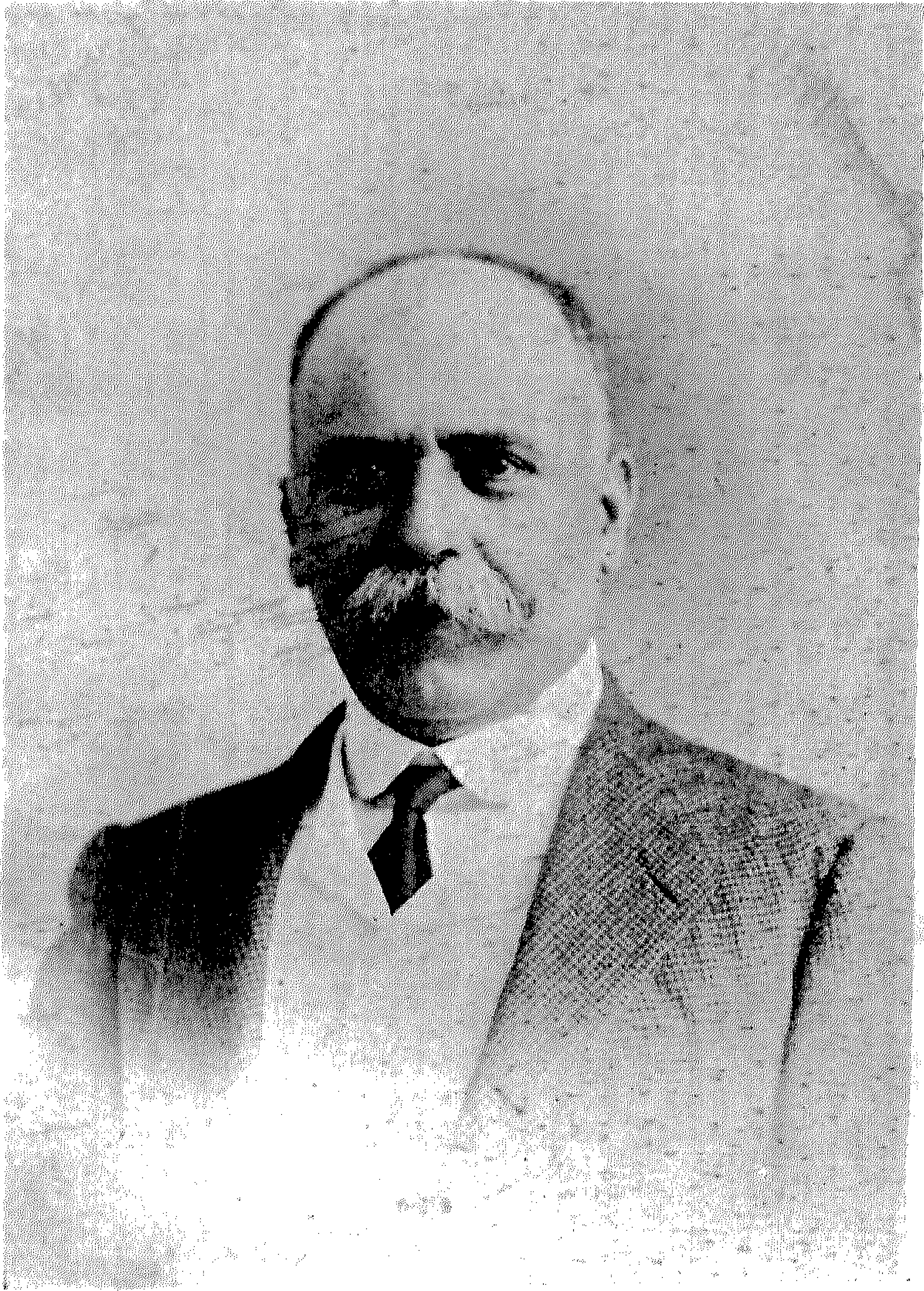
مساحة الدماغ

اذا بسطت الطبقة السنجابية في دماغ الانسان بلغت مساحتها قدمين مربعتين او اكثر وهي تحتوي على تسعة آلاف ومائتي مليون خلية من الخلايا العصبية

هبات معهد ركفلر

انفق معهد ركفلر في اثناء سنة ١٩٢٦ نحو مليوني جنيه على تشجيع البحث الطبي ومكافحة الامراض في كل انحاء الارض

الجزء الرابع من المجلد الثاني والسبعين



الاستاذ جبر ضومط

انظر صفحة ٥٠٤

مقتطف مايو ١٩٢٨

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١١ ذي القعدة سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

حياة اللغات ومميزاتها

ان مميزات اللغات ليست قائمة بما فيها من الاسماء والافعال بل بما فيها من حروف المعاني واساليب التصريف والاشتقاق وتركيب الجمل . اي بصرفها ونحوها وبيانها . ففي اللغة التركية الوف من الكلمات العربية وقد تقرأ سطرين فيها مؤلفين من عشرين كلمة فتجد فيها عشر كلمات عربية ومع ذلك يبقى الكلام امامك تركيًّا مغلقاً لا تفهمه ما لم تتعلم اللغة التركية لان تصاريفها وتراكيبها وحروف المعاني فيها غير ما هي في العربية . وكل ما دخل التركية من لغة العرب لم يصرفها عن كونها تركية ولا حطّ من منزلتها بل زادها غنىً وزاد اهلها مقدرة على التعبير عن المعاني . ومثل ذلك اللغتان الانكليزيةوالفرنسوية فان فيهما عشرات الالوف من الكلمات التي تشتركان فيها ومع ذلك فكل لغة منهما مستقلّة عن الاخرى تمام الاستقلال ولا يستطيع الفرنسوي ان يفهم الانكليزية ما لم يتعلمها ولا الانكليزي الفرنسوية ما لم يتعلمها . وتعلّم اللغة الواحدة على ابناء اللغة الاخرى ليس اسهل من تعلمها على ابناء العربية لان مميزات كل لغة منهما انما هي في المختلف من حروفها وتصاريفهما وتراكيبهما لا في المتماثل من اسمائهما وافعالهما . ولقد دخل العربية قبل جمع معجماتها كثير من الكلمات اليونانية والقبطية والفارسيةوالسريانية فلم يغضّ ذلك من كرامتها واستمرّ الدخيل يضاف اليها حتى الآن ويستحيل ان ينقطع ما دامت اللغة حية والمتكلمون بها يخالطون غيرهم من اهل اللغات الاخرى

الصحافة العلمية والنهضة الشرقية

رسالة المقتطف(١)

حضرة صاحب المعالي : سيداتي وسادتي :

مهما اختلفت آراء الكتاب والمفكرين ، وتشعبت مذاهبهم في النظر الى ماهية التاريخ ، وتحديد العوامل التي تدفع بالحضارة الى الامام ، ووصف مظاهر العمران ووجوه ارتقائه . فلا ريب في ان الكل مجمعون على ان التاريخ في صميمه انما هو حديث ارتقاء الفكر البشري وانطلاقه من قيوده وابداعه في مآتيه

فبالفكر تغلّب الانسان على طوائف الاحياء التي كانت تنازعهُ البقاء في ميدان الوجود . وبالفكر تحرر من قيود الاوهام التي كانت تقعد بهِ عن النهوض والجري في مضمار الرقي . وبالفكر سيطر على عناصر الطبيعة ونفذ الى مكامن اسرار الحياة : تطلع الى الكواكب فقاس أبعادها واجرامها وحلل عناصرها وعيَّن نسبها ومقاديرها . والى الجراثيم فدرس طبائعها ووسائل استخدامها واتقائها . والى العقل فكشف عن اصول الفكر والحفظ والغريزة والعاطفة والعادة. والى الاحياء فقرر نواميس نشوئها وارتقائها. وبالفكر ايضاً تحكم في قوى الطبيعة وأخضعها لمطالبه . فطوّق الارض بامواج الاثير. وجاب البحار على مدن طافية . وحلّق في الجو بجناح وبغير جناح. وتصدى لحالك الظلام فبدد غياهبه بانوار تلبس الليل جلباب النهار . ووصل بين ضفاف الانهر بكبارٍ هي في الحقيقة أشعار رائعة قوامها الخيال والذكاء والجمال والحديد

***

والصحافة أيها السادة ، الصحافة الراقية التي تنظم في سلك نشراتها اليومية انباء العمران من اربعة اقطار المعمور . فتجمع بين التدوين النزيه والنقد المنصف . وتعتمد في كل ما تذيعهُ على الرأي الخالص الناتج عن الروية والعلم . والعاطفة الشريفة يلطفها ويضبطها العقل الراجح والحكم المعتدل . والبداهة المصقولة بالاختبار . والاستقلال القائم

(١) الخطبة التي القاها محرر هذه المجلة في حفلة تأبين المرحوم الدكتور صروف التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية في ٣ مارس الماضي . راجع وصف الحفلة وما تلي فيها من الخطب والقصائد في هذا الجزء صفحة ٥٥٣ وما بعدها

على السعي في سبيل النفع العام — هذه الصحافة ايها السادة قوة من قوى العمران الحديث خلع عليها احد الكتاب الفرنسيين ثوب الملك ولقبها بصاحبة الجلالة وهي جديرة بذلك

وحين انتقل من التعميم الى التعيين أخص بالذكر الصحافة العلمية التي يقيم اصحابها في جو هادئ بعيد عن منازعات السياسة ومشاغبات الحياة وقد آلوا على انفسهم البحث عن الحقيقة ونشرها بين الناس فاقول انها مظهر من امجد المظاهر للارتقاء الفكري الذي ذكرت وركن من امتن الاركان التي تقوم عليها الحضارة في القرن العشرين

ففي ساحتها تلتقي اقلام الكتاب والمفكرين بافهام القراء وهذا الالتقاء يولد احتكاكاً والاحتكاك يبعث في العقول نوراً وفي النفوس ناراً. فهي تأخذ باليمين لتعطي باليسار. تأخذ من المبدع والعالم والمستنبط والكاتب والاستاذ. لتعطي الزارع والتاجر والصانع والمدرس والطالب. هي صلة الاتصال بين عالم الابداع الفكري وعالم التطبيق العملي. هي مرتبة متوسطة بين مباحث العلماء الفنية ومدارك الجمهور الذي يطلب الحقائق جلية واضحة، تقبلها العقول وتسيغها الافهام. والعلم لا يرتقي ايها السادة. ولا ينال قسطهُ من الشيوع والتأييد. ولا تُجتنَى الفوائد التي يجب ان تجنى منهُ. الاَّ اذا اتصلت نتائج المباحث العلمية بمقتضيات العمران وتغلغلت في كل مصدر من مصادر الحياة الفردية والاجتماعية

لذلك كان بسط الحقائق العلمية ونشرها لازمين كشفها وتحقيقها. وهذا البسط والنشر جانب من المهمة العظيمة التي تضطلع باعبائها الصحافة العلمية من نوع المقتطف

واني واثق كل الثقة بانهُ متى آن الاوان لكتابة تاريخ للنهضة الشرقية الحديثة على قاعدتين من الانصاف والتحقيق لا يسع المؤرخ ان يغفل نصيب الصحافة العلمية في اذكاء نورها ونارها. فالجهل ظلام والظلام عبودية. والعلم نور والنور حرية. والحرية تطلق امام العقل مجال الابداع وامام الهمة ميدان العمل. والعقل المبدع تدعمهُ الهمة العالية أساس لكل عمل موفق ونهضة حية وعمران صحيح

***

نظرة أيها السادة الى تاريخ نشأة المقتطف. ولنطوِ بالخيال والفكر اثنتين وخمسين سنة

من تاريخ الشرق نرود امصاره ونرنو الى احواله ونتتبع مظاهر املهِ ويقظتهِ حتى نستقرَّ على رابية في رأس بيروت نزل فيها جماعة من عمال الخير فأنشأوا معهداً للعلوم الحديثة قال رئيسهم في غايته : في ساحة هذا المعهد تلتقي العقول التي تروم الكشف عن اسرار الوجود . والنفوس التي تتطلع الى ادراك كنـه الحياة ومبدع الحياة . ندربها على البحث العلمي القائم على الدقة والانصاف ونولجها هيكل الحقيقة في موكب من عرائس الافكار . لا نعرف للمذهب الديني سبيلاً يفسد علينا غايتنا . ولكننا نجعل لاصول الدين القويم المكان الاعلى في كل اعمالنا لاننا نريد ان نخرج للحياة رجالاً تشد العقيدة الراسخة فيهم العقل المثقف والرأي الحصيف

في هذا المعهد العلمي المنير نشأ المقتطف وترعرع

وعلى اقطابه الاعلام تلقى منشئاه قواعد العلوم الحديثة وأساليب التفكير الحر

وفي دوره ومعامله وأنديته طبعت نفساهما بأن العمران بناء فسيح الرحاب يقوم على دعائم كثيرة اقواها وألزمها دعامتا العلم الصحيح والتهذيب الديني القويم

هناك تسلما قبساً من النور نشراهُ في ارجاء الشرق

ولـكن مصراً كانت منذ اقدم عصور التاريخ ولا تزال منأى للكريم عن الاذى ، فحضنت المقتطف ورحبت بهِ وعطفت عليهِ ، لمّا كان سيف الاستبداد مصلتاً فوق رقاب الاحرار من ابناء سورية ولبنان ، فنزل المقتطف الديار المصرية على الرحب والسعة ، واتصلت اصوله بتربتها الغنية تستمد منها القوة والغذاء . وامتدت فروعه في جوها تتسامق الى افسح الاجواء . تأخذ من الحياة المصرية وتعطيها حتى غدا بتعضيد حكامها وعلمائها وأعلامها منارة تبسط من عاصمتها أنوار العلم على بلدان الشرق

***

خمسون سنة من التاريخ ا والحضارة سائرة سيراً حثيثاً الى الامام . ففي الآراء والافكار تنبه وتعديل . وفي الآداب والاخلاق والمعتقدات ثورة وانقلاب . وفي امور المعيشة تقدم وتغيُّر لا يضاهيهما تقدم ولا تغير في كل ما سبق من عصور التاريخ . وفي كل فروع العلوم وأبواب البحث اكباب على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى . والعلماء من كل قطر منبثّون في كل ناحية يبحثون ويمتحنون ويكتشفون ويستنبطون لا يعرفون الى الهزيمة سبيلاً ، ولا يقعد بهم عن تحقيق اغراضهم مشقة او

مرض او موت . وموكب العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على اشلاء مبدعيه

هذا من جهة . ومن جهة اخرى نرى الطبيعة هي هي ، اليها تحدى الركائب. وعلى النفوذ الى مكامن اسرارها تعلق أبعد الغايات . كواكب وسيارات واقمار ومذنبات تسير في الفضاء. وصخور تتدحرج على سطح الغبراء تاركة آثارها في صخورها وجبالها : وانهار تحتفر مجاريها في التراب . وحيوانات تبقى هياكلها في طبقات الثرى . ونباتات تكتب قبرياتها في اطباق الفحم. ورجال يقلبون الغامر عامراً والعامر جنة تجري من تحتها الانهار . فالهواء يدوي بالاصوات . والجو حافل بالاشارات . والارض كلها رقعةٌ دوّن فيها تاريخ الاحياء وغير الاحياء . والرقعة في ظرف مختوم لا بد من فضّ اختامه واعلان محتوياته واسراره

فمن اكثر العلوم النظرية دقة وغموضاً الى اكثرها انطباقاً على الاعمال وابعدها أثراً في معايش الناس. ومن أدق المعادلات الرياضية العالية الى اعوص الآراء الجديدة في شكل الكون وبناء المادة . الى أحدث المستنبطات والمكتشفات في الزراعة والصناعة والمواصلات والمخاطبات وأسباب المرض ووسائل العلاج — كل ذلك اصاب من التقدم في نصف القرن الماضي ما يجعلهُ من اعظم العصور مقاماً في التاريخ

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولا أميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب. في ميدانهِ الرحب التقت اقلام العلماء والمفكرين من ابناء الحضارتين . آناً تتفق آراؤهم وآناً تختلف . ومنشيء المقتطف واقف للعلم بالمرصاد ، يقتطف منهُ كل طارف وكل تليد، حتى غدت مجلته مدرسة سيارة ، ومنارة جوّالة ، ورابطة تضم ابناء الشرق في وحدة معنوية متينة في زمن عزت فيهِ اسباب التضامن وفشت عوامل التفرقة والانقسام

واذا سمحتم لي ايها السادة ان اتجرد هنيهة من علاقتي الشخصية بالمقتطف واصحابه لجردت من مجلداته السبعين ، شخصاً معنويًّا اضعه في مرتبة فرنسيس باكون الفيلسوف الذي نفخ الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكلوبيذيين الفرنسيين وعلّم ان المعرفة تطلب للقوة والسيطرة لا للتأمل والتخيل والتكهن بالغيب . وقضى على منطق ارسطوطاليس .واقام التجربة والامتحان اساساً للعلم ، فكان بذلك رائداً مقداماً شقّ

الطريق امام العلم الحديث الذي تغلغلت آثاره في كل مقومات العمران

***

فالمقتطف مجلة علمية صناعية زراعية ،كانت ولا تزال. لان منشئيه رأيا بتلك البصيرة النافذة التي تخترق القشور وتتعداها الى اللباب ، ان الشرقيين لا يستطيعون ان يباروا الغربيين في ميدان العمران الاَّ اذا اخذوا اخذهم في درس العلوم الطبيعية وجعلها وسيلة لاتقان الزراعة والصناعة . ودرس العلوم الفلسفية وجعلها قاعدة للآداب والاخلاق والمعاملات . وعرفا ايضاً ان الاقتصار على تدريس قواعد هذه العلوم في المدارس لا يفي بالحاجة لان تيَّار العلم لا يعرف السكون . وجياد المستنبطات أبداً في سباق . والسابق السابق منها الجواد

واية طائفة من علوم الغربيين عالجها المقتطف ؟

كل العلوم على الاطلاق . ولكنهُ قدّم منها العلوم التي يربون بها اطفالهم حتى لا يموت منهم نصف ما يموت من اطفالنا . ويحفظون بها صحتهم حتى لا يبلغ متوسط وفياتهم نصف متوسط وفياتنا . ويصنعون بها آلاتهم وادواتهم حتى يمخروا البحار بمراكب كالرواسخ ويخترقوا القفار بمركبات من النار . العلوم التي يقطعون بها الشجر ويسحقونهُ ويصنعون منهُ الورق ويطبعونهُ في يوم واحد . ويندفون القطن ويغزلونهُ وينسجونهُ بالبخار وبالكهربائية . ويكثرون بها جني الارض واصلاح انواع المواشي وخلق انواع جديدة منها . ويطوقون بها الارض بامواج لطيفة ينقلون على اجنحتها السحرية الصور والاصوات

فالوتر الاول الذي ضرب عليهِ المقتطف انما هو وتر العمل وتطبيق العلم على مقتضيات العمران

ولكنهُ عني ايضاً بنشر العلوم الفلكية والرياضية المجردة والمباحث الاثرية والتاريخية وسِيَر الرجال والنساء الذين كانت سيرهم واعمالهم ثروة عامة . لان نشرها يفتح امام العقل ابواباً مغلقة من حكمة الله وغرائب الطبيعة واسرار الحياة فتشحذ القرائح وتنضي الهمم وتحرك كامنات النفوس . ثم لا تلبث ان تجري في عروق الادب والفن دماً حارًّا فتيًّا تستفزّهُ الحياة وتستثيرهُ بآمالها وآلامها

يضاف الى ذلك ان لنشر هذه العلوم والمباحث فوائد عقلية غير الفوائد العملية والادبية التي ذكرت . ذلك انها تعوّد القراء العناية بطلب الحق. وتعلمهم ان يكونوا على

اتم الانتباه لان الطبيعة تناجينا دائماً لتكاشفنا باسرارها. ثم تدربهم على ان يكونوا ذوي اقدام وصبر على المكاره لان مسالك العلوم لا تخلو من العقبات والرجل الرجل من يصبر حتى ينتزع الفوز من انياب الفشل

هذه هي العلوم التي عني بها المقتطف . وحثّ على الاخذ بها والتوفر عليها وقضى حتى الآن اثنتين وخمسين سنة يقتطف ثمارها من حدائق الغرب ويزفـها شهراً شهراً الى ابناء الشرق على ما يقتضي ذلك من « الجهد العظيم في وضع المصطلحات العلمية العربية والشجاعة الادبية في نشر الآراء الجديدة والمذاهب المستحدثة والاحاطة بفروع المعارف على تعددها وتشعب مسالك البحث فيها »

هذه هي مهمته كما افهمها . هذه هي رسالته الى المدنية العربية كما كانت وكما اتمنى ان تظل . واني لاغتنم هذه الفرصة التي تملأ جوانحي حزناً وأسى فاقطع على المقتطف والقائمين بانشائهِ واصدارهِ عهداً بان يجعلوا هذه الغايات العظيمة دستوراً لهم ومناراً

***

أيها السادة : يقولون ان هذه الحضارة القائمة على اركان من العلم الطبيعي والفلسفة المادية تحمل في طياتها بذور فسادها واضمحلالها

أفلا نستطيع نحن ان نمزج علم الغرب بشطر من فلسفة الشرق وان نخفف مادية الغرب بشيء من روحانية الشرق فنخرج للعالم وللحياة حضارة جديدة فلا تكون حضارة مصرية فحسب. ولا حضارة عربية فحسب . بل حضارة عالمية تجعل مصر كعبة لفلاسفة العمران كما هي كعبة لعلماء الآثار واثرياء السياح

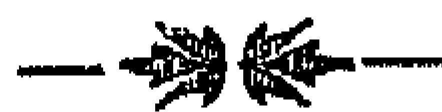
انا اعلم ان الطريق امامنا وعر وشاق

وان المعترك للفوز والسيطرة محتدم الوغى حامي الوطيس

وان سبيل العمران مرصوف برفات الامم

ولكن مجيدة هي الامة التي يسقط أبناؤها في هذا الميدان يصعدون انفاسهم الاخيرة وهم يسلّمون المصباح لمن يليهم من المجاهدين

تلك هي الامم التي تكتب اسماؤها واسماء ابنائها باحرف من نور في صفحات الخلود



عجيبة المستنبطات الحديثة

التلفزة او الرؤية عن بعد — الرؤية عن بعد في الظلام — اختلافهما عن نقل الصور سلكياً ولاسلكياً — اختلافهما عن الصور المتحركة الناطقة
تاريخ الاستنباط واهم قواعده

تقدمت المباحث اللاسلكية تقدماً سريعاً بعد الحرب فصرنا لا ندري اية عجيبة من العجائب لا يستطاع تحقيقها . فالتخاطب بالتلغراف اللاسلكي تلاهُ التخاطب بالتلفون اللاسلكي وتلا هذا شيوع نقل الصور الفوتغرافية سلكيًّا ولاسلكيًّا فطوّقت الارض بالامواج اللاسلكية اللطيفة تحمل على اجنحتها السحرية الصور والالفاظ . والتلفزة او الرؤية عن بُعْدٍ احدث المستنبطات اللاسلكية واغربها فرأينا ان نجمع في مقالة واحدة اهم ما يعرف عن هذا الاستنباط العجيب وقد اشرنا الى اكثر حقائقهِ في اجزاء المقتطف الماضية

١ — الصور المتحركة الناطقة

لما زرنا الولايات المتحدة الاميركية منذ اربع سنوات اسعدنا الحظ بمشاهدة الصور المتحركة الناطقة « الفونوفلم » ذلك ان شاهدنا على ستار الصور المتحركة صور ثلاثة من المرشحين حينذاك لرآسة الولايات المتحدة الاميركية وهم الرئيس كولدج والمستر جون دايفس والمستر لافولت فوقف كلٌّ منهم وبيدهِ ورقة يتلو منها خطبة يبيّن فيها القواعد التي يجري عليها في ادارة البلاد اذا فاز في الانتخاب . وكان الجمهور يرى صورهم وحركاتهم ويسمع اصواتهم الموافقة لتلك الحركات في آنٍ واحد . هذا الشريط الناطق ليس من التلفزة في شيءٍ لان الصور التي يشاهدها الناس على ستار الصور المتحركة ليست بنت ساعتها بل يكون قد انقضى على تصويرها على الفلم ايام او اسابيع . ولكن التلفزة ترمي الى رؤية ما يجري في الحال . اي اذا كان لديك تلفازٌ « اي آلة التلفزة » وكنت متصلاً بمحطة تذيع ما يحدث في احدى دور التمثيل مثلاً فانك ترى على لوح تلفازك كلّ ما يحدث في تلك الدار دقيقة دقيقة فترى الممثلين والممثلات يروحون ويجيئون كأنهم بمشهد امامك او كأنّ قوة بصرك ازدادت نفوذاً فصرت ترى ما يجري على بعد اميال منك

٢ — نقل الصور سلكياً ولاسلكياً

كذلك ترى ان التلفزة تختلف اختلافاً بيّناً عن نقل الصور بالتلغراف او التلفون. لان نقل الصور يستلزم وجود صور فتوغرافية على فلم او لوح فتوغرافي فتوضع بحيث تخترقها شعاعة من النور تقع بعد اختراقها على بطرية حساسة لتغيرات قوة النور فتؤثر في المجرى الكهربائي الذي يتولد فيها وهذا يقوّى ويرسل في الفضاء امواجاً لاسلكية الى ان تصيب محطة استقبال فتلتقطها من الفضاء وتحولها الى نور والنور يُرسَم خطوطاً تختلف دقة وكثافة فتعيد مواقع الظل والنور التي على الصور الاصلية. وهذا الامر صار مطروقاً في الصحافة الاوربية فاني اذكر اني رأيت في الصيف الماضي لما كنت في بلاد الانكليز صورة لدمبسي وتني الملاكمين يتلاكمان نشرتها جريدة الديلي اكسبرس بعدما أُرسلت اليها لاسلكيًّا من شيكاغو على اثر انتهاء المباراة بينهما . اما التلفزة كما مرَّ معك فغايتها نقل صور الاحياء يروحون ويجيئون لا نقل صورهم الفتوغرافية الثابتة

٣ — التلفزة سلكية ولاسلكية

وبعض الذين ينقلون معلوماتهم عن الصحف التي لا يجد اصحابها متسعاً من الوقت لتحقيق ما ينشرونهُ فيها يظنون ان التلفزة هي الرؤية «باللاسلكية» كما وصفتها بعض الجرائد الانكليزية . والواقع ان معنى التلفزة الحقيقي حسب تحديد مكتب تسجيل المستنبطات الجديدة بلندن هو الرؤية بالتلغراف سواءٌ في ذلك التلغراف السلكي والتلغراف اللاسلكي . ولا يخفى ان التلفون اللاسلكي الآن يشترك مع التلفون العادي في المحادثات التلفونية بين اوربا واميركا . وعليهِ فاستواءُ التلغراف السلكي واللاسلكي في التلفزة ليس بالامر الغريب لان الامواج الكهربائية هي التي تنقل المرئيات والاصوات سواء سارت على سلك او انتشرت في الفضاء

٤ — تاريخ الاستنباط

يعود البحث في الاركان التي تقوم عليها التلفزة الى سنة ١٨٧٣ في بلدة تدعى ڤلنشا على شاطيء ارلندا الغربي . ذلك ان محطة تلغرافية كانت قد انشئت في تلك البلدة واقام فيها رجل يدعى المستر ماي يدير شؤونها ويستقبل التلغرافات التي ترسل من اميركا فوُفّق الى اكتشاف بسيط في نفسهِ ولكنهُ كان القاعدة التي بنيت عليها التلفزة فيما بعدُ . ذلك انهُ لاحظ ابرة التلغراف المدونة تتحرك حركة لم يتمكن من تعليلها أوّلاً . وبعد البحث والتنقيب لاحظ ان شعاعة من نور الشمس تقع من النافذة

على بطرية السلينيوم وانها سبب الحركة الغريبة التي شاهدها في الابرة فكشف بذلك ان معدن السلينيوم يتأثر بالنور فتزيد مقاومتهُ للتيار الكهربائي او تقلّ حسب قلة تعرضهِ او كثرتها . فثبت لاول مرة في التاريخ انهُ في الامكان تحويل النور الى امواج كهربائية او نقل النور على اسلاك كاسلاك التلغراف

وقد كانت مشكلة التلفزة تقسيم كل جسم تراد رؤيتهُ الى الوف من البقع الصغيرة ثم نقل هذه البقع حسب قوة النور او ضعفهِ على سطحها الى الآلة المستقبلة وترتيبها احداها الى جنب الاخرى حسب ترتيبها على سطح الجسم الذي نُقلت عنهُ على ان يتمّ ذلك في عشر ثانية على الاكثر حتى تتمكن العين من رؤيتها شبحاً واحداً

وظن العلماء ان السلينيومٍ لا يلبث ان يتحول في ايديهم وسيلة للرؤية عن بعد ولكن ظنهم هذا لم يتحقق الاّ بعد انقضاء نحو خمسين سنة وبعد ما خاب ظنهم في معدن السلينيوم لبطءِ تأثرهِ باختلاف قوة النور فاستنبطوا وسيلة افعل منهُ لتحويل النور الى امواج كهربائية نريد بذلك البطرية الكهربائية — النورية Photo-electric cell وهي تفعل فعل السلينيوم ولكن فعلها اسرع جدًّا واثبت

وتلا ذلك استنباط الانابيب المفرغة على اختلافها فمهدت السبيل لتحقيق التلفزة على وجه يبعث على الامل في ابلاغه درجة بعيدة من الاتقان

وكان اشهر المشتغلين بهذا البحث رينيو وفورنيه وسكزبانيك وروزنغ وبيلان فحاول كلٌّ منهم ان يحل المعضلة بطريقتهِ الخاصة فلم يوفق احدهم الى تحقيق امنيتهِ ولكن مباحثهم كشفت اموراً كثيرة استفاد منها الباحثون الذي جاءوا بعدهم

وفي سنة ١٩٢٣ كان نفر من العلماءِ قد تقدموا في هذه الطريق وصنعوا آلات تمكنوا من ان يروا بها اشباح مرئيات حقيقية واشهرهم جنكنز ومور باميركا وهلوك وبيلان بفرنسا وبارد بانكلترا . والفرق كبير جدًّا بين رؤية اشباح مبهمة ورؤية وجوهِ اناس يروحون ويجيئون وكل ملمح من ملامحهم ظاهر ظهوراً واضحاً . وعليهِ ارتأى بعض الباحثين ان تحقيق التلفزة المتقنة امر لا يتم قبل انقضاءِ سنين كثيرة

على انّ المستر بارد المستنبط الانكليزي جرّب تجربة من هذا القبيل امام اعضاءِ المعهد الملكي بلندن في يناير سنة ١٩٢٦ فارسل صور وجوهٍ من غرفة الى اخرى فكانت الوجوه التي استقبلت ورئيت رغم عدم اتقانها تفوق كل ما سبقها من هذا القبيل وواضحة وضوحاً جعل الذين شاهدوها يقولون « ان التجربة اثبتت امكان تحقيق التلفزة

وان عمل بايرد هذا داعٍ للاعجاب والعجب »

ومنذ قام المستر بايرد بتجربتهِ المذكورة وهو مكبٌّ على اتقان استنباطهِ واطالة المسافة بين التلفاز المرسل والتلفاز المستقبل فكانت المسافة في البدء هي المسافة بين غرفة واخرى ثم بين بلفاست بشمال ارلندا و لفربول ومنشستر ثم بين لندن وغلاسجو والمسافة الاخيرة ٤٣٥ ميلاً فكللت هذه التجارب بالنجاح مما شجعهُ على تخطي دور التجربة والامتحان الى دور التوسع في العمل. وفي يوليو من السنة الماضية اخذ يبني محطة يذيع منها صور حوادث واقعة فيلتقطها من عندهُ تلفاز مستقبل اذا كان في دائرة تمكنهُ من الاتصال بالمحطة المذيعة

٥ — التلفزة بين لندن ونيويورك

وفي ٩ فبراير الماضي (سنة ١٩٢٨) تمكن بايرد من امتحان تلفازهِ بنقل صور المرئيات بهِ من لندن الى نيويورك مسافة ٣٥٠٠ ميل فوضع رأس لعبة امام التلفاز المرسل بلندن اولاً ثم ازيل ووقف مكانهُ المستر بايرد نفسهُ ثم حلَّ محلهُ احد الصحافيين فنقلت صورهم الى نيويورك وشاهدها الرجال الذي كانوا امام التلفاز المستقبل . وفي اثناء ذلك كان الفريقان يتحدثان معاً من حين الى آخر بالتلفون اللاسلكي

٦ — الرؤية في الظلام

لا يخفى ان عين الانسان تتأثر بالاشعة التي تتراوح بين اللون الاحمر واللون البنفسجي من الطيف الشمسي فاذا انعكست هذه الاشعة مفردة او مجموعة عن شبح من الاشباح تأثرت العين وابصرت ذلك الشبح . على انها لا تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر او فوق البنفسجي فاذا انعكس احد هذه الاشعة عن شبح من الاشباح دون غيرها من اشعة الطيف الشمسي لم تستطع عين الانسان ان تتبين ذلك الشبح . لكن بايرد استنبط عيناً كهربائية تستطيع ان تتبين الاشياء في الظلام لانها تتأثر بالاشعة المظلمة أي الاشعة التي تحت الاحمر وهو من غرائب الاستنباط في هذا العصر . وقد دعي هذا الفعل نوكتوفيزيون Noctovision او الرؤية في الليل ولا بدّ ان يكون لهُ اثر كبير في الاعمال التجارية والحربية

وقد فصّلنا فيما تقدم انهُ ابتكر طريقة للرؤية عن بُعدٍ يستطيع ان يرى بها الاجسام والاشخاص عن بُعدٍ كما هي ، فيراها ثابتة اذا كانت ثابتة ومتحركةً ان كانت متحركةً وبها تُنقل المرئيات باستعمال النور المنعكس عنها

وفي الآلة الجديدة تتجمع الاشعة التي تحت الاحمر وتوجَّهُ كما توجَّهُ اشعة النور من مصباح كشَّاف الى البقعة التي يراد رؤية ما يجري فيها تحت ستار الظلام فتنعكس عن الاجسام التي فيها فتتأثر العين الكهربائية بالاشعة المنعكسة وتنقل صور المرئيات الى الجهاز المستقبل وهو كالجهاز المستقبل في آلة الرؤية عن بعد فترى على لوحتهِ صور المرئيات كأنها ستار للصور المتحركة

وفّق المستر بايرد الى هذا الاستنباط البديع وهو عاكف على اتقان تلفازهِ. ذلك ان التلفاز كان يستدعي في بادئ الامر ان يكون الشخص الذي يُراد نقل حركاتهِ وسكناتهِ بهِ مغموراً بنور قوي لكي يتأثر التلفاز بهذا النور المنعكس عنهُ. ورأى المستر بايرد بثاقب نظرهِ ان نجاح هذا الاستنباط على وجه تجاري يستدعي ان يكون النور المنعكس عن الاشخاص او الاشياء طبيعيًّا فوالى البحث والامتحان حتى فاز بذلك . ثم خطر لهُ ان اعتمادهُ في آلتهِ ليس على عين بشرية لا تتأثر الاَّ بالاشعة التي بين الاحمر والبنفسجي بل هو يعتمد على عين كهربائية قد يكون في امكانها ان تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر او بالاشعة التي فوق البنفسجي . ولكن ثبت لهُ عدم موافقة الاشعة التي فوق البنفسجي لذلك لان لها فعلاً في الانسجة الحية يتلف خلاياها وهي فضلا عن ذلك ضعيفة النفوذ لا تلبث ان يمتصها الهواء فيضعف فعلها . فحوّل اهتمامهُ الى البحث في الاشعة التي تحت الاحمر ففاز بضالتهِ المنشودة وزد على ذلك ان تجاربهُ فيها أثبتت لهُ انهُ يستطيع الاكتفاء بها دون نور الشمس المنظور . ولما جرب تجاربهُ هذه امام نفر من الخبيرين في الاسلحة البرية والبحرية والجوية في انكلترا طُلب اليهِ من قبل الحكومة ان يحفظ سرّ آلتهِ في طيّ الكتمان

وقد جرّب آلتهُ هذه امام طائفة من اعضاء المعهد الملكي ببلاد الانكليز فكتب عنهُ السر الكسندر رسل في مجلة ناتشر مقالاً قال فيهِ « جرب المستر بايرد آلتهُ امامي وامام المستر كروكس فجلس أحدنا في الغرفة التي فيها الجهاز المرسل ومعهُ احد مساعدي المستر بايرد وكانت الغرفة مظلمة . وجلست انا في الغرفة التي فيها الجهاز المستقبل وقد كانت في طبقة غير الطبقة التي فيها الغرفة الاولى فرأينا على لوح الجهاز المستقبل رأس المساعد وكل حركاتهِ وسكناتهِ . وكانت الصور التي رأيناها واضحة كل الوضوح فاستعمال هذه الاشعة (الحمراء) في التلفاز يمكننا من ان نرى بهِ ما يدور تحت ستار الظلام عن بُعدٍ وهذا أمر لم يحقق قبلاً على ما أعلم »

رجوع الابطال وبرد في المقدمة رافع قبعتهُ



الكومندر برد يضع اكليلا على قبر الجندي المجهول بباريس

مقتطف مايو ١٩٢٨

كيف عبرنا الاوقيانوس الاتلنتيكي

اربعة في طيارة

للطيار الاميركي الكومندر رتشرد برد

جاء في الصحف اليومية قبيل كتابة هذه السطور ان طيارين المانيين وطياراً ارلندياً فازوا باجتياز شمال الاوقيانوس الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا على متن طيارة المانية تدعى برمن Bremen : وهي اول مرة فاز فيها الطيارون بعبور الجانب الشمالي من هذا المحيط من الشرق الى الغرب . وفي المقالة التالية وصف لبعض المخاطر التي يلاقيها الطيارون في مثل هذه الرحلة . وهي تتمة كلام الكومندر برد الذي نشرناه في مقتطف ابريل الماضي :

٢

الليل مدلهمّ . والغيوم متلبدة حول الطيارين ذاهبة في الجوءِ قمماً جرداء او هابطة اودية مخيفة كانها افواهُ الهاوية . وسلامة الطيارة والطيارين رهن الرياح التي علّقوا عليها آمالهم فان هبّت من ورائهم ودفعتهم معها الى الامام تمكنوا من الوصول الى الشاطيء الاوربي قبل نفاد البنزين الذي معهم وكتبت لهم السلامة . وذلك ما كان . فانهم في اثناء الليل اتصلوا بآلتهم اللاسلكية بالبواخر التي كانت تمخر عباب الاوقيانوس على مقربة منهم . فطلبوا الى الباخرة الاولى التي تمكنوا من مخاطبتها ان تطلعهم على حالة الجوّ على سطح البحر فكان جوابها « ضباب : ضباب » . ثم طلبوا الى ربانها ان يعيّن لهم موقعها ففعل . ثم تمكنوا من مخاطبة الباخرة « باريس » وطلبوا الى ربانها ان يعيّن لهم موقعها ايضاً . ومن ذلك تمكنوا ان يعينوا موقعهم بالضبط . فوجدوا انهم كانوا قد انحرفوا جنوباً عن الخط الذي رسموهُ للجري عليهِ وبدلاً من ان يديروا مقدم الطيارة حينئذٍ ويتجهوا الى ارلندا كما كان قصدهم اولاً قرروا ان يسيروا رأساً الى رأس فنستر بفرنسا

وبعد ما قاسوا مقدار البنزين الباقي معهم وسرعة سيرهم بعد مغادرتهم جزيرة نيوفوندلند ثبت لهم ان ريحاً غربية هبّت من ورائهم فدفعتهم معها الى الامام وزادت سرعتهم نحو ثلاثين ميلاً في الساعة . ومع ان البنزين الذي كان باقياً معهم كان كافياً لان

يصل بهم الى رومية لم يقرّروا ان يفعلوا ذلك لان طيتهم كانت باريس فعليهم ان يبلغوها . وكانت الرسائل اللاسلكية من انحاء اوربا قد اخذت ترد عليهم فشعروا كأن العالم باسره ينتظر انباءهم ويريد مخاطبتهم

وفي الوقت الذي قدروهُ وصلوا الى برست على شاطئ فرنسا الغربي ومنها اتجهوا الى باريس بعدما انقضى عليهم يوم كامل لم يروا فيهِ اثراً لليابسة . وكان الجوّ حين وصولهم الى شاطئ فرنسا صافياً ولكن الافق كان ملبّداً بالغيوم . فارسلوا رسالة لاسلكية الى مطار باريس ليسألوا عن حالة الجو فيها وفي جوارها فجاءهم الردّ بان الجوّ مدلهمّ ينذر بهبوب عاصفة هوجاء فجزعوا لهذا النبإِ لانهم عرفوا ان امامهم معركة شديدة مع العاصفة ولكنهم لم يلبثوا ان سرّوا لهُ لعلمهم ان الفوز في هذه المعركة يجيء برهاناً جديداً على تقدم الطيران وصحة الاعتماد عليهِ فساروا متجهين الى باريس . ولكن البوصلة التي اعتمدوا عليها في تحديد اتجاههم خانتهم لعطل اصابها ولما ظنوا انهم وصلوا فوق مطار لبورجه وانهم رأوا نور منارتهِ يفري الدجى تحققوا ان النور امامهم انما كان نور منارة على شواطئ فرنسا تحذر البحارة وتهديهم

فاداروا مقدم طيارتهم واتجهوا الى باريس يخترقون الظلام ولا يعبأون بالرياح والامطار حتى خيل اليهم انهم بلغوها . ولكن الرياح والامطار الهاطلة والغيوم المتلبدة منعتهم عن تحقيق موقع مطارها تحقيقاً يمكنهم من النزول فيه . وكان البنزين في احواض الطيارة قد اخذ ينضب رويداً رويداً حتى بلغ درجة صار العقل يقضي معها بوجوب الانكفاء الى الشاطئ ولو كانت باريس قاب قوسين او ادنى . لانهُ اذا نفد البنزين واضطرت الطيارة ان تحط على الارض في هذا الظلام الدامس كان لا مفر من تحطمها وقتلهم . والكومندر برد يظن انهُ حين قرّر العودة الى شواطئ فرنسا كان فوق باريس بدليل ان هدير محركات الطيارة سُمع فيها . ولكنهُ كان مسؤولاً عن حياتهِ وحياة رفاقهِ فلم يشأ أن يعبث بها عبثاً اذا استمرّ انتهى بفاجعة اليمة

ومع ذلك فالقرار على الرجوع لم يضمن سلامة الطيارين لان نزولهم سالمين على سطح الماء في ظلام حالك امر مشكوك فيهِ . ولكن عناصر السلامة في النزول على سطح الماء كانت اوفر من عناصر السلامة في النزول على اليابسة . ولذلك كان قرار العودة الى الشاطئ لا مندوحة عنهُ

واتجهوا الى المنارة التي كانوا قد رأوها ظانين انها منارة لبورجه بباريس فبلغوها

وحاموا حولها وهم لا يدرون اين تلتقي اليابسة بالبحر وهل هناك شاطئ رملي يستطيعون النزول عليه سالمين. ولكن لما دار نور المنارة دورته جلا لهم المكان فتحققوا انهم كانوا فوق البحر وان المطر لا يزال يهطل غزيراً فعزموا للحال ان ينزلوا على سطح البحر ولكن على مقربة من الشاطئ حتى يتمكنوا من السباحة اليه . على انهُ كان عليهم ان يبعدوا عنهُ بعداً يمكنهم من اجتناب الصخور الناتئة حيث الماء ضحضاح

وكان معهم اسهم نارية يشعلونها ويرمونها فتضيء بضع ثوان تمكنهم من رؤية ما حولهم فاضاءوا بعضها ووجدوا انهم كانوا على نحو ٩٠ متراً من الشاطئ

وهنا نترك الكلام للكومندر برد قال :

كانت الساعات التي قضيناها في مصارعة العاصفة حافلة بالوجل والتعب . وكنت اشعر اني مسؤول عن حياة رفاقي . واعتقد انهم لم يروا في نزولنا على سطح الماء املاً كبيراً في النجاة . ولكنهم بقوا يتلقون الاوامر وينفذونها بشجاعة وصبرٍ رغماً عن إعتقاد بعضهم انهم واردون حتفهم

كان بلخن يسوق الطيارة فاصدرت الاوامر اليه بالنزول الى سطح البحر وفيما نحن نازلون الى سطح الماء كانت رنة المحركات تدلّ على انها لا تزال سائرة على غاية ما ينتظر من الدقة والانتظام بعد مسيرة ٤٢ ساعة فلم املك نفسي من الاعجاب بمتانتها ودقة صنعها رغم الخطر العظيم الذي كان يحيق بنا في آخر مرحلة من مراحل رحلتنا

ولما اقتربنا من سطح الماء لم نرهُ لاشتداد الظلام فلما مسَّت العجلات سطح الماء انبترت من الآلة كأن سكيناً حادة قطعتها قطعاً رغماً عن متانتها من غير ان تهتز الطيارة او ترتج مما يثبت قوة مقاومة الماء لجسم يسير على سطحها سيراً سريعاً

وكأن الصدمة الكبرى حصلت بعد ذلك بثانية واحدة . كنت واقفاً امام النافذة احاول ان انظر الى الماء تحتنا فلم اشعر الاّ وانا في البحر احاول السباحة للنجاة . كان ستار الظلام لا يزال مسدلاً والمطر يهطل غزيراً كثيفاً . وسمعت نوڤل يدعوني ثم صمَت فكان السكون الذي ساد في تلك اللحظة رهيباً وخصوصاً بعد ما سكنت المحركات التي بقيت ٤٢ ساعة ترن في آذاننا حتى كادت تصمّها

اما الطيارة فامتلأت بالماء حالا . وكأني شاهدت نوڤل يخرج من نافذة الطيارة فسألتهُ باعلى صوتي كيف حالتهُ فلم اتلق جواباً . فدبّ الوجل الى نفسي وناديت

بلخن واكوستا فلم اسمع جواباً فازداد وجلي . فسبحت الى ناحية الطيارة فوجدت بلخن عالقاً بالطيارة يحاول التملص منها ولم ارَ أثراً لاكوستا فظننا انهُ لا يزال في مقعد السائق وكان هذا غارقاً تحت الماءِ فغصنا لنساعدهُ على الخلاص فلم نجدهُ هناك وفيما نحن نناديهِ من غير ان نتلقى جواباً على ندائنا رأيناهُ يسبح بيننا كأنهُ طلع من البحر او نزل من السماء. وكان سبب كل ذلك ان صوت المحركات كان قد احدث صمماً موقتاً في اذان رفاقي فلم يسمعوا ندائي. اما انا فكنت قد استعملت ما يقي الاذان من شدة الصوت فبقي سمعي طبيعيًّا

وكان معنا زورق من المطاط نستطيع ان ننفخهُ حين الحاجة اليهِ ونستعملهُ فسبحنا الى جناح الطيارة وجلسنا عليهِ نحاول نفخهُ . وكانت معنا قطعة في الطيارة من العلم الاميركي الاول فلما حصلنا عليها وضعنا المجاذيف في القارب واتجهنا الى البر

كنا حينئذٍ على مسافة ميل من قرية فير — سير — مير Vers-sur-mer

فلما وصلنا اليها كان السكان لا يزالون مستغرقين في النوم وكل بيت تحيط بهِ حديقة وجدار وفيما نحن سائرون رأينا ولداً ممتطياً عجلة فلما رآنا اسرع في سيرهِ ظنًّا منهُ اننا متشردون

اخيراً وصلنا الى المنارة فوجدنا مديرها وزوجتهُ مستيقظين ولقينا بعض الصعوبة في اقناعهم باننا لسنا مجانين واننا طرنا من اميركا بطيارة نزلنا بها على مقربة منها. وبعد ما استرحنا قليلاً عدنا الى الطيارة لانقاذ الرسائل التي كنا قد حملناها معنا ووعدنا بايصالها الى اصحابها. والظاهر ان المدّ كان على اعلاهُ حين نزلنا في البحر فلما عدنا الى الطيارة كان الجزر على اوطأهِ فوصلنا الى الطيارة مشياً على اليابسة وخرج بعض سكان القرية فساعدونا . ما عشت لا انسى ما احاطنا بهِ هؤلاء القرويون من العطف والمساعدة وقبل ما غادرنا فرنسا للعودة الى اميركا امتطينا سيارة من باريس وزرناهم لنحييهم تحية الوداع

اما عن حفلات الاستقبال ومظاهر الفرح والابتهاج التي استقبلنا بها الجمهور الباريزي من اصغر الافراد الى اكبرهم واعظمهم مقاماً فلا محل للتبسط فيه هنا . ويكفيني ان اقول ان مثل هذه الرحلات من افعل الوسائل لاحكام روابط المودة والوئام بين الشعوب

رشدي باشا

لست أحاول في مثل هذه العجالة ان اجلو على القارئ الكريم صورة كاملة لرشدي باشا او ان اترجم لهُ ترجمة وافية تكافئ عظمتهُ العظيمة ، فان من فتنة الدعوى ان تظن ان مثل حسين رشدي كلهُ يجتمع في مقالة او في مقالات. انما هو من اولئك الافذاذ المعدودين — إن لم يكن في العالم كلهِ ففي الشرق على الاقل — فما اخلق رشدي بان يتجرد لبحثهِ وتحقيق عبقريتهِ نفر من علماء النفس والتاريخ ، واذن لخرجوا منهُ كل يوم بعظيم

سأتحدث في هذا المقال عن رشدي لا حديث باحث محلل يردُّ غرائزهُ القوية الى مناجمها من قضايا علم النفس ويصل كل ناحية من نواحيهِ باترابها في عظماء الناس ، ولكنني اروي عنهُ حوادث متفرقة شهدتها كلها بنفسي او تروَّيتها عن الثقات الذين لا يترقرق الشك حول خبرهم ، ولربما عرضت لبعضها بشيء من التحليل ، على انني في ذاك اتحرى ان اجمع كل حادثة الى اختها ، واضم كل واقعة الى ما يشابهها حتى يمكن ان يتسق من هذه الامشاج هيكل لرشدي باشا اذا كان ضئيلاً فهو صادق على كل حال

نشأته

رشدي باشا على انهُ نشأ في الحسب لانهُ ابن محمود باشا ابن دبوس اوغلي اوطبوز زاده الكبير الاَّ انهُ لم ينجم في الغنى ولم يتقلب في صدر شبابهِ في النعمة التي يتقلب فيها من تسلسلوا من مثل بيتهِ . ولقد شخصت اليهِ يوماً مع المرحوم والدي لزيارتهِ وهو رئيس وزارة فجعل يتحدث بنعمة الله عليهِ ، وكان مما قال : انهُ كان طالباً في باريس فمات والدهُ المرحوم محمود باشا دبوس اوغلي واذا كل ما تركهُ لبنيه الاربعة (ثلاثة اولاد وبنتين) ستمائة (بنتو) خرج حسين منها بمائة وخمسين كانت هي كل مادتهِ لطلب العلم وللعيش الجاهد في باريس . فانظر كيف عانى هذا الشاب في صدر العمر وكيف كافح الشهوة والايام ليعيش في باريس بمائة وخمسين (بنتو) لا يرفدها الاَّ نصيب (كمصة الوشل) في وقف دبوس اوغلي الكبير ، ويصبر على هذا العيش ويروض النفس لهُ في طماً نينة ورضى حتى يظفر (بالدكتوراه) ويسبق في الامتحان لداته جميعاً !

ولقد كان رشدي باشا لعوباً طروباً فكان يمضي عامهُ الاطول في لهو الشباب وفي

عبث الشباب ، قبل ان يحتجز لمذاكرة الدرس ومراجعة الاساتيذ ، حتى اذا كان بينهُ وبين اوان الامتحان شهران مضى الى الحلاق فسألهُ ان يحلق رأسهُ كلهُ بالموسى لكيلا يجرؤ على ان يتدلى بعدها في الشوارع او يغشى الملاهي العامة ، وانقبض هذين الشهرين في غرفتهِ مكبًّا على الدرس جاهداً فيهِ ، حتى اذا تمثل الى ممتحنيهِ لم يقنع بأن يكون طالباً ناجحاً فحسب ، بل لقد تعمد مطاولتهم والولوغ بالتفنيد في قضاياهم ، وانتهى بهم او انتهوا بهِ الى الحكم بان هذا التلميذ غير ما خبروا من التلاميذ ،وان هذا الذكاء غير ما عرفوا من الذكاءِ !

فقد خرج لنا من هذا ان رشدي من يوم تدلَّى الى الدنيا تدلَّى اليها بخلتين لا يد فيهما لتعليم ولا تدريب ، إنما هما من صنعة الله الذي يقول للشيء كن فيكون ، وهما العزم الجبار والذكاء العجيب !

ذكاؤه وفطنته

لقد كان هذا الرجل الى يوم قبض الى رضوان الله متسعّر الذهن ملتهب الذكاء ، ولعله كان اذكى من نبهوا من المصريين جميعاً ،وكان حاد الفطنة مرهف الحس،ولقد كنت تطرح عليهِ القضية تحتاج الى تسريح النظر واجالة الفكر ،وترتيب مقدمات القياس بحيث تتمكن كل واحدة منها في موضوعها المقسوم حتى يتهيأ تحلب النتيجة المنطقية ، وكل هذا يحتاج الى جهد،وكل هذا يحتاج الى بسط في الزمن ومطاولة في التفكر والتدبير ، ولكن رشدي كان ينحط بك الى النتيجة الصحيحة السليمة قبل ان تتم لفظك. وتفرغ من قولك.

ولقد مضيت يوماً اتفرج في الجمعية التشريعية ، وكان رشدي،على ما أذكر ،وزيراً للحقانية ، وطُرح على الجمعية مشروع قانون وضعتهُ الحكومة لردم البرك، وكان الكلام في جزاء من يتخلف من الاهلين عن ردم بركة تدخل في ملكهِ ، وفي ان الحكومة في هذه الحال تردمها بالقوة عنهُ وترجع بوجوه النفقات عليهِ ، فانبعث المرحوم عبداللطيف المكباتي بك وقال : فاذا كان للحكومة بركة فتعذرت على ردمها فحينئذٍ يحق للأهلين ايضاً . . . . فلم يدعهُ رشدي يتم تشريعهُ ، بل لقد جمجم من مجلسهِ جمزة عنيفة وصاح ملء لهاته هذه ثورة ! . . . .فانتفض المجلس كلهُ إنتفاضة عنيفة واحتج على الوزير واقتضاهُ (ان يسحب) هذه الكلمة، كلمة الثورة(فسحبها)وهو ، ولا ريب، يعلم ان قولهُ الحق، وان القوم لم يلحقوهُ ، أو ادركوهُ ولكن لم يريدوا ان يسجّل على جمعيتهم انها تطلب

الثورة ، (فسحبها) ! ولست اشك في انهُ فعل مصانعة لرأي القوم ، والاَّ فاية ثورة اشنع واخبث من ان الحكومة اذا وَنَت في عمل من اعمالها نفذ الاهلون ذلك بالقوة عليها ، ورجعوا عليها بما بذلوا في ذلك من النفقات ؟ !!!

الواقع ان رشدي باشا كان رجلاً حديد الفطنة ، فلم تكن فطنتهُ باية حاجة الى ان تتسكع على مقدمات القياس فتتجس كلا منها ، حتى اذا استوثقت من سلامتهِ اقرته في موضعه ، ثم خلصت بعد كل هذا الى النتيجة فاستخرجتها في هوادة ومطمئن اناة ، بل لقد كان يمر بذهنه على هذا كله مر البرق الخاطف فيقبض على النتيجة الصحيحة في أسرع من ردّ الطرف إذ انت تحسبهُ يذكو ذكاء القرود لا يلمح في طريقه او لا يعنى في طريقه الى النتيجة بوجوه الاسباب والعلل في حين قد لمحها جميعاً وعنى بها جميعاً ، وتمكن بذلك الذهن (الاكسبريس) الذي لا يقف على صغار المحطات ، على انهُ حتماً يجوز بها في سبيله جميعاً

ولعل هذه حدة الذهن ، ولعل هذه صولة العقل في حسين رشدي قد حطت من شأنه عند كثير من اولئك الذين لم تهبهم الطبيعة ما وهبتهُ فكانوا أعجز من ان يطيروا في الفهم مطيره ، اذ هو يعد رجل عصبي جائش سريع لماع الذهن تقاولهُ في الامر فيقذفك بحجتهِ على نحو ما يصل هو ويدعك لذهنك المطمئن المعتاد ، فلا يسعك ، وأنت بعض معذور ، إلا ان تظن بالرجل عبثاً ، هذا اذا لم تكن رزين الذهن فتحسب ان الرجل قد خرف وأهتر !!!

عبقريته

لقد كان رشدي باشا عبقريًّا بقدر ما يمكن ان تأذن بهِ هذه الكلمة ، ولقد سلف عليك انهُ كان في صدر ايامهِ شابًّا لعوباً يعطي شبابه مدى أشَره ، فلم يكن كل ما تهيأ لرشدي من العلم الفحل في القانون ، بمختلف فنونه ، ابن التعليم ولا طول المراجعة وحفظ القضايا المرسومة ، انما كان ابن الاستعداد ، ابن العبقرية ، وفي النهاية ابن تلك اللطيفة الروحانية التي يهبها الله المتخيَّرين من عبادهِ فتدركها فيهم لا نملك لها تعليلاً ، ولا نستطيع لسببها تأويلاً . كان رشدي في هذا البلد مَلِك القانون غير مدافع . سلَّم لهُ بهذا سعد ، وهو من تعرف شدة عقل وكفاية لا يترامى اليها حد ، وسلم لهُ بها عدلي، وعدلي إذا ذكر أحضرك المثل الاعلى لسلامة الفهم والبصر بالا،ور

والرأي النَّصيح تتقطع من دونهِ جهود التفكير ، وسلَّم لهُ بهذا ثروت ، واذا قلت ثروت قلت كل بليغ في الفضل وكل عظيم . وسلم لهُ بها من يلي هؤلاءِ علماً وبصيرة وجلالة محل وشدة خطر ، إذ رشدي في الحق ، لم يقرأ اكثر مما قرأ غيره ، ولم يتوفر أبلغ من سواه على الدرس والتحصيل . وما شاء الله كان

ولقد اذكر انهُ في احدى جلسات لجنة الدستور ، وكنت من سكرتيريها ، اقترح أحد الاعضاء مبدأً دستورياً لا يحضرني موضوعه الآن فصده رشدي في عنف وقال: ان هذا مبدأ غير مستقيم ولا يمكن ان يؤذَن بهِ في قواعد دستور ، فقال العضو ، وهو من الاذكياء المتفقهين : ولكنهُ قد أُخذ بهِ في دستور كذا ، وسمى دولة لعلها من تلك الدولات التي انصدعت عن روسيا ووضعت دساتيرها بعد إذ ضرب الفالج رشدي وصرفه عن درس القوانين . فأكد رشدي انهُ وإن لم يرَ ذلك الدستور الاَّ انهُ يقرر ان ما زعمهُ العضو لا يمكن ان يكون ! وتحاجّا ساعة ثم انتهيا الى ان يأتي العضو من غده بنسخة ذلك الدستور . ولكنهُ في اليوم الثاني إنما جاءَ معتذراً بانهُ بعد إذ راجع المادة أدرك ان العجلة زلت بهِ اولَ الامر عن تفهم الكلام . وهكذا كان مخ رشدي نيراً سليماً مطبوعاً على القانون وللقانون ، صادق الحكم فيما قرأ وما لم يقرأ من احكامهِ ومبادئهِ

قوة حجته

كان رشدي باشا من أشد خلق الله حجة وأمضاهم قولاً ، يحكم لهُ بهذا كل من اوتي فطنة يلمح بها ما يتراآى لذهنه اثناء التدليل من فنون الاسباب والعلل ، علىَ انهُ قد اجتمع عليهِ الى تلك الحالة « العصبية » ضعف المادة في لغة العرب ، فلم يكن لبيانه اذا تكلم بهذه اللغة او كتب من الوضوح ما يتوافى لجلالة معانيه ويواتي براعة تدليله . ولكنهُ برغم هذا كان اذا كتب ارتفعت قوة معانيه بعباراته العربية حتى يجيء منها أحياناً بالرائع الجزل الذي لا يتهيأ لمن لهُ مثل حظه القليل من لغة العرب والتفقه في أدبها

وإني لاذكر انهُ اختلف يوماً مع بعض المصطفين الاعلام من اعضاء لجنة الدستور على مسألة ، لا محل لايرادها الآن ، فذهب الى رأي أزعجهم وبعثهم بالانكار والاحتجاج ، وكلما سألهم ان يصبروا حتى يدلي اليهم بحجتهِ صاحوا في وجههِ ودافعوه بغليظ الكلام . واخيراً وثب من مجلسه واهاب بهم باعلا ما اتسعت لهُ لهاته : يا حضرات السادة : « استمعوا لي حتى افرغ من حجتي ثم فندوها بكل ما عندكم من

حجة ودليل» ثم اطمأن قليلاً وعاد فقال في رفق ولين إلقاء : «ولكنكم لن تستطيعوا» ! فسكت القوم وتكلم رشدي ثم تكلم ، فما هو والله إلا ان راح يلعب بالالباب لعباً ، وما هو إلاّ ان راح يستعرض كل ادلتهم وما حصلوا من حجج فيشد وثاقها ثم يلقيها بين يديه واحدة بعد واحدة والقوم ذاهلون عن مصيرهم بما تداخلهم من العجب ومن الطرب ، حتى اذا ذابت آيتهم تحت لسانه كما يذوب الثلج في اليوم القائظ اقبل على معارضيه في تؤدة واطمئنان وقال لهم: اذن فتكلموا ، فما هي الاّ رؤوس منغضة وافواه مفغورة، ثم تصفيق يرتفع الى السماء من اعجاب ومن افتتان !!!

ولقد حدثت احداث الاسكندرية في مايو سنة ١٩٢١ ورشدي مع عدلي في لندن يفاوضان كيرزن في المسألة المصرية . وكانت السلطة العسكرية قد ملكت الامر كلهُ عن الحكومة المصرية ،وتولت هي التحقيق بقوة الاحكام العرفية التي كانت مبسوطة يومئذٍ على البلاد . فلما انتهت المفاوضات الى الكلام في حماية الاجانب وعارض المفاوضون المصريون في ان يكون هذا الى انجلترا دفع اللورد كيرزن اليهم بتحقيق السلطة العسكرية في حوادث الاسكندرية وما دمغ المصريين ظلماً بالوان الوحشية وما اضاف اليهم من امور تقشعر منها الجلود . فتناول رشدي باشا هذا التحقيق ويداهُ صفر من كل شيء ، لان التحقيق، كما قلت لك ، استقلت بهِ السلطة العسكرية، فابت على رشدي عزيمتهُ وابت عليهِ وطنيتهُ وابت عليهِ عبقريتهُ الاّ ان يكبّ ليلتهُ كلها على هذا التحقيق ، والله يعلم ماذا بذل من مخهِ ، والله يعلم ماذا هراق من ذكائهِ حتى اتسق لهُ في الصباح تقرير يعصف بهذا التحقيق عصفاً ويشهدهُ على نفسهِ بالبطل وشدة الحمل على المصريين ، ثم مضى بهِ الى لورد كيرزن فالقاهُ اليهِ ، وما إن قرأهُ حتى سأل ان يتقاص الطرفان . وكذلك اخلت حوادث الاسكندرية الطريق !

نعم لا يعرف احد ما بذل رشدي باشا ليلتئذٍ من عزم وذكاء ليدفع عن وطنهِ كل هذا البلاء ، ولكن كثيرين يعلمون انهُ بذل الصحة، او على الصحيح بذل الحياة ،لانهُ لم يدُر عليهِ يوم او يومان حتى ضربهُ الفالج فابطلهُ حيناً ثم اتى في النهاية على حياتهِ العزيزة الغالية

شجاعته

ولقد كان رشدي رجلاً شجاعاً كل الشجاع ، يجهر بكل ما يعتقد واقعاً كلامه حيث وقع لا يبالي في ذلك شيئاً ولا يبالي فيهِ احداً . وإن امرءاً كرشدي قوي العزم عظيم النزاهة

وافر الاخلاص شديد التمكن من النفس لا يجد أية حاجة لان يرائي الناس او يماريهم ويتحرَّف لهم ، بل هو كل حقيق بأن يعد كتفه لاحتمال كل ما يحملهُ سعيه من التبعات

ولست أريد ان اعرض لشأنه في اعقاب سنة ١٩١٤ فذلك ، كما اشار رئيس مجلس النواب ووكيل مجلس الشيوخ في تأبينهِ ، من حق المستقبل يحكم فيهِ بعد ان يطالع ما طاف بهِ من الظروف وما اتكا عليهِ من الاسانيد . إلاَّ انني في هذا الباب لا أنسى أن رشدي كان شجاعاً في احتمال تبعة ما وقع على يديهِ وكان لهُ (بالطبع) رأي فيهِ إن خيراً وان شرًّا . وهو على انهُ ، كما علمت ، قد راجع الكثيرين من اصدقائهِ في الامر فأقروهُ واجازوهُ ، الاَّ انشجاعتهُ أبت عليهِ في معرض الجدال ان يشرك معهُ في تبعة الامر احداً ، بل لقد مضى بها وحده محتسباً انصافه عند التاريخ وحده

لقد تعلم انه سير سفينة الحكم طوال مدة الحرب، ولقد تعلم ما حاق بمصر ايام الحرب من هول وشدة، ولقد تعلم ما كان للسلطة العسكرية من صولة وقوة ، وغداً ستعلم ما كان لرشدي باشا من مواقف يكف بها العاديات عن المصريين لا يقفها الاَّ الرجل الشجاع

وجاءت الهدنة العامة ، وأعد الجبار السر برونيات عدتهُ لالتهام مصر واخرج مشروعه الذي يسل به الحكم من ايدي المصريين سلاًّ . وخاف الناس وانقبضوا في أكسار دورهم من خوف ورهبة، وبرز لهُ رشدي بتقريره الوطني الخالد على وجه الدهر. وسرعان ما كسرهُ بهِ تكسيراً ، وكان ذلك اول آذان بالثورة المصرية . حتى اذا تعذر عليهِ الانجليز ودلوا بقوتهم، اضرب ، وهو رئيس الوزارة ، عن الحكم أشهراً ، فكان صنيعه حدوة للموظفين فأضربوا جميعاً وكان اضرابهم أبلغ مظهر للنهضة المصرية. ولقد سمعت منهُ رحمهُ الله ان الحبال قد فتلت لرقبته مرتين فما أبه ولا بالى في سبيل وطنه ، وكذلك يكون الرجل الندب الشجاع

ومما يذكر لهُ في هذا الباب انهُ كان في مفاوضات سنة ١٩٢١ وجرى الكلام في الاحتلال الانجليزي ، وأصرَّ المفاوضون المصريون على طلب الجلاء ، فقال لهم اللورد كيرزن في شيء من التهكم : واذا سحبنا عسكرنا من بلادكم ألا يجوز ان تحتلها اليونان في اليوم الثاني ؟ ! فانتفض رشدي انتفاضة شديدة واجابهُ من فورهِ : لا تنس يا لورد ان اسلافك حين حاولوا غزو مصر القاهم هؤلاء المصريون في البحر، وكان ذلك بقيادة جدي أنا ! (يريد رحمهُ الله موقعة رشيد) فوجم اللورد كيرزن ووجم الحاضرون جميعاً ، وبعد سكوت طويل او قصير صرف اللورد الحديث الى شأن آخر !

نزاهته

تقلب رشدي في مناصب الحكم حتى صارت اليه رياسة الوزارة ، وحتى طرح القدر بين يديهِ يوماً امر مصر كلها . وكان طوال زمن الحرب كل شيء (في الجهة المصرية على الاقل) فما التمس قط لنفسهِ ولا لاحد ممن يلوذون بهِ مغنماً من اي نوع كان، وعزيز عليَّ ان انوه بشرف رشدي وان اشيد بنبل نفسهِ ، فان مثلهُ لاجل من ان تلحق ذمتهُ التهم . ولقد وافقتهُ مرة في مكتب المرحوم احمد الازهري بك من كبار موظفي مصلحة الاملاك ، وهو يسألهُ في تأجيل دين عليهِ للمصلحة ، ذهب عني قدره بالضبط ، على انهُ على كل حال يضطرب بين الستمائة جنيه والثمانمائة . ثم التفت الى بعض الحاضرين وقال في مرارة أردفها بضحكة مصنوعة : يقولون اني بعت مصر بثلاثة ملايين فهلا دفعوا منها لمصلحة الاملاك هذا المبلغ واخذوا لانفسهم الباقي ؟

عطفه وبره

كان رشدي نبيل الاحساس بالغاً من طيبة القلب مبلغاً لا يكاد يلحقهُ فيهِ انسان . فما اصاب عانياً او مدنفاً او امرءًا تغير لهُ الزمن الاَّ احس بانهُ هو المسئول عما ضربتهُ بهِ الايام . وكثيراً ما تنتضح عينا هذا الرجل الشجاع بالدمع اذا رأى مكلوماً في جسمهِ او ممتحناً في اسباب حياتهِ . اما مالهُ واما جاههُ العريض فذلك كله نهب مقسم بين العافين من الناس . ولو كان رشدي باشا يملك كل ما في الدنيا من مال لخرج عنهُ لطالبيهِ في سماحة واسجاح . ولقد تقسم وقتهُ ، في اخريات سنيه ، بين ان يفرق على الناس كل ما احتوتهُ محفظتهُ ، وبين ان يطوف بهم الدواوين يشفع لهم في قضاء الحاجات . ولقد اسرف في هذا حتى ابتذلت شفاعتهُ او كادت تبتذل عند الحكام لشدة أفراطهِ في الرجاء ، على جلالة محلهِ لديهم وسمو قدرهِ عندهم . وحتى خرج من الدنيا صفراً الاَّ من الشرف والا من أعلى الذكرى لاعلى الرجال

وبعد فلقد خسرت مصر من غير شك بموت رشدي باشا مجموعة من المواهب جليلة غالية . واذا كانت الايام تنجب لنا رجلاً في علمهِ ، او في عبقريتهِ ، او في شجاعتهِ ، او في وطنيتهِ ، او في طيبة قلبهِ ، او في نبل اخلاقهِ ، او في كرم يدهِ . فهيهات ان تنجب رجلاً جمع معاً كل هذه الخلال كما جمعها فقيدنا العظيم ، وان لم يكن ذلك على الله بعسير

عبد العزيز البشري

الاستاذ جبر ضومط

ومباحثهُ في نشوء اللغة العربية

وجدنا هذه المقالة في اوراق المرحوم الدكتور صروف وكان قد كتبها قبيل وفاته لتتلى في حفلة تكريم الاستاذ ضومط . ننشرها الآن لان قرار لجنة التكريم قد استقر على اقامة الحفلة في ٢٨ ابريل كما ذكرنا في مقتطف ابريل الماضي

للشيخ اوقات يود فيها انقضاء الاجل ويقول مع لبيد

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ

وهي اوقات الضعف واوقات المرض واوقات فقد الاخلاء والاقارب. ولهُ اوقات غبطة وحبور اوقات يرى فيها تحقيق اماني الشباب او يجني ثمر ما غرسهُ زمن الكهولة او يسمع عن فوز رفاقهِ واصدقائهِ ومحبيهِ

كل ذلكم مرَّ عليَّ وأبقى اثرهُ في نفسي . تولاَّني الضعف في سمعي حتى صرت اتجنب المجتمعات ومرضت في بداءة العام الماضي حتى قطع الرجاء مني وفقدت والديَّ واخويَّ وثلاثاً من اخواتي وجمًّا غفيراً من تلاميذي واصدقائي

ولكن هذه المساوئ تقابلها نِعَم كثيرة حييتُ بها ومنها ما دعاني الى كتابة هذه السطور وهو ان احد تلاميذي في الصغر ورصفائي في الكبر بلغ بسعيهِ وجدهِ درجة اهَّلتهُ لان يحتفل بهِ عارفو فضلهِ في بلادهِ وفي سائر البلدان حيث انتشر تلاميذهُ وقرئت كتبهُ وعرفت آراؤهُ العلمية

صديقي الاستاذ جبر ضومط بل الفتى جبر ضومط رأيتهُ منذ ثمانٍ وخمسين سنة. ذهبت الى برج صافيتا او صافيتا البرج في صيف سنة ١٨٦٩ واقمت فيها اكثر من شهر ولا تزال صورتها في ذاكرتي لانها ممتازة ببرج شاهق مبني بحجارة جافية لم ارَ اكبر منها الاَّ الحجارة الكبرى في قلعة بعلبك . ارتفاع هذا البرج اكثر من ثلاثين متراً او نحو ارتفاع برج الساعة في هذه الجامعة وطولهُ اكثر من ثلاثين متراً وعرضهُ نحو عشرين وثخن جدرانهِ — وهنا المزية الكبرى — ثلاثة امتار الى اربعة حتى ان السلم الذي يصعد بهِ الى طبقتهِ العليا والى سطحهِ قائم في باطن جدار من جدرانهِ وحول هذا البرج مبانٍ فخمة حجارتها كبيرة منحوتة باقية من قلعة قديمة ربما بناها الصليبيون اما البرج فلعلهُ بني في عهد الفينيقيين او الرومان

بناء مثل هذا ترتسم صورتهُ في الذهن ولاسيما في ذهن الشاب قبلما تكثر مشاغل الحياة وترسخ معهُ صور كل ما حولهُ او يتصل بهِ . وقد مرَّ عليَّ الآن ثمانٍ وخمسون سنة ولا ازال اتذكر صافيتا وكل ما رأيتهُ بها او الذين لقيتهم من سكانها أفلا يؤثر منظر البرج العالي في نفس ولد من ابناء تلك القرية يراهُ كل يوم من حينٍ أميطت عنهُ التمائم ويحملهُ على طلب المعالي

كانت اقامتي في غرفة على تل مقابل للبرج والى جانبها مدرسة صغيرة لاولاد القرية انشأها المرسلون الاميركيون يعلّم فيها رجل من ابل السقي وبين تلامذتهِ ولد لم انس صورتهُ لانهُ انتقل بعد ذلك الى مدرسة عبيه فكنت اراهُ فيها ثم صار تلميذاً لي في هذه الجامعة وخلفني في تدريس العربية وآدابها . ولم يقنع بالخطط التي سار عليها اسلافهُ بل اختط خطة مبتكرة في الدرس والتدريس

***

هذه مقدمة طويلة اطول من كل مقدمة كتبتها . ولكن لا تخافوا ان آتي بعدها بكلام مسهب لانني اعلم ان الوقت محدود ولو كان الموضوع حقيقاً بالاسهاب

الاستاذ جبر ضومط لو اكتفى بنظم الاشعار كما كان ينظم بُعَيْد رحلته الى السودان او بتعليم الصرف والنحو والبيان كما يعلمها كثيرون غيرهُ لما استحقَّ في رأيي ان يحتفل بهِ هذا الاحتفال ولو قضى في التعليم ستين سنة لا خمسين او لما وجدتُ سبيلاً لالقاء هذه الكلمة عنهُ . ولكنهُ عمل َما هو اهم من ذلك كثيراً بحثَ في نشوء اللغة العربية بحثاً احسبهُ مبتكراً عندنا وممهداً لعمل اعدُّهُ من انفع الاعمال

المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قلَّ منهم مَن يبقي اثراً يذكر بهِ . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومائتي سنة الى الآن يعدون بالمئات او بالالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيبويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وامثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو ومع ذلك فعمل هؤلاء كلهم مقصور على الجمع والتبويب وما منهم مَن بحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها . فاننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعدُّ بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات بل الاصوات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعَّبت شعباً كثيرة ودخل المزج والنحت في كلماتها حتى بلغت ما بلغتهُ وهذا شأن العربية ولكنني لا اعلم ان احداً اطلق هذا البحث على العربية من ابنائها قبل الاستاذ جبر ضومط

الذين تعلموا الصرف والنحو وعلّموها لا يحصى عددهم ولكنني لم ارَ لاحد بحثاً في كيف بني الفعل جَلَس على فتح آخرهِ ولا كيف تدخل عليهِ الهمزة فيصير متعدياً بعد ما كان لازماً ولا من اين اتت التاء التي تلحق الفعل الماضي فتدلُّ على المتكلم اذا كانت مضمومة وعلى المخاطب اذا كانت مفتوحة وعلى المخاطبة اذا كانت مكسورة . ومثل ذلك كل تصاريف الافعال مجردة ومزيدة مفردة او ملحقة بالضمائر فانها كلها بلغت صورها المعروفة بعد ان دخلها المزج والنحت مدة قرون لا تحصى . والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع وكشف الستار عن غوامضهِ لمعرفتهِ العبرانية والسريانية شقيقتي العربية ولو عرف الحميرية والحبشية لزاد توسعاً في البحث وكشفاً للغوامض فهو مثل ورنر وليَل في علم الجيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك وداروين في نشوءِ الاحياءِ وتولد بعضها من بعض ومثل مندل في كشف ناموس الوراثة وتطبيقهِ على الاحياءِ

اليكم بضعة امثلة من كتابهِ الخواطر في اللغة الذي نشرهُ منذ اثنتين واربعين سنة فانهُ وجد اولاً بالاستقراء ان الكلمات المتشابهة في مخارج بعض حروفها تتشابه في معانيها كجذع وجدع وجدم وجذم وكبض وحبط . وكهجأ وهجع ونجم وكتم ونخر وختر وختل وكقطب وقطف. وارتأى ان ذلك كان سبباً لتولد كلمات مختلفة لفظاً ومشتركة معنى . ووجد ان وزن المطاوعة (انفعل) مركب من لفظة انا ضمير المتكلم والفعل المجرد فقولنا انغمستُ مساوٍ لقولنا انا غمستُ او غمست نفسي . ووزن افتعل اصلهُ اتفعل كما يلفظهُ المصريون وهو مركب من ات ومعناها ذات او نفس وهي إت في العبرانية ويت في السريانية وعليهِ ففعل المطاوعة مركب من الفعل المجرد وكلمة معناها النفس. اما وزن استفعل فقال انهُ مطاوع قياسي لوزن سفعل عند السريان ورجح ان السين منحوتة من فعل ممات يدل على الوجود المطلق ومن بقاياهُ ليس ولات وهما مؤلفتان من لا النافية والفعل المذكور للدلالة على نفي الحال او الكون وعلى ذلك تكون استفعل مركبة من ثلاث كلمات وهي اس وات وفعل فتلاحمت اجزاؤها مع الايام فصارت استفعل

ومن هذا القبيل تعليلهُ للضمائر فان لضمير المتكلم في العربية صورة واحدة وهو انا مفرداً ونحن جمعاً.وفي السريانية انا مفرداً وحنَن جمعاً وفي العبرانية اني او انوخي مفرداً وانحن او نحن او انو جمعاً وواضح من ذلك ان لفظة نحن العربية مركبة من نا او انوخي العبرانية الحق آخرها بالنون للدلالة على الجمع

ثم بيَّن ان الضمائر المتصلة منحوتات من الضمائر المنفصلة فالتاءُ المضمومة من انوخي والمفتوحة من انتَ والمكسورة من انتِ والواو من همون او همو والنون في ضربن من هنَّ ونا من نحنُ وهلم جرًّا

وكتاب الخواطر على صغرهِ جمع اكثر المبادئ الاولية التي مشت عليها اللغة في نشوءِها . وهو بحث مبتكر في العربية على ما اعلم . طرقتهُ انا في السنة التي طرقهُ فيها صديقي الاستاذ جبر كما يرى في الفصول التي انشأتها في المقتطف سنة ١٨٨٦ وموضوعها تولُّد اللغات ونحوها ولم اكن اعلم ما هو فاعل ولا هو يعلم ما انا فاعل ولكني اطلقت اكثر الكلام على اللغات كلها ولم اخص بهِ العربية ولم اكن اعرف السريانية والعبرانية حتى استعين بهما على تعليل ما وقع في العربية ولم ارَ بعد ذلك بحثاً لاحد في هذا الموضوع كان آية الحجاب سُدلت عليهِ . الاَّ ان ما اثبتهُ صديقي الاستاذ ضومط في كتابهِ الخواطر شبيه بما كشفهُ مندل في الوراثة فان مباحث هذا الراهب النمسوي التي نشرها سنة ١٨٦٦ طرحت في زوايا المنسيات مع انهُ كشف بها اهم الحقائق البيولوجية الى ان كشفت ثانية سنة ١٩٠٠ فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث ويكون متضلعاً من العربية والعبرانية والسريانية ومن الحميرية والحبشية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيميط اللثام عن تاريخ كل الكلمات التي في معاجمنا العربية . هذا ما ينتظر منكم يا تلاميذهُ ويا مريديهِ

قلتُ في بدءِ كلامي بعد المقدمة ان الاستاذ ضومط بحث في نشوءِ اللغة العربية بحثاً مبتكراً وممهداً لعمل اعدُّهُ من انفع الاعمال فما هو العمل الذي اعدُّ بحث الاستاذ ضومط ممهداً لهُ

اذا كانت اللغة العربية قد نشأت كما تنشأ كل الاجسام الحية واعتورها التغيير والتبديل كما اثبت الاستاذ ضومط فلا يحتمل ان يمرَّ الف واربعماية سنة تبقى فيها على حالها تماماً . والواقع انهُ عرض لها امران جوهريان الاول انها تغيرت تغيراً كبيراً في ألسنة المتكلمين بها في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر وبلاد العرب نفسها حتى لا يكاد ابن الشام يفهم حديث ابن تونس ولا يكاد ابن المغرب الاقصى يفهم كلام ابن العراق . الاَّ ان هذا التباين يكاد يكون محصوراً في الكلام وقلما تناول الكتابة ويحتمل ان يزول اكثرهُ بعد ما سهلت سُبل الاتصال وانتشرت الجرائد والمجلات

والامر الثاني وهو المهم انهُ دخل العربية كثير من لغات الاقوام الذين صارت

العربية لغتهم او الذين نُقلت العلوم من لغاتهم الى العربية . ولقد كان الدخيل كثيراً في العربية قبل الاسلام لانهُ لا يحتمل ان يتصل العرب بسكان مصر والشام والعراق وفارس كما كانوا متصلين ولا يدخل العربية كثير من اللغات المصرية واليونانية والسريانية والعبرانية والفارسية ولو خفي على جامعي العربية اصل كثير من كلماتها فحسبوها كلها من صميم العربية . وهذا بحث كثير الشؤون لا محل لهُ الآن . ثم زاد الدخيل بعد الفتح ونقل العلوم من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية ولولم يعلم جامعو كتب اللغة انهُ دخيل . ها كم قانون ابن سينا الذي الفهُ في بداءة القرن الخامس بعد الهجرة فقد عددت في الصفحة الاولى من جزءِ الاقراباذين مائة اسمٍ من اسماءِ النباتات وسائر المواد الطبية فوجدت الدخيل منها لا يقل عن سبعين اسماً وقد ذكرها ابن سينا كلها كأنها اسماء مألوفة في ايامهِ

القرن الثالث والرابع والخامس والسادس كانت من القرون الحافلة بالعلم والعلماء كما كانت حافلة بالشعراءِ والادباءِ وكما كان العلماءُ من اطباءَ ورياضيين وفلكيين يرحبون بكل كلمة اجنبية تزيد غناءَ العربية غناءً كان الادباءُ والشعراءُ لا يستنكفون من استعمال المعرَّب

ومنذ قام محمد علي عزيز مصر وعلَّم بعض ابنائها في اوربا وامر بترجمة الكتب العلمية الى العربية كما فعل الخليفة المأمون في عصرهِ دخل العربية كثير من الكلمات العلمية ثم اتسع نطاق الترجمة حتى شمل كل انواع العلوم الرياضية والطبيعية والحقوقية والسياسية وصار على المترجمين والمؤلفين ان يحذوا حذو الفارابي وابن المقفع وابن سينا وابن رشد فيبقوا الكلمات العلمية على وضعها وهي تعد بالالوف وعشرات الالوف ومآت الالوف فتغنى العربية بها ويسهل على المتعلمين تناولها او ان يفتشوا عن مرادف لها في العربية ويهملوا ما لا يجدون لهُ مرادفاً وما تتعذر ترجمتهُ . وقد ثبت من بحث الاستاذ ضومط في كتابهِ الخواطر ان العربية كانت في كل عصورها الماضية قبلما كتب حيَّة نامية . ويظهر باقل بحث ان هذا النمو استمرَّ الى الآن افيحسن بنا ان نقف الآن في سبيلهِ موجسين شرًّا لئلاَّ يدك مقام العربية ؟ لا يا سادتي واخواني العربية قائمة بتصاريفها وتراكيبها لا بالاسماءِ التي تدخلها فقد دخلها الوف من الكلمات السريانية والعبرانية والمصرية واليونانية ولم تزدها الاَّ غنى وستدخلها الوف اخرى ولا تزيدها الاَّ غنى ولها اسوة بالفرنسوية والانكليزية والالمانية وكل اللغات المشهورة . والكلمات تتنازع البقاءَ مثل الاحياء ولا يمكث منها الاَّ ما ينفع الناس فلا نكوننَّ عثرة في سبيلهِ



الكولونل لورنس

المشهور في اوربا بملك العرب غير المتوَّج

مقتطف مايو ١٩٢٨

امام الصفحة ٥٠٩

البادية العربية[1]

ARABIA DESERTA

ما نجا حتى العلماء من تسخير الحكومات في ايام الحرب العظمى . فالحكومة وان جازت العالم على عمله كانت تسخّـر علمهُ لاغراضها السياسية والحربية . ومن العلوم المسخَّـرة في تلك الايام المشرقيات . ومن المسخَّـرين — مأجورين كانوا او متطوعين — ثلاثة من الاوربيين المعروفين اليوم لان اقلامهم نمّت عليهم . ثلاثة هم الكرنل لورنس ، وهو اكثرهم شهرةً واقلهم علماً ، ومؤلف هـذا الكتاب ، وهو اكثرهم علماً واقلهم شهرة ، والمستر فلبي ثاني هذا وذاك في العلم وفي الشهرة

على انهُ لم يفز من الثلاثة فوزاً باهراً ، من الوجهة الحربية والسياسية ، غـير واحد وهو لورنس . ولم يفز من الثلاثة ، من الوجهة العلمية ، غير واحد هو الاستاذ موزيل . اما من الوجهة الادبية الصافية فالثلاثة متساوون في العظمة والكرامة — الثلاثة من المسلّين في حلبة الادب

كتب لورنس كتاباً سجّـعهُ بالبارود ، ورصّـعهُ بالديناميت — كتاباً حربيًّا كلهُ طعن وضرب ونسف وتدمير . هو قصة عنترة هذا الزمان ، عنترة الانكليزي ، ولكنها خلوٌ من الشعر . وكتب فلبي رحلتهُ في مجلدين فحاول في اسلوبهِ ان يقلد الرحالة الانكليزي الشهير هنري دَوْطي فخرج عن البساطة المحمودة ، ولم يدرك الصناعة المنشودة . والف الاستاذ موزيل كتباً ضخمة باسلوب عادي مملّ لا يستغوي من القراء غير من لهُ غرض علمي او مصلحة سياسية او اقتصادية في البلاد العربية

رحل هذا المستشرق ، المعروف بين العرب « بالشيخ موسى » ، بضع رحلات في القسم الشمالي من شبه الجزيرة . فكانت الرحلة الاولى في البتراء واطراف الحجاز الشمالية في سنوات ١٨٩٦ — ١٩٠٢ ، والرحلة الثانية في الحَماد والاراضي الواقعة

---

(١) هو عنوان الكتاب تأليف المستشرق التشكوسلوفاكي ألويز موزيل (Aloes Musil) استاذ الدروس الشرقية في جامعة تشارلس ببراغ . طبع باللغـة الانكليزية في مطبعـة الحكومة (Sta'ni tiska'an, Prague) للجمعية الجغرافية الاميركية بنيويورك (American Geographical Society New York) بعناية ومساعدة المجمع العلمي التشكوسلوفاكي والمستر كراين الاميركي المشهور بحبه للعرب

بين الجوف جنوباً والمياذين على الفرات (١٩٠٨ — ١٩٠٩) والثالثة في تدمر وجوارها (١٩١٢) والرابعة (١٩١٤ — ١٩١٥) هي الرحلة السياسية من قِبَل الدول الوسطى في الحرب العظمى

اما كتبهُ فقد كُتبت اولاً باللغة الالمانية . ثم تعاون ، على ما يظهر ، المعهدان التشكوسلوفاكي والاميركي ، اي المعهد العلمي ببراغ والجمعية الجغرافيـة بنيويورك (وكان المستر كراين اساس هذا التعاون) على طبعها باللغة الانكليزية . فظهر في السنة الماضية المجلد الاول منها في البتراء وشمالي الحجاز ، وهوذا بين يدينا المجلد الثاني في بادية العرب الشمالية ، وسيتبعها الثالث والرابع

يقسم هذا الكتاب ، المطبوع طبعاً جميلا متقناً ، المزين بالرسوم ، المشفوع بعدة خارطات كبيرة ، الى ثلاثة اقسام ، ولهُ ملحق طويل هو كتاب في نفسهِ

اما الاقسام الثلاثة فاولها واكبرها هو ثمرة الرحلة الكبرى في الشمال . والثاني هو حكاية رحلة صغيرة في العراق من عين التمر الى قصر الأُخَيضر فالنجف. وفي القسم الثالث جزء من رحلتهِ الاخيرة (١٩١٤ — ١٩١٥) التي رحلها من الشام الى الزبيبيات (في قلب الحماد) ومنها الى الجوف فحائل فالمشهد (النجف)

وفي الملحق نبذات تاريخية عدة ، منها نبذة طريفة عن عرب الشمال في عهد الاستيلاء الاشوري على سورية . ونبذة عن دومة الجندل (الجوف) قبل الاسلام وبعده . واخرى عن طريق القوافل القديمة والحديثة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة والنبذة الثامنة (الاخيرة) في الطريق الذي سلكهُ خالد بن الوليد من العراق الى سورية بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري والبلاذري وغيرهم

ان في هذا الكتاب اذن بحراً من العلوم التي تهم المستشرقين وتفيد المتأدبين من ابناء العرب . وقد برز لنا في ما يؤثر منهُ امران اولهما العذاب الذي يقاسيهِ المستعرب في طلب العلم ، وثانيهما التدقيق الذي يتحراهُ في نقدهِ ثم في تسجيلهِ للناس . وطريقة الاستاذ موزيل هي الطريقة العلمية الالمانية التي لا تخرج في مثل هذه الرحلات عن المحسوس ، وقلما تسمح للنفس التي يروعها الجمال — جمال الشكل وجمال المعنى — ان تعاون الضمير الذي لا يهمهُ غير الحقيقة الحسابية

٢

كانت دمشق باباً للرحلات الثلاث التي يحمل هـذا الكتاب اخبارها ، فجاءها

الرحالة في اول عهد الدستور العثماني ، وجاءها عند ما اصبح الدستور ساطوراً لضرب اعناق اعداء الاتحاديين (١٩١٢) ثم جاءها في نوفمبر ١٩١٤ وقد امست الدولة العثمانية سيفاً بيد الالمان . فكان في الرحلتين الاولين عالماً ، وكان في الرحلة الثالثة سياسيًّا او مسخَّراً للدعاية الالمانية

ولكن عمله الدائم المحاسن والفوائد هو عمله العلمي الجغرافي ، والفضل الاكبر في تمهيد سبيله وحمايته في البادية يعود الى صديقه الصدوق الامير نوري الشعلان شيخ مشايخ الروَله. على ان تلك الحماية لم تكن دائماً فعلية فعالة. ومن اين لها ان تكون كذلك واعداء النوري يومئذٍ كثيرون في بادية الشمال وفي الجنوب . فلم يكن للروَله من القبائل الموالية غير القليل كبعض الحويطات وولْد علي والعمارات

رحل الاستاذ موزيل (الشيخ موسى) من الضمير في خريف ١٩٠٨ الى الميادين على الفرات ، ومنها نزل الى الحماد ، ومنها الى وادي سرحان فالجوف ، فالهوجا حيث كان الامير مخيماً . ومن الهوجا عاد شمالاً حتى وصل الى اللاَّهه[1] قرب جبل عنَـيز (عنزى)[2] جنوباً بشرقٍ منهُ — ثم عاد جنوباً الى سكاكة وقارة فاجتمع بنوري ثانية هناك ، ورافقهُ شمالاً ، فعرج على قصر الازرق وقصر الحلاَّبات، وعاد الى الشام بعد سبعة اشهر من ارتحالهِ منها

سبعة اشهر في البادية ، وفي ايام لم تكن البادية كما هي اليوم آمنة. لم يكن ابن سعود قد استولى عليها كلها . فلا عجب اذا كانت الاسفار محفوفة بالاخطار . فقد كانت قافلة الاستاذ موزيل عرضة للصوص والغزاة ، فوقعت في ايديهم مراراً ، ونجت منهم بفضل الكرام الشجعان من العرب ، وفي مقدمتهم الامير نوري وابنهُ نوّاف ، ورشيد بن سمير من مشايخ ولْد علي

ولم يكن الاستاذ موفقاً بخدامه وادلائه ، فسلبه احدهم ، وخانهُ الآخر ، وهجرهُ الثالث . وكان الصالح منهم « يصلي ويغلي رأسهُ » فسرت الى الاستاذ « بركاته » ، والعياذ بالله ! ثم أُسر وأُهين في سكاكه، ومرض ورفيقه الجغرافي بالحمى . هي المشقات في البادية بعضها ينسيك البعض الآخر، ويلازمك بعضها ملازمة الظل. فيوماً ترتشف

(١) لاهه (وقد جاءت في معجم البلدان الالاهه) كانت قديماً الحد الفاصل بين عرب الحيرة الذين كانوا يدينون للفرس وعرب الشام الذين كانوا يدينون للرومان

(٢) جبل عنزى هو اليوم اقصى نقطة الى الشمال في حدود المملكة النجدية

الماء من الموحلات في قعور الآبار ، ويوماً تكاد تهلك من الظمأ . يوماً تأكل الضب والغراب ، ويوماً تسف برغلك مجبولاً بالتراب . تحرقك في النهار شمس الهاجرة ، وتتألم في الليل من شدة البرد ، وانت لا تأذن ربعك بشبّ النار خوف ان يهتدي اليكم اللصوص

سبعة اشهر من هذه الاخطار والمشقات ، ثم عاد الشيخ موسى الى الشام ظافراً بما كان ينشدهُ من العلم — والغنيمة الكبرى السلامة

وقد ألمّ هذا العالم بالعلوم التي تختص باماكن المياه التي نزلها والتي سمع بها ، وبمن نزلها من الاقدمين، وبمن ينزلها اليوم من العربان ،وبالطرق اليها القديمة والحديثة— طرق الفاتحين من بلاد آشور وطرق القوافل من الشرق الى الغرب — مستشهداً بما اكتُشف في بابل من الآثار الاشورية في اواخر القرن الماضي ،وباقوال العرب المؤرخين منهم والشعراء، ومصححاً في بعض الاماكن اغلاط ياقوت الجغرافية واغلاط الطبري وغيره التاريخية

اما وصفه للبلاد — جبالها وتلولها واوديتها وشعبانها وآبارها وغدرانها وسبخاتها وخبراتها وبراكينها وآثار البراكين والضلوع المكونة من الحمم— فهو وصف علمي تام اي وصف جيولوجي جغرافي دقيق . الا انهُ لا يخلو في بعض الاماكن من الجمال الشعري ، كوصف الحماد عند الغروب (صفحة ٢٣) والخبرة (٧٦) وشجر الغضى في النفود (١٤٩) وقد قال ان نار الغضى تدوم تحت الرماد عشر ساعات لاغير

واليك مثالاً من وصفه العلمي . قال في القَرَت التي كتبها خطأً ، او كما يلفظهـا البدو، بتسكين الراء ا : « القرت تل شكلهُ كشكل المائدة ، ذو طبقات من مختلف التربة بعضها اشد من بعض . والطبقة العليا هي غالباً اشد من الطبقات الاخرى تحتها ، فتلين هذه للشتاء والرياح ،وتتفتت ،فيقع ما فوقها ، فيتكسر صخوراً وحجارة هي التي نراها مبعثرة في السهل حولها (اي حول القرت) » .

ومن فوائد الكتاب لمن يروم درس القبائل ، او لمن لهم اشغال معها ، ما جاء فيه من تقويم واحصاء عرب الروله والعمارات والفدعان وولد علي فقد ذكر بطون كل قبيلة وافخاذها ، ومشايخها ومضاربها ، والاماكن التي تربع وتصيف وتشتي فيها . واهم ما جاء في هذا الباب احصاؤهُ لعرب الصُلَّبه الذين تضاربت فيهم آراءُ العلماء والمؤرخين تُقسم الصُلَّبة الى اقسام تدعى بآل. كآل ماجد في جوار الكويت ، وآل جميل

في القصيم ، وآل بنّاق في جوار حائل ، وآل وذيح وآل راضي في الحماد الخ . عددهم كاملاً ثمانية عشر بطناً ، وعدد خيامهم كلها نحو الف وخمسمائة خيمة . والصلبة تدفع « الخوة » للبدو المجاورين لها لقاء الحماية . ولكل قبيلة من قبائل العرب الكبيرة شيخ خاص بذلك — هو ضابط الارتباط بين تلك القبيلة والصلبة المقيمين في ديرتها او في جوارها

كأن هؤلاء العربان من غير العرب . وقد قالوا في ذلك اقوالاً هي كلها او جلها من باب التخمين . فقد يكونون من بقايا الصليبيين في هذه البلاد . او كما قيل للاستاذ موزيل وقيل لنا — وهو الارجح — انهم دخلوا البلاد العربية من جهة الحسا . فقد يكونون لذلك من بقايا الصابئين

ومن محاسن هذا الكتاب ان اسماء الاعلام والاماكن والآبار مضبوطة كلها بقدر ما يستطيع الاجنبي ضبطها . فيمكن القارئ العربي — اذا عرف القاعدة — ان يردها الى اصلها دون ان تلتبس عليه السين والصاد مثلاً ، او الطاء والتاء ، او الدال والضاد

على انهُ ، من وجهة انكليزية ، يُنتَقد على المؤلف انهُ في الطبعة الانكليزية لم يتبع القاعدة المصطلح عليها في اكسفورد والجمعية الملكية الاسيوية ، والتي اصبحت شائعة بين المستشرقين والادباء الذين يكتبون في الموضوعات الشرقية . واكبر شواذهِ في هذا الباب انهُ عبر عن الياء بالجيم J وهي في الانكليزية لا تؤدي معناها في الالمانية

فالقارئ الاميركي او الانكليزي الذي يقرأ Dmejr to Al-Mijadin لا يستطيع ان يلفظ الكلمة الاولى ، ويقول في الثانية المجادين لا الميادين . فكان ينبغي للمؤلف والمحرر ان يستعيضا عن هذا الحرف بال Y فيكتبان Yamama مثلاً لا Jamama او Zabibiyat لا Zabibijjat

ومما يزيد في تضخم الكتاب وتضجر القارئ تدقيقٌ في بعض الامور التي لا تفيد احداً . مثال ذلك مما لا تخلو صفحة منهُ : « من الساعة ٠٨/١١ الى الساعة ٢٢/١١ استرحنا . وفي الساعة ٤٥/٢ بعد الظهر وصلنا الى شعب الغرّى شمالي آبار الشبيشية » « رعت جمالنا من الساعة ٥٦/٩ الى الساعة ٤٢/١١ »

وهل ينقص من الكتاب او من العلم شيء نافع اذا أُهمل مثل هذا التدقيق في الاستراحة والرحيل ، وفي مرعى الاباعير ؟

امين الريحاني

في الجزء التالي فصل آخر فيه بيان لما فعله موزيل لاستمالة العرب للدول المتوسطة وكيف فاز عليه لورنس في ذلك

نشيد الخلود

حدثنا الاستاذ الشيخ فؤاد الخطيب ناظم هـذه القصيدة البليغة ان معا نيها
وصورها تمثلت في ذهنه على اثر مطالعته لكتاب « بسائط علم الفلك »
الذي وضعه المرحوم الدكتور صروف باسطاً فيه عظمة الكون وروائعه

نظر المشيبُ اليك قبل اوانِ فرزحتَ تحت غوائلِ الاشجانِ
ودَّعتَ يومَك فاستطار بك الاسى جزَعاً تَعَضُّ عليه كلَّ بنانِ
ونَفضتَ ثوبك منهُ أشعثَ مُحْنَقاً نَفْضَ العُقابِ الطَّلَّ فوق رعانِ
كم نظرةٍ لكَ ان عبست كأنها قبسٌ تهافتَ عنْ شباةِ سنانِ
فاهزأ بدهرك مقبلاً او مدبراً ان ضاق ذرْعُ سواك بالكتمانِ

***

وَيْحَ « الطبيعة » كيف تمزُجُ برَّها باللؤم تسخرُ منك كالمُجَّانِ
تتلقَّفُ الفضلاتِ ثم تدُسُّها لك في الطعام شهية الالوانِ
من كل فاكهةٍ وناعم نَبْتَةٍ هي في الرغام وليدة الادرانِ
تتحوَّل الاوضار تحت صعيدِها صُوَراً من الثمرات في الافنانِ
ومن الجنان قشيبة أبرادها ومن الربيع مضمَّخ الاردانِ
ولو استتبَّ لك اكتناهُ خفيِّها لعجبْتَ كيف تُسام كلَّ هوانِ
وشهدت بين يديك صُنْعَ مُشعْوذٍ لبقِ اليدينِ وساحرٍ فنَّانِ

***

تركتْك اعزل بين مشتجر الاذى فتخطفتْك طوارق الحدثانِ
ورمتك بالخلق المشمّر خلسةً من كل مطَّلع وكل مكانِ
متدفق وقد استسرَّ محجَّباً يستلُّ منك سلامة الابدانِ

تَرِدُ المياهَ وكلُّ سائل قطرةٍ سيلٌ من الحشرات والحيوانِ
خفيتَ عليك ، ورفَّهت عنك الجوى فنأيت عن حتفٍ لحتفٍ دانِ

***

ان ضلَّلتك وأوبقتك فإنها طُبعت على التمويه والعدوانِ
ولشدَّ ما اختلفت عليك فاصبحت لك قدوة في الختل والرَّوغانِ
فركبت رأسك تستفزُّك نزوةٌ خبطت بك الظلمات غير مُعانِ
وحملت اعباء السنين تجشُّماً من اجل بعض اللهو بضع ثوانِ
أجرٌ لعمر ابيك ابخس ما رأت عينانِ ، او سمعت بهِ أذنانِ

***

فسلِ الحياة الى م يصرع بعضها بعضاً فجنيٌّ عليهِ وجانِ
هي بين مأكولٍ وآخر آكلٍ متطاحنين فناشئٌ من فانِ

***

تبني وتهدم ما بنتهُ ملولةً تتبدَّلُ البنيان بالبنيانِ
كالشارب الملتخِّ بعد تحمُّسٍ شجَّ الكؤوس ، ومجَّ بنتَ الحانِ

***

للّه كم للجهل عندك من يدٍ ازرت بكل يدٍ من العرفانِ
عبرت بهِ الاوهامُ تألف عندها بَرْدَ اليقين ونعمة الرضوانِ
فالشهب تسبح ، والنجوم مطلةٌ سهراً عليك وحولك القمرانِ
مخلوقة لك ، دون غيرك ، — كلها صور اليك — وانت ذو السلطانِ
تلك السعادة في الحياة وان تكن عبث الوليد وضحكة الازمانِ

***

ولقد وثبت من الحمول ولم تذق   في العلم غير مرارة الخذلانِ
فرأيت عالمك المشيَّد ذرةً   خلل المجرة في سديم دخانِ
فنكصت اخسأ ما نكصت مزلزلاً   من روعة الملكوت في الأكوانِ
سُدُمٌ تهيم ولا فضاء يحدها   تَرَجٌّ بين تصدعٍ وكيانِ
لله العوالم والشموس تفجُّراً   — عددَ الرمالِ — تفجر البركانِ
من انت في الدنيا ؟ ومن هي نفسها ؟   فتقول نحن ! ومن هما الثقلانِ

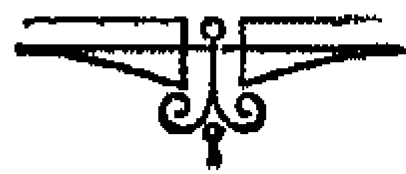
***

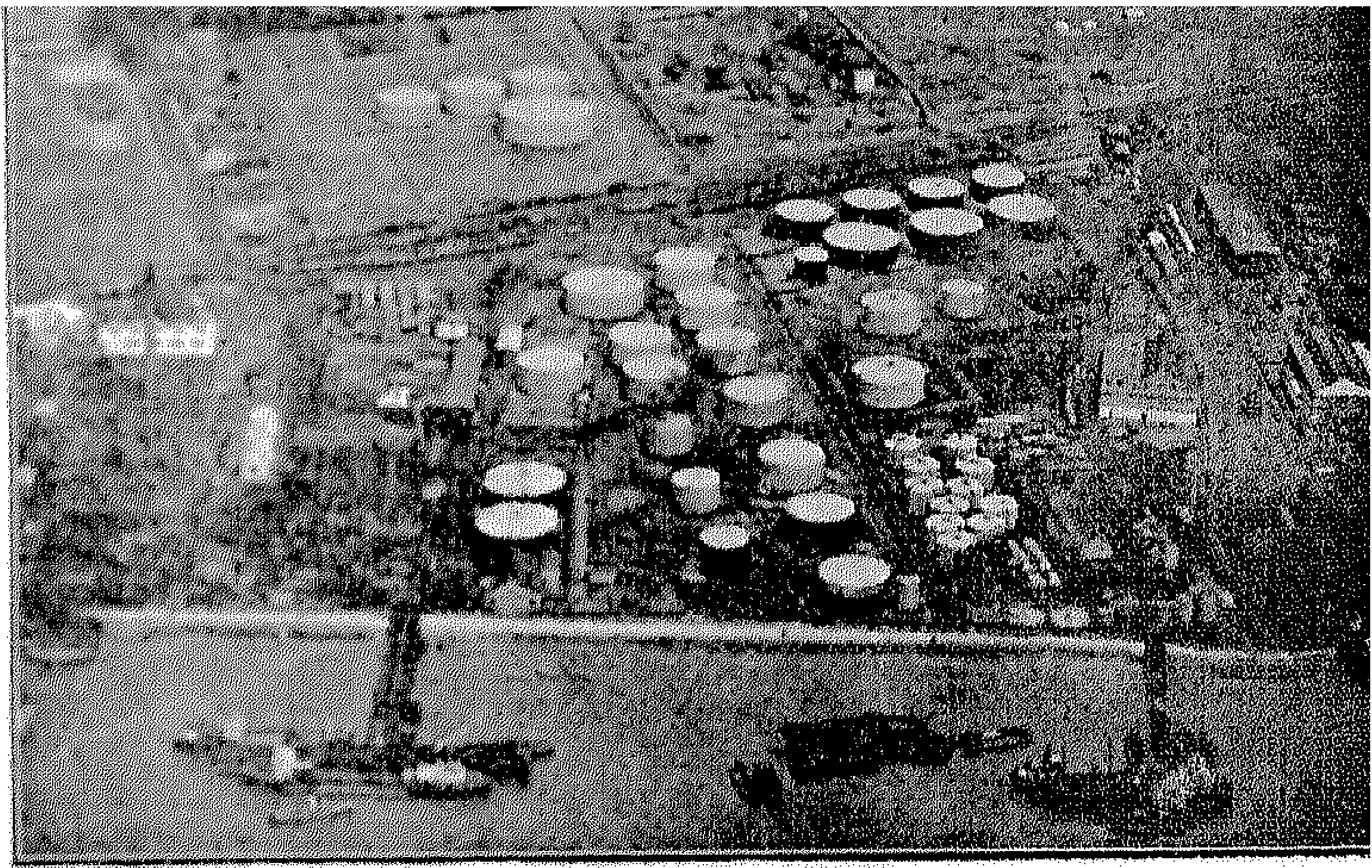
الويتَ منخلع الفؤاد بنجوةٍ   واليأس حولك ضارب بجرانِ
وغبرت تهلع من مصيرك في غدٍ   أن يستبدَّ بهِ الزوال الثاني
تنقضُّ منتثر الهباء ممزَّقاً   بين العناصر طامس العُنْوانِ
حمل الغواة عليك في نزغاتهم   فضللت بين الحسِّ والوجدانِ
اني كفرت بما يقول غويهم   ورضيت بالتوحيدِ والايمانِ

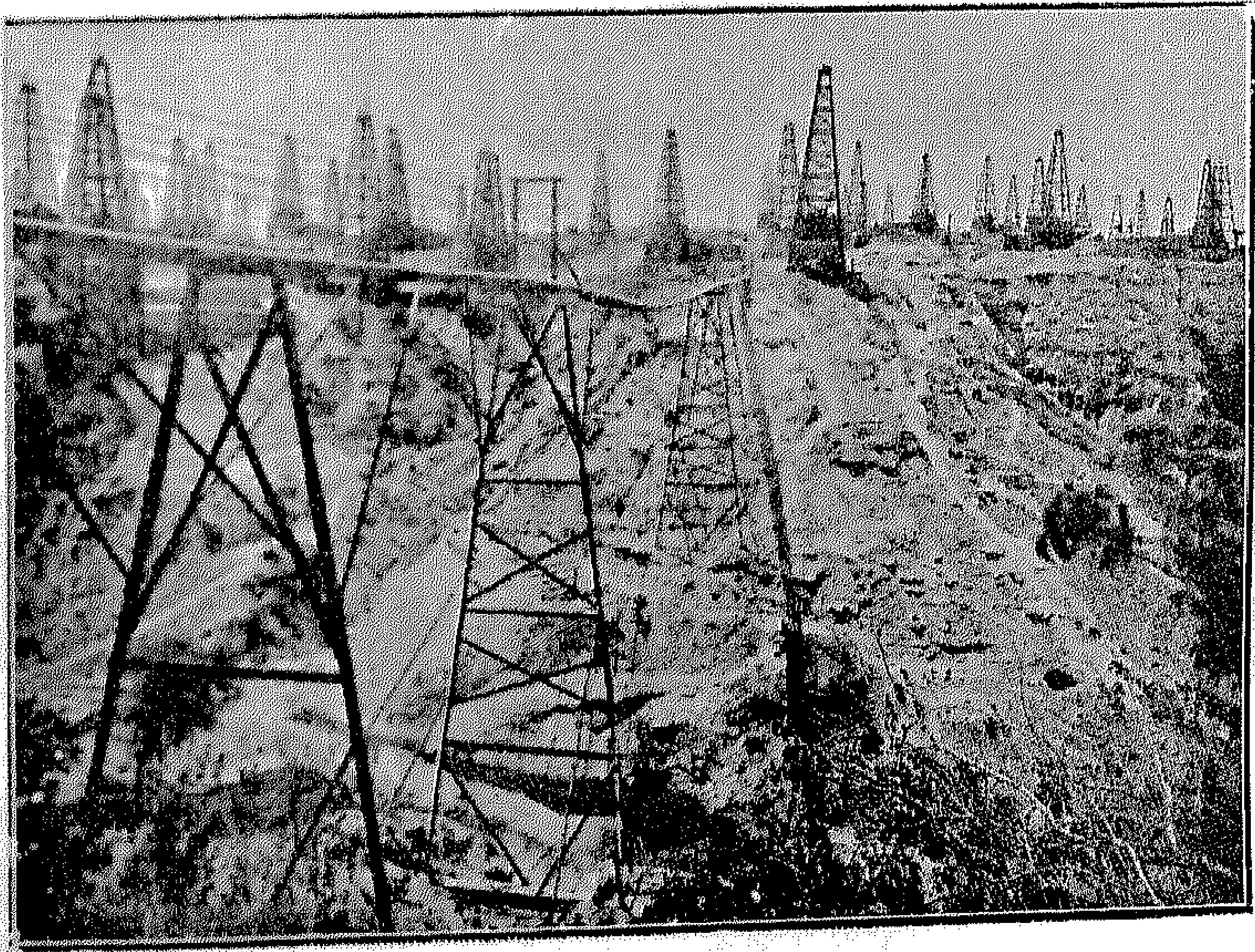
***

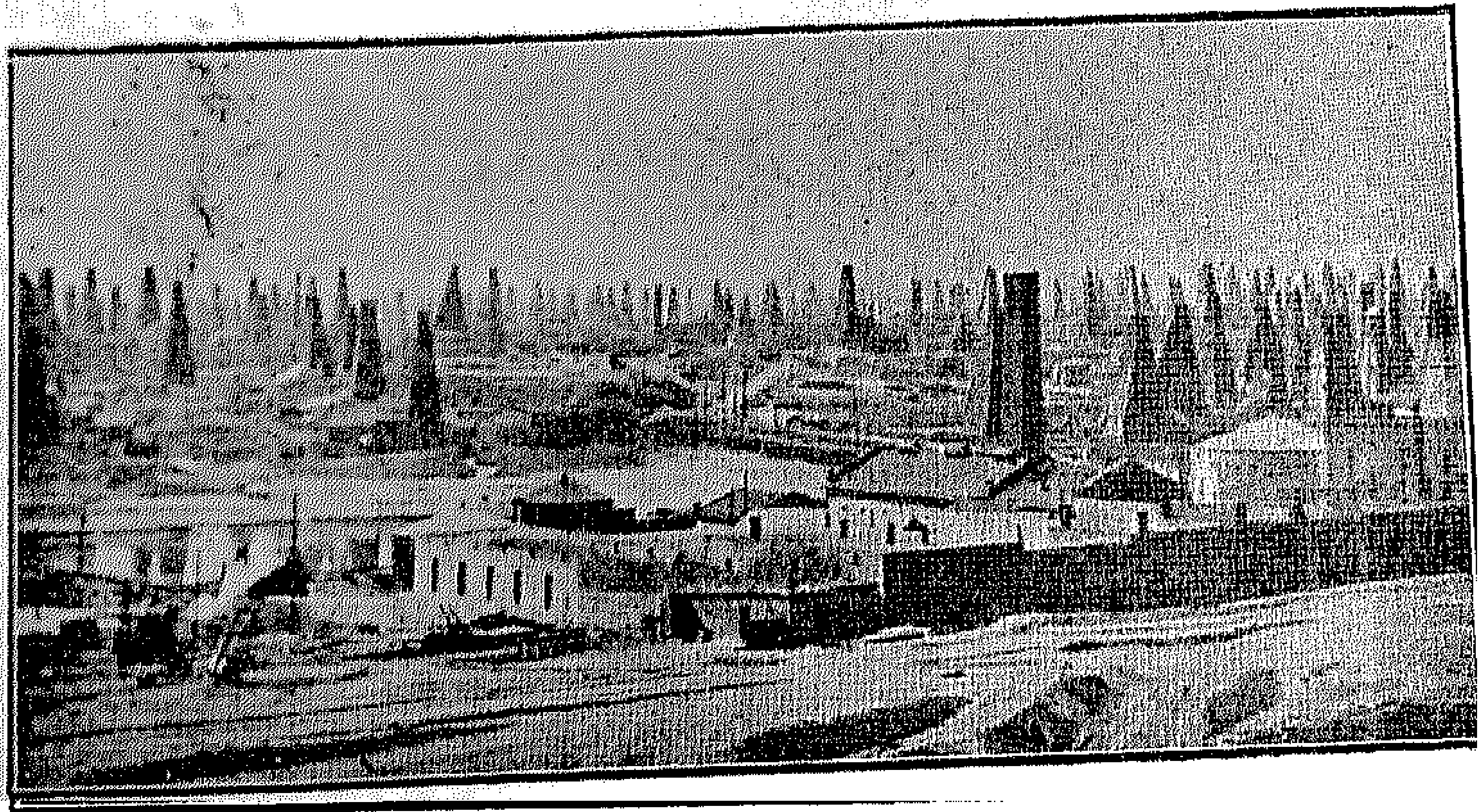
الوحي اصدق والخليقة آية   لله تنطق عنهُ بالبرهانِ
ومن الخلود على الخلود ادلَّة   للنفس تنسخُ زخرف البهتانِ
والارض دائرةٌ : فهل ابصرتها   كُرَةً ؟ وهل أحسستَ بالدورانِ
الحس يكذبُ ، والعقول كليلة ،   والروح أطهر ، والوجود معاني

فؤاد الخطيب









مناظر آبار النفط والاحواض التي يخزن فيها

النفط

PETROLEUM

لا يخفى ان السفن البخارية تجارية كانت او حربية صار الجديد منها يسير بالبترول لا بالفحم الحجري ، وكثير من القديم أبدلت آلاته حتى يستعمل فيها البترول بدل الفحم الحجري . فاذا لم يكن لدى دولة من الدول منابع بترول كافية ودائمة فلا تستطيع ان تناظر غيرها في التجارة البحرية ولا في الحروب . فالطيارات والسيارات والغواصات عدا البوارج الضخمة تسير كلها به فهو من الزم اللوازم في الحروب البرية والبحرية والجوية . وهذا منشأ ما للبترول من المقام الكبير في مجامع الدول . وقد اتحفنا الزعيم الدكتور امين معلوف المعروف لدى قراء المقتطف بمعجمه الطريف في « علم الحيوان » ببحث لغوي تاريخي في هذا الموضوع نزف الى القراء الجانب الاول منه فيما يلي :

١ — تحقيق لغوي

النِفط والقار والقير والكُفر والقُفر وقفر اليهود والحُمَر والزِفْت والمومياء والقَطْران مواد هِدروكربونية مؤلفة من الهدروجين والكربون على نسَب مختلفة . والعلماء في ايامنا يطلقون القار وهو بتومن عند الرومان على جميع هذه المواد سواء كانت جامدة كالحُمَر او سائلة كالنفط او هوائية كالغاز الخانق

فالنِفْط بكسر اوله واسكان ثانيه وقد يفتح اوله دُهن معدني ابيض او اسود ضارب الى الخضرة سريع الاحتراق يسمَّى باللاتينية بتروليوم اي دُهن الحجر او زيت الصخر . ولفظة النِفط عربية سامية قديمة جدًّا اخذها اليونان عن العرب وقالوا نفثا وهي معناها . ومما يدلُّ على اصلها الساميّ انها بالسريانية والعبرانية مثل العربية مع اختلاف قليل في اللفظ . ثم ان اليونان كانت اول معرفتهم بالنفط في العراق وكان من البديهي ان يسموهُ نفطاً كما سماهُ العراقيون من سريان ويهود وعرب ولعلهُ سمي بذلك لخروجهِ من باطن الارض كما يتضح من مادة نفط ومشتقاتها في كتب اللغة كذلك نفث ونبط ونبض ونبص ونبث ونبش واشباهها فكلها تدل على الخروج او الدفع ثم تفرَّع من ذلك معنى الاحتراق كقولنا تنفَّط الرجل غيظاً اي احترق

ومن اسماء النفط زيت الصخر وزيت الجبل ودُهن الحجر ودُهن الصخر والدهن المعدني وقد ذكر اطباء العرب هذه الاسماء كلها . وفي مصر معدن منهُ في

جبل سماهُ العرب جبل الزيت ولا يزال يعرف بهذا الاسم الى يومنا وسماهُ الرومان منس بتروليوس اي جبل زيت الصخر او جبل الزيت كما قال العرب . وليست لفظة بتروليوم قديمة عند الرومان ولم ترد في فصيح كلامهم قالهُ السر بُقَرْتَن ردْوُد وكان عالماً جولوجيًّا خبيراً في النفط ولهُ مطولٌ فيهِ اخذت عنهُ شيئاً كثيراً مما ورد في هذه المقالة (١)

والنفط كما تقدم لفظة عربية فصيحة وهي شائعة عند العراقيين يقولها خاصتهم وعامتهم ويريدون بها هذا الدهن او الزيت المسمَّى بالبترول او البتروليوم عند الافرنج وهم يسمون الخالي منهُ بالنفط الاسود اما الصافي المكرَّر المعروف في مصر والشام بزيت الكاز فانهم يسمونهُ النفط فقط او النفط الابيض . على ان بعض كتَّابهم اخذوا يقولون البترول وزيت الكاز نقلاً عن الجرائد المصرية والشامية ولكنهُ نادر جدًّا . وحبذا لو شاعت لفظة النفط بين كتاب العربية في مصر والشام كما هي شائعة في العراق عوضاً عن البترول او زيت البترول فهذه معناها زيت زيت الصخر بتكرار لفظة الزيت فلنحتفظ بالنفط ولو بالاسم . ومن اسماء النفط التي ذكرها علماء العرب فَطْرُولا وبِطرالاون وكلاهما بمعنى زيت الصخر او دهن الصخر كما مرَّ (انظر بطراون في ابن البيطار ومادة خَلـق في معجم دوزي)

والقار او القِير هو ما سمَّاهُ الرومان « بتومن » ومنهُ الاسم الفرنسي والانكليزي وهو اسْفَلْتُس عند اليونان ومنهُ اسفلت بالفرنسية والانكليزية واللفظة مأخوذة من الزفت العربية وهي بالسريانية والعبرانية كالعربية مع اختلاف قليل في اللفظ فصار زفتنا يونانيًّا وسمي اسفلتساً ثم تفرنج ودعي اشبلطاً قالهُ دوزي عن ابي الوليد ثم تدمشق وتمصر وصار اسفلتاً اما اهل العراق فقد ابقوا اسمهُ العربي الآخر وهو القِير وهم يشتقون منهُ فعلاً ويقولون قيَّر السفينة وقيَّر الطريق وكلهُ فصيح لا عجمة فيهِ . ولعل القير هذا والجير اي الكلس اصلهما واحد في اللغة لان القاف والجيم يتبادلان في اللفظ فالعراقيون يلفظون القير كما يلفظ اهل القاهرة الجير واحياناً كما يلفظها اهل الصعيد ويلفظون القَيَّار والقَيَّارة اي صانع القير ومكان القير كما يلفظ اهل القاهرة الجيَّار والجيَّارة . ثم ان القير والجير كلاهما مِلاط وكان ملاط القدماء من اهل العراق

(1) A Treatise on Petroleum by Sir Boverton Redwood, Bart., D. Sc., F. R. S. E., etc., London 1926

القير ولا يزال كذلك في بعض الاحيان ثم استعاضوا عنهُ بالجير ولكنهم لا يسمونهُ جيراً كما في مصر بل نُورة . والجير كالقير اي بكسر الجيم وفتحها في محيط المحيط خطأ مطبعي

والحُمَر هو القير واللغة عربية ساميّة وهي حَمَر بالعبرانية باختلاف في الحركات وقيل لي انها تلفظ حمَار وقد سُمّي الحُمَر بذلك لاحتراقهِ لان مادة حَمّر بالعربية تدل على الحرارة او الاحتراق . او كما جاء في معلمة التوراة [1] لانهُ اسود ضارب الى الحمرة على اني ارجح ما ذكرتهُ كما سيأتي في حَمَارة ينار طاش . والحمر معروف في جبل الشيخ وغيره من انحاء الشام باسمه هذا والعامة في الشام تشدّد الميم

والكِفر والقُفر وقُفر اليهود وقفر اليهودية والقُفر البابليّ هو الحمر وقد ذكر اللغويون الكُفر بهذا المعنى ولكنهم لم يذكروا القفر فيما اعلم وانما ذكرها الاطباء وضَبَطها لكلارك بالفتح ولم يضبطها دوزي واظنها بالضم كالكُفر وهي كفر (Kopher) بالعبرانية وتكتب بالكاف لا بالقاف . ولعل اطباء العرب انفوا من كتابتها بالكاف لكي لا يقال كُفر اليهود فقالوا قُفر اليهود . وعلى كلّ فاللفظة سامية وهي كما جاء في معلمة التوراة كُفَر بالعبرانية وكُپْر او كُفْر بالاشورية . أما قفر اليهود وقفر اليهودية فهو الحمر الذي يخرج من الغَور اي غور اريحا والقُفر البابلي القير الذي يخرج من هِيت على الفرات وكان البابليون يقيرون ابنيتهم وقفافهم بهِ كما يفعل العراقيون الآن ولم اسمع الكفر او القفر من العامة في العراق والشام وربما كان معروفاً بهذا الاسم في فلسطين على اني لم اسمعهُ . وكفري بلدة في العراق وكفرية قرية بالشام وكلاهما نسبة الى الكفر وهو معروف فيهما

والزفت ضربان معدني وصناعي فالمعدني هو الحمر او القير والصناعي هو ما يبقى من تقطير القطران سواء كان قطران الفحم او قطران الخشب . واللفظة عربية سامية كما مر في الكلام على القار

والمومياء وتسمَّى القطران المعدني ضرب من القار وهي مادّة سوداء لزجة بين النفط والحُمَر كان المصريون يحنطون موتاهم بها وقد وجدها العرب في القبور وفي كهوف بلاد فارس واليمن فسموها المومياء نقلا عن المصريين فان الموم بالقبطية معناهُ الحُمَر والمومياء الجثة المحنطة قالهُ السر بفرتن ردود وقيل انها من موم بالفارسية

(١) Encyclopedia Biblica

ومعناهُ الشمع فسماها العرب مومياء لمشابهتها اياهُ في قِوامهِ . ولا ادري ايّ القولين اصح ولكنها ليست يونانية كما جاء في بعض كتب اللغة ولعل احد العارفين باللغة القبطية يجلو هذه المسألة . ولم يَخْفَ على ابن البيطار وغيرهِ من علماء العرب ان المومياء هي الحمر او القار . ومن اسمائها باليونانية بسَّسْفَلتس اي زفت الحمر وباللاتينية لمثة من ملثة باليونانية اي الملاط وربما كانت سامية الاصل لان ملاط القدماء كما مرّ كان قيراً ومنهُ المقير اي أُور الكلدانيين على مقربة من الناصرية

ومن المومياء نوع يصنع منهُ شمع يستضاءُ بهِ واسمهُ عند الافرنج أُوزُوكريط ومعناهُ الشمع المنتن ولعل اصلح اسم لهُ بالعربية القير المنتن او المومياء المنتنة. ولا يخفى ان قيرس باليونانية وهو الشمع كالقير بالعربية وهو الحمر

والقطران وفيهِ لغات سيّال يستخرج من الشربين والارْز والتنُّوب ومنهُ قذريا باليونانية وهو بمعناهُ وقذرُس وهو الشربين والأرْز ومنهُ ارز لبنان بالانكليزية والفرنسية وكلهُ من مادة قطر بالعربية او من اصل ساميّ آخر شبيه بهِ كما يستدل من معاني هذه المادة وما اشتقّ منها كالقطران فقد سمي بذلك لانهُ يقطر او يسيل من هذه الاشجار . والقطران اصناف منهُ قطران الخشب وهو الذي تقدّم ذكرهُ وقطران الفحم وهو يستخرج من الفحم الحجري والقطران المعدني وهو المومياء كما ذكر آنفاً

وهذه الموادّ كلها متشابهة التركيب متفاوتة القوام لا يعرف متى ينتهي الواحد منها ولا متى يبتدئ الآخر على ان الغالب فيها ان النفط يخرج سائلاً ويبقى كذلك والقار يخرج مائعاً ثم يجمد والحمر يكون في جوف الارض جامداً والمومياء بين بين . وقد اطلق علماء الجولوجية لفظة القار على هذه المواد كلها سواء كانت جامدة او مائعة او هوائية فيمكن ترجمتها وتعريفها كما يأتي لكي تنطبق على العلم الحديث

معجم موجز

القار والقير (Bitumen) الحُمَر او الزفت المعدني . وعند العلماء معدن سريع الاشتعال يشمل النفط والحمر والغازات الخلقية وكلها مواد هدروكربونية مؤلفة من الهدروجين والكربون على نسب مختلفة

(١) الحُمَر والكفر والقفر والقير (Asphalt) ضرب من القار الاسود وهو صلب قصم لماع فاذا أُحمي لان وتلزَّج . منهُ صنف في هِيت من اعمال العراق يعرف بالقفر البابلي وصنف في غور اريحا يعرف بقفر اليهود (Jew's Pitch) وقفر

اليهودية (Bitumen of Judea) وصنف في جبل الشيخ قرب حاصبيا يعرف بالحمر وقد ذكر اطباء العرب جميع هذه الاسماء

(٢) قيّر او زفّت (To Bituminize or Asphalt) اي طلى بالقير او الزفت

(٣) المومياء (Mummia) (ا) ضرب من القار لين لزج بين النفط والحمر كان المصريون يحنطون موتاهم بهِ (ب) والمومياء الجثة المحنطة

(٤) (Maltha) الملاط (ا) ما يملط بهِ كالقير والجص والكلس (ب) المومياء وهي ضرب من القار

(٥) الزفت (Pitch) مادة هدروكربونية سوداء صلبة تحترق وهو نوعان معدني (Mineral Pitch) وهو الحمر او قفر اليهود (Jew's pitch) وصناعي وهو ما يبقى من تقطير القطران

(٦) زفّت (To pitch) اي طلى بالزفت

(٧) القطران (Tar) سيال اسود يحترق وهو اصناف صنف يستخرج من شجر التنوب ونحوهِ ويقال لهُ قطران الخشب وصنف يستخرج من الفحم الحجري يقال لهُ قطران الفحم وصنف يكون معدناً في جوف الارض يقال لهُ القطران المعدني او المومياء وهو أشد قواماً من الصنفين الآخرين

(٨) قطّر وقطرن (To tar) اي طلى بالقطران

(٩) المومياء المنتنة (Ozocerite) ويقال لها القير المنتن والقير الابيض ضرب من المومياء يصنع منهُ شمع يستضاء بهِ والافرنج يسمونها اوزوقريط ومعناها الشمع المنتن

(١٠) النفط (ا) (Petroleum) دهن معدني ابيض او اسود ضارب الى الخضرة سريع الاحتراق ومن اسمائه دهن الحجر وزيت الصخر (ب) والنفط (Naphtha) سائل طيار سريع الالتهاب يستخرج من النفط الاسود والاصلح تسميتهُ بالنفثة متى كان بهذا المعنى

(١١) الغاز الخَلْقي (Natural Gas) غاز يخرج من جوف الارض سريع الالتهاب جدًّا وقد يلتهب من ذاته متى مسَّ الهواء كما في باكو وكركوك واضالية

والمواد التي تستخرج من النفط والقطران كثيرة جدًّا لا اسماء لها بالعربية والاصلح وضع الفاظ لبعضها وترجمة البعض الآخر او تعريبهُ اذا تعذرت ترجمتهُ

بغداد امين معلوف

هيدا

« قلب المرأة تيه » (١)

(بلزاك) (٢)

ما طلع الفجر لثلاث مضين من شهر شيت (ابريل) حتى ضجّت مدينة سنجباد من أعمال الهند . وكان اهلها قد برحوا مساكنهم جماعات واخذوا في الطرق جيئة وذهاباً كأنما ألمّ بالمدينة امر يعلم الله خطره . وكان الرجال قد خلعوا مباذلهم وارتدوا صيفتهم وكان كلهم يشير في سكون او يتحدث في صياح . وكان النسوة قد تجلببن على غير عادتهنّ وتأوّدن في مشيتهن وغلمانهنّ في إثرهن ثم جالسَ بعضهنّ الى بعض في الطرق واندفعن في الحديث معاً في صوت كأنهُ هديل الحمام تارةً وقوقأة الدجاج اخرى. وأما غلمانهنّ فكان بعضهم يعبثون بشيخ ضرير فمن نازع عمامته وقاذف بها في الفضاء ومن نانف شاربه ومن لاه بلحيته ومن هامس في اذنه : ما أبصرك ! ومن صارخ في وجهه : ما أقذرك ! وكان لمح غيرهم عجوزاً متسوّلة قطعاء تتلو سورة من سُوَر كتاب براها فما لبثوا أن طاروا اليها واجتذبوها من أطمارها وشغلوها عن السؤال بغليظ مداعبتهم . . . . وكأنك بالصبية إنْ يبصروا عاهة ينكروها فيتغامزوا عليها ويتخذوها هزوءًا وعزيز عليك أن تبسط لهم أنَّ في الحياة غير ما تعهدهُ حداثتهم

وكان اهل المدينة متفرقين كل وطبقتهُ . فكان جماعة الخاصة راكبين في مواليهم وناظرين الى من دونهم في كبر وأنفَة وعلى جباههم سيمات الترف والعجرفة وفي ثنايا قسماتها نزعة الى الشهوة والقسوة شأن عيون القوم في جميع الامصار حتى نشوء مبدإ المساواة وما وراءهُ من مذاهب اشتراكية . وكان اهل الطبقة الثانية بين تجار وصناع رجالاً مع سعة حالهم . واما أهل الطبقة الثالثة فكانوا ينظرون وقوفاً الى جماعات الطبقتين بمؤخر عيونهم نظرة الذليل حيناً والمبغض حيناً آخر . والسبب في ذلك أن الناس كانوا يسترقونهم ثم يعدونهم انجاساً فيفرّون منهم ويتشاءمون بهم .وكان

---

(١) Le cœur d'une femme est un labyrinthe (٢) كبير كتاب فرنسا الاجتماعيين في القرن التاسع العشر

اولئك القوم الانجاس من عمال ومزارعين وعبيد مستكينين للناس مع حقدهم عليهم وتوعدهم لهم

ثم ان اهل القرى كانوا قد حضروا المدينة عراة الاجسام الاّ سوآتها وكان معظمهم يقودون فيلةً او يسوقون بقراً وكان غيرهم حاملين جلود النمور والاسود أو متأبطين بعض الطيور الدواجن علّهم يستبدلونها بما هو انفع لهم. وكانت تلوح على وجوههم علامات التعجب مما حولهم ودلائل الحذر من المدينة لعلمهم أن لها أسراراً بعيدة عن اذهانهم

وبينما الناس كذلك والطرق غاصة بهم والفضاء مرتجّ بصيحات الرجال وجلبة النساء وغلمانهن وأصوات الحيوانات على اختلاف انواعها اذا كوكبة من الفرسان يمهلون عند مفرق كل طريق فيخرج من بينهم منادٍ غليظ العنق ينفخ في بوقٍ لهُ عظيم أن اصيل اليوم موعد الحكم على شطرهان «المهرجاه» . وكان هذا الخبر مستطيراً في المدينة وفي القرى من قبل ان يعلنهُ المنادون ويهتفوا بهِ

واي الرجال كان شطرهان هذا وقد ضجّت مدينة سنجباد من أجله منذ مطلع الفجر وقام اهلها وقعدوا على الشكل الذي رأيت ؟ كان شطرهان إبن رجل صالح متصوّف وكان جميل الوجه وضيع الخُلق كامل العقل مجتهداً في الادب طبيباً بارعاً في صناعتهِ . وكان قد أقبل على خدمة ملك سنجباد من صغر سنّهِ .وكان الملك يقال لهُ جيلباغ وكان من أحفاد دبشليم الملك بطل كتاب «كليلة ودمنة» . وكان جيلباغ قد خبر شطرهان فآنس منهُ امانةً وصدقاً فارتضاه واصطنعهُ وما زال يتعهده برعايتهِ حتى جعلهُ عُمدتَهُ وثقتَهُ

على أنهُ اتفق ان خرج جيلباغ في طلب الصيد ذات يوم راكباً فعثر بهِ جواده فسقط لوجههِ ميتاً . فخلفتهُ ابنته وكان يقال لها هيدا. فحرصت على شطرهان ووكلت اليه سياسة سلطانها . إلاّ ان الرجل ما شمخ بأنفه قط مع جلالة شأنهِ فما عسى ان يكون الذنب الذي جرّه ؟ أأفسد هو في الارض ام عبث بالرعية ؟ هل انشقّ عن دينهِ ام استخف بالبراهمة ووضع من مكانتهم ؟ أعصى امر ملكته ام راود إحدى جليساتها عن نفسها ؟ أغدر وطنهُ ام ولّى ظهرهُ العدو ساعة القتال ؟ كلاّ ولكنّما شطرهان كان خيّراً حاكماً بالعدل بين الناس ساهراً على امر الرعية ورعاً مطرقاً للبراهمة مطمئناً الى تعاليمهم وكان أوجه الناس عند ملكتهِ واكرمهم عليها وازلهم عند

حكمها وكان قاصر الطرف عن جليساتها اجلالاً لها ثم انهُ كان فارساً شديد البأس غيوراً على وطنهِ . . . . فما عسى ان يكون إذاً الذنب الذي جرَّه ؟ ؟

***

كانت هيدا تحبُّ شطرهان الحب الجمّ . غير انها كانت قبيحة منخرطة الجسم مع عرض عند الكتفين . وكانت خبيثة الطويّة عسرة الطبع قد زاد في سوء خُلقها دمامة هيئتها . وكانت تغالي أيّما مغالاة في حالَيِ الحب والبغض . على انها كاشفت شطرهان بأمر حبها فما عبأ بهِ . والويل كل الويل لرجلٍ يتهاون بامرأةٍ تهب لهُ قلبها ونفسها شغفاً بهِ

الاَّ انّ هيدا عزمت على استهواء وزيرها وكانت من اولئك النساء اللاتي لا يتحوَّلْنَ عن أمرٍ يتملَّكنَهُ حتى يظفرن بهِ مهما بعُد ذلك الامر من هممهن ولكنها الملكة لم تبلغ ماكان في نفسها فبدا لها أن تستعين على وزيرها بمن أوتوا علم السحر فأنفذت الى أطولهم باعاً أنْ هيّئوا لهُ شراباً وأسقوه إياه ولا تألوا جهداً في التوصل بأسباب الرقية في معالجة أمره حتى ينقاد لي . ففعل السحرة ولم يزل شطرهان على نفوره من الملكة وإعراضهِ عنها . فقام في نفس هيدا أن وراء الامر سرًّا مكتوماً فأمرت وصيفةً لها بالتنقيب عنهُ

وكان يقال لهذه الوصيفة سُراكا وكانت من قبيلة تورا وهي من أخبث قبائل الهنود عنصراً . وكانت سراكا كريهة البزَّة عرجاء وطبيعي أن تتخذ المرأة القبيحة وصيفةً أشدَّ منها قبحاً . وكانت سراكا امرأة سوءٍ ودهاء . ولكنها كانت مخلصة لملكتها فجدَّت في الفحص عن دخلة الوزير حتى اتصل بها انهُ شديد الكلف بابنة رأس البراهمة . وكانت فتاة ذات جمالٍ وعفاف ولين جانب

وما عتمَّت سراكا أن رفعت ذات صباح الخبر الى مولاتها فغضبت لهُ هيدا وامتلأَت غيظاً ثم خلت الى وصيفتها. فتشاورتا في الامر حتى أجمعتا على أن يراوغا المهرجاه أو يستسلم

وعند الاصيل انطلقت سراكا الى شطرهان لتمكر بهِ وتدفعهُ عن حب ابنة رأس البراهمة الى حب الملكة . فلما أتتهُ أخذت في ذَرْوِ الحديث حتى تظاهرت لهُ بالاهتمام بأمره ثم همست اليهِ : قد شاع خبرك فاشتهرت حبيبك في النساء فأقسم أبوها على أن

ينتقم لها منك . فضحك شطرهان ضحكة المستخف بالخبر لعلمه ان رأس البراهمة لن يمنعهُ ابنتهُ إن هو خطبها اليهِ . فانصرفت سراكا عن هذا الباب وطرقت باباً آخر فلانت للوزير في كلامها وهي تستغويهِ بالمال وتعده بالعرش رجاء أن يحقق أماني مولاتها . ولكن شطرهان ما برح مصرًّا على الاباء مع ثقتهِ بأن أمر حياتهِ طوع يد الملكة وأنهُ إن عصاها ولجَّ في عصيانها لا شك منتهٍ الى سوء العاقبة . ولكنها كانت لهُ طبيعة تتطلَّب الحب المتبادل وتغتبط بهِ ونفس روحانية ترغب عن الماديَّات . وكان لتصوُّف أبيهِ أثر عظيم في كيان روحه

على أن سراكا لما رأتهُ متمنعاً كلَّ هذا التمنع ورأت حيلها قد نفدت عدلت عن الوعد والتأمين الى الوعيد والارهاب فطفقت تنذره باسم الملكة بألوان العذاب وتتوعده بصنوف التهلكة فقال لها شطرهان: ويلك كيف للملكة ان تقضي فيَّ ما توعدينني بهِ؟ قالت: أتعجز الملكة عنك؟ ثم انصرفت بارقة راعدة

أما شطرهان فعاد الى نفسهِ وجعل يفكر في الامر كيف انقلب عليهِ فلم يرَ منهُ مخرجاً سوى استعطافهِ الملكة لعلها ترثي لهُ فقصد اليها واستأذن عليها فأذنت لهُ فسجد بين يديها وقال لها : إن مولاتي أيَّدها براهما اختصتني بنعمة لم أكن ورأس أبيها حقيقاً بها . ففطنت هيدا انهُ جاءها مستعطفاً فخشيت ألاَّ تقدر على ردّهِ لشدة كلفها بهِ فقطعت عليهِ الكلام وقالت لهُ في لهجة عنيفة تظاهراً بالقسوة والحنق : إن وصيفتي بلغتك الامر فان راقك فاجلس اليَّ وإلاَّ فمصيرك السجن . قال شطرهان مغضباً : لك الحكم المطلق على العبيد دون غيرهم فحقدت عليهِ مقالتهُ وصرفتهُ ساخطةً وهي لم تكن لتعلم أن الحب لا يستكره ولا يجرع كما تجرع العقاقير وانهُ غير منقاد للقوة والبأس . فوهمت أن في استطاعتها ان تأمر بهِ كأنها تتقدم الى قائد جيوشها بغزو بلد من البلاد أو وصيفة من وصائفها بتهيئة حمَّامها . على انهُ فاتها انها لو خلَّت الرجل وشأنهُ لربَّما مال اليها مختاراً . غير أن طبعها الجبار ووصيفتها الداهية وروح عصرها الطاغي حملْنها على اتباع هذه الخطة العرجاء

ثم ان الملكة ما لبثت ان دفعت الى قاضي المدينة شطرهان متجنيةً عليهِ انهُ غدر بها وحاول خلعها . فأمر القاضي بسجنهِ من دون ان يحقق ما اتهم بهِ لأن الملكة أرادت أن يسجن وهل تنازع ارادة الملوك ؟ فقضى شطرهان تسعة أيام في السجن وهو يقلب رأيهُ أيستسلم للملكة أم يثبت على حبهِ . وكانت الملكة ترسل اليهِ سراكا كل يوم

لتفقد شؤونهِ وكانت من فرط حبها تأتيهِ مستخفيةً وتنظر اليهِ من كوَّة السجن مستبكية مع جفاءِ طبعها . ثم إنها انفذت اليهِ في مساءِ اليوم التاسع فلما مثل بين يديها جعلت تُبصره عاقبة عناده وتحلف انها لا تريد لهُ إلا الخير وكان الذي دفعها الى مثل هذا التواضع انها شعرت بأنّ وزيرها اخذ يبغضها فراعها الأمر لأنها كانت راضيةً باعراضهِ وأما على احتمال بغضهِ فلم تكن قادرة . فسعت سعيها في استمالتهِ ثانيةً وان صغَّرت نفسها اليهِ . فان المرأة العاشق قلّما تعدل عمّا فيهِ جذب عشيقها أو ارضاؤهُ أو الاحتفاظ بهِ مهما كلّفها ذلك

الاّ ان شطرهان ابى الاباء كلهُ لا من أجل حبهِ فقط بل لأنهُ كان حاملاً على الملكة اذلالها لهُ لأنفةٍ وحقدٍ كانا متأصلين في طبيعته الهندية . ولما لم تبلغ هيدا ما أرادت من شطرهان ردّتهُ الى السجن يائسةً بعد ماطوت حبّها بين جوانحها طيًّا لا يقوى على مثله إلاّ النفوس الغليظة الحاقدة. ثم انها عزمت فجأة ان تجري الحكم على وزيرها في أصيل اليوم التالي فذاع الخبر في انحاء المدينة والقرى على ما مرَّ بك في مستهل القصة

***

انعقد المجلس المنتدب للحكم على شطرهان في اليوم المضروب في قصرٍ تعاقبت السنون عليهِ فزدْنَ في روعته وجلاله . وكان يزين ظاهر القصر أحجار يعلوها صور ورسوم بارزات في الوانٍ شتى بين مؤتلفة ومتنافرة . وكان داخل القصر قاعة فسيحة الارجاء في جنباتها عُمُد خشب منصوبة يشدّ بعضها الى بعض عمد خشب أُفقية .وكان قد نقش على تلك العمد تهاويل وهيئات ومناظر تدلّ على دقة في البحث عن مشاهد الطبيعة ومظاهر الحياة مع افراطٍ في الخيال وعنايةٍ بتصوير الأمر التافه . وكان في تلك القاعة عدة منافذ وكان عند كل منفذٍ باب ضخم يكسوه من أعلاه الى أسفله رموز دينيّة وآي براهمانية وصور حيوانات حقيقية ووهمية . وكان في جوانب القاعة محاريب تضم بين زاويتها دُمىً وكان بعض تلك الدمى يشفّ عن الفن اليوناني والبعض الآخر عن الذوق (١) الفارسي . وذلك انّ كثيراً ما أتت القوافلُ الهندَ بصناع بلاد اليونان وفارس

وكان في صدر القاعة تمثال عظيم لبراهما لهُ رأسان واربع ايدٍ وثماني أقدام وكأنما

(١) الغالب في ظني انه لم يأت الذوق بهذا المعنى عند العرب ولكن عصرنا اتى به وكفى

اراد ماثلهُ ان يجعل لالوهيتهِ علامات شاذّة عن علامات البشر فأمسك عن الصدق في التصوير وركب رأسه في الخيال حتى غلا فيه

وكان الحكام قد جلسوا تحت هذا التمثال العظيم جلوس القاضي في عهدنا وفوق رأسه آية شريفة او صليب مقدَّس. وكان رئيس المجلس رجلاً كهلاً ربعةً أدهم عظيم الانف والأذنين . وكان كبير منجمي المدينة ومن أذهب الناس بنفسهِ على كل احد ومن أسرعهم الى الشرّ . وكان متوعداً لشطرهان حاسداً عليهِ رفعة منزلتهِ في القصر ولطف مكانتهِ في قلب الملكة

وكانت الملكة قد استوت على عرش مرتفع المسند منخفض المقعد مذهّب الاطراف مكسوّ بالقطيفة والسندس . وكان شطرهان مستنداً الى عمود من العمد المنتصبة ومن حوله جماعة من الحرَس

وكان الناس يدخلون القصر تباعاً . فلما استقرت بهم القاعة أومأت هيدا الى رئيس المجلس أنْ قفْ وتكلم . فنهض الرجل وهتف باسم الملكة استفتاحاً ثم نادى بأعلى صوته: « ايها الجمع ان الملكة مكّن براها سلطانها قد ركنت الى شطرهان المهرجاه منذ اليوم الذي عَلَت فيهِ العرش . على انها رفعتهُ الى الوزارة وجلّلت شأنه وجلبت لهُ الخير ما استطاعت . ثم انهُ صحّ اليوم عندها أن شطرهان اضاع ذمتها وحرّض الشعب عليها طمعاً في الملك ... ذلك ما صحّ عند الملكة دام عزها وانتم تعلمون أنَّ ما يصح عند الملكة يصحّ عندنا لانها مولاتنا ولانها معصومة من الخطإ والخطل . والآن فليجادل المهرجاه إن شاء عن نفسهِ والرأي اليهِ ان يفحص عن جرمهِ ويقرّ بهِ ويتوب منهُ مع العلم أن امرهُ مقضيّ فيهِ مهما صنع اللهم إن لم تعفُ الملكة عنهُ »

فلما فرغ رئيس المجلس من كلامهِ وقف شطرهان كاسف الوجه منقبض الصدر وأدار على الحضور عينين ينبعث منهما روح التمرد على العالم والاستهانة بأهلهِ ولاسيما بمن يملكون فيهِ ثمَّ ما عتم ان نادى والحنق ملءُ شدقيهِ: « ايها الحكام امثلي يحاول ان يخلع الملكة جعلت فداها وقد ولدت بباب قصرها وشببت في ظلهِ وعظمت بين اركانهِ ؟ أعلى يدي يدبر الشعب مكيدتهُ ؟ أبمثلي يصل حبل عصيانهِ ؟ لعمري لو فعل لضربت اعناق أفراده كبيرهم وصغيرهم . ولقد رُميت بجريمة لا يسعني في ديني أن آتيها ولا يخلق بي في همتي . فاتقوا ربكم في أمري أيها الحكام إن كنتم من الاخيار فكلكم عالم أني رفعت يدي عن المكروه وصنت نفسي عن المنكر »

. . . . جلس شطرهان من بعد ما دافع عن نفسه هذا الدفاع دفاع المخذول الضعيف الحجة. وكان الاولى بهِ ان يذكر الامر على حقيقتهِ ويتنصل مما اتهم بهِ مجترئاً على الملكة ولكنهُ لو فعل لدُقَّت عنقهُ لفوره لان الجرأة على الملوك عقابها القتل العاجل . ثم شق على شطرهان أن يصارح الحضور الامر اجلالاً لذكرى الملك جُيلباغ صاحب المنة عليهِ ولعظم أمله في الملكة إذ كان يعلم أنها تحبهُ الحب الشديد فكيف لها أن تأمر بقتله راضية

ولما جلس شطرهان عم الحضور سكوت طويل تشاور في أثنائهِ أعضاء المجلس. ثم نهض الرئيس ونادى « أيها الجمع لقد سمعتم مقالة المهرجاه وهي على ما رأيتم واهية السند واضحة البطلان. على انهُ حاول ان يخرج من عهدة ما أُخذ عليهِ مكابراً فلم يقدر. هذا وقد حكم عليهِ المجلس بعد اعمال الرأى أن يُلقى في مقصورة الافاعي وللملكة عز سلطانها أن تُبقي عليهِ او توافق على هذا الحكم عملاً بسنة احكامنا العادلة »

فحوَّل الحضور انظارهم فيما بين الملكة وبين شطرهان بعد ما جلس الرئيس لعلّهم يقدرون ما هو واقع . ثم ان الملكة وقفت واجالت طرفها في جنبات القاعة وتهيأت للفصل في حياة حبيبها أو هلاكه

***

من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة بهِ هيدا وقد تضاعف بين جنبيها ذلك الحب الذي رغبت في طيّهِ فلان لها لساعتِهِ كي ينتشر في اليوم التالي قويًّا ممتنعاً ؟ . . . من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة بهِ هيدا وأي الطبيعتين ظاهرة على الأخرى؟ أطبيعةُ الملكة المجبولة على البطش والعنف أم طبيعةُ الفتاة العاشق الدافعةُ الى اللين والرفق . وأي النفسيتين تتغلب ؟ أتُرى النفسية الهندية المفطورةُ على الضغن المغرمةُ بالانتقام أم نفسيّة المرأة بالأجمال وهي النفسية المملوءة رقةً ؟ . . . من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة بهِ هيدا ؟ فإن خطر لها ان تعفو عن وزيرها تمثل أمامها بنت رأس البراهمة وهي تسرع الى شطرهان وتقبل جفنيه وتأخذ برأسهِ بين نهديها برّاقة العينين خفاقة القلب ثم تنطلق بهِ الى المعبد . فأي شقاءٍ يعدل شقاء هيدا وأي حسدٍ يعدل حسدها وهي تبصر موكب الكهنة وتسمع أناشيد الصلاة وأغاني العرس وتستروح شذا الازهار المكللة رؤوس الحبيبين . . . هذا وان عرَض لها ان تحكم بالقتل على شطرهان هالها

منظره وقد وثبت عليه الافاعي في فحيحهنَّ من كل جانب فسمَلنَ عينيه ونهشنهُ ومزّقنهُ ارباً اربا وأقبلن يتقاسمن قلبهُ ذلك القلب الذي ودَّت هي لو ضحت بحياتها في سبيل الاستئثار بهِ . . . إذاً أبين أنياب الأفاعي قاذفة هيدا بحبيبها أم بين ذراعي عشيقهِ ؟

ظلت هيدا واقفةً ساعةً ناكسة البصر قلقة الخاطر . وبينما كان الحضور يتأملونها متعجبين لطول سكوتها إذا بها ضحكت ظهراً لبطن وركضت حول عرشها لامعة العينين متلهّبة الوجنتين مضطربة الحركات . فاهتال الحضور وقالوا فيما بينهم انها لمسحورة . واما أعضاء المجلس فدهشوا للأمر . نخف الرئيس الى هيدا واخذ بيدها في إجلالٍ وعدل بها الى العرش واجلسها عليهِ من دون ان يحدثها . فلم تستقرَّ هيدا في عرشها بل وثبت وثبة النمر وقهقهت في وجهِ الرئيس وتناولت باحدى يديها أُذنهِ اليسرى وتعلّقت بها ثم شرعت ان تعضّ مقدّم أنفهِ فتباعد الرجل عنها وخلَّص أُذنهُ من يدها بعد طول عناء . وكان الحضور واعضاء المجلس لا يدرون أيضحكون من الأمر ام يحزنون لهُ

ولكنها بعد ما انقضت فجأة الحادث عاد الرئيس وعضوان الى الملكة وانصرفوا بها الى حجرة كانت خلف التمثال وأما الحضور فظلوا في مقاعدهم يتحدثون في آنٍ ويتسارون من حين الى حين أنْ قد جُنت الملكة . وبعد ساعة خرج الرئيس منفرداً ونادى بأعلى صوتهِ: « أيها الجمع ان الملكة مكَّن براها سلطانها تشكو اضطراباً عصبيًّا ولكن الاطباء بين يديها يتدبرون علتها . واما شطرهان فقد نسب المجلس الى سحره ما اصاب الملكة فلا بدَّ من ان يهلك لانهُ لا تعوَّض علة الملكة إلاّ بأمر جليل الشأن واي امر اجل شأناً من هلاك المهرجاه أفأنتم راضون اجيبوا فلئن رضيتم قام حكمكم مقام حكم الملكة مسح براها ما بها »

هذا ما نادى بهِ رئيس المجلس وقد فطن ان هيدا لن تحكم على شطرهان متى سلمت من علتها فخشي ان ينجو المهرجاه من الموت فبادر الحضور بندائهِ قبل ان تكرّ الايام فيغفل الشعب ذنب شطرهان فيرفقون بهِ ويهملون امره

ولما سمع الحضور هذا النداء حاروا في الجواب مضطربين فتسارقوا النظر وكلهم يستشير الآخر بنظره لان الشعب لا يستطيع ان ينشط بنفسهِ الى عمل كلهُ جرأة . ودونك الثورات فعاملها الشعب واما باعثها فنفر من طبقة غير طبقة الشعب . غير ان

هذا النداء نبّه في نفوس الحضور تلك الشهوة الخبيثة التي تحمل الانسان على الارتياح لرؤية الدم المسفوك وهي شهوة كامنة في الغالب بين ضلوع الشعب الهمج. فنسي الحضور اليد التي اتخذها شطرهان عندهم ايام وزارتهِ ونسوا رعايتهُ إياهم ولم يلتفتوا إلاَّ الى ذلك المنظر الرائع منظر الافاعي وهنَّ ينهشنَ رجلاً اعزل. فسرّوا بما بدا لهم من هذا المنظر وتمنوا لو يرونهُ رأي العين ولم يبطئوا ان انتقلوا بلا تروٍّ من الامنية الى الرغبة ولكنهم لم يجسروا على الاجهار بها. فأدرك الرئيس حالهم وايقن انهُ لا بد لها من محرك كما انهُ لا بد اليوم من محرك للدراجة او السيارة حتى تندفعا فنادى فيهم: « ايهلك شطرهان اجيبوا » فشجع الحضور هذا النداء فتساعدوا على الاجهار برغبتهم اللئيمة واندفعوا في حماسة حتى علت لهم تمتمة اخذت في الوضوح الى ان انتهت في كلمة واحدة: الهلاك

الاَّ انهُ لو خلا كل من الحضور بنفسهِ ما حكَم على شطرهان. ولكنها الافراد إن اجتمعوا لغرض من الاغراض يفقد كلهم نفسيتهُ مع معظم هيئاتها إذ تتسرَّب الى من حولهُ ثم تعود اليهِ مشوبةً مجسَّمةً لان كل فرد تناول منها ما تناول وخالف فيها من نفسيتهِ ما خالف وتلك النفسية هي نفسية الجمع وللجمع روحه ونزعاته وعاداته ثم لهُ وجدان منزلته من وجدان الفرد منزلة الرأي العام من الرأي الخاص. ثم ان نفسية الجمع تمتاز بالاضطراب وتردد الرأي وبالحماسة مع اندفاع وتهور وبالسرعة في الانتقال من الفكرة الى العمل بلا تروّ ولا تقدير المسئولية قدرها

هذا ما يفسر انا كيف حكم الحضور على شطرهان. ثم انهُ لما نادوا بالهلاك أشار الرئيس الى الجند أن انطلقوا بالمهرجاه ففعلوا والحضور ينظرون اليهم متعجبين بل آسفين كأنهم بنجوةٍ مما حدث او كأنهم يقولون في نفوسهم كيف حكمنا على مثل هذا الرجل ونحن نجهل حقيقة ذنبهِ. غير ان بعض النسوة بكينَ شباب شطرهان وجمال وجههِ

***

... من لي بمن ينبئني اي حكم ناطقة بهِ هيدا لو لم يمسَّها طائف من الجنون وقلب المرأة مضطرب النزعات متلوّنها، غريب الاطوار عجيبها، بل كتاب مطويّ لم ينشره أحد بعدُ، وتيه ان تلمَّس بعضنا السبيل بين جوانبه ضلَّ لاول خطوة يخطوها

باريس (السوربون) ادوار فارس

العبقرية والفنون الجميلة

الموسيقى

٢

ان قيمة الانسان في الحياة بشعورهِ . والمتفنن اكثر الناس شعوراً . والموسيقي اقوى المتفننين شعوراً . ان الشعور سبب سعادتنا وشقائنا . ان الشعور مصدر قوتنا وعجزنا . ان الشعور المصحوب بالمعرفة نعمة من اعظم النعم. ان الشعور المحروم صاحبه من المعرفة نقمة من اعظم النقم . ان ذا الشعور المحروم من المعرفة كالسجين لا يدري الى متى يمتد زمن تعذيبهِ . ان الشعور جُرْح في النفس لا يندمل .وقد استدعى ذو الشعور امهر الاطباء فعجزوا عن مداواتهِ

ولكن الموسيقى وحدها هي البلسم الذي يسكن الم ذلك الجرح وان كان لا يبرئهُ

ان الفنون الجميلة ما عدا الموسيقى لا توجد الاَّ في اماكن معينة ، في القصور الشامخة ، والمتاحف الغنية حيث تقتنى بدائع الصناعات وعجائب الطرف

ولكن الموسيقى توجد في كل مكان وفي كل زمان

ان الفنون الجميلة تشغل ركناً في حضن الطبيعة ولكن الموسيقى تشمل الطبيعة باسرها

ان لنا في دوي الرعد ووقع المطر وهدير الماءِ وهبوب الرياح وانفجار البراكين وزئير الاساد وتغريد البلابل وصفير العصافير وبكاء الطفل وانتحاب الثكلى وقهقهة الثمل ووقع حوافر الخيل وصدى صوت العجلات ونواقيس الكنائس انغاماً مطربة تهيج في النفس عواطف لا تعد ولا تحصى وتعرض على ذهن السامع مناظر عجيبة تملأ ها رعباً او رهبة او سروراً او حزناً . وطالما سمعت اصواتاً في الغابات من هبوب النسيم وحفيف الاغصان وتساقط الاوراق وصوت زحف الحشرات التي ترى والتي لا ترى هاجت كلها في نفسي ذكريات حلوة وفتحت لها نوافذ آمال بعيدة المدى

اجل ! ان الموسيقى سيدة الكون فقد ادعى بعض الفلاسفة ان الاجرام السماوية تسير بانتظام حسابي مطيعة في سيرها الابدي قانون الانسجام الموسيقي . وانهُ لولا هذا النظام وذاك الانسجام لاختلَّ ميزان الوجود واعتلت دورة الافلاك

ان الموسيقي وهي ام الاصوات ابت الاَّ ان تسود حتى السكون : الم يسمع احدكم صوت السكون La voix du silence اذا انتصف الليل ووقفت حركة الكون في الظاهر واخذ الكرى بمعاقد اجفان الناس وسادت سكينة نسبية حول المكان الذي تجلس فيهِ فانك لا تلبث طويلاً حتى يستأذن على سمعك صوت خفي سحري يكون خافتاً في البداية ثم يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يملك عليك جميع حواسك تغالبه بدقات قلبك تارة وبترديد انفاسك طوراً ثم تُغلب لهُ رغم ارادتك فتستولي عليك رهبة من ذلك الصوت المجهول ثم تطمئن اليهِ وتسري في شرايين نفسك انغام ساكتة هادئة فتبقى باهتاً كانك خاضع لفعل السحر او كانك سكران بخمر روحانية وبعد ان كنت واجماً قلقاً تصير هادئاً مغتبطاً . وهذا هو صوت السكوت !

ان البطل المغوار يفتح البلاد ويقهر الممالك. ان السياسي المحنك يدبر شؤون الدولة. ان الطبيب النطاسي يشفي الناس من الادواء . ان الخطيب المفوه ينقل الى الذهن اجل المعاني بابلغ بيان . ان المهندس الماهر يجري الماء ويحيي موات الارض . ان الفيلسوف يحاول حل لغز الوجود

ولكن الموسيقي يفعل بصوتهِ او قيثارتهِ عملاً اعظم من اعمال كل هؤلاء جميعاً . لولاهُ لما فتحت البلاد ولا دبرت الشؤون ولا برئت المرضى من عللها ولا خطب الخطيب ولا سمعهُ الجمهور ولا جرت انامل المهندس بخط الانهار ولا قابل الحكيم لغز الحياة بجأش ثابت وعزم وطيد

ان الموسيقي يهون على جميع الناس عبء الحياة . ان الموسيقي يزيد الحياة جمالاً . ويمحو من سجلها سطور الحسرة والالم

اننا بعد ان نسمع انغاماً مطربة كانت او مشجية مثيرة كانت او مسكنة . نشعر بتغير في شخصيتنا . ننظر الى الحياة بعين جديدة ونرى في افعال الناس واقوالهم مقاصد ومعاني لم نكن ندركها من قبل . ان الموسيقي تفتح من اذهاننا ما كان مغلقاً وتنير من زوايا قلوبنا ما كان مظلماً وتنعش من قوانا ما كان هامداً وتوقظ من عزائمنا ما كان خامداً وتنبه من امانينا ما كان غافلاً وتحيي من ذكرياتنا ما كان مشرفاً على الفناء

ان الموسيقي للانسان كالماء للزرع

لقد قامت في سائر الفنون قيامة المبادئ المختلفة فمن فرقة تطاوع الخيال واخرى تقلد الحقيقة وفئة تنسج على منوال الطبيعة وغيرها تجعل همها في مسايرة الاوهام

ولكن الموسيقي دون سواها لم تكن عرضة للتقلبات لانها رمز للوحدة والثبات قد يتغير الموسيقيون ويتقلبون وقد تتطور مبادئهم وتتنوع طرائقهم ولكن الموسيقى ذاتها تبقى دائماً كالجوهر الفرد وكل ما عداها عرض

***

اننا في الوقت الحاضر عرفنا كل شيء او يخيل لنا على الاقل اننا عرفنا . حقاً اننا لا ندري معظم الاسرار العليا التي تسيطر على الكون . لا نعرف سر الحياة ولا سر الموت. لا نعرف كنه الكهربائية ولا حقيقة الاثير. نجهل ماهية المادة ونقف حيارى لدى معنى الروح ولكن فضلنا على الاقدمين اننا لا ندري وندري اننا لا ندري . نعلم ان هنالك اسراراً لم يئن لنا ان نكشف عنها القناع وقد تبقى محجوبة عنا الى ان ينتهي أجل الانسانية وتطوي الطبيعة صفحة الارض ولكن اذا انقضى هذا العالم فان بعض العقول القوية التي احتكت بهِ اثناء حياتها المادية تكون قد وقفت بالغريزة تارة وبالالهام طوراً وبالذكاء مرة وبالتجاريب اخرى على الفرق بين المعلوم والمجهول وهذه خطوة واسعة جداً في سبيل العلم الاعلى . اتعلمون كم شقي الانسان في هذه السبيل وكم مرة اقترن سعيه بالخيبة والفشل . ان تاريخ الانسان منذ حوّل نظره نحو شمس المعرفة هو تاريخ ارتداد وتقهقر وحسرة

لقد كانت حسرة الانسان عظيمة لدى عجزه الى درجة انَّ عجزهُ صار قوة . واعظم مظهر من مظاهر هذه القوة التي منشأها ذلك العجز المقدس كانت الموسيقى . ان الموسيقى هي أمل الانسانية الحائرة وصرختها الخارجة من اعماق نفسها التائهة وآهتها الخفية التي تخرج من ثنايا صدرها الضائق ، لقد ضاق صدر الانسانية من عجزها ولكن لسانها انطلق فكانت الانغام

ان الموسيقي وحده دون غيره من المتفننين يهتدي الى اصوات تعبر عن انواع الآلام ويمثل لنا بفنه حالات النفس المعذبة ويسمعنا صوت الردى وهو يودي بالارواح والاجسام . ويتناول الطبيعة بانغامه فيظهرها لنا بسحره وهي في النزع لدى فصل الخريف فشمسها غاربة وامواهها ناضبة وطيورها واجمة والوانها قاتمة واشجارها جرداء واوراقها صفراء . ويتناول النفس الانسانية وهي أشد ما تكون حزناً وأعظم ما تكون حناناً واشعل ما تكون لوعة وأعمق ما تكون يأساً لدى فراق الحبيب فيمثل لنا

النفس وهي تجرع كأس الاسى ممزوجة ثمالتهُ بقطرة من رحيق الهناء ويتناول النفس وهي في حالة تشبهُ الشفق وقد اشرفت آمالها على المغيب . يتناول النفس وهي كالطير المقصوص الجناح تملأهُ رغبة الطيران لانهُ مخلوق للفضاء الرحب ومطبوع على التحليق في اعلى طبقات الجو وتقصد بهِ ضرورة العجز لانهُ تعوزهُ ادوات الطيران . يتناول النفس وهي في حالة الحنين الى الماضي والخوف من المستقبل تحنّ للماضي لا لانهُ كان سعيداً انما لانها عرفتهُ والنفس لحيرتها وعجزها تطمئن الى ما عرفت وتخشى المستقبل لانها تجهلهُ وكل مجهول لديها محفوف بالمكاره والمخاوف

يتناول الموسيقي النفس في كل تلك الاحوال فيخرجها لنا انغاماً ذات الوان فيملأنا حزناً وفرحاً وحسرة وغبطة ويقتلنا عجزاً ثم يحيينا قوة

تبارك الموسيقي اقدر المتفننين !

ان المتفنن العبقري لاسيما اذا كانت الموسيقى فنه محتاج ابداً لان يكون ثملاً . ان السكر المعنوي شرط جوهري وحاجة فطرية لانهُ يثير الغرائز ويشحذ سلاح المواهب الكامنة وبدون السكر المعنوي لا حياة للمتفنن . واول واعظم واقوى انواع السكر المعنوي المحتاج اليهِ المتفنن حب المرأة فهو باكمل معانيهِ خمر المتفننين المعتقة هو راحهم ورحيقهم . اعطني حبًّا اعطك فنًّا لان الحب وحدهُ يحبو المتفنن بشعور القوة وشعور القوة لازم للوحي والالهام . ان الحب اعظم مظهر من مظاهر الارادة الانسانية لان بهِ تبلغ النفس غايتها من النفوذ والقوة . اننا بالحب وما يصحبهُ من العواطف نقوى على المجازفة في الحياة وتهون في نظرنا اكبر المخاطر . اننا بحب المرأة نفتح الابواب المقفلة وندخل القصور المسحورة ونطل من نوافذ لا يستطيع النظر منها الاَّ الجبابرة فنبصر بعالم جديد لا تراهُ الاَّ الآلهة

اننا بالحب نقاسي عذاب النار المحرقة ونذوق ملذات النعيم الدائم

ان الحب يجعل من الرجل الابله حكيماً ويزيد الحكيم النحرير حنكة . والحب هو الذي يحرك دولاب النفس ويخرج الانغام التي تحل لنا لغز الحياة وتقوي ساعدنا على رفع النقاب عن وجه الحقيقة

***

قد يتساءل الناس عما يجعل الموسيقي افضل الفنون الجميلة واشرفها ولماذا يكون

الموسيقي الحقيقي من امثال مايربير وڤردي ووجنر وبيتهوڤن وباك متفنناً عبقريًّا .
والجواب عن هذا السؤال سهل لمن يمعن النظر . تأملوا قليلاً تجدوا ان سائر الفنون الجميلة تحتاج في بروزها وظهورها الى المادة فالنقش والنحت والبناء لا يظهرها الاّ المادة والحجارة. فنحن لا نستطيع صنع صورة بغير مجموعة كبيرة من الالوان واجزاء من الخشب او القماش كذلك لم يقدر ميخائيل انجلو ان يصنع تمثالاً من غير صخر ولم يشد الاغريق في عهد بركليس مبانيهم الفخمة بغير حجارة

ولكن الموسيقي يظهر فنهُ في اسمى درجاتهِ واجمل مظاهره بغير مادة . ان الاثير وحدهُ هو الذي ينشر تموجات الصوت وينقل اهتزازات الانغام الى الآذان والموسيقي يستطيع بصوتهِ الفطري ان يبكينا ويضحكنا وان لجأ لاوتار القيثارة او مفاتيح البيانو فما ذلك الاّ لاخراج الاصوات فالاوتار والمفاتيح غلاف والاصوات اعراض والانغام جواهر ففضل الموسيقي على سائر الفنون هو كفضل الروح على المادة

ثم اننا اذا تأملنا سائر الفنون الجميلة كالنقش والنحت والعمارة رأينا انها انما تعبر عن افكار وخواطر ولكن الموسيقي وحدها تعبر عن العواطف

النقش يعطينا صورة كليوبطرة . والنحت يعطينا تمثال منرڤا الهة الحكمة . والعمارة تعطينا هيكل الكرنك وقصر انس الوجود

فننظر الى تلك الاشياء الجميلة ونعجب بها ولا نزيد . لان فن صناعتها مهما كان عظيماً لا يستطيع ان ينقل نفوسنا الى درجة ارقى من الاعجاب بالشيء المرئي . لان هذا الفن محدود بالمادة اولاً وباشكال معينة هي في ذاتها منشأ اعجابنا وموضعهُ. واذا انصرفنا عن هذه الاشكال بالذات اضعنا فن المتفنن . ولكن الموسيقى وحدها دون سواها بما لها من القوة الروحانية ولخلاصها من شوائب المادة ولقيامها بذاتها واستغنائها عن الاشكال تراها قادرة على التعبير عن العواطف

لا يستطيع تمثال رمسيس الضخم الراقد الآن في فدان من ارض البدرشين تظلهُ مائة نخلة لو اننا موهناهُ بالذهب ورصعناهُ بالجواهر ونصبناهُ في اجمل بقعة من الارض لا يستطيع هذا التمثال مع كل ما يحيط بهِ من الذكريات المجيدة وما يدخلهُ على الذهن من الدهشة الاّ ان يحرك فينا الاعجاب بضخامة الصخر واقتدار الصانع

ولكنهُ لا يستطيع ادخال السرور او الحزن على نفوسنا

على انَّ جرة واحدة من قوس ضئيل على اوتار تكاد تكون لرقتها رموزاً . تفعل بالنفس ما عجز عن فعلهِ ذلك التمثال الضخم لان الموسيقى وحدها من بين سائر الفنون تخلق في نفسنا العواطف . هي تفرحنا وتبكينا وتدعونا بحنان ورفق ورغبة نحو الحب وتدفعنا بقسوة وشجاعة نحو الحرب

ان الموسيقى وحدها تستطيع ان تغير حالات النفس من صفو الى كدر ومن كدر الى صفو من امل الى يأس ومن يأس الى امل من غبطة الى غم ومن غم الى غبطة . هي وحدها بيدها سكرنا وصحونا راحتنا وقلقنا سعادتنا وشقاؤنا لانها قادرة على ايجاد العواطف

ويزداد قدر الموسيقى في نظرنا اذا عرفنا ان العواطف هي المسيطرة على الحياة فلا قول يقال ولا فعل يتمّ بدونها . حللوا اقوالكم وافعالكم في اي وقت من اوقات حياتكم تجدوها راجعة جميعها وجيزها ومسهبها جليلها وصغيرها الى العواطف

لولا العواطف لم يوجد الامل ولولا الامل لم توجد الحياة

دعونا من الذكاء والفصاحة مهما كان الذكاء شديداً فهو حيال العواطف ضعيف عاجز . ان اقوى الناس عقلاً قد يكون اسير اقل النساء شأناً بقوة العواطف وافصح الخطباء لو لم يحرك عواطف سامعيه بقوة عواطفهِ لن تترك فصاحتهُ في النفوس اثراً

ان الفنون الجميلة ماعدا الموسيقى تلمس النفس لمساً سطحيًّا . ولكن الموسيقى تخترق اعماق النفس

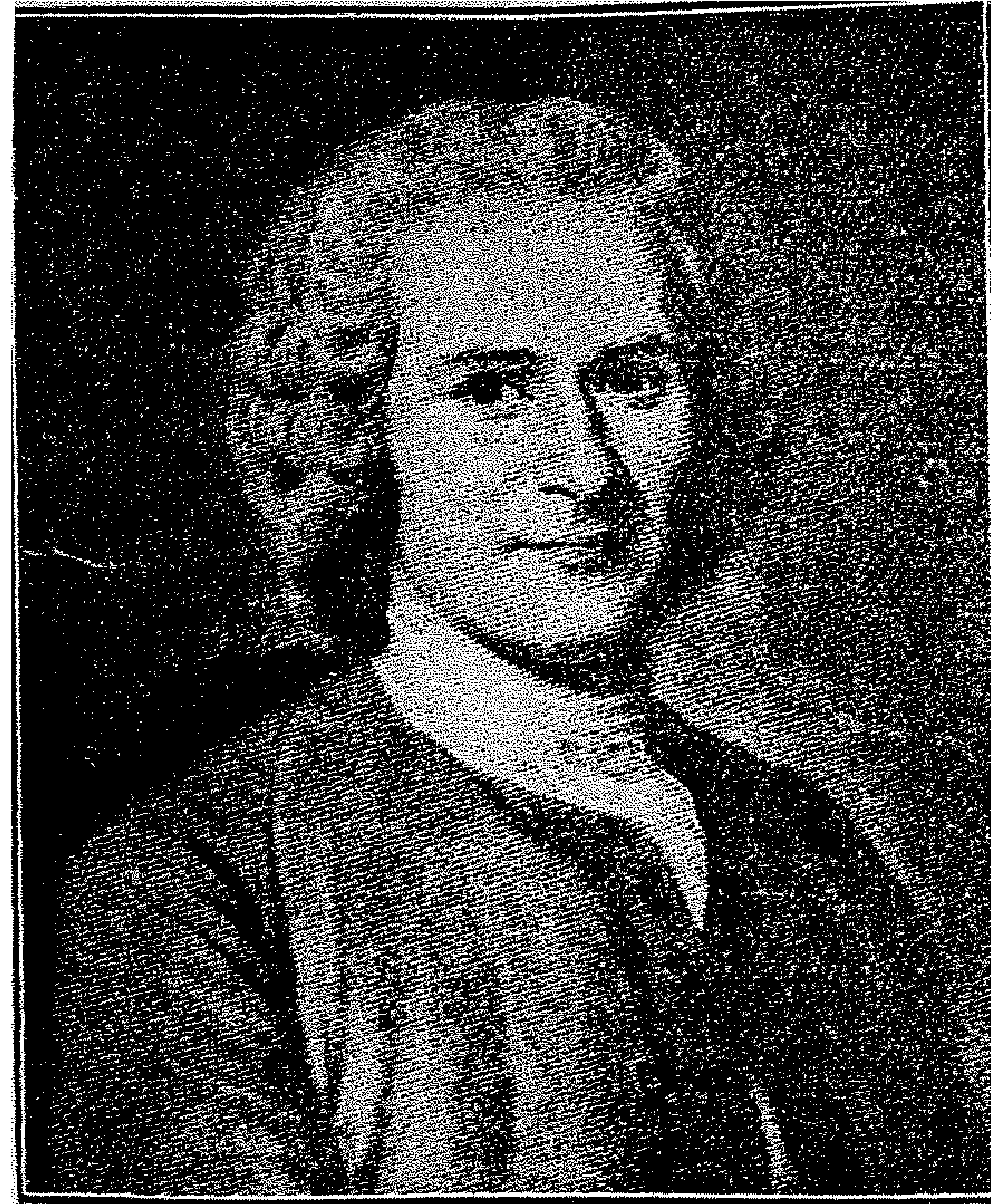
ان الحياة محكومة بقوة الارادة والارادة سيدة الكون وجوهرهُ وروحهُ

وكل كائن روحاً كان او مادة انما هو مسيَّر بقوة الارادة العليا التي نرى مظاهرها ولا نعلم كنهها

وغاية الفنون الجميلة ماعدا الموسيقى تمثيل مظاهر الارادة العليا تمثيلاً ماديًّا

ولكن الموسيقى وحدها هي التي تعبر تعبيراً مباشراً ومحسوساً عن الارادة العليا ذاتها فهي لسانها الناطق وصوتها الصارخ واثرها الظاهر . ان الموسيقى هي قوة القوى وعاطفة العواطف وهي اقدر قدرة في الطبيعة واعظم مظهر للحياة

محمد لطفي جمعه المحامي



روسو



ڤولتير

[مقتطف مايو ١٩٢٨
امام الصفحة ٥٣٧

خمسة في سيارة

٥

سرّ البحيرات

ماذا في البحيرة من سرّ ؟ ولماذا يتوق الناس الى زيارة البحيرات ومشاهدة ما فيها من ماء وما حولها من يابسة ؟ فقد نظم الشعراء الغربيون خير قصائدهم على شواطىء بحيرات اوربا وسكن كثيرون من كتابهم وفلاسفتهم على قربٍ منها

ومن لا يعرف « مقاطعة البحيرات » من قراء الادب الانكليزي او اثر بحيرة ليمان — وهي بحيرة جنيف — وبحيرة لامارتين — وهي بحيرة بورجه قرب اكس له بان — في ادب الفرنساويين

لم تمتّع الطبيعة اجدادنا العرب بكثير من الماء ولكنهم قدروهُ قدرهُ فاحلّوهُ في خيالهم المحل الاول من الجمال فوصفوهُ غديراً ونهراً وما عرفوهُ بحيرة

على ان شهرة البحيرات الاوربية في مائها تحيط بهِ اليابسة الجذابة — اليابسة الصاعدة فيها الآكام والجبال والمكسوة بالغابات والحراج

هذا هو سرّ جمالها وسرّ استهوائها للناس

فليست هي ماء وخضرة فحسب. بل ماء متغير الالوان من فعل الغيوم التي تمرُّ سراعاً من فوقها وخضرة هي تارة اشجار واخرى ازهار وآونةً نبات على صخور صلداء

فهذا التنويع في جمال الطبيعة او هذا الجمع بين ما اعطت الطبيعة من روعة حسن وآية فنٍ هو الذي يعطي البحيرات سحرها . فيأوي اليها العاشق الضاحك والعاشق الباكي وينتابها المريض الناقه والشديد المتعب الاعصاب ويرتاح الى لطف جوارها الشاعر ذو الخيال والكاتب ذو الابتكار والفيلسوف الصامت او الفيلسوف الكاتب

وقليل من القراء مَنْ لم يسمع ببحيرة جنيف مثلاً . فشهرتها قديمة ولا تزال يجددها الدهر — ادبية فلسفية يذيعها اسم فولتير واسم جان جاك روسو — دينية لاهوتية ينشرها كلفن واتباعهُ المصلحون الكنسيون — سياسية بدأت بوليم تل ولا تنتهي بجمعية الامم

***

وبحيرة بورجه قرب « اكس له بان » صغيرة لا تقاس ببحيرة جنيف . ماؤها

هادئ ضيق السبيل والجبال من حولها بعضها اصم اقرع وبعضها تكسوه الاشجار. يقوم على شاطئ لها من اليسار دير جمع رفات الدوقات والامراء والملوك من بيت سافواي المالك في ايطاليا الآن

تدخل هذا الدير فلا ترى الا اثراً من آثار بيت سافواي فمن تمثال الى صورة الى كتابة وهكذا من اول امير في هذا البيت الى صاحب الجلالة الايطالية الحالي والولاية فرنساوية الآن . اما الاثر فايطالي . وقد راعت الحكومة الفرنساوية مجاملة بيت سافواي المالك فجعلت للدير حرمة سياسية ايطالية في ارض افرنسية

ويقول الذين لا يعلمون الحقائق ان عين ايطاليا ترنو الى مقاطعة سافواي واخذها من فرنسا

فان نابوليون الثالث ضمها الى فرنسا ثمناً لمساعدته الايطاليين على النمسا

ولكنها لم تكن طليانية كما نفهم القوميات الآن بل ولاية من هذه الولايات المستقلة التي تقدمت نظام القوميات في اوربا

فادعاء ايطاليا بها لا يبرره الا ان زعيم البيت المالك فيهم كان اميراً لهذه الولاية ويتسمى باسمها

على ان البحيرة خالدة لا بالدير ولا بامراء سافواي بل بالشاعر لامارتين . فعلى مياهها وفي قارب صغير يطوف عليها جلس لامارتين الى عشيقته يغني فيطرب ، ويملأ الدنيا شجواً ويكسب البحيرة والبلدة التي في جوارها خلوداً



لامارتين

وان الزائر ليرى حتى الساعة بيت لامارتين في « اكس له بان » بالقرب من نبع المياه المعدنية وهو بفرشه معرض لآثار لامارتين — دع عنك تمثاله القائم على البحيرة نفسها

غريب امر هؤلاء الشعراء !

لهم ملك القلوب ولهم سلطان العقول في الحياة وفي الممات فيأبون — بعض منهم والحق يقال — الا ان يسيروا مع تيار الحياة الدنيا ويتأثروا بما فيها من مجد وسلطة فارغتين فيعبدونهما

اتراهم يجهلون انهم هم الخالدون فيضحون بمقامهم العالي في السعي وراء زعيم سياسي او في استجداء ملك ذي عرش. فيزول الملك وعرشهُ ويندثر المتسلط السياسي وحكومتهُ ويبقى الشاعر حيًّا لا يموت

ولو اتسع المقام لدللنا بالعين وبالاصبع على هؤلاءِ الشعراء في كل زمن وفي كل لسان وفي كل امة

وقد يكون تعليل ذلك طمع الانسان ان ينال كل شيء اذا استطاع — ولكنهُ طمع لا يستند الى عقل يليق بالشاعر — والشاعر الحق عنيتُ — فان الشاعر رفيق الانبياء معلماً ومسلياً ومطرباً ومبكياً ومفسراً لكتاب الطبيعة فما بالهُ لا يأوي الى السكن الروحاني ويترك للآخرين هذا العالم الفاني

***

اما بحيرة أنسي فليست مثل زميلتها التي في جنيف. بل هي نقطة في بحرها. وليست مثل التي بالقرب من « اكس لهبان » فالجبال من حولها اقل ارتفاعاً وابهج منظراً بما تكتسيهِ من اشجار خضراء

فهي ماءٌ ينساب بين شاطئين مأهولين بالقرى وبالآكام وبالحدائق تزينها الاشجار المثمرة والازهار الزاهية الالوان

فالماءُ ازرق حيناً واخضر حيناً وابيض احياناً كانهُ يأتمر بامر ملك الغيوم فوقهُ وقد تهب الريح فتلعب بامواجهِ بل تداعبهُ فلا يثور ولا يزمجر كالبحور ثم تمطرهُ الغيوم وابلا يخيل معهُ الى الناظر ان قد تم الاتصال بين السماء والماء فيقصف الرعد ويبرق البرق ايذاناً بهذا الوصل او ابتهاجاً بهِ فان لغة الابتهاج في الطبيعة غيرها في بني آدم. ثم يصبح الصباح وتبرز الغزالة فاذا بالماء فضة مذابة واذا الريح قد عقدت عليهِ دِرعاً منيعة لا تجمد

وليس لهذه البحيرة شاعر يخلدها — ويغلب على الظن ان الوصول اليها في الايام الماضية لم يكن سهلاً فجهلها الشعراء والكتاب وعرفوا بحيرات اوفر منها حظًّا

ولا اظنها بحاجة الى الشعراء فان هذا القارب يشق الماء بمجذافين احدهما بيد شاب يسيل من وجههِ ماء الابتهاج ومن جبينهِ النشاط وآخرها بيد فتاة تنظر ساعة الى الماء واخرى الى السماء واخرى الى وجه الجالس امامها وتطيل النظر

او تلك الفلك الصغيرة يقذفها في الماء شراع تدار بيد رجل واحدة ويعطف بالاخرى

قواماً كالهباء المنثور . او تلك الآلة المحركة تدفع فلكاً اخرى في الماء دفعاً شديداً لهُ ازيز كازيز الطيارات تذكر العالم انهُ في عصر لا تليق بهِ الاحلام

كل هذه قصايد تغني عن أنسى الشعراء

ويغنيها عن الكتّاب ان على اكمة من الاكام المجاورة للماء قبر الكاتب الافرنسي الشهير ونبيّهُ ايبوليت تين Taine

***

وجلس صاحبنا المصري تحت شجرة في حديقة الفندق والبحيرة منبسطة امامهُ يتناول ماءها بيده . وحلم وحلم وحلم مفتّح العينين في رابعة النهار بعيداً عن الرفاق . ومرت بهِ فلك خالية الا من صاحبها فاستأجرها واستقلها وحده يجذف مارًّا بالقوارب الاخرى مشاهداً في غير ما غيرة او حسد ، ضاحكاً في غير عبث يذكر اياماً لهُ مضت فلا يدري ايودُّ ان تعود او يقنع بحاضره حتى كاد قاربهُ يصطدم بصخرة بارزة من جبل فنظر واذا بهِ يرى صليباً صغيراً بارزاً مقاماً على جانب الصخر فاقترب جهدهُ بقاربهِ الى الصليب فاذا بهِ ذكرى شاب وشابة قضيا في تلك الناحية وعلى هذه الصخرة

فاستولت عليهِ سويداؤهُ واخذ يعيد في خيالهِ موقف الحبيبين من تلك الصخرة ـ كيف وقعا ـ هل ماتا تدحرجاً على الصخور من فوق او غرقاً في الماءِ من تحت . بل هل مات الواحد فانتحر الآخر ولحق بهِ حزناً عليهِ وهل جزعا للموت ولانتهاء حبهما؟ ام ضحكا للموت ضحكهما للحياة ؟

ولماذا يقدر لهذين المسكينين ميتة كهذه وهؤلاء الآخرون يمرحون ويلعبون افي مثل هذا المكان والهواءُ والماءُ عليلان والشمس ضاحكة تداعبها الغيوم والازهار فرحة والطيور مغردة يجوز لعاشق ان يموت! او ليست الحياة في لحظة حب فاذا ما تمتع المحب بهذه اللحظة فما هو الغرض في الحياة بعدها . . . . . . ما هذا ؟ .. اعود الى ذكرى الصبا وتذكر مراتع الشباب . لا — ليس ذا وقت الزيارة . فاذهبي بسلام

***

ووقعت اقدام الرفيق الانكليزي على الحصا فذعر صاحبنا وفتح ذهنهُ وزال عنهُ كابوسه واستقبل رفيقهُ باسماً قال . هل رأيت مثل هذا الجمال ؟

—الانكليزي— شيءٌ جميل جدًّا. ولكن تعال معنا الى انكلترا نرك اجمل من هذا

— المصري — ان شاء الله

شامي الجريديني

شرقية في انكلترا

٢

العائلة الانكليزية

يفهم الانكليز من « العائلة » غير ما نفهم نحن تماماً ، اذ هي عندهم عبارة عن كتلة متضامنة متماسكة ، دون ان يضحى في سبيل هذا التضامن بشيء ما : هي مترابطة لكنها ليست متلاصقة. يتزوج الرجل والمرأة فيتحدان بعروة لا تزال لها قداسة وتبجيل رغماً عن التطورات الاجتماعية بعد الحرب التي سهلت كثيراً في مبادىء الطلاق والهجران

يحبان البيت ويحسبانه تلك الزاوية الصغيرة التي هي مقرّ سعادتهما وقبلة أملهما وقطعة تمثل نفسيهما متحدين ، فيتعاونان على العمل في سبيل جعله هنيئاً . ولكن هذا البيت في الوقت ذاته لا يستعبدهما ولا تحول تلك العروة المقدسة دون سلوك كلّ منهما طريقه الخاص . فقد يُعنى الرجل بشغله طول النهار ، وقد يذهب الى صحبه في الاندية الخاصة بالرجال يجلس اليهم جلسات لا تلذ للرجل إلا اذا خلا الى بني جنسه . اما هي فقد لا يمسكها من اشغال البيت ما يستغرق ساعاتها الطوال، فتذهب الى عملها اذا كانت ذات عمل وتشترك في رفع مستوى البيت اقتصاديًّا ، وقد تزور وتزار وتذهب هي ايضاً الى انديتها الخاصة . ولكنهما يجمعان دائماً على ثقة متبادلة وسلوك جليّ وعلى عدم اهمال احدهما لشأن الآخر او الاستمتاع بشيء من لذّات الحياة دونه ، وكل امرأة تفهم اعمال زوجها وتتفانى في مساعدته وقد تغلو فيها غلوًّا يكون سبباً لنجاحه العظيم

وتجد مسحة الهناء البيتي في العائلة لانها تقوم على روح التفاهم والصراحة بين افرادها . اما مسألة السيادة في البيت وهل هي للاب او للام ، فانني اؤكد انها عندهم كما هي عندنا وكما هي عند كل البشر ، وهي مشكلة وهمية محلولة بطبيعتها لا تستدعي سابق اتفاق ، اذ ان الاقدر منهما على ادارة العائلة هو الذي يسيّر امورها ويسود عليها وقد لا يشعر الفريق الآخر بهذه السيادة ،وقد لا يقرّ بها ، لكنهُ يخضع مختاراً الاّ اذا انقلبت السيادة استبداداً . وتظل جامعة العائلة عاطفية تقوم على الرأفة والحنان والعناية الصحيحة ما دامت مؤلفة من والدين واطفال . واما اذا شبّ هؤلاء وتزودوا بما يؤهلهم لمنازلة الحياة فإن منهم من يضرب في مشارق الارض ومغاربها سعياً وراء

الرزق ، ومنهم من يبقى ضمن العائلة الى أجل ، ولكنَّ جامعتهم عندئذٍ تقوم على المصلحة المتبادلة سواء في ذلك البنات والفتيان،حتى ان انبل العائلات واشدَّها محافظة صارت تتسامح في خروج الفتيات الى العمل كالفتيان ، واصبح من الامور العادية ان تسمع ان فتاة ذات لقب تشتغل سكرتيرة او مديرة محل او في مخازن الازياء او على مسرح التمثيل والغناء الى آخر ما هنالك من متنوع الاشغال

اما اذا تزوج الاولاد فان الوالدين لا يكون لهما حينذاك من امر الولد شيءٌ ولو كان وحيداً وكان احد ابويهِ ارمل ، فان العائلة الجديدة تتألف مستقلة بعيدة عن المؤثرات الخارجية ، والابوان يرجعان الى حياة هادئة سارّة ويقضيان بقية حياتهما في استقلال لذيذ يحتاطان لهُ من اول الشباب . لان الاستقلال الشخصي هو غاية الانكليزي القصوى

العناية بالاطفال

يذكرني هذا الاسبوع كثيراً باطفال انكلترة ، فاليوم يومهم هناك ، اذ ان عيد الميلاد يكسو البلاد حلة من الحبور ويغمرها بأمواج من المسرات. ومن لم يرَ استعداد الانكليز لهذا العيد لا يمكنهُ تصورهُ،فانت تشعر ان الفضاء تغير والهواء تبدل ونظرات الجموع تحوَّلت لحاظاً سعيدة . فابتسامة الغبطة على كل ثغر ، ولمحة الحياة في كل وجه ، والتأهب للفرح في كل حركة ، والاولاد هم بهجة العيد ومحوره ، تقام لهم الحفلات والزينات وترسل الهدايا ، وتحوّل المخازن الكبرى اهم اقسامها الى معارض لهوٍ تقام لاجلهم ، وتملأ اقساماً ثانية بمختلف الالعاب ،وتوقف اعظم المراسح على تمثيل روايات خاصة بهم يقوم بادوارها اشهر الممثلين . ولعل نصيب الاطفال الفقراء من العيد اعظم من نصيب الاغنياء ، فكل عائلة تحسب لهم حساباً ، وكل قصر يقيم لهم حفلة ، واهم السيدات يشتغلن لاجلهم بكل جد وعلى رأسهن الملكة التي قد تذهب يوميًّا الى المركز العام لتسلُّم الهدايا وفتحها وتوزيعها على بقية الفروع الكثيرة . وقد تراكم عليها الشغل مرَّة فاضطرت الى تناول غذاء وقتي في مركز الجمعية لمتابعة عملها

وهنالك جمعية عظيمة الانتشار لحماية الاطفال من كل سوء حتى من قساوة الوالدين .وقد ضرب والد طفلة مرةً ضرباً عدّوه شديداً فحكم عليهِ بالسجن والاشغال الشاقة ستة أشهر

الطفل لهُ الحظ الاوفى من العناية في البيت، من حين ولادتهِ الى ان يشب فيطلق وشأنه . يؤخذ في عربتهِ الصغيرة يوميًّا الى الهواء النقي مهما كانت حالة الطقس ، ولهُ في كل ناحية جنات فسيحة يسرح فيها ويمرح بمراقبة امهِ او مربيتهِ التي لا تثبت وجودها الاَّ اذا اضطرت لاثباته . ويتمتع بما في الجنائن من معدات اللعب المجانية ويجد هنالك كثيراً من الرفاق يشاركونهُ في العابهِ ويتعوَّد معهم معاشرة الناس والاطمئنان اليهم . وللطفل الكتب التي لا تحصى ، ولهُ الجرائد والمجلات الخاصة ، ولهُ صفحات وصور في معظم جرائد الصباح والمساء ، ولهُ قسم يومي في برنامج الاذاعة اللاسلكية اذ تلقى على الاطفال قطع موسيقية جميلة واناشيد وقصص مفيدة ونوادر فكاهية تراهم يطربون لها اي طرب

وقد احزنني أخ لي في العاشرة من عمرهِ اذ جاء يسألني شيئاً يريد ان يقرأهُ للتسلية في عطلة الصيف فوقفت واجمة امام عقبة لم اتمكن من اجتيازها لان ما بين يديَّ وما اعرفهُ في العربية كلهُ لا يصلح لولد في سنهِ ليفيده ويسليه . فاين هذا من تلك الكتب التي ليس لك الاَّ ان تختار منها ما يروقك ؟ فالكتب المصورة تلقى الى الطفل منذ السنة الاولى من حياتهِ ، ثم تتدرج معهُ في سنيهِ ، ومنها ما يخصص للبنات ومنها للصبيان ، ويظل يتمتع بها الى ان يتاح لهُ قراءة ما يشاء

وتعجبك من الطفل نظافة صحيحة ، على انني اظن ان الانكليز من اكثر الامم نظافة فالاستحمام اليومي عام بين كل الطبقات لا يختص بطبقة المترفهين كما هي الحال في الامم الاخرى . اما التربية فاهم اسسها الاستقلال الشخصي واحترام الغير ، يدرجون الطفل على ذلك تدريجاً بديعاً معتدلاً ، فيبدأونهُ في مشيهِ ثم في العابهِ ثم في شراء لوازمهِ ثم في انتقاء دروسهِ ومدرستهِ ثم يترك وشأنهُ . ويستعدون للعناية باجسامهم وارواحهم استعداداً تامًّا ، فالمحاضرات والنصائح قد تلقى مجاناً للامهات ، والجمعيات تعقد لمعاونتهن ، هذا عدا الكتب والمقالات التي تصدر كل يوم ولكل من افراد العائلة المالكة او ذوي المقامات العليا مؤسسة من مؤسسات الاطفال يجعلها في حمايتهِ

اما محبتهم للطفل فهي عميقة غريبة تدل على شعور رقيق . فهم يلاطفونهُ على الطريق وفي القطارات وفي المخازن والمتنزهات وفي كل مكان . واذكر اننا كنا مرة في محل قرب « بيكادللي » — احدى ساحات لندن الكبرى — ومن يقدر ان يتصوَّر كيف

ينفر الناس يوم الحشر يمكنهُ ان يتصوّر الازدحام في « بيكادللي » وقد اوقف البوليس حركة السير ليخلي الطريق هنيهة للمارين ، ولا يزال عجبي على شدّتهِ حينما اذكر انهُ مع كل ذلك تمكن من ملاطفة اختي الصغيرة بابتسامة حنان وكلمة لطيفة ، وكثيراً ما كان الناس يوقفوننا ويستأذنون بمخاطبتها وملاطفتها . وما اكثر الفرص التي يكون بها الطفل سبباً لتعارف عائلي قد يولد صداقةً متينة

الفتاة الانكليزية

اول ما يستلفت نظرك منها قامة رشيقة متناسبة ، وزيّ حديث يلائم الزمان والمكان ، ولكنهُ على كل حال تقلص الى حدود الركبة وربما الى فوقها وظهر من تحتهِ ساقان ممشوقتان تكملان جمال قامتها . وحينما لا يستلفت وجهُها نظرك بجمالهِ الفائق يستلفتهُ بنضارةٍ حية . تلبس دائماً احدث القبعات ويستحيل ان لا تتناسب قبعتها مع لون الرداء او لون « التخريج » وتجدها دائماً تتدفق حياة كأنها على استعداد لامرٍ تفعلهُ

هذا ما تراهُ من مظهرها الخارجي . اما في ما عدا ذلك فقد عرفتها تتأبط حقيبة عملها صباحاً نشيطة سريعة ، وعرفتها في مكان العمل خفيفة زاهية كفراشة الربيع ، وعرفتها على مقاعد الدرس والتدريس مجدّة هادئة ، وفي الادارات الكبرى تدير دفة العمل بمهارة واتقان ، وفي مسارح التمثيل تمشي بالفن الى درجات الكمال ، وفي مجلس النواب محترمة الصوت رفيعة المقام ، وعرفتها سيدة بيت كاملة تهيئ بنفسها راحة الزوج والاولاد والضيوف ، ورأيتها في ميادين اللعب تجول جولة الابطال ، وعلى صهوات الجياد تتفوّق — بشهادة العارفين — على الفرسان من الرجال ، وفي النهر تسيّر قارباً صغيراً تجذف بهمة ونشاط ، وفي البرّ تجلس الى سيارة وقد يكون معها صحب من الرجال فتقودها دونهم بلباقة تقلّ فيها المخاطرات ، ورأيتها تحلق في الفضاء هازئة بالمجازفات ، ورأيتها — في شخص « مسز كورت تريت » تضرب في مجاهل الارض وتتعرّض للصعوبات لتساعد في اكتشاف طريق جديد للسيارات من رأس الرجاء الى القاهرة . واذكر تلك اللذة التي حدثتنا بها عما لاقتهُ من ضروب العذاب وتلك الصور التي ارتنا بها كيف تقدر المرأة على مصادمة الاخطار . ورأيتها على الشواطئ البحرية مرتمية على الرمال تعرّض جسمها لحرارة الشمس بعد سباحة طويلة ، مفاخرة بآثار لذعاتها في جسمها ، ورأيتها في السهرات وقد ارتدت اجمل الاثواب تتمايل في حلقات الراقصين

... ورأيتها وطنية سباقة الى الخدمة العامة تهتم بالمسائل السياسية ، داخلية وخارجية . واعرف صديقتين لنا هما « مسز برود هرست ومسز فاركرسون » رئيسة وسكرتيرة « العصبة السياسية الوطنية » ولعصبتهما اعضاء عديدون ينتمون الى ارفع الطبقات . ولها اهتمام عجيب بالمسائل السياسية العربية على اطلاقها وتشتغلان باخلاص تشكران عليه ، وقد جندت عصبتهما وحدها ايام الحرب ثلاثين الف فتاة وضعتهن في تصرف الحكومة . ورأيتها تسير بالنهضات النسائية الى هدف اعلى حتى تزعمت الحركة النسائية في العالم

رأيتها في كل مركز وفي كل عمل اذ يندر ان تجد في انكلترة امرأة دون مركز تشغله او يشغلها ، ولم ارها في كل ذلك الاّ جذابة محبوبة ، حرّة محترمة ، رغم ما يتهمها به الرجعيون من فقدانها جاذبية الانوثة لانها دخلت ميدان العمل ، الامر الذي يترءون به في كل الامم . على اني اذكر ردًّا بديعاً لاحد اللوردات وهو رجل عجوز قال : « ان ابنة اليوم هي اصلح مثال لعصرها ، خلقت لمجاراته لا لمجاراة ميولنا القديمة ، وكثيرات من الفتيات تنقصهن الجاذبية طبيعة دون ان يشتغلن ، ومهما كانت فتاة الامس جذّابة في نظرنا فانها لا تجاري فتاة اليوم التي نرى من افتتان شبان العصر بها ما يكفي للدلالة على ان نقصان جاذبية الانوثة وهم من الاوهام »

اما تعليمها فهو متناسب مع تعليم الرجل اذ انهُ ، على العموم ، ثانوي الاّ اذا أُريد التخصص ، ولكنك تجد الطبقات العليا ترسل بناتها ، بعد اكمال دروسهن ، الى عواصم اوربا وعلى الاخص الى « باريس » يدرسنَ لغة البلاد او يتخرجن في احد الفنون الجميلة

وقد نالت الانكليزية من الحقوق العامة ما يمكنها من ان ترفع رأسها بهِ تيهاً امام الامم ، حتى نالت مؤخراً حق الانتخاب على اطلاقهِ بعد سن الحادية والعشرين ، ويبلغ عدد اللواتي لهن حق التصويت حسب الاحصاء الاخير ٩٢٢ و٨٣٢ و١٤ امرأة في مقابل ٧٩٩ و٦٩٧ و١٢ رجلاً ولا يخشى على الرجال منهن لانهن ، على الغالب ، مسالمات يسعين الى حقوقهن بقوة — والحق لا ينال بغير القوة طبعاً — لكنها قوة السعي المتواصل والكفاءة الثابتة . وقد اجتمعت مرة « بمسز فيلبسون » احدى النائبات في المجلس البريطاني وسألتها عن عملها ومبادئها فقالت في حديث : « ليس من مبدأي اظهار التظلم كثيراً من الرجل . ولا مجابهتهُ في طلب الحقوق ، بل اني

اسالمهُ وافتح لهُ قلبي واقدّم دائماً اذناً صاغية لسماع شكواهُ ، ولو كانت من النساء . لهذا تجدين زملائي النواب يطلعونني على امورهم وقد يشكو اليَّ بعضهم بعضاً . وهذا لا يخفاكِ قلَّ ان تسمح بهِ كبرياء الرجل لامرأة » . واحسب ان هذا يعبر عن رأي الاغلبية العظمى من الانكليزيات

كنت كلما رأيت الفتاة الانكليزية تتمتع بنعم الحياة وافرة ، اتمثل الجهود التي بذلتها في اجيال متطاولة لبلوغ هذه المرتبة الرفيعة ، ولكن رؤيتها كانت دائماً تثير في نفسي عاطفتين : كنت اعجب بها واغبطها مأخوذة اللبّ بهذه القدوة الحسنة ، ثم كنت اتألم واشكو الاجحاف من دنيا تحسب عليّ هذه الايام التي احياها من العمر ، حياة !

النفس الكريمة والتهذيب الراقي

كنت اول ما ذهبت الى انكلترة التقط اللغة من افواه المتكلمين واذكر ان اول كلمة حفظتها منهم اذ كنت اسمعها تتردد على كل لسان هي كلمة (Lovely) يقولونها كلما استجملوا امراً ما ، وكأنهم يرون في كل شيء جمالاً خاصًّا فيطلقون الصفة بهذا السخاء الذي يسترعي الانتباه . ثم بقيت ستة أشهر قبلما حفظت كلمة (Nasty) التي يقولونها للاستقباح لقلة ورودها على ألسنتهم . انها حادثة صغيرة ولكنها دليل كاف على ما عند القوم من تهذيب راق وكرم نفس

على اني اذا وصفت الانكليز بكرم النفس فانني دون شك لا أعني انهم خلوٌ من النقائص او انهم ملائكة ابرار ، واذا تكلمت عن النظام والترتيب والامان والتهذيب الراقي فانني لا أنسى كيف يهجم السارقون بقحة عجيبة على واجهات المخازن في رائعة النهار وعلى مرآى من آلاف الانظار وعلى مقربة من البوليس فيحطمون الزجاج ويسرقون الغالي والثمين ويختفون بسرعة « الابالسة » قبل ان يعود للناس رشدهم وقبل ان يتمكن احد من مسهم بضرر ، ولا انسى كيف يُعتدى على النظم الاجتماعية بفظاعة لا يأتي بمثلها احط المخلوقات آداباً ... ولا تمرّ دون ألم عميق في نفسي ذكرى نكث سياسييهم عهود العرب ، بعد ان وثق هؤلاء بهم واستسلموا باخلاص لوعودهم الزائفة . ولكنهم كشعب خبرت ما فيهِ من النقائص والحسنات ، لا أقدر الاَّ ان اصفهم بكرم النفس ، ولم أر من افرادهم الاَّ عطفاً على ما يسمونهُ القضية العربية واستنكاراً لعمل السياسيين ، ولعل هذا الفرد ذاته الذي تمتلئ نفسه عطفاً عليك ينقلب سياسيًّا متلوناً

اذا تسلم زمام الحكم . على انهُ ليس من شأني ان اتتبعهُ الى هناك فانا اكتفي بهذه النفس الكريمة التي يظهرها عند كل سانحة وبهذا الاستعداد الذي يقدمهُ لخدمتك حتى لتنسى غربتك ولو كنت تجهل اللغة . وبهذا الشوق الذي يبديه لسماع آلامك والرغبة في اكتناهها

النفس الكريمة تدفعهم الى كل عظيمة وتهوّن عليهم كل تضحية . أليست هي التي تدعهم يتسابقون الى البذل في سبيل اعانة البائسين ؟ وتحمل نبيلات سيداتهم على الخروج الى الطرقات بسلال الشقيق الاحمر يبعنهـا للمارة يوم عيد الهدنة فيقبلون على شرائها بسخاء حتى يزين بها كل صدر وكل مكان فلا يقع نظرك يومذاك الاّ على مروج من الشقيق الاحمر ، ومن ريعها تدخل آلاف الجنيهات صندوق اعانة مشوّهي الحرب

اما التهذيب الراقي فانك تراهُ جليًّا في كل الامور ، ترى العاملة بالمخازن والدكاكين تسلمك مشتراك وتسبقك الى كلمة الشكر ، ومتسلم التذاكر في المحطات يجمع المئات والالوف كل يوم ويتناول كل تذكرة مرفقة بكلمة شكر . والرجل منهم يقدم لك المساعدة دون ان يأبه لمكافأة بل يقوم بذلك بطيبة خاطر دالة على نفس كريمة وتهذيب راقٍ . وقد كنا مرَّة في نزهة طويلة في « بارك رشموند » وكان يسير على مقربة منا رجل في نحو الستين من عمرهِ تدل هيأته ويدل ظاهر السيدة التي ترافقهُ ولباسها على انهمـا من الاسياد وكانت اختي الصغيرة تعبة فحملها اخي مدة حتى ارتاحت ولم يكد يضعها على الارض حتى أسرع الرجل وبحركة رشيقة سلّم عصاه لامرأته وبلطفٍ سامٍ لن أنساه قط تقدَّم مستأذناً وقال : « لقد أتى دوري الآن بحمل هذه الصغيرة التعبة »

وبنفس كريمة يحمون الحيوانات كما يحمون الاطفال حماية صحيحة لا اسمية فحسب ويرعونها بعطف وعناية صادقين ولهذا فانك لا تشهد هناك في معاملة الحيوان هـذه القساوة التي كثيراً ما تدمي القلوب . وبأدب راقٍ وضع أحد سائقي « التاكسي » علبة سجاير في مكان ظاهر من سيارتهِ ليدخن منها الراكبون ولكنهُ اجاب عن سؤال استفهام بقولهِ انهُ قلما تنقص العلبة اكثر من سيجارتين او ثلاث في النهار

أليس النفس الكريمة والادب الراقي هما اللذان جعلا سائقاً آخر ، ايام الوافدة في السنة الماضية ، يصوّب المطهرات الى داخل سيارته بعد كل راكب ليأمن الراكب الجديد مما قد يحمل اليهِ من عدوى ؟ وبأدب راقٍ تراهم ينتقدون انتقاداً مرًّا لا ينجو من سهامهِ عظيم ولا كبير ويصوّرون صوراً هزلية لا يسلم منها حتى ولا ولي العهد ،

وبنفس كريمة وخلق رضي يتقبلون ذلك الانتقاد ويطربون لهذه الصور

وبأدب راقٍ خال من الادعاء الفارغ ، وباحترام لا تشوبه مبالغة تعامل المرأة كيفما اتجهت . واني اقول واكاد لا اصدق ذلك باني اقمت في انكلترا نحو سنتين لم اسمع فيهما كلمة تخدش الاذهان ولم ارَ نظرة توجه الى امرأة بفضول اذا لم تشجّع هي على ذلك وقد بقيت اشهراً عديدة اذهب صباح كل يوم مقدار ساعة بالقطار لآخذ دروساً في الانكليزية ، والازدحام يكون على اشدّهِ في ذلك الوقت والقطارات ملأى بالفتيان والفتيات ، وكنت اقصد دائماً ملاحظة آدابهم فما كنت ارى رجلاً الا معهُ جريدتهُ يستغرق في قراءتها وكل فتاة تتلهى بجريدة مصوّرة او تفتح كتاباً او تخرج من حقيبتها شغلاً تتابع حياكتهُ بالصنارتين ، حتى اضطررت ان افعل مثلهم واحضر كل يوم شيئاً اقرأهُ في القطار

والتهذيب الراقي هو الذي يجعل بائع اللبن الحليب يمرّ على الابواب ويترك مطلوب كل بيت من زجاجات الحليب مملوءة دون ان يطرق الباب ودون ان يخاف عليها السرقة او التحطيم . بل اعظم من ذلك ان تدخل بيتاً جامعاً لسكان مختلفين فتجد على طاولة امام باب المدخل قائمة كل منهم لحساب الغسيل وقد وضع كلٌّ الدراهم المطلوبة منهُ فوق قائمتهِ دون ان يخطر في باله التحفظ من سرقتها او من سوء امانة متسلمها . والتهذيب الراقي الذي يؤمن على حاجتك اذا اضعتها اليوم ان تتسلمها من ادارة البوليس غداً . بل انك حيثما توجّهت تلاقي بنفس كريمة وتعامل بتهذيب راق

***

انت اذاً ترى هذا وذاك كل يوم وكل ساعة فلا غروَ اذا نزل المكان من نفسك منزل الهيبة والاعجاب ، ولا غرو اذا احسست ان شخصك محترم وان الناس يعامل بعضهم بعضاً بتهذيب ، فتشعر بانك جزء من هذه العظمة الشاملة

الا ان المدنية مهما اختلفت التعاريف ومهما جُمع في شرح هذه التعاريف من مجلدات تلخَّص بقول « برنارد شو » اعظم كاتب حيّ على الاطلاق حيث يقول ببساطة : « المدنية هي ان تحترمني وتحترم ما يخصّني ، واحترمك واحترم ما يخصك »

وتتفاوت مدنيات الامم ، انحطاطاً ورفعة ، بتفاوت انطباق هذا التعريف عليها قرباً وبعداً ، واذا سلمنا بهذا فاننا ولا بدّ مسلمون بان الانكليز من افضل امم الارض مدنيـة

عنبره سلام

الكلاب السلوقية

تسميتها

الكلب السلوقي ويعرف ايضاً بالهبلع والهجرع صنف من الكلاب الضارية اي التي تصيد وهو طويل القوائم ضامر البدن سريع الجري . قيل سمي سلوقيًّا نسبة الى سلوق باليمن وقيل نسبة الى سلوقية بلد بارمينية .قال ياقوت في معجم البلدان « سلوق مدينة اللان ينسب اليها الكلاب السلوقية وقال الجوهري مدينة بالشام تنسب اليها الدروع السلوقية قال ويقال سلوق مدينة اللاَّن ينسب اليها الكلاب السلوقية . وقال ابن الحايك وهو يذكر اليمن أن سلوق كانت مدينة عظيمة بارض الجديد في اليمن واسم بقعتها حسل الزينة وهي آثار مدينة قديمة يوجد فيهاخبَث الحديد والحلي واليها كانت العرب تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية » . وفي لسان العرب « سلوق ارض باليمن وفي التهذيب قرية باليمن وهي بالرومية سلقية قال القطامي

معهم ضوارٍ من سلوق كأنها حُصُن تجول تجرر الارسانا

والكلاب السلوقية منسوبة اليها وكذلك الدروع .ويقال سلوق مدينة اللاّن تنسب اليها الكلاب السلوقية » . واللان بلاد واسعة في طرف ارمينية مجاورة لبلاد الخزر

هذا ملخص ما جاء عن سبب تسمية هذه الكلاب بالسلوقية فهي اما منسوبة الى سلوق باليمن او الى احدى المدن التي كانت تعرف بسلوقية وهي كثيرة منها مدينة على ضفة دجلة اليمنى جنوبي بغداد ومدينة في ساحل الشام قرب انطاكية ومدينة في كليكية تسمى الآن سلفقة ومدينة في ولاية خوزستان في بلاد فارس . ولعل هذه الاخيرة مدينة اللاّن التي مرّ ذكرها

قدمها واصلها

وسواءكانت هذه الكلاب منسوبة الى سلوق في اليمن او الى احدى المدن التي كانت تسمى بسلوقية فقد كانت معروفة قبل الزمن الذي اختطت فيه هذه المدن بالوف من السنين . كان يقتنيها الاشوريون والبابليون والفرس من عهد بعيد وهي مرسومة على اقدم الآثار المصرية ويظهر من شكلها انها لم تكن تختلف كثيراً عن الكلاب السلوقية التي يقتنيها العرب في ايامنا وهي كثيرة عندهم في المغرب والصحراء الكبرى والسودان وبلاد العرب والشام والعراق

ولا يعرف اصل الكلاب سواءكانت سلوقية او غير سلوقية فهي اما متولدة من نوع منقرض من الكلاب الوحشية او من الذئاب او من بنات آوى او من كليهما فان من اصنافها ما يشبه هـذه الحيوانات كثيراً ولا تزال الكلاب تتوالد معها ولا يكون ما يتولد منها عقيماً بل ولوداً مما يدلُّ على قرب النسب . والكلاب السلوقي قريب جدًّا من الذئب في شكل رأسهِ ودقة خطمهِ

اوصافها واصنافها

ويوصف السلوقي بصغر الرأس وطول الخطم والعنق والقوائم وهو حاد البصر سريع الجري لكنهُ ضعيف الشم . الوانهُ مختلفة منهـا الابيض والاسود والاصفر والاحمر والابقع والخلنجي اي ماكان بين الصفرة والحمرة . اصنافهُ كثيرة وكلها متشابهة في اشكالها لكنها تختلف قليلاً في بعض الامور الظاهرة كطول الشعر وقصرهِ او نعومتهِ وخشونتهِ واشهرها الاصناف الآتية

﴿السلوقي الانكليزي﴾ قديم جدًّا في بلاد الانكليز ومن صفاتهِ المستحبة ان يكون قصير الشعر ناعمهُ صغير الرأس طويل الخطم دقيقهُ واسع الشدقين قويّهما عريض ما بين الاذنين غير مفرط الغضف (اي استرخاء الاذنين) . وان يكون لون عينيهِ كلون شعرهِ وعنقهُ مثل رأسهِ في الطول وكتفاهُ مائلتين كثيرتي العضل . وان يكون طويل العضدين والفخذين قصير الساعدين متباعد ما بين اليدين والرجلين صلب الاصابع . اما ذنبهُ فيجب ان يكون قصير الشعر منحنياً في طرفهِ غير مفرط في الطول

﴿السلوقي العربي﴾ وصفهُ الجاحظ كما يأتي قال «ويصفونهُ بان يكون صغير الرأس طويل العنق غليظها وان يشبه بعض خلقهِ بعضاً وان يكون اغضف مفرط الغضف ويكون بعيد ما بين الاذنين ويكون ازرق العينين طويل المقلتين ناتئ الحدقة طويل الخطم واسع الشدقين ناتئ الجبهة عريضها وان يكون الشعر الذي تحت حنكهِ كانهُ طاقة ويكون غليظاً وكذلك شعر خديهِ ويكون قصير اليدين طويل الرجلين لانهُ اذا كان كذلك كان اسرع في الصعود بمنزلة الارنب . وينبغي ان يكون طويل الصدر ويكون ما يلي الارض من صدرهِ عريضاً وان يكون غليظ العضدين مستقيم اليدين مضموم الاصابع بعضها الى بعض حتى اذا مشى او عدا او هوى جدراناً لا يصير بينها من الطين وغير ذلك مما يفسدها . ويكون ذكي الفؤاد نشيطاً ويكون عريض الظهر عريض ما بين مفاصل عظامهِ عريض ما بين عظمي اصلي الفخذين اللذين يصيبان اصل الذنب

وطويل الفخذين غليظهما شديد لحمهما . ويكون رزين المحمل رقيق الوسط طويل الجلدة التي بين اصل الفخذين والصدر ومستقيم الرجلين ولا يكون في ركبتيه انحناء ويكون قصير الساقين دقيقهما كانهما خشبة من صلابتهما . وليس يكره ان تكون الاناث طوال الاذناب ويكره ذلك للذكور ولين شعرها يدل على القوة »

﴿ السلوقي الايراني ﴾ للفرس عناية شديدة بالصيد وكلابهم السلوقية تختلف عن الكلاب العربية بطول شعرها وشدة نعومته وهم يصيدون بها الظباء وبقر الوحش والحمر الوحشية ويستعينون في صيدها بالصقور والبزاة

ومن انواع الكلاب السلوقية الروسي او التتري وهو خشن الشعر ولونهُ في الغالب ابيض او سنجابي . ومنها اليوناني وهو قصير الشعر ناعمهُ ويصاد بهِ الإيَّل

وكلاب السودان كلها سلوقية لكنها ليست من صنف جيد واحسنها في تلك البلاد عند عرب الشكرية على ضفاف نهر الاتبرة . وللجنرال دوماس الفرنسوي مقالة في مجلة المشرق الفرنسوية وصف بها الـكلاب السلوقية التي يقتنيها عرب المغرب وذكر شدة تعلقهم بها وعنايتهم بصغارها وطريقة صيدهم بها قال فيها ما ملخصهُ :

« لو شئت ان ابين ما عليهِ سكان الصحراءِ من عادات الاشراف واميال الامراء لاكتفيت بدليل واحد فقط وهو شدة تعلقهم بكلابهم السلوقية فانهم يعتنون بتربيتها وتوليدها اعتناءهم بتوليد عتاق الخيل وتربيتها فيسير الرجل منهم ثلاثين غلوة ليزوج كلبتهُ بسلوقي مشهور واذا اتفق انها علقت من كلب آخر اسقط اجنتها وربما قتلها. وهم يفطمون الجرو متى صار عمرهُ اربعين يوماً فيطعمونهُ لبن الماعز والابل او التمر المطبوخ باللبن فاذا بلغ من العمر اربعة اشهر اخذهُ الصبيان وعلموهُ صيد الجرذان واليرابيع ثم صيد الارانب وصغار الظباءِ ولا يخرجونهُ الى الصيد مع الكلاب الكبيرة قبل ان يبلغ من العمر ١٨ شهراً . وطريقة صيدهم انهُ متى رأى صاحب الكلب سرباً من الظباء صاح بهِ واراهُ اياها ثم اطلقهُ عليها فيجري الكلب وراءها وينتقي اكبر الظباء واسمنها فيقبض عليهِ الى ان يأتي صاحبهُ ويذبحهُ ويطعم الكلب من اللحم الذي في الصلب على مقربة من الكليتين

« وكلابهم غالية الثمن فالسلوقي الذي يصيد الآدم من الظباءِ يشترونهُ ببعير من كرام الابل والذي يصيد الرئم وهو نوع من الظباءِ البيض ثمنهُ فرسٌ من عتاق الخيل. واشهر سلوقياتهم عند اولاد سيدي شكر واولاد نايل والاربعة وغيرها من القبائل »

الصيد بها

الصيد بالـكلاب السلوقية قديم جدًّا وكان لقدماء المصريين ولع بهِ كما يستدل من الصور الباقية على آثارهم وطريقة صيدهم بها لا تختلف عن صيد العرب بالـكلاب السلوقية في ايامنا . وكانت كلابهم مشهورة عند القدماء. قال اليانس ان كلاب مصر اسرع كلاب الصيد لكنها تخاف التماسيح كثيراً فاذا وردت النيل شاربة جرت على ضفتهِ واخذت تشرب الماء وهي تجري خوفاً من التماسيح . ولا يزال الصيد بالكلاب السلوقية شائعاً في اوربا وبلاد الانكليز وعند الفرس والعرب ولهؤلاء ولع شديد بهِ يصيدون البقر الوحشية والظباء والثعالب والارانب بالكلاب السلوقية ويعرف ذلك عندهم بالطرد فيطلقون على الطريدة كلباً واحداً او اكثر وربما اطلقوا عليها الصقور ايضاً فينقضُّ الصقر عليها يضربها بمنقارهِ وجناحيهِ على وجهها فلا تدري كيف تذهب فتدركها الكلاب وتأخذها ويكون القانص وراءها اما راكباً فرسهُ او على قدميهِ . واشعار العرب في وصف الصيد كثيرة جدًّا

وكانوا اذا صادوا البقر الوحشية اطلقوا عليها كلبين او اكثر فاذا ادركتها الكلاب ارتدت عليها وقاتلتها. والبقر الوحشية التي في بلاد العرب طويلة القرون وهي من النوع المعروف عند الافرنج بالاوركس ويسميهِ العرب في ايامنا الوُضَيْحي

المفاخرة بها

وقد كان لملوك الشرق وامرائهِ عناية كبيرة بالصيد . قيل ان احد سلاطين المغول كان عندهُ عشرة آلافٍ من الفهود وان الصقّارين والبزادرة والفهّادين والكلاّبين الذين كانوا في خدمة الصقور والبزاة والفهود والكلاب عند السلطان بيازيد الاول كانوا جيشاً يبلغ عددهُ اثني عشر الفاً وان قلائد بعض الفهود كانت مرصعة بالحجارة الكريمة. اما الافرنج فلم يكن يسمح عندهم باقتناء الكلاب السلوقية الاَّ للامراء والاعيان فكان من دلائل النبل عندهم ان يكون للواحد منهم جواد وبازٍ وكلب سلوقي .لذلك قال الجنرال دوماس ان عناية اهل المغرب بالكلاب السلوقية من دلائل الكرم . وقد كان العرب يفاخرون بهذه الكلاب ايضاً كما يستدل من كثيرٍ من اشعارهم وكان لها اسماء والقابٌ مشهورة عندهم. قال الجاحظ «ولكرامها وجوارحها وكواسبها واحرارها وعتاقها انساب قائمة ودواوين مخلدة واعراق محفوظة ومواليد محصاة مثل كلب جذعان وهو السلهب بن البراق بن يحي بن وثاب ومظفّر بن محارش »

حفلة تأبين

المرحوم الدكتور يعقوب صروف

بدار الاوبرا الملكية

في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨

تأبين الدكتور صروف

تمهيد

« شعر رجال الثقافة العربية بخسارة فادحة منذ رحل الى الدار الآخرة رجل العلم والفضل والاستقامة المأسوف عليه الدكتور يعقوب صروف منشيء مجلة المقتطف. وقد حفزت المروءة جماعة من كبار المثقفين والمتأدبين كما حفزت الصداقة في الزمالة وحفز التقدير رجال الصحافة فتألفت منهم لجنة جعلت غايتها الوفاء للرجل وقد ذهب شهيد جهاد طال عشرات السنين . وكانت ابرز فكرة عنت لهم ان يقيموا حفلة تأبين كبيرة يتبارى فيها العلماء في ذكر مناقب الفقيد العظيم » (١)

وقد « تهيأ للاحتفال الفخم الذي اقيم في مساء امس الاول بدار الاوبرا الملكية تأبيناً لفقيد العلم والصحافة المرحوم الدكتور صروف من مظاهر الروعة وآيات الجلال مالا يكاد يتهيأ لغيره من حفلات التأبين واجتماعات الرثاء . ذلك ان كل من انتظمهُ هذا الاحتفال كان يحسُّ برابطة تربطهُ بالفقيد فاذا لم يكن صديقاً كان زميلاً وان فاتتهُ هاتان الصفتان لم تفتهُ الصلة الادبية التي كان المقتطف داعيتها للفقيد في مصر وفي غير مصر من الاقطار العربية

« وكان الاحتفال بما جمع من كبراء المصريين وزعماء الامة واعلام الادب والبيان في مصر مظهراً من مظاهر تكريم العلم وآية على الاعتراف بالجميل ومثلاً تضربهُ مصر في تقدير العاملين وتخليد اسماء العلماء » (٢)

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر موعد هذه الحفلة فأخذ المدعوون اليها يفدون قبيل تمامها وكان في مقدمتهم حضرات اصحاب الدولة والمعالي والسعادة عبد الخالق ثروت باشا رئيس مجلس الوزراء السابق ورئيس الحفلة الشرفي ومصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ويحيي ابراهيم باشا والوزراء الحاليين جميعاً والاستاذ ويصا واصف بك رئيس مجلس النواب واسماعيل صدقي باشا والاستاذ محمود بسيوني وكيل مجلس الشيوخ وكثيرون من أعضاء البرلمان واصحاب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة والسيد محمد

(١) عن جريدة البلاغ تاريخ اول ابريل (٢) السياسة تاريخ اول ابريل

رشيد رضا والشيخ عبد المجيد اللبان ومحمود صدقي باشا محافظ العاصمة ورشوان باشا محفوظ وكيل وزارة الزراعة وعبد الرحمن باشا رضا وكيل وزارة الحقانية واصحاب النيافة النائب البطريركي للروم الكاثوليك ومطران الارمن الارثوذكس ومطران السريان الكاثوليك وغيرهم من رجال الدين واللواء سليم موصلي باشا وانطون مشاقه باشا والاميران ميشال وجورج لطف الله وقرينتاهما . وحضر الحفلة طائفة كبيرة من فضليات السيدات تتقدمهن حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي

وكان حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الاحتفال الشرفي يجلس في البنوار الايمن أما حضرات اعضاء الاحتفال فكانوا يجلسون على المسرح وفي مقدمتهم صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف العمومية ورئيس الاحتفال. وجلس على المسرح كذلك هيئة نقابة الصحافة وحضرات خطباء الحفلة وشعرائها والدكتور العلامة فارس نمر وحضرة صاحب السعادة سعيد شقير باشا ، وكانت ارملة الفقيد واسرتهُ تجلس في البنوار الايسر ومعها بعض السيدات



كلمة وزير المعارف

يا حضرات السادة : كانت الفكرة التي اوحت الى لجنة التأبين ان تسند رياستها اليَّ هي ان الفقيد الكريم كان معلماً أمضى شطراً طويلاً من الحياة في خدمة العلم والادب . وقد قبلت هذا الشرف الذي ندبتني اللجنة لهُ لتتمكن من التأبين الحق لهذا الراحل الكريم

لقد اخرج الفقيد رحمهُ الله تلاميذ عديدين ظلوا دائماً متعلقين بهِ مستزيدين من فضلهِ فكانت مهمتهُ مثلاً جميلاً لاحسن الصلات بين المعلم وتلميذهِ . واعتقد انني معبر عن شعور المصريين جميعاً فيما اعرب عنهُ من التأثير العميق والاسف الخالص لان الفقيد الكريم ادى اجل الخدمات للغة وكان اساساً متيناً في الصحافة المصرية وبعث منذ عشرات السنين نهضة فكرية لم تكن ظروف ذلك الحين توفق اليها

فبالاسف العميق اقدم التعزية الخالصة لاسرة الفقيد واهلهِ ولاسرتهِ العامة قراء المقتطف والمقطم الذين نشر عليهم كثيراً من آرائهِ القيمة ومباحثهِ الجليلة وأسألهُ تعالى ان يعوضنا خيراً في فقيدنا الكريم. واني اترك تفاصيل القول عن الفقيد الى خطباء الحفلة



المرحوم الدكتور صروف في مكتبهِ بداره في جاردن ستي



المرحوم الدكتور صروف في مكتبهِ بادارة المقتطف والمقطم

مقتطف مايو ١٩٢٨

امام الصفحة ٥٥٧

كتاب جامعة بيروت الاميركية

حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا

ان الجامعة الاميركية في بيروت تود اليوم ان يكون لها شرف الاشتراك مع الذين يقومون باكرام ذكرى العلامة المأسوف عليهِ المرحوم الدكتور صروف

وانا في هذا المقام الذي لا يسعنا فيهِ الاَّ ان نشعر بعظم الخسارة التي منينا بها بفقده يتغلب علينا الشعور العميق بالاعجاب باعماله المجيدة ونغتبط بما اوتيه في حياته من النجاح في تلك الاعمال العظيمة لخير الانسانية

ونحن اذا ذكرنا الدكتور صروف فلا نذكرهُ فقط كاحد خريجي الجامعة النابغين ولكن كرجل فذٍّ بمقدرتهِ الفائقة وسمو مبادئهِ واستخدام مواهبهِ العظيمة لخدمة وطنه وابناء عصره

وهو كزعيم كبير بين المتكلمين باللغة العربية قد بذل جهداً عظيماً في نشر العلوم العصرية بين ابناء تلك اللغة وفي تطبيق قواعدها على الاصطلاحات العلمية الحديثة وقد نقل الى الشرق بروح الايمان والاعتدال كلَّ ما يهمهُ من الافكار والتحولات الغربية النافعة وبشخصيته الممتازة وذكائه النادر مع جده ونشاطه ومقدرته العظيمة على التأليف والكتابة قد ساعد على ازدياد حسن التفاهم بين الشعوب والاجناس المختلفة وعلى تقدم بلاده تقدماً مبنيًّا على اساس التمدين الوطيد

وانا نتحد اليوم مع الذين عرفوا الفقيد العظيم شخصيًّا او من كتاباته المنتشرة في انحاء المعمورة بتقديم الاكرام اللائق لذكراهُ الخالدة ونتهلل قلبيًّا بما اوتيه من النجاح الباهر في خدمة الجنس البشري خدمة مبنية على حرية الفكر والتعمق في المعرفة والاطلاع مع سمو في الاخلاق والمبادىء الشريفة

نائب الرئيس

—o:o—

كلمة الدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية

معالي الوزير : سيداتي . وسادتي :

اذا كان لكل انسان في هذه الحياة رسالة يجب ان يؤديها . اذا كان على كل انسان واجب يفرضهُ عليهِ نظام الجماعة ، او يفرضهُ هو على نفسهِ طائعاً مختاراً ليكون لهُ

في بناء الانسانية نصيب واضح ، فان الفقيد الذي نحتفل الآن بذكراهُ قد ادى الى الشرق العربي باسرهِ ، والى مصر بخاصة ، رسالة قيمة باقية الاثر . رسالة بدأها منذ حوالي خمسين عاماً . ولم ينصرف عنها الى عالم الخلود الاَّ منذ شهور

لست اقصد في موقفي هذا الى تبيان تاريخ الفقيد مولداً ونشوءًا وشباباً وشيخوخة ولا الى تفصيل تعلمهِ تلميذاً وتعليمهِ استاذاً ولا الى مراحل ارتقائهِ في مدارج العرفان مرحلة فمرحلة

انما اريد في هذه الدقائق المعدودة ان اشير الى صفات هذه الشخصية الشرقية التي خدمت العلم ، والآداب ، والفنون ، واللغة العربية ، خدمات كانت من اكبر عوامل النهضة الشرقية في زماننا الحديث

رسالة الفقيد توحي الينا كيف تكون المثابرة وكيف يخدم العلم وكيف تخدم اللغة العربية

فاما المثابرة فما احوجنا لتكرار ذكرها والحث عليها بالاشادة بذكر من تخلقوا بها

كم من صحف ومجلات تنشر وتطوى . وكم من همم كانت تهبُّ هبوب العواصف ثم تركد. وكم من مشاريع ولاسيما في ذلك العهد عهد المقتطف كانت تؤسس في المساء لتذيب اساسَها شمسُ الصباح . وفي ذلك العهد عهد التردد والتهيب أنشأ الفتى الهادئ الوديع المتواضع صروف مع اعوان كرام صرحاً ممرداً من صروح العلم والفن والادب . انشأهُ رويداً رويداً فجعل يضع كل يوم حجراً ويقيم كل شهر ركناً ، واذا بنا اليوم امام هذا البناء الشامخ الحافل بطرائف الثقافة ونتائج العقول

رجل لا يقرع الطبول لاعلان مواهبهِ والزهو بنفسهِ يدأب هذا الدأب وينقبض في الوصول الى غرضهِ السامي هذا الانقباض . رجل كهذا الذي نذكر ليس فقاعة من فقاقيع الماء تبدو منتفخة لماعة فاذا صادفتها نسمة انفجرت وبادت ، بل هو ركن متين صلب تقوم على كواهل أمثالهِ مدنيات الشعوب ، ويجب ان يقتدي بامثالهِ شباننا الذين يطمحون في المجد الصادق

ايها السادة : كان فلاسفة اليونان الاقدمون من الرواقيين يجعلون خلة المثابرة في سبيل الحياة المعنوية والعلم اساساً للفضيلة . ذلك لانها دأب وكدح في غير لذائذ البدن ، ولانها رياضة للارادة على ان تسكن للمعاني دون ان تشغلها شواغل الحياة المادية وزخرف الدنيا ومتاعها

وهذا الذي نشيد اليوم بذكرهِ كم صابر وجالد . فضحى براحة الجسم في سبيل

الاستنارة والانارة . وكم ضنَّ على جسمهِ بهدآت الليل في سبيل التحصيل والاذاعة وكم حرم نفسهُ لذة الرياضة واللهو والترف — وكل ذلك يسر لهُ — وكم جهد في تحويل ما وصل اليهِ من انوار العلم الى عقول الالوف من القراء

لسنا نزعم ان خدمة الفقيد للعلم كانت خدمة المستكشف او خدمة المخترع اوخدمة الذاهب في انواع التفكير مذاهب لم يسبقهُ اليها العلماء بل كانت خدمة الناشر والمذيع ، وخدمة المنقب يبحث عن حاجات بلادهِ وقومهِ فيرضي هذه الحاجات بما ينقل الى المتعطشين من ابناء الشرق من علم مهضوم ، وفكر واضح ، وثقافة تمثلت في صورة عربية ، لا يأباها ذوق لغتنا ولا تنفر منها طبائعنا

ولم تكن حاجة البلاد العربية في ذلك الوقت الى علماء مبتكرين بقدر حاجتها الى علماء يعممون بيننا معارف الغرب ويوطئون لنا منها ما عزَّ منالهُ

وتوطئ العلوم والمعارف ليس هو بالعمل الهين ، وليس هو في ميسور كل مشتغل بالعلم ، ومن ذا الذي يستطيع ان يتصدى لمختلف العلوم ومتنوع الفنون والآداب ، ليدني للناس قطوفها دون ان يكون هو نفسهُ واسع المعارف او موسوعة من المعارف

ولقد كان صروف ذلك العالم الذي اختص بانواع من العلوم كعلوم الكيمياء والطبيعيات والذي اصاب من اكثر فروع العرفان ما لا يجعلهُ غريباً عنها ، اذا عرض لنقل شيءٍ منها الى ابناء العربية ، واذا صادفهُ باب او مؤلف لم يكن لهُ بهِ سابق عهد لم يتردد لحظة في الجهر بان لا علم لهُ بهِ وذلك شأن العلماء الامناء

قرأت للاديب العقاد في جريدة البلاغ ما يأتي : « لقيتهُ (اي صروف) على اثر انتخاب برجسون للاكاديمي الفرنسية فحادثتهُ في آراء هذا الفيلسوف والمقابلة بينهُ وبين وليم جيمس الذي يعرف عنهُ الدكتور غير قليل فقال لي انني لم اقرأ شيئاً لبرجسون هذا . ثم ضحك وقال أيعجبك هذا الاعتراف ممن يسمون فلاسفة »

ايها السادة

كان الفقيد عالماً مدققاً محققاً مخلصاً للعلم لا ينحرف عن الطرائق العلمية في كتاباتهِ ومباحثهِ لكنهُ مع ذلك ظل يرعى في وجدانهِ حرارة الايمان بالروح وعالمها الآخر . كان واقفاً على العلوم المادية الحديثة وقوفاً دقيقاً لكنهُ لم يكن كبعض العلماء الماديين يريدون من المادة تعليلاً لكل شيءٍ مبدأً ومصيراً ، بل كان رحمهُ الله لا يرى تناقضاً

بين ما كان يتصل بنفسهِ من نزعات روحانية وعلم مادي. وينم على اتساع نفسه لحاجات العلم وحاجات الايمان قوله في منظومة طريفة

اما واجسامنا ليست سوى صور مشكلات بأشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جثماني
حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني
وللتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
لا بد للعلم من يوم يفوز بما يبيّن الحق فيهِ خير تبيان

وعلى هذا النحو من ارسال الفكر طلقاً يعدو وفق نظامه ونواميسه العلمية ووصل القلب والوجدان بما يمهد لها الراحة في ظل الايمان. على هذا النحو من الثقة بالفكر وقوته وخشوع النفس عند صخرة اللانهاية والابدية التي يرتد عندها الفكر حائراً. على هذا النحو من تقدير طموح الفكر ونزوع القلب استطاع صروف ان يفسح في نفسهِ مجالاً للتوفيق بين اصول العلم واصول العقائد. وعلى هذا النحو ثابر الفقيد في خدمة العلم وعلى هذا النحو ارضى الفقيد نزعة العقائد

***

وهل لي ان اقول ان خدمة الفقيد للغة العربية لم تكن اقل شأناً ولا اقلّ بروزاً من خدمته للعلم من سبيل نشره واذاعته. ويكفي ان اقرأ لكم من الجزء الرابع من مقتطف سنة ١٩٢٧ ما كتبهُ الفقيد في رسالة موجهة الى المعلمين في مدارس فلسطين ليظهر مقدار حرصهِ على تكريم اللغة العربية بالعناية بها وبتعليمها

قال رحمهُ الله « ان تثقيف العقل يتناول اموراً كثيرة اولها التوفر على تعلم اللغة الوطنية او بذل المعلم همتهُ لكي يعلم تلاميذه لغتهم حتى يحسنوا فهمها وكتابتها لا لأن اتقان اللغة يفيد المرء فائدة كبيرة كاتقان صناعة الطب او صناعة المحاماة بل لان من يحسن لغتهُ يزيد اكرامهُ لنفسه واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيرهِ على فهم ما يقرأهُ من العلوم والفنون الخ »

ولقد كانت النزعة التي تنم عنها هذه الكلمة توحي وحيها للفقيد مدة حياته العلمية الطويلة. فان مجلة المقتطف التي انشئت في سنة ١٨٧٦ اي منذ اكثر من نصف قرن قد ادت الى اللغة العربية خدمات تجل عن كل حمد وثناء. فمن ابواب في الفنون والعلوم لم تكن مطروقة في لغتنا قد فتحت على مصاريعها في المجلة التي كان يتولاها الفقيد الى

الفاظ عربية قد استخدمها هو واعوانه للعبارة الى اساليب سهلة ممتنعة في البحث والنقد وشتى فروع الثقافة ما زال الفقيد بها حتى جعلها اداة شائعة بين اقلام الكتاب والباحثين. وعلى الجملة فهذه المجلدات الضخمة من المقتطف التي تشبه ان تكون دائرة معارف عربية فصيحة العبارة جلية المعاني هي اليوم ثروة قد وهبها الفقيد للغة العرب وكان لها فضل عظيم على كثير من المثقفين الذين لا علم لهم باللغات الغربية وفي صقل كثير من الاقلام والالسنة التي كانت تحسن بعض اللغات الاجنبية ولكن لا تحسن لغتها القومية

لذلك حق على كل ناطق بلغة العرب ان يقدر جهود الفقيد الكريم في سبيل هذه اللغة ويشاطرنا اليوم تحيتنا لذكرى الراحل الجليل ويشاطرنا العزاء لاهلهِ وذويهِ وعارفي فضلهِ ولاسيما للسيدة البارة زوجه الكريمة التي ملأت عليهِ حياتهُ سعادة قوّت عزيمتهُ في العمل وصديقهُ ورفيق صباهُ وعونهُ الوفي في الحياة الحافلة بالآثار الدكتور نمر

ونسأل الله ان يمد في حياتهما لخير الرسالة القيمة التي أداها فقيدها وفقيدنا وفقيد النهضة العلمية العربية خير اداء، رسالة تنطق بالمثابرة وخدمة العلم بنشرهِ واذاعتهِ وخدمة اللغة باغناء ثروتها

ان صروفاً في شبابهِ وفي كهولتهِ وفي شيخوختهِ لخير مثال يحتذيهِ الشباب والكهول والشيوخ

كان صروف شجرة مباركة مثمرة للناس وما زالت دائبة على هذا البذل والاثمار

« حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني »

كلمة اسعد بك لطفي

رئيس نقابة الموظفين

معالي الوزير . سيداتي . سادتي :

التاريخ ابو العبر . وكل حياة تحيا وتموت ولها بداية ونهاية وكل نهاية لها غاية . وكل غاية لها مدى ومقر . وهو الاثر . والاثر الصالح اصلهُ ثابت وفرعهُ في السماء . وخير الآثار ما دعمهُ صاحبهُ بيمينهِ . ومن الناس من يعيش ويفنى بغير آثار . ومنهم من يرغم أصدقاءهُ واخوانه ان يذكروهُ ويمجدوهُ بعد المات . وكان من هذا النفر الدكتور صرُّوف

كان من البنائين الاحرار الذين كونوا مجدهم على سواعدهم : هبط ارض مصر

ومصر مهبط العلوم : فاقتطف لها من ثمار المعارف حديقة غناء هي المقتطف . وقدمها اليها ولم يرض ان يكون ضيفاً ثقيلاً على اهلها فوظف نفسهُ في ادارة المقتطف وجعل نفسهُ موظفاً مسئولاً وأحاط عملهُ بالحكمة والتبصر . وضرب المثل الاعلى في الاعتماد على النفس ولم يقتصر على ذلك بل كان كاتباً كبيراً وصحافيًّا قديراً وفيلسوفاً عظيماً وموظفاً اميناً . ولا اتكلم في الثلاثة الاول بل عن الاخير فقط لاني انا الموظف الذي يعرف نتائجهُ

لم يكن صروف مما نال علاوة مادية يحسد عليها ولكنهُ نال اعلى الدرجات المعنوية فلقد كان مخلصاً في وظيفتهِ فعاش فيها خمسين سنة او يزيدون . وما اطيب ان يصل الانسان الى مجد ويرى ثمرة عملهِ بعينهِ وقد كان هذا شأن صروف فقد كان اداة عاملة بين الشرق والغرب ضرب للاخير مثلاً بان الشرقي شعلة من الذكاء وان الشرق مهبط العلم والحضارة . ذلك هو العمل الطيب الذي قام بهِ واحسن من هذا انهُ عمل تحت ستار السكينة والتواضع فلم يرد ان يعلن بنفسهِ عن نفسهِ ولكن عملهُ اعلن عنهُ . لقد احسن صروف الى نفسهِ ووطنهِ والى اللغة العربية فليتلق في جوار ربهِ حسن جزائهِ واما انتم يا اسرة الفقيد الكريم فعزاء وصبراً

كلمة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز جاويش بك

مراقب التعليم الاولي بوزارة المعارف

ساداتي الاكرمين :

كلنا يجد مجال القول في فقيدنا الجليل كما نشاء و نتخيل من السعة والامتداد ولكن هل لدينا ذلك القلم او اللسان الذي يستطيع ان يحيط بشيء من مواهبهِ العالية وعلومهِ الغزيرة وادبهِ الجم وجهادهِ الاكبر ذلك الدهر الطويل الذي قضاهُ بيننا ؟

أو ليس من العبث ان يحاول احدنا وصف علوم ذلك الاستاذ العظيم ومعارفهُ بعد اذ بليَ في قيدها بنانه وفنى ما لا يحصى من اقلامهِ طوال ذلك العمر المديد ؟

أو ليس من العجيب ان يقوم احدنا مقام التعريف برجل تعرف من قبل الى الدنيا العربية بسبعين مجلداً ضخماً من المقتطف حوت من العلوم والفنون والادب والمباحث القيمة ما اكسبهُ بحق مركز استاذ المعلمين وشيخ المربين ومفتي المستفتين في العالمين ؟

بذلك وحدهُ تعرف الدكتور صرُّوف الى الدنيا العربية فلم تسول لهُ نفسهُ يوماً

ما ان يعلن بغير ذلك لهُ اسماً أو يتصيد لهُ شهرة وذكراً. ولولا ما كان من صرير اقلامهِ الدائم في مقصوراتهِ لكان مثلهُ في برمِ الخفي بالعلم وجهادهِ الصامت في سبيل اللغة العربية مثل السيح السائب يصيب الارض الموات بلا خرير يسمع فيحييها وينبت البهيج من ازواجها

اذاً فليكن موقفنا ازاء الفقيد العظيم دائماً موقف المستعرض لبعض ما انفرد بهِ من المزايا والفضائل والصفات التي كانت سر نجاحهِ العظيم في حياتهِ الطيبة المباركة فان في ذلك من القدوة الحسنة والمثال الصالح ما سيكون نبراساً للمستضيئين ومناراً قائماً للمستهدين

سادتي

اننا لنحس كلما تصفحنا آثار فقيدنا العظيم. انهُ كان يشعر منذ بدء حياتهِ العلمية ان من الجهل الاعجاب بالنفس وان من الافتتان بالرأي الانصراف عن الاستفادة والاستزادة وصدّ النفس عن مصافاة المخلصين والاستعانة بثمرات جهود الباحثين والمنقبين كما كان يعرف ان فوق كل ذي علم عليماً وان الانسان مهما بلغ مبلغهُ من العلم لا يبلغ منهُ الاَّ قليلاً

كذلك نحس انهُ برغم ما كان لهُ في شبابهِ من العبقرية والحذق والتفوق على زملائهِ ولداتهِ لم يجد العجب والزهو سبيلاً الى نفسهِ البصيرة ولا مدخلاً الى قلبهِ الكبير. ولذا كان طول حياتهِ ابعد الناس عن استجهال الناس واحرص المحصلين على طلاب الحقائق والتماس مواطن العلم الصحيح فكان طاب ثراهُ كلما عرضت لهُ مسألة لا ينفك يراجع المؤلفات قديمها وحديثها باحثاً منقباً متحرياً وجوه الصواب موازناً بين ما قد يكون للعلماء من الرأي فيها. ذلك كيلا يقطع برأي في امر حتى يمتحنهُ من سائر جهاتهِ امتحاناً رائدهُ النظرات المنصفة والمعرفة الصادقة

ولقد كان لتنشئة فقيدنا الكبير العلمية الاولى اثرها في حياتهِ العاملة فان ترعرعهُ في معاهد العلوم الرياضية والطبيعية والادبية جعل حياتهُ العلمية والعملية فيما بعد حياة التحقيق والتدقيق والامانة والطمأنينة للحقيقة والرأي القاطع ولذلك عرفناهُ بغيضاً الى نفسهِ جوُّ الادب الخيالي والشكوك المضللة والمخايل الفاسدة كما عرفناهُ في كتاباتهِ صريحاً في مواطن الصراحة مقتصداً في النقد اميناً على الرواية متواضعاً في غير مسكنة

تجمل فقيدنا العظيم بهذه الصفات التي هي اهم صفات المصلحين والمعلمين فاستحق بذلك ان يشغل فيهم غير مدافع مكان الامام من المصلحين

اسس الدكتور صروف — ضاء مثواهُ — مقتطفهُ فاسس بهِ اعظم جامعة سيارة للثقافة العربية تخرج عليهِ فيها الملايين من الناطقين بالضاد في اطراف الارض فحيثما كان المقتطف كان الاستاذ صروف حتى كأنما صروف والمقتطف كلمتان مترادفتان

عرف الناس فقيدنا العظيم بالنفس العلابة والهمة الوثابة والجلد الحديدي والفوز بكل ما صبت نفسهُ اليهِ من جلائل الاعمال فهل عرفوا ان سر ذلك هو حبهُ للعلم واخلاصه لهُ وعشقهُ للعمل واخلاصهُ فيهِ ؟

كم سمعنا بمجامع علمية وأدبية اقيمت في بلادنا للنظر في امر اللغة العربية وحمايتها واصلاح ما فسد من امرها وكان يكون من اعضائها الدكتور صروف فهل ترى لها اليوم من باقية سوى آثار جهود هذا الرجل وجهادهُ الفردي . ألا لقد اختفت جميعها حتى لم يبق من معالمها في سبعين عاماً سوى ما لذلك الرجل الذي يجب ان نعتبره « وحدهُ بحق » الاكاديمية العربية لذلك العمل الطويل

رأى الدكتور صروف ان العقول البشرية لا تنفك ترمي بمواليد جديدة ومبتكرات لاحصر لها وان السفائن والطيارات لا تنفك تقذف بمستحدثات الصناعات والمخترعات ثم رأى ان التجار والسماسرة والوكلاء ومصالح الجمارك لا يحتجزون ما تبلغهُ ايديهم من السلع والعروض التجارية حتى تنعقد المجامع العربية لتنظر فيما يلزم لها من الاسماء جديداً اما بوضع جديد او احياء ميت او نحت او اشتقاق او اقتباس او تعريب بل رأى ان السلع والعروض والعقاقير والمآكل والمشارب سرعان ما تجد سبيلها بما رافقها من الاسماء الى المنازل والحوانيت والمعابد والابدان والاجواف غير منتظرة ما تفعلهُ المجامع ولا مبالية ما تكون عاقبة مركزها ازاء الفطاحل من اعضائها

رأى الدكتور جميع ذلك فلم تبح لهُ غيرتهُ على لغته — واللغات حياة الامم — ان يتقيد بحياة تلك المجامع او يقف جامداً لا يتحرك إزاء غارات اللغات الاجنبية والتيارات الجارفة العلمية والصناعية بل تصدى لمقابلة الضرورات المختلفة بما رآهُ من العلاج ونحن وان كنا نخالفهُ في بعض رأيهِ لا بد لنا ان نسجل لهُ في هذا المقام خالد الشكر على ما احتمل في ذلك من المساعي المبرورة التي انفرد بها براً باللغة العربية واحساناً الى اهلها وبرهاناً عملياً على سعة نطاقها وغنى كنوزها وكمال صلاحيتها للترجمة عن كل ما تلدهُ العقول الانسانية من المبتدعات والمبتكرات في مختلف اطوارها ودرجاتها فلقد طوق العالم العربي بذلك منة لا يجزيه عنها الاَّ الله الذي وفقهُ اليها

سادتي : لقد كان يكون الرزء في استاذ العرب الدكتور يعقوب صروف مما لا يحمل عليهِ الصبر والفراغ الذي احدثهُ اختفاؤهُ مما لا يرجى ان يملأ لولا انهُ طاب ثراهُ قد ترك للامة العربية في جملة ميراثهِ العظيم ذلك الخلف الصالح فؤاد افندي صروف فلقد استخلفهُ على منبرهِ العام بعد اذ انبتهُ نباتاً حسناً نخلَّقهُ باخلاقهِ المرضية وزودهُ بعلمهِ الواسع وابرزهُ للناس في صورتهِ الطيبة فلندع الله ان يرزقهُ من التوفيق والنفع ما رزق عمَّهُ من قبل حتى لا ينقطع عن الامم العربية صالح عملهِ ولا ينطمس عن الابصار نافع اثرهِ

مرثية احمد شوقي بك

سماؤك يا دنيا خداع سراب ... وارضك عمرانٌ وشيك خراب
وما انت الاَّ جيفة طال حولها ... قيام ضباع او قعود ذئاب
وكم ألجأ الجوع الاسود فأقبلت ... عليك بظفر لم يعفَّ وناب
قعدت من الاظعان في مقطع السرى ... ومرّوا ركاباً في غبار ركاب
وجُدت عليهم في الوداع بساخر ... من اللحظ عن ميت الاحبة نابي
أقاموا فلم يؤنسك حاضر صحبة ... ومالوا فلم تستوحشي لغياب
تسوقين للموت البنين كقائد ... يرى الجيش خلقاً هيناً كذباب
رأى الحرب سلطاناً لهُ وسلامة ... وان آذنت اجناده بتباب
ولولا غرور في لبانك لم يجد ... بنوك مذاق الضر شهد رضاب
ولا كنت للاعمى مشاهد فتنة ... وللمقعد العاني مجال وثاب
ولاضلَّ رأي الناشئ الغرّ في الصبا ... ولا كرّ بعد الفرصة المتصابي
ولا حسب الحفار للموت بعد ما ... بنى بيديهِ القبر الف حساب
يقولون يرثي كلّ خلٍّ وصاحب ... أجل انما اقضي حقوق صحابي
جزيتهمو دمعي فلما جرى المدى ... جعلت عيون الشعر حسن ثوابي
كفى بذرى الاعواد منبر واعظ ... وبالمستقلبها لسان صواب
دعوتك يا يعقوب من منزل البلا ... ولولا المنايا ما تركت جوابي
اذكرك الدنيا وكيف ولم يزل ... لها اثرا شهدٍ بفيك وصاب
حملنا اليك الغار بالامس ناضراً ... وسقنا كتاب الحمد تلو كتاب

وما انفكت الدنيا وان قل لبثها لسان ثواب او لسان عقابِ
الا في سبيل العلم خمسون حجة مضت بين تعليم وبين طِلاب
قطعت طوالى ليلها ونهارها بآمال نفس في الكمال رغاب
رأى الله ان تلقي اليك صحيفة فنزهتها عن هوشة وكذاب
ولم تتخذها آلة الحقد والهوى ولا منتدى لغو وسوق سِباب
مشينا بنوريْ علمها وبيانها فلم نسرِ الاَّ في شعاع شهاب
وعشنا بها جيلين قمت عليهما معلم نشء او امام شباب
رسائل من عفو الكلام كأنها حواشي عيون في الطروس عذاب
هي المحض لا يشقى بهِ ابن عيمة غذاء ولا يشقي بهِ ابن خضاب
سهول من الفصحى وقفت بها الهوى على ما لديها من ربى وهضاب
وما ضعت بين الشرق والغرب مِشية كما قيل في الامثال حجل غراب
فلم أرَ انقى منك سمعة ناقل إذا وسم النقل الرجال بعاب
وكم اخذ القولَ السريَّ مُعرِّب فما رده لاسمٍ ولا لنصاب
وفدت على الفصحى بخيرات غيرها فوالله ما ضاقت مناكب باب
وقدماً دنت يونانُ منها وفارس وروما تخلّوا في فسيح رحاب
تبتلت للعلم الشريف كأنهُ حقيقة توحيد وانت صحابي
وجشمت ميدان السياسة فارساً وكل جواد في السياسة كابي
وكنا وعمر في شِغاب فلم يزل بنا الدهر حتى فضَّ كل شغاب
رأى الثورة الكبرى فسلّ يراعهُ لتحطيم اغلال وفك رقاب
وما الشرق الاَّ اسرة او عشيرة تلمُّ بنيها عند كل مصاب

***

سلام على شيخ الشيوخ ورحمة تحدر من اعطاف كل سحاب
وزفاف ريحان يروح ويغتدي على طيبات في الخلال رطاب
وذكرى وان لم ننس عهدك ساعة وشوق وان لم نفتكر باياب
ويح السوافي هل عرضن على البلى جبينك ام ستّرنهُ بحجاب
وهل صنَّ ماءً كان فيهِ كأنهُ حياء بتول في الصلاة كعاب

ويا لحياة لم تدع غير سائل أكانت حياة ام خلية داب
واين يدٌ كانت وكان بنانها يراعة وَشيٍ او يراعة غاب
ولهفي على الاخلاق في ركن هيكل ببطن الثرى رث المعالم خابي

***

نعيش ونمضي في عذاب كلذة من العيش او في لذة كعذاب
ذهبنا من الاحلام في كل مذهب فلما انتهينا فسرت بذهاب
وكل اخي عيش وان طال عيشهُ تراب لعمر الموت وابن تراب

كلمة الآنسة « مي »

هناك على ساحل البحر البعيد ، حيال جبال لبنان الشماء ، تقوم ابنية الجامعة الامريكية ببيروت . وبين تلك الابنية وامامها تمتد الساحات الفسيحة تتخللها طاقات خضراء من اشجار الصنوبر ، ولا تفتأ الامواج المتعاقبة تلثم حوافيها ليل نهار

هناك كان الطالب يعقوب صروف يتنزه في ساعات الفراغ مع صديقهِ الطالب فارس نمر فيتذاكران في الدروس ، ويتبادلان الآراء مسرحين الطرف في ذلك المرج الازرق المتحرك. فهل يا ترى كانت تنطلق اشباح احلامهما الى الامام فيشرفان على وقائع المستقبل ؟ اكان الصديقان يعلمان انهما بعلمهما وجهودهما سيصبحان قطبين عظيمين بين اقطاب رجال المشرق ؟ أكانا يدريان — ومصر يومئذٍ كسوريا ولبنان ، قطعة من الدولة العثمانية — انهما سيجوزان البحر الى الجانب الآخر من الوطن الكبير ، فيشيدان اثراً علميًّا لهُ من الشأن ما تجلى في هذه الاعوام الخمسين ؟ أكانا يشعران بانهما سيشهدان ساعة التمجيد والتعظيم في يوبيل المقتطف ، وان تلك الساعة ستتكرر ولكن في اسى واكتئاب ، بعد رحيل الدكتور صروف ؟

في مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ عامين الاَّ شهراً واحداً ، اجتمعنا هنا للاحتفاء بعيد المقتطف الخمسيني، وكانت هذه الدار داوية باسم صروف. في وسط هذا المسرح، كان ينتصب تمثال فاخر جادت بهِ اريحية المهاجرين الى الديار الامريكية من السوريين واللبنانيين. وحيال التمثال الصامت الجامد كان من مصر شخص حيٌّ نابض تكوَّن من ممثل صاحب العرش ، ومن جميع الهيئات الرسمية والاحزاب السياسية ، والنزعات الفكرية . تبعت تركيا المقدور من تاريخ تطورها فصارت لهذه الاقطار صديقة بعد ان

كانت سيدة . فاذا بك يا مصر ، تتحركين تحرك الاسود ، وتتبوئين المكانة المعدة لك بين اقطار الشرق الادنى ، وتتولين الزعامة في رفع شأن العلم وتقدير الفضل كما انت زعيمة في الصيحة العالية للحرية والاستقلال وكما انت زعيمة في الدعوة الشريفة الى الوحدة الوطنية والقومية !

وعند ما نهض الدكتور صروف يلقي كلمة الشكر — سامحوني ، ايها الخطباء والشعراء ! — كان اجمل من كل خطبة وكل قصيدة وكل نشيد ، موقف ذلك الشيخ الجليل الوديع الممتلئُ شباباً على طول عهدهِ بالحياة ، الممتلئُ يقظة على طول عهدهِ بالجهاد ، الممتلئُ نشاطاً علميًّا وعمليًّا على ما اوهى العمل من خيوط قلبهِ ، وافنى العلم من ذرات دماغهِ

تكلم متأثراً ، فادركنا في لحظة كم هو قاسي فيوحدتهِ الفكرية ، وكم كان ثباتهُ عظيماً في انزوائهِ العلمي . فكان حقًّا ان تحين ساعة الانصاف . كان حقًّا لذلك العامل العظيم في ميدان الثقافة الشرقية ان يسمع قبل الرحيل صوت مصر والشرق متألفاً من جميع الاصوات ، منسوجاً من جميع الافكار ، متوحداً من جميع القلوب !

***

ولكني لا اخشى المصارحة بان ذلك الاحتفال على جلاله ، كان ناقصاً من احدى نواحيه . لقد كان وجود المرأة فيهِ محسوساً ، ولكن واحدة منا لم تقف على هذا المنبر . مع ان الدكتور صروف الذي كان مجدداً في اسلوب الانشاء ، وطريقة التفكير ، وصيغة التعبير ، وتقديم الغذاء العلمي من مكنونات الشرق ومبتكرات الغرب جميعاً ، كان مجدداً في احترام المرأة والدعوة الى تعليمها وتثقيفها ، في نشر مآثرها وارشادها الى واجباتها ، في العطف على يقظتها وفي حث الاقلام النسائية على الكتابة والافصاح

والادلة على ذلك عديدة في المقتطف منذ نشأته . فمن باب تدبير المنزل الى باب شؤون المرأة وتدبير المنزل ، الى باب شهيرات النساء المتفوقات في علم او فن او عمل ، سواء من نساء الماضي والحاضر في مختلف الامم . وقد قامت بتحرير هذا الباب حيناً ما السيدة ياقوت صروف ، قرينة الفقيد الكبير كما كتبت في المقتطف المرحومة السيدة مريم نمر مكاريوس والمرحومة السيدة رحمة صروف . وترجم الدكتور صروف فيما ترجم ، رواية وضعتها بالانجليزية السيدة ليلى هانم كريمة المرحوم خليل باشا شريف ، احد وزراء الدولة العثمانية سابقاً واخي المرحوم علي باشا شريف رئيس مجلس شورى القوانين السابق . وعني

بطائفة من اهم الكتب العربية والافرنجية لمعالجة الموضوعات النسائية، وايّد قاسم امين في كتابيهِ عن تحرير المرأة كما عاد الى ذلك الموضوع الرئيسي من دعوة قاسم بعد وفاة زعيم اليقظة النسوية في وادي النيل

كذلك يبدو اكرام الدكتور صروف للمرأة في رواياتهِ التأليفية الثلاث : « فتاة مصر » و« غادة الفيوم » و« اميرة لبنان » ، حيث جعل لكل من البطلات شخصية كبيرة جذابة جمعت بين جمال الانوثة ، ورقة العواطف وعلو الادراك ، وسعة المعارف ، وثقافة المواهب مع الصيانة الاخلاقية . وكل ذلك دليل على ان في خياله مثلاً أعلى للمرأة اراد ان يثبتهُ في عالم المحسوس . وقد اثبتهُ في الواقع بعنايتهِ بكريماتهِ الثلاث وتثقيفهن وتعليمهن على خير مثال فجاءت كل منهن نوراً في محيطها . وتيسر لهُ ذلك بميلهِ الفطري وبمساعدة المرأة الفاضلة التي منّ الله عليهِ بها شريكة لحياتهِ . فاني اذكر انا عند ما كنا في مجالسنا نتحدث عن الحجارة الكريمة ، كان الدكتور صروف يبتسم قائلاً : « اما انا فيعجبني الياقوت ، وعندي منهُ شيء كثير ! »

***

وكيف انسى تشجيعهُ لي والحاحهُ الشديد عليّ بالكتابة ، وافساحهُ صدر المقتطف لكل ما نشرتهُ فيهِ عن الكاتبات بالعربية وعن اليقظة النسائية ؟ فهو الذي بعد ان نقل تأبيني لباحثة البادية يوم وفاتها ، اقترح عليَّ ان الخص للمقتطف آراءها ودعوتها الاصلاحية . واذ هممت بالكتابة وجدت ان فصلاً واحداً يضيق دون المراد ، فكان الفصل سلسلة فصول هي الاولى في اللغة العربية كُتبت على طريقة البحث الحديث عن كاتبة عربية بقلم كاتبة عربية . ولما رأيت الباب مفتوحاً تابعت الكتابة عن الشاعرة المصرية عائشة عصمت تيمور وعصرها ووسطها ، وعن الاديبة اللبنانية وردة اليازجي وشعرها ونثرها . ثلاثة كتب ، على عيوبها ، اظنها الوحيدة من نوعها في تاريخ الآداب العربية . والفضل فيها للدكتور صروف الذي رفع موضوع المرأة الى جانب الموضوعات العلمية والفلسفية واللغوية والتاريخية في مجلتهِ الخطيرة وبذلك انالني أنا شخصيًّا ، وانال المرأة الشرقية عموماً ، عذوبة عطفهِ وشرف عنايتهِ . وعوّد العلماء والعظماء وجمهور القراء قبول الموضوعات النسائية كأهم ما هو حري بالبحث والالتفات

فاذا ما احصيت مآثر هذا العالم الحكيم لم تكن هذه المأثرة اقلها . ويوم يذكر التاريخ المحقق المنصف اسماء منشطي اليقظة النسائية والعاملين لها ، تحتم ان يكون للدكتور

صروف بينها مكان ، وكان بخدمتهِ هذه كما بخدماتهِ الاخرى ، في طليعة الخالدين

***

ذكرت الخلود ، ايها السادة والسيدات . وهي كلمة طالما تداولناها في الاعوام الاخيرة ، فما هو تعريف الخلود ، ومن هو الخالد

اما خلود النفس بعد الموت فمنبثق من العقيدة الدينية وهو سر سحيق في كل ضمير حي وحاجة صميمة لا تقوم مقامها حاجة . وقد كان هذا الموضوع شغل الدكتور صروف الشاغل طول حياتهِ . ولكن الخلود بمعناهُ المدني او العلماني — ان صحَّ هذا الوصف — اي خلود الشخصية في هذا العالم بين بني الانسان — ترى ماذا نعني بهِ عند ما نشير اليهِ

اهو بقاء الاسم الخالد متكرراً على الالسنة تتجاوب بهِ الاصداء على توالي الاحقاب ؟ أمعناهُ ان مبادئ الشخص الخالد وتعاليمهُ تظل شائعة بين ابناء الاجيال الآتية تزكي منهم الهمم ، وتنيلهم المعلومات والفوائد ، وتوحي اليهم حب النشاط والعمل؟ ام معناهُ ان بين ملايين الاسماء المنسية في هاوية الزمان ، هناك اسماء تظل خافقة كالرايات ، مضيئة كالمنائر ، هادية كالاعلام في الصحراء ، مشجعة كاصوات الحب والحياة

قد يكون للخلود في هذا العالم بعض تلك المعاني او كلها . ولكن لديَّ عن الخلود فكرة اخرى استميحكم في الافضاء بها اليكم

الخالد في تقديري هو الذي خطا بجماعتهِ خطوة حاسمة في الميدان الذي تفوق فيهِ . الخالد هو الذي جعل وسطهُ ، بفضل جهوده ، خيراً مما كان قبل ولادتهِ . الخالد هو الذي ثقَّف وأنمى جانباً من الشخصية العامة ، فكان لهُ في تكوينها اثر لا تمحوه الاعوام والدهور

وتلك الخطوة العلمية والثقافية التي خطاها الشرق في نصف قرن على يد المقتطف ، هي التي نسجلها للدكتور صروف في توديعهِ كما سجلناها من قبل في تحيتهِ . انهُ خالد بها لانهُ عمل في تكوين الشخصية العامة واهَّلها للتقدم في مراحل التاريخ والعمران

فلا تطرقي حزناً واسى ، يا زوجة صروف انت التي قاسمتهُ ساعات الحياة في الوانها البهيجة والقاتمة وطعومها المريرة والسائغة . بل تعالى نسر بالخيال لزيارة ذلك الضريح البعيد في ظل الغصون . وبينا تتعاون ايدي الرجال القوية النبيلة على ضفر اكليل التكريم والتقدير للفقيد الكبير ، فلنتقدم لهُ نحن ، بالنيابة عن المرأة الشرقية ، زهرة الشكران مبللة بدموع القلب ولنودعهُ بهذه الكلمة الشهيرة لفيكتور هوجو :

« ايتها الشمس المتغيبة وراء الافق ، ان اشعتك باقية الانوار ! »

كلمة نقابة الصحافة القاها الدكتور هيكل بك

رئيس تحرير السياسة

ايها السادة : في هذا المكان نفسه ومن ستة أسابيع مضت كنا نؤبن صحفيًّا من اعلام الصحافة اغتالهُ الموت وهو في ميدان الشرف يناضل نضالاً سياسيًّا عنيفاً . كنا نؤبن صديقنا وزميلنا المغفورلهُ امين بك الرافعي الذي سقط شهيداً في جهاده السياسي وما يزال في عنفوان القوة وفي صدر العمر . وها نحن اليوم نؤبن علماً آخر هو المرحوم المغفور لهُ الدكتور يعقوب صروف فنذكر اذ نؤبنهُ شيخاً من شيوخ الصحافة قضى حياته في خدمة العلم من طريقها لم يعرف الكلال ولا السأم الى نفسه سبيلاً . شيخاً كان في مثابرتهِ وصبرهِ على بث الفكرة العلمية التي تحتاج الى الوقت الطويل ما كانهُ امين الرافعي في اندفاعه القوي لتحريك الجماهير

وليس منا من يذكر يعقوب صروف ومثابرته وصبره الطويل ولا يذكر أنا في هذا المكان نفسه ومن سنتين مضتا كنا نحتفل بيوبيل المقتطف الذهبي لانقضاء خمسين سنة على جهاد الدكتور صروف العلمي والاجتماعي من طريق الصحافة ويذكر حين ذكر هذا اليوبيل كيف اشترك قراء العربية جميعاً في انحاء العالم المختلفة فيهِ اشتراكاً قلبيًّا دلَّ على صدق تقدير قراء العربية جميعاً لهذا المجهود المجيد الجليل

والواقع ان حياة المغفور لهُ الدكتور صروف تتلخص في مجلة المقتطف. فلقد عاش هذا الرجل صحفيًّا بمعنى خاص غير المعنى الذي يتبادر الى الاذهان من كلمة الصحفي. عاش صحفيًّا متخصصاً لناحية معينة هي نشر العلم وتوطئته على لسان الصحافة . ولذلك يعجب كثيرون اذ يقال لهم ان الدكتور صروف لم يكن لهُ اشتراك فعلي في تحرير جريدة المقطم التي يظهر اسمه عليها. وانهُ لم يعنَ يوماً من الايام عناية الصحفيين الذين يحررون الصحف اليومية بالشؤون السياسية ويعجب كثيرون كذلك اذ يقال لهم ان كل سطر من سطور مجلة المقتطف كان لا ينشر قبل ان يقف الدكتور صروف على كل شؤون نشره فهو الذي يضعهُ في المكان الذي يختاره من المجلة. وهو الذي يصححهُ التصحيح الاخير فاذا ظهر المقتطف كان اذن صورة نفسية للدكتور صروف اثناء الشهر الذي سبق ظهوره وكان مطبوعاً بطابع الدكتور صروف العلمي الدقيق

لم يكن الدكتور صروف اذن صحفيًّا سياسيًّا ، ولم يكن يعنى في حياته الصحفية

بشيء عنايته بالشئون العلمية ، فهو اذن كان صحفيًّا اختصاصيًّا ، ان صح اطلاق هذا التعبير على الصحفيين كما يطلق على الاطباء أو على المهندسين وقد تخصص لهذا حتى ملك عليه العلم منذ اول تخرجه من الكلية الاميركية ببيروت كلّ نفسه فرأى فيه القوة المحركة لحياة الافراد ولحياة الجماعات . ولما كان الشرق اول نشأة هذا الرجل بعيداً عن تمثل الروح الغربية تمثيلاً يكوّن لنفس طبقات المتعلمين فيه فقد أخذ صروف نفسه بان يجعل الصحافة اداة نشر هذا العلم الذي احبهُ حبًّا جمًّا .والصحافة أداة قوية في تعميم العلم وتوطئته قوتها في نشر كل ما يختص بحياة الجماعة من اسباب التفكير والشعور

وفي سبيل نشر العلم من طريق الصحافة قضى الدكتور صروف حياته بين جدران مكتبته يطالع وينقب ويتابع تطور العلم وما يجد فيه من الآراء والمكتشفات ليجليها على الناس في المقتطف وهو في هذا كان مخلصاً للعلم والصحافة وهما محبوبان مستبدان يستنفدان من المخلص لهما كل هباته وصحته وقوته وهو بذلك راض كل الرضا مغتبطاً أشد الاغتباط . وان الذين رأوا الدكتور صروف في مكتبته آخر حياته وقد جلل الشيب رأسه وعجزت ضجة العالم الخارجي عن ان تصل الى مسمعه ، والذين شهدوهُ وهو يقلب في صحف كتبه بشغف وشوق يزيدان اضعافاً مضاعفة على تقليب الكثيرين اجمل الصور واعطر الرياض والذين لاحظوا انكبابه يكتب للمقتطف ثم انكبابه على تجارب صحف المقتطف قبل طبعها يعيد عليها آخر نظراته لتصحيحها هؤلاء جميعاً يقدرون مبلغ ما ملك العلم وما ملكت الصحافة على ذلك الرجل حياته ، ويقدرون مبلغ ما تحكم العلم وما تحكمت الصحافة في وجوده تحكماً استبداديًّا محبوباً ، ويقدرون مبلغ اخلاصه للعلم والصحافة اخلاصاً لم تشبه قط شائبة

ومحبة العامل عمله واخلاصه له هما أيها السادة قوام نجاح العامل ونجاح العمل جميعاً فاذا مدت المقادير للعامل في حياته فزادهُ ذلك محبة لعمله واخلاصاً له ثم كان عملهُ متصلاً بالعلم ونشره فذلك سر القدرة وسر تقدير الناس بل تقدير التاريخ للرجل وعمله. ولقد قضى المغفور لهُ الدكتور صروف اكثر من خمس وخمسين سنة في جده الصحفي لنشر العلم فاعترف العالم لهُ في حياته بفضل هذا الجهاد العلمي اجمل اعتراف وهو لاشك سيعترف لهُ بعد وفاته بهذا الفضل اخلص اعتراف واصدقه . وان اسرة الصحافة التي شرفتني نقابتها بالقاء هذه الكلمة بالنيابة عنها لتشعر لفقد المغفور لهُ الدكتور صروف باكبر الاسى وترجو الله لهُ الرضوان بمقدار اخلاصه الجم المتواضع للعلم والصحافة

مرثية حافظ بك ابراهيم

أبكي وعين الشرق تبكي معي على الاريب الكاتب الالمعي
جرى عصي الدمع من أجلهِ فزاد في الجود على الطيّع
نقْص من الشرق ومن زهوهِ فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر في رجالاتها حظ ولا للشام في أروع
مصاب صرُّوف مصاب النهى فليبكه كل فؤاد يعي
كُرّم بالأمس وأكفانهُ تنسجها الأقدار للمصرع
يا صائغ الدرِّ لتكريمهِ صغهُ لمنعاهُ من الأدمع
قد زين العلم باخلاقهِ فعاش ملءَ العين والمسمع
تواضع والكبر دأب الفتى خلا من الفضل فلم ينفع
تواضع العلم لهُ روعة ينهار منها صلف المدعي
وحلّة الفضل لها شارة أزهى من السيفين والمدفع
يشبع من حصل من علمه وهو من التحصيل لم يشبع
مبكراً تحسبهُ طالباً يسابق الفجر إلى المطلع
قد غالت الأسقام أضلاعهُ والرأس في شغل عن الأضلع
مات وفي أعمالهِ صارم لم ينب في الضرب عن المقطع
صاحبهُ خمسين عاماً فلم يخن لهُ عهداً ولم يخدع
موفق أنّى جرى ملهمٌ ما ضلّ في الورد عن المشرع
لم يبرهِ بارٍ سوى ربهِ ولم يحزهُ جاهل او دعي
في النقل والتصنيف اربى على مدى ابن بحر ومدى الاصمعي
أي سبيل للهدى لم يرد وأي باب منهُ لم يقرع
يقتطف الزهر ويختارهُ كالنحل لا يعفو عن الاينع
فتحسب القراء في جنة عقولهم في روضها ترتعي
صروف لا تبعد فلست الذي يطويهِ طاوي ذلك المضجع
اسكتك الموت ولكنهُ لم يسكت الآثار في المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة في معهد العلم وفي المصنع

شكر اسرة الفقيد

بلسان صاحب السعادة السر سعيد باشا شقير

« ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصره وماشرف خدمة هذا البلد واثمرها »

هذه هي الكلمات التي فاه بها لي المرحوم الدكتور صروف في آخر يوم من شهر ابريل منذ نحو سنتين ونحن خارجون معاً من هذه الدار عقيب الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي ثم زاد على ذلك قائلاً :

« ترى أنستحق يا سعيد هذا الاكرام وهل لنا حقيقة في مصر والشرق مثل هذا المقام — وهل ما فعلناه يستوجب حفلة باهرة كالتي شهدناها يضعها جلالة الملك فؤاد تحت رعايته ويرأسها وزير من وزرائه ويشترك فيها الامراء وسائر الوزراء وعظماء البلاد ونوابها وادباؤها على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ويبعث اليها سعد على رغم اعتلال صحته بكلمة يقول فيها ما قاله في المقتطف ومنزلته في مصر واثره في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان »

ثم صمت هنيهة ونحن سائرون معاً وعاد فاستأنف الكلام مجيباً بنفسه عما كان شاكاً فيه فقال :

« كلاّ — بل هذا الشعب كريم وقادته وكباره واصحاب الكلمة فيه اكرم فهم في خدمة العلم والعمل على نشره في البلاد يعطون ديناراً بدرهم وأخاف ان اكون قد قصّرت في اداء واجب الشكر لهم في الحفلة. ولا يُخرس اللسان مثل الشعور العميق بالجميل

« ولكن يجب ان نحسن العمل اكثر وان نستمرّ على وقف اقلامنا ومواهبنا وارواحنا في سبيل خدمتهم ولا ندّخر وسعاً في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان كما قال سعد لنبقى موضع ثقتهم ولكي لا يعتقد احدهم انهُ اخطأ في ظنه بنا فنسقط من المرتبة التي وضعونا فيها واذا لم يمدّ الله في اجلنا فتقومون انتم يا ابنائنا واخواننا بهذا الواجب»

هذا ما صحت عليهِ عزيمتهُ بعد تلك الحفلة وذلك الاكرام وهو ان يداوم الجهاد على رغم الخامسة والسبعين من عمره في خدمة الادب ونشر العلم في هذا القطر بواسطة المقتطف وسواهُ من المؤلفات مما كان قد اخذ لهُ العدّة وجمع الأهبة . ولكنهُ كان يخشى ان لا يمدّ الله في عمره الى ان يحقق امانيهِ ويوفي مصر وابناءها دين الجميل الذي اسدوهُ اليهِ فاوصانا نحن بايفائهِ ووضعهُ في اعناقنا

ولم تكن مخاوفهُ في غير موضعها فلم يأتِ العام الثاني على تلك الاقوال حتى كان ما خاف ان يكون ومضى في سبيل من مضى قبلهُ

وقفت هذا الموقف وفي هذه الدار منذ نحو سنتين نائباً عن متخرجي جامعة بيروت الاميركية اشارك الجمع بتكريم الراحل العزيز وتهنئتهِ بعيد المقتطف الذهبي وانا متهلل الوجه باسم الثغر مغتبط اني ابن الجامعة التي تخرج فيها هو كأن الاكرام الذي نالهُ يلحقني شيء منهُ بسبب صلة الادب والنسب بيننا

واليوم اقف في الدار عينها ضيق الصدر منقبض الوجه نائباً عن اسرتهِ وذوي قرباهُ الذين انا واحد منهم لا للاحتفال بعيد آخر لهُ بل للبكاء عليهِ وسماع اقوال الخطباء والادباء في تأبينهِ ولتقديم واجب الشكر لكم لمؤاساتكم لنا في احزانا والعطف علينا في مصابنا وشتان بين الوقفتين

وكأني بروحهِ تناجيني في موقفي هذا من عالم الغيب وكأني به يخاطبني قائلاً :

«الم اقل لكم ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصرهُ — رفعوا منزلتي حيًّا الى مستوى لا استحقهُ. وهذه حفلة اخرى لا تقلّ عن تلك عقدوها وانا جثة هامدة في الضريح وأخذوا يبالغون فيها بالحقير من اعمالي ويعددون لي من المناقب والصفات ما كل اديب منهم اولى بهِ مني

«يفعلون ذلك كرماً وفضلاً منهم جبراً لنفوسكم الكسيرة وتعزية لقلوبكم الجريحة وتجفيفاً لاجفان قرينتي المقروحة واجفانكم فكيف تكافئونهم على هذا الصنيع؟ »

ايها الحم العزيز والراحل الكريم ان القوم لا ينتظرون مكافأة على صنيعهم هذا فهم اكرم اخلاقاً واطيب عنصراً حتى مما ظننت وان كان ظنك في كرم اخلاقهم وطيب عنصرهم اقصى ما ينتهي اليهِ تصور الفكر البشري في كرم الخلق وطيب العنصر. ومكافأتهم كمكافأة كل كبير النفس كريمها — سرورهم بما شرحوا بهِ صدرك حيًّا وخففوا بهِ من آلام ذويك حزناً عليك من بعدك

ولكننا على كل حال سنعمل كما تريد في خدمة هذا البلد العزيز الذي جعلناهُ وطننا كما جعلتهُ وطنك وسيضمُّ تربهُ رفاتنا كما ضمّ رفاتك

وها هوذا اخوك الروحي وشريكك الذي وضعت يدك بيدهِ منذ عهد الصبا قد استمرَّ في الجهاد على رغم سنهِ واعتلال صحتهِ وهو ومن معهُ ممن درَّبتهم على العمل ساهرون على اداء الواجب لا يخونون لك عهداً ولا يخلفون ظنًّا

وها هو ذا ابن شقيقك وقد اريتهُ معالم الطريق حيًّا قد أخذ المقتطف على عاتقهِ مثالاً يحتذيهِ وجعل خطاك في الحياة والعمل أثراً يقتفيهِ

ونحن الباقين من ذويك وذوي قرباك وان لم نكن ارباب قلم فسنشحذ الهمة ونقوم بنصيبنا من العمل في الميادين التي انصرفت اليها مواهبنا وكلنا سنكون يداً واحدة في تحقيق آمالك وتنفيذ رغباتك فنم هادئاً مطمئناً في ضريحك فقد أديت الواجب ولن تسقط من المرتبة التي وضعت فيها واذا قصرنا فنحن الملومون لا انت

ايها السادة

منذ مضى الردى بالمرحوم الدكتور صروف واليأس مخيم على قلوب اسرتهِ وذوي قرباهُ تتصدع صدورهم حزناً ويذوبون ألماً ووجداً كلما ذكروهُ او ذكروا شيئاً من آثارهِ وما اكثر آثارهُ الحسنة . فهم كل يوم في حزن جديد ولدى كل ذكرى لهم انة ونحيب

ولا عزاء لهم مثل عطفكم عليهم وشعوركم معهم في مصابهم وستكون حفلة التأبين هذه بلسماً لجراحهم الدامية وبرداً وسلاماً على قلوبهم الملتهبة

فانا بلسان ارملة الفقيد العزيز ولسان اولادهِ وذوي قرباهُ ولساني اقدم واجب الشكر الى صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا والى صاحب المعالي علي باشا الشمسي وزير المعارف لتكرمهما برئاسة هذه الحفلة واقدم الشكر الخالص ايضاً الى اعضاء لجنة التأبين ونقابة الصحافة لاهتمامهم بعقدها وتنظيمها والى الخطباء والشعراء والادباء الذين ابنوا الفقيد وذكروا من اخلاقهِ وخلالهِ ماكان لهُ اجمل وقع في نفوسنا واشكر كذلك صاحب الدولة رئيس الوزراء واصحاب المعالي الوزراء وحضرات العلماء ورجال الدين والشيوخ والنواب والموظفين وغيرهم من كرام القوم الذين حضروا هذه الحفلة او بعثوا لنا برسالة عطف اوكلمة تعزية ولم يتمكنوا من الحضور

وحبذا لوكان في وسع اللغة او مقدرة اللسان التعبير الصحيح عن الشعور العميق بالجميل لاصف ايها السادة ما تكنهُ جوانحنا لكم من الشكر والامتنان

ولكن ثقوا اننا لن ننسى لكم هذا الجميل بل يبقى منقوشاً على قلوبنا ما حيينا .وكلما رددنا ذكرهُ تهمي من عيوننا دمعتان دمعة حزن على الراحل العزيز ودمعة شكر لكم تعرب عما انزلتموهُ على قلوبنا من الطمأنينة وعلى نفوسنا من العزاء

جزاكم الله عنا خير الجزاء ولا فجعكم بعزيز

باب الزراعة والاقتصاد

الترغيب في تربية الدواجن (١)

كل مشروع اقتصادي او علمي اذا حمتهُ الحكومة او الجمعيات او الشركات القوية نما واشتد وازداد نفعهُ. وليست تربية الدواجن واستثمار منتوجاتها الأعملاً اقتصاديًّا يفيدهُ التشويق اليهِ والترغيب فيهِ لاسيما اذا كان الداعون الى ذلك ذوي مقام خطير في البلاد كالحكومة وكبار الشركات والغرف الزراعية والتجارية والجمعيات والنقابات الزراعية وغيرها . ووسائل التشويق كثيرة منها ايجاد مراكز للسفاد ، واقامة المسابقات الزراعية وتوزيع مختلف الجوائز على الرابحين ، وايجاد ديوان للطب البيطري اهم غاياتهِ منع سراية الامراض الوافدة ، وشراء فحول السفاد الممتازة او الاناث الغزيرة الدر ثم بيعها من الفلاحين باثمان بخسة ، والتضامن تجاه موت الدواجن الخ

﴿ مراكز السفاد ﴾ هي اماكن تربى فيها فحول الدواجن الصالحة للضراب . وقد تربى الاناث ايضاً . ويشترط في حيوانات هذه المراكز ان تكون سليمة حائزة على صفات العرق المرغوب فيها حتى يكون نسلها جيداً . والحكومات توجد هذه المراكز للخيل خاصةً وتنفق عليها وتوزع الجياد في اواخر الشتاء وفي الربيع على اهم المناطق والقرى فتسفد افراس القرويين لقاء اجرة زهيدة او بلا اجرة. ويسلّم موظف المركز الى كلٍ صاحب فرس اسفدها جواد من جياد مراكز السفاد وثيقة تنبئ بذلك وتكون دليلاً يعرف بهِ نسب المهر الناتج عن هذا الضراب

وعند ما كنت مديراً للزراعة دعوت الحكومة الى ايجاد مراكز للسفاد في اهم المدن الشامية تربى فيها ذكور من الخيل العراب الاصلية فأنشأت مركزين في دمشق وفي حلب لكنهم ابوا الا ان يتعهد خيلها جنود من الجيش ولما كان هؤلاء غير واقفين على دقائق صفات الخيل الاصيلة وعادات اهل البلاد في امور السفاد فقد ظلت فائدة المركزين المذكورين محدودة الى الآن

﴿ المسابقات ﴾ هي ان تعرض الدواجن في محتفل يخصص لهذا الغرض امام

(١) عن كتاب الدواجن للامير مصطفى الشهابي وهو مخطوط لم يطبع بعد

لجنة من الاختصاصيين في معرفة صفات الحيوانات الاهلية فتحكم في ايها الاجود . ويوزع القائمون بالمسابقة على اصحاب الدواجن التي يحكم لها جوائز مالية او هدايا فضية او نحاسية او خشبية جميلة او « مداليات » او فحولاً للسفاد او شهادات خطية تشهد بحكم اللجنة

واذا صعب على ارباب الفلاحة نقل حيواناتهم الى معرض التسابق فمن الممكن ان تتجول اللجنة في القرى فتفحص الدواجن في اماكنها

وتكون المسابقات اما محدودة لا تتعدى اقليماً من اقاليم البلاد او عامة يتبارى فيها الاكارون في طول البلاد وعرضها . والذين يوجدون المسابقات المحدودة هم الجماعات والغرف الزراعية او مجالس الولايات العمومية غالباً

اما المسابقات العامة فيطلها وزارة الزراعة لانهُ قلما يقوى غير الحكومة على تحمل نفقاتها الباهظة .ولاشك ان للمباريات الاقليمية شيئاً من الرجحان على المباريات العامة في العواصم.ذلك ان الاكَّار في الحالة الاولى لا يضطر الى الانفاق في نقل حيواناته الى العاصمة (حيث تكون المسابقات العامة) وفي إطعامها وتعهدها وتجهيز مكانها في المعرض الخ

وتقسم الدواجن الى قسمين في مواضع المسابقات الى انواع وعروق (رسوس) فيحلّ كل عرق على حدة . وقد تفرق الحيوانات في العرق الواحد الى اقسام كأن يفصل بين العوامل والحلوبة في البقر والذكور والاناث في الخيل العربية الاصيلة وغير ذلك

ولما كانت الغاية من المسابقات الحثّ على تجويد عروق الدواجن بحسن الانتخاب في الضراب فمن الضروري ان يكون اعضاء لجنة التفضيل واقفين كل الوقوف على تحلية عروق الحيوانات الاهلية علميًّا ويفيد جعل عدد اعضاء اللجنة قليلاً حتى لا يتنازعوا. وهم يفحصون كل حيوان في مجموعة باديء بدءٍ ثم يفحصون كل ناحية من نواحيه حسبما يرونهُ في قائمة طبعت عليها اسماء النواحي الواجب فحصها في كل عرق .ويضعون رقماً لكل ناحية او لكل ما يقاس كارتفاع الكاثبة (اعلى الظهر) وعمق الصدر الخ . ويكون الرقم التام عشرة او عشرين. ويطبعون علامة بالنار احياناً على قرون الحيوانات الرابحة او حوافرها لتميزها عن غيرها .ويمنع بعض الحكومات غير الذكور الرابحة من سفاد الاناث وتعاقب الذين يخالفون ذلك

يتضح مما اوجزت عن مراكز السفاد ومعارض المسابقات ان هاتين الوسيلتين هما من انجع الوسائل التي تحمل الفلاحين على تجويد حيواناتهم الاهلية ومن تتبع سيرهما في بعض البلاد الاوربية تجلّت لهُ فوائدهما العظيمة التي لا تقاس بقليل ما تنفقهُ الحكومات فيهما

﴿ سباق الخيل ﴾ هو اجراء الخيل في ميادين خاصة لمعرفة اسرعها واقواها واشجعها . وقلما يكون في حلبة السباق غير الخيل الاصيلة . وكان لاجدادنا العرب فيما مضى ولع بالسباق وكلف فكانوا يتراهنون على الصافنات السبّاقة ويضعون السبقة على رؤوس قصب الرماح في غاية المضمار حتى اذا مر المجلي (الاول) انتزعها فارسهُ ولذلك قالوا « حاز فلان قصب السبق ». وكان يجتمع في ميادين السباق خلق عظيم من قبائل شتى ويؤمها ملوك العرب وامراؤهم ايضاً . واكبر دليل على اهتمامهم بالجياد السباقة انهم كانوا يطلقون على كل جواد منها اسماً حتى العاشر في الحلبة . فاول الخيل المجلي ثم المصلي . . . . ثم السكيت وهو العاشر ولا يُعتدّ بما يجيء بعدهُ . واشهر سباق في الجاهلية سباق داحس والغبراء للحرب التي ثارت بسببهِ بين بني عبس وذبيان

والسباق قديم في الامم عرف منذ عرفت الخيل واستخدمت في مصالح الانسان . وهو ما برح انجع وسيلة تقاس بها قيمة الصافنات الجياد . واشتهر الانكليز والفرنسيون في القرون الاخيرة بحب السباق . واتخذوا لهذا الغرض ميادين ذاع صيتها واستفاضت شهرتها عرفنا منها في ضواحي باريز ميادين لونشان Longchamp وشانتي Chantilly واوتوي Auteuil وغيرها

وللسباق اليوم قواعد كثيرة وهو على انواع منها التسابق خبباً او عدواً او على جر العربات والثاني هو الاعم . ومنها السباق في الارض المستوية والسباق في التي تعترضها خنادق وحواجز كانهر صغيرة او قنى او اخشاب او مرتفعات من لبن تقام في وجه المتسابقات من الخيل فيقتحمها بعضها ويكبو بعض او تحجم عن اقتحامها فتسبقها رفيقاتها المقدامة السلسلة القياد . ومن قواعد السباق ان يكون وزن السائس بنسبة عمر الجواد وهذه القاعدة ذائعة . ومنها ان تحمل بعض الجياد التي عرفت بالسبق بعض الاثقال حتى لا يظل لها رجحان على غيرها . وتختلف الغاية في الشوط الواحد باختلاف الميادين وعروق الخيل ونوع السباق ومتوسطها بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ متر

وفي البلاد الاوربية جمعيات تشرف على السباق وتنفق وارداتهِ في تجويد انسال

الخيل وفي اعمال البر . وواردات السباق لا يستهان بها فرب ميدان في اوربا يبلغ ريعهُ بضعة آلاف من الجنيهات في حلبة واحدة ناهيك بالمبالغ الطائلة التي يتراهن عليها المتفرجون وهي تقسم بين الذين تسبق الجياد التي راهنوا عليها ويظلّ جزء منها لمن يتعهدون السباق . وفي بيروت ميدان لا بأس بهِ . ولقد اقيم سنة ١٩٢٤ ميلادية ميدان تتعهدهُ البلدية في « المرجة الخضراء » بدمشق فاقبل الناس عليهِ بعض الاقبال لكن الثورة السورية التي نشبت في السنة التالية اوقفت السباق فيهِ واني وانا اكتب مقالي هذا في داري بسفح قاسيون أراهُ عن بعدٍ خالياً خاوياً

ومما يرغب في اقتناء الخيل الاصيلة وتعهدها نوع من السباق لارهان فيهِ الفهُ الشاميون في دمشق والاطراف وهو ان تنقسم الخيالة قسمين يقف كل منهما مقابلاً الثاني في احد طرفي الميدان ويحمل كل خيّال بضع عصي يسمونها «جريداً » . فيبرز احد خيالة القسم الاول حتى اذا بلغ منتصف الميدان او اكثر هز العصا ورمى بها فارساً من فرسان القسم الثاني ثم ثنى عنان جوادهِ وعاد مركضاً اياهُ . وعلى الفارس الذي سددت العصا اليهِ ان يتنكبها وان يعدي جواده وراء الذي رماه فيرميهِ بدوره ثم يعود حثيثاً قبل ان يدركه احد رفقاء خصمهِ وهكذا . وليس ما ذكرت سباقاً بمعناه الحقيقي لكنهُ مبدأ تمتحن بهِ سرعة الجياد وصلابتها وصبرها على الكر والفر ولاشك ان من كان عالماً بالفروسية يعجبهُ هذا النوع من الرياضة لاسيما اذا كان لهُ ساعد قوي على اطلاق العصي لكنهُ في هذه الحالة اذا اصابت العصا خصمهُ في رأسهِ شجتهوولهذا يجعلون شروطاً لنوع العصي وثخنها والمسافة التي لا يجوز في اقصر منها ان يرمي الفارس خصمهُ

﴿ ديوان الطب البيطري ﴾ بعض امراض الدواجن المعدية لا يقوى الفرد على منع سرايتها واستيلائها على الحيوانات الاهلية فما يرغب في اقتناء هذه الحيوانات ان يرى الفلاح في البلاد حكومة ساهرة على منع تفشي تلك الامراض وعلى قطع دابرها بواسطة رجال ديوان من دواوينها يسمى ديوان الطب البيطري

وامراض الدواجن على قسمين معدية وغير معدية والاولى هي الاهم . واعظمها خطراً الوباء والحمى القلاعية والحمى الجمروية والجمرة العرضية (ابو ذراع) في البقر ، والرعام (خنان) والصرّ (سراجة) والجرب ومرض الجماع (الوسخ) في الخيل ، والجدري والحمى القلاعية وذات الرئة المعدية ومرض الاظلاف في الضأن والمعز ،

والخناق الساق الساري في الجاموس ومرض السُرّة في الإِبل

اما الامراض غير المعدية فاقل خطراً وهي كثيرة كمرض بلع الهواء وكفلج الحنجرة في الخيل

وتتخذ دواوين الطب البيطري وسائل كثيرة لمنع سراية الامراض المعدية عند ظهورها مثل منع نقل الدواجن من بلد الى بلد لاسيما من المناطق المصابة الى المناطق السليمة ومثل منع البيع في اسواق الحيوانات الاهلية وعزل الحيوانات المريضة وقتلها والتعويض على اصحابها وصنع المصل في معامل خاصة لتلقيح الحيوانات السليمة اتقاء لسراية المرض اليها وغير ذلك

﴿ بيع الحيوانات المنتخبة ﴾ من اهم وسائل الترغيب في اقتناء الدواجن وتجويد انسالها ان تعمد الحكومة الى شراء فحول منتخبة جيدة التحلية اي فيها كل صفات الرس المرغوب فيها فتهديها الى اناس من ارباب الزراعة اشتهروا بحسن تربية الخيل والانعام او تبيعها منهم بثمن بخس بشريطة ان يستعملوها في سفاد عدد معين من الإِناث في كل سنة لقاء اجرة زهيدة. واذا ما انفقت الحكومة في هذا الغرض فجعلت فحلاً او اكثر من هذه الفحول في كل منطقة زراعية مهمة وراقبت القائمين عليها وحثت الفلاحين على تقديم إناث دوابهم لها فان هذه الفحول تكون خير اداة لتجويد النسل وتنقيتهِ. وتتحرى الحكومة اهم الفحول احياناً فتدفع الى اصحابها نصف اجرة السفاد طول السنة على ألاَّ يطالبوا اصحاب الاناث الاَّ بالنصف الثاني . وامام الحكومات والجمعيات والغرف والنقابات الزراعية وسائل اخرى لترغيب الفلاحين في اقتناء الدواب الاهلية وتعهدها واتباع انجع الطرق في تجويد انسالها بالانتخاب الصناعي لكن كل الوسائل تحتاج الى المال واقدر الجميع على الإِنفاق في هذا السبيل هي الحكومة فعليها ألاَّ تضن على وزارة الزراعة بما يعوزها من الدراهم في ميزانيتها لاسيما ومن اهم وظائف هذه الوزارة الدعاية وهذه لا تفلح مالم تعزز بالمال

﴿ التضامن تجاه موت الدواجن ﴾ هو اتفاق بين ارباب الزراعة على تعويض من تموت لهُ دابة لاسباب طارئة . وهم يدفعون لهُ ثمن الدابة كلهُ او قسماً منهُ حسب الاتفاق . ويكون التضامن إما على شكل إسعاف الفلاح المنكوب على أثر موت دابتهِ بأن يدفع لهُ كل واحد من فلاحي القرية ما تجود بهِ نفسهُ او يكون على شكل شركة يتكافل اعضاؤها فيدفع كل منهم لهذه الغاية مبلغاً سنويًّا متناسباً مع ثمن ما لديهِ من

الدواجن . ويعوّض المنكوب مما يجتمع من هذه الاموال . ولا يطلب من المشترك في الغالب اكثر من واحد في المائة من ثمن دوابهِ سنويًّا . واذا كثرت هذه الشركات في القرى افاد اتحادها في شركة عليا تجمع شملها وتخفف وطأة الطوارىء التي قد تنتاب قرية دون اخرى . وتشجع الحكومات هذه الشركات كما تشجع شركات التعاون التي غايتها بيع محاصيل الفلاحين وشراء ما يحتاجون اليهِ من آلات واسمدة وحيوانات وغيرها . وتكاتف ارباب الزراعة على الطريقة المذكورة هو انفع لهم من معاملة شركات الضمان التجارية ذلك ان نفقاتهم في تكاتفهم تكون قليلة عدا انهم يكونون ادرى من غيرهم باسباب موت دوابهم وبما يجب ان يُعوّضهُ من فقد دوابهُ . ويضمن الفلاحون في اوربا بعضهم بعضاً تجاه موت الحيوانات الاهلية وتجاه حريق المحاصيل والبرد والصقيع وغيرها وكل ذلك يخفف وطأة ما ينتابهم من الطوارئ ويرغبهم في اعمال الفلاحة ومنها تربية الدواجن

مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

حشرة البرتقال القشرية وابادتها

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المقتطف الاغر

بعد التحية اطلعنا في مجلة المقتطف عدد ابريل سنة ١٩٢٨ على مقالة «اعظم الحروب العلمية» وفي الصفحة رقم ٣٧٨ منهُ تجدون مثبوتاً بها أن قسم الحشرات الاميركي جلب حشرة من استراليا اسمها «ڤاداليا» وأطلقها على شجر البرتقال المصاب بالحشرة القشرية (Icerya) فالتهمت تلك الحشرةُ الحشرةَ القشرية وقضت عليها . هذا هو مختصر الخبر الذي استلفت نظري والذي دعاني الى كتابة هذا هو التأكد من صحة هذا الخبر وعلى اعتبار انهُ صحيح لا مبالغة فيهِ فلماذا لا ترسل وزارة الزراعة في طلب بعض من هذه الحشرة بواسطة مفوضية مصر في اميركا واكثارها هنا وتسليطها على الحشرة القشرية التي تكبد مصر خسارة عظيمة كل سنة حتى صار يخشى على حدائق الفواكه من التلف والبوار أرجو ان تتكرموا بأفادتي وتفضلوا

ابو حمص عبد العزيز مخيون

[المقتطف] راجعنا الاصل فوجدنا الترجمة تنطبق عليهِ وليس فيما نقلناهُ مبالغة فعسى ان تعنى وزارة الزراعة باقتراحكم اذا رأى رجالها فائدة تجنى منهُ هنا . وهذا هو الغرض الاعظم من نشر هذه المقالة وامثالها

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحار على المطولة

حاجتنا الى الصحف العلمية

حضرة رئيس تحرير المقتطف الاغرّ المحترم

من احسن ما يذكر من مآثر عميد المقتطف وفقيد علماء الشرق انكم ورثتم عنهُ العدل والنصفة في معاملة الكتاب والمراسلين ، وضمنتم لهم حرية القول واباحة النشر في المباحثات تأييداً لما تبتغون من الحقائق واني لاشكر لكم رغبتكم اليّ في كتابة هذه السطور فاقول :

علّقتم على مقالي المنشور في العدد السابق من المقتطف الكريم بما يوهم غفلتنا عن « المجلات العلمية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية » « وان حاجتنا الى مجلات العلوم الطبيعية اعظم من حاجتنا — الى المجلات المذكورة في ذلك المقال — وهي اولى بالتقديم »

— ولكن — لا بدّ انكم ذاكرون انّا لما عرضنا مقالنا عليكم وقرأناهُ حرفاً حرفاً وعلمتم ان الداعي المنبّه الى كتابته ، ما كتبناهُ في مجلة التربية الحديثة التي اصدرتها هذا العام جامعة القاهرة الاميركية ، هو المناسبة العارضة لحاجتنا الى المجلات العلمية (الخاصة) كهذه المجلة الاخصائية ثم تكرمتم بعبارات التصديق والاستحسان اذا لم نقل بالثناء والاطراء ، دون ان تبدوا اقل تلميح او تلويح الى ما ذكرتم من امر اغفالنا لتلك

المجلات « الطبيعية التي هي اولى بالتقديم » على ما ورد في تعليقكم الكريم بل تذكرون انّا فارقنا ادارة المقتطف على وعد ان تقدموا في رأس المقال اشارة الى تلك المناسبة الداعية الى تخصيص مقالتنا بتلك المجلاَّت الثلاث دفعاً لما قد يسبق لبعض المفكرين الالبّاء من فطنة تلك الغفلة وتناسينا الشأن الاجلّ « للمجلات الطبيعية »

ولما قابلنا حضرتكم على اثر صدور المقتطف نبّهنا محفوظكم الواسع الى ما ختمنا بهِ مقالنا من الاستدراك الجليّ الوافي المطابق لتعليقكم في التنويه بذكر « المجلات الطبيعية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية » حيث قلنا « انا في كل ما ابديناهُ ونبديهِ اقطا بنا افذاذ اللغة من اعلاء كلمها وصون مقامها عن الابتذال والانخذال لا نغفل عن حاجتنا الضرورية الى العلوم العصرية من طبيعية ورياضية واجتماعية وزراعية وصناعية وفنية ولها ما لها من تنوير الاذهان والمعونة القصوى في سعادة الامة ولحاقها بامم الحضارة والعمران غير ناسين ان كل ما يتعلق باللسان من العلوم انما هو وسيلة لا غاية ولذا عرّفت عند العلماء بالآلات »

وكأنا في سوق ذلك التنبيه سبقنا الى شرح ما تصورّناهُ وخشيناهُ من مثل ذلك التعليق مستدركين ما عسى ان يأخذنا بهِ رهط المفكرين المصلحين من الغلوّ بمنزلة اللغة من العلوم الضرورية والتلاهي بالقشور عن اللباب وتغرير الطلاب بالثانوي دون الاولي من العلوم النافعة للبلاد الحقيقة بتنوير الالباب

فترون من ذلك كلهِ انا لم نخصص بالذكر في تلك المقالة حاجتنا الى تلك المجلاَّت الاَّ لتلك المناسبة الطارئة جرياً على المعلوم من ان المرء اذا ذكر حاجةً في وقتها لا يقصد انكار سائر الحاجات ، وان ذكر الخاص لا ينفي العام وفاقاً لمقامات الكلام ورعايةً لمقتضى الحال

ونحن انما اسهبنا شيئاً في تفصيل ابواب الحاجة الى المجلة اللغوية لسببين الاول هو التوسط بين المفرطين والمفرّطين في درجة الحاجة الى اللغة ومنزلتها من الثقافة العصرية ، مما اصبح امرهُ من المشهورات عند العارفين واقرّوا فيهِ الجمع بين الفريقين فنكتفي الآن بالاشارة اليهِ والثاني وهو ما يقتضي هنا طرفاً من طريف البيان وهو :

ان فوق ما لضبط اللغة من الفضل الاصيل في تحديد المعاني وإبانتها له اثرهُ النفسي من روعة الجمال المعنويّ والذوقي على حكم ما للفنون الجميلة من وقع اللذة في النفس

مما تطلبهُ الفطرة ويهفو اليهِ الطبع ، فكما تطرب للّحن الفني الآخذ بزمام النفس، وكما يتولاك الاعجاب برسم محكم الصنع والطبع — كذلك — ترقص للمعنى السامي بارزاً بما يليق من اللفظ الانيق مصوغاً بما يروق من القالب الشائق الرصف البديع الانسجام . وكما يستحسن الدرُّ في عنق الحسناء والمطرف الباهر يجلى بابهى الازياء — هكذا — يسحرك الكلام اذا وافاك باروع نظام واذا اردت المزيد من روائع هذا البيان فلا اقلّ من الرجوع الى مثل (العمدة) لابن رشيق (والصناعتين) لابي هلال العسكري من ائمة الادب المبرزين . ولا اطيل على ربّ الذوق السليم في هذا التدليل انما احيله الى فعلهِ يوم تعرض عليهِ صحيفتان في المعنى الواحد احداهما في القبيح من اللفظ والركيك من التعبير والاخرى في الفصيح من الكلام والمحكم من التركيب والبليغ من سواحر البيان — وما اكثر ما نرى مدى الساعات من هذه المعروضات !

وحاشا لنا ان نقصد بالعبارة العامية وما ينتظم في سلكها محاكاة الادبية والخطابية كالمقامات من السجع المصنّع والغريب العويص المقنّع ، انما نريد ان يكون الكلام في ما سوى هذه الفنون الخاصة من مضبوط القياس والمرسل المسلسل والسهل الممتنع على ما تراهُ في مثل هذه المجلة الطريفة ويلذ لهُ سمعك ويعشقهُ طبعك في مثل مقدمة ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير واضرابهما من فحول اهل الانشاء وفرسان البلاغة والبيان

مصر — ديمتري قندلفت
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

التعليم الالزامي والنساء ايضاً

كتب حضرة المربي الفاضل الاستاذ حسين افندي لبيب ناظر مدرسة النحاسين الاميرية كلمة في جزء يناير الماضي من المقتطف « تحت هذا العنوان » حبذ فيها وجود النساء المعلمات بدل الرجال في المدارس الاولية والابتدائية عند الضرورة وأدلى ببراهين معقولة تعزيزاً لهذا الرأي نرى انها لا تتوافر في المرأة المصرية واليك البيان :—

المرأة في مصرنا ثلاثة انواع احدها يسلك مسلك الحجاب بحيث تكون المرأة في منتهى الخمول والاستكانة كانها وسيلة للتوليد او قطعة من أثاث البيت لاتزور ولاتزار

ولا تأتنس ولا تؤانس ولا ينتفع بها بشيء ما حتى ولا في تربية اولادها ! ! ! قس على ذلك ما عند نسائنا القرويات. وهذا في نظري إنما هو جناية الرجل لأنهُ هو السبب في تأخرها بضربهِ على يدها بهذا السوط الغشوم . ولو انهُ عالج هذا النقص بشيء من الحكمة واحترمها وهذبها ووفاها حقها الذي فرضه الله لها لكانت اليوم هي غيرها بالأمس . ولكانت لهُ الشريك العامل في تدبير شؤونه . فانه قد يضطر لترك عمله إذا ما مرضت أو مرض أحد اولادها لجهلها الفادح . وكثيراً ما عركت الاقلام وعالجت ضعف هذا الخلق الاجتماعي المهم . ولكنها لم تأت بفائدة لقسوة الرجل وظلمه ! !

وثاني الأنواع يسلك مسلك السفور بأوسع معانيه بمعنى ان المرأة تريد ان تتمتع بكامل حقوقها. بل قل أنها كالرجل في الحياة غير انها بالأسف مبتذلة في صفاتها غير راقية في اخلاقها لانها لم تستعمل سفورها بحكمة ولم تتخذه وسيلة لبروزها في المجتمع النسوي الراقي فتفيد الامة وتعمل على اسعاد هذا الجنس السائر الى الوراء ! ! فسخر منها الرجل ومهد لها سبيل القضاء عليها وهكذا سارت نحو هاوية سفورها مسرعة . وكانت شرًّا من اختها الاولى

وثالث الانواع وهو المطلوب . يسلك مسلك الحجاب حتى يقال انهُ من النوع الاول ويسلك مسلك السفور حتى يقال انهُ من النوع الثاني . وهذه المرأة هي التي تعلمت وأخذت قسطها الوافر منهُ حتى نالت الدرجة التي بها تفيد أمتها إفادة حقيقية وهذه الدرة الثمينة قليلة جداً في مصر . لا ننا لا ننكر ان في مصرنا نساء فضليات عاملات قد ضربن بسهم وافر في الاصلاح وهذه آثارهن بادية في رابعة النهار . ولكنهن قليلات

فلتعالج الاقلام هذا الاصلاح وليرحم هذا الجنس اللطيف وليعمل المصلحون على بروزه مصلحاً مفيداً حتى تقل الامية في البلد والنساء العاطلات اللائي حرمهن الدهر عائلهن ؟ !

ادفو محمود عبد القادر

مدرس

—o:o—

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العلاج بالمياه المعدنية

أقبل الصيف وأخذ الكبراء من رجال الحكومة وغيرهم يعدون معداتهم لمغادرة هذا القطر ذاهبين الى اوربا للمعالجة بمياهها المعدنية تقوية للابدان او استشفاء من الامراض . والذين عادوا منهم يروون لك العجائب عن فوائد تلك المياه . وهذا شأن الاوربيين في بلادهم فانهم يقصدون الاماكن التي فيها مياه معدنية للاستحمام بها انتجاعاً للقوة والاستشفاء . وقد اطلعنا على مقالة فيها وصف الحمامات المعدنية وطرق المعالجة بها وكيفية حصول النفع منها فاعتمدنا عليها في كتابة السطور التالية

ان مَن ينظر في طرق العلاج المستعملة الآن يستغرب ما يراهُ من الاهتمام المتزايد بالمياه المعدنية واستعمالها في معالجة الامراض . فان الوفاً من المرضى يتقاطرون كل سنة الى الاماكن التي تنبع منها هذه المياه للاستشفاء بها وكثيرون من الذين زاروا تلك الاماكن واستحموا بمياهها يرون ان الذهاب اليها قد صار فرضاً لازماً عليهم فيقصدونها عاماً بعد عام كأنهم يحتاجون الى علاج سنوي تتطلبهُ ابدانهم. وهذا الامر ليس حديثاً فان الناس من عهد اليونان والرومان كانوا يعتقدون فائدة المياه المعدنية وكانت حمامات بلجيكا مشهورة في عهد ليفيوس المؤرخ الروماني الشهير الذي نشأ منذ الف وتسعمائة سنة . والظاهر ان الرومان اقتدوا باليونان في الاستحمام بالمياه المعدنية وتبعهم الذين جاؤوا بعدهم من الامم

ومعلوم ان العامَّة تتحدث بفوائد طبية كثيرة للحمامات المعدنية والاطباء لا ينفون هذه الفوائد بل ان كثيرين منهم يثبتونها ويكثرون من وصف الحمامات للمرضى فيجدر بالباحث المدقق ان يعلم هل لاعتقاد العامَّة وجمهور الاطباء في المياه المعدنية سند

علمي سواءٌ استُعملت للاستحمام او للشرب . وهل فائدتها تفوق فائدة ما سواها من طرق العلاج حتى يُعدَل عنها اليها . وهل تقتصر الفائدة على استعمال هذه المياه في مواطنها او يحسن ان تستعمل في اماكن اخرى او يحسن تركيب مياه مثلها واستعمالها في بيت المريض بدلاً من نقلهِ الى اماكن المياه المعدنية

وقد كان استعمال المياه المعدنية في صناعة العلاج اجتهاديًّا فقط مبنيًّا على التجارب والاختبار الطويل و لم يكن لهُ سند علمي لكن العلماء لم يكتفوا بذلك بل اخذوا يبحثون ويحققون فوجدوا ان المياه المعدنية تنقسم الى خمسة اقسام مياه كبريتية ملحية ومياه كبريتية قلوية ومياه كبريتية ومياه ملحية حديدية ومياه حديدية و لكل قسم منها درجات مختلفة حسب كثرة المواد الذائبة في الماء وقلتها . و المياه النقية جدًّا من هذه الانواع تستعمل للشرب وغير النقية تستعمل للاستحمام

وقد ظهر بالاختبار الطويل ان امراض الكبد وانواع النقرس والروماتزم والامراض الجلدية على انواعها تفيد فيها كلها المياه المعدنية . ثم ظهر بالتجارب العلمية ان المياه الكبريتية التي تستعمل في مداواة المصابين بامراض الكبد تزيد افراز الصفراء فتكثر كميتها ويسرع خروجها وتكثر المواد الجامدة فيها دلالة على ان هذه المياه تقوي الكبد وتزيد فعلها ويستدلُّ على ذلك ايضاً بكثرة خروج المادة البولية من الجسم . ولذلك تفيد هذه المياه في النقرس وما اليهِ . وامتحنت المياه الحديدية فوجد انها تسرع في تكوُّن كريات الدم الحمراءِ وتقوي القوة الحيوية في الجسم كلهِ . فالمياه التي فيها كلوريد الحديد تزيد افراز اليوريا وتقلل حامض اليوريك . وغيرها من المياه الحديدية يزيد افراز الصفراء ولا يزيد المواد الجامدة فيها . وهلمَّ جرًّا من الادلة القاطعة على ان المياه المعدنية تؤثر في الجسم تأثيراً حقيقيًّا

ثم ان طرق الاستحمام تفيد لذاتها ولو لم تكن الفائدة من نوع الماءِ . وتقسم الحمَّامات من هذا القبيل الى اربعة اقسام حمامات حارَّة وحمامات حارَّة كيماوية وحمامات حارَّة ميكانيكية وحمامات حارَّة كهربائية . فالاولى اي الحمامات الحارَّة فقط يتوقف فعلها على درجة حرارة الماءِ وتستعمل فيها المياه الحارَّة والباردة والحمام التركي والروسي وحمام الهواء السخن وما اشبه . والثانية اي الحمامات الحارَّة الكيماوية يتوقف فعلها على درجة الحرارة وعلى المواد الكيماوية الذائبة في الماءِ سواءٌ كانت ملحية او قلوية او حديدية . والثالثة اي الحمامات الحارَّة الميكانيكية يتوقف فعلها على حرارة

الماءِ وعلى فعلهِ الميكانيكي في صبهِ ورشهِ وعلى الدلك وقت استعمالهِ . والرابعة اي الحمامات الحارَّة الكهربائية يتوقف فعلها على المجاري الكهربائية التي تجري في الماءِ وقت الاستحمام سواء كانت متصلة او منقطعة

ولكل من هذه الحمامات فعل خاصٌّ بهِ ولاسيما اذا استُعمل بالحكمة وروعيت في استعمالهِ بعض القواعد . فان الاستحمام ولو بالماءِ القَراح يؤثر في الجسم ووظائف اعضائهِ المختلفة فاذا اضيفت اليهِ مواد اخرى واختلفت حرارتهُ عن حرارة الجسم كان تأثيرهُ فيهِ اشد وتنوَّعت درجات هذا التأثير بتنوع المياه وطرق استعمالها

واشد تأثير الحمامات في الدورة الدموية فان القلب يدفع الدم وما فيهِ من الغذاءِ المستخاص من القناة الهضمية الى الاوعية الدموية اي الشرايين والاوعية الشعرية والاوردة فيمرُّ بها في كل اجزاءِ الجسم يعطيها الغذاءَ الذي تحتاج اليهِ ويأخذ منها الفضول وذلك بتبادل السوائل من جدران الاوعية الشعرية بين الجسم والدم ثم يعود بهذه الفضول لتفرز من الجسم . فكل ما يغير مقدار الدم والقوة التي يدفع بها في ضربة من ضربات القلب ويغيّر سعة الاوعية الدموية يغير قوة الدورة اي ضغط الدم اللازم لفعلهِ في تغذية الجسم وتطهيرهِ من الفضول . والحاكم في هذه التغيرات كلها مجموع عصبي خاص يحفظ موازنتها فاذا اوسعت الاوعية الدموية عضواً من الاعضاءِ ضيَّق هذا المجموع العصبي اوعية تقابلها في مكان آخر لحفظ الموازنة والاَّ تغيرت موازنة الجسم . وعلى هذا المجموع العصبي يتوقف حفظ الصحة بنوع خاص لانهُ يبقي الدورة الدموية في حالة الانتظام مهما تغيرت احوال الجسم الخارجية والداخلية باختلاف الحر والبرد والخفة والضغط والفراغ والامتلاءِ واختلاف اوضاع الجسم وما اشبه

وقد استنبطت آلة يعرف بها ضغط الدم في الجسم ويرى بها ما يطرأُ عليهِ من التغير ساعة بعد ساعة فتعلم بها احوال الدورة الدموية ومقدار التغذية . فاتضح بهذه الآلة ان الحمامات المختلفة تؤثر في ضغط الدم فبعضها يزيد الضغط وبعضها يقللهُ وهذا الفعل وقتي ولكنهُ اذا تكرَّر يوماً بعد آخر تراكم تأثيره بعضهُ فوق بعض فيمكن استخدام الاستحمام طبيعيًّا للتحكم في ضغط الدم وتعديل الدورة الدموية واعادة ليونة الاوعية الدموية الى حالتها الطبيعية وتنويع تغذية الاعضاءِ . مثال ذلك ان الحمامات الحارة على انواعها تقلل ضغط الدم والباردة تزيد ضغطهُ . والمواد التي في المياه الملحية والكبريتية تقلل الضغط ايضاً . وصب الماءِ على الجلد بشدَّة يزيد ضغط الدم . ودلك الاعضاءِ يقلل

الضغط بشرط ان لا يدلك البطن دلكاً شديداً لان دلكهُ الشديد يزيد الضغط اذ يطرد الدم من أوعية البطن الى الدورة العامة

ثم ان الذهاب الى الحمامات المعدنية يفيد بتغيير الهواء والراحة والتخلص من عناء الاشغال وهموم البيت وبترتيب المعيشة والاقتصار على الطعام البسيط والقيام باكراً ونحو ذلك مما يأُول كلهُ الى تحسين الصحة حتى لقد يظن البعض ان الفائدة الحقيقية تحصل من هذه الامور لا من الاستحمام نفسهِ . والفائدة حاصلة مهما كان سببها

تنظيف البرانيط

تنظَّف برانيط القش بالحامض الشتريك (الليمونيك) او الطرطريك اوالاكساليك اذا اذيب في الماء ومسحت البرنيطة بهِ وفركت جيداً . وذلك بان تبلّ فرشاة بالماء الفاتر الذي اذيب فيه قليل من الصابون وتفرك البرنيطة بها ثم تغسل بماء نقي وتقتصر بوضع قليل من الحامض في اناء نظيف ويصب عليهِ ماءٌ غالٍ يكفي لغمر البرنيطة وتوضع البرنيطة في هذا الماء خمس دقائق وتنشف في الشمس . او يحرق الكبريت في اناء وتوضع مع الاناء في صندوق ويقفل وتترك معهُ بضع ساعات فتقتصر ولكن اذا قصرت بالكبريت لا يلبث لونها الابيض ان يزول وتصفر ثانية

لعب الاولاد

اللعب لازم للاولاد لتسليتهم وتقوية ابدانهم . وقد تقوي الالعاب عقولهم كما تقوي ابدانهم فيباح لهم الوثب والركض والصراخ وكل ما يقوي اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة كما يباح لهم ان يلعبوا الالعاب التي تمرّن قواهم العقلية وتروضها وتدربهم على تحكيم الحركات كالرماية واللعب بالكعاب والاكر والدوامات . ولكن قد لا يقتصر والدوهم واقاربهم على اعطائهم هذه اللعب بل يعطونهم لعباً اخرى تقلق السكان بصوتها كالطبول والزمور وما اشبه ويسرُّ الولد بها لانهُ يسر بكل ما صوتهُ جهوري ولكنهُ لا يستفيد منها غير اعتياد الاصوات المزعجة واحتقار راحة الناس فحذار من اعطاء الولد لعبةً تندم بعد قليل على اعطائهِ اياها . ومن هذا القبيل ما قد يأول الى جرح يديهِ وحرق ثيابهِ كالسكاكين والالعاب النارية . اما الالعاب التي تقتضي حركة كثيرة فكلها مسلٍّ وكلها نافع

مكتبة المقتطف

ابن سعود : شعبهُ وبلادهُ

لامين الريحاني

IBN SA'OUD OF ARABIA
His People and His Land
By Ameen Rihani Published by Constable London 21/-

تختلف اساليب الكتّاب في الكتابة عن الرحلات ومشاهد البلدان . فمنهم من يصف كل دقيقة يمرُّ بها ويدوّن كل شعور يختلج في صدرهِ فتأتي كتابتهُ وصفاً مسهباً —وفي كثير من الاحيان مملاً — لكل خطوة يخطوها ولكل مشهد يراهُ . ومنهم من يدوّن الملاحظات والحقائق والوان الشعور ثم يجمعها ويبوبها تحت مباحثها المختلفة ويكتب كل مبحث منها مستقلاً عن غيرهِ . ويختلف هذا الاسلوب عن الاسلوب السابق في ان القارئ يرى الامور بكلياتها ويقف على النتائج التي وصل اليها الكاتب او الرحالة بدلاً من ان يرافقهُ في مشاهدة الامور الجزئية فيحار بين تضارب الآراء واختلاف النزعات التي تنبعث في النفس لدى النظرة الاولى . ويتراءى لنا ان الاستاذ امين ريحاني قد جرى على الاسلوب الثاني وخيراً فعل . فان القارئ يفتح الكتاب ليطالعهُ وهو متوجس من قراءة مجلد ضخم في ٣٧٠ صفحة عن رحلة في بلاد العرب ولكنهُ اذا اتسع لهُ الوقت لم يتركهُ حتى يأتي عليهِ. ذلك ان كتابة الاستاذ الريحاني تأخذ بمجامع القلوب. فانهُ وصف رحلتهُ من العراق الى البحرين الى العقير الى النفود ثم الى العقير حيث حضر مؤتمراً سياسيًّا بين ابن سعود ومعتمد بريطانيا في العراق فالحسا فالرياض عبر الصحراءِ حيث نزل في قصر الملك ضيفاً عليهِ ومن الرياض الى وادي حنيفة فالوشم فالقصيم فالدهناء فالحفر ومقابلتهُ للملك ابن سعود ووصف عاصمتهِ الرياض ومذهب الاخوان ومجالسهم وعاداتهم ولعبهم وغزوهم — وصَف كل ذلك وصف عالم مطلع على تواريخ الامم وآدابهم وسياساتهم صافي الذهن صريح القول رشيق المعاني فكه الحديث جامع بين عقل الفيلسوف وقريحة الشاعر وظرف الاديب وذلك باسلوب انكليزي بليغ شهد لهُ

بهِ نقاد الافرنج فيما كتبوهُ عن هذا الكتاب في صحفهم ولا غرو فللريحاني في الادب الانكليزي آيات بدأت بكتاب خالد ورباعيات ابي العلاء ولا تنتهي بكتاب «ابن سعود»

فبينا هو يتحدث اليك في القواعد السياسية التي يجري عليها ابن سعود في معاملة الانكليز والقبائل العربية المجاورة لحدود بلادهِ تراهُ ينتقل بك الى وصف البادية وصفاً شعريًّا تشعر معهُ انك رفيق الريحاني تشاطرهُ شعورهُ حين يكون «الليل صافي الجبين رقيق الجلباب شأنهُ في البادية ،تدنو النجوم في سمائهِ من الارض بريقاً وتسمع فيهِ الاصوات كأنها على طول المسافات الابواق في الغابات لها دوي لطيف ينجد ويغور وصدى يتماوج كالنور» . وبينا هو يصف لك ما عراهُ من آلام الحمى في احدى غرف القصر بالرياض اذا بهِ يسرد لك نادرة لطيفة جرت لهُ وهو ينتفض من قشعريرة البرداء حينما حاول احد رجال القصر ان « يكوي » قمصاناً من الصوف للملك فلم يفلح لانهُ لم يضع في المكواة فحماً ولا رشَّ الماء على القمصان . وبينا هو يصف لك مصاعب الرحلة في البادية يحدثك عن الواحات التي يمرُّ بها وعادات اهلها وما يستطاع عملهُ لزيادة انتاجها . وفي فصل يصور لك صورة للملك وابنائهِ والمقربين اليهِ يلعبون ويتنزهون وفي فصل يليهِ يثبت لك قواعد الوهابية وتاريخها ثم يأتيك بخبر اعظم اصلاح اجتماعي قام بهِ رجل في الجزيرة بعد النبي — راجع مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٧ مقالة البدو والهجرة — يقوم على ثلاث قواعد : الاولى اخضاع البدو . الثانية حملهم على اعتناق مذهب الاخوان . الثالثة تقييدهم بالارض بعد تعليمهم الزراعة وجني خيراتها

اذا لم يكن لابن سعود مأثرة غير هذا الاصلاح فكفى بهِ اثراً خالداً . ولكن الملك ذو شخصية ممتازة ترتفع فوق شخصيات الرجال الذين يحيطون بهِ ارتفاع هامتهِ فوق هامهم وتفوق قوتهِ البدنية على قوتهم وقد دعاهُ احد كتاب الافرنج بكرمول الوهابيين

ولا ريب في ان امين الريحاني قد نجح نجاحاً باهراً في ان يكون رسولاً بين الشرق والغرب . فقد تهيأ لهُ من اسباب النجاح في رحلتهِ هذه ما لا يتهيأ لغيرهِ من الرحالين الغربيين. فهو شرقي عربي يدرك مكامن النفس الشرقية ومغامض التعبير العربي. وقد مهدت لهُ صداقة الملك كل سبيل للاطّلاع على احوال الوهابيين «من الداخل» ولكن هذه الصداقة لم تعمهِ عن مواطن الانتقاد حيث رأى في الانتقاد اشارة الى ضعف او حثًّا على اصلاح . لذلك رأينا كثيراً من الصحف الانكليزية ترحب بهذا الكتاب ابلغ الترحيب وتعقد في وصفهِ الفصول الطوال وتثبت من صورهِ طائفة كبيرة وتثني



امين الريحاني بملابسهِ النجدية



عظمة السلطان ابن سعود

مقتطف مايو ١٩٢٨
امام الصفحة ٥٩٣

على صاحبه لما وفق اليه من بسط مسائل نجد واحوالها باسلوب انيق يجمع بين بلاغة الشاعر وظرف الاديب. فعسى ان ينال هذا الكتاب من اقبال الشرقيين بعض ما نالهُ من اقبال الغربيين . فهو كتاب نفيس يضاف الى كتب الرحلات النفيسة التي كتبت عن بلاد العرب امثال كتب دوطي ولورنس وفلبي وغيرهم من المستشرقين

التربية الوطنية

جامعة ادب وعلم ولغة

« التربية الوطنية» كتاب وضعه الاستاذ المدقق الشيخ عبد العزيز البشري سكرتير وزير المعارف البرلماني . وحسبك بواضعه البشري لتدرك انهُ اثر خالد من آثار المعاني ونموذج طريف من اساليب البيان ومن لم يقرأ البشري ناثراً ما قضى حاجة النفس في اجتلاء حرفة الادب واجتناء ثمرة البلاغة

البشري علم من اعلام اللغة . مثلت آياته في القلوب. فكانت عين المعاني. والبيان انسان عينها . تفردت لغته بمناهجها . وتماسكت معانيه بموالجها ومخارجها. فكان له من الاسلوب امتنه ومن التركيب اصدقه. ومن الادب الكامل اوفره. ومن الرأي الرشيد اغزره . فجاء كتاب « التربية الوطنية » ناطقاً بالعقل حافلاً بالحكمة والفضل . يشهد للبشري بانه ابلغ واجاد واحسن وافاد

هو كتاب في اسمه دليل على مرماه. سلس العبارة. لا تعقيد فيها ولا تنافر. سهل المنال قريب الى الافهام. جمع شتات المعلومات عن تاريخ ووطن وامة ودستور وحكومة وقضاء وحرية وحقوق وواجبات وسلطة تشريعية وتنفيذية. الى غير ذلك من مقومات الاخلاق وموسعات المدارك . وابهج ما فيه اتساق الالفاظ وتوارد العبارات واختيار ما يطابق الحال ويقتضيه المقام. فتهيأت اسباب المعاني . متوافرة موادها متسعاً نطاقها الى الغرض الاسمى يسوقه البشري اذ يقول :

«وبعد فهذا الباب«التربية الوطنية» فن لا يكسر موضوعه على مبحث خاص ولا تقصر مسائله على علم معين وانما هو الوان من القول تتصل بقواعد الدستور مرة . وبقوانين البلاد مرة . كما تتصل بنظام الادارة والقضاء في مصر . وبالقانون الدولي وبالتاريخ وما تغيَّر على مصر من الاحداث السياسية وما تتطلع اليه من الاماني القومية. وهذه المسائل وان تعددت وتلونت في اغراضها فهي انما تنتهي الى غاية واحدة هي

تخريج شباب عارفين بحقوقهم قادرين لواجباتهم عالمين بصور الحيـاة العامة في بلادهم شاعرين عام الشعور بانهم ابناء وطن لا عز لهم الا بعزهِ ولا حياة لهم الا بحياته ».

اذن انت ترى في التربية الوطنية جامعة صغيرة لدروس الوطن ومجموعة وافية من شؤون الوطن وتاريخه ومرافقه . جديرة بان تشغل من القلوب سويداءها وان تحل في صميمها . فهي وليدة العلم والتجارب وثمرة الادب والاختبار . تبعث في نفوس النشء حب الوطن . وتجعل الاقدام دأبهم. ومضاء العزيمة ديدنهم . والمعارف سبيلهم والعلم دليلهم. والعقل هاديهم . والحكمة رقيبهم . والحرية مطمحهم . والواجبات غرضهم . والكمال في الوطن غايتهم . وعز الوطن وحياتهُ شعورهم ومشاعرهم

اقرأ البشري منطلقاً في اسداء النصيحة . ناشراً لواء المنطق الصحيح. رافعاً علم المبدإ الصادق في قوله :

«وليس أعود بالشر والاذى على الفرد والمجموع معاً من ان يجهل الناس حقوقهم وواجباتهم فانهم اذا جهلوا حقوقهم قصروا في استقضائها واستهدفوا لالوان البغي تقع عليهم تعصف بحرياتهم. واذا جهلوا واجباتهم تجاوزوا حدودهم واطلقوا أيديهم بالعدوان والاذى فاختل النظام واستهدفت البلاد للفوضى وليس وراءها الا الخراب والدمار»

بل اقرأ « محاورة بين الاستاذ وتلميذه عن الاسرة والامة والوطن والوطنية » يعد بك صحيح الفهم الى معرفة صحة المرامي. تجلى وصفها بالالفاظ وتجمل وقعها بالمعاني فجاء الحوار كتغريد الطير فوق الافنان بفنون الالحان وحب الاسرة ومجد الاوطان يتلقاها التلميذ بوجه وسيم وثغر بسيم . ويلقيها الاستاذ بنثر نضير ودقة تفكير وجمال تصوير. تغري التلميذ في الاستزادة من «التربية الوطنية» بحيث ينوّر الامل في نفسه ويشمر العمل في صدره

واذا رغبت في اجتلاء البحث الصادق وما اجتمع اليه من حسن التعبير الرائق وجمال المعنى مبنيًّا على اسس التربية في الاخلاق. فاقرأ «وحدة الاماني » حيث يقول :

«وكما ان لك امنيةً في الحياة هي ان تتقدم في طلب العلم حتى تنال اعلى الشهادات ثم تكون رجلاً عظيماً . وكما ان لاسرتك امنية هي ان تعيش سعيدة موفورة الرزق والكرامة . فاعلم كذلك ان لهذا الجسم الواحد « الامة » المكون من الاسر المختلفة اماني في الحياة واٰمالاً تجمع اسره وتربط افراده لان في تحققها هناء الجميع وعزهم وليست الاماني القومية في كل الامم واحدة فان امنية كل امة تتبع حوادثها وظروفها

وحاجاتها فمن الامم من تكون امنيتها مادية محضة كالتفوق على سائر امم العالم في التجارة والصناعة. ومنها من تكون امنيتها قومية ترمي الى جمع شملها وتمتعها بحريتها واستقلالها»

وما ابلغ قول البشري في وصف الحرية ينظم فيها فرائد العقود. وينثر فيها فرائض الحقوق والواجبات. فيضع للحرية حدًّا. ولا تحد الحرية الا بالمنطق والمعقول. ثم يحدد لك الحرية مع حفظ رفعتها وصون كرامتها فتظهر لك حسًّا ومعنى وتلمسها شعوراً ومبنى في براعة عبارة وعبارة بارعة. تجلو امامك المبهم فتظفر بالحرية الصحيحة اذ يقول:

«ومعنى هذه الحرية التي تكفلها الدساتير ان يكون للانسان الحق في ان يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء بشرط ان لا يخل بالواجب المفروض عليهِ ولا يسيء الى غيرهِ من الناس. اما الحرية المطلقة التي لا تقف عند حد والتي تبيح للانسان ان يقول ما يشاء وان يفعل ما يريد ولو اخلَّ بالواجب المفروض عليهِ او اساء الى غيرهِ من الناس فهذه لا تتصور الاَّ في اشد حالات الفوضى وقد عرفت انها مدعاة الهلاك والدمار»

اما حديثهُ عن «التعليم» فيستقر في النفس والقلوب مستمدًّا من الحق نوره ومن الصدق ظهوره ومن الحض على التعليم اطيبهُ وابرعهُ ومن الحث للاقبال عليهِ اوقعهُ وارفعهُ تحقيقاً للغاية القصوى وامحاء للاميَّة الفاشية. واستباقاً الى مناهل العلم ومجاراة الامم الراقية وبذلك يسمو بالامة فضلها ويعظم بالعلم شأنها

وما ابلغ قول البشري في «ان التعليم واجب وطني»:

«ذلك يا بني انهُ ليس اضر بالامة ولا ادعى الى تأخرها في جميع مرافق الحياة من انتشار الجهل بين ابنائها. وهيهات لجاهل ان يهتدي الى الطريق المستقيم. واذا علمت ان بلادنا المصرية التي يزيد اهلها على ١٣ مليوناً ليس فيها ملمًّا بالقراءة والكتابة الا حوالي ٨٧٠ الفاً اي بنسبة ٨ في المئة وان بين البلاد الغربية من زالت الامية عنها تماماً ومن بلغت نسبة المتعلمين ٩٠ في المئة. علمت مبلغ العناية التي يجب ان نبذلها لمكافحة الامية ونشر التعليم في البلاد. لهذا اوجب الدستور جعل التعليم الاولي الزاميًّا للمصريين من بنين وبنات بحيث لا يمضي كثير من السنين حتى تكون الامية قد زالت من البلاد»

وفي التربية الوطنية غير ما تقدم بيانات ضافية ومعلومات دقيقة عن السلطات المحلية وفصول وافية عن الحكومة ووزاراتها ومصالحها واختصاص كل منها. وحسب المطالع ان يتصفحها ليلمَّ بها الماماً كافياً يسهل لهُ الوصول الى معرفة الدوائر وما عليها وما لها.

والكتاب على هذا المنوال من قوة تفكير ودقة تصوير ومتانة تعبير نأت بهِ عن مواطن الخلل فظهر سهل المأخذ قريب المورد يمتاز بجلاء معانيهِ وسلامة الفاظهِ كما رأيت في ما اثبتناهُ شاهداً على حسن الذوق وغزارة المادة وفصاحة التركيب

والبشري في غنىً عن التقريظ وكتاب «التربية الوطنية» غني عن الدعاية والتحبيذ وانما هو واجب علينا نؤديهِ وهو حق لهُ نوفيه وكفاهُ ان يشملهُ جلالة المليك بعنايتهِ وعطفهِ وان يولي « الكتاب من الرعاية السامية ما ينقطع دونهُ جهد الشكر »

هذه كلمة نزيهة في كتاب البشري كنا نود ان نتبعها باخواتها فتكون وافية لهـذا السفر القيم لولا ضيق المقام وقصر الوقت فاكتفينا بها صادرة عن شعور واعجاب ومرسلة عن وفاء واحترام الاسكندرية توفيق طنوس

مطبوعات مكتبة المنار

اهدت الينا مكتبة المنار المشهورة طائفة من الكتب التي طبعتها اخيراً ومنها كتاب « الوحدة الاسلامية والاخوة الدينية » وهو يشتمل على مباحث اصلاحية بين عالم مصلح ومقلد جامد في شؤون علمية ودينية واجتماعية متفرقة وثمنهُ ٥ قروش . وكتاب « ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الاسلام » وثمنهُ ٣ قروش والكتابان تأليف العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء . وكتاب الصحة تأليف الزعيم الهندي الكبير مهاتما غاندي وترجمة الاستاذ الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي وهو يشتمل على قسمين بحث في القسم الاول في حقيقة الصحة والمحافظة عليها وتركيب جسم الانسان والهواء وضرورته للصحة والماء ونظافتهِ والغذاء وشروطهِ ومضار الخمر والافيون والدخان والشاي والقهوة والكاكاو والبقول والبهارات واضرارها وكم مرة يجب ان تأكل والرياضة واللباس والزواج واضرار الشهوات ومنافع العزوبة والباب الثاني في علاج الامراض بالهواءِ النقي وبالماء والبخار وبالتراب وعلاج سائر الامراض المعدية بوصفات وصفها غاندي وتربية الطفل واسعافات الطوارئ الفجائية وخاتمة في وجوب استخدام الجسد وقواهُ للخير وعبادة الله وثمن الكتاب ٥ قروش. ورسالة « الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الالهية » ويليها العقيدة المحمدية وهي تأليف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وثمنها ٢٠ مليماً والكتب كلها تطلب من مكتبة المنار بشارع زين العابدين بمصر

مطبوعات اخرى

﴿ الدين والتعصب ﴾ بقلم اسعد افندي الغريب صاحب مجلة الشمس اللبنانية اشار في مقدمتهِ الى الغاية من وضعهِ بقوله : انا بهذا الكتاب لا نعارض الدين ولا نعاكسهُ بل ندعو الناس الى التمسك بجوهره والعمل بشرائعه ليصير المسيحي مسيحيًّا بالفعل والمسلم مسلماً بالفعل . ومتى صار هذان المتدينان يعرفان حقيقة المسيح ومحمد يصيران فعلاً اخوين متحدين تربطهما روح واحدة صافية شريفة مشتقة من مصدرين وان اختلفا اسماً فقد اشتركا واتفقا غاية وجوهراً ومعنى». وهي غاية سامية شريفة ولكن السبيل الى تحقيقها وعر. فانهُ قد مضى على نشر مذهب دارون ٦٩ سنة ولكن ثارت ثورة رجال الكنيسة في السنة الماضية لما القى السر ارثر كيث خطابه النفيس الذي ترجمناهُ في المقتطف وعنوانهُ «مذهب دارون في الميزان» رغماً عن انتشار التعليم والتهذيب بين طبقات الشعب الانكليزي . ولكن نشر الكتب وكتابة المقالات في تقريب حقائق العلم الاساسية افضل وسيلة لنبذ هذا التعصب وحث الناس على التمسك باصول الدين القويم . فعسى ان يكون هذا الكتاب خطوة الى الامام على هذا الطريق الوعر

﴿ ذكرى كليفلند ضودج ﴾ المستر كليفلند ضودج من اشهر المحسنين الاميركيين لهُ أياد بيضاء على ترقية التعليم بما وهبهُ من الهبات المالية الكبيرة الى كلية روبرت بالاستانة وجامعة بيروت الاميركية وغيرها من معاهد التعليم في الشرق الادنى . وهو والد الدكتور بيارد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية الحالي . وهذه الرسالة تحتوي على سيرتهِ ورسائل التعزية فيهِ ومقالات التأبين التي كتبت في صحف سورية او تليت في حفلة التأبين التي اقيمت لهُ في بيروت . وقد اجاد الاستاذ امين تقي الدين في قولهِ

ان عرشاً ابقى على الدهر عرش شادهُ محسن على صدقاته
خازن المال مشرك عبد الله وصلى للمالِ في خلواته

***

وعظ الاغنياء حيًّا وامسى عظة للدهور بعد مماته

﴿ كتاب التماس الاحكام المدنية النهائية ﴾ علماً وعملاً بالمحاكم الفرنسية المختلطة الاهلية تأليف الاستاذ احمد منيب محامٍ بالمحاكم المختلطة ومحكمتي الاستئناف الاهلية والشرعية . طبع بمطبعة الترقي بشارع الساحة بمصر وثمن النسخة ٦٠ غرشاً مصرياً

﴿ الاسرة العلوية في مصر ﴾ طائفة من الشعر مرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر المعظم من نظم الاستاذ يوسف الحاج طُبعت بمطبعة المقتطف والمقطم

﴿ الكتاب السنوي ﴾ للجمعية العلمية بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة يحتوي على مباحث زراعية عملية ونظرية وتاريخية مثل « الكائنات الحية في التربية واثرها في نمو النبات » و« نصيب السودان في انتاج قطن الامبراطورية » و« حاجة مصر الى البساتين ووجوب تعميمها » وغيرها من المباحث المفيدة

﴿ جلال خالد ﴾ قصة عراقية وضعها احمد افندي السيد المدرس على نمط مذكرات او حديث وطبعت بمطبعة دار السلام ببغداد

﴿ النهج الصوتي ﴾ كتاب مصوَّر وضعهُ الشيخ محمد كامل الجمالي واندليكاتو بلداسري تحت مراقبة الاستاذ اميليو ميرانتي والغاية منهُ بسط طريقة جديدة سهلة المأخذ لتعليم مبادىء اللغة العربية وقد طبع بمطبعة مكتب الفنون والصنائع بطرابلس الغرب وثمنهُ ٨ ليرات ايطالية

﴿ مهاتما غاندي ﴾ سيرة زعيم النهضة الهندية الحديثة بقلم عَلَم من اكبر اعلام الادب الاوربي — رومان رولان الفرنسي — الذي نال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩١٥ نقلهُ الى العربية عمر افندي فاخوري واهدتهُ مجلة الكشاف البيروتية الى مشتركيها بعد ما طبعتهُ بمطبعة طبارة ببيروت. ويطلب منها صفحاتهُ ١٥٧ صفحة بقطع المقتطف

بيان

لم يتسع نطاق هذا الجزء لمعالجة بعض المؤلفات النفيسة التي ظهرت حديثاً ككتاب « العقل الباطن » تأليف الاستاذ سلامه موسى وكتاب « تطور الفكر العربي » لمؤلفهِ اسماعيل مظهر بك صاحب مجلة العصور. وكتاب « السفور والحجاب » للآنسة نظيره زين الدين . وكتاب « المدرسة والاجتماع » للاستاذ ديوي ترجمة الاستاذ متري قندلفت وديوان « القفص المهجور » نظم يوسف افندي غصوب وغيرها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) وزن الدماغ

البرازيل . كيف يوزن الدماغ وبماذا يوزن

ج . يوزن بميزان دقيق كما توزن المواد التي يراد معرفة وزنها علميًّا . ولا خلاف في ذلك ولكن الخلاف في ما يوزن مع الدماغ حين وزنهِ . فبعض العلماء يزنهُ كما هو مع الاغشية التي تحيط بهِ وبعضهم يجرده منها . وبعضهم يقطعهُ ويتركه حتى يرشح منهُ الدم والمصل ثم يضعهُ في الميزان فيخسر من وزنه نحو اوقية او اوقيتين كذلك

(٢) الخط الهندسي

بغداد . يقال في كتب الهندسة ان النقطة الهندسية لا طول لها ولا عرض ولا عمق . وان الخط الهندسي مؤلف من نقط هندسية لا طول لها فكيف يحصل الطول من مجموع نقط لا طول لها

ج . هذه مسألة فلسفية كثر الجدال فيها بين الفلاسفة . ويحلها علماء الهندسة حلاً لفظياً بقولهم ان الخط الهندسي حاصل من حركة النقطة الهندسية في الفضاء وطوله هو البعد الذي مرت النقطة بين طرفيهِ

(٣) تولد الحي من غير الحي

ومنهُ . ذكرتم اكثر من مرة في المقتطف ما اثبتهُ العلم والعلماء من ان الحيّ لا يولد من غير الحي . فممَّ تتولد المخلوقات الدنيا كالقمل والبراغيث والديدان وما اشبه

ج . تتولد من بيوض حشرات مثلها . وهذه ولدت من بيوض حشرات مثلها ايضاً وهلمَّ جرًّا . لان الحي لا يولد الا من حي آخر مثله . وقد تقولون الى اين نمتد في هذا التسلسل والجواب عن ذلك عند علماء الحياة ان انواع المخلوقات تتغير قليلاً باختلاف الاحوال فيتولد من النوع الواحد انواع كثيرة على تمادي القرون وعلى هذا الاسلوب تولدت انواع الحيوان والنبات من اصول قليلة العدد او من اصل

واحد . وهذا الاصل الاول او الاصول الاولى تولدت فيها الحياة اولاً من تفاعل القوى الطبيعية . وهذا بحث طويل نشير عليكم بان تتريثوا قليلاً في متابعتهِ حتى تصدر هدية المقتطف السنوية وفيها فصل وافٍ لعالم من اكبر علماء الانكليز موضوعهُ « الحياة : اصلها ومنشأها وحفظها »

(٤) فائدة الرحلات الشاقة

انديانا پوليس . اذا كانت الصحراء ارضاً رملية غير مأهولة فلماذا يجهد الجغرافيون واصحاب الرحلات انفسهم في جوبها وتجشم المشاق في اختراقها كبعض رجال الرحلات الذين طالعنا اخبارهم في كتاب « الروّاد » فان بعضهم بقي اياماً في صحراء لا يجد في خلالها كسرة خبز ولا جرعة ماء

ج . ان حبَّ اكتشاف الغرائب واقتحام المخاطر فطرة في بعض الناس فلا يحلو لهم عيش الاَّ باختراق الافاق وتجشم المشاق . ولا تخلو رحلاتهم من فوائد جمة علمية وتجارية . فقد يكتشفون حقائق كثيرة في علم النبات والحيوان واحداث الجو مجهولة عن العلماءِ وقد يجدون مناهل وطرقاً للقوافل او سكك الحديد لم تكن معروفة وبمثل ذلك تتقدم الشعوب وترتقي

(٥) مخترع طاولة الزهر

غرزوز لبنان . من هو مخترع طاولة الزهر (النرد) ولاي سبب اخترعت وهل كان مخترعها مالكاً لقواه العقلية

ج. تاريخ هذه اللعبة غير واضح الاصل فقد جاء في الانسكلوبيذيا البريطانية انها لعبة تتوقف على رمي « الزهر » . وان المؤرخ سترت Strutt قال انها استنبطت في القرن العاشر ولا يزيد . وتدعى بالانكليزية « باك جمُنْ » واصل الكلمة لفظتان سكسونيتان الاولى « بايك » ومعناها رجوع والثانية «جامن» اي لعبة والمقصود بهما « ارجاع اللاعب » على ما هو مشهور في لعبة النرد. ولعلها لم تستنبط كاملة كما تلعب الآن فاشتغل كثيرون في وضع قوانينها واتقان العابها ولذلك لا نرى سبيلاً نحصل بهِ على جواب للشق الاخير من سؤالكم

(٦) ذكاء الصم والعميان

تلمسان. الاذكياء من العميان كثيرون ولا نكاد نجد بين الصم اذكياء فهل حاسة السمع اعلق بالادراك من حاسة البصر ؟

ج . الصمّ في الغالب خرسٌ ايضاً . وهؤلاء يصعب تعليمهم اذ لا شيء يجدي في تعليمهم غير الاشارات . وهذه وسيلة ضعيفة الاثر بطيئة الفعل. اما العمي فيستطيعون ان يصغوا الى المحاضرات التي يلقيها

الاساتذة . وبعضهم يكون حادّ الذاكرة في الغالب فيحفظ ما يُلقى عليهِ . فاذا تفوق على المتوسط ظهر لمجرّد انهُ كفيف البصر . وهذا لا ينفي ان بعض كفيفي البصر يحسبون في مرتبة اكبر النوابغ كملتون والمعري

(٧) انكسار النور في الماء

ومنهُ . اذا غمست في الماء عصاً طولها ذراعان رأيتها كأن طولها ذراع واحدة . وكذلك سائر الاجسام تظهر صغيرة الحجم اذا غمرها الماء فما سبب ذلك. وهل تعللون صغر النجوم بانها تسبح في فلك يشبه الماء

ج . ضع غرشاً في فنجان من الخزف كفنجان الشاي وابعد عنهُ رويداً رويداً حتى لا تعود ترى الغرش بعينيك. ثم ادعُ من يصبُّ ماءً في الفنجان فتعود ترى الغرش فيهِ كانهُ ارتفع عن قاع الفنجان مع انهُ لم يرتفع. انما كان النور المنعكس عنهُ لا يصل الى العين لانهُ في اناء غير شفاف . والعين منحرفة عند حافتهِ . ثم لما ملئ الفنجان ماءً صار النورِ المنعكس عند سطح الغرش ينفذ الماء اولاً ثم الهواء وهما مختلفا الكثافة فتنكسر اشعتهُ وتنحرف فيصل بعضها الى العين فتراه . تقولون واية علاقة تجدون بين هذا التعليل وبين قصر العصا . فنقول ان هذا التعليل يبين لك ناموساً عاماً يجعلك ترى العصا الطويلة المستقيمة قصيرة معوجة اذا غمست في الماء . ذلك ان اشعة النور اذا وقعت مائلة على سطح جسم شفاف ككأس من الماء مثلاً انعكس عنهُ بعضها واخترقهُ البعض الآخر . ولكن شعاعة النور في اختراقها للجسم الشفاف لا تبقى سائرة في خط مستقيم بل تنحرف عن استقامتها وتصل الى العين كأنها آتية من مكان فوق المكان الذي اتت منهُ حقيقة فيرى الغرش وتظهر العصا منكسرة . وانكسار العصا يوهم انها اقصر من حقيقتها ليس الاَّ

اما صغر النجوم فسببهُ بعدها . وقد اشار الى ذلك الشاعر العربي بقوله

والنجم تستصغر الابصار صورتهُ
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

(٨) الغضب والاصفرار

ومنهُ . اذا غضب الانسان اصفرّ وجههُ ونضب رونقهُ وجمالهُ فما سبب ذلك

ج . اوضح عمل يقوم بهِ الجهاز العصبي في ظواهر الحياة هو احداث حركات الجسم العمومية وتنظيمها — وهي الحركات التي تقوم بها العضلات الارادية اي التي تخضع لسلطة الارادة ونواهيها . ولهُ فعل اقلّ وضوحاً ولكنهُ ليس اقل شأناً وهو تنظيم انقباض العضلات غير الارادية ومن هذا القبيل انقباض عضلات الشرايين فيقلّ حجمها ويقل بذلك الدم الوارد اليها فتصفرّ

الاقسام التي تذهب اليها لقلة الدم الوارد، فاذا قلَّ انقباض تلك العضلات كبر حجم الشرايين وكثر الدم الذي توردهُ واحمرت الاعضاء التي يذهب اليها. وقد تحدث هذه التغيرات في الشرايين كما في القلب بفعل الانفعالات النفسية وغيرها من المؤثرات التي لا نشعر بها مطلقاً كالتي تحدث في اثناء النوم او في حالة التبنيج وهلم جرًّا

(٩) السرطان والوراثة

الاسكندرية . هل السرطان وراثي

ج. لقد ثبت من مباحث دقيقة جربت في الجرذان ان السرطان فيها وراثي . ولكن الباحثين مختلفون في هل هو وراثي في الناس او غير وراثي

(١٠) التثاؤب ودلالته

ومنهُ. أُصاب في بعض الاحيان بضيق في التنفس واحسُّ اني اريد ان اتثاءب تثاؤباً مستمرًّا وفي بعض الاحيان لا اتمكن من اتمام التثاؤب لضيق التنفس المذكور فما هو سبب هذه الحالة وهل غيري يصاب بها

ج . التثاؤب في الواقع هو تنفس طويل اولهُ استنشاق طويل للهواء يتبعهُ زفير طويل وهو عمل لاسلطة للارادة عليهِ (غير ارادي") ويصحبهُ شعور بوجوب التمطي وصوت مسموع في بعض الاحيان. وهو في الغالب دليل على التعب وقد يكون اشارة الى اعياء عصبي او عقلي . ويصيب الحيوانات المقيمة في هواء اكسجينهُ قليل

وكان التثاؤب يحسب قبلاً عرَضاً من اعراض المرض ولكنهُ لا يحسب كذلك الآن الاَّ في احوال نادرة

(١١) الشعوذة والاستهواء

زفتى . المشهور الآن ان السحر واستخدام الارواح باطلان . ولكنني شاهدت امرأة كانت تصاب بصرع شديد فتمزق ثيابها وتضرب ذاتها بعنف فعالجها كثيرون من الاطباء فلم يتمكنوا من شفائها واخيراً رآها أحد الدجالين وهي في هذه الحالة فاستخدم لها الارواح وامرها ان لا تعود اليها مرة أخرى فشفيت فما قولكم في ذلك

ج. يظهر من وصفكم ان المرأة كانت مصابة بالصرع الهستيري وهو كثيراً ما يشفى من نفسه . وقد كثرت الادلة الآن على انهُ يشفى بالاستهواء ايضاً اي باقناع المريض وهو في حالة النوبة ان المرض فارقهُ . والحوادث التي من هذا القبيل كثيرة مشهورة فلا يبعد ان يكون شفاء المرأة قد تم بالاستهواء

(١٢) برودة البطيخ في الشمس

ومنهُ . لماذا يبرد البطيخ اذا كسر ووضع في الشمس

ج . السبب في ذلك ان جانباً من الماء في البطيخ يتبخر فيمتصُّ بعض الحرارة من البطيخة فتبرد

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في مايو

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٤	١٠	١٢ مساءً
الربع الاخير	١٢	١٠	٥٠ »
الهلال	١٩	٣	١٤ »
الربع الاول	٢٦	١١	١٢ صباحاً
الاوج	٥	٦	٣٠ »
الحضيض	١٩	٧	٣٦ »

السيارات في مايو

عطارد . لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخره

الزهرة . والمريخ والمشتري كواكب صباح

زحل . يشرق نحو الساعة التاسعة مساءً

كسوف الشمس الكلي

تكسف الشمس في صباح يوم السبت ١٨ مايو سنة ١٩٢٨ كسوفاً كليًّا لا يشاهد من القاهرة

صورة الغلاف

يمثل غلاف هذا الشهر صورة تخيلية مبنيـة على حقائق تاريخية رسمها الاستاذ بورخارت لاهرام ابي صير وما يتصل بها من المعابد التي بناها ملوك الاسرة الخامسة حوالي سنة ٢٧٠٠ ق . م . حسب تقدير الاستاذ برستد

سعة الكون

يسير النور نحو ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية. ومثلهُ الامواج اللاسلكية. فيستغرقان نحو سبع ثانية في الدوران حول الارض ونحو مائة مليون سنة من سنيّ النور في الدوران حول الكون. فاذا صغّـرت الارض حتى صار حجمها حجمَ الجوهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى باقوى التلسكوبات على هذه النسبة حجم الارض وبلغ حجم الكون كلهِ على ما هو ممثل في مذهب النسبية الف مليون ارض منتشرة حولها في الفضاء

ولا يقل تعدد الاجرام السموية واختلافها عظمة وروعة عما تقدم: فالشمس

تفوق الارض مليون ضعف حجماً و٣٠٠ الف ضعف جرماً وهذا كافٍ ليدلَّ على ان الارض ذرة رمل على شاطئ متراميِ الاطراف . ومع ذلك فالشمس واحدة من اسرة اذا أُحصي اعضاؤها بلغت آلاف الملايين وقد حسب الاستاذ سيرز انها ثلاثين الف مليون .وهذه الاسرة النجمية ليست الاسرة الفريدة التي تملأ انحاء الفضاء . فكل سديم من السدم اللولبية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة اما اسرة كاسرة الشموس التي في المجرة او يحتوي على شموس في دور التكون او هو مادة لا بدَّ ان يجيء عليها زمن تتحول فيهِ الى شموس

وكيف قدرنا جرم هذه السدم العظيمة وجدنا انها تحوي من المادة ما يكفي لتكوين الف مليون شمس وهـذا يدلك على كبر جرمها . يضاف الى ذلك ان مادتها لطيفة جداً لانتشارها في الفضاء بحيث يبلغ حجم كل جزء من مليون جزء من الاوقية منها حجم جبل مثـل جبل الماترهورن وعلوه نحو ١٥ الف قدم فنسبة كل من هذه السدم الى جبل الماترهورن نسبة الف مليون شمس كشمسنا الى جزء من مليون جزء من الاوقية.وبذلك تتضح لك صورة لسعة هذه السدم المنتشرة في الفضاء خارج المجرة وقد قدر الاستاذ هبل ان نحو مليوني سديم من هـذه السدم منتشرة في الفضاء الذي يمكن رؤيتهُ بتلسكوب مرصد جبل ولسن وان في الكون فضاءً يفوق الفضاء الذي يرى بالتلسكوب الف مليون ضعف . فعدد السدم في الفضاء كلهِ اذاً يبلغ نحو الفي مليون مليون سديم .فاذا كان في كل سديم منها الف مليون نجم كان عدد النجوم التي في الفضاءِ المنظور وغـير المنظور نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

ما اصغر ارضنا ازاء هـذا الكون العظيم ! وما احقر امورنا ومنازعاتنا ازاء القوى التي تديره وتحركه !

متروبوليس : او مدينة المستقبل

عرضت احدى دور الصور المتحركة بالقاهرة في شهر مارس الماضي شريطاً المانيًّا عنوانهُ « مترو پوليس او مدينـة المستقبل » رمى فيهِ صانعهُ الى تصوير الحضارة الصناعية على ما تكون عليهِ في رأيهِ في آخر هذا القرن .فاذا مباني هذه المدينة صروح ممردة تتضاءل امامها ناطحات السحاب . واذا طرق المواصلات بين مختلف المباني طيارات صغيرة تعجُّ بين ابراج المدينة كما تعجُّ شوارع المدن المزدحمة بالسيارات . واذا الشوارع كبارٍ معلقة تصل بين طبقات المباني كما تصل الكباري الاميركية بين ضفاف الانهر . واذا المدينة الصناعية كلها بعمالها وآلاتها

ملك رجل واحد يديرها كما يشاءُ ولا يحتاج في ذلك الى اكثر من ضغط على ازرار كهربائية في الغالب . واذا العمال اجزاءٌ من الآلات اوهم واجزاءُ الآلات في مستوى واحد . واذا ابناءُ الاغنياء من اصحاب المعامل ومديريها وبناتهم يلهون ويعبثون بالحياة في حدائق معلقة تزري بحدائق بابل لولا هذه المسحة الصناعية التي تبدو في كل مشاهدها . واذا المدينة كلها آلة كبيرة اجزاؤها هذه المباني والطيارات والماكينات والشوارع والمديرون والعمال يشملها نظام ميكانيكي كانهُ نظام الافلاك في دورانها دقة وصرامة

هذه هي اهم العناصر التي تتألف منها الرواية وهي تدور على مسألة النزاع بين العمال والمتمول صاحب العمل وامكان التوفيق بين الفريقين . وسواءٌ اتفقنا مع المؤلف على صحة الصورة التي رسمها للحضارة الصناعية في آخر القرن العشرين اوخالفناهُ فلا ريب في اننا نوافقهُ على ان العلم آخذ في الارتقاء ارتقاءً سريعاً يتعذر معهُ التكهن بما يأتي بهِ الغد . وقد لا يكون بعيداً عن الاحتمال تحقيق ما جاءَ في هذه الصورة من الوجهة العلمية اذا لم يتحقق كل ما جاءَ فيها من الوجهة الاجتماعية

وقد اطلعنا مؤخراً على كتاب نفيس للكاتب الانكليزي الشهير السر فيليب جبس عنوانهُ «ما بعد غدٍ» نظر فيهِ الى مستقبل العمران نظرات يؤيدها العلم ويجنحها الخيال ثم رسم صورة للحضارة في المستقبل القريب اذا ظلَّ العلم يرتقي كما ارتقى في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وما مرَّ من القرن العشرين . وسننشر في اجزاءِ المقتطف التالية مقتطفات من فصول هذا الكتاب العلمية لما تحويهِ من الفائدة والفكاهة

آثار دندره ببلاد اليونان

بعث المستر وايس رسالة الى جريدة التيمس وصف فيها مكتشفات الاستاذ برسن الاسوجي في دندره ببلاد اليونان . فقد اكتشفت البعثة الاسوجية التي يديرها هذا الاستاذ مقبرة تحتوي على مدافن منقوشة في الصخر مدفنان منها يعود عهدها الى اواخر القرن الرابع عشر قبل المسيح وعلى مقربة منها مدفن ثالث كبير يدخل اليهِ في ممرّ منقوش في الصخر طولهُ ٦٠ قدماً وعرضهُ ست اقدام وجدوا امام بابهِ رجمة من الحجارة عثروا تحتها على هيكل عظمي لفتاة مع دبوس من البرونز ومغزل وحلي كثيرة كانت مغشاة بالذهب . ووجدوا داخل المدفن مجموعة تحتوي على ٣٣ اداة من البرونز منها سبع زهريات وسبع كؤوس وخمسة مصابيح وسيف

وسكينان وموسيان ورمح صيّاد وعلى كثير من هذه الادوات رسوم هندسية دقيقة ونقوش ازهار بديعة. ويستدل من الآنية الخزفية التي وجدت في هذا المدفن ان تاريخهُ يعود الى سنة ١٣٠٠ ق.م. ولم يعثر فيهِ على آثار للانسان ويرى الاستاذ برسن انهُ شيد ضريحاً لتخليد ذكر زعيم كبير كضريح الجندي المجهول الذي اقيم في لندن مثلاً وهذا يتفق مع ما هو معروف عن عادات اهل ميسيني في دفن الكبراء على ما هو مذكور في اشعار هوميروس

نور يخترق الضباب

يشتغل علماءُ الشركة الكهربائية الاميركية العامة باتقان مصباح من الكوارتز يحتوي على غاز النيون الذي ينير نوراً قرمزيًّا يقال انهُ يخترق الضباب. وقد امتحن فوفى بالغرض ذلك ان ضباباً كثيفاً كان يغشى احدى مباني الشركة في صباح احد الايام حتى لا تستطاع رؤيتها على بعد خمسمائة متر فانير هذا المصباح ففرى نوره الضباب الى مسافة نصف ميل وظهرت البناية واضحة. ولا ريب في انهُ متى أتقن اصبح من الزم معدات الطيارين واكثرها فائدة لان الضباب الدّ اعدائهم كما يظهر من الرحلات الجوية التي نشرنا انباءَها في اجزاء المقتطف السابقة

معاهد الزلازل

كثرت في الاسابيع الاخيرة انباءُ الزلازل في غرب آسيا الصغرى كزلزلة ازمير وبلاد البلقان كزلزلة بلغاريا. وقد اطلعنا في مجلة السينتفك اميركان على بيان لاشهر مناطق الزلازل ومتوسط ما يحدث فيها من الزلازل كل سنة ونسبة الزلازل الشديدة الى هذا المتوسط ونسبتها الى كل الزلازل التي تحدث في انحاءِ الارض. فرأينا ان نثبتهُ فيما يلي

اسماء اشهر البلدان التي تنتابها الزلازل	المتوسط السنوي	نسبة الزلازل الشديدة الى هذا المتوسط في المئة	نسبة الزلازل الشديدة الى مجموع الزلازل في المئة
شيلي والبحر غربها	١٠٠٠	٤٫٥	٢١٫٠٠
اليابان والبحر حولها	٤٣١	٥٫٠٠	٩٫٠٠
شرق افريقية	٣٠٠	٣٫٠٠	٦٫٠٠
شرق الادرياتيكي	١٩٤	٩٫٠٠	٤٫١
جبال الابنين	١٨٤	٣٫٦	٣٫٩
جبال تراقية وبلغاريا	١٦٩	٤٫٢	٣٫٦
اليونان وبحر ايجه	١٤٥	٢٫٠	٣٫١
جزائر فيلبين والبحر حولها	١٤١	٢٫٠	٣٫٠
كالابريا وشمال صقلية الشرقي	١١٦	٢٫٦	٢٫٤
جنوب شرق الالب	١٠٢	٢٫٠	٢٫٢
بلاد المكسيك	٩٨	٢٫٠	٢٫١
جواتيمالا	٩١	٠٫٧	١٫٩
كاليفورنيا	٨١	٠٫٨	١٫٧

اكبر البلونات للطيران التجاري

يبنى الآن في انكلترا بلون يكون طوله متى تمَّ بناؤه ٧٠٩ اقدام وقطره الاطول ١٣٣ قدماً ومساحة القماش الذي يلزم لتغطية هيكله المعدني ٢٢٥٠٠٠ قدم مربعة وهذا الهيكل مبني من انابيب الدورالومن وهو معدن متين خفيف الوزن . ويسيّر البالون ستة محركات رولزرويس قوة كل منها ٦٥٠ حصاناً عدا محركات اخرى صغيرة . وفي وسطه تبنى مخادع للركاب والعمال الذين يدبرون شؤونهم في ثلاث طبقات وهذه المخادع تسع مائة راكب وامتعتهم واربعين عاملا وكل ما يلزم لهم من وسائل الراحة والرفاهة. وغرفة الطعام تسع ٥٠ مسافراً في آن واحد

ويبنى في فريدريخهافن على بحيرة كونستانس بالمانيا بلون طوله ٧٦٣ قدماً وقطره الاطول ٩٧ قدماً وسرعته تتباين من ٦٢ ميلاً في الساعة الى ٨٠ ميلا ويستطيع ان يطير نحو ٦٢٥٠ ميلا في رحلة واحدة وفيه متسع لعشرين مسافراً و٢٦عاملاً ولمقدار كبير من البريد والبضائع ومحركاته خمسة قوة كل منها ٥٣٠ حصاناً والقصد من هذا البلون السفر من المانيا الى اميركا في الصيف القادم وينتظر ان يتم في يونيو المقبل

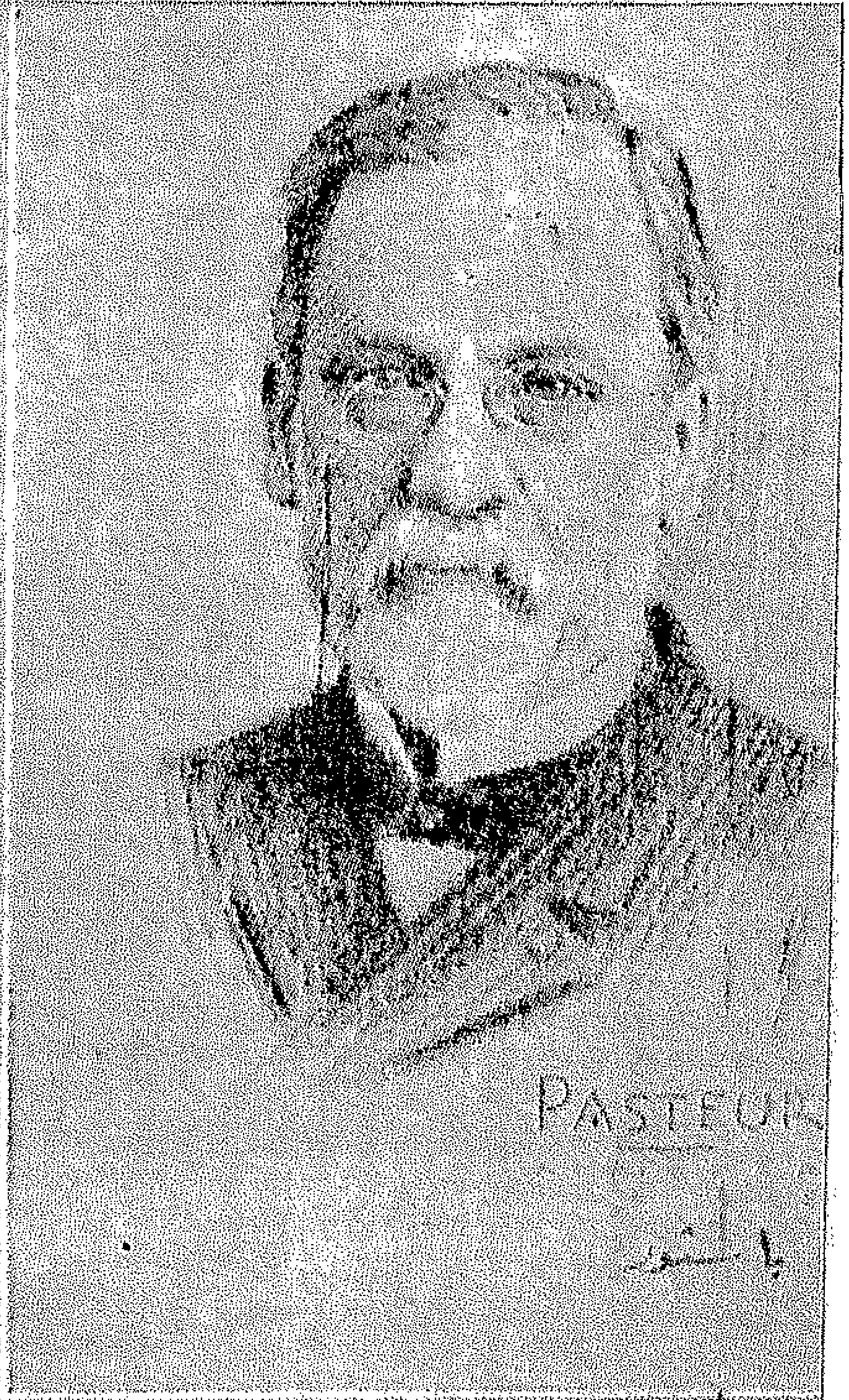
المطاط (الكاوتشوك) من الارض

جاء في بيان نشرته مصلحة المساحة البيولوجية في الحكومة الاميركية انهم عثروا في قاع بحيرة الملح الكبيرة باوتاه على مصدر من اغنى مصادر المطاط في العالم. ذلك انهم حفروا اباراً يتراوح عمق البئر منها بين ١٢٠ قدماً و ١٤٠ قدماً وقطرها نحو ست اقدام فوجدت ارض مساحتها نحو الفي فدان فيها رسوب قيري اسود اللون لزج القوام يحتوي على ٩٩ وتسعة اعشار في المائة من زيت الكبريت المركز الذي تكوَّن منه انحلال اجسام الحيوانات في كهوف من الصلصال

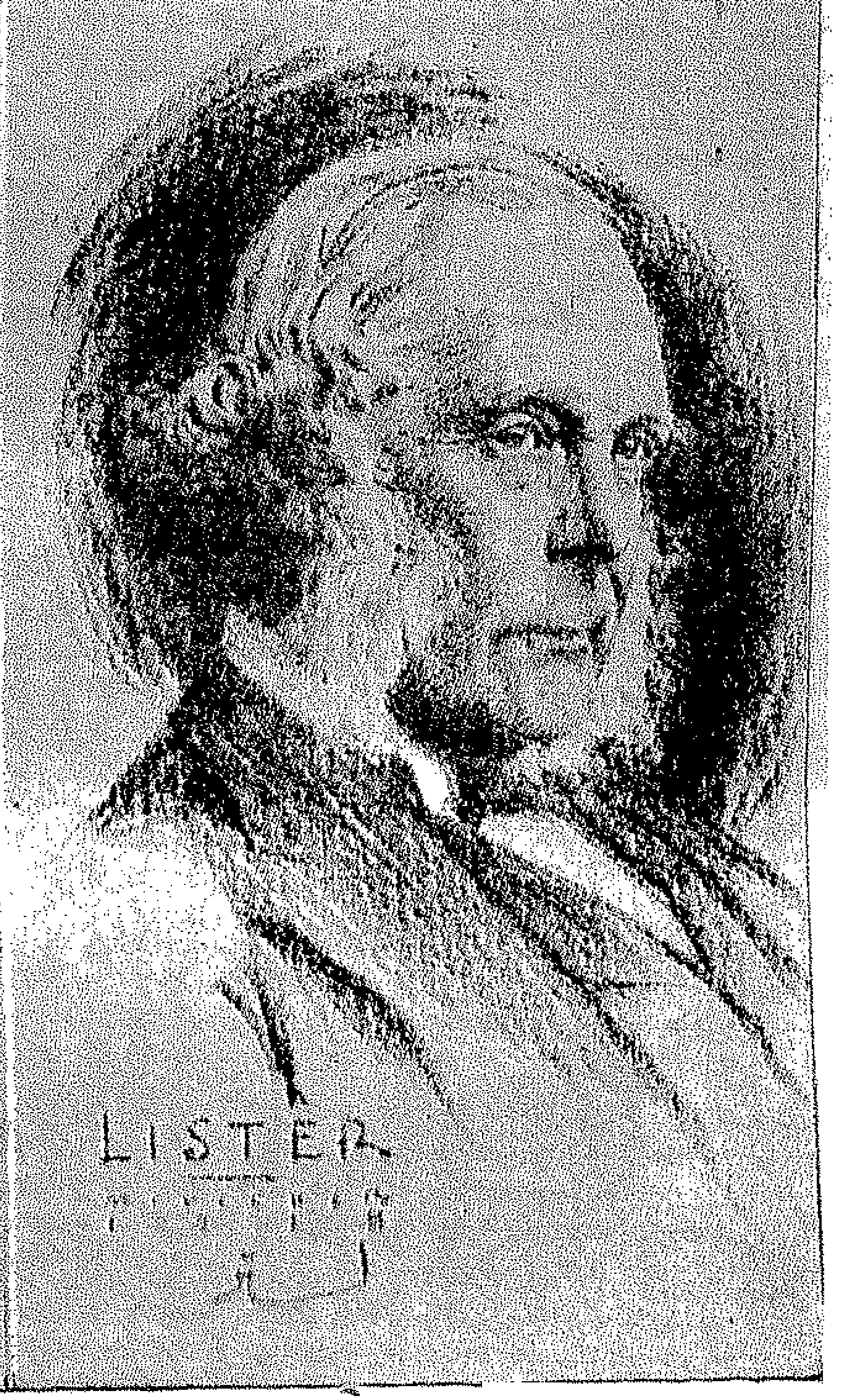
وهذا القير ينقى من شوائبه ويمزج ببقايا المطاط فتصنع منه كل الادوات التي تصنع عادة من المطاط المقسّى ومع انه لا يوازي المطاط الجديد في صنع اطارات السيارات فهو يفوق كل مادة صنعت حتى الآن لتحل محل المطاط الطبيعي .

ويوجد مثل هذه الرواسب القيرية في جنوب اميركا ولكن قيرها تشوبه شوائب كثيرة فنقاوته تتراوح بين ٣٩ في المائة و٤٤ في المائة. واما قير اوتاه فيكاد يكون نقياً كل النقاوة

الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين









اربعة من اركان الطب الحديث

مقتطف يونيو ١٩٢٨ ـ انظر صفحة ٦٢٥

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والسبعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٦

كلمات للدكتور صروف

فضائل الحرب والسلم

الفضائل التي يدعي اهل الحرب ان الحرب توجدها او تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت — كل هذه وغيرها ليست اعظم من الفضائل التي يوجدها السلم. فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة اوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال لان الانسان يكون مدفوعاً في الاول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة النزق والطيش. وليس احد يقول ان الجنون خير من العقل. ورواد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة ويعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون اعمارهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال. والعالِم الذي يحاول حل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال قاضياً ليلهُ ونهارهُ في البحث والتنقيب والتجربة والاختبار صابراً على فشل امانيهِ مرة وخيبة مساعيهِ اخرى لأرفع مقاماً وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان. فذانك الاسكندر وارسطو ونابليون الاول وباستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد

اعظم الجسور المعلقة

صورة غلاف المقتطف

كان الاقدمون يفاخرون بمبانيهم العظيمة كالهرم الكبير ومنارة الاسكندرية وصنم رودس . ترى ماذا يقولون اذا زاروا مدينة نيويورك وشاهدوا ناطحات سحابها وجسورها (كباريها) المعلقة ففي بناء برج واحد من برجي جسر الهدسن الجديد ما يفوق هذه العجائب الثلاث معاً

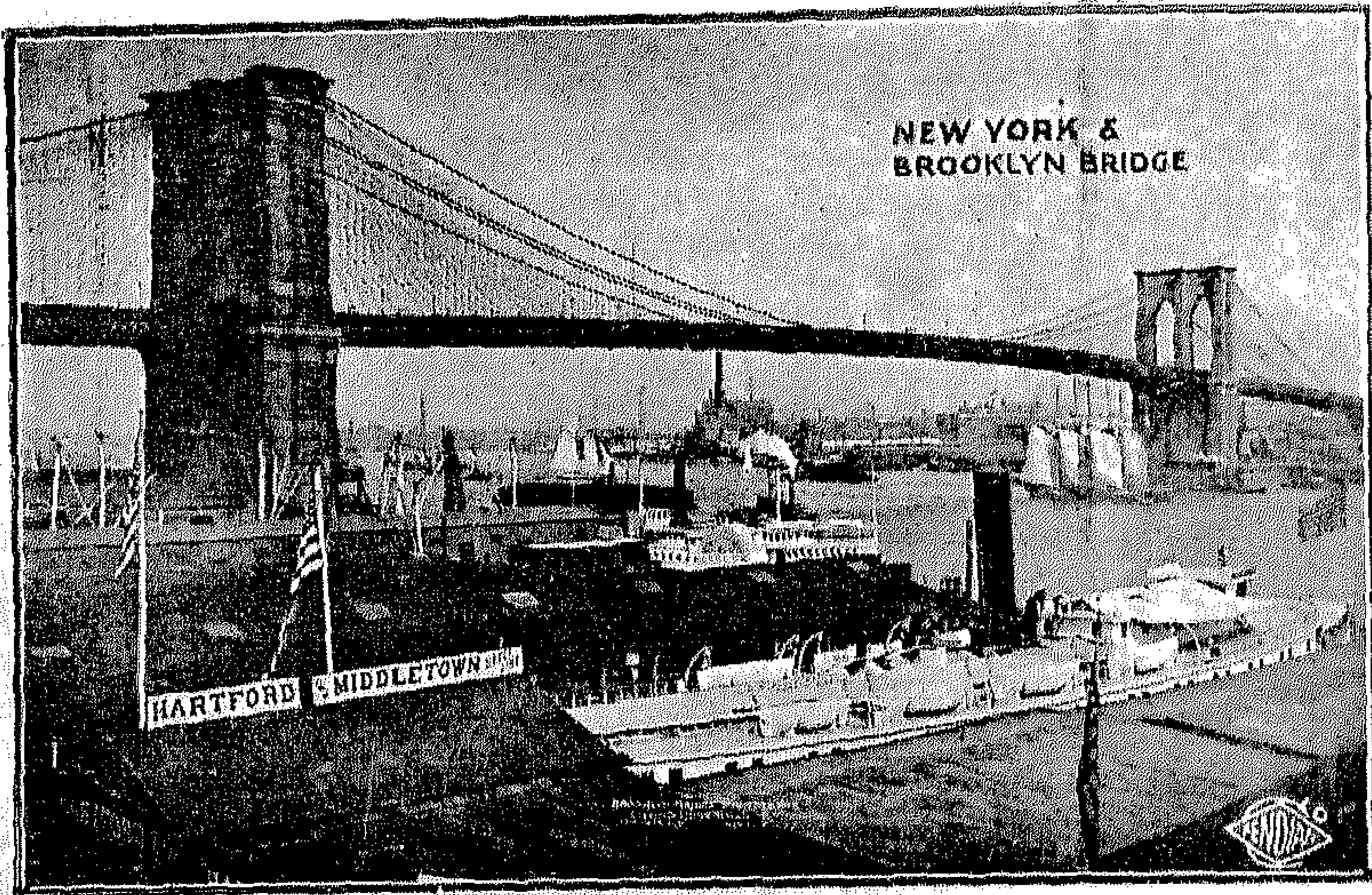
ان بناء المباني الشاهقة المعروفة بناطحات السحاب فن اميركي وضع الاميركيون اصولهُ وقواعدهُ العملية واوصلوهُ الى مرتبة عليا من الاتقان والكمال . دعت اليه الضرورة — ازدحام السكان — فلبت دعوتها عقول مبتكرة تدربت على العمل بالعلم واغنياء ذوو نظر بعيد لا يضنون بالمال ينفق في تجربة الجديد لانهُ مخالف للقديم المألوف . وهم ينظرون الى هذه المباني الشامخة نظرة الاعجاب الشديد لانها تمثل اقرب الامور الى نفوسهم وادعاها الى فخرهم — نعني المبادئ التي تقوم عليها حضارتهم العملية

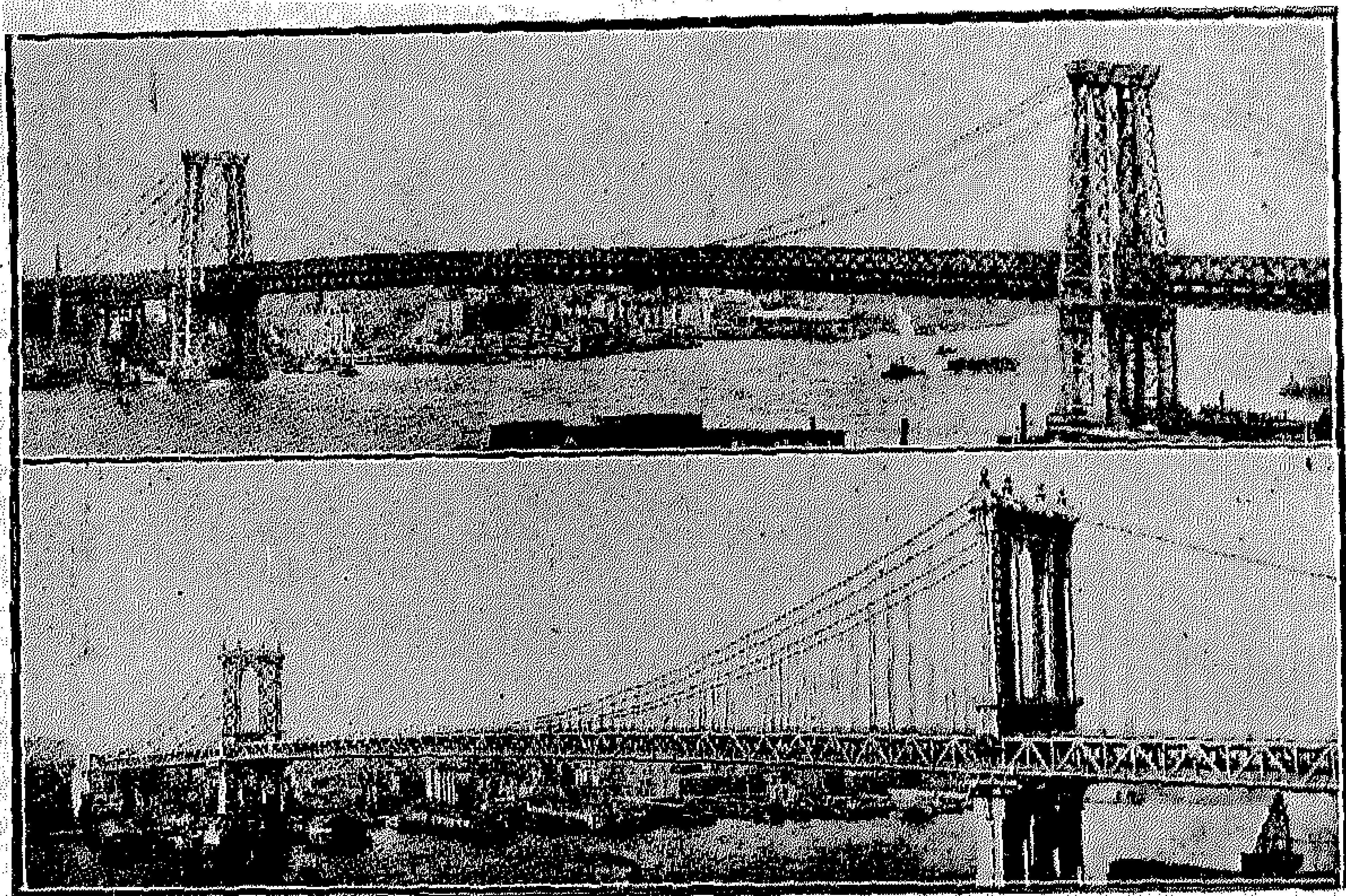
وما يقال عن ناطحات السحاب في نيويورك يقال عن جسورها المعلقة . فقد جمعت بين الضخامة والاناقة والفائدة العملية جمعاً يجعلها فوزاً باهراً للعلم وآية من آيات الفن

واشهر هذه الجسور على الاطلاق هو جسر بروكلن المعلق لانهُ اقدمها واول جسر معلق كبير في التاريخ شرع في بنائهِ سنة ١٨٧٠ وفتح للمواصلات سنة ١٨٨٣ بعد ما انفق على بنائهِ ثلاثة ملايين من الجنيهات ثم رمّم واصلح فانفق عليهِ مليون وربع مليون من الجنيهات . ولما فتح للمواصلات دعي « الكبري العظيم » وحسب من عجائب الدنيا لان المسافة بين برجيهِ ١٥٩٥ قدماً وطولهُ ٦٠١٦ قدماً وعلو كل من برجيهِ ٢٧٨ قدماً وارتفاعهُ عند وسطهِ عن سطح الماء ١٣٥ قدماً وعرضهُ ٨٥ قدماً

ولكن الاميركيين لم يكتفوا بهذا الفوز العظيم في هندسة الجسور . فبنوا جسوراً اطول من جسر بروكلن واضخم منها جسر وليمزبرج الذي يبلغ طولهُ ٧٢٠٠ قدم وعرضهُ ١١٨ قدماً وعلو كل من برجيهِ ٣٣٥ قدماً والمسافة بينهما ١٦٠٠ قدم وارتفاعهُ عند وسطهِ عن سطح الماء ١٣٥ قدماً وعليهِ متسع لاربعة خطوط ترامواي وطريقين للسيارات وطريقين للمارّة . وبلغت نفقاتهُ اربعة ملايين وستمائة الف جنيه

وقلما يستعمل جسر بروكلن الآن لانهُ ليس من المتانة بحيث تكون حياة الذين





ثلاثة من اعظم جسور نيويورك المعلقة

الاعلى : جسر بركلن . المتوسط جسر وليمزبرج : الاسفل جسر منهتان

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦١٠

يسيرون عليهِ في مأمن من الخطر . ونظن ان الاميركيين لم يبقوهُ الاَّ مفاخرة بهِ . ولعلَّهم يفككونهُ بعد ما يحتفلون بعيدهِ الذهبي ويبنون آخر مكانهُ

على ان النوابغ من رجال الاعمال لا يقفون عند حدٍّ من الاتقان والكمال ويحسبون كل فوز يحرزونهُ في عمل من الاعمال مرتبة يرقون عليها الى ما فوقها. لذلك نرى الاميركيين الآن منهمكين ببناءِ جسر معلق جديد فوق نهر الهدصن — وهو النهر الذي تعذر بناءُ الكباري فوقهُ قبلاً لاتساعهِ — وقد نشرنا صورتهُ بالالوان على غلاف المقتطف هذا الشهر . ومتى تمَّ حسب من عجائب الدنيا كما يستدل القارئ من الحقائق التالية :

ينتظر ان يتمّ بناءُ هذا الجسر سنة ١٩٣٢ فيكون فيهِ ثمانية طرق للسيارات والتراموايات في دورين وطريقان للمارَّة . والمسافة بين برجيهِ ٣٥٠٠ قدم وهي ضعفا المسافة بين برجي جسر نهر الدلاوار اطول الجسور المعلقة التي بنيت حتى الآن. وعلو كل من هذين البرجين ٦٥٠ قدماً فلا يفوقها في ارتفاعها سوى برج ايفل وبناية ولورث وثلاث بنايات او اربع من ناطحات السحاب وهما مبنيان بالصلب والسمنت المسلح والغرانيت وفي كل منهما من الصلب ما زنتهُ عشرون الف طن فيكفي لبناء بنايتين متوسطتين من ناطحات السحاب

اما الاسلاك التي تمتد من الطرف الواحد الى الطرف الآخر مارة فوق البرجين وعليها المعوَّل في بناءِ الجسر لانهُ معلق بها فاربعة حبال ضخمة من السلك الفولاذي المتين كل حبل منها قطرهُ ٣٦ بوصة او نحو ثلاث اذرع وطولهُ نحو خمسة آلاف قدم ووزنهُ نحو ٧ آلاف طن . ولكي يكون الحبل على اعظم جانب من المتانة جُعل مؤلفاً من ٢٦٤٨٤ سلكاً دقيقاً ثخانة كل سلك منها $\frac{٣}{١٦}$ من البوصة او ثخانة قلم رصاص عادي. وعلى جانب كلٍّ من البرجين تقام طابية ضخمة تربط بها هذه الحبال ربطاً محكماً. فالطابية التي اقيمت من جانب برج نيويورك بنيت بالصلب ومساحتها فدان مربع. والطابية التي من جانب برج نيوجرزي بنيت من الصلب ايضاً في اقبية منحوتة في الصخر الاصمّ وتبلغ نفقاته كلها متى تمَّ بناؤهُ نحو ستة ملايين من الجنيهات

حقًّا ان مباني كل شعب تمثل ما في نفوس ابنائهِ من نزعات وغايات. ولا ريب ان «نواطح السحاب» و« الجسور المعلقة » دليلٌ بليغ على ان الاميركيين آخذون بقول فيلسوفهم « امرسن» حيث يقول — « أَنِطْ مركبتك بالنجم» او على قول المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

أحروب طاحنة ام تحديد للنسل ؟

هل زيادة السكان تؤيد حق امة في طلب التوسع

موقف العلم والحضارة بين الرأيين

اذا زاد عدد السكان في بلد من البلدان زاد عمرانهُ ولكن الى حدٍّ ما . لان كثرة الناس في البلاد تؤدي الى اتساع نطاق العمل والعناية باستنباط ثروة الارض ورفع مستوى المعيشة . لذلك تعنى الحكومات التي تحكم بلداناً مترامية الاطراف قليلة السكان بدعوة الناس الى الهجرة اليها وترغيبهم في ذلك . ولكن لا يلبث ازدحام السكان ان يبلغ حدًّا تصبح الزيادة بعدهُ خطراً على البلاد . لانها تخفض مستوى المعيشة بدلاً من ان ترفعهُ . ويكثر طلاّب العمل حتى يزيدوا على ما تتسع لهُ المعامل والمتاجر . فترتع بينهم مبادئ الشيوعيين والفوضويين ويكون المرتع خصباً

وقد يتعذر تعيين هذا الحدّ الفاصل بين الحالين . لانهُ يختلف باختلاف البلدان وما بلغتهُ من الرقي الصناعي والتجاري والزراعي . فبلاد في عرف الكنديين تحسب غاصة بالسكان يحسبها الصينيون قليلتهم لان هؤلاء تعودوا ان يروا ٤٠٠ نفس او اكثر مزدحمين في بقعة من الارض مساحتها ميل مربع او اقل

ورغماً عن ذلك اجمع علماء الاجتماع والاقتصاد على وجود هذا الحدّ في احوال معينة فيبلغ عدد السكان عندهُ مبلغاً يمكنهم من التمتع بارقى وسائل العمران واعلى مستوًى اقتصادي في معايشهم . وهذا العدد يتغير في كل بلاد بتقدم الحضارة فيها . فلو ان سكان الولايات المتحدة الاميركية كانوا منذ مائة سنة ١١٧ مليوناً — كما هم الآن — لما كان ملاك الثروة والرخاء مرفرفاً فوقهم كما هو مرفرف الآن. وبلجيكا التي تكاد تغص بسكانها اكثر رخاءً من بلاد فارس . مع ان ٦٥٩ نفساً من سكان الاولى يقطنون في ما مساحتهُ ميل مربع واحد من الارض يقابلهم ١٦ في الثانية

فاذا كانت البلدان المزدحمة بالسكان غير منتظمة انتظاماً اقتصاديًّا دقيقاً وعرضة في كل آن لانقلابات سياسية خطيرة لم يشعر الشعب شعوراً عامًّا بازدحامهِ ووجوب توسعهِ . لانهُ لا يجد متسعاً كافياً من الوقت للانصراف الى العمل والوقوف على ان نطاقِ العمل في بلادهِ لا يتسع لجميع افراد الامة لكثرتهم . فاذا انتظمت هذه البلدان

وامتدَّ فوق ربوعها رواق السلام والطمأنينة ادرك افراد الشعب ان الارض لا تتسع لهم ليجنوا من عملهم فيها ما يؤهلهم لمكانة بين الشعوب كمكانة جاراتهم فينظروا نظرة الطمع الى البلدان التي يمكن ان تكون منفذاً لهم

ايطاليا واليابان

والمملكة الايطالية اشهر مثل على هذه الحالة الاخيرة في اوربا . ففي ايطاليا شعب عدده ٤٢ مليوناً يقطنون بلاداً مساحتها ١٧٨ الف ميل مربع اي بمتوسط ٣٢٧ نفساً لكل ميل مربع . فازدحام السكان في ايطاليا يبلغ نحو نصف ازدحامه في بلاد البلجيك . ولكن انتظام ايطاليا الاقتصادي وارتقاءها من هذه الناحية لا يقاسان بانتظام بلجيكا وارتقائها. وسكان ايطاليا يزيدون ٤٠٠ الف نفس كل سنة. فعلى مرافق ايطاليا الصناعية ونظامها الاقتصادي ان يرتقيا ارتقاءً سريعاً اذا شاءت الحكومة الايطالية ان تحفظ مستوى المعيشة في بلادها على ما هو الآن وان تجد عملاً لابنائها الذين يزيدون كل سنة على ما تقدم . ولما كانت لا تملك في بلادها مناجم غنية بالفحم والحديد ومنابع للنفط وغيرها من موارد الثروة الطبيعية فان ارتقاءً كهذا ليس في حيز المحتمل. ومهما بلغ من سهر الحكومة الايطالية على تنظيم صناعاتها ومرافقها فلا يمكنها بحال من الاحوال ان تبلغها درجة من السعة والرقي تكفي زيادة السكان السنوية

فلما وجدت ايطاليا نفسها تكاد تنفجر من كثرة السكان طلبت ارضاً تجعلها منفذاً للملايين من ابنائها وقد قال السنيور موسوليني في ذلك «يجب على ايطاليا ان تتوسع والا انفجرت » ولعل هـذه الفكرة هي اقوى العوامل التي تكيف سياسة ايطاليا الخارجية المتصفة بالقوة والعدوان لانها تقنع الايطاليين بعدالة مطالبهم للتوسع في البلدان المجاورة لهم كالبانيا التي لا يقطن في الميل المربع منها الاّ ٤٨ شخصاً ويوغسلافيا التي اصبحت تخشى على بعض شواطئها المحاذية للبحر الادرياتيكي من اتساع النفوذ الايطالي. حتى فرنسا نفسها لم تسلم من وعيد «الدوتشي» باسترجاع نيس وسافوي عنوةً . وقراء الصحف يذكرون ان تركيا الكمالية اصبحت ذات يوم وهي على قدم الاستعداد للحرب لتدفع عن بلادها هجوم الجيوش الايطالية

وفي الجهة المقابلة لايطاليا ، في الشرق الاقصى، دولة فتية قوية ترى نفسها في حالة تشبه حالة ايطاليا الآن من حيث زيادة السكان وطلب التوسع — نريد بها دولة اليابان فسكان اليابان يبلغون ستين مليوناً يقطنون ارضاً مساحتها ١٤٨٧٥٦ ميلا مربعاً

اي بمتوسط ٤٠٠ نفس للميل المربع الواحد . وسكان اليابان يزيدون ٦٠٠ الف نفس كل سنة ومستوى المعيشة فيها على ما هومعروف اقل منهُ في ايطاليا . وحكومتها نفسها تتذرع بهذه الحجة لطلب التوسع وللاعتراض على مساعي الاميركيين والاستراليين والكنديين لمنع اليابانيين الاستيطان في بلادهم

يقول اليابانيون : ان في هذه البلدان — اميركا واستراليا وكندا — ملايين من الفدادين يمكن ان يقطنها ملايين من الناس ويعيشوا فيها عيشة ثراء ورخاء ولكن البيض لا يستعملونها ويمنعوننا من الدخول اليها . فاليابان وايطاليا متفقتان على ان كل بلاد يزداد عدد سكانها حتى لا تسعهم يحق لها ان تطلب التوسع والاستعمار لتمهد لهم بلاداً يهاجرون اليها. فايطاليا تحاول ان تقنع بعض الدول الاوربية ان يتنازلوا لها عن بعض مستعمراتهم الافريقية وفي الوقت نفسهِ شرعت تبسط نفوذها السياسي والاقتصادي على البلدان المجاورة لها . واليابان تتوسع في اقامة الدليل على صحة نظرها وتجعل من البرهان محوراً للخلاف بين الشعوب البيضاء والشعوب الملونة (اي الصفراء وغيرها) وتقول ان الشعوب الملونة مهددة بمجاعة عظيمة اذا لم يهاجر ابناؤها الى بلدان يستطيعون ان يطلبوا الرزق فيها

نتيجة التوسع المبني على كثرة المواليد

ويُرَدُّ على قول اليابان بان اكثر البلدان المرغوب فيها للتوسع والاستعمار هي في حيازة احدى الدول الآن وان لابناء هذه الدول في هذه البلدان حقوقاً ومصالح لا بدَّ من المدافعة عنها ولو لم تكن مزدحمة بالسكان ازدحام اليابان او الصين او ايطاليا. فمطالبة هذه الدول بان تخلي بعض هذه البلدان بعدما انفقت فيها بدرات من الاموال وبعد ما هاجر اليها الوف من ابناء الامم التي استعمرتها امر خارج عن نطاق السياسة العملية

اضف الى ذلك ان ابناء البلدان غير المزدحمة بالسكان لا يقرّون بعدل المذهب القائل ان البلدان الغاصة بالسكان يحق لها طلب التوسع لمجرد انها مزدحمة لان هذا المذهب عرضة للنقد الشديد وقد تنتج عن تطبيقهِ نتائج اقتصادية وسياسية خطيرة . ذلك انهُ اذا كان يحق لليابان ان تبغي التوسع متى زاد عدد سكانها حتى ضاقت بلادها بهم فلها الحق اذاً ان تطلب التوسع في بلدان اخرى متى ازدحم ابناؤها في البلدان التي تستولي عليها . فاذا استمرَّ الامر كذلك من غير رادع اصطدمت اليابان يوماً ما بامة اكثر عدداً واوفر ولداً منها. ولنفرض انها توسعت في بلدان اسيا الشمالية فلا بدَّ

ان يأتي يوم تصطدم فيهِ بالصينيين او الهنود وهم كما تعلم اوفر الشعوب ولداً . فعليها حينئذٍ ان تزيد متوسط المواليد السنوي في شعبها حتى تتفوق عليهم او ان تتراجع تاركةً الارض للشعب الذي يفوقها في كثرة العدد ووفرة الولد

هذا هو القياس النهائي لصحة هذا المذهب . انهُ يعني ان حق شعب من الشعوب في الحياة والتقدم مرهون بعدد مواليدهِ . اما مآثرهُ في العلم وأما آياتهُ في الفن واما تعاليمهُ الدينية والفلسفية فلا عبرة بها ولا قيمة لها ! فاذا تمَّ لهذا الشعب ما تمنى وجرَّد نساءهُ عن كل معنى روحي نبيل وجعلهنَّ وسائل للتوليد لا غير وملأ الارض بابنائهِ — ماذا يفعل حينئذٍ ? أيحدّد عدد مواليدهِ فيتجرَّد بذلك عن الصفة الواحدة التي بنى عليها حقهُ في الحياة ?

لكن بعض علماء الاقتصاد وعلى رأسهم مالتوس واتباعهُ يقولون ان الامراض والمجاعات والحروب تقف حدوداً دون تحقيق هذا المذهب على الوجه الذي ذكرنا . فان كل عمل تعملهُ الامم التي تؤمن بهذا الرأي لتحقيق رأيها لا بدَّ ان يلقى مقاومة شديدة اي لا بدَّ ان تقف الحرب في وجههِ سدًّا منيعاً فاذا فازت في المعترك وتمكنت من التوسع على ما تريد وسار ابناؤها في جميع الاقطار لكثرتهم لا يلبثون ان ينازع بعضهم بعضاً في طلب القوت . فالسعي لتحقيق هذا الرأي يهدّد العمران الشرقي والغربي باخطار جسيمة ولا بدَّ من البحث عن سياسة اخرى تشمل جميع الامم . اذ لا يستتب السلام بينها حتى تجري كل حكومة على مبدإٍ تحديد النسل فلا يزيد عدد المواليد عما تستطيع الارض ان تحضنهُ منها

هل المسألة جنسية ?

فيقول اليابانيون : بعد ما سيطر الجنس الابيض على اميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وافريقية اخذوا يقولون : لتحتفظ كل امة بما تملكهُ الآن . ونحن لا نرى وجهاً للعدل في ذلك . فالشعوب والاجناس متساوية كلها والاجناس الصفراء يحق لها ان تملك من الارض ما يتناسب مع عدد سكانها بالنسبة الى الامم البيضاء

فيجيبهم انصار المذهب المعارض : هذه هي حجتكم الاولى . فكانكم تقولون ان كل شعب يحق لهُ ان يسيطر على مساحة من سطح الكرة تتناسب مع عدد مواليدهِ . فاذا كان اتفاق من الاتفاقات الدولية يحتوي على شيءٍ من عدم الانصاف فعدم الانصاف هذا يزيد اذا حاولنا اصلاح هذا الاتفاق بواسطة الحرب . فوجوه الظلم وعدم الانصاف

يمكن اصلاحها وازالتها رويداً رويداً ولكن طلب التوسع والحرب يخلقان دائماً اسباباً جديدة للشكوى والتظلم

هذا اذا سلمنا ان هناك وجهاً للشكوى. ولكن هل هناك وجه للشكوى والتظلم — لاحق بالامم الصفراء ؟ اذا ازلنا ما تشكو منهُ الصين من سيطرة الامم الاوربية واليابان عليها — وهذا زائل يوماً ما — فمَ تشكو الامم الصفراء ؟ اتشكو من سيطرة الشعب الابيض على اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وافريقية واستراليا ؟ فلقد كان للصين والهند حضارة زاهية زاهرة منذ ثلاثة آلاف سنة وكان لليابان عمران قديم يعود الى الفين وخمسمائة سنة . اما الحضارة الاوربية الحديثة فلم ينقض عليها اكثر من الف سنة .ففي القرون التي كانت فيها اوربا تتسكع في ظلام الهمجية والجهل والفوضى هل سعى ابناء الجنس الاصفر للسيطرة على هاتهِ القارات ورفع لواء الحضارة — حضارتهِ — فوق ربوعها؟ ولولا الشعب الابيض من يدري اي زمن كان انقضى قبلما تمكن الهنود والصينيون واليابانيون من الاتصال بهذه البلدان ؟ واذا اصبح العالم غداً وقد نسي كل ما استنبطهُ واكتشفهُ الجنس الابيض عن بناء السفن وتسييرها فكم يمضي من الوقت على اهل اليابان والصين والهند قبلما يتمكنون من الاتصال بهذه القارات واستعمالها كمنفذٍ لشعوبهم المزدحمة

زيادة السكان ومصير الحضارة

فالشعب الابيض الذي نشأ في اواسط آسيا واستوطن غرب اوربا صرف همهُ للسيطرة على عناصر الطبيعة واخضاعها لمطالبهِ . ففاز بشيء من ذلك واخذ يبني عليهِ حضارتهُ .ولم يلبث ان صحت لديهِ حقيقة اساسية: ذلك ان حضارة لا تفسح مجال التقدم لكل فرد من افراد المجتمع لهي حضارة غير ثابتة الاساس مقضي عليها بالخذلان. وان هذا المجال لا يتسع ما زال شبح الجوع والمرض والموت محوماً فوق البيوت .فالاساس الاول الذي تقوم عليهِ الحضارة الغربية هو استقلال الفرد وحسن حالتهِ الاقتصادية

ولكي يحقق هذه الامنية اخضع ابناؤه قوى الطبيعة لمطالبهم فتمكنوا من جوب البحار والاتصال بقارات مجهولة واستنباط ما فيها من الثروة المطمورة ولاول مرة في التاريخ تمكن جانب من النوع البشري من رفع مستوى معيشتهِ الى درجة مكنتهُ من طلب غايات الحياة العليا . فلما وصل الى هذه الدرجة من الرقي وجد نفسهُ مثاراً لغيرة غيرهِ من الشعوب الذين كانوا قد صرفوا هممهم الى امور اخرى. وجاءت هذه الشعوب تطالبهُ بحقها في الاستمتاع بثمرة جهودهِ . مع ان الزمن الذي قضاهُ الاوربيون في ردم

المستنقعات وريّ الصحارى واستثمار خيرات الارض والسيطرة على قوى الهواء والماء قضتهُ الشعوب الاخرى صارفة همها الى زيادة مواليدها. فكانت النتيجة ان حالة الفرد الاقتصادية في الحضارة الاوروبية ما زالت في ارتفاع لقلة السكان وزيادة المنتج وحالة الفرد الاقتصادية في الحضارات الاخرى ما زالت في انخفاض وانحطاط لزيادة السكان وقلة المنتج من خيرات الطبيعة والارض. ومع ذلك فهذه الشعوب تقول نطلب المساواة ويجب ان نقتسم الارض التي كشفتموها

والردّ على ذلك قائم على ان خير الحضارة لا يقضي باملاء الارض القليلة السكان بالملايين الذين لا يجدون متسعاً لهم في بلادهم. بل يقضي بتحديد النسل في هذه البلدان الى درجة يتمكن عندها العلم والحضارة من جعل كل فرد من افراد هذه الشعوب يتمتع باعلى مستوى اقتصادي لا مندوحة عنهُ كركن من اركان الحضارة العالمية المقبلة

ولا يعني هذا الحلّ ان اليابان يجب ان تواجه مجاعة عامة في بلادها اذا لم تتمكن من التوسع . فها هوذا شعبها يزداد كل سنة بمتوسط ١٤ في الالف من غير ان يواجه مجاعة في بلاده المزدحمة بالسكان .فاذا زاد عدد المواليد عن هذه النسبة ازداد ازدحام السكان واشتدت مزاحمتهم على موارد الرزق وحينئذٍ تواجه اليابان خطر مجاعة عامة . فالامر الذي يجب ان يعالج في اليابان هو هذا المتوسط — متوسط المواليد — العالي والاَّ اصابتها المجاعة كما هو حادث في الصين الآن لكثرة الناس وقلة الرزق

وفي هذه الحال لا يمكن ان يكون التوسع والاستعمار علاجاً للحال. فعلماء الاجتماع مجمعون على ان الهجرة لا تخفف الازدحام الناشيء عن كثرة المواليد. لان مهاجرة جماهير غفيرة من بلد الى آخر لا تبدأ قبلما يكثر السكان في البلد الاول كثرة تجعل طلب الرزق صعباً .حينئذٍ فهجرة جمهورٍ كبير لا تخفف الضغط لان الشعب يملأُ الفراغ الذي خلّفتهُ ويستمر على ذلك حتى يصيبهُ وباءٌ او تفشو فيهِ مجاعة او يباد ابناؤهُ في حرب

فالتوسع اذاً لا يرفع مستوى المعيشة في البلد الذي يُهجَرْ ولا هو سبب سياسي مقبول للاستيلاءِ على بلدان تخص شعوباً اخرى . واذا كان مستوى المعيشة في البلد المهاجَر اليهِ عالياً خفضوهُ بكثرتهم وعدم مماشاتهم لمقدرة العلم على الانتاج . وعليهِ يجب على حكومات الارض ان تصرف النظر عن توزيع البلدان حسب عدد السكان وان تهتم بحصر عدد كل شعب على ما يمكن ان تتسع لهُ بلادهُ اتساعاً يمكنهُ من ان يعيش فيهِ في رخاءٍ ورفاهة . آه عن مجلة « العالم اليوم » بتصرف

مآثر الشرق في الرياضيات والفلك

موضوع خطبة نفيسة للاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الاميركية القاها في حفلة الافتتاح لجمعية تعاون الفكر الدولية ببيروت قال فيها بعد المقدمة :

ذكرت قبلاً ان اسلافنا امتازوا بالامور التجارية .ولذلك نرى انهم اول من وضع اصول الحساب التجاري[١] بما فيهِ من انواع السندات والتحاويل المالية والشكات والوصولات وحساب الفائدة وغيرها من الحسابات التجارية ونظام القياسات والاوزان ومسح الاراضي بطرق هندسية تقريبية واستنباط نوع من الارقام للاعداد ونظام العدّ المعروف بالنظام الستّيني الذي يتوقف على العدد الستين[٢]. والذي لا تزال آثاره جارية في بعض نظاماتنا مثل تقسيم الساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية ونظام قياس الدائرة التي قسموها الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية ووضع الاعداد الصحيحة وبعض الكسور البسيطة وهذا كلهُ ظاهر ومدوَّن في الآجرّ الذي اكتشف حديثاً في ما بين النهرين وتاريخهُ يرجع الى ٣٠٠٠ سنة ق.م. وما قولكم في بناية المدرسة التي اكتشفتها البعثة الافرنسية في تلك الانحاء ايضاً سنة ١٨٩٤ والتي يرجع تاريخها الى نحو ٣٠٠٠ سنة ق . م[٣] ؟؟؟

ونستنتج من الآجرّ المذكور انهم عرفوا في ذلك الوقت مربع الاعداد من ١ — ٦٠ ومكعباتها والجذر المالي[٤] بدليل وجود جداولها وجداول الضرب والقسمة. وعرفوا ايضاً شيئاً عن النسبة والتناسب والسلسلة المتصلة الهندسية وترقية الكمية الثنائية الى القوة الثانية . هذا في الحساب والجبر . اما في الهندسة فقد اقتصرت معارفهم على معرفة مساحة بعض الاشكال الهندسية كالمربع والمستطيل والمثلث والدائرة[٥] وفوق

(١) دافيد سمث : تاريخ الرياضيات وجه ٣٧ و٣٨
(٢) » » » » » ٤١
(٣) » » » » » ٣٨
(٤) » » » » » ٤٠
(٥) » » » » » ٤٠

هذا يجوز لنا ان نستنتج ان معارفهم الهندسية كانت سامية بدليل وجود نظام الريّ العجيب الذي يتطلب مهارة عظيمة ومعارف هندسية وميكانيكية لا يستخف بها كما صرّح السر وليم ولكوكس

وفي علم الفلك تمكنوا من معرفة وقت الاعتدال الربيعي وتعيينهِ فجعلوهُ بداءة السنة. ودعوا الشهر الاول باسم الثور وهذا يدلنا على انهم وضعوا التقويم المذكور حينما كان يقع الاعتدال الربيعي والشمس في برج الثور. اي منذ نحو ٥٠٠٠ سنة ق. م(١). وقسموا دائرة البروج الى اثني عشر برجاً ودرسوا حركات السيارات فوضعوا اصول علم الفلك ووسّعوا نطاقهُ ووضعوا التقويم للتاريخ واصلحوهُ من وقت الى آخر بجعل بعض السنين كبيسة واستنبطوا المزولة او الساعة الشمسية لمعرفة الوقت وحدّدوا فصول السنة وقسموا النجوم الى مجاميع وكوكبات وعرفوا اوضاعها واوقات طلوعها وغروبها فدرسوها للاستدلال بها في فن الملاحة وعلم سلك البحار

ونحن نعلم جيداً ان المصريين وضعوا تقويماً سنة ٤٢٤١ (٢) ق. م. جعلوا فيهِ السنة اثني عشر شهراً وكل شهر ثلاثين يوماً واضافوا الخمسة الايام الباقية وجعلوها اعياداً رسمية وهذا يدل على تقدم نظام العدّ وضبط الحساب ودقة الارصاد والرسوخ في المعارف. ناهيك بتقدمهم في هندسة البناء والمعارف الميكانيكية وعلم المساحة العملي اذ تمكنوا من مدّ الخطوط المستقيمة الى مسافات شاسعة وتعيين السطوح المستوية تعييناً دقيقاً لمعرفة فرق الارتفاع والانحدار ويظهر لنا ذلك باجلى بيان اذا عرفنا ان معظم الخطإ في تعيين جوانب الهرم الكبير نحو سنتيمتر ونصف السنتيمتر. والخطأ في تعيين الزوايا وتحديدها نحو اثنتي عشرة ثانية من قوس الدائرة او ١/٢٧٠٠٠ من الزاوية القائمة (٣)

ثم حدث ما حدث في الشرق. وانتقلت العلوم الى اليونان الذين وضعوها على اصول علمية راسخة. ونظريات منطقية وقام بينهم رجال اعلام عظام وفلاسفة كبار ندر ان قام مثلهم في العالم قديماً او حديثاً مثل افلاطون وارسطوطاليس وارخميدس

(١) دافيد سمث تاريخ الرياضيات وجه ٣٧
(٢) برستد: العصور القديمة وجه ٤٥ وسمث وجه ٤٢
(٣) سمث: تاريخ الرياضيات وجه ٤٣ ومقالة برستد
« نشوء التمدن » المدرجة في « المجلة العلمية » المجلد ١٠ وجه ٨٧

واقليدس الذين لم يتركوا في بعض اقسام العلوم مجالاً ما لمستزيد . ففي المنطق والهندسة بلغوا الذروة العليا [١]

مآثر العرب والاسلام

وحينما نهض العرب نهضتهم المشهورة في صدر الاسلام ودوّخوا القسم الاكبر من المعمورة واستتب لهم الملك والسلطان صرفوا هممهم الى العلوم والمعارف فترجموا كتب اليونان في الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية واقتبسوا كثيراً عن الهنود والاعجام . واستعانوا بمدارس انطاكية وحمص ومدارس النسطوريين[٢] والسريان . وشجع الخلفاء العباسيون الحركة العلمية والنهضة الفكرية بكل الوسائل الممكنة . ونشطوا العلماء على اختلاف مذاهبهم واجناسهم على الترجمة والتأليف. ولما كانت الترجمات الاولى غير مضبوطة اكثر الاحيان طلبوا اعادة الترجمة حتى اتت اخيراً صحيحة ومضبوطة وفي مدة جيل ترجموا كل علوم اليونان والهنود . ونقلوا الارقام الهندية واختاروا منها الانسب والانفس . وهذّبوها وحسّنوها ولذلك ساد الاعتقاد عند الغربيين ان العرب نقلوا العلوم نقلاً وبالجهد اضافوا شيئاً . ولكن الابحاث الحديثة وخصوصاً ابحاث المستشرقين تُفيد ان العرب استنبطوا اموراً جديدة لم يكن يعترف لهم بها قبلاً . اما لانها كانت مجهولة او مطموسة او لانها كانت منسوبة الى الذين خلفوهم[٣] . وسوف اذكر بطريقة موجزة عامة اشهر مآثر العرب في العلوم الرياضية والفلكية

ففي علم الحساب زادوا قليلاً في نظريات الاعداد وبوّبوا الموضوعات وهذّبوا الارقام الهندية . ويعتقد البعض انهم زادوا الصفر وبالاحرى كانوا اوّل من استخدمهُ للغاية التي نعرفها نحن الآن . ونقلهُ عنهم الافرنج بلفظهِ العربي (cipher) والمرجح انهم وضعوا علامة الفاصلة للكسر العشري[٤]

وفي علم الجبر وضعوا اصولهُ واستخدموا العلامات والاشارات الجبرية بصور قانونية ونظامية واستنبطوا عدداً من الضوابط والقوانين التي لم تكن معروفة قبلاً [٥]

(١) المجلة الرياضية الانكليزية في لندن شهر تموز (يوليو) ١٩٢١ وجه ٢٩١

(٢) كاجوري : تاريخ الرياضيات سنة ١٩٢٤ وجه ١٠١

(٣) « : « « وجه ٩٩

(٤) سمث : « « « ٢٩٠

(٥) كاجوري : « « « ١٠٣

وحلّ الخوارزمي المعادلة من الدرجة الثانية واستخرج جذريها [١] كما نفعل نحن الآن . والخوارزمي اول من اطلق لفظة « الجبر » على العلم المذكور اذ دعاهُ « علم الجبر والمقابلة » [٢] وعنهُ نقلهُ الاوربيون بلفظه العربي . وبحثوا في سلاسل الاعداد او مجموعاتها وتمكنوا من حل بعض معادلات الدرجة الثالثة جبريًّا وهندسيًّا . والمسلّم بهِ الآن ان حلّ العرب للمعادلات الجبرية بطريقة تقاطع قطوع المخروط من اعظم الاعمال الرياضية التي قاموا بها [٣] . واكتشفوا النظرية القائلة بان مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً . وهي نفس نظرية فرما Fermat[٤] المشهورة وقد استخدموا الاساليب الجبرية لحل بعض القضايا والعمليات الهندسية . فكانت ابحاثهم سابقة لابحاث دكارت الطائر الصيت

وقد ذكرت قبلاً ان اليونان لم يتركوا شيئاً لمستزيد في الهندسة . ولذلك اقتصرت اشغال العرب فيها على وضع التمارين وحل بعض المسائل العويصة

اما في علم المثلثات والانساب فللعرب مقام رفيع جدًّا لانهم هم الذين اكتشفوا اكثر قضاياهُ وقوانينهِ كقانون تناسب الجيوب وقوانين وضوابط المثلثات الكروية غير القائمة الزاوية [٥] وهم اول من اكتشف القانون العام الاولي لحل ذلك النوع من المثلثات . واوّل من عرف القاطع ونظيره . واول من وضع جداول لنظير المماسّ والقاطع ونظيره . واول من عرف اصول الرسم على سطح الكرة [٦]

وابحاثهم في الفلك مشهورة لمراقبتهم الشمس والقمر والسيارات واضطرارهم لضبط الوقت فنقّحوا جداول بطليموس واكتشفوا بعض انواع الخلل في حركة القمر الامر الذي كان حتى اواخر القرن الماضي منسوباً اكتشافهُ الى تيخوبراهي [٧] وهم اول

(١) كاجوري : تاريخ الرياضيات وجه ١٠٣
(٢) » : » » ١٠٣
(٣) » : » » ١٠٧
(٤) » : » » ١٠٦
(٥) » : » » ١٠٥ والمستشرق كرلو نلينو علم الفلك » ٢٤٤ و٢٤٥
(٦) كاجوري تاريخ الرياضيات » ١٠٦
(٧) كاجوري : » » » ١٠٥

من وجد بطريقة علمية قانونية طول درجة من خط نصف النهار [١]. وذلك بطلب الخليفة المأمون . ولكي نعلم اهمية القضية اقول انهُ انقضى نحو ٨٠٠ سنة قبلما استطاعت اوروبا ان تتناولها وتعيد القياس على الطريقة نفسها . وتبعاً للمبدأ ذاتهِ . واقاموا عدة مراصد وصححوا الجداول الخاصة بحركات القمر . وعرفوا استدارة الارض وعملوا بموجب هذه المعرفة [٢] واجروا عدة ارصاد وتجارب تتوقف عليها . وقالوا بدوران الارض على محورها [٣]. وبالجملة نقول ان العرب امتازوا على اليونان في علم الفلك لانهم جعلوهُ استقرائياً ولم يقفوا فيهِ عند حدّ النظريات كما فعل اليونان اي انهم خرجوا بهِ من البحث النظري الى البحث العملي [٤]

فنرى اذن ان الشرق قدّم خدمات جليلة في العلوم الرياضية والفلكية اذ وضع اصولها في القديم ولم يكتف بحفظها في الاعصر المتوسطة المظلمة بل اضاف عليها اضافات مهمة

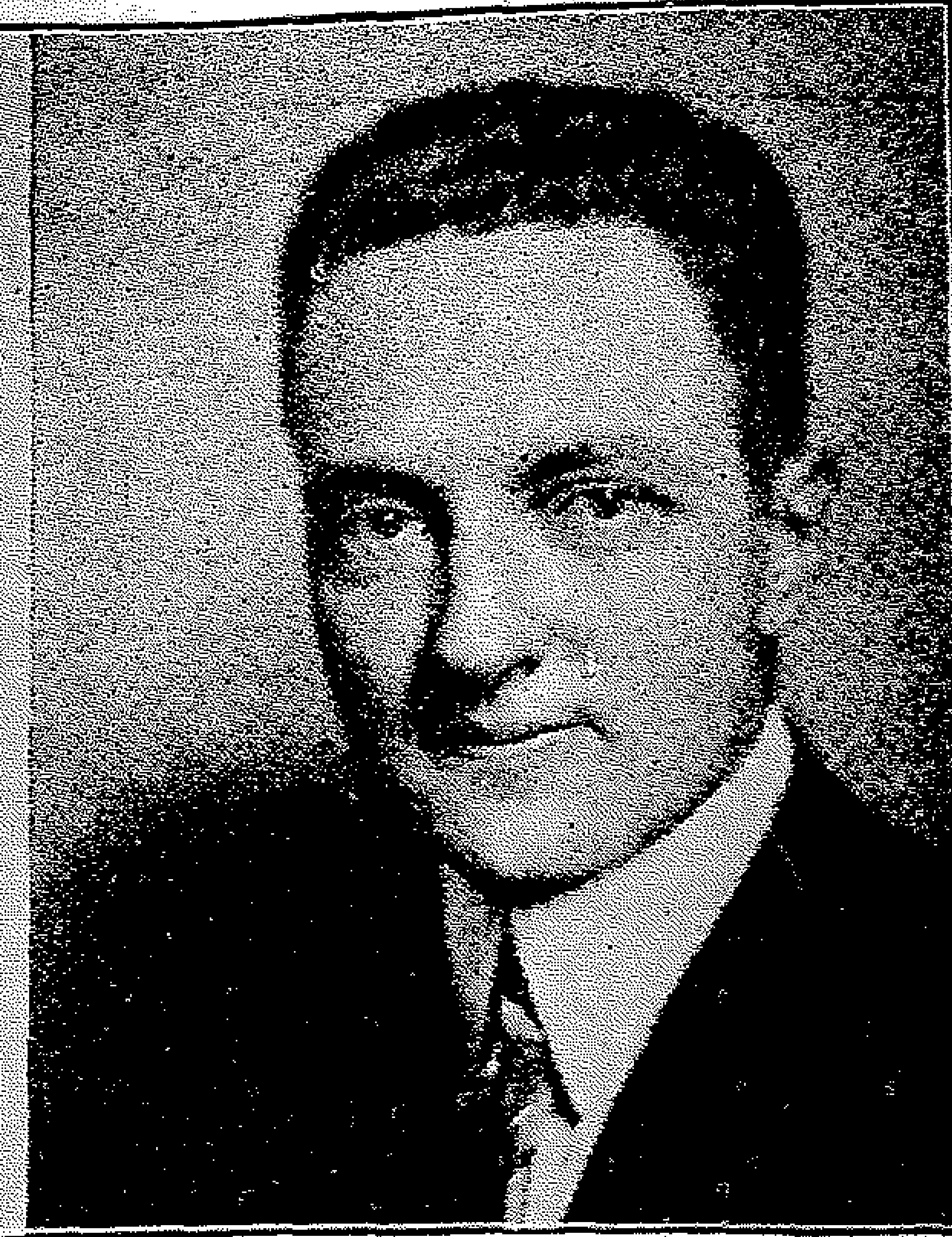
***

والنتيجة التي توخيتها في عجالتي هذه ان العلوم ملك عام « مشاع » لجميع الشعوب والامم والافراد يتناولها كل من يجدُّ ويجتهد ويسعى الى الوصول اليها والحصول عليها. ولا تنحصر بفئة من البشر دون غيرهم فتكون ملكاً خاصًّا لهم . وتمدننا الحاضر انما هو ثمرة من ثمار المعارف العلمية وتقدمها وتطبيقها على مقتضيات الحياة ومطالب العمران . فاذا رغبنا ان نخوض غمار العمران ونسير جنباً الى جنب مع سائر الامم في موكبهِ الفخم فعلينا ان نعلّم ناشئتنا الجديدة اساليب التفكير العلمي والبحث العلمي لان العلم اساس الثروة ولا رقي للامم والشعوب الاّ بالمال وبرجال يخلقون المال

الكلية منصور جرداق

---

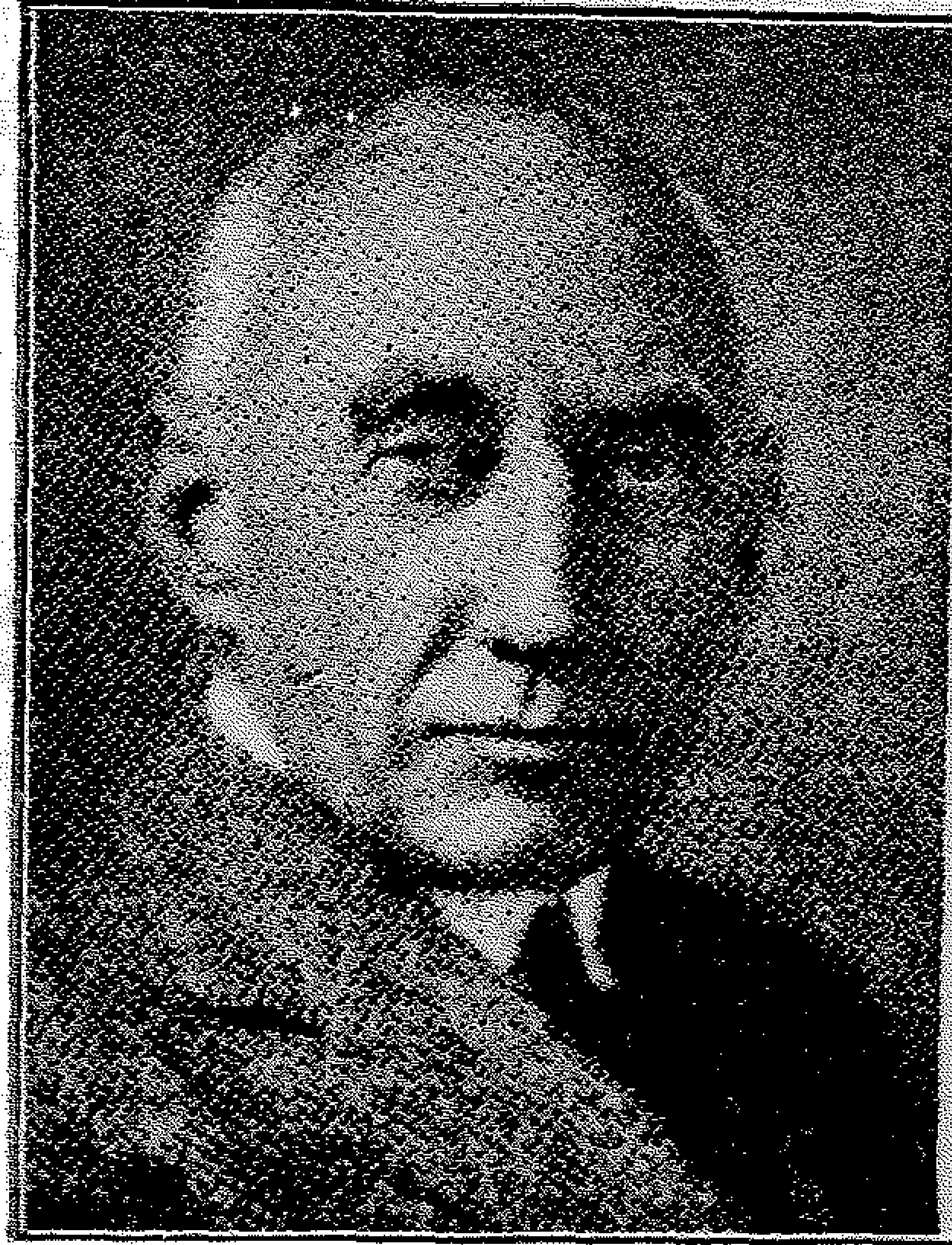
(١) كرلو نلينو : علم الفلك وجه ٢٨١ الى اسفل وجه ٢٨٩
(٢) « : علم الفلك « ٢٦٥ و٢٨٩
(٣) « « « « ٢٥١
(٤) مجلة الهلال عدد اذار (مارس) ١٩٢٨ « ٥٣١



برد



ولكنز



أمندصن

رواد الاصقاع المتجمدة الشمالية عن طريق الجو

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٢٣

الطيران من الاسكا الى سبتسبرجن

فوق الاصقاع المتجمدة الشمالية

الطياران يبقيان اربعة ايام في طيارتهما على جليد طاف وسبتسبرجن على مقربة منهما

١

ما زال القطبان قبلة الرّواد يتسابقون الى اكتشافهما واقتحام مفازات الجليد الجرداء التي تحيط بهما . فعلوا ذلك اولاً مشياً على الاقدام او ركوباً في مزالق تجرها الكلاب ففاز پيري باكتشاف القطب الشمالي سنة ١٩٠٩ وامندصن باكتشاف القطب الجنوبي سنة ١٩١٢ . ولكن لما وضعت الحرب اوزارها اخذ الروّاد يفكرون في استعمال الطيارة والبلون لزيادة المناطق المتجمدة. فحاول امندصن سنة ١٩٢٥ ان يطير مع ثلاثة رفاق في طيارتين من جزيرة سبتسبرجن الى القطب الشمالي فقصروا على ١٣٦ ميلاً منهُ وبعدما قضوا نحو ثلاثة اسابيع على مفازات الجليد يحاولون تخليص الطيارتين من انياب الجليد والعودة بهما الى معالم التمدن فازوا بتخليص احداها فقط فعادوا بها مكتفين من الغنيمة بالاياب . وفي السنة التالية اعدَّ امندصن بعثة جوية للطيران فوق القطب الشمالي وقرّر ان يستعمل بلوناً بدلاً من طيارة لانهُ اكثر ثباتاً على تقلبات الجوّ واشترك مع الحكومة الايطالية في ذلك فاعدَّت البلون وطارت بهِ البعثة من خليج الملك بجزيرة سبتسبرجن الى بوينت بارو بالاسكا ومنها الى تلر بعد مروره فوق القطب الشمالي . فكان امندصن بذلك اول رجل بلغ القطبين

ولكنهُ لم يكن اول رجل بلغ احد القطبين عن طريق الجوّ . ذلك ان الكومندر رتشرد برد الاميركي سبقهُ الى ذلك اذ طار من سبتسبرجن الى القطب الشمالي بطيارة اميركية وعاد الى سبتسبرجن في ١٦ ساعة في ٩ مايو سنة ١٩٢٦

٢

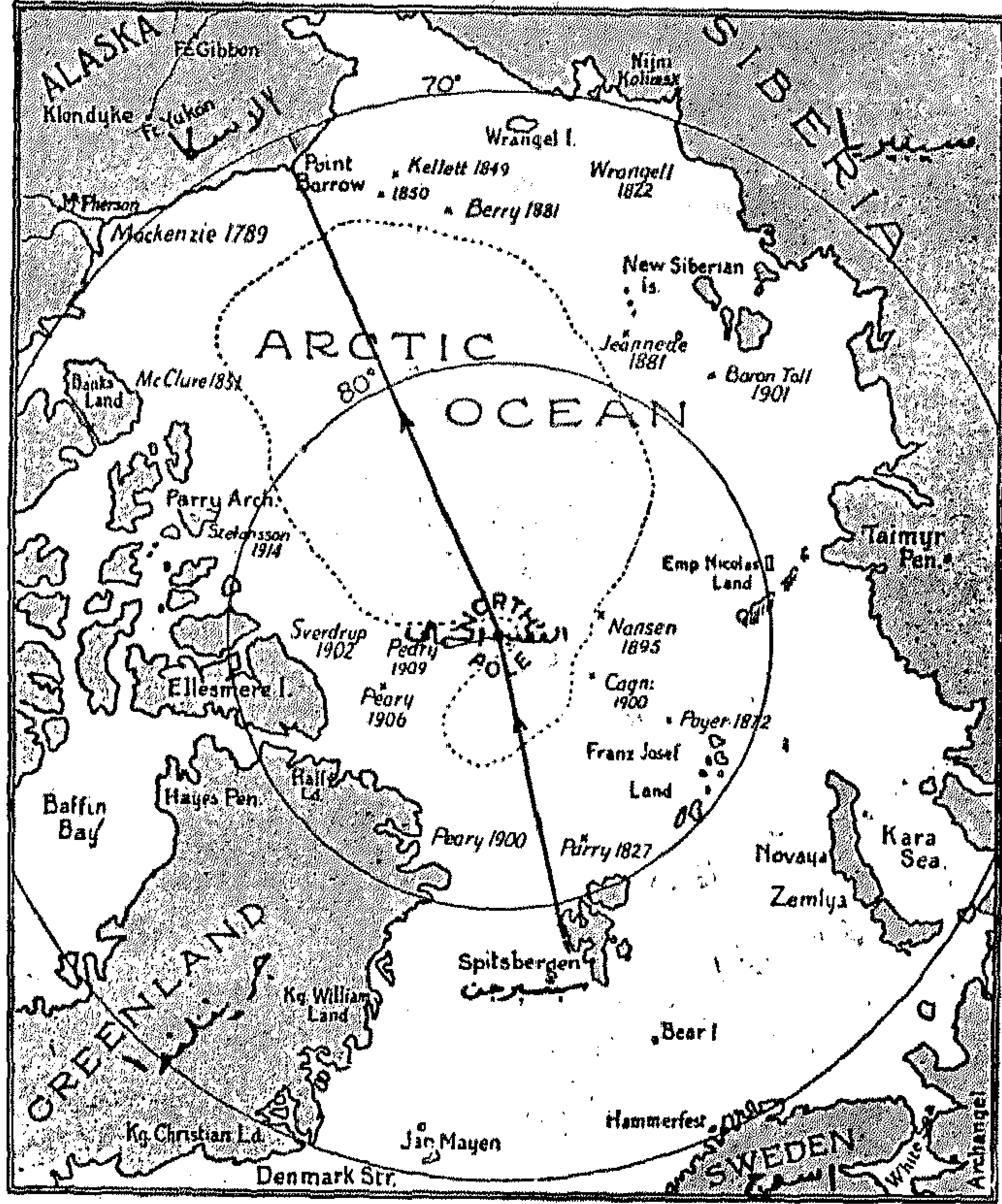
حدانا الى كتابة هذه السطور نبأ الفوز العظيم الذي كان من نصيب الطيار الاسترالي ولكنز Wilkins في اختراق الاصقاع المتجمدة الشمالية من الاسكا الى سبتسبرجن بطيارة من ذوات السطح الواحد قوة محركها ٢٢٠ حصاناً

والكبتن جورج ولكنز رائد استرالي اشترك مع جمعية الطيران بدترويت والجمعية الجغرافية الاميركية واتحاد الصحف الاميركية في اعداد بعثة جوية الى القطب الشمالي

سنة ١٩٢٦ وخطتهُ فيها ان يطير من فربانكس بالاسكا الى بوينت بارو ومنها فوق القطب الى سبتسبرجن فاخفق في تحقيق خطتهِ حينئذٍ ولكن فوزه هذه السنة كان باهراً . فقد اطلعنا في مجلة ناتشر على نتف من رحلتهِ هذه ننقلها الى القراء فيما يلي :

قام المستر ولكنز من بوينت بارو بالاسكا في ١٥ ابريل الماضي على طيارة من ذوات السطح الواحد يسيّرها محرك قوتهُ ٢٢٠ حصاناً ويصحبهُ فيها المستر ايلسن النروجي فاجتازا المسافة بين بوينت بارو وسبتسبرجن وهي ٢٢٠٠ ميل في ٢٠ ساعة

كان الجوّ في الربع الاول من الرحلة صافياً ثم تلا ذلك مرحلة طولها نحو مائة ميل كان الغيم فيها متلبداً والنظر الى مسافة بعيدة متعذراً لاضطراب الجوّ . ولما كانا على الدرجة ٨٤ من العرض الشمالي والدرجة ٧٥ من الطول الغربي رأيا غيوماً سوداء الى الشمال حسباها اولاً من نوع الغيوم التي تتكون فوق اليابسة ولكن لما كان موقعها فوق الخط الذي سار فيهِ بيري في رحلتهِ الى القطب ولما كان بيري قد اثبت ان لا يابسة هناك لم يحيدا عن خط سيرها لتحقيق ذلك . ورأيا في اثناء الطيران اماكن على سطح الجليد يمكن للطيارة النزول فيها اذا اصيبت بعطل ما ولكنهما لم يحاولا النزول عليها لان الصعود بها في الجوّ امر صعب ان لم يكن متعذراً . وحينما اقتربا من غرانتلاند في جزيرة الزمير — الى غرب غرينلندا — اتجها رأساً الى سبتسبرجن من غير ان يمرّا فوق القطب الشمالي . وهبت في وجوهما رياح شديدة ورأيا غيوماً كثيفة متلبدة عند الافق الى شمال غرينلندا (جنوبهما) وكانت الحرارة حينئذٍ ٤٤ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد . وعلى مائتي ميل من سبتسبرجن ساءت الاحوال الجوية جدًّا فارتفعا الى علو ثمانية آلاف قدم لكي يتخطيا الغيوم المتلبدة فتعذر عليهما ذلك وصار يصعب عليهما ان يعرفا موقع خليج الملك بسبتسبرجن لينزلا فيهِ . وكان البنزين قد اخذ يقلُّ في حوض الطيارة حتى كاد ينفد فنزلا على الجليد امام مدخل خليج من خلجان سبتسبرجن يعرف بخليج الجليد «أيس فيورد» . واستمرّ الجوّ مدلهمًّا والغيوم متلبدة والرياح شديدة الهبوب اربعة ايام متواصلة قضياها في طيارتهما وفي صباح اليوم الخامس (٢١ ابريل) صفا الجوّ فاستأنفا طيرانهما فوصلا جرين هاربر من غير صعوبة . وقد ثبت للطيارين عدم وجود يابسة في المنطقة التي طارا فوقها ولكن مجلة ناتشر تقول انهُ اذا فرضنا وجود جزائر في تلك المنطقة فلا بدَّ ان تكون مكسوة بالثلج تتعذر رؤيتها ولو كان الجوّ صافياً . وهنأتهما بفوزهما الباهر في هذه الرحلة الشاقة



الاصقاع المتجمدة الشمالية

الخط المرسوم هو الخط الذي طار فوقه امندصن وصحبه

بالبلون نورج في السنة الماضية

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦٢٤



ادورد جنّر



اللادي مونتاغو

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٢٥

اركان الطب الحديث

المكتشفات العلمية الحديثة

التي بُنيت عليها طرق معالجة الامراض ومكافحتها والوقاية منها

جنر والتطعيم

كان مرض الجدري من أفتك الامراض فاذا لم يقتل من يصيبهُ تركهُ في الغالب اعمى او قبيح المنظر. وكان الناس في تركيا قد وجدوا بالاختبار انهم اذا تطعموا بصديد من مجدور جدريّهُ خفيف اصابهم جدري خفيف وقاهم من الجدري الثقيل. وتعلمت ذلك اللادي مونتاغو وهي في القسطنطينية واذاعت ما تعلمتهُ في بلاد الانكليز لكن هذا النوع من التطعيم لم يكن سليماً دائماً واذا سلم المطعم بهِ فقد يعدي غيرهُ بجدري مميت. ويقال ان فتاة حلاّبة سمعت اناساً يذكرون الجدري فقالت انها آمنة على نفسها لانها عديت مرة بجدري البقر. وكان ذلك على مسمع من جنر. فخطر لهُ ان جدري البقر قد يكون واقياً من الجدري الذي يصيب البشر وأسلم عاقبة من التطعيم بالجدري نفسهِ. والمرجح ان كثيرين من الاطباء سمعوا ذلك قبلهُ وتحققوهُ ولكنهم لم يبنوا عليهِ بناءً مفيداً. وهذه مزية المكتشفين والمخترعين. فانهم يرون مالا يراهُ غيرهم ولو كان ظاهراً للعيان. وكأنهُ فكّر في الامر على هذا المنوال: فقال ان الذي يُجدر مرة لا يُجدَر مرة اخرى فالجدري يقي المجدور من الاصابة بهِ ثانية ولو كان جدريّهُ خفيفاً في المرة الاولى. وجدري البقر اخف وطأة من جدري البشر فاذا جعلنا الانسان يعدى بهِ كما تعدى الحلاّبات فالذي يصيبهُ جدريّ خفيف يقيهِ من ان يُعدى مرةً اخرى بجدري ثقيل. وللحال شرع يجرب ذلك وتجاربهُ بدأت سنة ١٧٩٦. ونشر اول رسالة وضعها في هذا الموضوع سنة ١٧٩٨. ومن ثمَّ شاع التطعيم للوقاية من الجدري وانتشر في المسكونة كلها كما ينتشر كل عمل مفيد

تلك هي المرحلة الاولى في نشوءِ الطب الحديث!

ذلك ان ادورد جنر كشف حينئذٍ مبدأً جديداً في الوقاية من الامراض وكان عملهُ علاوة على ذلك من اول الادلة العملية على فائدة الطريقة العلمية العملية في البحث

تلك الطريقة المبنية على الملاحظة والامتحان والقياس والاستنتاج التي شُيّد عليها صرح العلم الحديث

سحابة الجهل وعدم الثقة

وتلا ذلك اكتشاف المكرسكوب المركب فاثار اهتمام العلماء بدرس العلوم الطبيعية ومنها علم تشريح الجسم . وصحبهُ انشاء معامل كثيرة للبحث العلمي . فكشفت كذلك حقائق أساسية لا تزال قائمة الى اليوم على اساس متين من البحث والامتحان . واهمّ المباحث الطبيعية التي جرت حينئذٍ هي المباحث التي تناولت تشريح انسجة الجسم الحيّ في حالي الصحة والمرض فاثبت فرخو وكوهنهيم وتلاميذهما ما يصيب الخلايا الدقيقة من التغيير حين تصاب بمرض ما . يضاف الى ذلك استنباط سمّاعة الطبيب واوبتلمسكوبهُ لفحص القلب والعينين وما يتقلب عليها من الاعراض

ومع ذلك بقيت طرق العلاج مكسوة بسحابة من الجهل — جهل المعالجين باسباب المرض الحقيقية وطرق انتقال العدوى. وبقيت الحال كذلك حتى اوائل الربع الاخير من القرن الماضي

ان كثيرين من الاطباء الذين لا يزالون على قيد الحياة الآن يذكرون ما كان يحدث قبيل ذلك من تفشي وباء فاتك في شعب من الشعوب او مملكة من الممالك . نعم ان الاطباء كان لديهم ما يعالجون بهِ المصابين بالجدري بتطعيمهم وفي كثير من الاحيان كان هذا التطعيم افعل وسيلة لوقاية شعوب باسرها من تفشي الوباء . ولكن امتداد رواق الجهل وعدم الثقة بهذه الوسيلة كانت اكبر الاسباب في تفشي الجدري وفتكه بالنفوس والوجوه . اما اوبئة الدفتيريا والحمى القرمزية والحمى التيفوئيدية والحمى التيفوسية والكوليرا والحمى الصفراء والطاعون وحمى الدماغ السحائية والدوسنطاريا وغيرها من الامراض المعدية فكانت تنتشر في مختلف البلدان وتفتك بالناس فتكاً ذريعاً

وكان السل الرئوي يسبب ١٢ في المائة من كل الوفيات .وامراض الاسهال التي تصيب الاطفال وما هو من قبيلها كانت تسبب ٣٠٠ وفاة من كل الف مولود . وكان الجهل باسباب العدوى وحدوث الصديد يجعل العمليات الجراحية مجازفات جانب الخسارة فيها ارجح من جانب الربح

باستور وكوخ

فالطب الحديث على ما نعرفهُ الآن يبدأ تاريخهُ من عهد باستور ومكتشفاتهِ التي

قلبت علوم الطب رأساً على عقب ووضعتها على اساس جديد من الدقة العلمية. فانهُ اثبت بالامتحان ان لبعض الامراض سبباً مكروبيًّا وان الانسان يوقى من المرض المكروبي بعدم التعرض لمكروبهِ او اذا طعّم بهِ بعد ما يضعف فعلهُ . وكان عمل روبرت كوخ خالد الاثر في ابداع طرق فنية جديدة دقيقة لزرع المكروبات واكثارها في المزدرعات المختلفة. فتمكن من التمييز بين انواع المكروبات المختلفة وتبويبها—ومن وضع القواعد التي بها تعرف علاقتها بعرض من الامراض . ولا تزال مباحث باستور وكوخ الرائد الامين للعلماء الباحثين في الامراض المعدية

تطبيق مباحثهما

وكان الربع الاخير من القرن التاسع عشر والسنون الاولى من القرن العشرين حافلة بالمباحث العلمية الطبية المبتكرة التي نجمت عنها حقائق كثيرة عن علاقة المكروبات بالامراض المعدية . ففي هذه المدة عرفت الطرق التي تحدث بها المكروبات اعراض الامراض كافراز سمومها في الحيوان الذي تصيبهُ . وكيف يولّد الجسم سموماً او اجساماً مضادة لهذه السموم. وهذه المكتشفات مكنت العلماء من حقن الخيل وغيرها من الحيوانات كالبقر بمكروبات بعض الامراض حتى يولّد دمها الاجسام المضادة لسموم المكروبات ثم يأخذ المصل المحتوي على هذه الاجسام ويحقن بهِ المصابون لمساعدتهم على مقاومة المرض الذي اصيبوا بهِ

وثبت ان امراض التيفوئيد والكوليرا والدوسنطاريا وما هو من قبيلها تنجم عن تلويث المآكل ومياهِ الشرب بمكروبات هذه الامراض . وان مكروبات الملاريا والتيفوس والحمى الصفراء وغيرها تنقل من المصابين الى الاصحاء بواسطة حيوانات تلسع المصاب فتمتص بعض دمهِ ومعهُ مكروبات المرض المصاب بهِ ثم تلسع سليماً فتوصل اليهِ المكروبات التي امتصتها مع دم المصاب فيصاب مثلهُ . فمهدت هذه المعرفة الطريق للوقاية من هذه الحميات . وثبت ايضاً ان عدوى بعض الامراض كالحصبة والحمى القرمزية تنتقل باللمس فاشار الاطباء بوجوب عزل المرضى في هذه الحالات لمنع اتصال العدوى بالاصحاء

وقد استلزم كشف هذه الحقائق صبراً جميلا وشجاعة نادرة واقداماً على المخاطر والموت واحياناً تضؤل امامها شجاعة الطيارين الذين حاولوا اجتياز الاتلنتيكي وجرأة الروّاد الذين اقتحموا مخاطر الادغال واهوال الاصقاع المتجمدة. وبعض هؤلاء الباحثين

كثيراً ما عرضوا انفسهم للموت لكي يثبتوا صحة حقيقة كشفوها او فائدة علاج ابتكروهُ

علم الصحة العامة

وجاء ارباب علم الصحة الواقي في اوائل القرن العشرين فاستعملوا كلّ هذه الحقائق التي كشفها العلماء والاطباء . ونجاحهم في تطبيقها استلزم اعتمادهم على جمهور كبير من المهندسين وعلماء الحشرات والاطباء وموظفي الصحة وتعضيد الحكومات بوجه عام في وضع القوانين والسهر على تنفيذها . وما تمَّ حتى الآن في بعض البلدان يؤيد القول بان علم الصحة الواقي اذا طُبقت قواعدهُ من غير ان تعبث بها ايدي الساسة وامدَّهُ رجال الحكومات واغنياء الشعوب باموال تمكن القائمين بهِ من التوسع في تطبيقهِ جعل الارض جنة خالية من اشباح المرض والموت

ولقد اثبت علماء الكيمياء القواعد التي تقوم عليها تغذية الجسم وحاجته الى المواد الحيوية التي تدعى « الفيتامين » والتي لا مندوحة عنها لنموّ الجسم نموًّا كاملاً . فهذه المباحث بينت اسباب امراض الاسكربوط والكساح والپلاغرا وغيرها وكيفية مكافحتها والوقاية منها

يضاف الى ذلك الفوائد الجمة التي نجمت عن اكتشاف اشعة اكس واشعة الراديوم المختلفة والاشعة التي وراء البنفسجي واستعمالها في معرفة اسباب العلل ومعالجتها . كذلك الكواشف الكيماوية والبيولوجية المختلفة التي تستعمل لامتحان الدم وغيره من انسجة الجسم واعضائهِ لمعرفة هل هي تقوم بعملها قياماً طبيعيًّا ام هي لسبب ما قد اعتراها خمول وضعف

واتحد علماء الكيمياء والصيدلة فاستنبطوا ادوية وعقاقير مختلفة لها شأن كبير في الطب والعلاج كالانسولين والثيروكسين والكوكايين والاثيلين وغيرها

لستر والجراحة

في سنة ١٨٦٧ عرف الدكتور جوزف لستر (لورد لستر بعدئذٍ) ما لمكتشفات باستور في اسباب الاختمار والفساد من القيمة الطبية فبنى عليها نظاماً فنيًّا للعمليات الجراحية باستعمال مضادات الفساد لقتل المكروبات التي تسبب التهاب الجروح وفسادها . ولم يكتفِ بعد فوز طريقتهِ هذه وانتشارها بقتل مكروبات الفساد بعد دخولها الى الجرح بل اخذ يفكر في منعها من دخول الجرح على الاطلاق . وكان قد عرف من بحثهِ الخاص ومن مباحث باستور ان في الجسم قوة تدفع عنهُ المكروبات وسمومها

التي تتطرق اليهِ فجعل يقلّب المسألة في عقلهِ قائلاً اذا كانت آلات الجرّاح ويداهُ واربطتهُ معقمة اي خالية من المكروبات فالراجح ان المكروبات التي في هواءِ غرفة العملية لا تكفي لاحداث الفساد وعلى ذلك بنيت الجراحة الحديثة (Aseptic) التي تعتمد على منع الفساد لا على مضادتهِ (Antiseptic) واساسها النظافة التامة وبها تمّ للجراح ما تمَّ لهُ قبلاً من منع الفساد ولكنهُ فوق ذلك تمكن من اجتناب مضادات الفساد التي تهيج انسجة الجسم

وصار بعد ذلك حديث الجراحين كحديث السحرة لغرابتهِ. فكم من حياة انقذوها بجرأتهم ولباقتهم في البضع والاستئصال. وكل ذلك ما كان ليمهد لهم لولا مباحث باستور ومن جرى مجراهُ وتطبيقها على ايدي لستر ومن حذا حذوهُ

تقدم الطب والعمران

وكان لهذا التقدم الطبي في جميع فروعهِ ونواحيهِ اثر كبير في اتساع نطاق الصناعة والتجارة. لان ضبط الامراض المعدية والسيطرة عليها مكنت جماهير من الناس من ان يقطنوا بلداناً غنية بتربتها الخصبة ومعادنها وحراجها. والقضاء على قوانين «الحجر الصحي» التي كانت تعيق حركة النقل والانتقال مهد السبيل لتقدم التجارة وانتشارها بجعل المعامل الكبيرة والمدن التي تعجُّ بالسكان خالية من خطر الاوبئة وما يأتي في اثرها من موت وخسارة

ان قواعد الطب الواقي وتطبيق مبادئ علم الصحة العامة مكن الاميركيين من اتمام ترعة بناما وتحويل منطقتها من ارض موبوءة الى بلاد يرتع فيها الناس في نعيم مقيم من الصحة والقوة

جندي الطب المجهول

مما تقدم يتضح ان ما كشفهُ العلماء من الحقائق الصحية الاساسية في نصف القرن الماضي وما طبقوهُ من هذه الحقائق على مقتضيات العمران يفوق كلّ ما تقدمهُ في عصور التاريخ. والفضل في ذلك للعلماء والاطباءِ امثال الذين ذُكرت اسماؤهم ونشرت صورهم في هذه المقالة. ولكنهم كثرٌ لا يتسع المجال لذكرهم كلهم فلنمجد ذكرهم كما تمجد الامم ذكرى المجهولين من جنودها الساقطين في الحرب الكبرى في تكريمها للجندي المجهول واجلالها لذكراهُ

النفط في الشرق الادنى

١ — تاريخ النفط

ورد ذكر النفط في اقدم التواريخ التي في أيدينا فما جاء عنهُ في التوراة بهذا الاسم او باسماء اخرى كالحُمَر والكُفْر والقار والزفت والزيت ما يأتي : —

جاء في سفر التكوين في بناء برج بابل (١١ : ٣٣) « وكان لهم الحُمَر بَدَل الطين » . وهذه الابراج البابلية لا تزال آثارها باقية الى يومنا وهي مبنية إما بالآجُر او باللبن وطينها الحُمَر اي القُفر البابلي وهو القير يؤتى بهِ من هيت على الفرات . وفي التكوين (١٤ : ١٠) « وفي غَوْر السِدّيم آبار حُمَر كثيرة » ويراد بغور السديم غور اريحا ولا يزال الحمر معروفاً هناك وهو قُفر اليهود او قُفر اليهودية . وفي سفر التثنية (٣٢ : ١٣) « وزيتاً من صَوَّان الجلمود » . وفي سفر أيوب (٢٩ : ٦) « والصخر يفيض لي انهاراً من الزيت » وهذا كلهُ يشير الى النفط اي زيت الصخر

وفي التكوين في وصف الفُلْك (٦ : ١٤) « واصنع لك تابوتاً من خشبٍ قطراني واجعلهُ مساكن واطلهِ من داخل ومن خارج بالقار » ولا يزال العراقيون يقيّرون هذه القِفاف واحدها قُفّة وهي مراكب مستديرة مصنوعة من عيدان الطرفاء والتوت والصفصاف . وفي سفر الخروج في ذكر ولادة موسى (٢ : ٣) « ولما لم تستطع ان تخفيه بعدُ أخذت لهُ سَفَطاً من بَرْدِي وطلتهُ بالحُمَر والزفت وجعلت الولد فيهِ ووضعتهُ بين الخيزُران على حافة النهر » . وهذا يشبه ما جاء عن ولادة سَرجون الاول ملك اشّور قال « وضعتني في قُفّة من الخيزُران واقفلت بابها بالقار » (معلمة التوراة)[١] فهذه الشواهد ما عدا الاخير منها ورد فيها الحُمَر والكُفْر والزيت بهذه الالفاظ عينها بالعبرانية مما يدل على قدمها وعلى كونها سامية

اما النفط فقد ورد ذكرهُ في سفر دانيال (٣ : ٤٦) وهذا العدد ليس في النسخة العبرانية قال « ولم يزل خدّام الملك الذين القوهم يوقدون الاتّون بالنفط والزفت والمُشاقة والزَرَجون » . وهو يشير الى قصة الفتية الثلاثة شدرخ وميشخ وعبد نجو

وورد ذكر النفط في سفر المكابيين الثاني (١ : ١٩ الى ٣٦) قال « فانهُ حين

(١) Encyclopedi Biblica

أُجلي آباؤنا الى فارس اخذ بعض اتقياء الكهنة من نار المذبح سرًّا وخبأوها في جوف بئر لا ماء فيها وحافظوا عليها بحيث بقي الموضع مجهولاً عند الجميع . وبعد انقضاء سنين كثيرة حين شاء الله ارسل ملك فارس نحميا الى هنا فبعث اعقاب الكهنة الذين خبأوا النار لالتماسها الاَّ انهم كما حدّثونا لم يجدوا ناراً بل ماءً خاثراً فامرهم ان يغرفوا ويأتوا به ولما أُحضرت الذبائح امر نحميا الكهنة ان ينضحوا بهذا الماء الخشب والموضوع عليه فصنعوا كذلك ولما برزت الشمس وقد كانت محجوبة بالغيم اتقدت نار عظيمة حتى تعجب الجميع » الى ان قال « فشاع ذلك وأُخبر ملك فارس انّ الموضع الذي خبأ فيه الكهنة النار حين جلائهما قد ظهر فيه ماء وبه طهَّر الذين مع نحميا الذبيحة » الى ان قال « وسمّاهُ الذين مع نحميا نفطارَ اي تطهيراً ويعرف عند كثيرين بنفطايَ »

وذكر هيرودوتس النفط في اردريقة التي هي قيرآب بخوزستان قال (٦ : ١١٩) « قرب اردريقة بئر يخرج منها ثلاث مواد مختلفة القير (اسفلت) والملح والزيت فيأخذون دالية (١) يعلّقون بها سُعْناً مكان الدلو فاذا نزل السُعن في الماء رفعهُ رجل وصبّهُ في حوض يجري منهُ الماء الى حوض آخر ثم ينعقد القير ويجمد الملح ويبقى الزيت فيغرفونهُ . والفرس يسمون هذا الزيت رادينانتي (كذا) وهو اسود منتن الرائحة « فهذه البئر هي الآن من آبار النفط التي للشركة الانكليزية الفارسية . وهم يستخرجون النفط منها وينقلونهُ في انابيب الى عبَّادان على خليج فارس ويكررونهُ هناك »

وذكر فلوطرخس عيون النفط في كركوك قال « أن الاسكندر لما وصل الى اكبتانة (اي همدان وهو يريد كركوك) دهش لمَّا رأى ناراً تخرج من نبع لا ينضب واعجبهُ نهر من النفط غير بعيد عن ذلك المكان وكان غزيراً جدًّا حتى كانت منهُ بحيرة والنفط شبيه بالقار الاَّ انهُ اشدّ منهُ التهاباً وهو يشتعل من لهب النار قبل وصولها اليه . واراد القوم هناك ان يظهروا للملك سرعة اشتعاله فنضحوا به الطريق الى منزله واشعلوه فالتهب في سرعة البرق والتهبت الطريق كلها » « انتهى ما اريد نقله عن فلوطرخس » . وفي كركوك عيون نفط كثيرة منها بئر النفط التي تفجّرت حديثاً . وهناك نار عجيبة لا تنطفىء وهي تتقد قبل ايام الاسكندر

---

(١) الدالية هي الشادوف في مصر والسعن نصف قربة يستقى به . واللفظة فصيحة وشائعة في السودان وهم يسمون نوعاً من اللقلق ابا سعن لجراب في عنقه كالسعن وسألتهم مرة لماذا تسمونه ابا سعن قالوا لانه يحمل سعناً قلت وما السعن قلوا قربة تقطع من نصفها نستقي منها ونتبذ فيها الذرة لعمل المريسة فراجعتها فاذا هي كما قالوا

ومن اسماء بحر لوط عند العرب البحيرة المنتنة وذلك لرائحة الكبريت والنفط فيها ومن اسمائها عند اليونان والرومان بحيرة الحُمَر (Lacus Asphaltites) وقد ذكر ديودوروس الصِقِلِي" ان اهل الغَور كانوا يجمعون الحُمَر ويبيعونهُ في مصر للتحنيط وروى ذلك بلينيوس الروماني والرحالة شُو الانكليزي وفُلناي الفرنسي ولا يزال الحُمَر معروفاً هناك وهو حمر غير السديم الذي ورد ذكرهُ في التوراة كما تقدم

كذلك علماء العرب كالمسعودي وابن البيطار والقزويني وغيرهم فان كثيرين منهم ذكروا القير والحُمر والمومياء والنِفط ووصفوا هذه المعادن وصفاً دقيقاً وكانوا يستعملونها في الطب واستعمل العرب النفط في حروبهم واول من استعمله منهم هرون الرشيد في فتح هِرَقلة سنة ٢٠٢ للهجرة سار اليها على اثر كتابهِ المشهور لنقفور ملك الروم ورماها بالنفط قال الشاعر في ذلك

هَوَت هِرَقلة لمَّا ان رأت عجباً جوَّ السَمَا يُرتَمَى بالنِفط والنار
كأنَّ نيراننا في جنب قلعتهم مصبَّغاتٌ على أرسان قَصَّار

وهِرَقْلَة مدينة بالروم تسمَّى الان أرِكَلي وهي على ساحل البحر الاسود مما يلي خليج القسطنطينية المعروف بالبُسفور. ونقفور هذا هو نقفور الاول وكان عربيًّا من وُلد جَبَلة بن الايهم (١)

وقبل ايامهِ اي في زمن معاوية اكتشف رجل بعلبكي اسمهُ قالينيقس هذه النار

(١) خرج من العرب قياصرة مشهورون منهم فيليبس وكان من بصرى في حوران ثم نقفور الاول من آل جبلة وابنه استبراق ثم نقفور الثاني المعروف بابن الفقاس . اما نقفور الاول صاحب الرشيد فكان لغثيطاً اي اميناً لبيت المال في عهد الملكة اريني ثم لما رأى سوء اعمالها خلعها وولي الملك مكانها . ولعله كان يعرف العربية فكتب الى الرشيد بالعربية وكتب الرشيد اليه بخطه على ظهر الكتاب . وقد ورد اسمه في بعض التواريخ العربية تقفور وتغفور وتكفور ونقفور والصواب الاخير وهو علم يوناني معناه المنصور وكان اسمه . اما تقفور وتغفور وتكفور فكان لقباً لملوك الروم ومنه تكفور سراي في الاستانة وهو قصر في الفنار لملوك الروم والكلمة ارمنية مركبة من تاج اور اي صاحب التاج . وكان الروم يسمون آل جبلة جبلاس (Gabalae) واظنهم يلفظونها جبلة . وتولى كثيرون من آل جبلة مناصب الدولة وتتبعهم سديو في تواريخ الروم الى الفتح العثماني وقال انهم لا يزالون في الفنار . واتفق اني مررت يوماً بين الموسكي والحمزاوي في زيارة للشيخ طاهر الجزائري رحمه الله فرأيت دكان رومي كتب فوق بابه اسم صاحبه وكان جبلاس كما يكتب الروم اسم جبلة . فأحببت ان اسأله عن اسمه واصله وكنت بملابسي العسكرية فخشيت ان يرتاب بي لاننا كنا في حرب وقلت اسأله في وقت آخر . ثم خرجت من القاهرة ولم اعد اليها الا هارباً من دمشق فنسيت صاحبي

المعروفة بالنار اليونانية وعرضها على معاوية وغالى في ثمنها فابى معاوية شراءها فباعها للروم فاستعملوها في رد غارة ابنهِ يزيد على القسطنطينية ثم في رد غارة مَسْلمة بن عبد الملك في زمن اخيه سليمان . والمشهور ان العرب اطلعوا على سر عملها في فتح سلانيك سنة ٩٠٤ للمسيح على ان استعمالها في فتح هِرَقلة يدل على انهم عرفوا سرها قبل ذلك

٢ — القار في البلاد العربية وما يجاورها

النفط في الشرق الادنى في بقعة من الارض يحدها شمالاً خط اولهُ في باكُه على بحر قزوين وآخرهُ في اضالية بآسية الصغرى ، ويحدها غرباً خط اولهُ في اضالية وآخرهُ في عدن ، ويحدها جنوباً ساحل جزيرة العرب على البحر الهندي ، ويحدها شرقاً خط من باكُه الى آخر الخليج الفارسي فيكون معظم البلاد العربية ضمن هذه الحدود . ويُظن ان النفط في هذه البقعة لا يفوقهُ نفط في الجودة والكثرة ولاسيما ما كان منهُ في ايران والعراق . والعرب تسمي الآبار التي يخرج منها النفط عيون النفط والنفّاطات والقيارات ويسمون مستخرِج النفط والقير وبائعهما نفّاطاً وقيّاراً

ومن الاماكن التي فيها نفط او قار في البقعة التي مر ذكرها باكو والعرب تقول باكُه وباكويه وهي على الساحل الغربي من بحر قزوين . قال ياقوت في معجم البلدان « باكويه بلد من نواحي الدربند من نواحي الشروان فيهِ عين نفط عظيمة تبلغ قبالتها في كل يوم الف درهم والى جانبها عين اخرى تسيل بنفط ابيض كدهن الزئبق

الغساني من آل جبلة . ولعله باق هناك او انه اثرى على عادة الروم فصار صاحب تجارة كبيرة في مكان آخر وعسى ان يكون ذلك . وقد كان دكانه في الطريق المؤدية الى المنزل الذي كان يسكنه الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله والسيد محب الدين الخطيب

اما نقفور الثاني فهو من ذرية رجل مسلم من طرسوس اسره الروم وحملوه الى القسطنطينية فتوفي فيها وكان من ولده بطارقة منهم الدمستق لاون فوقاس وقد اشار اليه المتنبي في قوله « اذل من ولد الفقاس منكف » وحروبه لسيف الدولة مشهورة . فلما شاخ اعتزل الحرب وقيل ترهب وصار ابنه نقفور دمستقاً مكانه . وذكر المتنبي ترهبه في قصيدته التي مطلعها « لكل امرىءٍ من دهره ما تعودا » وكانت عادة ملوك الروم وبطارقتهم ان يترهبوا في آخر ايامهم اما طوعاً او كرهاً . اما نقفور ابنه فكانت الحرب دائمة بينه وبين سيف الدولة الى ان عاد مرة من احدى غزواته ظافراً ومعه ابو فراس اسيراً فلما دخل القسطنطينية جعله الروم ملكا عليهم . ثم ما لبث ان اغتاله البطريق يوحنا بن الشمشقيق الارمني وكان نقفور يحبه محبة الآباء لابنائهم وقد ثقفه ورباه وعلمه فنون الحرب وجعله بطريقاً ولما ولي الملك جعله دمستقاً مكانه فغدر به وقتله وهو راقد في مضجعه وقيل كان ابن الشمشقيق ابن اخته

لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً تبلغ قبالتها مثل الاولى . وحدثني من اثق بهِ من التجار انهُ رأى هناك ارضاً لا تزال تضطرم ناراً واحسب ان النار سقطت فيها من بعض الناس فهي لا تنطفئ لان مادتها معدنية »

وقال المسعودي في التنبيه والاشراف الصفحة ٦٠ « البحر الخزَري هو بحر الخزَر ومنهم من يسميهِ البحر الخُراساني لاتصاله ببلاد خوارزم من ارض خراسان وعليهِ ايضاً الموضع المعروف بباكُه وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والابواب ومن هناك يحمل النفط الابيض . وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الارض وفيهِ جزائر مقابل النفّاطة فيها عيون للنيران كثيرة ترى في الليل على مسافة نائية . وقد ذكرنا في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر اخبار سائر الآطام مما في المعمور من الارض كاطمة سقلية واطمة وادي برَهوت من بلاد الشِحر وحضرموت واطام البحر الخزري والباب والابواب وآطام الهنديجان بين بلاد فارس والاهواز تُرى بالليل من مسيرة اربعين فرسخاً واطمة اربوجان مما يلي الشيراوان من بلاد ماسبذان وهي المعروفة بحمة تومان مما يلي منجلان وذلك يُرى على اربعين فرسخاً من بغداد على طريق البندنجين وايراز الروز »

وقال في مروج الذهب (٢ : ٢٥) باكُه وهي معدن النفط الابيض وغيره وليس في الدنيا والله اعلم نفط ابيض الاَّ في هذا الموضع وهي بساحل مملكة شروان . وفي هذه النفّاطة أُطمة وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الاوقات تضطرم الصعداء . ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر على نحو من ثلاثة ايام من الساحل فيها اطمة عظيمة تصفر في الاوقات في فصول السنة فتظهر منها نار عظيمة تذهب في الهواء كاشمخ ما يكون من الجبال العالية فتضيء الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك في مئة فرسخ من البر . وهذه الاطمة تشبه باطمة جبل البركان في بلاد صقلية من ارض الافرنجة الى ان قال «وبعدها أطمة وادي برَهوت وهي نحو بلاد اسفار وحضرموت من بلاد الشِحر وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عُمَان وصوتها يسمع كالرعد من اميال كثيرة تقذف في قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء » انتهى ما اريد نقلهُ

وذكر في المجلد ٣ : ٦٧ من طبعة اوربا جزيرة صقلية وسمى الجبل الذي فيها بالبركان والاطمة وفسر الاطمة « بعين النار التي تنبع من الارض » وذكر أُطمة

التومان في الشيروان وقال « هي اطمة عجيبة لا يستطيع ورد الماء على اطفائها ودفعها لشدة قوتها وسلطان لهبها وهي احدى عجائب العالم »

والاطمة عند العرب عين النار سواء خرجت هذه النار من بركان كما في اطمة صقلية او من غازات خلقية مشتعلة كما في باكه وكركوك واضالية . ولم ترد الاطمة بهذا المعنى في ما عثرت عليهِ من كتب اللغة وذكرها دوزي بفتح فسكون بمعنى جبل النار وقال لعلها من اطمى باليونانية وهو الدخان ووضع بعد قولهِ اشارة استفهام مما يدل على تردده في الامر . وفي مادة أطـم بالعربية الفاظ تدل على النار والاحتراق منهـا الأطِيـمة وهي موقد النار او اتُّـون الحمَّـام والعامة في بغداد تسميها الطمّـة . ومنها تأطمت النار اي ارتفع لهبها (تاج العروس) ومثل مادة أطَـم أتـن والنون والميم يتبادلان . ومثلها عـثن ومنهُ العُـثـان اي الدُخان . ومن مادة أتن الاتُّـون والعُـثـان من اصل سامي لا اصل يوناني وان جبل اتنا بصقلية وهو بركانها المشهور من اصل سامي ولعل الفينيقيين سموهُ بهذا الاسم وربما كان من اطمى باليونانية بمعنى دخان فان الفاظاً كثيرة باليونانية والعربية متشابهة وهي من لغة البشر قبل تفرقهم بعد الطوفان اي بعد ذوبان الثلج في العصر الجليدي وكان ذلك منذ الوف من السنين وكان البشر قد هلكوا في الاصقاع الشمالية وازدحم من بقي منهم في مصر وجزيرة العرب والعراق والهند وجزائر المحيط الهندي وكانت لغاتهم متشابهة في بعض الالفاظ ثم ذاب الثلج وأخذ البشر يرحلون شمالاً فنقلوا الفاظاً كثيرة معهم لذلك نرى كثيراً من اساطير اليونان وآلهتهم والفاظهم تشبه ما عند الساميين من الالهة والالفاظ والاساطير

ومرَّ الرحالة ماركو بولو بباكه في اواخر القرن الثالث عشر وذكر عيون النفط فيها قال « في اقاصي بلاد الكدح عين ينبع منها الزيت فيخرج منهُ في اليوم ما يملأُ مئة سفينة . وزيتها لا يؤكل وانما يصلح للوقود ولدَهنْ الابل الجرباء . والناس يأتون من الاماكن البعيدة ويجمعونهُ لانهُ لا زيت غيرهُ في تلك البلاد »

وذكر الرحالة يوناس هانواي نيران المجوس في رحلتهِ الى باكه سنة ١٧٥٤ قال « ان النار التي يسميها المجوس بالنار الدائمة هي من عجائب الكون . وهي تخرج على عشرة اميال الى الشمال من باكه بشرق وهناك معابد قديمة يقال انها بيوت النار رأيت الهرابذة[1] يعبدون النار في بيت منها وكان عددهم بين الاربعين والخمسين ، وقد جاء

(١) عبدة النار والواحد هربيذ

هؤلاء المساكين من بلادهم لزيارتها . وقرب المعبد شقٌّ في الصخر عمقهُ نحو قدمين وطولهُ ست اقدام وعرضهُ ثلاث تخرج منهُ نار دائمة الاشتعال وهي لا تختلف في لونها ولطافتها عن نار المصباح لكنها اكثر منها صفاءً واذا هبت الريح ارتفع لهيبها الى علوّ ثماني اقدام واذا سكنت انخفض عن ذلك ويقول الهرابذة انهُ لا يمكن دفعها واذا اطفئت اوسدّ منفذها فانها تخرج من مكان آخر. والارض هناك على مسافة ميلين او اكثر اذا كشف التراب عنها واُدنيت منها جمرة متقدة فالمكان الذي يكشف التراب عنهُ يشتعل . اما اذا نقل التراب الى مكان آخر فانهُ لا يشتعل. واذا اخذت قصبة او انبوبة من الورق وغرزت احد طرفيها في التراب وادنيت جمرة من طرفها الآخر خرج منها لهيب ولم تحترق . والقوم هناك ينيرون منازلهم ويطبخون طعامهم بهذه النار » قال السر بُفرْتن ردْوُد وعنهُ اخذت ما تقدم انهُ رآهم يطبخون آجُرَّهم بهذه النار في سنة ١٨٨٤

وهذه الآطام التي ذكرها المسعودي هي عيون النار كما قال وهي معروفة في باكه الى يومنا ولعلها نضبت الآن لكثرة ما اُخرج من نفطها . وكان الفرس يعبدونها فلما فتح العرب بلاد فارس ابطلوا عبادتها وهدموا بيوت النار ورحل من بقي على المجوسية من الفرس الى الهند وهم لا يزالون فيها ولكنهم لم ينقطعوا عن بيوت النار في باكه فكانوا يزورونها سرًّا خوفاً من المسلمين الى ان اعادوها منذ ثلاثمائة سنة او اكثر وكانوا يأتون اليها من الهند . ولم تنقطع عبادتها في باكه الى سنة ١٨٨٠ ورأى السر بفرتن ردود بيتاً من بيوت النار سنة ١٨٨٤ ولم يكن فيهِ نار وانما كان يخرج غاز من شقوق في ارضهِ وكان يسهل اشعالهُ . وكانت باكه من املاك ايران فالحقها بطرس الاكبر بروسية سنة ١٧٢٣ طمعاً في نفطها ثم استرجعتها ايران وعاد الروس واستولوا عليها سنة ١٨٠٦ ومنحوا امتياز استخراج النفط منها لرجل اسمهُ موزويف فربح منهُ اموالاً طائلة ثم نزع الامتياز سنة ١٨٧٤ واستبدلت ضريبة تدفع للحكومة . وإنَّ ابار باكه هذه اعجوبة من اعاجيب الدنيا منها بئر فتحت سنة ١٨٨٣ كان يخرج منها في اليوم الواحد عشرة آلاف طن من النفط الاسود اي خمسمائة الف صفيحة ربحها في اليوم احد عشر الف ليرة انكليزية . وهناك ابار اخرى لا تقل عنها

اما قيراب بخوزستان فقد مر ذكرها والنفط فيها ملك الشركة الانكليزية الفارسية وهم يستخرجونهُ من مكان يقال لهُ ميدان نفطون اي ساحة النفط وينقلونهُ في انابيب الى عبّادان كما مرّ ويقطرونهُ هناك

بغداد امين معلوف

غرور الوهم

قصة لتوماس هاردي (١)

اشتهر هنري بتريك في أواسط القرن الماضي بكونهِ من ابرع المرابين واقدرهم على اقتناءِ القصور والحدائق والضياع والعقارات في مدينة لندن وضواحيها . ومعظم هذه المقتنيات آلت اليهِ لا بطرق البيع المعروفة بل كان يرتهنها من اصحابها على مقادير كبيرة من المال الى آجال معينة . وعند حلول الاجل كان اصحابها يعجزون عن فكاكها فيغلق الرهن وتصبح الرهائن ملكاً لهُ . وكان في اول امرهِ محامياً . وبمزاولة هذه الصناعة صار وكيلاً لبعض النبلاءِ الاغنياءِ . فاتَّسع لديهِ مجال العمل بالمراباة على الوجه السابق ذكرهُ واثرى إثراءً فاحشاً واصبح من كبار ارباب الاملاك

وكان في وقت ابتداءِ هذه القصة قد شاخ وجاوز الثمانين وكان ابنهُ الوحيد قد توفي . ولكن كان لهُ حفيدان ، اكبرها المسمى باسمهِ — هنري بتريك — متزوّج وعما قليل يرزق ولداً . وفي هذا الوقت أُصيب الجدّ بمرض عضال أنذرهُ بتصرّم حبل حياتهِ ودنوّ ساعة وفاتهِ . فكتب وصيتهُ وحبس فيها كل ما يملكهُ ، من ثابت ومنقول على حفيدهِ الاكبر ومولودهِ ، إن كان ذكراً . وإلاَّ فعلى حفيدهِ الاصغر ومولودهِ الذكر . وإن لم يرْزَق هذا مولوداً آلت التركة الى الاقرباءِ الاباعد

وفيما هو ملقى على فراش المرض تمخَّضت زوجة حفيدهِ الاكبر انات وبشَّرت القابلة بمولود ذكر . وكان زوجها مطبوعاً على الامتثال لامر العواطف وبمعزل عن الطموح الى المعالي والارتقاءِ في معارج العز والسؤدد ، مع كونهِ فرع اسرة عريقة في الدهاءِ والاحتيال وبعد النظر . ولهذا لم يكن التوفيق حليفهُ عند ما عقد زواجهُ على فتاة كان ابوها من طبقة العامَّة او ارقى منها قليلاً . على ان زوجتهُ هذه كانت آية في الحسن والجمال . فلما رآها شغف بها شغفاً يفوق الوصف وما ابطأ ان خطبها من أبيها واقترن بها وهو لا يعرف عن تاريخ حياتها الاَّ شيئاً يسيراً . وكان الى الآن لا يرى اقلّ سبب يدعوهُ الى الندم والاسف على اختيار هذه الزوجة الحسناء . واصبح همهُ محصوراً في ما تعانيهِ من الداءِ الذي ألمَّ بها بعد الولادة وهو يتمنى لها من صميم فؤادهِ الإِبلال العاجل والشفاء الكامل

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في مقتطف مارس الماضي

ولكن داءها — وكان حمَّى النفاس — أعضل طبيبها فلم يبق عنده أمل بنجاتها منهُ . ولما شعرت بأنَّ شمس حياتها مالت الى المغيب دعت زوجها هنري اليها وطلبت ان تخلو بهِ على انفراد . ثم استحلفتهُ أن يعنى بالولد بعد وفاتها اتمَّ عناية ويتوفَّر على رعايتهِ وتربيتهِ كأب صالح وعلى محبتهِ كأمّ رؤوم حنون . فأقسم لها بأغلظ الايمان ووعدها أن يفعل حسب طلبها . وبعد ما سكتت هنيهة قالت لهُ انها لا تستطيع مفارقة الحياة بكذبٍ مرتّقٍ لصفاء صحيفة سيرتها وخداعٍ مدنّسٍ لطهارة سريرتها . فلا بدَّ لها من الاعتراف والإفضاء بسرّ رهيب قبلما يوافيها الحمام ويحبس لسانها عن الكلام . وقصت عليهِ حادثة تتعلق بنسب الولد على خلاف ما يظن

ومع كونهِ حادّ الشعور وسريع الإحساس كظم غيظهُ ونهنه من غربهِ متماسكاً متمالكاً ومتحملاً هذه الصدمة العنيفة بصبر نادر المثال . وفي تلك الليلة توفيت زوجتهُ أنات . وقبل الاحتفال بدفنها اسرع الى جدّهِ واسرَّ اليهِ كلَّ ما حدث — ولادة ابنهِ واعتراف زوجتهِ ووفاتها . وتوسّل اليهِ بمحبتهِ لهُ ان يعجل في تغيير الوصية على وجهٍ يحرم المولود الدخيل حق الارث . فاستصوب الجد هذا الامر ولم يكن في حاجة الى من يلحّ عليهِ في العمل بموجبهِ . ومن فورهِ كتب وصية اخرى حبس فيها تركتهُ على حفيدهِ الاكبر مدة حياتهِ وعلى من يولد لهُ في المستقبل من الاولاد الذكور . ومن بعدهم ينتقل الميراث الى حفيدهِ الاصغر ادورد وورثتهِ . وبموجبها حُرم المولود الجديد ولم يُعَد من اعضاء اسرة بتريك

ولم تطل حياة الشيخ المرابي بعد هذه الحادثة لانَّ اطلاعهُ على السرّ الذي افضى بهِ حفيدهُ اليهِ انشأ فيهِ هزَّة غيظ وغمّ لم يستطع احتمالها فقضى نحبهُ وانضمّ الى قومهِ . وبعد فراغ هنري من قضاء الشؤون التي عرضت لهُ على اثر وفاة زوجتهِ وجدّهِ وجّه التفاتهُ الى اعمالهِ الاعتيادية وقد استراحت افكارهُ من جهة النتائج السيئة التي كان يخشى وقوعها لو لم يتداركها وعزم ان يتزوج مرة ثانية عند ما يظفره حسن الحظ بالحصول على زوجة حسب مشتهى قلبهِ

ولكن كثيراً ما يعزم الناس على شيء ثم يعدلون عنهُ . وذلك لانهم في الغالب يجهلون انفسهم وقلما يعرفونها كما يجب . لان مرارة النفس التي تولدت في نفس هنري بتريك بعد اطلاعهِ على سرّ زوجتهِ تحولت شيئاً فشيئاً الى كره النساء وعدم الثقة بهنَّ . ومع انهُ لقي عدة فتيات كريمات المحتد وربات حسن باهر وجمال ساحر لم يمل

فؤاده الى واحدة منهن وخاف ان يستعيد موقف الزوج ويستهدف فيه لغدر لم يكن في الحسبان وخيانة تجرّعه غصص الاحزان وتصمهُ بوصمة عار لا تمحى — ولذلك عاف الزواج كلَّ العياف واستعان بقوَّة عقلهِ على كبح جماح نفسهِ ولم يهمهُ قطّ ان يعيش بلا نسلٍ ولا عقب ويكون مصير التركة بعد وفاتهِ الى اخيهِ واولادهِ قائلاً في نفسهِ ان هذه الخسارة ، مهما تعظم ، أيسر خطباً من تعريض اسمهِ للعار والشنار

وقد وفى بوعدهِ لزوجتهِ من جهة العناية بذلك الولد العاثر الجدّ والمنكود الحظّ فاعدَّ كلَّ ما مسَّت اليهِ حاجة تربيتهِ وتنشئتهِ في بيتهِ . وكان من وقت الى آخر ينظر اليهِ فيراهُ على خير ما يرام ويكلم المربية ويشدّد التوصية بمواصلة رعايتهِ والسهر عليهِ . وعلى هذا الاسلوب اقام هو والولد في قصر ستابلفورد . وحدث بعد ثلث سنين انهُ خرج يتمشَّى في حديقة القصر ونسي علبة السعوط على متَّكإٍ في الحديقة . ولما رجع ليأخذها وجد الولد واقفاً بجانب المتَّكإِ وبيدهِ العلبة مفتوحة وهو يلهو باستنشاق السعوط غير مبالٍ بما يسببهُ لهُ من تواتر العطاس . فأُعجب هنري بشدة ثبات الطفل واصراره على مزاولة هذه اللعبة مع كل ما يعانيهِ من العنت والانزعاج وتفرس في وجههِ فرأى عليهِ ملامح زوجتهِ ثم اخذ يتأمل في سوء حالة الاطفال لاسيما الذين يكونون منبوذين كهذا الطفل الواقف امامهُ

ومن تلك الساعة شرع يقاوم شعوره بخيبة أمله مستعيناً على إخماد جذوره بعامل شعورٍ آخر وهو ان الانسان مفطور على المحبة. فهو بطبيعتهِ مضطرٌّ ان يحب هذا الشيءَ او ذاك . ومن الحكمة ان يجري على هذه السنة الطبيعية . وهذا الاعتبار ولَّد فيهِ اهتماماً صالحاً بالولد روبرت . وهذا الاسم اطلقَ عليهِ بناءً على التماس والدتهِ وهي على فراش النزع . فانها طلبت اذ ذاك ان يعمَّد في غرفتها ويسمى روبرت ، خوفاً من ان تموت قبل الاحتفال بعمادهِ علانية. ولم يخطر حينئذ ببال زوجها ان لهذا الاسم مغزىً مخصوصاً . ولكنهُ عرف مؤخراً ، على سبيل الاتفاق ، انه اسم مركيز كريستمنستر ابن دوق سوثوسترلند وان قلب زوجتهِ اناتَ كان يصبو الى هذا الشاب قبل زفافها اليهِ. لم يتذكَّر بعض الجمل التي فاهت بها زوجتهُ في حديثها الاخير ولم يفقه لها معنى في تلك الساعة. وأما الآن فمنها استدلّ على ان المركيز هو الرجل المراد بكلامها على تاريخ روبرت الصغير

وكان كلَّ يوم يقضي ساعات الصباح مجالساً لهذا الولد وهو صامت لا يفوه ببنت

شفة ، لانهُ كان مطبوعاً على قلة الكلام، والولد يطلق لسانهُ بالحديث اطلاقاً متواصلاً ثم يغادره ويدخل غرفتهُ ويمعن في التبرّم والتأفف ويعزم على مقاطعة الولد وتنكُّب مجالستهِ . ولكنهُ قلما ثبت على عزمه هذا اكثر من يوم واحد

وعلى توالي الايام ازداد هنري تعلقاً بالولد روبرت حتى اصبح تقريباً شغلهُ الشاغل والغرض الوحيد الذي يحيا لاجلهِ . وكان قبل هذا الوقت قد شعر بشيءٍ من الغيرة لما تزوج اخوه ادورد ابنة رجل من كبار الاعيان . ولكن هذه الغيرة لم يبق لها من اثر عندما اتضح لهُ أنَّ نسب روبرت اشرف جدًّا من نسب زوجة اخيه . واخذ ذكر زوجتهِ يلطف ويطيب في ذهنهِ كلما فكَّر في ما كانت عليهِ من سلامة الذوق وحسن الاختيار مع انها ليست على شيءٍ من كرم المحتد واصالة النسب. وبمثل هذه الاعتبارات جعل يتمحَّل الاسباب لاغتفار ضعفهِ وتسويغ محبتهِ للولد حتى اصبح يعدُّه من حيث الاصل — ان لم يكن من حيث الانتماء — ممثلاً لبيت هو من اشرف البيوتات الانكليزية. وكان من الذين اسرفوا في تلك الايام في احترام الملوك وانسبائهم ووضعهم في مصافّ الآلهة. ولهذا كان خلاصة ما انتهى اليهِ في تأملاتهِ المبنية على هذا الاعتقاد أن الرجل الذي احبتهُ أنات من صفوة الشرفاءِ النبلاءِ فالولد ايضاً نبيلٌ وشريفٌ على رغم كل مكابر ومنازع

وكان كلما اطال التأمل في هذا الموضوع يزداد استصواباً واستحساناً لما فعلتهُ زوجتهُ المسكينة ، محاولة تحسين النسل في عشيرة بتريك . لم يجهل ما كان عليهِ اسلافهُ من ضعة الاصل وحقارة الشأن وقبح الصيت . وذكر ايضاً ان كثيرين من اقربائهِ الاحياء مقتفون خطوات آبائهم واجدادهم في طرق المثالب والمعايب . ولعله هو ايضاً مكتسب بالوراثة بعض هذه الصفات الذميمة. وكان من اسهل الامور أنها تنتقل منهُ الى روبرت لو كان من صلبهِ فيشبُّ على الشر والفساد وتنحدر شيبتهُ بحزن الى الهاوية فهو والحالة هذه يشكر الله من صميم فؤاده على ما جرى بهِ القدر وجعلهُ بمنجاة من هذا الخطر

ومما اشتهر بهِ كلٌّ واحد من عشيرة بتريك شدة احترام النبلاء ومحاولة التشبه بهم والافتخار بالتقرُّب اليهم ولو من اوهن الوجوه وباضعف الاسباب. ففي ذات يوم قال ادورد لاخيه هنري : «ان ابنك روبرت سيكون حظهُ من دنياه مقصوراً على التنعُّم بالثروة التي تركها جدُّنا بخلاف الاولاد الذين سيولدون لي فانهم سوف يفخرون ما شاؤوا بان امهم من أسرة كريمة الاصل وعريضة الجاه » فطفر قلب هنري ابتهاجاً

بما عندهُ من الاسباب التي يستطيع بها ان يحبه أخاه ، ادورد ، ويتيه فخراً عليهِ وعلى ما يدّعيهِ لزوجتهِ من شرف الاصل

ولشدة اهتمامهِ بصبيّـهِ روبرت طفق يطالع تراجم اسرة دوق سوزوسترلند ويقف على تفاصيل الاعمال المجيدة التي سجَّـلها التاريخ لرجالها العظماء منذ عهد ارجاع الملكية في انكلترا فإِذا بهم كلهم قد ضربوا باسهم كبيرة في التجديد والإِصلاح وأبلوا أحسن بلاءٍ في ساحات الكفاح واحرزوا قصب السبق في سياسة البلاد وإدارة شؤون الامة على الوجه الاصح الامثل وبسطوا ايديهم في البذل والإِنفاق على إنشاءِ المدارس والجامعات والمستشفيات وغيرها من الملاجيء والمتصدقات . ثم اخذ يفحص صور أولئك الاقطاب الغطاريف ويدقّق نظرهُ في رسوم الملامح والتقاطيع ويقابل بها ما يراهُ في وجه روبرت ليرى آثار الشبه بينهُ وبينها

ولما بلغ روبرت اشدَّهُ واصبحت علاليُّ قصر ستابلفورد وغرفاتهُ تردّد صدى مرحهِ وقهقهتهِ وسائر حركات نشاطهِ اشتدَّ شعور هنري بتريك بتبكيت ضميرهِ وتوبيخ نفسهِ اشتداداً يفوق الوصف . فقد رآهُ الآن أحقَّ انسان في العالم بالاستئثار بتركة جدّهِ على بكرة أبيها . ولـكنَّ ما فعلهُ عند ولادتهِ ، مدفوعاً اليهِ بعامل الخرق والرعونة ، قضى بنبذهِ وحرمانهِ هذا الحق. ولما كان قد صمَّم على ان لا يتزوَّج مرة ثانية فهذه التركة بحذافيرها ستنتقل بعد وفاتهِ الى اخيهِ واولادهِ

ولـكن وصيَّة جدّهِ الاولى كانت لا تزال باقيةً عندهُ ؟

والى الوصيتين اتجهت افكارهُ فصارتا موضوع هجسهِ في دخولهِ وخروجهِ وقيامهِ وقعودهِ . وكان كل ليلةٍ ، بعد ما يرقد روبرت في سريرهِ ويأوي الخدم الى مضاجعهم يخلو بنفسهِ وينشر الوصية الاولى ويطالعها ويودُّ من صميم فؤادهِ لو كانت الثانية وكانت الثانية الاولى

وفي ذات ليلة بعد ما تملَّى مسامرة روبرت بضع ساعات لجَّ بهِ داعي الحرص على مصلحة هذا الولد المحبوب وعاد لا يطيق صبراً على حرمانهِ فلم يبطيء بعد خروج روبرت من عندهِ ان عمد الى الوصيَّة الاولى وارتكب جريمة التزوير في تاريخها وأخَّرهُ اسبوعين بحيث صار تالياً لتاريخ الوصيَّة الثانية بعد ما كان سابقاً لهُ . وهكذا حلَّت الوصية الاولى محلَّ الثانية

ومرَّت السنون وجاوز روبرت طور الحداثة وتوسط عصر الشباب ولكن لم يبدُ

عليهِ شيءٌ من الملامح والصفات التي كان هنري يتوقع ظهورها فيهِ بذاهب الصبر . لم تلح على وجههِ آسال آل سو زوستر لند ولا نمّت احاديثهُ على شيءٍ من ذكائهم الخارق وحصافة عقولهم النادرة . وحدث ذات يوم ان هنري بتريك لقي طبيباً مشهوراً كان صديقاً حميماً لاسرة زوجتهِ أنات وطبيباً مخصوصاً لهم يدعى لمعالجة كلّ مريض منهم . وقد عرف انات جيداً الى ان تزوَّجها هنري وانتقلت الى قصر ستابلفورد وحلَّ طبيب آل بتريك محلَّهُ . وبعد ما تعارفا وتآلفا وتجاذبا اطراف الاحاديث في كثير من الشؤون أُعجب هنري بما رآهُ في هذا الطبيب من شدة الزكانة وقوة الفراسة ورسوخ القدم في المباحث العقلية المتعلقة بعلم النفس علاوة على تضلعهِ من علم الطبّ . ولما آنس الطبيب من هنري ارتياحاً شديداً لسماع حديثهِ أفاض في الكلام على استسلام كثير من الناس لتخيلات وأوهام تتسلط على عقولهم وافكارهم حتى يتعذر عليهم الافلات منها. وكثيراً ما تنتقل بالوراثة من الاجداد والآباء الى الاولاد والحفدة. ومثل على ذلك بأم أنات وجدّتها . فانهما كلتيهما كانتا عانيتين لسلطة نوع غريب من الوهم وهو اعتقاد صحة الاحلام وعدّها من الحقائق التي لا سبيل الى إنكارها . ثم سأل هنري متلطفاً هل لاحظ شيئاً من آثار غرور الوهم على زوجتهِ ؟ وقال لهُ انهُ هو نفسهُ كان قد سبق الى ظنهِ وجود أثر لهذه الخاصة او الميل في افكار أنات ايام عزوبتها .وكانت الاستيضاحات تتوالى متعاقبة في هذا الموضوع حتى رسخ في ذهن هنري اقتناع تامٌّ أن اعتراف انات لهُ كان مبنيًّا على خداع الأوهام وانَّما اقرَّت بحدوثهِ في اليقظة لم يكن الاَّ من قبيل اضغاث الاحلام

ولكي يزداد وثوقاً من صحة هذا الامر اطلع الطبيب على اعتراف زوجتهِ وكان قد حرص على كتمانهِ فلم يبح بهِ الاَّ لجدّهِ قبيل وفاتهِ . وماكان اعظم دهشتهُ عند ما قال لهُ الطبيب انهُ لا يستغرب صدورهذا الوهم عنها نظراً الى ماكان يعهدهُ بها من هذا القبيل

ثم واصل هنري التحري والبحث من جهات أُخرى. ومن مراجعة علاقات الزمان والمكان ومقابلتها بعضها ببعض اتضح له جليًّا ان ما افضت بهِ زوجتهُ اليهِ لا يمكن ان يكون له شبه صحة على الاطلاق . فالمركيز المتَّهم بميل قلبها اليهِ — وهو من نخبة الشبان الحائزين اكبر قسط من عزَّة النفس وطهارة السيرة — كان قد برح انكلترة لسياحة طويلة قبل زواج أنات بسنة ولم يرجع الا بعد وفاتها . فحبتها له لم تكن سوى حلم انساقت الى تصديقهِ بقوة الوهم ! !

ولما عاد هنري الى قصره لقيهُ روبرت كعادته هاشاً باشاً . فاستقبله بامتعاض داخلي لعلمهِ ان عروق وارث اسمهِ وثروتهِ لا يجري فيها سوى الدم الجاري في عروق عامة الناس . لم يبق لهُ امل بخلقٍ كريم المحتد . شريف الاصل . تحقَّق ان روبرت ابنهُ والمجد والشرف اللذين خيل اليهِ ان ابنهُ ورثهما كابراً عن كابر لم يبق لعينهما في وجههِ من اثر . نظر اليهِ فلم يستطع — كما استطاع من قبل — ان يقرأ التاريخ في وجههِ ويتبين آثار الادهار في عينيه

ومن ذلك اليوم فصاعداً اخذ ميلهُ اليهِ يزداد ضعفاً وفتوراً وشرع يلاحظ ملامح عشيرة بتريك ظاهرة عليهِ ظهوراً جليًّا غير مصحوبة باقل علامة من ملامح الشرفاء الذين علَّل نفسهُ بانتساب روبرت اليهم

ثم تذكَّر نزقهُ وتسرُّعهُ في الحكم على زوجتهِ بما خدش جبين طهرها وعفافها وتذكر ايضاً إقدامهُ على اقتراف جريمة التزوير في الوصية الاولى تعلُّلاً بامل كاذب فاحفظتهُ هذه الذكرى المرَّة واضرمت في قلبهِ نار الغيظ وحقَّرتهُ في عيني نفسهِ . وذلك التزوير الذي ارتكبهُ في الوصية رآه الآن مجسماً في اسم ابنه — روبرت — وممثلاً للهزء والسخرية اصدق تمثيل ، اذ كان مَثَل ابنهِ الحامل لاسم المركيز مثل الحمار اللابس جلد الاسد ! وتعزيتهُ الوحيدة بهِ صدق نبوّته اي كونه ابنهُ حقًّا

وبعد ايام كان المركيز في جوار قصر ستابلفورد . فلقيهُ هنري بتريك وشاهد محياه طافحاً بعلامات المجد والشرف . وفي اليوم التالي إذ كان جالساً في مكتبهِ قُرِع بابهُ . فصاح :

« من القارع ؟ » « انا روبرت »

ولما دخل زعق بهِ صاخباً مزمجراً وقال لهُ :

« دع عنك هذا الاسم (روبرت) الذي لستَ منهُ ولا قلامة ظفر ! وقل عن نفسك انك واحد من اهل بتريك السوقة . لماذا لا يكون صوتك كصوت المركيز روبرت الذي رأيتهُ امس ؟ لماذا لا يكون لك ما لهُ من ملامح المجد والشرف وامارات العزّ والسؤدد ؟ » فاجابهُ ابنهُ في حيرة وارتباك لا مزيد عليهما

« ولماذا يجب ان يكون لي ذلك كلهُ ؟ وكيف تنتظرهُ مني يا أبي وانا لم اكن قط من اقربائهِ ؟ » . فصاح ابوهُ « اسوءِ حظّك وحظّي لم تكن ! »

ترجمة : اسعد خليل داغر

الذهب الوهاج في البادية

الجهاد في رأي العرب كالوطنية في رأي الاوربيين

في الرحلة الثالثة[١] (١٩١٤—١٩١٥) يوم جاء الاستاذ موزيل (الشيخ موسى) دمشق كان الامير نوري الشعلان معتقلاً في الضمير فتوسط لدى الحكومة من اجله، فأطلقت الحكومة سراح النوري بعد ان تفاهمت واياهُ في ما يتعلق بمحاربة الانكليز. وعدها الامير وعداً كان الشوق الى البادية، بل الى الفرج، اكبر ما فيهِ. وأسرع بعد ذلك في الرحيل دون ان ينتظر صديقه ومنقذه الشيخ موسى

ثم سافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ مشايخ الروله. راح يفتش عنهُ في البادية وظل يطوّف عشرين يوماً قبل ان ظفر به في مخيّمه بخبرة الهجم جنوبي اللاهه في قلب الصحراء. وقد كان اوفر حظًّا في هذه الرحلة منهُ في الرحلة الاولى. كيف لا وهو الآن مندوب او شبه مندوب للدول الوسطى في الحرب العظمى؟ كيف لا وقافلتهُ هي ضعفا ما كانت في السفرة الاولى وفي احمالها الهدايا لمشايخ البدو. رحلة علمية خيرها جزيل لا يرافقها غير الشقاء. ورحلة سياسية لا خير فيها لاحد ترافقهـا التجلة والكرامة. هي الحياة حتى في البادية!

وما كان اجمل استقبالهِ في مخيم النوري بخبرة الهجم. جلس اخو العرب الشيخ موسى الفلاخي (Czech) الى يمين الامير وكان في سلامه، وفي شوقه، وفي سؤالاته واحداً من العرب، بل واحداً من بيت الشعلان وقد حزن حزْن واحد منهم عند ما سأل عن بعض اصدقائهِ الغائبين وسمع الجواب — «وممدوح بن سطام، وعذوب بن مجـوَل وسعود (ابن الامير نوري) اين هم؟» فاجاب الامير بكلمة واحدة: «راحوا»

ثم اخبر اخاهُ الشيخ موسى كيف قُتل عذوب في الغزو. «عادت فرسه وحدها ملطخة بالدم». وكيف قُتل ممدوح في غزوهِ لبعض عربان شمَّـر. «غزاهم في النفود فغنم جمالهم وغرَّبْ هارباً ورجاله. فكمن لهم العدو ووقع ممدوح بيد الشمامرة في شعيب الماء. جانا بخبره من نجوا و«حِـنا» بتلّ العمود»

وابنهُ سعود؟ ذهب فريسة الغدر. — «قتلهُ كلاب ابن حاذي عند ملتقى وادي النعيم بوادي سرحان شمالي قراقر. جاؤوهُ غادرين يقولون انهم بأمرة عوده

(١) راجع مقالة «البادية العربية» في الجزء الماضي

ابي تايه . وعربان ابن حاذي يلبسون مثل عربان عوده . صدقهم سعود وأنزلهم عليهِ ، فغدروا بهِ . « ثوّروا » البنادق على سعود ورجاله فقتلوهُ وقتلوا اربعة معهُ ، وشردوا ولكن الباقين من رجالنا لحقوا بهم فادركوهم صباح اليوم التالي ، وساقوهم الى المكان الذي سال فيهِ دم سعود ، فذبحوهم ورؤوسهم الى القبلة ذبح الغنم »

هي حياة البدو على الدوام . وقد جاء الشيخ موسى من «ديرة الفلاخ» باوروبة ينصحهم بان « يثوّروا » بنادقهم على الانكليز بدل ان « يثوروها » بعضهم على بعض. جاء يوفق بين القبائل المتعادية ويستنهضهم الى مناصرة الدولة العلية وحليفتيها المانيا والنمسا

وكان الامير نوري قد خرج من دمشق والحكومة تظن انهُ سيسعى والشيخ موسى لانجاح المشروع .ولكن الحكومات لا ترجم بالغيب وقلما يفتح البدو قلوبهم في غير البادية

قال الامير يخاطب الشيخ موسى في جلستها الاولى السياسية : « انت يا اخي تعلم ما بقلبي ، انت تعلم اني لا اثق بالحكومة ، ولا الحكومة تثق بي . لولاك كنت اليوم لا ازال اسيراً في الغوطة . . . وهذه الحكومة تطلب مني اليوم ان اساعدها في محاربة الانكليز . تطلب من النوري الذي حاولت ان تشنقهُ منذ اربع سنوات — النوري الذي قضى سنتين بسجنها — النوري الذي خلصتهُ انت يا شيخ موسى من المشنقة . تطلب مني هذه الحكومة الملعونة الوالدين ان استنفر العربان لمحاربة الانكليز . . . . وهذه الحكومة تضرنا اذا ارادت وتضر اهلنا وعشايرنا . يلزمنا ثياب ، ويلزمنا قمح ، ويلزمنا شعير لخيلنا . وهذه لا نجدها اليوم في غير الشام . واهل الشام لا يبيعوننا اذا عادينا الحكومة . اهل الشام يكرهون الحكومة مثلنا ويناصرونها علينا .فهل تلومني اذا وعدت الحكومة بالمساعدة ؟ الحكومة الملعونة الوالدين سأعطيها الوعود . . . . ولكني ادفع الميرة والله ، واساعد الحكومة بمالي . اطعمها الذهب . الذهب ا سامي باشا (المشير يومئذٍ) أكل ارطالاً من ذهبي . وعند ما لجأتُ اليهِ حكم عليَّ بالشنق . . . الحكومة الحاضرة لا تبغي المال — بل تبغي الرجال للحرب، وتقول لي انها تساعدني بعد الحرب على ابن الرشيد والله اعلم اذا كانت تكذب او تصدق في قولها »

فقطع نواف عليهِ الحديث قائلا : « هي تكذب يا ابي . وكيف تساعدنا وانور باشا يرسل الى ابن الرشيد السلاح والذخيرة والمال ؟ في اول هذا العام ارسل اليهِ في سكة الحديد الى الهجر خمس عشرة الف «موزر» واربعمائة الف خرطوشة، ومدافع كثيرة ، وصناديق من الذهب تسلمها ابن السبهان ونقلها الى حائل . . . وهذا الانور

هو الذي صالح ابن سعود واعطاهُ النياشين . ثم اعطى ابن الرشيد السلاح والمال ليحاربهُ . . ولولا هذا الانور لما نكث ابن الرشيد عهد الصلح بينهُ وبيننا وبينهُ وبين ابن سعود . . . ترى ابي يدفع الى الحكومة اربعة آلاف ليرة كل سنة ويشتري بماله ما يلزمهُ من السلاح والذخيرة ليحمي عشائرهُ ، وليحمي رعايا الدولة في القرى المجاورة للبادية . اما ابن الرشيد فالحكومة تعطيهِ كل شهر مائتين وثلاثين ليرة عثمانية ، وتعطيهِ ما يبغي من السلاح والذخيرة ، فتقويهِ علينا ، فيسلب « طروشنا » ويقتل رجالنا »

النوري : وما العمل يا ابني نواف . هل يمكنك ان تحارب ابن الرشيد ؟ واين سلاحنا من سلاحهِ ؟ اربعة آلاف بندق (بندقية) على خمس عشرة الف موزر . وخرطوشنا ما ينفع . لا يالولَيْد . خير لنا ان نطيع الحكومة وننتظر — ننتظر الى ان تنتهي الحرب والحكومة تبغي السلم بين العشائر ونحن الروله (تُلفظ ارْوَلَه) نبغي السلم — نحتاج الى السلم » فقال الشيخ موسى

« الحق مع والدك يا نواف . اتحدوا فيخافكم ابن الرشيد ، وتخافكم الدولة . وانا الكفيل ان عشائر الفدعان يصالحونكم . ويجب ان تصالحوا كذلك ابن الرشيد »

وكان عوده ابو تايه حاضراً فافصح عما في صدرهِ بصراحة عربية لا صراحة بعدها . « وهل تظن الحكومة اننا لا نفهمها ؟ تقول لنا : السلم . وهي تبغينا للحرب . هي لا تثق بنصارى سورية ولا تثق بدروز حوران . ويلزمها جمال لتمشي الى مصر . وهي تعرف ان القبائل ما زالت متعادية فكل قبيلة تعتذر وتحيلها على عدوها . اقول انا ابو تاية للدولة : دونك وعبطان [1] ويقول لها النوري : دونك والفدعان . ويقول لها نواف : دونك وابن الرشيد . وهم يقولون لها قولنا ويحيلونها علينا . النتيجة ؟ كلنا نظل في خيامنا . . . اي بالله يلزمنا السلم . يلزمنا السلم لمصلحتنا لا لمصلحة الدولة . اكتب يا شيخ موسى الى الحكومة وقل لها اننا نمشي معها بشرط ان تردع اعداءنا وهم في الظاهر اصحابها »

الشيخ موسى : « وهل تمشي انت ورجالك يا عوده مع الجيش الى مصر ؟ »

عوده : « لا اخرج من البادية ما زال فيها خصومات . اما اذا صالحت عبطان وابن الرشيد ، واعطتني الحكومة السلاح والذهب ، — يلزمني ذهب وسلاح — امشي والله . امشي الى مصر » . وكان في مخيم الامير بعض مشائخ العمارات فقال احدهم مجيباً على

(١) عبطان بن حازي شيخ الحويطات التي كانت يومئذ معادية لحويطات عوده ابي تايه

كلمةٍ للاستاذ موزيل في الجهاد. — «الجهاد يا شيخ موسى هو ان نحمي خيامنا وطروشنا» وفي لغة المتمدنين الجهاد هو الحرب في سبيل الوطنية، فيقول الانكليزي مثلاً الجهاد هو ان نحمي بريطانيا العظمى وممتلكاتها. لا فرق اذن بين عقلية البدوي وعقلية الانكليزي. فلماذا يكرم هذا في جهادهِ، ويتهم ذاك بالوحشية ؟

— « واعلم يا شيخ موسى » — الكلام لشيخ آخر من مشايخ العمارات — « اننا لا نكره الانكليز ولا نحبهم. اما اذا اقتربوا منا وحاولوا التعدي علينا فالويل لهم . . . هم الآن يحاربون الدولة فلتحاربهم الدولة بجيشها » . — « يقولون ان الانكليز دواهي يأخذون املاك الناس ويسلبون حريتهم . والله يا شيخ موسى اذا جبُنّا ما يأخذون غير مالنا . اما حريتنا فلا يأخذها منا غير الله . . . ولكنهم الآن بعيدون عنا فلاهم اعداؤنا ولاهم اصحابنا . و« ويش » يصير غداً — الله اعلم »

النوري : «كلامك صحيح . ولكن يجب ان نطيع الحكومة. الله ينصر الدولة»

ثم قال للشيخ موسى وهو عائد واياهُ الى الخيمة : « لا بد من الكلام السياسي ، فلا يسوّد احدٌ وجهي مع الحكومة »

وظل النوري يتقلب ويتلون الى ان ظهر في الحجاز، بعد سنة، الكرنل لورنس، فغلب الخيّال الانكليزي النسر الالماني . اجل، قد ظفر لورنس بما لم يظفر بهِ الاستاذ موزيل فجمع شمل العربان وضمهم تحت لواء الشريف — ولواء الاحلاف — وكان الفضل الاكبر في فوزهِ للذهب الانكليزي. ومن المعلوم ان الليرة الانكليزية تزيد الليرة العثمانية عشرين غرشاً . ومن المعلوم — اليوم — ان عقلية الاحلاف هي مثل عقلية شيخ العمارات الذي قال : « الجهاد (الحرب) هو الدفاع عن خيامنا وطروشنا »

فهل يلام العرب اذا هم فضلوا لورنس والشريف على موسى والجمال ؟ وهل يلامون في ما تقاضوهُ للدفاع عن الانكليز والفرنسيس ، ونحن نرى اليوم انقلاب الآية ؟

قد كشفت لنا الايام . بعد تسع سنين من الهدنة ، عن بواطن الاحلاف ونياتهم، فصرنا نعذر العرب الذين فضلوا الليرة الانكليزية على الليرة العثمانية — الذين باعوا الدولة بل الدول الوسطى بعشرين من الفضة . بل صرنا نأسف لان الدول الوسطى انسحبت يومذاك من المزايدة . فلو ثبت الاستاذ موزيل وكان سخيًّا ، او بالحري لو كان موكلوهُ أسخياء ، لانقلبتْ الآية ، ولَباع العربُ لورنس والشريف ، ودول الاحلاف جمعاء بعشرة لا بعشرين من الفضة

امين الريحاني

العلم والعمران بعد غدٍ

بحث العلماء عن قوى الطبيعة والحياة

لا نعرف موضوعاً اعلق بالنفس واكثر اتصالاً باصول الحياة في الحاضر والمستقبل القريب من موضوع العلم وما يمكن ان يصل اليه في نصف القرن المقبل وما يكون له من اثر في تقدم العمران. وقد وضع الاديب الانكليزي المشهور السر فيلب جبس كتاباً في هذا الموضوع سماه « ما بعد غد » فرأينا ان ننشر مقتطفات منه في هذا الجزء والاجزاء التي تليه :

لا جدال في القول إن التغير الجوهريَّ الذي طرأ في القرن الماضي على العادات الاجتماعية في كل اقطار المسكونة قد فاق كل ما حدث من نوعه فيها منذ ستة آلاف سنة ويخيَّل اليَّ ان التغير الذي لا بدَّ ان يحدث في السنين الخمسين المقبلة او فيما يقلُّ عنها قد يبزُّ الانقلاب الذي تمَّ حتى اليوم ويعدوهُ.

وسأورد في هذا الفصل وما يليه من الفصول ما اتصوَّرهُ من المستنبطات والمكتشفات التي قد تتم في المستقبل القريب، متخيراً هذين اللفظين «المستقبل القريب» بلا تحديد، في غير معنى التنبوء الذي يستعملهُ لهُ المستر ولز في التنبؤات التي لا تستند الى اسس ثابتة بل تقوم على تخيلات من قبيل اوهام الشعراء. وقد توخيت اثبات الحقائق وايراد احدث الحقائق العلمية على ما وصل اليهِ علمي وبقدر ما ادركت من كنهها

في المعامل الكيماوية الساكنة

يجدر بالمسوقة، وانا فردٌ منهم ان يراقبوا علماء هذا العصر وهم يدأبون بين جدران معاملهم الكيماوية الساكنة، المحظور على امثالنا ولوجها. علينا ان نُعنى بذلك لانهم يقومون بمباحث متعلقة بحياتنا، كانّنا نحن المرضى الذين من اجلهم يعملون عملياتهم مع ان السواد الاعظم منا لا يفقه كنه هذه العمليات ولا يفهم الخطط التي يختطونها لوسائل معيشتنا في المستقبل. وهؤلاءِ العلماء الفضلاء يثابرون على اعمالهم بمنجى من جلبة الناس إما باحثين بطول أناة، منقبين بنظاراتهم ومكرسكوباتهم في الكائنات العضوية وغير العضوية، وإما مستقرئين التفاعل الكيماوي الذي ينجم عن اتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض، وإما متتبعين ادوار حياة الجراثيم واثرها في الاجسام الحية، واما مقلبين بين ايديهم آلات صغيرة تتأثر بالضوء او تحس بالصوت. واكثرهم يباشر ذلك كلهُ ليس



السر فيلب جبس

مؤلف كتاب « ما بعد غد »

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦٤٨

رغبة في البحث لذاته وانما لافادة البرية بأسرها . ولا بدَّ ان تحدث تجاربهم العلمية تغييراً عظيماً في عادات الناس وانظمة معيشتهم

وليس الكتمان من سجايا العلماءِ الاَّ الى حين ريثما تثبت لهم الحقائق ناصعة فيذيعونها للناس . وقد شرع بعضهم فعلاً في تأليف الكتب الصغيرة ليستفيد منها الجمهور ويعلم ما يحتمل حدوثهُ في المستقبل القريب او البعيد ، وما يتوقَّع وجودهُ من قوى جديدة ما زالت في طيّ الخفاءِ

فاذا ما اقدم امرؤ مثلي من الجهلاء على التعارف باولئك العلماءِ فانهم لا يصدفون عنهُ ولا ينكرون عليهِ الارتشاف من منهلهم العذب ولكنهم يعمدون الى كلمات مبهمة مقتضبة يظنونها هينة قريبة التناول وهي في الحقيقة طلاسم يقف امامها امثالي مرتبكين حائرين

وهم على الضد من ذلك يودون ان يماط اللثام عن مستنبطاتهم وما يرجى منها . ولكن فرداً من افراد الطبقة الدنيا لاهمَّ لهُ الاَّ عمله اليومي والراحة منهُ في المساءِ ، او امرأة عليها ان تقوم باعمال بيتها في الصباح وبواجباتها الاجتماعية في المساءِ ، قلما تهمهما أفكار العلماءِ . ومع ذلك فان هذه النظريات والمباحث لا بدَّ ان تجدّد المدنيّـة تجديداً جوهريًّا فتصبح معظم الاعمال التي يقوم بها الرجال الآن مزدراة في المستقبل وتتبدل ازياءُ النساءِ . حتى سبل الحياة نفسها ربما تفضي بالسائرين فيها الى عمران آخر

نعم يجب علينا ان نتتبع خطوات العلماء عن كثب لان مصدر الانقلابات الاجتماعية العظيمة لم يعُـدْ ، في يد الفيلسوف ولا المفكر الكمالي النزعة ولا الوزير السياسي ، إذ ثبت ان هؤلاءِ الرجال اصحاب الفكر المجرد او النظريات السياسية لا شأن لهم في احداث اقل تغير في حياة الجمهور او في علاقات افرادهِ بعضهم مع بعض . وذلك بصرف النظر عن القليلين من ذوي الالباب السامية الذين غيروا مجرى التاريخ في العصور الغابرة او قد يغيرونهُ في اوقاتنا الحاضرة مثل لنين واتباعه الذين كانوا سبباً لتدهور شعب باسرهِ في دركات الخراب ولو الى حين . ان الرجال الذين اكتشفوا اولاً استعمال النار ، والرجل الذي اخترع عجل المركبات ، غيرهم ، كان لهم في نشوءِ العمران المادي شأن اعظم من شأن اي فيلسوف . وليس من ينكر ان الكيماوي والمهندس هما العاملان الوحيدان اللذان احدثا الانقلاب الخطير الذي عمَّ المسكونة في القرن الماضي لانهما خلقا كلّ وسائل الاتصال بين شعوب الارض وغيَّرا مظاهر الحياة الفردية باستخدام قوة جديدة يسيطر عليها الانسان

الآلات والعمران

لا يخفى على كل منا ان جميع احوال الحياة الاجتماعية في كثير من البلدان قد تبدلت تبدلاً مدهشاً منذ نحو قرن من الزمان وان الذين قاموا بهذا التبديل رجال قلائل جلهم من الطبقات الوضيعة الخاملة الذكر كالذين درسوا قوة البخار في توليد الضغط في فراغات محصورة فأسفرت تجاربهم عن حلول قوى الآلات محل قوى الانسان فبدأ عصر الصناعة وما يصحبهُ من مدن غاصة بالسكان ، حافلة بالمصانع التي تقذف مداخنها بسيول عرمة من الدخان . وقد ترتب على ذلك ان بلاداً معروفة كادت تتلاشى منها وسائل الصناعات اليدوية العتيقة البطيئة الانتاج — فعجَّلت نظم الحياة بعد مضي الوف من السنين عانى الناس في اثنائها — الاَّ بعض الملاحين والتجار والعلماء والادباء والحكام — الشدائد في الانكباب على الارض التي نشأوا فيها يكدّون ، ومن عرق جبينهم يأكلون خبزهم ويحققون مآربهم الطفيفة التي تجشموا المشاق في سبيل الظفر بها . وكانوا في الغالب يعيشون ويموتون في بيئة ضيقة النطاق جدًّا لا تتعدّى المزرعة او القرية ، وان اتسع نطاقها فما كان يجاوز وطنهم وما فيهِ من مجال فكري ضيق ووسائل بطيئة للنقل والانتقال

وفي هذا الصدد يقول عالم من اكبر علماء الانكليز« ان غاية جميع النظم الاجتماعية من اقدم الازمان هي زيادة قوة الفرد الانساني »

ويتجلى صدق هذا القول في تاريخ القرن الماضي ولاسيما في النصف الاخير منهُ الحافل بازدياد القوة الانسانية الفردية ازدياداً عظيماً وذلك بما استجدَّ حينئذٍ من الوسائط العلمية التي ذللت القوى الطبيعية حتى صيرتها تدير الآلات فتغني العمال عن احتمال مشاق الاعمال. ونعني بها البخار والكهربائية وقوة الماء والنفط والبنزين وغيرها وهي الوسائل التي توسل بها الانسان الى تحرير نفسهِ من اللعنة الالهية الازلية — ولعلها بركة او بعبارة اخرى نقمة تنطوي على نعمة — تلك التي حلّت بجدنا آدم من لدن الله تعالى إذ قال لهُ « ملعونة الارض من اجلك ، ومن عرق جبينك تأكل خبزك »

إن رجلاً واحداً ونريد بهِ — هنري فورد — في قطر عظيم — ونعني بهِ جمهورية الولايات المتحدة قد اتيح لهُ في مدى حياته بتنظيمه الخاص لاعماله ان يضيف الى العالم قوة محرّكة متحركة تكاد تعادل قوى ٣٠٠ مليون حصان وهي قوة تفوق ٩٧ ضعفاً القوى الكهربائية التي يمكن ان تتولد من شلالات نياغرا . على حين ان

العالم باسره انما يستخدم من القوات المحرّكة الثابتة ما يوازي قوة ٢٣ مليون حصان تستأثر الولايات المتحدة وحدها باكثر من ٩ ملايين حصان منها

فاذا تساءل الناس قائلين — هل زاد عمل فورد وسائط سعادة الناس كما زاد القوى الآليّة كان جوابنا عن هذا السؤال الخطير منحصراً فيما سنوضحهُ من المستنبطات التي تختمر في عقول رجال العلم . أما هنري فورد نفسه فيعتقد انهُ قد زاد الحياة سعادة كما اكثر القوات الآلية اكثاراً عظيماً . ومن آرائه في هذا الشأن أن الاجير الصيني الذي يقضي في عملهِ اليومي عدة ساعات يتقاضى لاجلها دريهمات معدودات ليس اسعد من العامل الاميركي الذي يتمتع بدارهِ وسيارتهِ

وما عليك اذا شئت ان تحقق ذلك إلاَّ ان تقصد عاملاً من ركاب المركبات التي تطوف في الشوارع وتسألهُ هذا السؤال : فيقول لك إنهُ منذ بضع سنين كان يعود الى داره من عمله تعباً بحيث لا يجد متسعاً من الوقت لتغيير ثيابه فكان يتناول عشاءهُ ثم يذهب الى فراشه لينام . اما الآن فانهُ يستطيع خلع ثيابه القذرة في محل عمله وارتداء الثياب النظيفة ويرجع الى بيته قبل ان يخيم الظلام فيتمكن من استصحاب عائلته للتنزه . ثم ان ذلك العامل لا يحجم عن مصارحتك بأن زمن الارهاق قد مضى وانقضى وان كل ما يطلب منهُ في عمله الآن ان يكون اشد عناية بتنظيمهِ من قبل

اما وقد بسطنا حكم رجل من أعظم رجال الاعمال في هذا العصر بشأن استخدام القوة المحركة في المرافق البشرية — فقد توخينا الاستهلال بهِ لان العلماء العصريين على أهبة تزويد الناس بقوى جسيمة تزري بما استخدموهُ حتى اليوم في قضاءِ اعمالهم . وعندي ان هذا التقدم يتجلى بالاخص في طرق الاتصال بين فكر انسان وآخر وبين جماعة واخرى على حين ان العلماء ما برحوا يجدّون في امتحان واستحداث موارد جديدة للقوة

«إن النقل والانتقال — على ما يقول الاستاذ هلداين العالم الذي يعتبر من انبغ العلماء الشبان الانكليز — محدودة بسرعة الضوءِ . أما نحن فقد وقفنا همنا على تحقيق حالة يتسنى فيها لاي شخصين على سطح الارض الاتصال احدهما بالآخر في جزءٍ من ٢٤ جزءًا من الثانية . قد لا نحقق هاتهِ الغاية ، ولكنها أمنيتنا وسنسعى الى ادراكها بلا ونى»

فجر عصر الهواء

اما النقل التجاري — ونعني بهِ نقل الناس او البضائع من جهة الى اخرى من

جهات المعمورة — فان السنين الخمس والعشرين المقبلة او ما يناهزها قد تغير اساليبنا الخاصة به، لاننا ما زلنا في فجر عصر الهواء

شهدت من زمن يقل عن عشرين سنة روّاد الطيران يمارسون تجاربهم الاولى الضئيلة الخطرة ليرتفعوا فوق الارض بآلات اثقل من الهواء كما رأيت بعضهم ينتحرون يأساً من امكان مكافحة الهواء حتى وقع نظري على رجل اسمهُ (كودى) يخرج آلة كان قد صنعها بنفسه صنعاً غير متقن فكانت دعائمها [1] ثقيلة ومرجلها [2] وزن نصف طن وكنا اذ ذاك نسمي تلك الطيارة «القصر البلوري» و«سيارة العائلة» وما شاكلها من الاسماء التي اطلقت عليها على سبيل التهكم لاننا ما كنا نعتقد بان ذلك الرجل يستطيع ان يطير بها حتى جاء يوم اتيح لهُ في صباحه الارتفاع بها في الجو فطار حول المطار طيراناً خفيفاً كالفراشة. وكرّر ذلك ثلاث مرات قبلما سقط وتحطمت الطيارة فسللناهُ بانفسنا من حطامها مثخناً بالجراح ولكنهُ كان مسروراً بما استهدف لهُ من الاخطار لانهُ «فاز بتحقيق رغبته» كما قال

وما لبثنا بعد ذلك حتى شهدنا تقدم الطيران يتم امام عيوننا واتفق ابتداء هذا التقدم عند نشوب الحرب العالمية فاستخدمت جيوش المتحاربين الطيّارات — بعد ما حلم بها الناس احقاباً طويلة من غير ان تتعدى احلامهم دور التمني — في زيادة احتدام المذابح الانسانية ومضاعفة اهوال الحروب

وكم دهش الناس من السهولة التي أصبح الشبان يطيرون بها طياراتهم ومن قصر الزمن الذي لزمهم لتعلم الطيران — ومثلهم في ذلك مثل من يدهش من تحقق النبوءات

ومما يروى في هذا الصدد: ان صديقاً لي فرنسي الجنس كان في جزيرة جرداء من جزائر المحيط الهندي الجنوبي اذ علم عن طريق احدى البواخر التي يمّمت شطر تلك الجزيرة بأن جيوش الالمان تتقدم نحو مدينة باريس. وكان هذا اول نبإٍ سمعهُ بشأن الحرب فلم يسعهُ الاَّ ان يبحر عائداً بتلك الباخرة الى فرنسا «وطنه» — وما وطىء ارضها حتى شرع في تعلم الطيران فاتقنهُ في اسبوعين ثم اخذ يطير فوق خطوط الالمان

وكان من نتائج الحرب الفظيعة حينما تفاقمت المخاطرات بجميع انواعها واخترع

(١) الاعمدة الرفيعة العمودية القائمة بين جناحيها وذنبها لربطهما بعضهما ببعض عند الطيران
(٢) المرجل فنطاس البنزين

العلماء قوة جديدة للقتل ان زادت سرعة الطيارات وضوعفت قوتها لحمل الاثقال فاضحى كشافة الجو يطيرون بسرعة ١٠٠ ميل او اكثر في الساعة الواحدة ، وتيسر للطيارات التي تقذف القنابل قذف ما يزن طنّا من المواد القابلة للانفجار

اما الآن فاننا دائبون على استعمال هذه الوسيلة الحديثة من وسائل النقل في طرق السلم . ولكن الى متى ؟ !

ففي فرنسا والمانيا وانكلترا وغيرها من الممالك خطوط جوية تصل المدن الاوربية الكبرى بعضها ببعض (كما هي متصلة بالسكك الحديدية) اتصالاً منتظماً بمواعيد مضبوطة كمواعيد القطرات

كنت آخر مرة في سويسرا وعزمت على العودة الى انكلترا فتناولت فطوري في مدينة بال على بحيرة كونستانس وغدائي في مدينة باريس وتناولت الشاي في كرويدون، ثم بلغت داري قبيل ميعاد تناول عشائي بساعتين مع ان داري في قرية تبعد سبعة اميال عن محطة سكة الحديد بلندن فكأني قضيت في عودتي الى بلدي سبع ساعات بدلاً من ست وثلاثين ساعة بالقطار والباخرة — فصارت سويسرا اقرب الى بلدي بسبب ذلك خمسة اضعاف مما كانت عليهِ قبلا — وبعبارة اخرى انها غدت قريبة من مدينة لندن قرب مدينة ادنبره لها قبل استعمال الطيارات وقريبة ايضاً مثل قرب ثغر دوفر للندن قبل استعمال القاطرات . وقد قرَّبت الطيارات كثيراً من الاقطار الاخرى النائية الى مراكز العمران الغربي وبواسطة المواصلات الجوية للنقل والانتقال قرَّبت بريطانيا العظمى اطرافَ امبراطوريتها المترامية

وفي كل سنة بل في كل اسبوع يدوَّن في التاريخ اقصى ما يبلغهُ الطيران من البعد والسرعة . وفي اول سنة ١٩٢٧ طار السير (صموئيل هور) وزير الطيران البريطاني مستصحباً قرينته الى الهند في احد عشر يوماً بمتوسط ١٠٠ ميل في الساعة الواحدة من غير عارض او عائق يعوقهُ في رحلتهِ . ثم عاد الى انكلترا من غير ان يحمل معهُ في سياحتهِ الجوية أدوات ما لتغيير ما قد يتلف من أجزاء الطيارة التي طار بها

وكان الفائز في الطيران بلا وقوف حتى آخر مارس سنة ١٩٢٧ الملازم الاول كوست وزميله اليوزباشي رينو وهما الطياران الفرنسويان اللذان طارا من مدينة باريس الى مدينة جاسك في بلاد فارس والمسافة بينهما ٣٣٩٠ ميلاً وذلك في ٣٢ ساعة

[في الجزء القادم فصل آخر من هذا الكتاب النفيس تال لهذا الفصل]

دانتي والاسلام

﴿ تمهيد ﴾ اعلن الاستاذ أسين بلاسيوس Palacios استاذ اللغة العربية في جامعة مدريد للملأ ان دانتي الشاعر الفلورنسي الذائع الصيت قد حاكى التقاليد الاسلامية في الرواية الالهية The Divine Comedy . فاشتد الجدال : فمن جاحد منكر ومن مناصر مشايع . لهذا ولما للموضوع من مساس بحياتنا الفكرية في الشرق وتعمياً لفكرة الأب الاستاذ أسين انقل لقراء « المقتطف » مجمل افكارهِ وبراهينهِ مستعيناً بكتابهِ المدعو « الاسلام والرواية الالهية » الذي نقله الى الانكليزية المستر سندرلند Sinderland وطبع في لندن (سنة ١٩٢٦)

والاستاذ اسين كما قالت مجلة المشرق الغراء « أحد الاعلام المتخصصين في فلسفة الاسلام وفي طرائقهِ الصوفية وله في الشاعر دانتي رأي مخالف لمذهب العلماء في أمر الرواية الالهية » فلا غرو اذن ان أثاركتابهُ الجدل في عالم الفكر الغربي لانهُ ذهب الى ان الشاعر العبقري مدين في كثير مما كتبهُ للثقافة الاسلامية عامة والتقاليد الصوفية خاصة . والاب أسين ليس أول من فكَّر في هذا الامر الخطير ولكنهُ أول من برهن على صحته بالاساليب العلمية والبراهين المحسوسة . ولقد ظن قبله الاستاذ Blachet في مقالهِ « المصادر الشرقية للرواية الالهية » ان الاسلام كان من المؤثرات التي عملت على انتاج فكرة هذه الرواية ولم يقم الدليل على صحة رأيهِ حتى قام الاب أسين بهذه المهمة الشاقة

بحث الأب اسين اولاً في ما لقصتي المعراج والاسراء من الاثر في الرواية الالهية اذ بعد ان اختلطت قصة المعراج Ascension بقصة الاسراء Nocturnal Journey وصارتا واحدة عكف عليهما الصوفيون يدرسونهما ويأوّلون تفاصيلهما وكان اشهرهم في هذا المضمار محيي الدين بن العربي المُرْسي الذي توفي قبل مولد دانتي بخمس وعشرين سنة . ثم رجع بعد البحث الطويل ان رسالة الغفران التي املتها عبقرية ابي العلاء المعري كانت ايضاً من المصادر التي اشتقت منها الرواية الالهية

واما ما جاء به ابن العربي في كتابه «الفتوحات المكية» فقد جاء مشابهاً الى درجة عظيمة لما جاء به دانتي . كما ان سورة الاعراف القرآنية في تفاصيلها مهدت السبيل الى فكرة جهنم والمطهر أو الصراط والمحشر

الاّ ان هناك زمرة من العلماء يرون ان الرواية منقولة عن التقاليد النصرانية والاقاصيص والخرافات التي كانت شائعة في اوربا في القرون الوسطى. لذلك عمد الاب اسين الى هذه الاقاصيص وبرهن انها مستقاة من التقاليد الاسلامية العربية

ولاثبات نظرية التقليد وجب بيان كيفية الاتصال والانتقال وهذه زبدة البحث:

﴿ ١ ﴾ اثبات الاتصال بالاسلام : بعد ان استقر العرب في البلاد المجتاحة واخذوا يوطدون اركان الملك اتجهت انظارهم نحو العلوم وتمكنت افكارهم في اوربا النصرانية وشعوبها عن الطرق التالية :

ا : التجارة . اتسع نطاق التجارة بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر اتساعاً سريعاً وكانت تنقل من بلدان الشرق الاسلامية الى اوربا الشمالية عن طريق نهر الفولغا Volga فخليج فنلندا فبريطانيا فغيرها من بلدان اوربا. وهذا ثابت بدليل وجود النقود العربية في تلك الاصقاع الى يومنا هذا . ثم تحولت الى منطقة البحر المتوسط في القرن الحادي عشر واصبحت تنقل الى اوربا عن طريق جنوه والبندقية . لذلك جاء تجار كثيرون من الطليان وسكنوا في مرافئ الشرق الاسلامية

ب : الحجاج . شُلّت حركات الحج الى فلسطين إثر الفتح الاسلامي بيد انها استأنفت نشاطها بعد تأثيل الملك واستقامة النفوذ والسلطان فعقد شارلمان مع الخليفة هارون الرشيد معاهدة مشهورة شيدت على اثرها الاديرة والكنائس في فلسطين وازداد عدد القادمين للحج اليها فبلغت احدى القوافل قبيل الحروب الصليبية (١٢٠٠٠) نفس

ج : الحروب الصليبية . ونظن ان لا حاجة بنا الى تبيان اثرها غير اننا نكتفي بالاشارة الى ان النصارى قد اصطنعوا عادات المسلمين حتى في اساليب الحكم والجندية والنظام في مملكتهم اللاتينية في القدس . وقلدوا المسلمين ايضاً في الطعام واللباس

د : المبشرون . قام النصارى على اثر ما لاقوهُ من الفشل في الحروب الصليبية التي انهكت قواهم وذهبت بالعظام من رجالهم بحرب اخرى في ميدان العقل والروح — قاموا بحرب دينية تبشيرية . ولقد كانت ارسالية آباء الفرنسيسكان والدومنيكان أول الارساليات فاضطروا الى درس اللغات العربية وآداب المسلمين وعقائدهم وكانت اهم نقط الاتصال صقلية واسبانيا

ه : صقلية . هاجم النورمان ابان القرن التاسع سواحل اسبانيا وتوالت هجماتهم

على غيرها من الشواطيء حتى استقروا في القرن الحادي عشر في صقلية وظلوا فيها الى القرن الثالث عشر . وقد كان بلاط الملك روجر الثاني في بلرمو غاصًّا بالنصارى والمسلمين لا فرق بين واحد منهم وآخر .وكانوا يعرفون العربية واليونانية. فالتقى العالم المسلم بالفارس النورماني والنبيل الفرنسي بالعظيم الايطالي فتحاكت افكارهم وتبودلت آراؤهم . كيف لا والملك نفسه كان يحسن العربية تكلماً وقد حاكى المسلمين في لباسه وبعض عاداتهِ وانتقلت هذه بالذيوع الى شعب بلرمو وصقلية فايطاليا

على ان أهم عصورهذهالجزيرة واكثرها رخاءً هو عصر فردريك ملك صقلية والمانيا الذي استصحب معهُ حين اعتزم السفر الى فلسطين جماعة من المسلمين والعرب. ولما توفي كتب على قبرهِ بالعربية . فاضطرب البابا وغيرهُ من ملوك اوروبا لهذا السلوك . وفردريك هذا هو مؤسس جامعة نابولي Naples سنة ١٢٢٤ وقد جمعت بأمرهِ المؤلفات العربية وترجمت مؤلفات ابن رشد وارسطو وارسلت نسخ منها الى باريس وبولونيا ولشدة رغبته في العلم راسل علماء المسلمين في عصره وبادلهم الرأي

و : اسبانيا . خمسة اجيال انقضت من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر ونصارى اسبانيا تحت تأثير العرب المسلمين فلما كان القرن التاسع أخذ اهل قرطبة Cordova ينسجون على منوال المسلمين في اتخاذ الحريم واكل المأكولات الشرقية ولبس الملابس الاسلامية. وازداد شغفهم بالشعر العربي والاقاصيص وانغمسوا في فلسفة الاسلام ودينه وظل هذا الاختلاط يزداد حتى ان اهل قرطبة المدعوين Mozarales استعملوا اللغة العربية في الكتابات الرسمية الى اواخر القرن الثاني عشر وقد كانوا دواماً يسافرون نحو الشمال فينقلون افكارهم الى حيث ذهبوا

يضاف الى هذا ما فعلهُ اليهود واسرى الحروب والسفراء في زياراتهم .والخلاصة اننا لو وددنا ان نذكر كل ما تركهُ العرب في اسبانيا واوربا من أثر لوجب علينا ان نستعيد في اذهاننا تمدن العرب وحضارتهم ازاء شعوب اوروبا نصف البربرية

ولما استردّ الاسبان بلادهم وقرضوا دولة العرب اصبحت طليطلة مركزاً لنشر الثقافة الاسلامية فترجمت كتب ارسطو عن العربية مع شروح الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد . وفي عهد الفونس الحكيم اسست المدارس في مرسية Mercia مسقط رأس ابن العربي واشبيلية وفيها تعلم الطلاب من نصارى ومسلمين واشتد

الجدل الديني فيما بينهم. الى هذا نضيف اثر المدرسة العربية اللاتينية التي شيدت في اشبيلية لدرس الطب والعلوم وفيها حاضر المصلحون العرب طلابهم الاسبان من النصارى

﴿ ٢ ﴾ انتقال التقاليد الاسلامية الى اوربا عامة ودانتي خاصة

(١) لقد قلنا فيما تقدم ان الاستاذ Blachet في كتابه « المصادر الشرقية للرواية الالهية » كان اول من اشار الى اصل الرواية الاسلامي وانهُ عجز عن بيان ذلك بالبرهان المحسوس وان الاستاذ أسين أول من نجح في هذا المضمار

فهو الذي برهن على ان الاقاصيص التي ذاعت في ايطاليا والمانيا وفرنسا واسكندنافيا وارلندا — مثل رحلة القديس براندان Brandan واحلام القديس بولس والقديس متريخ Matrich مستقاة من التقاليد الاسلامية وبيّن انها وصلت الى اوروبا عن طريق الحجاج والتجار والمحاربين والمبشرين والرحالين واسرى الحروب والعلماء والمدارس . . . الخ .والذي يزيدنا يقيناً ان هذه التقاليد النصرانية التي عدّها بعضهم من اوليات الرواية الالهية لم تبرز الى الوجود الاّ بعد انصرام القرن العاشر بينما التقاليد الاسلامية وما كان منها مختصًّا بالحياة الاخرى وما اضيف اليهِ من الآداب والاحاديث والشروح — وجدت قبل هـذا التاريخ . بل نحن على يقين من ان قصة المعراج وغيرها من التقاليد الاسلامية كانت شائعة في الاندلس واليك الامثلة

(١) كتب المدعو St. Eulagius كتاباً سماهُ Apalogeticus Martyrum وذكر فيهِ مختصراً لحياة الرسول .وفي كتابات(الموزراب)ذكر كثير للاحاديث النبوية

واما Abbot Espereraindeo فقد بحث في حياة النبي وشرح معجزاته وبسط تفاصيل هذه المعجزات . وقد وجد كتاب St. Elogius الآنف الذكر في دير لير Leire في نافار Navarre مما يثبت ان القصة وصلت الى شمال الاندلس

في سنة ١١٤٣ م كتب Robert of Reading الذي كان في كلية المترجمين في طليطلة آيات من القرآن باللاتينية. وقدامر الفونس الحكيم (العاشر) بترجمة القرآن في القرن الثالث عشر فترجمه احد رجال الدين في طليطلة (واسمهُ Marco) . والف (Archbishop Rodrigo, Jimenez de Rada of Toledo) تاريخاً للعرب (Historia Arabum) لا يزال موجوداً للآن ومقامهُ يرجع الى ان قصة المعراج ومعجزات الرسول قدكتبت فيهِ . وأُسر احدهم وجيء بهِ الى غرناطة وبعد ان تخلص من الاسر اصبح اسقفاً (St. P. Paschal) والف كتاباً اقتبس فيهِ آيات من

القرآن واحاديث نبوية وخاصة عن صحيح مسلم واقتبس من قصة المعراج التي سماها Elmiregi ثم كتب القصة كاملة في الفصل الثامن من القسم الاول من هذا الكتاب. وقد بين الاستاذ اسين مشابهة ما نقل في هذا الكتاب لما كتبهُ دانتي

(ب) كل ما تقدم بيان لانتشار هذه التقاليد في اسبانيا ولكن كيف انتقلت الى ايطاليا ؟ (١) ان الاتصال بايطاليا كان متيناً ليس فقط عن طريق اسبانيا بل عن طريق بيناهُ تحت عنوان « الاتصال بالاسلام » سابقاً . ونزيد على ذلك هنا قولنا انهُ بعد فتح اشبيليه جاءها نبلاء الطليان وتجارهم واحتلوا شارعاً فيها وهذا هو St. Peter Pascha الذي عرف القصة عاش في روما نفسها ما بين ١٢٨٨ — ١٢٩٢ م وبعد ذلك بتسع سنوات (١٣٠١ م) زار الشاعر الفلورنسي البابا في روما كسفير عن بلدتهِ فلورنسا (٢) ولقد كان دانتي تلميذاً وصديقاً للمدعو Brunetto Lattini الذي الَّف كتاب Tesoretto ثم كتاب Tesaro وفي هذا الاخير منهما نرى ان تقسيم الفلسفة منقول عن ابن سينا وكذلك فيهِ حياة للرسول ومعجزاتهِ. وهذا الرجل هو الذي ارسل سفيراً عن فلورنسا سنة ١٢٦٠ م الى طليطلة حيث مدرسة الترجمة ونحن على يقين من انهُ حال رجوعهِ من اسبانيا الف كتابيهِ المذكورين

﴿ ٣ ﴾ انجذاب دانتي نحو الثقافة الاسلامية : لقد بيّنا كيف ان دانتي عاش في وسط اسلامي في ثقافته، اسلامي في تمدنهِ، وبقي علينا ان نثبت هل هو وجد في الثقافة الاسلامية ما يجذبهُ اليها ؟ فقد اتفق العلماء الذين انقطعوا لدرس دانتي على انه كان متعطشاً للمعرفة . وقال احدهم U. Cosmo ان دانتي وعى معارف عصرهِ . وما كانت معارف عصرهِ في الغالب الاَّ اسلامية فلا يعقل ابداً ان لا يقف دانتي على هذه الثقافة التي سيطرت على القاصي والداني في ذلك الزمان

في هذا الوسط عاش دانتي وهو مسوق بدافع حب المعرفة من جهة ودافع الرأي العام من الجهة الاخرى للارتشاف من مناهل الاسلام . وقد ذهب بعضهم الى ان الرجل كان له المام بالعربية او العبرية لانه حين يضع كلمات لامعنى لها يلاحظ فيها مسحة من الجذور السامية ولكن العلماء لم يتفقوا على هذه النقطة . ويقول الاستاذ أسين ان هذا الانجذاب لم يكن دينيًّا فدانتي مسيحي عريق في المسيحية وانما هو ميل علمي تهذيبي

﴿ ٤ ﴾ دانتي ومحي الدين بن العربي : قال (نردي) إن في وصف دانتي للحياة الاخرى وفي اتجاه افكاره نحواً من الروح الاسلامية وخاصة ما كان لهُ علاقة

بابن العربي . لانهُ كان من اتباع المذهب الاشراقي ، الذي اوجده شيخ ابن العربي الفيلسوف ابن مسرة القرطبي الاندلسي. وقد تسربت مبادئ الاشراقيين الى المذهب المدرسي الاغسطيني Augustinian scholasticism فكان من رجاله اسكندر هال وروجر بيكون وريموند لُل . ثم انتقلت كافكار اوربية الى دانتي

فالله عند كل من ابن العربي ودانتي « نور » وكل منهما يستعمل « الانعكاس » و « الشعاع » و «البروق» و « النورانية » للتعبير عن مراده . و « تجلي » هذا النور موصوف اذاً بنفس التشابيه والمجازات . كما ان مثل الدائرة ومركزها لاظهار علاقة الخلق مع الخالق — ومثل المرآة كتوضيح لعلاقة الحقير مع العظيم — شائعان في كتابات ابن العربي ودانتي

ولقد نسج دانتي ايضاً على منوال ابن العربي في خواص الارقام ففي الفتوحات المكية فصول مستفيضة في العدد وخواصهِ وما فيهِ من الشؤم او الخير. كذلك ترى دانتي قد حاكى محيي الدين في الاعتقاد بالتدجيل والتنجيم كما حاكاهُ في تفسير الاحلام تفسيراً صوفيًّا . . . وكل من قابل «ترجمان الاشواق » الذي الفهُ ابن العربي بما كتبهُ دانتي لا شك انهُ يجد شبهاً كثيراً : فكل من الكاتبين يخلطان الشعر بالنثر . وقد بيّن دانتي رغبتهُ في شرح قصائد في الحب كان قد نظمها وعدد لذلك الاسباب كما فعل قبلهُ ابن العربي حين اعتزم شرح ترجمان الاشواق

وبعد موت بياتريس Beatrice محبوبة دانتي بيوم ذهب الى مكان منفرد (حسب روايته بنفسه) حيث التقى بفتاة جميلة هام بها ولم يجسر على البوح بحبه فنظم هذا الحب اشعاراً (Convito, II, is, 16; III, 8, 12) : كذلك ابن العربي حين ذهب الى مكة المكرمة (١٢٠١) هام بابنة رجل تعرف عليه (حسب روايته ايضاً) فاخذ ينظم الشعر في حبها . . .

وجملة القول ان اتصال اوربا بالاسلام مكن الادباء والشعراء والعلماء من الاقتباس كما ان تقاليد اوربا ايضاً اقتبست وتأثرت من تلك البيئة الاسلامية : وعليهِ فهذا المقال يثبت (١) اسبقية الآداب الاسلامية لغيرها في اوربا وبالتالي لدانتي أي انها وجدت قبل ان توجد تلك التقاليد او تلك الرواية . (٢) « المشابهة » بين هذه الآداب وما جاء بهِ دانتي . (٣) اثبات « انتقال » هذه الافكار الى الغرب : حلقة متصلة من البحث : « واذن فنظرية أصل الرواية الالهية الاسلامي امر لا يمكن جحده »

جامعة بيروت الاميركية عبد اللطيف الطيباوي

الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية

تاريخ هذه الالعاب

ورث اليونانيون عن أسلافهم قبل التاريخ اعياداً كثيرة كما مرّت الاشارة الى ذلك فكان لكل مدينة او مقاطعة عيدٌ خاصّ بها يحتفلون لاقامتهِ بمظاهر معلومة عندهم لا يشاركهم فيها سواهم . ولكن حفلاتهم التي كانت تشترك بها جميع البلدان وهي اشهر العابهم ورياضاتهم — اقيمت في اربعة اماكن

﴿ الاول ﴾ بقرب هيكل دلفي وهو اشهر المواحي (جمع موحى وهو هيكل الوحي) عندهم التي بلغ عددها اثنين وعشرين هيكلاً .وكانت مواقعها غالباً في الغابات والحراج والقفار . وكان يُسمع من هيكل دلفي هذا صوت (أبلُّون) خارجاً من شقوق الارض .وكان يتلقى هذه الاصوات المقدسة في نظرهم او الاوامر الالهية الموحى بها للبشر كاهن عظيم فيبلغها الشعب . وانفق على بناء هذا الهيكل نصف مليون ليرة من تبرعات الملوك والرعايا حتى في القطر المصري . وكان مستودعاً لغنائم الحروب فغصّ بالتحف والنفائس ولما خرب سُلب منهُ نحو مليون ليرة واخذ نيرون مائة صورة من النحاس

واشتهر هذا الهيكل كثيراً فكان يؤمهُ ملوك آسية الصغرى وملوك رومية العظمى عند الملمات يستنبئون فيهِ (ابلُّون) ويستوحونهُ ليعلموا مصيرهم ونتيجة حروبهم . فكانت الاجوبة التي ترجع اليهم مثل غيرها مبهمة تدلُّ على اشياء كثيرة اذا لم يصح بعضها صحّ الآخر . وقد لا يصدُق شيء منها . وقد تكون الاجوبة صريحة وصادقة في كثير من الشؤون . قيل ان قارون (اوكريسس) ملك ليديه قصد هذا الهيكل يستنبئهُ عن شؤونهِ وما يراهُ في محاربتهِ للفرس . فقال لهُ : اذا قمت بهذه الحرب هدمت مملكة كبيرة . فكان كما قال . لأن تلك الحرب دمَّرت مملكتهُ تدميراً

وأمَّهُ اهل اسبرطه يستشيرونهُ في بعض حروبهم فاجابهم : انكم ستفوزون بلا ريب اذا حاربتم بجميع قواكم . فجمعوا قواهم وظفروا بحربهم قاهرين اعداءهم

ولا غرو اذا كانت بعض تلك الاجوبة تصدق احياناً لانها من اقوال الكهنة سَدَنة الهيكل الذين كانوا يموهون على الشعب بحيل خداعة ليظهروا أن الآلهة تقولها فينطلي المحال على الشعب وكان الكهنة يعرفون اخلاق وطنيهم وسياسة بلادهم ومصير امورهم . ولاسيما ان اليونانيين عُرفوا بحبهم النادر لمواطنهم والدفاع عنها بكليتهم

فلا يكون متكهناً من يجزم بظفرهم وغلبتهم بل كأنهُ ينطق بما سيتم لهم من النصر لتفانيهم في حروبهم الوطنية الكثيرة ولاستعدادهم الدائم للاستظهار على خصومهم

وقد سمّوا التروض في هيكل دلفي (بالالعاب البيثية) وهي التي انشأها (ابلّون) عند ما ذبح الثعبان (بيثون) كما ورد في اساطيرهم فسمّي (بيثيان) منسوباً الى ذلك الثعبان الذي اهلكهُ. واليهِ عُزيت الالعاب. واقيمت كل اربع سنوات مرة

فوقفوا بقعة المدينة (لابلّون) ومنعوا الناس حرثها وزرعها والتصرف بها خشية ان تبنى مدينة محلّها. ولكنهم اذنوا للمواشي فقط ان ترعى اعشابها لحاجتهم اليها ولتقديم ذبائحهم منها في الهيكل استنزالاً للوحي لانهُ كان متعذراً بدون التضحية بالقرابين للآلهة. وسموا عابدات (دلفي) المخبرات بوحي ابلّون (بيتونيس) نسبة اليهِ لانهنَّ كنَّ يصعدنَ على مطالع مثلثة الارجل مقدسة مغشاة بجلد المسخ الذي قتلهُ ابلّون ليستوحينَ الآلهة. وفي اثناءِ الحرب القرطجنية الثانية اقيمت (الالعاب الابولونية) اكراماً لابلون وذلك سنة ٢١٢ ق.م

﴿الثاني﴾ في وادي (نيمية) وتسمى (النيمية) وهذه انشأها هرقل البطل الخرافي بعد ما ذبح الاسد النيمي الهائل الذي كان يعيث فساداً في غابة تقرب من نيمية احدى مدن ارغوليذة او (ارجوليد) واتخذ رداءهُ من جلدهِ. وكانت هذه الالعاب تقام في مدينة ارغوليذة في كل سنتين مرة

﴿الثالث﴾ عند برزخ قرنثية (اوكورنتس) وتسمى الأثميقية (البرزخية) وهذه جدَّدها ثيسيوس بعد ما ذبح اللصوص. وكانت تقام على برزخ قرنثية اكراماً (لنبتون) او (بوسيدون) اله البحر في كل سنتين مرة

﴿الرابع﴾ عند مدينة (اولمبية) التي مرَّ ذكرها وموقعها فسميت (بالالعاب الاولمبية) وهي اعظمها واعمها واشهرها وبعدها البرزخية في المرتبة

ويقال ان (الالعاب الاولمبية) انشأها البطل هرقل المشهور في الاساطير اليونانية والصواب انها قديمة جدًّا لا يعلم زمن انشائها كما سترى في تاريخها ولكنها صارت في القرن السادس قبل الميلاد اعياداً شعبية لليونانيين ومظهراً من مظاهر حياتهم العظيمة. فأُرِّخت وشهرت منذ ذلك العهد البعيد. وكان للأولمبيين حق التقدم بالالعاب العامة في جميع مدن اليونان بلا استثناء. وكان يؤخذ منهم في اسبرطة حرس شُرف الملك في الحرب وكثيراً ما بالغت مدنهم في اكرام الاولمبيين حتى ان سولون اضطرَّ ان يجعل جائزة

الغالب في الالعاب الاولمبية الى خمسمائة درخمة . وجائزة الظافر بالالعاب الاثميقية الى مائة درخمة . والفرق بين اللعبين كبير ظاهر للمتأمل

وكان يتخلل سهل اولمبية الافيح الجميل نهر (الفيوس) تحدق بهِ الرياض الغناء والغابات الغيباء التي تأخذ بمجامع القلوب حسناً . وتملأ الابصار جمالاً . وكان يشرف عليهِ هيكل (زفس) العظيم الشامخ برأسهِ الى عنان السماء . فلا عجب اذا كان لهذه المناظر مع جودة الاقليم وطيب المناخ تأثير في ترقية العقول وتحسين الذوق للنبوغ اليوناني

وكان هيكل (الاولمب) من اعظم هياكل اليونان وامنعها شيد من المرمر الفاخر بهندسة جميلة يحدق بهِ رواقٌ اعمدتهُ من المرمر وجدرانهُ بديعة النقوش والتماثيل وابوابهُ من الصُّفر تبعث في النفس هيبةً وتترك في القلب روعة

وكان طول هذا الهيكل — ٢٣٠ قدماً وعرضهُ ٩٥ قدماً وعلوّهُ ٦٨ قدماً . وفيهِ تمثال زفس الذي نحتهُ فيدياس اشهر نقاشي اليونانيين زمن بركليس وعلوهُ ستون قدماً يمثلهُ جالساً على عرش من العاج والذهب والآبنوس مزدانٍ بالنقوش ومرصّع بالحجارة الكريمة وحولهُ إطارٌ مغشى بصور رائعة وفوق رأسهِ اكليل من الزيتون وفي يمناهُ تمثال الهة النصر بنت البسالة والقوة وفي يسراهُ صولجان مركب من جميع المعادن الثمينة يعلوهُ نسرٌ رمز السموّ

ومعظم هذا التمثال الرائع من العاج وثوبهُ ونعلاهُ من الذهب . ورأسهُ يناطح سمك (اي سقف) الهيكل علوًّا فلذلك عدّ من (عجائب الدنيا السبع) . فكل تلك الابّهة والعظمة والرواء في موقف الالعاب كانت مشجعاً للغلبة ومحرّضاً على الظفر والتفوق

واعتاد اليونانيون ان يمسحوا هذا التمثال دائماً بالزيت المقدس فيزداد لمعاناً ويعكس نور الشمس عندما تقع عليهِ فيقولون : ان من يراهُ يظن انهُ هو زفس نفسهُ بلا مراء . ولما سألوا فيدياس ناحت هذا التمثال العجيب : من اين علمت هيأة زفس فصوّرتهُ بهذا الشكل؟ — اجاب اني تمثلتهُ في شعر اوميروس الذي عربهُ بعضهم بقولهِ (١)

ان ابن ساترْنَ (٢) الجليل غدت في حاجبيهِ علامة الأمرِ
وشعرهُ لألأٌ في رأسـهِ مضمخاً بالمسك والعطرِ
ذلك شعرٌ فوق رأس علا يزعزع الافق بلا نُـكرِ

ولقد ظن بعضهم ان هذه الالعاب نشأت في نحو القرن السادس قبل الميلاد

(١) راجع (تاريخ اليونان) للمرحوم جرجي دمتري سرسق طبع بيروت (٢) ساترن هو (زحل)

والذي ظهر لغيرهم من المحققين : انها نشأت قديماً وهي مرافقة للانسان منذ ان درج على بساط الغبراء . ومن اقدم الادلة على اتخاذها قبل ذلك الوقت ما يحضرني الآن من ان (بيلونس ابن طنطال) ملك فريجيه الذي كان سنة ١٢٨٤ ق . م جاء بلاد اليونان واراد الاقتران (بهبُّـود اميه) ابنة (اينوماوس) الملك وكان اينوماوس قد قتل ثلاثة عشر طالباً لابنتهِ لانهُ أُنبئ بوحيٍ يصرّح ان صهرهُ زوج ابنتهِ يقتلهُ فحاول ان يمنع طلاب الزواج بها استحياءً لنفسهِ . فكان يطالب من يخطب ابنتهُ الى سباق المركبات متيقناً بفوزهِ لسرعة جري جيادهِ المطهمة التي تجرها فيقتل بانتصارهِ هذا مغلوبهُ طالب ابنتهِ . فلما علم بيلوبس بمكيدتهِ هذه لكل من يخطب ابنتهُ ارشى سائق اجياد اينوماوس فنزع عند السباق اسفين[1] دواليب مركبتهِ فقصَّرت عن اللحاق بهِ ففاز بيلوبس . وانقلبت المركبة باينوماوس فمات. فاقترن بيلوبس بابنتهِ وخلفهُ في الملك

ويروى ايضاً ان نبتون منح بيلوبس عجلةً من ذهب وجوادين مجنحين فغلب حماهُ وظفر بأُمنيتهِ وهي الاقتران بابنتهِ

وفي سنة ٧٧٦ ق م صارت (الالعاب الاولمبية) ذات شأن عند اليونانيين وكان اول من انتصر منهم كُورِيْبُس فانهُ فاز بالمحاضرة واخذ الجائزة . ومنذ ذاك الحين صاروا يدوّنون اسماء الغالبين في سجلّ خاص وصارت هذه السنة بدء (التاريخ الاولمبي) المشهور . ولما كانوا يحتفلون بهذه الالعاب مرة في كل اربع سنوات سموا المدة التي تتوسط بين الموسمين (الاولمبياد) وأرَّخوا بها . فصارت (الالعاب الاولمبية) فنّاً قائماً بذاتهِ ذا انظمة وقوانين مرعية الجانب محفوظة المبادىء مدة اثني عشر قرناً متوالية . ونشأ منها فنّ (التمثيل) الذي اشتهر بهِ اليونان و (فن الرقص) وغيرهُ من (الفنون الجميلة) (كالموسيقى) و (التصوير) و (الشعر) و(النقش) وغيرها

ولما جاء عهد المملكة المكدونية سنة ٣٥٦ ق.م وردت الى فيلبس رئيسها وملكها ثلاث بشائر عظيمة وكان احداها (نيل خيلهِ قصب السبق في الالعاب الاولمبية)

وسنة ٣٤٦ ق . م نال فيلبس الملك رآسة الالعاب البيثية لانتصارهِ على الفوقيين الذين ادعوا بحقوق تملك هيكل زفس واوقافهِ. وهيأ لهُ انتصارهُ بالالعاب الالمبية الاندماج باليونان ونيل اكاليلهم قبل نيل حريتهم

ولما حمل الاسكندر على الهند وملكها (سنة ٣٢٧ — ٣٢٥ ق م) واراد الرجوع

(١) خشبة يسرع بها جري الدولاب

عنها بجنوده بعد تنظيمها سرُّوا ببشارة ارجاعهم فقسمهم الى اثنتي عشرة فرقة بحسب الالعاب الاولمبية في بلاده. وامر كل فريق منهم ان يبني مذبحاً عالياً ويضحي عليه بقرابينه حسب عادة اليونان . وان يقيموا العاباً ومصارعة وسباقاً ثم قفل عنها راجعاً . وكان الاسكندر مع حذقه الفروسية والالعاب الجسدية والعزف على آلات الطرب يؤثر عليها الصيد والقنص والمقارعة في الحروب فضعف شأنها بعده

ولما تولى (دنيس) القديم سرقسطة (٤٠٥ — ٣٦٨ ق م) واراد جلاء القرطجنيين عن صقلية انتصر عليه قائدهم هملتون بحراً . وبلغ موانئ سرقسطة فحلَّ بها وخيم في هيكل المشتري الاولمبي وجعل أحجار القبور متاريس لجنوده ونهب الهياكل ونقل انفس حلاها واثمن جواهرها واخذ رداء المشتري وهو من الذهب وجعل مكانهُ رداءً من الصوف قائلاً باستهزاء : ان الرداء الذهبي لا يدفئ زفس في الشتاء ويثقل عليه في الصيف .وسنة ٦٨ م بلغت هذه الالعاب اوج مجدها وعم استعمالها عند اليونان في جميع مستعمراتهم واشترك فيها الرومان ايضاً . وبعد زوال ملك اليونان ضعف شأنها وقلت العناية بها وناصبتها المسيحية العداء لان صبغتها وثنية دينية فكان آخر العهد بها سنة ٣٩٣ م وقيل ٣٩٦ فالغيت تدريجاً . وذكر القديس يوحنا الذهبي الفم انهم كانوا يحتفلون بها بابهة في ايام تيودوسيوس وابنهُ اركاديوس في آخر القرن الرابع

ثم تم الغاؤها في عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثاني في السنة العاشرة لملكه اي سنة ٤١٨ م فهدم هياكلها وحرقها ونقل تمثال زفس العظيم الثمين الى بزنطية (القسطنطينية) فاحترق سنة ٤٧٦ م.فضعف بذلك ايضاً فن التصوير والتمثيل والنقش وكان آخر غالب في مسابقاتها رجل ارمني اسمهُ فرستاد . وسنة ١٨٢٩ م اكتشف الفرنسيون آثار هيكل زفس في المورة على اثر احتلالهم اياها . وبحث الالمان عن بقية آثاره بين سنتي ١٨٧٥ و١٨٨١ فوجدوا اشياء ذات شأن من اطلاله

وجدَّد اليونان هذه الالعاب نحو سنة ١٨٦٦ كما اخبرني صديقي المرحوم الاستاذ الياس بك القدسي الدمشقي الذي كان تلميذاً في كلية اثينه (اليونانية) ولكن بطريقة بسيطة وانفق نحو ستة ملايين فرنك على ترميم الملعب (الاستاديون) ولكن في اثينة اذ ذاك وبقيت تسير ببطء الى سنة ١٨٩٦ فاعيدت قانونيًّا كما سترى

زحلة عيسى اسكندر المعلوف
صاحب مجلة (الآثار)

شرقي في اميركا

جانب من خطبة بليغة القاها الاستاذ نسيم صيبعة باسم جمعية الرابطة الشرقية على ملأ من رجال الحكومة والتعليم والادب وفضليات النساء في دار المحاضرات بجامعة القاهرة الاميركية رأينا ان نتحف بها قراء المقتطف لما اشتملت عليه من الملاحظات الدقيقة والآراء السديدة

في ٢٢ دسمبر سنة ١٩٢٦ ابحرت من ثغر الاسكندرية قاصداً العالم الجديد. لم أكن سارياً غرّهُ قمرٌ ولم اكن رحّالة يجوب القفار ويخوض البحار بل كنت متطوعاً للسعي في تخفيف نكبة حلّت بالبلاد السورية فاودت بحياة رجالها وشتتت شيوخها ورمّلت نساءها ويتمت اطفالها. ولم تكن السفينة تلعب بها الرياح باشدّ قلقاً من قلب مضطرب لفراق والدةٍ هي كل ما في الدنيا من بهجة وهناء وحبّ ووفاء تتقلّب على فراش المرض والآلام مهددةً بان يخترمها الموت بين طرفة عينٍ وانتباهتها. وقد حدث ما كنت اخشاهُ وكان وداعي لها بلا املٍ في اللقاء. عفواً سيداتي وسادتي اذا عرضت امام انظاركم قلباً دامياً وعيناً تترقرق فيها الدموع فالمرأة التي تربي اولادها على الايمان بالله وعلى محبة القريب والتي تفهم من الامومة كل معناها والتي تشرق من وجهها الصبوح شمس الامل لتنير افق الحياة الملبّد بالغيوم والتي تتعهد غرس الفضيلة واحياء العزيمة في قلوب بنيها والتي تقيم من صدرها سياجاً حول تلك القلوب لئلا يتسرب اليها اليأس والتي تسهر غير عاملة لطول الليالي حساباً والتي تتجلّى كملاكٍ حارس يوم تهبُّ عواصف الشباب وتشتد الازمات وتزمن الامراض والآلام وبالاختصار ان المرأة التي تحدثها نفسها ان تمدّ يدها لحادث الدهر اذا مدّ يده لاولادها وهي تعدهم لخدمة العائلة وبالتالي لخدمة الوطن — لها في عنق بنيها ذمة ولها عليهم ان يقدسوا ذكراها وان يستنزلوا على ضريحها رحمة من الله

***

سيداتي وسادتي: قد يتبادر للذهن الخالي ان المرء اذا ترك بينهُ وبين وطنهِ خمسة آلاف من الاميال البحرية اصبح فريداً وحيداً بعيداً عن الاهل والخلان. قد كان ذلك صحيحاً في قديم الزمان. اما اليوم وقد سخّر الانسان البخار والماء والهواء لتقريب المسافات وصارت البواخر قصوراً طافية على سطح البحار فليس مستغرباً ان

تصبح الاسفار من أعظم ملاذ الحياة ان لم اقل أعظمها طرًّا . ومنذ وطئت قدماي ارض الولايات المتحدة في ١١ يناير سنة ١٩٢٧ الى ان برحتها في ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٧ كنت كمن يحلم حلماً جميلاً . خيّل اليَّ وانا بين ابناء عشيرتي المهاجرين أني عدت الى سوريا وقد رفع الله عنها الغمة واغدق عليها ما نريده لها ولجاراتها من الخير والنعمة . رأيت بلداً طيّباً واخواناً اقل ما يقال فيهم انهم عربٌ كرام يفتحون قلوبهم لضيفهم وهم يعتذرون اليهِ ويسدُّون عليهِ باب الشكر وهو يودُّ ان يفتحهُ على مصراعيهِ. وكل ما يمكنك ان تحسن بهِ اليهم هو ان تعيد على مسامعهم ذكرى البلاد التي خرجوا منها هرباً من عوامل الفناء . عندئذٍ تبرق الاسرة وتشرق الوجوه بالرغم من البكاء وصرير الاسنان . عندئذٍ يرجع الشيخ شابًّا والعجوز فتاةً حسناء . عندئذٍ تتأكد صدق ابي تمام القائل : كم منزلٍ في الارض يألفهُ الفتى . . . .

واذا ما جرى حديث هذا المنزل الاول حسبتهُ من احاديث الغرام ورأيت بما لا يقبل الشك حبًّا متأصلاً في النفس لن يمسهُ الزمان او المكان بسوء . ولا تظنوا يا سيداتي وسادتي ان حنين السوري المهاجر ينصرف الى سوريا فحسب بل ترون وتسمعون اسم مصر مقروناً باسم سوريا كأنهما توأمان وتشعرون ان آمال المهاجرين معقودة على نهضة مصر وعلى سعي المصريين الحثيث والجرائد العربية في تلك الاقطار النائية مشحونة بالاخبار عن مصر فلا تأتون على آخر مقالة عنها الاَّ رأيتم ان للحديث صلة

شرَّفني بعض اخواني بدعوتي الى حفلة في فندق بوسارت في بروكلين فلبيت الدعوة شاكراً علماً مني بانهم يريدون ان يحمّلوني اليكم السلام وان يعربوا عما تكنّهُ افئدتهم لمصر وسوريا من خالص الحب وصادق الولاء . وقد صدق ظني اذ سمعت عريف الحفلة النطاسي البارع الدكتور رزق حداد يقول :

ما نحييك وحدك اليوم بل فيك نحيي الابطال والاحرارا
وبلاداً نشتاقها ابد الدهر ونهوى ترابها والحجارا
وربوعاً بالنيل عزت وطابت ان مصراً تشرّف الامصارا
فهي ملجأ الشآم من سالف الازمان ترعى ذمامنا والجوارا
انت يا مصر منبت العز والمجد لا زلت للانام منارا

وقد قال قولهُ الخطيب المفوه اسعد الملكي وشاعر المهجر المطبوع ايليا ابو ماضي فاجبتهم بما كان يجيش بهِ صدري وبما عرفتهُ بالخُبر لا بالخبر حيث قلت :

واذا كنت احيي سوريا واحييكم فلا املك نفسي من ارسال تحية عطرة الى وادي النيل المبارك وساكنيهِ فهناك وطني الثاني وهناك امة ناهضة تعيد مجد الناطقين بالضاد وهناك اخوان كرامٌ اذا عرفت ان تكتسب ثقتهم فحدّث عن وفائهم وولائهم ولا حرج . هم الذين بدأوا بقتل الروح الطائفية في الشرق واحيوا الروح الوطنية . بارك الله فيهم . والذي اراهُ هو انهُ لا بدَّ ان يأتي يوم وعساهُ ان يكون قريباً بهِ يعترف الغرب ان سوريا وشقيقتها مصر التي تشاطرها آمالها وآلامها واحزانها هما جبهة الشرق وان هذه الجبهة اعزُّ من جبهة الاسد فليعمل المصريون وليعمل السوريون وليصبروا فان الله مع الصابرين

***

ولا تظنوا حين اذكر لكم مثل هذه الحفلة ان كرم الضيافة وقف على طبقة مخصوصة من المهاجرين بل هي صفة ملازمة للفقراء قبل الاغنياء . تغديت مصادفة في مطعم صغير بجوار مدينة ديترويت مع صديق حميم لي هو الدكتور لطفي محمد السعدي من خيرة شباننا النابغين . ولما اردت ان ادفع ثمن الغداء ابتسمت صاحبة الفندق السورية ودلتني على رجل جالس في زاوية وقالت لقد دفع قبلك . اقتربت منهُ لاسألهُ عن السبب الذي حملهُ لان يضيف عن بعد اناساً لا يعرفهم فبادرني الكلام قائلاً «سمعت منذ مدة انك اتيت لخدمة انسانية وطنية وحيث لم يكن لديَّ ثياب تسمح لي ان ارافق اخواني الذين ذهبوا للسلام عليك في النزل الذي تقيم فيهِ اغتنمت هذه الفرصة لاظهر لك شعوري كواحدٍ من مواطنيك فلا تكسر بخاطري» . هززت يدهُ بعنف اذ اغلق عليَّ الكلام وخنقتني العبرات وجلست آخذ القهوة معهُ بعد الخبز ولمة حضرتها في حياتي وانا اضرع الى الله ان يبارك الارض التي انبتتهُ والام التي حملتهُ

الشرق والغرب

سيداتي وسادتي : سافرت الى الولايات المتحدة ثم رجعت الى مصر ومنذ القيت عصا الترحال واستقرَّ بي النوى وانا اقف امام خارطة الكرة الارضية وأسائل نفسي أصحيح ان هنالك غرباً وشرقاً ام ان هاتين اللفظتين اسمان لم يعد لمسمياتهما وجود ؟ كانت الارض مسطحة ثابتة في زعم الاقدمين فكان للكواكب التي تنير سماءها مشرق

وكان لهذه الكواكب في الجهة المقابلة لهذا المشرق مغرب اما اليوم وقد استدارت الارض ودارت على نفسها وحول الشمس فلكل بقعة فيها شرق ولكل قيد انملة غرب. فهي وحدة متماسكة الاجزاء يفصل بعض هذه الاجزاء عن بعضها خطوط متحركة وحواجز لا تثبت على تقلبات الزمان . الخطوط حدود يرسمها الفاتحون برؤوس حراب مغموسة بالدماء والحواجز قلاع وحصون اساسها قبور الضحايا البشرية وقوائمها جماجم بني الانسان. من الخطإ في التعبير ان يقال عن الميادين التي تصطدم فيها المطامع وتتطاحن الاديان انها ساحات الشرف ومن الكذب على الله والناس ان يقال ان العناية الالهية تجيز للمرء ان يشتهي مال قريبه . خلاصة الاديان رفق ولين ومحبة وسلام وعنوان الشرف العفو عند المقدرة وكل ما يقال خلافاً لذلك زور وبهتان . اذن ليس هنالك غربٌ وشرق بل هنالك غربيٌّ وشرقي وإن شئت فقل قوي وضعيف. عالمٌ وجاهل. يقظان ونائم . متحرك وجامد . بل هنالك رؤوس تتسلسل منها الافكار متناسقة متممة بعضها لبعض وعيون ترسل النظرات الى اعماق الارض فتكشف كنوزها والى كبد السماء تستطلع اسرارها وايدٍ تتناول الاعمال فتصقلها وتنظمها مستفيدة من القديم مبتكرة من الجديد . مقتصدة في الوقت والمال . تقابلها رؤوس لا تظن خيراً الاَّ في مجدٍ قد زال وعيون لا ترى الاَّ اشباحاً في عالم الخيال وايدٍ تخالها لقلة العمل مرخية المفاصل مفككة الاوصال . كلاَّ . لم أرَ غرباً وشرقاً بل رأيت كل بقاع الارض تفيض خيراً وبركة ورأيت الناس جياداً السابق منها الجواد . فبكيت خيولنا المطهمة العربية وحزنت لتأخر الناطقين بالضاد

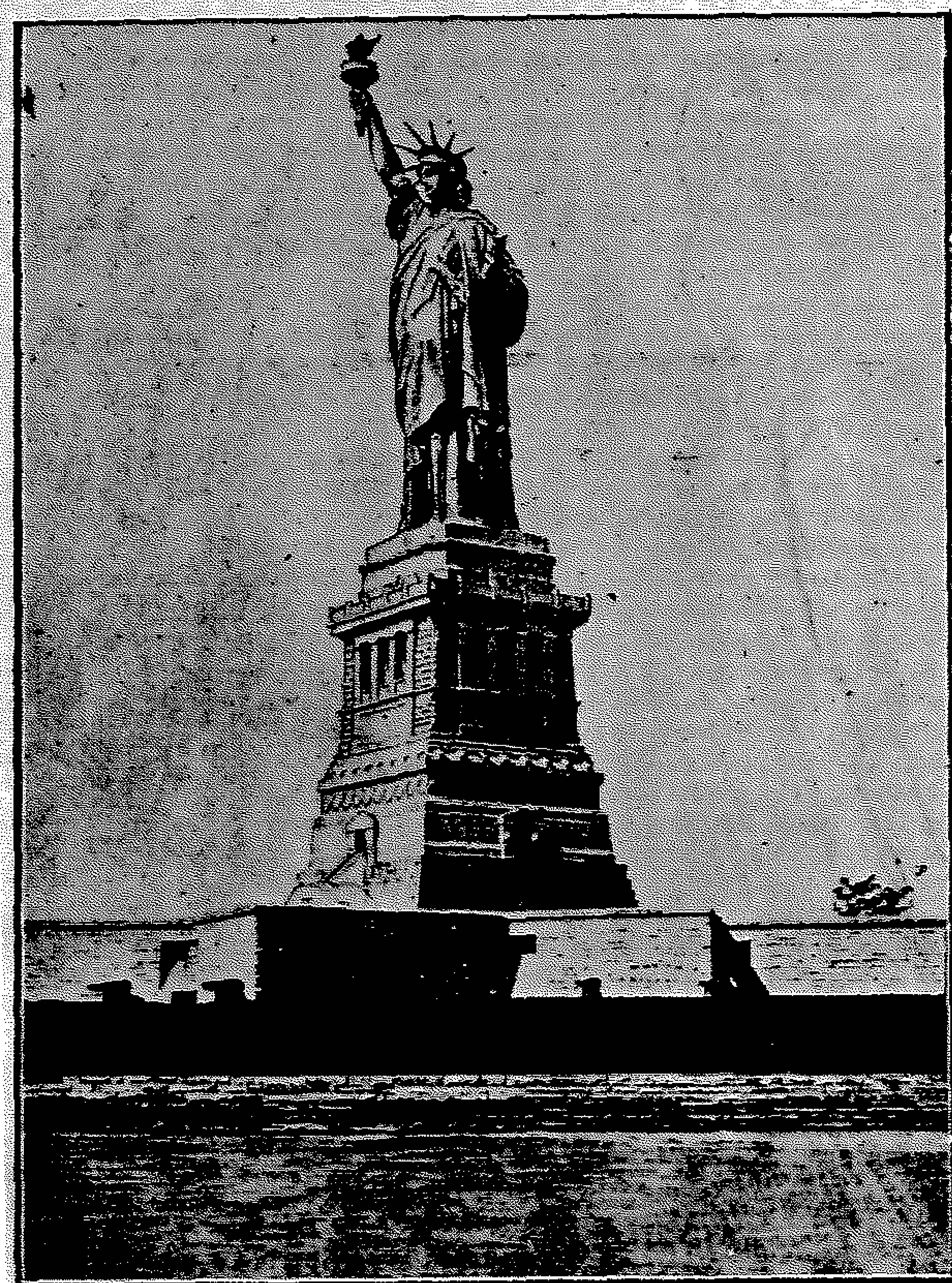
سيداتي وساداتي : لا يسمح لي الوقت ان اتحدث اليكم عن تمثال الحرية القائم على مدخل ميناء مدينة نيويورك والذي يحيي فيه الزائر عن ظهر الباخرة الضالة التي تنشدها الامم الحية وتتفانى في سبيلها الشعوب الناهضة. ولا عن تلك البنايات التي تناطح السحاب والتي تعني ان الارض قد ضاقت باهل المدينة طولاً وعرضاً فاخذوا يتسابقون صعداً الى السماء . بل ساقصر كلامي على بعض المظاهر التي حسبتها شواهد حية على عظمة الامة الاميركية

فورد ومعامله

ذهبت من نيويورك توًّا الى مدينة ديترويت وهي بلد السيارات بل هي بلد هنري فورد وزرت معامله التي تعجُّ بمن فيها كأنها قفير النحل . ووقفت امام شريط



ناطحات السحاب بنيويورك



تمثال الحرية عند مدخل ميناءها

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٦٨

من الفولاذ يبلغ طولهُ تسعمائة وعشرين قدماً ورأيت الاجزاء التي تتركب منها السيارة ولكل جزء ناحية خاصة تتسرب منها كما لوكانت مسيرة بإشارة سحرية نحو ذلك الشريط المتحرك لتأخذ مكانها من جسم السيارة فما هي الاَّ دقائق لا تتجاوز العشر عدًّا حتى ترى سيَّارة كاملة يخرج بها سائقها من طريق السيارة التي تأتي بعدها واذاكان لك متسع من الوقت وصرفت هناك يوماً كاملاً امكنك ان تعد من الثمانية الى التسعة آلاف سيارة يخرجها ذلك المعمل ويرسلها الى اقاصي اطراف المعمور . وكنت كلما امعنت النظر في هذا الشريط واعملت الفكرة في حركتهِ المنظمة المتواصلة تجلى لي سر نجاح الاميركيين واسباب تأخرنا .خُيل اليَّ ان السيارة مجموعة افكار يأخذ بعضها باطراف البعض الآخر فيتممهُ ويزيد عليهِ .اما في هذه الجهة من العالم فلايرسل العامل فكرة جديدة الى اول قدم في شريطنا الجامد حتى نرى تسعمائة وتسع عشرة فأساً قد ارتفعت لهدم الفكرة الجديدة والقضاء عليها في مهدها قبل ان نعطيها حقها من الدرس والتمحيص والاهتمام . فالفكرة التي تؤتي هناك ثمرها في عام يمرّ هنا عليها جيل قبل ان تختمر وقبل ان يقيّض الله لها فرداً جبّاراً يبرزها الى عالم الوجود

يمتاز معمل فورد عن غيرهِ من المعامل بكونهِ يسيطر على كل المواد الاولية اللازمة لصناعة السيارات ففيهِ تُدبغ الجلود ويُغزل القطن وتحضر كل الاجزاء التي تتركب منها السيارة وهو يكاد يكون مستقلاًّ عن العالم الخارجي بل هو صورة مصغرة للولايات المتحدة التي تعتمد في حياتها اكثر من غيرها على موارد بلادها وهي لا تعطي امتيازاً لشركات اجنبية لاستثمار هذه الموارد حتى لا يكون لدولها حق التدخل في شؤون البلاد الاميركية الداخلية . للاجانب ان يوظفوا اموالهم في تلك البلاد ولكن ليس لهم حق بادارة الاعمال . وهذه الفكرة ليست وليدة الحرب بل هي قديمة وقد ذكرها الرئيس ولسن منذ سنة ١٩١٣ في رسائلهِ التي عنيت جمعية الرابطة الشرقية بترجمتها الى اللغة العربية

يشتغل في معامل فورد على ما قيل لي ما لا يقل عن مائة وسبعين الف عامل يتناول الواحد منهم بين الخمسة ريالات والثمانية ريالات اميركية يوميًّا.وكان فورد اسبق الناس الى حماية عماله من غلاء المعيشة واسبقهم الى العناية باجسامهم وعقولهم في اوقات العمل وفي عيشتهم البيتية والعائلية وعنده عدد من الموظفين لا عمل لهم غير المرور على بيوت العمال ليتأكدوا من ان العامل يصرف كل ما يكسبهُ لاعاشة زوجهِ واولادهِ .وله مستشفيات لمداواة المرضى منهم ومدارس لتعليم اولادهم واخيراً خطر له ان يبيع لعماله المواد

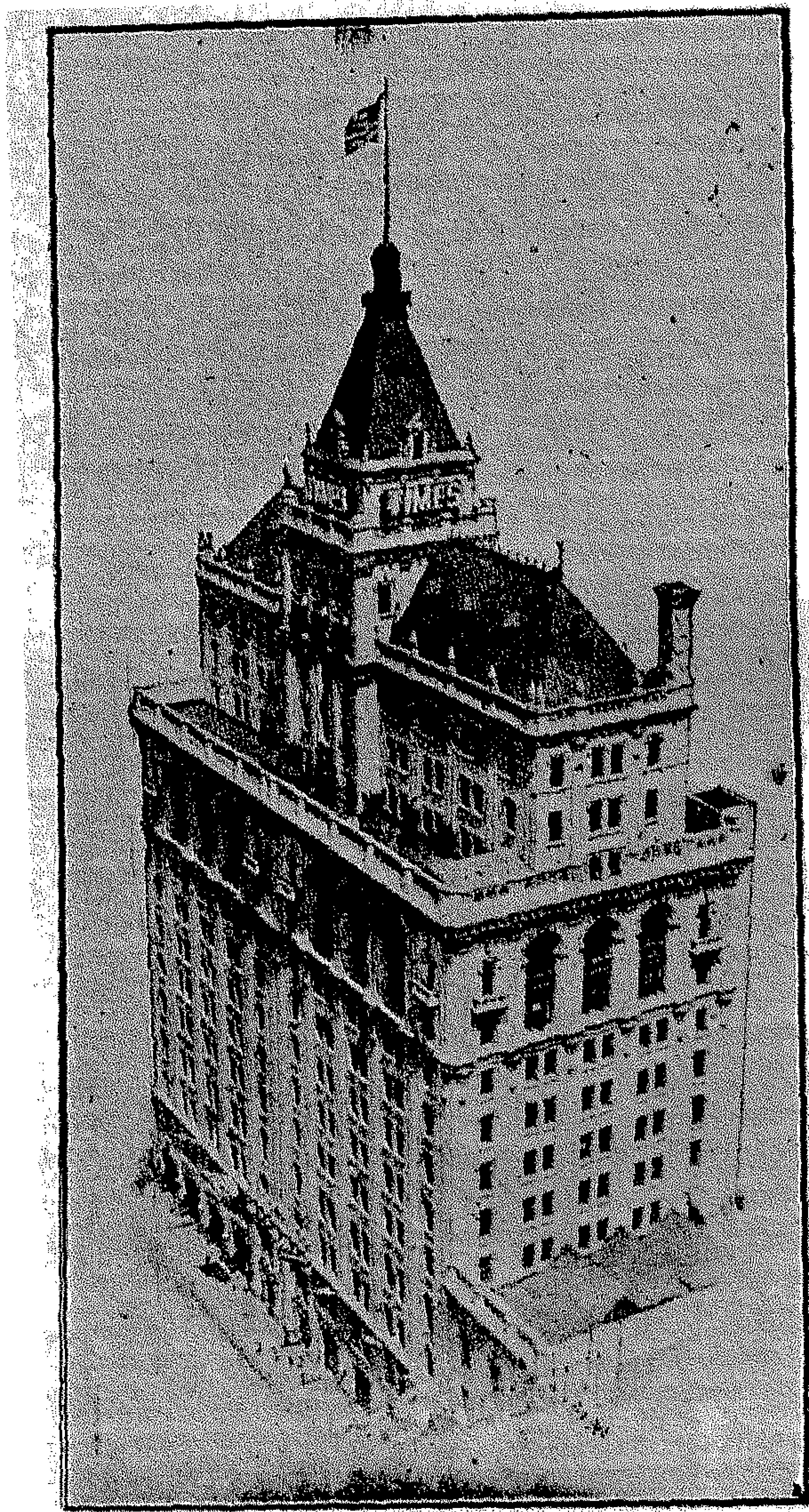
الغذائية بارخص الاثمان الممكنة ولكنهُ تحقق بالاختبار انهُ يكاد بهذه المزاحمة يقضي على كل محال البقالة في ديترويت بالافلاس وقد سمعت قبل سفري منها انهُ سيعدل عنها

وهذا الرجل الذي لم يكن منذ اثنين وعشرين عاماً شيئاً مذكوراً والذي اصبح اليوم اكبر ممول في العالم لم تقعده سنهُ ولا ماله عن العمل ولم يكتفِ بانهُ صار اكبر منتج صناعي في بلاده وغير بلاده بالرغم من المنافسة والمزاحمة التي يلقاها من الشركات الكبرى كالجنرال موترز وغيرها فهو يجري التجارب العديدة في الميادين الواسعة التي اعدَّها لا يضنُّ بوقت او مال ليكون من السابقين يوم تصبح الطيارة المحمولة على اجنحة الهواء افضل واسطة للنقل والانتقال

لست اقصد من ذكر هذه الامور ان اتغنى بمآثر فورد وثروته وطول باعهِ في الاعمال الخيرية ولكني اريد ان ابيّن ان المموّلين الاميركيين لا ينظرون للحياة كحلم فارغٍ ولا للغنى كواسطة لاجتلاء اسباب اللهو او كمدعاة للبطالة والكسل . بل يعملون حبًّا بالعمل لنفسهِ ولعظمة بلادهم وانهم ادركوا قبل سواهم ان الواجب الانساني يقضي بان لا يستأثر صاحب المال بالارباح التي يجنيها بل ان يخصص جانباً كبيراً منها لتأمين الراحة والهناء للعمال الذين تجمع الثروات الطائلة على ظهورهم وبعرق جبينهم

جريدة نيويورك تيمس

وهذه الحقيقة قد لمستها في مدينة نيويورك بصورة اصغر من معامل فورد ولكنها اوضح . زرت بنايات شركة جريدة النيويورك تيمس واحدتها بناءٌ مؤلف من ثماني عشرة دوراً فوق الارض وثلاث تحتها . يبلغ عدد المشتغلين والمشتغلات في هذه الجريدة ثلاثة آلاف وسبعمائة يتمتعون بكل ما ابتكره العلم الحديث من وسائط الصحة والراحة وسهولة المعيشة والنظافة : الشركة تؤمن حياتهم على نفقتها لحساب ورثتهم وتدفع لهم الرواتب المتناسبة مع مقدرة كل منهم على العمل وتحفظ لكل حقهُ في المعاش حين يعتزل الخدمة بعد عدد معلوم من السنين ويجد العمال في البناء نفسهِ مكتبة للمطالعة وناديًا يجتمعون فيهِ للمسامرة واقامة الحفلات ومطعماً يقدم لهم ما يلزم باثمانٍ هي غاية في الاعتدال واذا كان العامل لا يتقاضى اكثر من ستة عشر ريالاً في الاسبوع فلهُ حق بدفتر قسائم يجيز لهُ ان يتناول غداءً يساوي نصف ريال بعشرة سنتات او بعشرين مليماً . وكل المواد الاولية من اجود الاصناف والنظافة شرط جوهري وهناك مستشفى صغير لاسعاف من يصاب باذى بالعلاج . الى ناحية خاصة من هذا



بناية جريدة نيويورك تيمس الجديدة

مقتطف يونيو ١٩٢٨

أمام الصفحة ٦٧٠

البناء تتسرب الاخبار العالمية ليلاً نهاراً بالتلغراف السلكي واللاسلكي والتلفون والبريد البري والبحري والجوي . وتوزع على المختصين بكل نوع منها لسبكها في القالب المناسب للنشر. فلا تطلع الشمس الا وترى جريدة النيويورك تيمس ست عشرة صفحة او اكثر من الحجم الكبير والحرف الصغير جداً حاوية كل اخبار العالم توزع بالسيارات والسكك الحديدية والطيارات والبواخر الى اربعة اقطار المسكونة بثمن وقدرهُ سنتان او اربعة مليمات . مررت على كل العمال في الدور المتعددة ورأيت على وجوههم جميعاً علامات الرضى من حالتهم وصرّح لي غير واحدٍ منهم انهُ لن يرضى عنها بديلا . وقد رأيت في كثير من المدن الاميركية صناديق مفتوحة على مفترق الطرق وفيها الجرائد للبيع ولا بائع بجانبها . يأخذ عابر السبيل نسخة ويضع الثمن المحدّد في الصندوق من غير ان يكون عليهِ رقيب غير نفسهِ فادارة الجريدة تعتمد على امانة الجمهور في اداء الحقوق والشعب يثبت انهُ اهل لتلك الثقة

المدارس

زرت من الولايات المتحدة ميشغن واندبانا واوهايو وماين ومستشوستس ونيويورك وبنسلفانيا ونيوجرسي وعرفت بالاختبار ان اجمل بناية في أية بلدة دخلتهـا هي بلا نزاع المدرسة . المرأة والطفل الذي على يدها مقدسان اين كانا لهما عناية البوليس في الشوارع ولهما الافضلية في الجلوس على مقاعد السكك الحديدية والترام وفي الحدائق العمومية . وحيثما مررت بدور التعليم رأيت مكتوباً بالقلم العريض « حمى المدرسة » فالمارّة تسير الهوينا وكذلك سائق السيارة وعربة النقل لئلا يصطدم باحد الاطفال اللاعبين والناس على اختلاف طبقاتهم ينظرون الى هذه المعاهد كمستودع للامانات المقدسة فيجرون عليها الاعانات والهبات بسخاء لا يدرك مداهُ الا الذي يزور تلك المعاهد بنفسهِ . يبتدئ الطفل بالذهاب الى المدرسة وهو في الرابعة من سني حياتهِ فيجد فيها من العناية بجسمهِ وعقلهِ مالا يجدهُ الا عند الوالدة البارّة الشفيقة المستنيرة ويصرف وقتهُ بما يلذ لهُ من تصوير او بناء او نجارة او حفر والمسابقة بين هؤلاء الاطفال بالغة حدها تقام لهم الحفلات ويُعرض فيها ما ابتكرتهُ عقولهم الصغيرة وتوزع الجوائز على الفائزين منهم. وقد سمعت ان الاميركيين يدرسون مسألة ارسال الاطفال وعمرهم سنتان الى المدرسة ولكنهم لم يبتوا فيها بعد

واذا انتقلت بكم من المدارس الاولية والثانوية الى الجامعات الكبرى فقد

انتهينا الى اكمل صورة من جلال العلم واحترامهِ والعمل على نشرهِ وجعلهِ في متناول أكبر عدد ممكن من طالبيهِ . الجامعات الاميركية كثيرة ولكن التابعات منها للحكومات المحلية قليلة جدًّا فهي مستقلة بنفسها ترجع في شؤونها الى مجالس ادارتها وفي نفقاتها الى اولئك الافراد الاغنياء الذين يعتزون باوطانهم ويؤمنون بان الامة التي تطلب الرقي من الطريق السوي طريق العلم والعمل لا بد انها بالغة ما تريد. فالى الجامعات يرسلون شبانهم بعشرات الالوف ومنها يأخذون ما تحتاج اليهِ البلاد من رؤوس مفكرة وقلوب مريدة وسواعد شديدة . الجامعة مجموعة دور عامرة وقصور شاهقة تتجاوز في بعض الاحيان السبعين عدًّا آهلة بالطالبين والطالبات للعلم من كل المذاهب ومن كل الطوائف ومن كل الالوان ومن كل بلدان العالم . المورد عذبٌ فهو كثير الزحام . الابواب مفتوحة على مصاريعها والميادين واسعة والنجاح مضمون لكل نابه مثابر . يستحيل عليَّ في موقف كهذا ان اوفي موضوع الجامعات حقهُ من البحث وانما ارى من المفيد ان اذكر لكم شيئاً عن طريقة ابتكرها احد الاميركيين لارسال عدد كبير من اولاد الفقراء الاذكياء الى هذه المعاهد

طريقة مبتكرة لتعليم الفقراء النابغين

الرجل اسمهُ هوراشيوارل عمرهُ خمسة وسبعون عاماً وهو قصير القامة نحيف الجسم يصعب على الناظر الى وجههِ ان يقرأ في ملامحهِ شيئاً من آيات الجمال ولكني استدرك فاقول ان حديثه او حديثاً عن اعماله العظيمة يطرب السامعين . ولد من عائلة فقيرة جدًّا وكان ابوهُ شرس الاخلاق سيءَ الطباع عاملهُ بخشونة كانت تصل غالباً الى درجة الارهاق . ترك البيت صغيراً وصار بائعاً للجرائد وتردّد على المدارس الليلية وجد واجتهد حتى توصل بعد جهاد طويل الى تحصيل الدروس العالية . ثم استخدم في احدى الشركات واظهر من المقدرة في انجاح اعمالها ما دعى رؤساءهُ وحملة اسهمها لان يشركوه معهم في ارباحها وهكذا قطع الرجل مرحلة بعد اخرى حتى صار رئيساً لمجالس ادارة خمس شركات كبيرة في الولايات المتحدة ويسمونهُ « ابا الطرقات » لانهُ هو الذي سعى لانشاء الوف الاميال منها في ولاية ميشغن حتى صارت مثالاً يحتذى في سهولة المواصلات . كان اول عهد قطعهُ على نفسهِ بعد ان يسّر الله امره ان يساعد الاولاد البائسين الذين يتوسم فيهم الخير كي يوفر عليهم ما قاساه هو في طفولته من مرارة العيش . وكان حين يقع اختياره على واحد

منهم يأخذ عليه تعهداً مكتوباً على ان يفي دينه حالما يصير قادراً بنفس الطريقة التي استدان بها اي ان يعلّم ولداً فقيراً على نفقتـهِ . دعاني الرجل لزيارتهِ في منزله حيث يلتقي مئات من اعضاء مجالس الشيوخ والنواب والمحامين والكتاب واصحاب الحرف المختلفة والمخترعين والمكتشفين وكلهم من الذين تعلموا بهذه الواسطة وصاروا من العاملين على تعميمها في كل الولايات المتحدة . لم يعد الواحد منهم يعتبر نفسه مديناً لفرد بل للمجموع الذي هو عضوٌ فيهِ . ولم يعد يكتفي بتعليم طفل واحدٍ بل يسعى الى الخير جهده .خُيّـل الي وانا أُصغي الى حديثهِ المعزز بالارقام والتواريخ ان وجههُ صار جميلا وان الرجل القصير القامة صار جبَّاراً يستطيع ان يبني مجد امةٍ بتمامها . فانحنيت امامهُ باحترام وخرجت من عنده طالباً من ربي ان يكثر من امثاله في بلادنا

المرأة الاميركية

اذا كانت المرأة الاميركية لم تصل بعد لان تكون النصف الافضل للرجلِ بكل معنى الكلمة فهي سائرة سيراً حثيثاً في هذا الطريق. هي اليوم تتبوأ في بلادها مكانةً يرتدُّ عنها الطرف وهو كليل. اذا قلت لـكم ان الولايات المتحدة هي الميدان الحقيقي للعمل المتواصل المنتج والمنهك المضني في وقت معاً وان من يقف لحظة يتأخر مرحلة ادركتم بداهة ان شفيع المرأة في ولوجها هذا الميدان ليس حسنها وجمالها وظرفها واعتدالها ولـكنهُ ذكاؤها المتوقد وصبرها العجيب ودقتها في اداء الواجب وحسن تصريفها للامور فهي لا تخوض معركة الاَّ وقد وضعت لها الخطط الحديثة وابتكرت لها المعدات اللازمة وهي ما تراجعت مرة الاَّ تحفزاً للوثوب الى الامام ولولا خوفي على يديها الجميلتين لقلت انها شقّت طريقها بحد السيف . فهي حاضرة في البيت وفي الحقل وفي المعمل وفي الدكان وفي المحكمة وفي مكتب المحامي وفي المصارف المالية وفي الشركات الـكبرى وفي المطاعم والفنادق . وهي التي تحمل علم الجهاد يوم تهدّد الانسانية اخطار الاوبئة والامراض الفتّاكة ويوم تبتلي بالعجز والشيخوخة ويوم يحلُّ بها الفقر والشقاء .في هذه الازمات لا اقول ان الرجل يراها كخطيئتهِ امامه في كل حين ولـكنهُ يراها كضميره الحيّ ملازمة لهُ لا تنفكُّ تأمرهُ بالمعروف حتى يجود مما لديهِ من نعم الله . ولا تظنوا انها اقل سخاء من الرجل. كلاَّ . بل هي تستجدي وتعطي من مالها وهو عند الاغلبية الساحقة من النساء الاميركيات مكسوبٌ بعرق الجبين

[التتمة في الجزء التالي]

نسيم صيبعة

زلزلة كل ساعة

كثرة الزلازل

اذا نظرنا الى الزلازل وكيف تحدث فجأة من غير ان يتقدمها نذير ما ، وما تحدثهُ من الخراب والتدمير وتبثّهُ من الخوف والهلع ،وان مركزها قلب الارض لا سطحها، زال كل عجب من ان العلماء لا يعرفون من امرها سوى الشيء اليسير . فمنذ ستين سنة لم يكن احد قد حاول البحث في الزلازل بحثاً علميًّا منتظماً . ولكن بعض العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ مَلِيت وضع اساساً لعلم جديد يتناول الزلازل وطبيعتها واسبابها ودعاهُ علم (السيسمولوجيا)

وارتقاء هذا العلم لم يتأخر لان مواد الدرس نادرة يصعب الحصول عليها بل لصعوبة الموضوع وما تبثهُ الزلازل من الخوف والاضطراب مما يجعل العقل غير قادر على التفكير المنطقي والبحث العلمي الدقيق حين حدوثها . وقد عني من العلماء رجل يدعى الكسيس بوضع كتالوج دوّن فيهِ ذكر الف زلزلة في ثلاثين سنة بين سنة ١٨٤٣ و١٨٧٣ اي كان متوسط ما دونهُ زلزلتين في اليوم فاذا حسبنا ان ثلاثة ارباع سطح الكرة ماء وان جانباً كبيراً من اليابسة يقطنهُ اقوام متوحشون وان كثيراً من الزلازل التي تحدث في البلدان العامرة لا تدوّن لا نكون مبالغين اذا قلنا ان زلزلة قوية او خفيفة تحدث كل ساعة من ساعات النهار والليل في بقعة من بقاع الارض ولكن جسم الانسان لا يحس بها الاَّ بالتي تهزّ الارضَ مقدار جزء من ١٦٠٠ جزء من البوصة وهذه ليست كثيرة الاَّ في المناطق التي تكثر فيها الزلازل

مظاهر الزلزلة

١ — الصوت : يكون اولاً كصوت اطلاق المدافع تحت الارض وفي بعض الاحيان كصوت دمدمة او اصطدام او طحن

٢ — ويصحب هذا الصوت او يتبعهُ اهتزاز الارض اهتزازاً خفيفاً او موراً عنيفاً وقد يبلغ من عنف حركة الارض ان تتداعى البيوت وتتهدم كانها بنيت من ورق

٣ — واتجاه هذه الحركة يكون اما عموديًّا من اعلى الى اسفل او افقيًّا من جانب الى جانب آخر او جامعاً بين الاثنين فتكون الحركة اما منحرفة او لولبية كما

حدث في بعض الزلازل اذ شاهد الناس بعض المداخن تدور دورة لولبية

٤ — وحركة الارض لا تحدث في كل مكان في الوقت نفسهِ بل تحدث في مركز الزلزلة ثم تنتقل منهُ في كل الجهات كانك ترمي حجراً في راكد من الماء فيحدث امواجاً متتابعة تنتشر الى كل الجهات . هذا المركز يدعى (الابيسنتر) لانهُ فوق مركز الزلزلة ويكون اشد فعلها هناك او على بعد عنهُ يساوي عمقهُ تحت الارض ثم يقل كلما بعدت موجتها عنهُ

سرعة موجة الزلزلة

وقد وجد العلماء ان سرعة موجة الزلزلة تختلف باختلاف مقاومة الصخر وعمق الابيسنتر . فاذا كان الصخر جلموداً والابيسنتر عميقاً كانت موجة الزلزلة على اشدها فقد تكون سرعتها ١٠ اميال في الدقيقة وقد تبلغ ٢٠ ميلاً او ٢٥ ميلاً او ثلاثين ميلاً في الدقيقة . وقد يكون انتشار موجة الزلزلة في كل الجهات متساوياً في سرعتهِ فتكون الموجة حينئذٍ في شكل دائرة تقريباً وقد تكون اسرع في جهة منها في الاخرى فتكون الموجة اهليليجية

اسباب الزلازل

اشهر اسباب الزلازل التغيرات المستمرة التي تحدث في الارض فأن قشرة الارض كبيرة ثقيلة وهي مرتكزة الى باطن الارض وهذا الباطن آخذ في التقلص المستمر بسبب خروج الحرارة منهُ فينتج من ذلك تشقق الصخور وتصدعها واتساع الشقوق القديمة فيها . اي ان طبقات الصخور التي زحلت عن مكانها في الزمان الماضي وهزت الارض بزحلتها تزحل ثانية وتسبب هزة اخرى. ثم ان للثقل يداً في احداث الزلازل فاذا رسبت رواسب كثيرة في قعر البحر في البلدان المعرضة للزلازل ثقلت عليهِ فينصدع ويهزّ الارض ويحدث عكس ذلك في الجبال والنجود التي تجرف الامطارُ جانباً كبيراً منها فانها تخف عما كانت عليهِ وترتفع وقد يكون ارتفاعها هذا متدرجاً وقد يكون دفعة واحدة فتزلزل الارض

وقد كان الرأي الشائع ان الزلازل تحدث من تأثير البراكين ولكن ظهر الآن ان تأثير البراكين في الزلازل قليل جدًّا والغالب ان الزلزلة تسبق ثوران البركان فتكون سبباً لهُ لا نتيجة عنهُ واذا كانت نتيجة عنهُ كان اثرها موضعيًّا . اي ان اسباب ثورانهِ تكون مهيأة وتعوزها حركة شديدة لازالة ما يعوقها عن العمل فتأتي الزلزلة فتزيل

العائق من طريقها. وقد روى الاب تُندورف الجزويتي وهو من اشهر علماء الزلازل في اميركا ان عاصفة شديدة هبت في الاوقيانوس الاتلنتيكي على مقربة من شواطئ اميركا فلطمت امواجها القوية حرف القارة الاميركية لطماً متوالياً فزُلزلت الارض ودوّنت آلات رصد الزلازل هذه الهزة ولكن هذا نادر

طغيان البحر

اذا كان مركز الزلزلة في قعر البحر قرب شاطئ فقد تصحب الزلزلة موجة عظيمة تطغو على الشاطئ فتخرب وتدمر ما يعترض سيرها وسبب ذلك ان قعر البحر عند الابيسنتر يرتفع وينخفض مراراً فترتفع مياه البحر فوقهُ وتنخفض فتتولد من ذلك موجة كبيرة قد يبلغ علوها خمسين قدماً تقريباً وطولها مئات من الاميال وتبقى سائرة حتى تلطم الشاطئ فتطغو عليهِ وتخرب كل ما يعترض سبيلها . وقد دعيت موجة كهذهِ خطأً موجة المد والجزر وليس لها ادنى علاقة بالمد والجزر

ومع ان موجة من هذا القبيل تتكون عند مركز الزلزال الاّ انها أبطأ من الزلزلة في سيرها لذلك تصل اليابسة بعدها

امثلة مشهورة على طغيان البحر

١ — في سنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في البرتغال فدمرت مدينة لشبونة وقتلت اربعين الف نفس . وكان مركز الزلزلة تحت قعر البحر على مائة ميل من الشاطئ وبعد ما انقضت نصف ساعة على الزلزلة ساد الهدوء فيها المدينة جاءَت امواج عظيمة علوها ستون قدماً وطغت على المدينة فأتمت تدميرها وكان علو هذه الامواج ٦٠ قدماً في لشبونة و٣٠ قدماً في قادس و١٨ قدماً في جزائر مديرا وخمس اقدام على شواطئ ايرلندا

٢ — وحدثت زلزلة في اليابان سنة ١٨٥٤ تبعتها موجة عظيمة علوها ٣٠ قدماً طغت على سيمورا فمحتها من عالم الوجود . وكان مركز الزلزال على مائة ميل من شاطئ اليابان ولكن آثار الموجة البحرية شُعر بها في كليفورنيا بعد ما عبرت الاقيانوس الباسيفيكي فكان علوها ٨ اقدام فقط في سان فرنسيسكو

٣ — وحدثت زلزلة سنة ١٨٦٨ هزت شاطئ بيرو هزًّا عنيفاً وكان مركزها قريباً فعقبتها بعد خمس دقائق موجة علوها ٦٠ قدماً احدثت تدميراً عظيماً على كل الشاطئ

حجة الاسلام

الغزالي

(٤٥٠ — ٥٠٥ هـ) — (١٠٥٨ — ١١١١ م)

﴿تمهيد﴾ : لتتبع سير الفلسفة عند اية امة من الامم طريقتان اما ان يذكر النظريات المختلفة وما اعتراها من التغير والتطور ، مستشهداً بابطالها وما لهم فيها من الاثر واما ان تأتي على سيَر هؤلاء الابطال فتجعلهم المراحل التي انتهت اليها الفلسفة في كل طور من اطوار نموها . وهدفك على الحالين دراسة الفلسفة وتتبع مجراها . وقد آثرنا في هذا المقال ان نتبع ثاني الاسلوبين لان الفلسفة في اعتقادنا وليدة الحياة فليس أدلّ على تطورها اذاً من الحياة نفسها ، ولان هذه الطريقة هي المتبعة اليوم على الاكثر وان لم ننكر ان للطريقة الاولى انصارها . فنحن لذلك وان حدثناك عن الغزالي ، فانما نحدثك بالحقيقة عن طور هام من اطوار الفلسفة في الشرق ، وفي عصر اوشك ان يلفظ فيهِ التفكير الحر انفاسهُ الاخيرة

هذا وان المشهور بين المطلعين على الاداب العربية ان الغزالي عالم ديني فحسب . والحقيقة ان الاسلام قد ادمج كل نظم التفكير في نظامه الديني العجيب ، وان الغزالي في دفاعه عن عقيدته وفي جدالهِ مع الفلاسفة أقرب في اساليبهِ الى الفيلسوف المفكر منهُ الى المتدين المستسلم . وقد يظهر لاول وهلة ان في مثل هذا التعميم بشأن الاسلام مبالغة اية مبالغة ولكنهُ اليوم الرأي الذي اجمع عليهِ معظم العلماء المستشرقين . وللعالم الالماني رتر Ritter كلمة ذات شأن بهذا الصدد، فهو يقول ما معناهُ ان المدارس الفقهية والتفكير الديني في الاسلام يمثلان الفلسفة العربية اكثر مما يمثلها جمهور الفلاسفة اتباع ارسطو كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم . ويقول Boer اعمق من تضلع من دراسة الفلسفة الاسلامية بين الغربيين « ان في اتباع الغزالي تلك الطريقة المبتكرة من التصوف والاقتناع الداخلي ، لفلسفة أعمق وايم الحق من فلسفة المقلدين »

والغزالي احد تلك العقول النادرة جدًّا ، التي لا يختنق ابتكارها بكثرة ما تخوض فيهِ من العلوم والمعارف . وهو (على ما دلني اختباري) احد تلك الشخصيات العميقة التي لا يمكن العثور لها على قرار . فقد تقرأ وتقرأ ثم لا تزال تجد انك قاصر على فهم

ناحية واحدة من نواحي هذه النفس الكبيرة . ولا نظن اننا موفقون في بسط هذه الفكرة للقراء الى اجمل وابلغ من المثال الذي ضربهُ الغزالي نفسه في مؤلفه (كيمياء السعادة) حين اراد ان يرمز الى عظمة الوجود وقدرة الله الازلية ، فيرى الفلكيين والاطباء والدهريين انهم مقتصرون في ابحاثهم على ادراك العلل الثانوية وانهُ لا يمكنهم بطريقة من الطرق تعدّيها الى ما يدعونه (السبب الاول او القوة الفعالة) قال : احضر احدهم فيلاً الى قرية كل ساكنيها من العميان. فتجمهر حول هذا الحيوان عدد كبير منهم يريدون معرفة هذا المخلوق العجيب . ثم وضع أحدهم يده على خرطومهِ فقال انهُ يشبه العمود ، ولمس آخر اذنيهِ فقال لا بل هو يماثل شراع السفن ، ولكن ثالثاً منهم صاح فقال لا بل هو كالخيمة الكبيرة وكان قد وضع يدهُ على جسمهِ . فكل واحد من هؤلاء صادق فيما قاله لكنهم لو ادعوا ان الفيل كلَّهُ هو عبارة عما وصفوه لكانوا من الكاذبين

ونحن حين نحاول ان نكتب عن الغزالي لنلم بجميع أطواره النفسية واختباراته العقلية ، يتملكنا نفس هذا الشعور . وقد يكفيك تمثلنا بهذه الخرافة لترى اننا ونحن نباشر الكتابة شاعرون بعجزنا وتقصيرنا عن ان نقدم لك الغزالي شخصية حية كاملة لم تتحجر بفعل الاقلام على الاوراق !!!

﴿ العصر الذي نشأ فيهِ ﴾ : كان القرن الحادي عشر الذي وجد فيهِ الغزالي من أظلم العصور في تاريخ الاسلام . فقد ضعفت الخلافة في ذلك العهد ، وكثر الدعاة ، فتكالب الزعماء على السلطة واورثوا الشرق على الاثر فوضى لا فوضى بعدها . وزاد في فوضى الحياة المادية اضطراب في الافكار وبلبلة بالمشارب والمعتقدات . لان المسلمين كانوا قد انقسموا بعد ان ضعفت شوكة الاسلام الى احزاب وشيع كل يدعو الى فريقه ومعتقده

وقد ادرك الغرب هذا التضعضع الذي كان قد اصاب الشرق آنئذٍ فرأى الفرصة سانحة لينقضّ عليهِ ويشتبك معهُ في سلسلة من الحروب — الحملات الصليبية — يقال انها دينية والحقيقة انها كانت فوق ذلك سياسية واجتماعية ترتكز الى ما كان سائداً في الشرق والغرب من الاحوال في تلك الآونة العصيبة

فمن شيعة يدعون الناس للايمان بامام مستتر ، الى معتزلة يرفضون سلطة السلف ويتكلون على سلطة العقل المجرد ، الى اسماعيلية ينقمون على كل نظام ثابت ويعملون

على تقويضه . وعلى رأس هذه العوامل الهدامة جمهور المتفلسفة يبثون في الناس التعاليم الفجة التي لم تتهيأ لها عقولهم ، فتنسخ ايمانهم ثم هي لا تملأ هذا الفراغ بشيء يذكر ، وكل ما لها من الاثر ان تحمل العامة على الشك والاضطراب

ثم يجب الا ننسى بعد هذا كله ، ان الروح السائدة في تلك الفترة من الزمن ، هي روح القرون الوسطى وان الاحوال احوالها والشعور شعورها ، بكل ما يميز تلك الروح من ميل الى اليأس والتشاؤم ، وتلك الاحوال من الاضطراب والفوضى ، وذلك الشعور من ميل للحياة الاخرى والتفكير في وقوعها . وكل هذه عوامل ومؤثرات يجدر الا تغيب عن الذهن ابداً حين نبدأ بتحليل شخصية الغزالي ودرس تطور شخصيته وآرائه . وهي امور يجب اذا نحن اردنا الانصاف ان نأخذ لها العدة ، حين نحكم على الغزالي او نقابله بغيره من الفلاسفة اللاحقين ، لان النفس البشرية مهما سمت وتجردت فلا بد ان يعلق بها من محيطها وزمانها الشيء الكثير

اما ثقافة العصر العامة فقد كانت في مستوى علمي عال ، رغم ما وصفناه من الاضطراب في الحالتين السياسية والاجتماعية . وذلك لاسباب يطول البحث فيها فنقتصر منها على سببين . الاول تأييد الامراء واصحاب النفوذ للعلماء والمفكرين او على الاصح استخدام هؤلاء لاغراضهم الخاصة فيؤيدون سلطتهم ويعززون سياستهم . ومع ان العلماء كانوا وسيلة بل العوبة ليس الا كما ترى ، فان العلم استفاد كثيراً من هذا التأييد ورعاية اولي الامر له في ظروف واحوال كان يضطر فيها المفكرون لولا تلك الرعاية ان يخضعوا للرأي العام وحكم الاكثرية فيهبط الفكر الى الدرك الاسفل . واما السبب الثاني فمعنوي يصعب توضيحه وهو الميل الذي يعتري بعض النفوس الطامحة المفكرة لتسمو من حضيض الحياة المادية بما فيها من النزاع والاضطراب الى حالة نفسية هادئة تخيم عليها طمأنينة فلسفية عميقة . ففي نفس الوقت الذي كان فيه الصليبيون في الغرب يتأهبون لشن الغارة على المشرق ، كان الغزالي يعد نفسه لان يكون بطل الاسلام الروحي

هذا وصف موجز للمسرح الذي نشط الغزالي لتمثيل دوره عليه . وقد كان من عصره حقاً بمثابة البطل من الرواية فهو رمز لعصره ، ومعلم لتطور الفلسفة مدى قرون ، بل هو بنفسه فصل من فصول الفلسفة الاسلامية حتى ليمكننا من اجل كل ما اسلفنا ان ندعو العصر الذي عاش فيه بحق وبدون ادنى مبالغة (عصر الغزالي) .

﴿ حياتهُ وعقليتهُ ﴾ : لقد تمكنا حين بحثنا عن ابن خلدون في عدد سابق من هذه المجلة ، ان نعالج سيرتهُ تحت عنوانين منفصلين فبحثنا اولاً في حياتهِ ، ثم تدرجنا الى البحث في عقليتهِ على حدة . غير ان ذلك مما لا سبيل اليهِ في البحث عن الغزالي وذلك لانهُ شيد عقيدتهُ وآراءهُ على قاعدة الحياة ، وما اختبرهُ فيها من التجارب ، ولم يفرق مطلقاً بين ما يعتقدهُ وما يعمل بهِ اي بين الحياة المادية التي كان يعيشها ، وما كان يبدعهُ دماغهُ من المذاهب الروحية والعقلية

واقوى ما نستند عليهِ في كتابة هذا الفصل مؤلف صغير بل رسالة تركها الغزالي بمثابة (اعترافات) فكانت لنا عوناً على حل هذه النفسية الحافلة. والرسالة هذه بعنوان (المنقذ من الضلال) شرح فيها كل ما انتابهُ من الشكوك الروحية والتجارب العقلية . وهي فريدة في الاداب العربية ليس فقط لجمال اسلوبها ، بل للبراعة التحليلية فيها والاخلاص المترقرق بين سطورها . وهذه الامور الثلاثة هي في نظرنا اهم ما تمتاز بهِ كتابات الغزالي بوجه الاجمال . « فالمنقذ » كان يكون اول بذرة صالحة في علم تحليل النفس او ما يسمونهُ Psycho-analysis

ولد الغزالي على الارجح في قرية الغزالة بجوار طوس من خراسان عام ٤٥٠ ، وتوفي والدهُ وهو لا يزال صغيراً بعد ما اوصى بهِ وباخيهِ صديقاً لهُ صوفيًّا وحثّهُ على تعليمهما . فدرس اولاً مبادىء القراءة والكتابة في قريتهِ ، ثم انتقل الى طوس ليدرس الفقه والحديث على الرذكاني ، ورحل بعد ذلك الى جرجان حيث تتلمذ لابي نصر الاسماعيلي . غير ان عهد تلمذتهِ الحقيقي يبتدئ في المدرسة النظامية بنيسابور تحت اشراف امام الحرمين الجويني . وقد اظهر هنا ذكاءً واجتهاداً فائقين حتى ان الامام كان يتكل عليهِ في التدريس بدلاً منهُ

ولكن الغزالي كان قد اظهر التردد منذ اوائل حياته ، ومع انهُ كان في وسط صوفي محض فقد شك في معتقدهِ ، الاَّ انهُ بقي كاتماً سرَّ نفسهِ الى ان توفي استاذهُ الاكبر سنة ٤٧٨ فبرح طوس الى بغداد وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وكان فيها يومئذٍ نظام الملك وزير الب ارسلان السلجوقي ، وقد اشتهر برعاية العلماء والميل لمعاشرتهم فاختبرهُ مدة ولم يلبث ان وثق بمقدرتهِ وسعة علمهِ فجعلهُ اولاً من فقهائه ثم ولاهُ رآسة الجامعة النظامية في بغداد .ودرس الغزالي هناك مدة ذاعت فيها شهرتهُ اضعاف ما كانت عليهِ من قبل

ولكن يظهر ان ابحاثهُ الفلسفية في المدرسة النظامية ،واحتكاكهُ باصحاب المذاهب الفكرية المختلفة الذين كانوا يجتمعون ببغداد،ثم ميلهُ الفطري الى البحث والمجادلة والتنقيب، كل هذه العوامل اهابت بهِ الى الشك المطلق ليس فقط في امر التقليد الديني بل اصبح يتردّد في صحة العلم عينهِ . وعلى ذلك فقد اخذ بعد مقتل نظام الملك سنة ٤٨٥ يدرس كل الآراء الفلسفية الشائعة علها ترد اليهِ ايمانهُ . وقضى في ذلك ثلاث سنين لم يظفر منها بطائلة

يقول الغزالي ان دواعي شكهِ كانت كثيرة ، فمنها انهُ كان يلاحظ ان الطفل ينشأ اما مسلماً او مسيحيًّا او يهوديًّا ليس لانهُ اختار ما ارادهُ لنفسهِ من هذه الاديان بل لان ابويهِ يجعلانهِ كذلك ، وفي ذلك حديث للنبي مشهور . فبعث ذلك الشك في عقيدتهِ وصار لا يقيم وزناً لغير اليقين الثابت في مثل قولك العشرة اكثر من الثلاثة . ولكن هنا يصدمه الشك ثانية فاليقين مبني على الحسّ والحسّ لا يصدق دائماً ،فانك مثلاً ترى الظل ثابتاً بينما هو في الحقيقة متحرك.وعلى ذلك تبطل ثقته بالمرئيات فيركن الى العقليات . ولكن كيف يأمن مغبتها وقد وثق اولاً بالمرئيات فخانتهُ ؟! ألا يمكن ان تكون فوق العقل حالة هي بالنسبة اليهِ بمثابة اليقظة من النوم ؟! اننا نرى الاشياء في منامنا كأنها واقعية فاذا جاءت اليقظة لم نصدق بها لان العقل ينكرها . فهلا يمكن ان تكون الاشياء التي نعتقد بانها معقولة في حياتنا هذه ، هي بدورها ايضاً باطلة بالنسبة للحياة الاخرى ؟!

هذا ما انتهى اليهِ الغزالي في تفكيرهِ الدائري فقد بدأت شكوكه في نقطة معينة من الدائرة وما زال في كفاحهِ وجهادهِ الداخلي حتى انتهى الى تلك النقطة عينها . ولكنهُ مع ذلك اطمأن الى اساس علمي ثابت يركن اليهِ العقل

كان الغزالي حينئذٍ قد جاوز من عمرهِ الخامسة والاربعين ورأى ان لا فائدة تجنى من وراء الشك والتنقيب فمالت نفسه المتعبة الى الطمأنينة التي كان قد فقدها منذ سنين وهاك ما يقولهُ هو عن نفسه وفي ذلك خير مثال لاسلوبه الرائع وكان قد حصل لهُ من « العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى ، وبالنبوة ، وباليوم الآخر . فهذه الفصول الثلاثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل باسباب وقرائن وتجاريب .

لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها . وكان قد ظهر عندي ان لا مطمح لي في سعادة الآخرة الاَّ بالتقوى وكف النفس عن الهوى . . . . ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلائق . . . . ولاحظت اعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقّنت اني على شفا جرف هار » (١)

ولذلك برح الغزالي بغداد تحت ستار الحج سنة ٤٨٨ واستخلف مكانه للتدريس اخاهُ احمد ، وكانت الغاية الحقيقية كما رأيت من كلامهِ العزلة والتنسك ، وطلب الآخرة . وبقي يتنقل شأن النساك الزاهدين احدى عشرة سنة ابتلي في اثنائها كل ما في التصوف من مبادىء وتعاليم ومكاشفات ، واصبح لفرط الاخلاص يصف اخوانه المتصوفة فيقول : هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ويبدلوهُ بما هو خير منهُ لم يجدوا اليهِ سبيلاً » . وقد قضى معظم هذه المدة في سورية وفلسطين فاعتزل في مأذنة الجامع الاموي بالشام واقام في جامع الصخرة بالقدس زمناً كتب فيهِ (الرسالة القدسية) وما برحها الاَّ قبيل دخول الصليبيين اليها عام ٤٩٢ . وقد زار مقام ابراهيم الخليل بحبرون وتوجه اخيراً الى مكة في طلب الحج . ولكن ما أزف القرن الخامس بالانصرام حتى عاد الاضطراب الى نفس الغزالي الثائرة وحنَّ الى الاهل والاوطان ،وشعر بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهِ في اصلاح ما اختل من الدين واخيراً اضطرهُ السلطان ملك شاه ان يعود الى التدريس في نيسابور بعد ان كان قد خيّب رجاء اكثر أصدقائهِ في هذا الشأن ، وكان رجوعهُ عام ٤٩٩ . وهاك ما يقولهُ هو بنفسهِ « فلما رأيت اصناف الخلق قد ضعفت ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ، ورأيت نفسي مليّة بكشف هذه الشبهة حتى كان افضاح هؤلاءِ أيسر عندي من جرعة ماء لكثرة خوضي في علومهم اعني الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين من العلماء . انقدح في نفسي ان ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة

(١) راجع المنقذ من الضلال لابي حامد الغزالي طبعة مصر ص ٤٢ و ٦١

والعزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء . . . . . ويسّر الله تعالى الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم سنة ٤٩٩ »

وقضى في نيسابور مدرساً ثلاث سنوات اضطر في نهايتها على ما يقال من اجل بعض الخلافات التي نشأت بينهُ وبين بعض العلماء ان يلتجئ الى طوس البلدة التي قضى فيها ايام صباه . وهناك اعتزل عن العالم واعتكف على درس الحديث . وقد اسس خانقاه لرفاقهِ من الصوفيين واصبح يعلم عدداً من التلاميذ الذين كانوا يتوافدون اليهِ من الاقطار المجاورة على عادتهم في طلب العلم . ويقول عبد الغافر احد المترجمين لهُ ومن اقدمهم تاريخاً ان سيرتهُ تغيرت بالكلية في تلك الفترة إذ اصبح متسامحاً وضيعاً بعد ان كان ميّالاً الى الجدل والمناظرة مع الاتراب متكبراً عليهم

ولابن تيمية (ولد سنة ٦٦١) قول بشأن الغزالي لا يخلو من غرابة اذ يقول « ولهاذا تبيَّن لهُ في آخر عمرهِ ان طريق الصوفية لا تحصل مقصودهُ فطلب الهدى من طريق الآثار النبوية ، واخذ يشتغل بالبخاري ومسلم ومات في اثناء ذلك على احسن احوالهِ وكان كارهاً ما وقع في كتبهِ من نحو هذه الامور مما انكرهُ الناس عليهِ » الاَّ اننا نردّ هذا القول ولو قبلهُ الدكتور زكي مبارك ليس لانهُ معاكس لكل ما اطلعنا عليهِ بشأن الغزالي واخلاصهِ للصوفية حتى موتهُ فحسب بل لانهُ لا يعقل ان يكون الغزالي قد اقلع عن الصوفية في وقت كان فيهِ يبث مبادئها بين حلقات تلاميذهِ وينشئ لاتباعها خانقاه يجتمعون بها كما رأيت . وما زال الغزالي في مثل هذا الصلاح والتقوى والاعتزال الى ان توفاهُ الله عام ٥٠٥ هـ

لكن الخلف من المسلمين الذين احلوا هذه الشخصية مكانة تقرب من التقديس لم يكتفوا بهذا القدر من الاخبار التاريخية الصادقة ، ولذلك ترى الكثيرين من الكتاب قد اذكوا الخيال فاضافوا اليها من العجائب والكرامات اشكالاً وانواعاً . ومن حسن الحظ اننا نستطيع اليوم نقدها وتمحيصها لان الاغلاط التاريخية فيها جلية ، وتناقض الوقائع ظاهر بيّن

وعلى كل فما هذا سوى موجز لحياة الغزالي الحافلة نقتصر عليهِ ، لننتقل منهُ الى البحث عن آراء المستشرقين فيهِ في الجزء القادم ، ونرى هل كان لهُ ضلع في الفلسفة بمعناها المشهور

القدس — شكري مهتدي

ب . ع

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ذكرى قاسم امين

ونهضة المرأة المصرية — ذكريات تاريخية

احتفل في الرابع من شهر مايو الماضي بمرور عشرين سنة على وفاة المرحوم قاسم امين مؤلف كتابي « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » . احتفلوا بذكراه محرراً للمرأة . ولو انهم ابقوا هذا الاحتفال الى السنة القادمة لكان امامهم تذكار مجيد هو مرور ثلاثين سنة على ظهور فكرة قاسم امين في كتابهِ الاول « تحرير المرأة »

ففي سنة ١٨٩٩ نشر الشاب الاديب محمد علي كامل صاحب مكتبة الترقي ومطبعتها كتاب « تحرير المرأة » وصدَّرهُ بالمقدمة الآتية :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . و بعد فان البحث فيما عليهِ نساؤنا الآن من صفات واخلاق وعوائد وما يجب ان يكنَّ عليهِ من ذلك هو من اوجب الواجبات على كل من يحس حقيقة بالفرق بين العائلة عندنا وعند غيرنا او بالفرق بين العدم والوجود ويود ان يكون عضواً من جسم امة تحيا لانها تعمل عمل الاحياء وترتقي لانها تفعل فعل المرتقين

« ولو كانت معرفة اسباب تهدّم بناء عائلتنا — او امتنا — والوقوف على طرق اعادته بناءً عالياً ثابتاً مما يتعين على ذلك العضو الذي يجب ان يكون في بلادهِ انساناً حيًّا راقياً فاطلاعهُ على (تحرير المرأة) الذي انشرهُ اليوم يفي ولا شك بجل حاجتهِ »

من سبق قاسماً بالدعوة ?

احدث كتاب «تحرير المرأة » ثورة . وكان الغاضبون الناقدون اضعاف الراضين

المحبذين . وناصر المرحوم فرح انطون صاحب مجلة « الجامعة » مؤلفهُ وقال انهُ جدير بان يلقب « لوثيروس الشرق » . وكان صاحب العزة محمد طلعت بك حرب في طليعة محاربي قاسم امين والمزيفين اراءهُ وعلى الاخص في مسألة السفور . ووضع في ذلك كتابين اولها « تربية المرأة والحجاب » ردًّا على « تحرير المرأة » وثانيهما « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » ردًّا على « المرأة الجديدة »

وفي مقدمة الكتاب الثاني رد على ما وصف بهِ صاحب الجامعة قاسماً فقال :

« . . . . ولقد لقب آخر من أولئك المتصدرين حضرة صاحب « المرأة الجديدة » بانهُ لوثير الشرق . ولو كان عند هذا الكاتب اطلاع على ان في رجال الدين الاسلامي من قام بدفع الخرافات الدخيلة فيهِ كالامام ابن تيمية والغزالي وغيرهما لا تتحل له اسم احدهم

« على انهُ لو كان كل من جاهر اولاً من بين المصريين بشقاء المرأة في الشرق وطالب بتحريرها يستحق هذا اللقب لوجد من هو احق بهِ واجدر من صاحب المرأة الجديدة وهو حضرة مرقص افندي فهمي المحامي فانهُ وضع في سنة ١٨٩٤ — اي في الوقت الذي كان حضرة صاحب المرأة الجديدة يرى فيهِ رأينا ويدافع عن آداب المرأة المسلمة وحجابها وعن المدنية الاسلامية — كتاباً في قالب رواية اسمهُ « المرأة في الشرق » ذكر فيهِ كل ما جاءَ بكتابي « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » بل زاد عليهِ انهُ طلب — فوق رفع الحجاب والاختلاط وحجر الزواج باكثر من واحدة وجعل حق الطلاق من حقوق الزوجين وحصر اسبابهِ ووجوب طلبهِ من سلطة القضاء التي يجب ان تكون واحدة بالنسبة لجميع الوطنيين — الترخيص بحل الزواج بين المسلمين والاقباط فيجوز لقبطي ان يتزوج مسلمة كما اباح الشرع عكسه حتى يمتنع التعصب وينتفي النفور المستحكم بين الجهتين [1] وتتم المدنية والحضارة (حسب زعمهِ)

« فاذا كان من يطالب بالتحرير ورفع الحجاب والاختلاط فقط يلقب بلوثير الشرق فأحرِ بمن يطلب ذلك وزيادة عليهِ مزج الدمين المسلم والقبطي ان يكون « لوثير » مرتين او اكثر !!

« وانهُ ان كان ذلك الكتاب لم يؤثر التأثير الذي اثرهُ كتابا « تحرير المرأة »

---

(١) صفحة ١٦٦ وما يليها من رواية المرأة في الشرق

و« المرأة الجديدة » ولم تقم من اجلهِ الدنيا وتقعد ولم يهتم بهِ الكتّاب فما ذلك الا لزيادة حرية ضمير حضرة مؤلفهِ وحرية افكارهِ فانهُ بسط فكرهُ وما يراهُ صالحاً ولم يدّعِ انهُ يدعو اليهِ باسم الدين بل قال : ان ظروف الاحوال تقضي بهِ وان لي من تهاون الحكومة بامور الدين اقوى مساعد على طلب ذلك مع اعترافهِ بمخالفتهِ للشرع »

نازلي هانم وقاسم امين

وقد ذكر اسم قاسم امين يوم الاحتفال بذكراهُ مقروناً باسم نازلي هانم وهي الاميرة الملكية من سلالة محمد علي . واول اميرة شرقية بل اول امرأة مستنيرة في الشرق الادنى القت الحجاب جانباً .ولم تكتفِ بالإسفار . بل فتحت صالونها لاستقبال خيرة اهل العلم والادب . فكانت ردهاء سرايها خلف سراي عابدين لنحو اربعين سنة خلت ملتقى الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني وسعد زغلول ومصطفى فهمي وحسين رشدي والامير حيدر فاضل وعبد الكريم سلمان والشيخ علي يوسف وغيرهم من أئمة هاتيك الايام واصحاب الرأي الاول في تدبير الشؤون السياسية والاصلاح الاجتماعي

وفي صالون الاميرة نازلي تم الاتفاق على زواج سعد زغلول باشا بصفية هانم كريمة مصطفى باشا فهمي

ووصف المسيو جرفيل في كتابه « مصر الحديثة » صالون الاميرة . فقال انهُ لصالون مفرد في هذه البلاد بل في الشرق الاسلامي عامة .ففيهِ يلتقي نخبة اهل الطبقة العالية من رجال مصر يتباحثون في شؤونهم العامة . وقد قضيت مع صاحبتهِ ساعتين بهجتين لا انساهما مدى العمر

قال : وبعد ان تناولنا القهوة المعطّرة . تنقلنا في احاديث مختلفة وسألتني الاميرة عن رحلتي في اليابان.فوجدتها أعلم مني بحال هذه البلاد الشرقية السحيقة . فلما ذكرت اسم اوياما ، تنهدت الاميرة وقالت من لنا بمثل هذا الرجل ينهض ببلادنا من الهوة السحيقة الملقاة فيها ويبث في افئدة شباننا روح النخوة والشجاعة والاقدام

ثم جرى الحديث في الشؤون السياسية فابدت رأيها بان البلاد (وكان ذلك في ١٩٠٤) ليست مستعدة لان تحكم نفسها

قال : ولعبت وعزفت الاميرة على البيانو بعض الادوار الفنية . وقالت انها تتمنى ان يكون في كل بيت بيانو لترقية الشعور والاحساس

ففي صالون هذه السيدة الجليلة وضع اساس كتاب تحرير المرأة . وتفصيل الخبر

ان الدوق داركور وضع كتاباً باللغة الفرنسوية في سنة ١٨٩٢ عنوانهُ « المصريون » فردّ عليهِ قاسم امين بكتاب فرنسوي كان موضع اهتمام اهل الطبقة العالية من المصريين وفي طليعتهم الاميرة نازلي هانم . وقضى اهل الصالون الليالي الطوال ولا حديث لهم الاّ داركور والرد على داركور وما في الكتاب من امور عامة وخاصة ومنها مسألة المرأة الى ان تم الاتفاق على وضع كتاب « تحرير المرأة » وقد لعبت فيهِ اقلام المرحومين الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد زغلول

وانحاز الخديو عباس الى جانب المقاومين قاسماً وكتابه . ولكن المرحوم مصطفى فهمي باشا — وكان حينذاك رئيساً للوزارة — اعلن رأيه على صفحات الجرائد مؤيداً رأيه مثنياً على ما جاء في كتاب تحرير المرأة من وجوب تعليم البنات ورفع الحجاب . وقبل المرحوم سعد زغلول — وكان مستشاراً في محكمة الاستئناف — اهداء كتاب « المرأة الجديدة » اليهِ وتتويجه باسمهِ

بعد عشرين سنة

توفي المرحوم قاسم امين مساء يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٠٨ . وكان قد القى قبل وفاته بثلاث ساعات خطبة تمنى فيها ان تشترك النساء المصريات في حضور الجلسات الادبية الى جانب الرجال لسماع المحاضرات العلمية والفنية

فبعد ان جاهد عشر سنوات وكافح خصومه . وبعد عشرين اخرى مرت على وفاته رأينا تباشير نجاح الفكرة واندحار مقاوميها . رأينا السيدة الجليلة صفية هانم زغلول فرحة مغتبطة بتحقق امنية ابيها وزوجها فخورة بما كان للرجلين من اثر في تحرير النساء من ربقة الجهل

ورأينا السيدة هدى هانم شعراوي رئيسة جمعية الاتحاد النسائي لم تكتف برفع الحجاب والاشتراك في الحفلات والقاء الخطب والمحاضرات ونصيراتها من السيدات النبيلات . بل وجدناهن يعملن بهمة واخلاص على رفع شأن المرأة المصرية وتعليمها كل ما يرقيها ويحفظ نسلها سليماً

ورأينا الاستاذ محمد طلعت حرب خصم قاسم امين الاول ونصير الحجابيين يسمح بظهور بنات المسلمين على المسرح ممثلات ومغنيات وراقصات. ويقول في حديث لهُ مع الآنسة « مي » انهُ لا يرى مانعاً في قبول البنات للعمل في البنوك ومكاتب الاشغال

وعشرون سنة ليست بالزمن الطويل في حياة الامم والشعوب . والتغيير في العادات والاخلاق والآراء ليس زرعاً يغرس اليوم وينبت في الغد . فليعمل انصار المرأة ومحرروها والزمن كفيل بتحقيق الآمال « سفوري »

فرشاة الاسنان

العناية بها حتى لا تكون خطراً على الصحة

صحة الفم مرتبطة كل الارتباط بفرشاة الاسنان لانها تستعمل وسيلة لتنظيف الاسنان وتقوية اللثة . فاذا احسن استعمالها قللت تعرض الاسنان للاصابة بالحفر والنخر ومنعت الامراض التي قد تصيب اللثة واعادت صحة بعض اللثات المصابة

ومع ان الاطباء ورجال الصحة العامة نبهوا الجماهير بمقالاتهم وخطبهم الى وجوب العناية بنظافة اسنانهم نراهم قد اهملوا التنبيه الى وجوب العناية بنظافة الفرشاة المستعملة لتنظيف الاسنان

فالفرشاة التي لم تنل نصيباً كافياً من عناية صاحبها بنظافتها وحفظها لا تحقق الغاية التي تستعمل لتحقيقها — تنظيف الاسنان وتقوية اللثة — وقد تنقلب فائدتها ضرراً . وعليهِ رأينا ان نقتبس من مجلة هيجيا الصحية القواعد التالية للعناية بفرش الاسنان فتطول مدة استعمالها وتمنع الآفات التي قد تتطرق الى الفم ومنهُ الى الجسم بواسطتها

لدى شراءِ فرشاة اسنان جديدة يجب وضعها في محلول قوي من ملح الطعام مدة ساعتين قبل استعمالها فينظف شعرها وتفقد قساوتها وتكتسب مرونة لا بدَّ منها لتنظيف الاسنان وعدم جرح اللثة

اما القول بوجوب اغلائها قبل استعمالها فخطأٌ . لان الاغلاء يفقد شعر الفرشاة ما فيهِ من الليونة والمرونة. واذا كانت قبضتها من السلولويد تغير شكلها فاذا كانت قد صنعت على شكل خاص حتى يسهل تنظيف كلّ الاسنان بها اعوجّت والتوت وصار يصعب استعمالها واذا كانت الفرشاة من عظمٍ ذاب السمنت الذي يربط شعر الفرشاة بالسلك الدقيق الذي في مقدمها. يضاف الى ذلك ان كل فرشاة تعقم قبلما ترسل من المعمل الى السوق بوضعها يوماً كاملاً في بخار الفورملدهيد وكل مرتبة من مراتب عمل فرش الاسنان مبني على مبدإ اساسي وهو الاحتفاظ بمرونة الشعر فيجب ان لا نزيل هذه الصفة اللازمة لتنظيف الاسنان باغلاء الفرش قبل استعمالها

وقبيل استعمال الفرشاة كل يوم يجب ان ترطب بماء بارد لان استعمال الماءِ السخن يجعلها رخوة كثيرة الليونة . فلا يفيد استعمالها شيئاً

وبعد استعمالها يجب ان تنظف بماء بارد قوي الاندفاع من حنفية . والظاهر ان كثيرين يعتقدون ان الفرشاة يجب ان تنظف بماء سخن لتعقيمها بعد استعمالها وهذا خطأ ايضاً لان الفرشاة لا تعقم الاَّ اذا كان الماءُ على درجة الغليان ويندر ان يكون الماءُ الذي يجري من حنفية على درجة الغليان

وبعد تنظيف الفرشاة بالماءِ يجب ان تجفف بنفض الماءِ منها واذا وضعت في كأس من الزجاج بعد ذلك فيجب ان يكون رأسها متجهاً الى فوق حتى تجف ويجب الاَّ توضع في صندوقها الصغير لانها لا تجف كذلك فيهرأ شعرها وتصبح مرتعاً للمكروبات

يجب ان تبقى الفرشاة ٢٤ ساعة من غير استعمال لانهُ يلزم لها هذه المدة حتى تجف وعليهِ يجب على كل انسان ان يكون عندهُ فرشاتان يتداول استعمالها الاولى كل صباح والثانية كل مساءٍ اذ لا يخفى ان تنظيف الاسنان قبل النوم من اهم قواعد صحة الفم

ومتى استعملت الفرشاة علق بها بعض المكروبات من الفم وهذه المكروبات تعلق بين شعر الفرشاة ولا تستطاع ازالتها كلها بالغسل ولذلك اشار بعضهم الى ان الفرشاة مصدر خطر كبير على الصحة بدلاً من ان تكون معواناً لها

على ان المكروبات التي تكون عادة في الفم تحتاج في تكاثرها الى بيئة رطبة دافئة مظلمة فيها شيءٌ من المواد التي تستطيع ان تغتذي بها . فحين تخرج الفرشاة من الفم بعد تنظيفه تكون قد علق بها مكروبات تحتاج الى مثل هذه البيئة حتى تتكاثر فاذا فسح المجال للفرشاة حتى تجف كل الجفاف ماتت المكروبات التي تحتاج الى الرطوبة لكي تتكاثر. ولما كانت غرفة الحمام عادة غير مظلمة ولا توجد فيها المواد التي تطلبها المكروبات للغذاء فالمرجح ان كل المكروبات التي تعلق بالفرشاة تموت لعدم وجودها في بيئة توافقها . وقد ثبت بتجارب علمية دقيقة ان ٩٩ في المائة من المكروبات التي تعلق بالفرشاة تموت لذلك

اما الذي يعلق بالفرشاة من تعريضها في غرفة الحمام فليس اشد ضرراً من الغبار الذي تتنفسهُ كل دقيقة من حياتنا

ويجب الاَّ تستعمل الفرشاة اكثر من اربعة اشهر فمن يستعمل فرشاتين عليهِ ان يغير واحدة منهما كل شهرين

باب الزراعة والاقتصاد

الجراد واهلاكهُ

الجراد حيوان معروف ينتاب هذه الديار والديار الشامية وكثيراً من البلدان المجاورة كالجزائر وتونس وقبرص وبر الاناضول . ومن الغريب ان تردده على الديار المصرية قليل ووطأته عليها غير شديدة ومع ذلك لا يؤمن جانبهُ .وقد وردت جيوشهُ الجرّارة على هذا القطر في اوائل الشهر الماضي فنزل بعضها فيهِ في جهات مختلفة كما ثبت من اخبار مكاتبينا ومن الاخبار التي وردت على الحكومة وثبت ان بعض الجراد الذي نزل رزَّ (١) في الارض ولذلك طُلب الينا ان نثبت ما نعلمهُ من طرق اهلاكهِ فنقول

لم تبقَ شبهة في ان الجراد وقع في اماكن كثيرة ورزَّ في بعضها ولو كان ذلك قليلا . وستظهر صغارهُ وتلتهم ما تراهُ امامها من كل خضراء وغضراء وتتقلَّب على اطوار شتَّى الى ان تكبر وتصير كاملها فتطير وتغادر البلاد او تتزاوج وترز في الارض ثانية . ذلك كلهُ اذا لم يتلافَ امر الجراد من الآن

اما طرق تلافيهِ بعد ان يبيض في الارض فهي : —

اولاً ان يُفتَّش عن الاماكن التي باض فيها . وهي تُعلَم من وجودهِ ميتاً عليها لان الجرادة اذا باضت في الارض ماتت في المكانِ الذي باضت فيهِ. والغالب ان ذنبها يبقى عالقاً في الارض ما لم تقذفها الرياح عنهُ وتُعلَم هذه الاماكن ايضاً من وجود قليل من الرغوة عليها وهي مما تفرزهُ الجرادة تسهيلاً للرز في الارض . والبيض هنات صغيرة كحبوب الكمون منتظمة بعضها مع بعض كسنبلة الشعير ويقال لمجتمعها سَروة وطول السروة من اربعة سنتيمترات الى خمسة .والغالب ان الجراد يبيض مجتمعاً بعضهُ مع بعض فاذا وُجد بيض جرادة في الارض غلب على الظن انهُ يوجد بقربهِ كثير . وحينئذٍ تروى الارض ليبتل البيض ويفسد او تحرث او تركس لكي يظهر البيض ويتعرَّض للشمس فيجف ويفسد ويموت. او يجمع البيض ويدهس او يدرَّس بمحدلة

(١) رزت الجرادة غرزت ذنبها في الارض لتبيض

ثقيلة . كذا يفعل اهالي الشام حينما يرزُّ الجراد في بلادهم فان الحكومة تفرض على كل مكلَّف ان يقدّم لها جانباً معلوماً من بيضهِ فيجمعهُ لها بنفسهِ او يبتاعهُ ممن يجمعهُ لهُ. فيحسن بالحكومة ان تبتاع بيض الجراد من الناس اغراءً للفقراءِ بجمعهِ

ثانياً اذا بقي شيءٌ من البيض في الارض حيث لم يُهتَدَ اليهِ او لم تبذل الهمة في جمعهِ وظهر الجراد الصغير منهُ فانهُ يكون في اول الامر اسود كالذباب لا يستطيع ان يطير بل يدبُّ على الارض دبيباً ويقال لهُ الدَّبى . ووسائط قتلهِ حينئذٍ كثيرة . منها ان يدرس درساً بمحدلة ثقيلة فيموت جانب كبير منهُ ولاسيما في العشرة الايام الاولى من فقسهِ وفي الصباح والمساء بعد ذلك . ومنها ان يخبط بالخابيط والرفوش ونحوها من الادوات العريضة. ومنها ان يرش عليهِ زيت الكاز فانهُ يموت بهِ . ومنها ان تحفر لهُ خنادق عرض الخندق منها نحو سبعين سنتيمتراً وعمقهُ كذلك ويجب ان تكون حافتا الخندق قائمتين ويطرد الجراد الصغير الى الخندق فيقع فيهِ بسهولة ولا يمكنهُ الخروج منهُ فيموت فيهِ جوعاً . او يجعل في كل خندق حفر عميقة فيجرَف اليها بعد ان يقع في الخندق ويطمر فيها بالتراب او يصب في الخندق ماءٌ وذلك سهل جدًّا في القطر المصري لسهولة جرّ الماءِ الى كل مكان فيغرق الجراد الصغير فيهِ فيموت

ثالثاً اذا دخل الجراد الصغير بستاناً وجب ان توقى الاشجار منهُ وذلك بان تحاط سوقها بالصفيح او بورق مدهون بالقطران

رابعاً اذا بقي جانب من الجراد وكبر وصار يمكنهُ الوثوب عن الارض والطيران ولو قليلاً فلا تعود الخنادق تفي بالغرض فيوضع في طريقهِ سياج من القش والهشيم ويطرد اليهِ ثم يحرق بهِ . او يجمع باكياس كبيرة

خامساً اذا بلغ الجراد اشدَّهُ فانجع واسطة حينئذٍ لاهلاكهِ ان يجمع جمعاً عند الفجر حين يكون عاجزاً عن الطيران لشدة البرد ويحرق او يدرَس وان يطرد عن الارض المزروعة بالجلبة والصياح والدخان ولا بدَّ من ان تُغتَنَم لذلك فرصة هبوب الرياح الشديدة لان قوَّة الجراد على الطيران غير شديدة وانما الرياح تحملهُ وتسوقهُ من مكان الى آخر

ولا شيءَ يتغلب على همة الرجال وحزمهم فاذا استعملوا الوسائط المتقدمة بالهمة والحزم لم يبقَ من الجراد ما يضرُّ بالمزروعات

مراتب الارض ومناطقها

(تابع ما قبله)

(٤) ضواحي مصر شمالاً في القليوبية وجنوباً في الجيزة تمتاز ببساتين الفواكه والخضروات وصناعة الالبان وتربية الطيور وزراعة الكتان

(٥) الارض الرملية وهي منتشرة بين مراتب الارض المختلفة وقد امتازت بعض اصقاعها في الشرقية بزراعة الحناء وفي ضواحي الاهرام بزراعة البصل ومريوط بزراعة الشعير زراعة بعلية على المطر . هذا عدا سائر الزروع التي اختصت بها الارض الرملية كلها — والذي يروى منها بالروافع دائماً تستنفد نفقات ريهِ المتوالي كثيراً من ريعه فيقل الربح منه . وبعض الارض الرملية العلو تحفر اخاديد يزرع فيها البطيخ زراعة بعلية اذ تصير جذوره قريبة من الثرى النديّ او تزرع بعض الاشجار حيث تخف صعوبة ريها عما اذا لم تكن في اخاديد [1]

(٦) السياحات مستنقعات واسعة جداً تبلغ مئات الالوف من الافدنة في اطراف البراري ترطبت من طغيان مياه البحيرات المجاورة لها شمالاً حينما يطغو البحر على هذه شتاء — ومن ماء الصرف والسايب عليها من المصارف والارض المجاورة لها جنوباً لا سيما في فصل الفيضان ويبلغ عمق الماء فيها الى ٣٠ سنتمتراً واكثر في بعضها احياناً وفي غير ذلك يكون ضحاضح دقيقة . وينبت في هذه السياحات البردى والحجنة والنسيله والامشوط والسافون وغيرها من الاعشاب الصالح اكثرها للمرعى فيستفيد منها اهل الجهات المجاورة لها بأرعاء مواشيهم وسروحها فيها لاسيما المواشي الحلوبة وكذلك مواطئ الارض المجاورة لبركة قارون بالفيوم

(٧) البحيرات وهي مناقع عميقة اعمق من السياحات او هي منخفضات كبيرة المساحة تجمعت فيها المياه — وتصب فيها اكثر مصارف الارض الزراعية عدا ما يتسرب اليها من ماء البحر ومتوسط عمق المياه فيها نحو متر واحد وينتفع اهل البلاد القريبة لها بصيد الاسماك والطيور المائية منها

وقد اصلحت احدى الشركات الاجنبية بحيرة ابي قير ضواحي الاسكندرية وباعتها للاهالي فافادت واستفادت شأنها في ذلك شأن سائر شركات اصلاح الاراضي او

(١) الاخاديد خطوط عميقة تحفر حتى يظهر الثرى الندى من الماء الارضي

الشركات العقارية التي اصلحت كثيراً من ارض البراري وباعته للفلاحين

ومن اهم البحيرات بحيرة المنزلة باطراف الدقهلية وبحيرة البرلس باطراف مديرية الغربية وكلاهما متصل بالبحر الابيض المتوسط وتصب فيه المصارف — وبحيرة ادكو ومريوط في اطراف مديرية البحيرة ومجموع البحيرات كلها اكثر من ٦٥٠ الف فدان عدا السياحات والارض الموات يمكن اصلاحها الاّ ما لا بد من تركه مصائد للاسماك. اما بحيرة قارون بالفيوم فيتعذّر اصلاحها لعمقها وتعذر صرف المياه منها للصحراء لعلوه عنها كثيراً

(٨) الواحات وهي سهول منخفضة في وسط صحراء ليبيا ذات بقاع خصبة التربة تروى من العيون الطبيعية والآبار المعين وأهم زروعها كروم النخيل وحدائق الفاكهة والاشجار المثمرة كالزيتون وغيطان الحبوب والمرعى وبساتين الخضروات والمقاثي ولكن الحبوب التي تنتج منها الآن دون حاجة اهلها اما باقي الزروع فاكثر من حاجتهم ولكنهم لا يستطيعون تصدير غير البلح الجاف (التمر) والعجوة وقليل من الفاكهة المجففة لصعوبة المواصلات بينها وبين انحاء القطر — واهلها فقراء ووسائل الزراعة لاسيما الماشية ضئيلة عندهم ولا يحسنون الانتفاع بالمياه الموجودة لديهم فتتكون منها برك ومستنقعات تضر بصحتهم وبصحة ماشيتهم فيمكن استغلال واستعمار الواحات حتى تصير احسن مما هي الآن كثيراً باجراء الوسائط الصحية وتحسين وسائل الري والزراعة والمواصلات وقد بدأت وزارة الزراعة تعنى بامرها فلعلها تستمر الى ان تصل الى نتيجة يحسن السكوت عليها. واشهر الواحات واحة سيوة التابعة لمديرية البحيرة والواحات البحرية التابعة لمديرية المنيا وتعرف بواحات الفرافرة والواحات الداخلة والواحات الخارجة التابعة لمديرية اسيوط ويربط هذه الواحة الاخيرة بسكة الحديد خط يلتقي بها على مقربة من فرشوط

جدول مناطق الارض الثانوية

الارض العلو	بالوجه القبلي	منها وادي كوم امبو وهو الآن ارض رواتب وحوش النباري (الذرة النيلي)
	وبالوجه البحري	الكثبان والجزائر الرملية المرتفعة وزراعتها المسقاوي تروى بالروافع بكلفة كبيرة وقد تحفر اخاديد تزرع بطيخاً زراعة بعلية

ضواحي مصر	جنوبي القليوبية وشمالي الجيزة	امتازت بزراعة الخضراوات والفاكهة وتربية الطيور وصناعة الالبان
الارض الرملية	بالوجهين البحري والقبلي	تزرع بزروع الارض الرملية فول سوداني وسمسم وترمس وحنا ومقاتى ونخيل وخروع وصبّير (تين شوكي)
الجزائر والسواحل النيلية	على شواطئ نهر النيل وفروعه الكبرى	تزرع ما يوافق معدنها وحالة ريها رواتب كانت أو حياضاً وسوداء كانت او صفراء او رملية
السياحات	في اطراف البراري والفيوم	وهي من الارض الموات وفيها بعض المرعى لماشية اهالي البلاد المجاورة لها
البحيرات	تلي السياحات شمالاً	ومنها يصطاد السمك والطيور المائية
الواحات	في وسط صحراء ليبيا	يزرع فيها بعض الحبوب والخضراوات والفواكه والزيتون والنخيل الخ

ملحوظة : — اشتهرت وامتازت بعض الجهات او البلاد باحدى المزروعات او الصناعات الزراعية مديرية قنا بصناعة الفخار (الخزف) البلدي وزراعة الخشخاش قبل تحريمها قانوناً وبعض بلاد الفيوم بزراعة التين والعنب والليمون والزيتون وتربية الطيور وبعض بلاد المنيا بصناعة قصب السكر وقرية باسوس قليوبية بزراعة الشمام والزقازيق بصناعة الحصر ووادي الطميلات شرقية بزراعة السمار والقرين شرقية بالبلح العامري وكرداسة جيزة بزراعة البصل ورشيد بضرب الارز ودمياط به وبصناعة الالبان وقرية برما غربية بمعامل التفريخ الخ الخ ضواحي طلخا احمد الالفي زراعي عملي

زراعة الملوخيا

CORETE POTAGERE

اصلها وتحليتها — يقول النباتي دوكاندول ان بلاد الملوخيا الاصلية واقعة غربي الهند وانها انتشرت بالزرع في اوسترالية وافريقية والشام وغيرها وان زرعها لا يتعدى تاريخ الميلاد حتى في بلادها الاصلية. وهي نبات سنوي من الفصيلة التيلية Tiliacées اسمه اللاتيني Corchorus olitorius ساقه منتصبة رفيعة طويلة قليلة التفرع لاسيما

اذا كانت النباتات ملتفة . واوراقه بيضية مستطيلة متوالية مسننة والسنان اللتان في اسفل الورقة تنتهيان بخيطين دقيقين ، وازهاره صفراء منفردة او مزدوجة في ابط الاوراق كأسها ذات اربع وريقات او خمس وتويجها كذلك واسديتها عديدة وثماره قرون اسطوانية منتهية بمنقار ولها عشر زوايا ، واذا قطعت الثمرة على عرضها يرى داخلها خمسة تجاويف بزورها منضدة . والبزور صغيرة ضاربة الى الخضرة ذات زوايا عديدة في الغرام منها ٤٥٠ بزرة وهي تحتفظ بخاصية الإِنتاش خمس سنين تقريباً

الاقليم والتربة — الملوخيا من نباتات البلاد الحارة فهي لا تحتمل برد الشتاء ولا تزرع في أقاليم الشام الاّ بعد ان تشتد الحرارة في الربيع ، وتناسبها التربة العميقة التي يمكن اسقاؤها بمقدار كبير من الماء

زرعها — تجهز تربتها بالحرث والاسمدة وتقسم أحواضاً ثم تبذر البزور باليد بحيث يكون في الف متر مربع من الارض نحو كيلو غرامين ونصف من البزور . وتغطى البزور بحرث سطحي إما بالمحراث او بالمنكاش. ويمتد اوان البذر من نيسان في الساحل والغور الى اواسط حزيران في مناطق السهول ويكون قبيل حصد الحنطة او بعيده في بساتين دمشق. وبعد ان ينمو النبات يتعهد بالسقي وبتنقيته من العشب ويبدأ بقطعه بعد شهرين على زرع بزوره ، وهو يقطع ثلاث مرات الى سبع مرات بين المرة والثانية نحو عشرين يوماً واذا اريد الحصول على حبه يترك النبات حتى تحصل الثمار وتنضج البزور فيقطع وتدق الثمار حتى تنزع البزور منها

استعمالها — الملوخيا[1] من النباتات الليفية لكنها لا تزرع في الشام للحصول على اليافها بل تكون الغاية من زرعها جني ورقها وطبخه شأن كثير من الخضر ، وهي مشهورة في مصر وفي دمشق حيث يطبخونها بعد ان يضيفوا اليها مقداراً من الثوم ، ويستلذها بعضهم لكنها بنظري من اردأ الخضر فشتان بينها وبين الخرشوف والهليون والباذنجان مثلاً . واذا طبخت صارت غروية مثل البامية ، وهي مغذية قليلاً

عن كتاب «البقول» للامير مصطفى الشهابي

---

(١) لم اجد هذا اللفظ في الامهات ، وقد ذكره الخفاجي في « شفاء الغليل » فقال : « ان الملاخيا لم تكن معروفة قبلا وانها حدثت بعد سنة ٣٦٠ من الهجرة وانها ذكرت للمعز باني القاهرة فأكلها واستلذها فسميت ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخيا . . . » ولعل صاحبي محيط المحيط واقرب الموارد نقلا عن الخفاجي . واخطأ دوزي فظنها الـ Mauve وهي غيرها كما ترى

مكتبة المقتطف

تاريخ الفكر العربي

في نشوئهِ وتطوّرهِ بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

يقلم اسماعيل مظهر بك — صفحاته ١٨٢ من قطع المقتطف — طبع بمطبعة مجلة المصور بمصر ثمنه ١٥٠ مليما

—o:o—

كيف انتقلت الفلسفة اليونانية الى العرب ؟ وهل انتقلت مباشرة من اللغة اليونانية الى اللغة العربية ؟ ومن نقلها ؟ وما هو الباعث الذي حمل الذين نقلوها على ذلك ؟ وما هي المدارس التي اشتهرت في التاريخ العربي بانها مراكز تنتشر منها أنوار الثقافة الجديدة؟ ومن نبغ منها من العرب والمتعربين في فنون الطب والكيمياء وعلوم المنطق والمباحث الفلسفية والروحية على اختلافها ؟ ترى الاجوبة الوافية عن هـذه المسائل التاريخية الخطيرة في الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس الذي جمع فيهِ مؤلفهُ آراء اشهر المستشرقين الباحثين في هذا الموضوع وقد لخص المؤلف بحثهُ في تاريخ هذا الانتقال صفحة ٢٦ حيث قال :

« من هنا نعتقد ان اللاهوت والفلسفة والعلم في الاسلام لم تغرس الاَّ في ارض شبعت من قبل بالثقافة اليونانية على اختلاف ضروبها وتباين الوانها . اما السبيل التي خطبت فيها الثقافة اليونانية الى العرب فذات خمس مفاوز

اولا — النساطرة ، الذين كانوا اول من علم المسلمين واول الذين خدموا الطب في العصور الاولى . ثانياً — اليعاقبة الذين كانوا اول من ادخل الباطنية والافلاطونية الجديدة في الجو العربي . ثالثاً — الزرادشتيون في فارس وعلى الاخص مدرسة جنديسابور ، ولو ان هذه المدرسة قد امتزجت بعنصر قوي من عناصر النسطورية رابعاً — وثنيو « حران» ولو ان اثرهم في الاسلام لم يأت الاَّ مؤخراً . خامساً — العبرانيون ، على انهم لم يكونوا على صلة بالفلسفة الارسطوطالية ، وظلت مدارسهم في صور Sora « وبامباديثا » Pambaditha عاكفة على درس شرائعهم التقليدية

« لم يبدأ العبرانيون في درس الفلسفة الاَّ في العصور المتأخرة وقد استمدوا من فلاسفة العرب . غير انهم ورثوا عن النساطرة نزعة الى علم الطب ، حتى ان الاطباء اليهود قد ظهروا في اوائل عمارية بغداد . غير انهم لم يبزُّوا النساطرة في ذلك . فمن بين الاطباء الذين يذكرهم العلامة « لكلارو M. Leclerq في كتابهِ في تاريخ الطب عند العرب Histroire de la Medicine Arabe في القرن العاشر الميلادي ٢٩ طبيباً مسيحياً وثلاثة من اليهود واربعة من وثني حران . في حين أن النسبة اختلفت في القرن الحادي عشر ، فكانوا ثلاثة مسيحيين وسبعة من اليهود ، ومن ثم تكاثر الاطباء العرب من بعد ذلك كثرة لا تحفظ فيها النسبة بينهم وبين غيرهم »

ثم فصَّل بعد ذلك تاريخ الترجمة عن العرب وهو موضوع لا تزال لهُ جدتهُ لما يعانيهِ كتاب اليوم من المصاعب في ترجمة العلوم الغربية ولما يدور في خلد الكثيرين من وجوب تأليف مجمع علمي يشرف على هذه الترجمة ومجمع لغوي للعناية باسلوبها ومصطلحاتها المعرَّبة والمترجمة

ويلي ذلك فصل مسهب في سيرة جابر بن حيان الذي « يقترن اسمهُ من حيث الشهرة ومن حيث الاثر النافع باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران » وقد قال فيهِ الاستاذ برتيلو المؤلف الفرنسوي .... « ان اسمهُ ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق »

ويلي ذلك فصل في « اسلوبِ الفكر العلمي . نشوؤهُ وتطورهُ في مصر خلال نصف قرن » .. وقد ذهب فيهِ الى انهُ لم يجد في تاريخ مصر الحديث من حين ان غزاها نبوليون حادثاً يلتئم الفكر من حولهِ التئاماً يكفي لان يغير من اساليب الفكر العلمي والادبي. ودلَّل على ذلك . وقال في نهاية مقالهِ : « ان الخطوات التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الاسلوب الغيبي (بمساعدة المدارس والمجلات والصحف السيارة) الى وضح الاسلوب اليقيني سوف تقودنا سعياً الى ميدان يتصادم فيهِ الاسلوبان تصادماً يثير في جو الفكر عجاجةً ينكشف غبارها عن الاسلوب الغيبي وقد تحطمت جوانبهُ واندكت قوائمهُ وتترك الاسلوب اليقيني قائماً بمهابة الجبار القوي الاصلاب مشرفاً على الشرق وقد هبَّ من رقاد القرون يسير في الدرب الذي مهَّد سبلهُ للانام نواميس النشوءِ والارتقاءِ » وهذا المقال هو ردّ الاستاذ على سؤال كان قلم تحرير المقتطف

قد وجههُ الى جمهور من الكتاب وطلب فيهِ اليهم ان يبدوا آراءهم في « اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وابقى آثارها »

اذا اضفت الى كل هذه المباحث التاريخية الفلسفية الدسمة اربعة مباحث من نوعها في اربعة من اشهر شعراء العرب وفلسفتهم ودلالة شعرهم على نفسيتهم وهم المعري وشوقي ومهيار الديلمي وبشار بن برد عرفت انك تشتري بخمسة عشر غرشاً غذاءً عقلياً لا يقوَّم بمال قضى صاحبهُ الايام والليالي في التنقيب عنهُ في بطون المؤلفات. فنشكر لصديقنا عنايتهُ وهمتهُ ونتمنى لهُ ولمجلتهِ ولمطبوعاتها دوام التقدم والرقي

وقد اهدى الكتاب الى « استاذي وصديقي : الدكتور يعقوب صروف احياءً لذكر الصداقة واعترافاً بما لهُ عندي من الدين الادبي الذي ان عجزت عن ان أؤديه حيًّا فلا اقل من احيي اليوم ذكراهُ وهو في عالم الارواح »

اللغة العربية والاستاذ النشاشيبي

امامنا كتابان الاول « البستان » وهو حديقة غناء جمع فيها الاستاذ النشاشيبي من فنون الادب العربي كل زهرة زاهرة وكل ثمرة يانعة. وقد بدأهُ بخطبة لهُ بليغة عنوانها « الاستاذ : المدرسة » قال في مطلعها « اللغة هي الأُمة والأُمة هي اللغة وضعف الاولى ضعف الثانية وهلاك الثانية هلاك الاولى . وكل قبيل حريصٌ جدَّ حريصٍ على ان يستمرَّ كونهُ الى الأَبيد. فهو مستمسك بلغتهِ للاحتفاظ بكينونتهِ. واللغة ميراث اورثهُ الآباءُ الابناءَ واحزم الورّاث صائن ما ورث واسفههم في الدنيا مضيّع »

ومن عرف الاستاذ النشاشيبي كما عرفناهُ عرف ان هذا الكلام صادر من اعماق نفسهِ . وانهُ في كلامهِ وخطابتهِ من اقوى الداعين وابلغهم الى المحافظة على هـذا « الارث الذي ورثناهُ » لذلك جمع في هذا الكتاب درراً من اقوال العرب شعراً ونثراً لكي يستظهرها طلاب المدارس لان اتقان اللغة الوطنية يزيد اكرام المرءِ لنفسهِ واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيرهِ على فهم ما يكتب بها وعلى التعبير عن افكارهِ بجلاءٍ وقوة

والكتاب الثاني رسالة بل خطبة خطبها الاستاذ النشاشيبي في مهرجان شوقي لما جاءَ على رأس الوفد الفلسطيني للاشتراك فيهِ . وهي كذلك تدور على مقام اللغة العربية ولهُ فيها آراءٌ طريفة منها قولهُ :

«فاذا لاقيتم في عصور المولدين او في عصور المتأخرين قبحاً في القول يُمضّ الاذن ان تسمعهُ وتقتحمهُ العين إما أبصرتهُ

«وإذا الفيتم كلاماً بهرجاً قد وهت اعضاده وتشوّه تركيبهُ وفَقَدَ ذاك الرونق

«وإذا وجدتم شعراً سخيفاً قد عميت معانيهِ وقد استعجم على تاليهِ

«وإذا سمعتم سجعاً غير طبيعي مرتجًّا زحافاً متدحرجاً قد لعنتهُ العربية

«إذا وجدتم ذلك فلا تلومنَّ العربية ولا تتنقَّصنَّها ولوموا امة ضعفت فضعف قولها وذلت فذلَّ شعرها وحارت في دنياها فاستحار كلامها

ومنها قوله:

«على ان لغة العلم في العربية (وللعلم لغة وللادب لغة) لم تُضَمْ ضيمَ اختها. وما المقاصدُ والمواقف وشرحاها واقوال ابن الخطيب ومقدمة ابن خلدون (على مغربيتها) وكلها في العصور المتأخرة بالتي تذم (في اسلوب اللغة العلمي) جملتها

«ويخيّل اليَّ أن نفوس الحكماء العلماء تكون في احايين الضعف اقوى من نفوس الادباء فلا تهن وهنها ولا تهون هوانها اوكأنَّ العلماء في الدنيا، وليسوا في الدنيا، ومن الناس وليسوا من الناس. وقد يلاقى هؤلاءِ القوم المساكين ربهم ولا أثر لحوادث دهرهم فيهم وقد يقتحمون ميادين الحياة فيتأخرون ولا يتقدمون . . . . . »

ومنها قولهُ:

«فارجع يا فتى الى اسلوب القرون الثلاثة الاولى الى الاسلوب الطبيعي العربي، الى الاسلوب الباريسي، الى اسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الاربعين، وانبذ انبذ مقامات الحريري ومقامات الهمذاني وما شاكلها ولا تتصفحنها إمَّا ابتغيتَ تعرُّفها إلاَّ خائفاً وحذارَيْكَ (١) أن يستعبدك متقدم في الزمان اومتأخر واياك وانْ تقلد في القول احداً فالمقلد عبد ولا يرضى بالعبودية حر والعاقلُ لا يهب كينونتهُ لسواه وان ساواه او علاه وبعضهم لا يهبها لله (عز وجل) والتقليد عدم والاستقلال كون فلا يؤثر على الثاني الاول إلاَّ احمق»

والرأي الاخير الذي يدعو فيهِ الى العودة الى اسلوب القرون الثلاثة الاخيرة لانهُ الاسلوب العربي الطبيعي جدير بالنظر والاعتبار في تدريس اللغة العربية وقواعدها واساليبها وتطبيقها على مقتضيات الحياة العصرية وفي نقل علوم الغربيين وآدابهم

(١) (حذاريك) كذا اي حذره حذراً بعد حذر من المصادر المثناة للمبالغة

السفور والحجاب

ظاهرات الحياة ارقى ظاهرات الوجود

أرأيت الصخور تتزحزح عن مواضعها ، اذ يخترقها جذر دقيق كالخيط في مادتهِ وليونتهِ ؟ . تلك فاعلية الحياة ، والحياة سرٌّ من اعمق اسرار هذا الكون ، بل اعمقها واسماها . تجلَّت لي هذه الفكرة وانا اتصفح المؤلف الحديث « الحجاب والسفور » بقلم الآنسة نظيرة زين الدين ، كريمة الوجيه الفاضل سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في بيروت . انهُ كتاب هزّ العالم العربي ، وزعزع ملكوت الحجاب وايّ زعزاع

تلقي نظرة على الكتاب ، وتتلو آي القرآن الكريم الوافرة ، والحكم والحقائق الناضجة التي ازدانت بها صفحاتهُ فيخيَّل اليك ان الكاتبة من شيخات الدهر اللاتي بلغن من العمر عتيًّا . ولا تتصور انها صبية ترفل بمطارف الصبوة ونضارة الحياة . وان امثالها يغشين المراقص ومغاني اللهو ، بينا هي تساجل العلماء وتناضل الفقهاء في موضوع جبن امامهُ كبار الزعماء وخشي مغبة خوض مباحثهِ ائمة العلماء . وقد انطلقت فتاتنا في ميدان البحث انطلاق السهم يشق كبد الفضاء ، او شعاع النور يمزق مهجة الظلماء ، او كسريع القطارات — الاكسبرس — ينهب الارض نهباً ، لا يشق لهُ الفرسان غباراً . وقد تتصور ان الكاتبة من بنات اليوم اللاتي خلعن العقيدة والعبادة وهمن في بيداء الجحود والزندقة . وقد لا تصدق ان الاستمساك باهداب الدين واواصر التقوى سدى كتابها ولحمتهُ والاستناد الى الكتاب والسنة حجر زاويته وامتن دعائمهِ . وضعتُ الكتاب بين يدي وجعلت اقلب صفحاته ، واسرح طرفي في رياض مباحثهِ وحدائق براهينهِ ، فكدت لا اصدق عينيَّ ان فتاة في شرخ الصبا تجلي في مضمار « الكلام » بين طرائف المعقول والمنقول ، وتجلو لباب الدين جلاءً ، وتفرق بين غث العقائد والعادات وبين سمينها . فتثبت لك بالادلة « العقلية والنقلية » ان الحجاب آفة الشرق وآفة الاسلام . وان السفور ادعى الى الفضيلة واضمن الى الصون والعفاف ، واعلاء كعب الامة في ميدان الارتقاء

رجال يتسلحون بالشتائم ، فترمى الحرائر بالحجارة وترش ثيابهنَّ بماء النار ، وينادون بوجوب احالة نصراء السفور الى المحاكم وتهديد حياتهم بالاغتيال . وفتاة

تندفع في ميدان الدفاع عن السفور وعن حرية المرأة متسلحة بكتاب الله ، وبابلغ ما نظم الشعراء من الحكم ، وترمي الى بث الاقناع في النفس ، في ابلق وابدع طرائق الاقناع وابلغها حكمة . مشهد كهذا اقنعني ان دولة الحجاب قد دالت رحم الله نصراءه رحمة واسعة

ان كتاب الآنسة نظيرة زين الدين ظاهرة حياة ونور لا تقوى ظلمات الجهالة والتقاليد على معارضة نفوذها . ولا يزعمن ساداتنا الحجابيون انَّا نصراء نظيرة ، لا وربكم. انا نصراء قضية هي نصيرتها. وانا لنقف تحت لوائها لانها عززت في نفوسنا اليقين بالفوز النهائيّ . واضافت الى ظاهرات الحياة في الشرق ظاهرة جديدة . ومن علائم الفوز ان ينتشر كتابها قبيل الاحتفال بانقضاء عشرين سنة على ظهور كتاب قاسم امين على ما هو مبين في باب شؤون المرأة من هذا الجزء من المقتطف

ويقع الكتاب في اربعمائة وعشرين صفحة حسنة الطبع والتغليف وقد ختمتهُ المؤلفة بهذا البيت

لا ترتقي أمة حتى يكون لها يوماً على سيء العادات عصيانُ

حنا خباز

العقل الباطن

الخطيب الذي يرتجل خطبة طويلة مفعمة بالادلة والشواهد . والشاعر الذي تجود قريحتهُ في بعض الاحيان فينظم البيت بعد البيت من غير توقف ويستحضر ذهنهُ المعاني والقوافي. والمجادل الذي تحرجهُ فيسرد لك الدليل بعد الدليل من غير توقف. والمحرّر الذي يدعى فجأة لانشاء مقالة كبيرة في دقائق قليلة فيسبق فكرهُ قلمهُ . وهو لو حاول انشاءها في وقت آخر لتعذّر عليه ان يأتي بربعها في ذلك الوقت . والشاب الذي يرى رؤى في رابعة النهار او يحلم احلام السعادة والسلطان في الليل — كلهم يفعلون ذلك من غير وعي تام لان عقلهم الباطن وما هو مخزون فيهِ من الخواطر والحقائق والمشاهد يوحي اليهم ما ينظمون ويكتبون ويحلمون

فما هو هذا العقل الباطن وما هي اسرارهُ ؟ ما هي علاقته باعمال اليقظة واحلام الليل من جهة وبالغريزة الجنسية من جهة اخرى ؟ وكيف يختلف عن العقل الواعي ؟ وما هو اثر كلٍّ منهما في حالي الصحة والمرض ؟

كل ذلك تجدهُ مفصلاً في كتاب العقل الباطن الذي وضعهُ الاستاذ سلامه موسى واهدتهُ مجلة الهلال الغراء الى مشتركيها . واليك نبذة جاء بها المؤلف في فصل «النفسلوجية الحديثة وأثرها» : —

«فهذا العقل الباطن هو خزانة العواطف المكبوتة التي يمنعنا الحياء او الشرائع او الفقر من الاستسلام لها . وهو ينفس عنها بالخواطر والاحلام واحياناً اذا كانت هذه العواطف قوية والكبت شديداً فانها تنفجر وتتخذ هيئة هستريا او نوراستينيا تشبه الجنون

«ومن هذه الظواهر نعرف ان حبس العواطف يؤذي الناس وخصوصاً تلك العاطفة الجنسية التي هي اعنف العواطف جميعاً . وليس معنى كلامنا ان النفسلوجيين يقولون بالاستسلام لهذه العاطفة بل يقولون بالصراحة في الكلام عنها وينصحون للشاب بالمناقشة فيها. وذلك لان هذه المناقشة تزيل عنها مسحة اللغز الذي يمسحها عليها الخفاء. ومن أغرب ما ثبت من الانتحار وهو يؤيد الدعوة الى الصراحة والبوح والمناقشة ان الامم الكاثوليكية أقل الامم انتحاراً. وهذا ثابت من الاحصاءات التي تنشرها الحكومات وهذه القلة تعزى بلا شك الى ان الكاثوليكي يعترف الى الكاهن وباعترافه ينفس عن عاطفة مكبوتة لا يطيق احتمالها . وليس التحليل الذي يقوم بهِ النفسلوجي مع المريض سوى مناقشة يعترف فيها المريض بمركباتهِ القديمة فاذا توضحت امامه سكنت نفسهُ اليها وذهب عنهُ مرضه

« ولا يمكن ان نعالج الشاب بالاستسلام لعواطفهِ لاننا بذلك نقيم في نفسهِ صراعاً جديداً في مكان الصراع القديم . لان الاستسلام للعواطف يجر وراءه تبعات جديدة تحدث عواطف جديدة مؤلمة للنفس . فاذا لم يكن الزواج مستطاعاً فانهُ يمكن التنفيس عن العاطفة الجنسية بالتسامي اي بممارسة نوع من الفنون الجميلة او بالسعي في سبيل البر بما هو ذو علاقة بهذه العاطفة

«وبدرس العقل الباطن يمكننا الآن ان نفهم اساطير الانسان القديم وكيف نشأت عقائده وكيف اهتدى الى الاداء بالمجاز والاستعارة. فاننا في احلامنا نرى احياناً كثيرة صورة اسلافنا ونرى في رمز الحلم الاستعارة الاولى للغة»

وفي آخر الكتاب جدول ذكر فيهِ المؤلف بعض الالفاظ الفنية وترجمتها او تعريبها وقد اجاد في ترجمة Sublimation بلفظ «تسامٍ» و Suppression بلفظة «كبت» وغيرها

الزراعة الجافة

ترجمه ووضعه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل في ٢٦٨ صفحة وطبعه بمطبعة جريدته بحيفا

الزراعة من حيث علاقتها بماء الري اما مسقاوي او بعلي — فالاولى هي التي تسقى سقياً صناعيًّا دوريًّا اي في ادوار متعاقبة طبقاً لحاجة زراعتها في ادوار نموها المختلفة كزراعة القطن المصري الآن — والثانية هي التي لا تسقى بعد زرعها سقياً صناعيًّا سواء كان ري ارضها قبل الزراعة صناعيًّا كما في ارض الحياض بالوجه القبلي او من المطر كما في فلسطين وفي الحالين قد يغيثها المطر فتنتفع بهِ — هذا هو اصطلاح اهل الفلاحة وكتّابها في العربية قديماً وحديثاً

ولكن نزول المطر يكون في بعض الاقطار غزيراً فتصير ارضها أندى وزرعها ازكى منهُ في الجهات التي يكون نزوله فيها شحيحاً وعليهِ جرى اصطلاح علماء الزراعة المحدثين على تقسيم الزراعة الى زراعة وطبة وزراعة جافة وفلسطين وطن مؤلف هذا الكتاب من القسم الثاني ولذلك عني بوضعه معتمداً على كتاب جمعهُ العالم الزراعي الفاضل المستر جون ودتسون من اوثق المصادر والمختبرات العلمية

والكتاب يحتوي على عشرين فصلاً شرح فيها الفرق بين الزراعتين الرطبة والجافة والاساليب المتبعة في هذه وعلاقتها باحوال الجو اي المناخ وانواع التربة وطبائعها والماء الارضي وفلاحة نباتاتها بالتفصيل الخ الخ مما يهم اهل الفلاحة وطلابها

تذكرت وانا اتصفح هذا الكتاب رأياً ارتأيتهُ لتقدم الزراعة في الاقطار الناهضة كمصر وفلسطين واشرتُ اليهِ في المقتطف والمقطم مراراً خلاصتهُ ان من خير الوسائل لهذا التقدم أن نبدأ من الاساس وهو عمل الفلاح فنجمعهُ ونهذبهُ مما يغشّيهِ من الابهام والاوهام ثم نزيدهُ بتجاربنا وابحاثنا ومقتبساتنا ، ذلك ان لفلاحي كل قطر عرفاً زراعيًّا خاصًّا توصلوا اليهِ بعد الممارسة الطويلة والاختبار المتكرر جيلاً بعد جيل وتداولهُ الخلف من السلف وكثيراً ما يكون فيهِ من الحقائق الزراعية الاكيدة ما لا يمكن الوصول اليهِ الاَّ بعد تجارب طويلة وابحاث دقيقة يمكن توجيهها الى الوصول والفوز بحقائق غيرها — فالى هذا الرأي اوجه نظر رجال النهضة الزراعية في فلسطين

وقد استعمل المؤلف الفاظاً استوقفت نظري ففي ص ٦ اعماق التربة والصواب

اعماق الثرى وفي ص ١٨ وضع كلمة الطقس موضع المناخ — فالطقس عبارة عن الاحوال الجوية لمكان ما في وقت معين ويدل عليهِ بالارقام التي تدونها الارصاد الجوية من درجات الحرارة والرطوبة والهواء — فهو متغير بتغير احوال الجو في مختلف الاوقات . والمناخ اعم من الطقس فهو عبارة عن الصفة الكائنة للمكان من اثر تلك الاحوال في مجموعها ويدل عليهِ بمتوسط قيمتها او معدّلاتها من حرارة ورطوبة وهواء لسنين عديدة بل لاجيال

والطقس يضاف الى الوقت فيقال طقس هذا الاسبوع في جهة كذا اما المناخ فلا يضاف الا الى المكان فيقال مناخ مصر

وفي ص ٣٢ استعمل لفظ الهيومن لما نستعمل له لفظ الدبال او المواد العضوية .

وفي ص ٥٦ عبر عن (مسام) التربة بكلمة (الخلايا) وفي ص ٦٢ قال ماء الجاذبية والصواب الماء الارضي

ليت كتاب العربية في اقطارها المختلفة يجرون على اسلوب واحد في استعمال الالفاظ الفنية والالفاظ المستحدثة وبذلك يسهل على جمهور القراء فيها الاستفادة من التآليف الفنية التي يضعها كتاب اي قطر منها ولا يخفى ما في ذلك من جزيل الفائدة والى ان يتم ذلك يحسن بهؤلاء الكتاب ان يشرحوا في تآليفهم معاني الكلمات الفنية والمستحدثة التي يستعملونها

وبعد فان هذا الكتاب جدير باقبال الزراع الفاسطينيين وبان لا تخلو منهُ مكتبة كل باحث زراعي في الاقطار العربية المختلفة ولكن ارى ان ثمنهُ ٣٥ قرشاً مصرياً إذا قيس بحجمه غالٍ

احمد الالفي

تاريخ نجد الحديث

تأليف امين الريحاني — صفحاته ٤٣٢ قطع المقتطف طبع بمطبعة يوسف صادر ببيروت

انشأنا في مقتطف مايو الماضي فصلاً في الكتاب الانكليزي البليغ الذي وضعهُ الاستاذ امين الريحاني في رحلتهِ الى نجد. ولم نكد نتم مطالعتهُ والكتابة عنهُ حتى وافانا بريد بيروت بكتاب عربي للمؤلف بسط فيهِ تاريخ نجد الحديث وملحقاتهِ. وهو يشتمل على ثلاث نبذ في جغرافية نجد وسيرة محمد بن عبد الوهاب منشئ المذهب الوهابي .

ونشأة آل سعود الذين مهدوا الطريق لانتشار هذا المذهب. والنبذ الاخيرة وهي اكثر الكتاب تتضمن سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما وفيها فصول وافية عن غزوة الوهابيين للحجاز وتنازل الملك حسين وما تلا ذلك من الحوادث وفي آخر الكتاب ملحق اشتمل على المعاهدات والاتفاقيات العربية المشهورة مثل اتفاقيات بحره وحدّاء ومكة المكرمة والمعاهدة البريطانية الحجازية وغير ذلك . والكتاب مرفوع الى جلالة ملك الحجاز ونجد بكلمة الى القارئ بعض ما جاء فيها :

« يا طويل العمر . ان ما قمتم بهِ من تحضير البدو وتأسيس الهجر لمن امجد آثاركم القومية ومن خير اعمالكم الاصلاحية . غير ان هناك عملاً آخر فيهِ كذلك الخير الجزيل بل فيهِ للعرب الخير الاكبر

«كانت الهجرة الاولى ، هجرة البدو ، من الشرك الى التوحيد في الدين، ومن البادية الى الحضارة ، فعسى ان تكون الهجرة الثانية من الامية الى الالفباء من الجهل الى العلم ، من الظلمات العقلية الى النور

« بنيتم يا طويل العمر البيوت للبدو . هي الخطوة الاولى في تمدينهم فعسى ان تخطوا الخطوة الثانية فتبنوا لهم كذلك المدارس . ان في المدارس تحقيق كل ما تنشدون . المدارس تكمل عمل السيف . المدارس تمهّد السبيل الى الوحدة العربية الثابتة . الوحدة الشاملة . الوحدة العزيزة الوثيقة العرى »

***

حقًّا ان من يطالع الكتب التي عني الاستاذ الريحاني بتأليفها في السنوات الاخيرة يَعجب ويُعجب بجلدهِ وصبرهِ . فمن العناية باعادة طبع الريحانيات الى وضع كتاب ملوك العرب في مجلدين واعادة طبعهِ الى تأليف « ابن سعود. شعبهُ وبلادهُ » بالانكليزية الى وضع تاريخ نجد الحديث الذي بين ايدينا الآن اعمال اقل ما يقال فيها انها تحتاج الى همة الجبابرة . وهو الآن يضع كتاباً في تاريخ سورية ولبنان عنوانهُ « النكبات » ستعنى بنشرهِ زميلتنا مجلة الكشاف البيروتية . ومع كل ذلك لم ينقطع عن الاشتراك في حياة الشرق العربي الفكرية وها هي ذي مقالاتهُ وخطبهُ في النقد والحث على الاصلاح اشهر من ان تعرّف

حمائم المآذن

Les Colombes des Minarets
Anthologie Islamique.

اهدي الينا الكاتب الشاعر المسيو فرانز توسان مجموعة من الشعر الفرنسي بالعنوان المتقدم ترجمها عن اشهر القصائد الاسلامية من عربية وافغانية وبلوخستانية وشركسية وتركية ومصرية (وفرعونية وعربية) ومراكشية ورفعهُ الى جلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما وبدأهُ بالآية الكريمة « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

ومن القصائد العربية التي اختارها ونقل بعضها الى الفرنسية معلقة عنترة ومعلقة امرئ القيس ومعلقة زهير ومعلقة الحارث ومعلقة عمر بن كلثوم ومعلقة طرفة بن العبد. وترجم ايضاً جملة من آيات القرآن الشريف واشعاراً للشنفري ويزيد بن معاوية ولهارون الرشيد وغيرهم من كتاب العرب وشعرائهم كالمتنبي وابن الفارض والسيوطي والمقري والمعري وابن زيدون وابن نباتة ولما عرض لمصر ترجم قصيدة فرعونية جعل عنوانها « نشيد النيل » وجانباً من قصيدة شوقي في « سقوط ادرنة »

هذا وما ترجمهُ الكاتب من القصائد العربية يشغل نحو ١٢٠ صفحة من كتاب صفحاتهُ ١٦٩ من القطع الصغير . وقد نعرض لهُ في فرصة اخرى للنظر في الترجمة وهل جاء المترجم فيها على اغراض الشعراء الذين نقل كلامهم

﴿ معجم المطبوعات العربية والمصرية ﴾ ظهر الجزء الاول من هذا السفر النفيس وهو شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية . جمعهُ ورتبهُ يوسف اليان سركيس ويطلب من مكتبة سركيس بمصر بالفجالة نمرة ٥٣ . والجزء الاول الذي بين ايدينا في نحو ٢٠٠ صفحة من قطع اللطائف المصوّرة وثمنهُ ٢٠ غرشاً يضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج . وينتظر ان يكون المعجم في عشرة اجزاء متى تمَّ وقيمة الاشتراك فيهِ الآن ١٥٠ غرشاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) التنويم المغنطيسي

البصرة عراق . هل التنويم المغنطيسي (الهبنوتزم) صحيح ؟ وهل يمكن للمنوِّم ان يؤثر في المنوَّم ويطلع منهُ على اسرارهِ واذا كان ذلك ممكناً فلماذا لا تستعملهُ الحكومات لكشف الاسرار التي تهمها معرفتها

ج . التنويم المغنطيسي او الاستهواء صحيح اي ان بعض الناس اذا حدقوا بنظرهم الى شيءٍ لامع امامهم او اذا وقف امامهم شخص واشار اليهم اشارات متكررة على نسق واحد او اذا اعتادوا هذا النوم واعتقدوا ان هذا الشخص اتى لتنويمهم ناموا . الا ان عدد الذين ينامون قليل وهم في الغالب من ضعاف الاعصاب. ويستطيع المنوِّم ان يؤثر في المنوَّم بان يأمرهُ بقولهِ افعل كذا فيفعل او لا تفعل فلا يفعل . واذا طلب منهُ ان يفشي لهُ سرًّا من اسرارهِ فالغالب انهُ يفشيهِ ولكن ارادة المنوَّم تكون ضعيفة جداً فيتأثر من سؤال المنوِّم ويجيبهُ حسبما يقتضيهِ السؤال ولو كان الجواب غير صحيح. وهذا يعرف لدى علماءِ النفس المحدثين « بالايحاء» . ولا تستعمل الحكومات التنويم لكشف الاسرار لان الذين ينامون قليلون جداً ولانهم قد يجيبون على هوى السائل لا على ما يطابق الحقيقة

ويتوهم البعض ان المنوَّم يكتشف اسرار غيره وهذا خطأ والحقيقة انهُ يفشي اسرار نفسهِ. اما اسرار غيرهِ فانهُ ان لم يكن يعرفها فالتنويم لا يجعلهُ يعرفها

(٢) اسباب اللثغة

اسوان. هل اللثغة طبيعية في الانسان او توجد لها اسباب طارئة

ج . اذا ترك الولد يلفظ الحروف كما يشاء ولم يُصلَح لفظهُ فقد يجيءُ في بعض

الحروف كالراء والسين مخالفاً للفظ المألوف وهذه هي اللثغة وهي حينئذ طبيعية وتزول بالتمرين والاعتناء . وقد يصاب الانسان بمرض كالتيفوس فيشفى منهُ والنطق متعذر عليهِ ثم يتمرن على النطق رويداً رويداً ولكنهُ يبقى ألثغ في الغالب فاللثغة حدثت هنا من علة عارضة

(٣) سبب الفواق

مصر . ما هي اسباب الفواق hiccough فان لي طفلاً في الشهر السابع من عمرهِ يصاب بالفواق نحو اربع مرات كلَّ يوم فما هو سبب ذلك . وهل هو طبيعي . فانهُ في بعض الاحيان يلبث ما يزيد على ثلث ساعة مصاباً بهِ

ج . الفواق ويعرف « بالحازوقة » في بر الشام سببهُ انقباض العضلات في الحجاب الحاجز . والحجاب الحاجز كما لا يخفى هو الغشاء العضلي الرقيق الذي يفصل صدر الانسان عن بطنهِ وفي الصدر القلب والرئتان وفي البطن المعدة والامعاء والكبد والطحال وغيرها . ووظيفتهُ ان ينقبض فيساعد في زفر الهواء من الرئتين ثم يتمدد فيفسح لها مجالاً للتمدد بدخول الهواء النظيف

والعصب الذي يتصل بهذا الحجاب يدعى العصب الحاجزي Phrenic وهو طويل ينشأ في الجانب الاعلى من الحبل الشوكي قرب العنق . وكل ما يثير هذا العصب او يهيجهُ يحدث انقباضاً فجائيًّا في الحجاب الحاجز وهذا الانقباض وما ينجم عنهُ هو الفواق . واشهر ما يثير هذا العصب الاكل فوق الشبع او سوء الهضم او جلط اللبن المتخثر في المعدة . وقد يكون وجود الهواء الذي اتصل بالمعدة عن طريق الفم من هذه الاسباب . فالشعور بوجود هذه المواد في المعدة يتصل بالحبل الشوكي ثم ينتقل الى العصب الحاجزي فيحدث الفواق

والفواق الذي ينجم عن هذه الاسباب ليس ذا شأن خطير ويزول بشيء من العناية بالمأكل والمشرب وبضرب الطفل على ظهرهِ ضرباً لطيفاً حتى تخرج فقاقيع الهواء من معدتهِ . وكل الاطفال يصابون بهِ من حين الى آخر

على ان هناك نوعاً آخر من الفواق وهو ناشىء عن مرض يصيب الجهاز العصبي كشلل الاطفال والتهاب الدماغ السباتي . وحينئذٍ يكون ما يثير العصب الحاجزي في الدماغ لا في المعدة . وهذا الفواق يكون شديداً متواصلاً خطيراً . على انه يكون في الغالب مصحوباً باعراض اخرى فلا يصعب تمييزهُ . والمرجح ان فواق الطفل المذكور من النوع الاول

(٤) سبب البراكين والزلازل

الطاكية . ما هو سبب ثوران البراكين وخمودها ثم عودها الى الثوران . وهل الزلازل تنشأ عنها ؟

ج . ان باطن الارض حارٌّ جدًّا كما يظهر من البحث في جوفها . وكان المظنون انهُ مصهور ايضاً ولكن ثبت من بعض الادلة الطبيعية انهُ جامد غير مصهور . ولكن بقعاً قليلة مصهورة تتصل بالبراكين والبراكين منافس او منافذ لها فاذا خسفت الارض بسبب الضغط او بسبب تقلصها المستمر انضغطت المواد المصهورة وخرجت من افواه البراكين . وكذلك اذا وصل اليها ماءُ البحر من شق في قعرهِ تمدَّد تمدّداً شديداً بفعل الحرارة وخرج منها ومعهُ المواد التي يجدها في طريقهِ حتى اذا زال السبب عاد البركان الى الخمود

واذا شئتم بيان اسباب الزلازل فراجعوا مقالة نشرناها في هذا الجزء موضوعها « زلزلة كلَّ ساعة »

(٥) اعادة لون السن الطبيعي

بورت سعيد . هل تعرفون طريقة يُعاد بها لون السن طبيعيًّا بعد ما يموت عصبهُ ويُنزَع

ج . ان قصر الاسنان (تبييضها) لا يفيد الفائدة المرغوبة بوجهٍ عام . وقد استعمل غاز الكلور لذلك على درجات متفاوتة من النجاح . وفي استعمالهِ من غير معرفة الطبيب شيءٌ من الخطر . على ان غسل الاسنان باكسيد الهدروجين الثاني (او اكسجينه (eau oxygen) يفيد بعض الفائدة . ولا نعرف طريقة اخرى نستطيع ان نشير عليكم باستعمالها في البيت على ان طبيب الاسنان يستطيع ان يلبس السن الذي تغيّر لونهُ الطبيعي غشاءً من الخزف يعيد اليهِ هذا اللون الطبيعي

(٦) اصوات عالية لا يسمعها الانسان

صافيتا لبنان . جاء في مقتطف فبراير ص ١٤٠ ما نصهُ (من رأي بعض العلماء ان النمل والنحل تسمع الاصوات العالية جدًّا التي لا يسمعها الانسان وانهُ ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل) فما هي هذه الاصوات العالية جدًّا التي يسمعها بعض الحيوانات الدنيا ولا يسمعها الانسان وما هو مصدرها . أم لعلَّ لفظة (العالية) وقعت سهواً وكان المراد بها الخافتة بدليل قولهِ (وان كان لها اصوات فهي من هذا القبيل)

ج . كل صوت سلسلة امواج في الهواء يحدثها جسم مادي مرتجٌّ . وعلو الصوت او خفوتهُ يقاس بعدد هذه الامواج في الثانية . فاذا كان احد الاصوات مؤلفاً من الفي موجة في الثانية وآخر مؤلفاً من ٢٠ الف موجة في الثانية

قيل ان الصوت الثاني اعلى من الصوت الاول . وقد ثبت ان اذن الانسان لا تستطيع ان تسمع اصواتاً عدد امواجها اقل من ٣٠ موجة في الثانية او اكثر من ٣٠٠٠٠ الف موجة في الثانية ولكن لبعض الحشرات كالنمل والنحل مقدرة على ان تسمع اصواتاً يزيد عدد امواجها على ٣٠ الف موجة في الثانية فهي اذاً تسمع اصواتاً اعلى من الاصوات التي يسمعها الانسان

(٧) تسمية اشعة الراديوم

ومنهُ . ما معنى قولكم في مقتطف مارس الماضي ص ٢٥٩ (الفا وبيتا وغمّا)؟

ج. الفا وبيتا وغمّا هي الحروف الثلاثة الاولى من الابجدية اليونانية يقابلها في الابجدية العربية الالف والباء والجيم وقد اطلقت على انواع الاشعة الثلاثة التي تنطلق من عنصر الراديوم فتعرف بها

(٨) تسمية ابي الهول

الاسكندرية . لماذا سمي تمثال ابو الهول بهذا الاسم

ج . جاء في خطط المقريزي التي طبعت بمطبعة النيل بمصر في الصفحة ١٩٧ من الجزء الاول ما يأتي :

« هذا الصنم بين الهرمين عرف اوّلاً بلهيب وتقول اهل مصر اليوم أبو الهول. قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهوبه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منهُ سوى رأسه فقط تسميه العامة بابي الهول ويقال بلهيب ويقال انهُ طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزة »

وجاء في دائرة المعارف للبستاني ان ابا الهول عُرف اولاً ببلهيت ثم اطلق العامة عليهِ اسم (ابو الهول) وقد يكون محرفاً عن بلهيت او بلهونة او قد يكون سمي بذلك لمنظرهِ الهائل

وجاء في مقتطف يونيو سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٩٧ ما يلي :

واسم ابي الهول في اللغــة المصرية القديمة « هو » يعنون بهِ الشمس الطالعة او شمس الافق او اله الصباح وتضاف اليهِ لفظة با او اب او بو ومعناها بيت او مكان او معبد فيصير بهو اي بيت اله الصباح او مكانهُ او معبدهُ ولذلك فالكلمة التي قال المقريزي انها اسم ابي الهول هي الكلمة المصرية القديمة محرفة . وحبذا لو رجعنا اليها فترجمنا كلمة سفنكس بها فانهُ يسهل جمعها واضافتها كالاسماء العربية

(٩) تاريخ ابن العبري

القاهرة . ورد بالصفحة ٥١٠ من مقتطف مايو الماضي في مقالة البادية العربية ما يأتي (بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري الخ) فاين يوجد تاريخ ابن العبري وهل يمكن الحصول عليهِ ؟

ج . كتاب اخبار الدول لابن العبري مطبوع بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ونشير عليكم بان تطلبوهُ بواسطة مكتبة العرب بالفجالة ونظن ان ثمنهُ لا يقلّ عن جنيه

(١٠) رواية الكتيدرال لابانز

الفجالة مصر. ما هو الاسم الانكليزي لرواية الكتيدرال التي كتبها ابانيز روائي البحر المتوسط المذكورة في مقتطف مارس صفحة ٣١٢

ج. اسمها The Cathedral ونرجح انكم تجدونها في اكثر المكاتب الافرنجية في القاهرة كمكتبة C.M.S. بشارع قصر النيل ومكتبة Au Papyrus او مكتبة Express بشارع المغربي والا فان اصحاب هذه المكاتب يستطيعون ان يطلبوها لكم من لندن فتصل في نحو اسبوعين

(١١) كتاب لودج في الروح بعد الموت

ومنهُ . ما الاسم الانكليزي لافضل كتاب وضعهُ السر اوليفر لدج في وجود الروح بعد الموت

ج. نظنكم تشيرون الى الكتاب الذي كتبهُ بعد موت ابنهِ في الحرب الكبرى وسماهُ ريموند (وهو اسم ابنهِ) او الحياة بعد الموت . ولهُ كتاب آخر اسمهُ الاثير والحقيقة (Ether & Reality) اكثرهُ مباحث طبيعية تتخللها وتعقبها مباحث فلسفية عرض فيها لمسألة وجود الروح بعد الموت

(١٢) كتاب لودج في علم النفس

ومنهُ. هل وضع السر اوليفر لودج كتاباً في علم النفس وما اسمهُ بالانكليزية او العربية

ج . لا نعلم ان السر اوليفر لدج عني بمباحث علم النفس (السيكولوجيا) وتوفر عليها بل هو عالم من اكبر علماء الطبيعة المعاصرين ولذلك لا نظن انهُ يتعرض لوضع كتاب في علم لم ينقطع لهُ انقطاعاً يمكنهُ من الكتابة فيهِ كاربابهِ. ولم نسمع ان لهُ كتاباً في علم النفس ولكن لهُ كتاب اسمهُ «كريستوفر : او بحث في الشخصية الانسانية» وهو كتاب في المباحث النفسية لا في علم النفس

(١٣) رش الماء وبرودة الهواء

طنطا . نرى ان رش الشوارع في ايام الحر يبرد الهواء فهل يبرد الهواء ولو لم يكن الماءُ الذي ترشّ بهِ الشوارع بارداً لاننا نرى مركبات الرش تأخذ الماء من الحنفيات رأساً وهو ليس بارداً كما لا يخفى وقد يكون سخناً

ج . الغالب ان الماءَ لا يبرّد الهواء ببرودتهِ بل بسرعة تحولهِ الى بخار فان تحوّلهُ الى بخار يقتضي استخدام جانب كبير من حرارة الارض والهواءِ فيخسرها الهواء وتخسرها الارض ولذلك تهبط الحرارة بضع درجات على اثر رش الماءِ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في يونيو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٣	٢	١٣	مساءً
الربع الاخير	١١	٧	٥١	صباحاً
الاجتماع	١٧	١٠	٤٢	مساءً
الربع الاول	٢٥	٠	٤٧	صباحاً
الاوج	١	١٠	٦	«
الحضيض	١٦	٣	٥٤	مساءً
الاوج	٢٨	٩	٤٢	«

السيارات في يونيو

عطارد . يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة . لا تشاهد

المريخ . يشرق نحو الساعة ٢ صباحاً

المشتري . يكون كوكب صباح

زحل . يشاهد في اثناء الليل

كسوف الشمس

تكسف الشمس صباح يوم الاحد في ١٧ يونيو ١٩٢٨ كسوفاً جزئيًّا لا يشاهد من القاهرة

اعظم البواخر

بنت احدى الشركات الفرنسوية في السنة الماضية باخرة محمولها ٤٢ الف طن للسفر بين فرنسا والولايات المتحدة واوصت شركة النوردويتشرلويد ببناء باخرة محمولها ٤٦ الف طن للسفر بين برمرهاڤن بالمانيا و نيويورك . فكان بناء هاتين الباخرتين اشارة الى استئناف التزاحم بين شركات البواخر الكبرى لبناء اكبر السفن وامتنها واسرعها

على ان هاتين الباخرتين لا تقاربان المتجستك والبرنجاريا الانكليزيتين فالاولى محمولها ٥٦ الف طن والثانية محمولها ٥٢ الف طن. ولكنهما لم تبنيا في بريطانيا بل هما من بواخر الالمان التي استولت عليها انكلترا بعد الحرب. والموريتانيا باخرة من بواخر شركة الكونارد لا تزال حائزة لقصب السبق في السرعة ولكن ينتظر ان تفوقها الباخرة الالمانية في ذلك متى نزلت الى الميدان . فهل تكتفي شركات البواخر الانكليزية بان تخسر قصب السبق وهي مكتوفة اليدين؟ كلاَّ ان حبَّ التفوق والسبق

من اقوى الطبائع البشرية ويؤخذ من انباء شركة الكونارد انها اوصت ببناء باخرة جديدة يكون محمولها متى تمت ٦٠ الف طن وطولها ١٠٠٠ قدم وفيها متسع لخمسة آلاف مسافر. وشركة النجم الابيض تدرس الآن مشروع بناء باخرة تكون انخم من المتجستك واسرع منها . وتبلغ نفقات بناء هاتين الباخرتين احد عشر مليوناً من الجنيهات

الاشعة السموية وتكون العناصر

لقد توافرت الادلة على ان بعض العناصر الثابتة الكثيرة الوجود في الارض والاجرام السموية كالهيليوم والسلكون والاكسجين والحديد آخذة في التكون الآن من ذرات الكهربائية السلبية والايجابية (الكهارب والبروتونات)

هذا قول للاستاذ ملكان في خطبة خطبها امام اكادمية العلوم الاميركية . والاستاذ ملكان لا يلقي القول على عواهنه فهو من اكبر علماء الطبيعة المعاصرين وقد نال جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٢٣ لتفوقه في استفراد «الكهرب» وقياسه

ولقد اثبت في خطبته المذكورة طرفاً من المباحث الدقيقة التي قام بها مع زميل له هو الاستاذ كمرون لاثبات وجود الاشعة السموية وقوتها ومصدرها . وقد لخصنا هذه المباحث في مقتطف مارس الماضي صفحة ٣٠٦ على انهما اعادا الكرة على هذه التجارب بادوات كهربائية اكثر دقة من الادوات التي استعملاها قبلا فثبت لهما ان طيف هذه الاشعة يدل على انها تجيء في مناطق سريعة التوالي كأن المصدر التي تصدر عنه ينبض نبضاً. وسرعة تواليها يفوق سرعة الاشعاع الذي ينجم عن اسرع التحولات في المواد المشعة يريد بذلك انطلاق اشعة غمَّا التي تصدر من الراديوم

وقد وجدا ان اقوى هذه الاشعة يخترق ما سمكهُ ٢٠٠ قدم من الماء و١٨ قدماً من الرصاص مع ان اشعة اكس لا تخترق اكثر من ثلاثة سنتمترات من الرصاص ونور الشمس العادي تحجبهُ ورقة رقيقة. فوصول هذه الاشعة في مناطق كما مرّ يدلّ على انها لا تتولد كما تتولد اشعة اكس من اصطدام الجواهر الفردة بكهارب سريعة كسبت سرعتها من مرورها في حقول شديدة التمغنط كانابيب اشعة اكس فسرعتها تقتضي حقولاً تفوق في قوة تمغنطها انابيب اشعة اكس ٣٠٠٠ ضعف

وبعد البحث الرياضي الدقيق ثبت لهما ان ما من فعل طبيعي يستطيع ان يولد اشعة هذه قوتها وسرعتها الا الافعال الطبيعية التي تصاحب تكوّن بعض العناصر

المختلفة كالهليوم والسلكون والحديد والاكسجين من الهدروجين او من الهليوم

زلازل البلقان

كانت الزلازل التي حدثت في بلغاريا واليونان في شهر ابريل الماضي من اقوى الزلازل التي حدثت هناك ونتج عنها دمار كثير ففي ١٤ ابريل الماضي زلزلت الارض زلزالها في بلغاريا على مقربة من شربان فتهدمت البلدة كلها . وكان نطاق الزلزلة واسعاً فاتصل اثرها ببلدة بلوفْدِف على ثلاثين ميلاً الى الغرب من مركز الزلزال. ثم حدثت زلزلة قوية في ١٨ ابريل فكان مركزها قريباً من بلوفدِف فدمّر فيها نحو خمسة آلاف بيت واتصل اثرها بصوفيا على ٨٠ ميلاً منها فتدمر فيها بضعة بيوت . وحدثت زلزلة ببلاد اليونان في ٢٢ ابريل دمرت كورنثوس وكلاماكي ولوتراكي . ويقال ان ١٥ الف نسمة باتوا في الخلاء لان بيوتهم تهدمت

اما زلازل بلغاريا فاهم ما اتصفت بهِ من الوجهة العلمية انتقال مركز الزلزال غرباً في خط موازٍ لسلاسل جبال البلقان واتساع نطاق الاراضي التي تأثرت بها مما يدلّ على عمق الابسنتر . راجع مقالتنا « زلزلة كل ساعة » في مكان آخر من هذا الجزء

مخاطر القطب الجنوبي

صحت عزيمة الكومندر برد الاميركي على الذهاب الى القطب الجنوبي وهو الآن منهمك باعداد الطيارات وغيرها من معدات الرحلة الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية . وهنا يتبادر للذهن السؤالان الآتيان : أيستطيع الكومندر برد ان يصل الى القطب الجنوبي بالطيارة ويرجع منهُ كما وفّق في الوصول الى القطب الشمالي والرجوع منهُ ؟ وهل المخاطر التي تحفُّ بطيرانهِ الى القطب الجنوبي اعظم من المخاطر التي لقيها وتغلب عليها حين طار الى القطب الشمالي ؟

اما السؤال الاول فتتعذر الاجابة عنهُ الآن ولكننا نتمنى للطيار المقدام كل سلامة وتوفيق في الذهاب والاياب . واما السؤال الثاني فالجواب عنهُ بالايجاب اذ لا شك في ان المخاطر التي تحف بروّاد القطب الجنوبي اعظم جدًّا من مخاطر الرحلة الى القطب الشمالي . ذلك ان القطب الجنوبي ليس في مسطح من الجليد كالقطب الشمالي بل هو قائم على قنة عالية ارتفاعها نحو عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر فبلوغهُ عن طريق الجو يقتضي الارتفاع بالطيارة الى هذا العلو الكبير وعمل النزول الى الارض على جليد غير مستوٍ ثم القيام

والتحليق في الجوّ جمّ الخطر يضاف الى ذلك ان منظر الجليد قد يبهر عيون الطيارين فتتعذر عليهم رؤية هدفهم من جهة ويصعب الاتجاهُ في الناحية التي يريدونها من جهة اخرى . والبرد حول القطب الجنوبي اشدُّ من البرد حول القطب الشمالي فضلاً عن ان المناطق المتجمدة الجنوبية مشهورة بهبوب عواصف من الثلج تدوم اياماً تسدُّ على الرائد طريق التقدم والنجاة. وعاصفة كهذهِ هبت في وجه الرائد الانكليزي سكوت ورفاقهِ فقضت عليهم مع انهم كانوا لا يبعدون الاَّ احدى عشر ميلاً من محطة لهم اودعوا فيها طعاماً . وهذه العواصف تهب فجأةً وتبلغ سرعة الريح فيها احياناً ١٥٠ ميلاً في الساعة

هذه هي اهم المخاطر التي يتعرض لها الروّاد في الاصقاع المتجمدة الشمالية . ولكن اقدام الرجال ومستحدثات العلم لا بدَّ ان تتغلب عليها

فوز جديد للتلفزة

استعملنا لفظة « التلفزة » في الجزء الماضي من المقتطف تعريباً للفظة « تلفيزيون » الفرنسوية و « تلفشن » الانكليزية لانها تعريب دقيق للكلمة الاصلية وفي الوقت عينهِ تجري على الاوزان العربية فنستطيع ان نصوغ الفعل تَلْفَزَ كدحرج وهلهل واسم الآلة تلفاز كمفتاح ومهماز ومسبار . ثم سردنا تاريخ هذا الاستنباط الخطير وما قد يبنى عليهِ . ومنذ انتشر مقتطف مايو تمَّ للمستر بايرد المستنبط الاسكتلندي فوز جديد في هذا الميدان. ذلك انهُ تمكن من اذاعة صور اناس جلسوا في مكتبهِ امام التلفاز المرسل فالتقط صورهم المستر ستانلي برون عامل التلغراف اللاسلكي على الباخرة برنجاريا وهي في عرض البحر . وكان بين الذين أُرسلت صورهم المس سلفي خطيبة المستر برون فعرفها . ولا يخفى ما في هذه التجربة من الدليل القاطع على نجاح طريقة بايرد نجاحاً عمليًّا

تَغيُّر حجم الشمس

ثبت لبعض علماء الفلك الايطاليين ان حجم الشمس متغير فكأَنها قلب متقد ينقبض ويتمدد وان الشمس تبلغ معظم حجمها مرة كل احدى عشرة سنة. ومن الغريب ان ذلك يتفق مع ظهور اكبر عدد من الكلف. ثم يبدأ حجمها بالنقصان فمتى بلغت اقل حجمها وافق ذلك الوقت الذي تكون فيهِ الكلف على اقلها. وقد اثبتوا ذلك بقياس حجم الشمس ظهرَ كلّ يوم اشرقت فيهِ في الخمسين السنة الاخيرة . ثم قارنوا هذه الاقيسة وبوّبوها فوصلوا الى هذه النتيجة

نقل الصور المتحركة بالتلفون

يعلّق اصحاب صناعة الصور المتحركة شأناً كبيراً على السبق الى نشر صور الحوادث الكبيرة والصغيرة التي تهم الجمهور. وقد استعملوا لذلك اسرع وسائل النقل والانتقال فاستأجر احدهم باخرة صغيرة سنة ١٩٢٢ ومعهُ فلم رُسم فيهِ حريق ازمير لدى احتلال الترك لها وسافر بهذه الباخرة من ازمير الى اقرب مرفإٍ ايطاليّ ومنهُ الى باريز وهناك عرف انهُ لا يستطيع ان يلحق بالباخرة السريعة التي تقلع من ميناء شربورغ يوم وصولهِ الى باريس فاستأجر طيارة ولحقها في عرض البحر ورمى بلفّات الفلم على ضهرها. ولما قاربت الباخرة نيويورك استقبلتها طيارة وحوّمت فوقها واخذت الفلم حتى يعرض في دور الصور المتحركة بنيويورك

على ان الاميركيين لم يكتفوا بسرعة الطيارات لنقل الصور التي تهم الجمهور فاستعملوا لذلك التلفون. ونقل الصور بالتلفون او التلغراف امر معروف لدى قراء المقتطف. ذلك ان الفلم يقطع قطعاً طول كل قطعة منها سبع بوصات وعرضها خمس بوصات وتنقل ثلاثاً ثلاثاً فينقل منها في خمس ساعات ما طولهُ ١٠ اقدام من الفلم وهو كافٍ لعرض حادثة خطيرة. فاذا فرضنا ان الحادثة وقعت في سان فرنسسكو فالفلم الذي يدوّنها يستغرق عشر ساعات على الاكثر اذا نقل بالتلفون الى نيويورك ولكنهُ يستغرق نحو خمسة ايام اذا ارسل بسكة الحديد ونحو ٣٠ ساعة اذا ارسل بالطيارة. ولا نعلم ان عرض فلم كهذا يعوّض الشركة النفقات الطائلة التي تتكبدها في تصويرهِ ونقلهِ ولكن التفوق غاية يتطلع اليها ارباب الاعمال ومتى اشتهروا بها زاد الاقبال عليهم واتسع نطاق عملهم وبذلك يعوّضون ما ينفقون ويربحون

الطيران من اوربا الى اميركا

اشرنا في مقتطف مايو الماضي الى فوز الطيارين الالمانيين كوهل وفون هونفلد والطيار الارلندي فتز موريس بعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي من ارلندا الى جزيرة غرينلي بين جزيرة نيوفوندلند ومصب نهر سانت لورنس

قام الطياران الالمانيان من برلين في ٢٦ مارس الماضي الى دبلن حيث لبثا ينتظران اعتدال الطقس ليقوما بالرحلة الخطرة من دبلن الى نيويورك. وكانا قد صحبا معهما ميكانيكيًّا المانيًّا فحلّ المستر فتز موريس الطيَّار الارلندي محله اعترافاً بجميل الحكومة الارلندية في ما مهدتهُ لهما من وسائل الطيران. وفي ١٢ ابريل قاموا

من مطار بلدونل على الطيارة بريمن وهي طيارة معدنية ذات سطح واحد من صنع يونكر قوة محركها ٢٠٠ حصان وسرعتها في جوٍّ هادئ ١٥٠ كيلو متراً في الساعة وتستطيع ان تبقى اربعين ساعة في الجو اي تستطيع ان تجتاز مسافة ٦٠٠٠ كيلو متر اذا كان الجو صافياً . ولما نزلوا في جزيرة غريتلي كانوا قد اجتازوا مسافة ٣٥٠٠ كيلو متر في خط مستقيم مما يثبت قوة الرياح التي هبت في وجوههم فاعاقتهم عن التقدم بالسرعة العادية فلم يبلغ متوسط سرعتهم اكثر من تسعين كيلو متراً في الساعة

الحرب في الصين والبحث العلمي

اشتهر الدكتور روي تشابمن اندروز باكتشافهِ لبيوض الدينوسورس في صحراء غوبي التي يرجع تاريخها الى نحو عشرة ملايين من السنين وبما عثر عليهِ هناك من آثار الانسان القديم مما يؤيد قول بعضهم بان آسيا مهد الانسان . وقد اعدَّ متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بعثة اخرى برآسة الدكتور اندروز لتذهب الى منغوليا وتستأنف بحثها هناك . ولكن هذه البعثة لم تتمكن من ذلك بسبب الحرب الاهلية الناشبة في الصين فقضى اعضاؤها سنتين في بكين وهم يتراوحون بين اليأس والامل في امكان استئناف بحثهم . واخيراً قرَّر الدكتور اندروز ان ينفح رئيس العصابة المستولية على البقعة التي يريدون البحث فيها بمبلغ من المال اذا مهَّد للبعثة طريق البحث وضمن سلامة اعضائها . والبعثة مؤلفة من عشرة علماء اميركيين توفروا على مباحث الآثار المتحجرة (الباليتنولوجيا) والجيولوجيا والآثار وبينهم طبيب ومصور وميكانيكيان للعناية بالسيارات التي يستقلونها و ٢٦ منغوليًّا وصينيًّا لخدمتهم . وهكذا يتعرض العلماء للمخاطر حبًّا بالكشف عن محيا الحقيقة والبحث عن اسرار الطبيعة !

جليد القطب الجنوبي

يرتأي الاستاذ ميناردُس احد اساتذة جامعة غوتنجن الالمانية ان حول القطب الجنوبي من الجليد ما يكفي لتغطية سطح الكرة الارضية بغطاء جليدي سمكهُ مائة قدم . وانهُ اذا اذيب هذا الجليد وصبَّ ماءهُ ارتفع سطح الماء في البحار والاوقيانوسات نحو مائة قدم . وان وزن الجليد المتجمع هناك يبلغ ٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ طن وعندهُ ان اكثر المرتفعات في الاصقاع المتجمدة الشمالية هي جليد متجمد بعضهُ فوق بعضٍ وليس جبالاً مغطاة بالجليد كما يظن

علاج للانيميا الخبيثة

عالج حديثاً طبيبان اميركيان فقر الدم (الانيميا) الخبيث باعطاءِ المصابين كبد البقر النيء (غير المطبوخ) فتحسنت حالتهم تحسناً مطرداً وشفي اكثرهم

وقد نشر اخيراً الدكتور شلنغ الالماني Schilling وهو يعدّ من اكبر الثقاة الالمان في امراض الدم انهُ عالج نحو ٩٤ مريضاً بهذه الطريقة فشفي تسعون منهم شفاءً تامًّا وتحسن حال واحد من الاربعة الباقين تحسناً ظاهراً ومات الثلاثة الباقون بامراض مختلفة غير الانيميا اصابتهم وهم تحت العلاج . ولا يعلم حتى الآن فعل الكبد غير المطبوخ في شفاءِ هذا المرض

ويباع في الصيدليات بضعة مستحضرات يقال عنها انها خلاصة الكبد ولكن لم يثبت بعد ان لها فعلاً شبيهاً بفعل الكبد «النيء» في علاج الانيميا الخبيثة

الطيور القواطع : تجربة غريبة

ربط احد الفرنسيين الباحثين في طبائع الطيور القواطع ورقة صغيرة بجناح خطّاف بنى لهُ عشًّا في حديقة دارهِ قرب مدينة متز بعد ما كتب عليها ما يأتي : «سكنت في صيف سنة ١٩٢٧ مع فلان في بلدة سانت افولد بمقاطعة موزل الفرنسية ومتى عدت اليهِ اودّ ان اخبرهُ اين قضيت المدة في اثناءِ تغيبي عنهُ »

كان ذلك في آخر الصيف الماضي . ومنذ ايام عاد هذا الطائر الى عشهِ القديم في حديقة هذا الباحث فوُجدت ورقة معلقة بجناحهِ وقد كتب عليها ما يلي . « قضيت الشتاء في عش بنيتهُ في بيت مستر بادي بجزيرة مارتينيك وهو يبعث معي باطيب تحياتهِ الى مضيفي السابق »

ليس من الغريب ان تتمكن الطيور القواطع من اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي والعودة الى فرنسا ولكن الغريب ان تعود الى بقعة صغيرة معينة في احدى مقاطعاتها

فرق مطافئ النمل

اكتشفت المداموزيل مرغريت كومب الفرنسوية ان في قرى النمل فرقاً مختصة باطفاءِ النيران التي تشبّ حولها . فانها اخذت عوداً مشتعلاً ووضعتهُ على مرتفع بالقرب من قرية نمل فهبت اليهِ فرقة واطفأتهُ فنها من رشّ عليهِ قليلاً من الحامض النمليك (الفورميك) وبعضها هجم على النار فقتل. وقد شاهدتُ احد افراد الفرقة يخلص نملة كادت تهلك في النار . واخيراً فازت الفرقة بغرضها وهو اطفاء العود المشتعل

عجائب البريد الانكليزي

تستعمل مصلحة البريد الانكليزية بلندن قطارات تسير تحت الارض لنقل اكياس البريد من محطات السكة الحديدية الى مكتب البريد افتداءً للوقت الذي يضيع في شوارع لندن لشدة ازدحامها. وهذه القطارات تسير من غير سوّاقين بوسائل ميكانيكية ويبلغ مقدار ما تنقلهُ يوميًّا من المراسلات ٢٣ الف كيس وطول الخط الذي تسير فيهِ نحو ستة اميال ونصف ميل وهو مبني في نفق على ٨٠ قدماً تحت سطح الارض وقد حفر في اثناءِ الحرب الكبرى لحفظ كنوز المتحف البريطاني فيهِ خوفاً عليها من قنابل البلونات الالمانية

الاعلانات الكهربائية

أُحصيت اعلانات الانوار الكهربائية في جزيرة منهتان بمدينة نيويورك فاذا هي ٢١ الف اعلان يستعمل فيها نحو مليون و٣٠٩٩١٨ مصباحاً كهربائيًّا. وقد بلغ من ارتفاع اسعار هذه الاعلانات ان احدى شركات الاعلانات اشترت فندقاً في مكان متوسط وسدّت كواهُ ونوافذه الاّ في الدورين الارضيين حتى تعلق على واجهتهِ الاعلانات الكهربائية لانها حسبت ان دخلها من الاعلانات كذلك يفوق دخلها من ادارة الفندق كفندق

زيادة متوسط العمر

اثبت قسم الصحة في ولاية بنسلفانيا ان متوسط عمر الانسان زاد ٣٩ سنة من آخر القرن السادس عشر الى الآن. فقد كان متوسط العمر في جنيفا ٢١ سنة في اثناء القرن السادس عشر (١٥٠١-١٦٠٠) وهو الآن في ولاية وسكنصن ٥٩ سنة (وهو المتوسط لكل سكان الارض) وذلك عائد الى تحسين احوال المعيشة الصحية وازدياد معرفة الاطباء باسباب المرض ووسائل العلاج والوقاية. ولا بد ان يزداد هذا المتوسط عما هو الآن كلما تقدم العلماء في معرفة طبائع الامراض وطرق مكافحتها

مصل الحمى القلاعية

وفّق بعض الباحثين الالمان الى صنع مصلين احدهما واقٍ تحقن بهِ المواشي فتوقى من الاصابة بالحمى القلاعية مدة لا تتجاوز عشرة ايام. وآخر شافٍ كمصل الدفتيريا يشفيها اذا لم يكن المرض قد استفحل امرهُ

كبري نهر الهدصن!

ذكرنا في مقالتنا عن كبري نهر الهدصن في اول هذا الجزء ان نفقاتهِ تبلغ نحو ٦ ملايين من الجنيهات والصحيح ١٥ مليوناً من الجنيهات

الجزء السادس من المجلد الثاني والسبعين

